

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر للشيخ
الامام والعلامة الهمام ضياء الدين
أبي الفتح نصر الله بن محمد بن
محمد بن عبد الكريم
الموصلى الشافعى
رحمه الله
آمين

• (فهرسة المثل السائر) •

صفحة	
٤	الفصل الاول في موضوع علم البيان
٤	الفصل الثاني في آلات علم البيان وأدواته
٢٠	الفصل الثالث في الحكم على المعاني
٢٦	الفصل الرابع في الترجيح بين المعاني
٣١	الفصل الخامس في جوامع الكلام
٣٣	الفصل السادس في الحكمة التي هي ضالة المؤمن
٣٦	الفصل السابع في الحقيقة والمجاز
٤٠	الفصل الثامن في الفصاحة والبلاغة
٤٤	الفصل التاسع في أركان الكتابة
٤٦	الفصل العاشر في الطريق الى تعلم الكتابة
٨٦	(المقالة الأولى في الصناعة اللفظية)
٨٦	القسم الأول في اللفظة المفردة
١١٤	القسم الثاني في الالفاظ المركبة
١١٤	النوع الاول المسبب
١٥٣	النوع الثاني في التجنيس
١٦١	النوع الثالث في الترتيب
١٦٣	النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم
١٦٩	النوع الخامس في الموازنة
١٧٠	النوع السادس في اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها
١٧٧	النوع السابع في المعانلة اللفظية
١٨٣	النوع الثامن في المناقضة بين الالفاظ في السبيل
١٨٦	(المقالة الثانية في الصناعة المعنوية)
٢١٤	النوع الاول في الاستعارة
٢٣٢	النوع الثاني في التشبيه
٢٥٠	النوع الثالث في التجريد

صفيقة

- ٢٥٤ النوع الرابع في الالتفات
 ٢٦٣ النوع الخامس في توكيد الضميرين
 ٢٦٧ النوع السادس في عطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده
 ٢٦٨ النوع السابع في التفسير بعد الابهام
 ٢٧٢ النوع الثامن في استعمال العام في النقي والخاص في الاثبات
 ٢٧٥ النوع التاسع في التقديم والتأخير
 ٢٨٣ النوع العاشر في الحروف العاطفة والجارّة
 ٢٨٦ النوع الحادي عشر في الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق

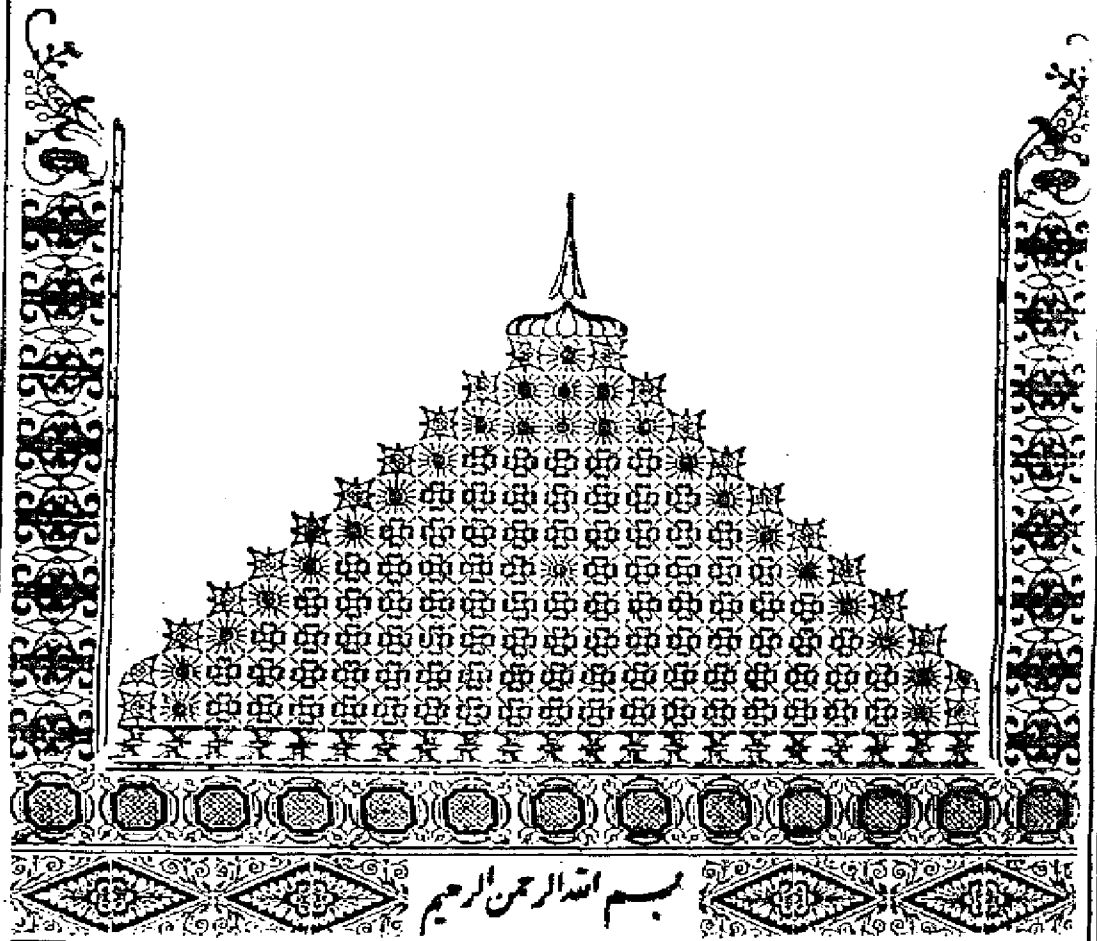
بينهما

- ٢٩٠ النوع الثاني عشر في قوة اللفظ لقوة المعنى
 ٢٩٣ النوع الثالث عشر في عكس الظاهر
 ٢٩٤ النوع الرابع عشر في الاستدراج
 ٢٩٧ النوع الخامس عشر في الایجاز
 ٣٣١ النوع السادس عشر في الاطناب
 ٣٥٤ النوع السابع عشر في التكرير
 ٣٧٢ النوع الثامن عشر في الاعتراض
 ٣٧٦ النوع التاسع عشر في الكناية والتعريض
 ٣٩٢ النوع العشرون في المغالطات المعنوية
 ٣٩٧ النوع الحادي والعشرون في الاحاجي
 ٤٠٣ النوع الثاني والعشرون في المبادئ والافتتاحات
 ٤١٧ النوع الثالث والعشرون في التخصيص والاعتضاب
 ٤٢٩ النوع الرابع والعشرون في التناسب بين المعاني
 ٤٤٧ النوع الخامس والعشرون في الاقتصاد والتفريط والافراط
 ٤٥٥ النوع السادس والعشرون في الاشتقاق
 ٤٥٧ النوع السابع والعشرون في التضمن
 ٤٦٠ النوع الثامن والعشرون في الارصاد

صيفة

٤٦٥ النوع التاسع والعشرون في التوشيح

٤٦٦ النوع الثلاثون في السرقات الشعرية



نسأل الله ربنا أن يبلغ بنا من الحمد ما هو أهله وأن يعلمنا من البيان ما يقصر
عنه منزلة الفضل وأصله وحكمة الخطاب وفصله ونرغب إليه أن يوفقنا
للصلاة على نبينا ومولانا محمد رسول الله الذي هو أفصح من لطق بالاضاد ونسمع هديه
شريعة كل هاد وعلى آله وصحبه الذين منهم من سبق وبدر ومنهم من صابر وصبر
ومنهم من آوى ونصير (وبعد) فإن علم البيان لتأليف النظم والنثر عنزلة أصول
الفقه للاحكام وأدلة الاحكام وقد ألف الناس فيه كتباً وجليوا ذهباً وخطبوا
وما من تأليف الا وقد نصفت شينه وسينه وعلت غنمه وسمينه فلم أجد ما ينتفع
به في ذلك الا كتاب الموازنة لابي القاسم الحسن بن بشر الآمدي وكتاب سر
الفصاحة لابي محمد عبد الله بن سنان اللخافجي غير أن كتاب الموازنة أجمع
أصولاً وأجدي محصولاً وكتاب سر الفصاحة وان فيه على نكت منيرة
فانه قد أكثر مما قل به مقدار كتابه من ذكر الاصوات والحروف والكلام عليها
ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها بما لا حاجة الى أكثره ومن الكلام
في مواضع شذ عنه الصواب فيها وسيرد بيان ذلك كله في مواضع من هذا

الكتاب ان شاء الله تعالى على أن كلا الكتابين قد أهملنا من هذا العلم أبوابا
 ولربما ذكرنا في بعض المواضع قسورا وتركنا بابا وكنت عثرت على ضروب كثيرة
 منه في غضون القرآن الكريم ولم أجدها أحدا ممن تقدمني تهرض لذكر شيء منها
 وهي اذا عثرت كانت في هذا العلم قد اشرطه واذا نظر الى فوائدها وجدت
 محتوية عليه بأسره وقد أوردتها ههنا وشغفنا بضروب آخر مدونة في الكتب
 المتقدمة بعد أن حذفنا منها ما حذفته وأضفت اليها ما أضفته وهذا في الله
 لا بشيء من أشيائه لم تكن من قبلي مبتدعة ومضني درجة الاجتهاد التي لا تكون
 أقوالها تابعة وانما هي متبعة وكل ذلك يظهر عند الوقوف على كتابي هذا وعلى
 غيره من الكتب (وقد بينته) على مقدمة ومقالاتين (فالمقدمة) تشتمل على
 أصول علم البيان (والمقالاتان) تشتملان على فروعه فالأولى في الصنعة
 اللفظية والثانية في الصنعة المعنوية ولا أدعي فيما ألفت من ذلك فضيلة
 الاحسان ولا السلامة من سلق اللسان فان الفاضل من تعدد سقطاته
 وتحصى غلطاته ويسى بالاحسان ظنا لا كنه هو بانه وشعره مفتون واذا
 تركت الهوى قلت ان هذا الكتاب بديع في اغرابه وليس له صاحب في الكتب
 فيقال انه من اخذانه أو من اترابه من رديين أصحابه ومع هذا فاني أثبت بظاهر
 هذا العلم دون خافيه وسمت حول سمائه ولم أقع فيه اذا الغرض انما هو الحصول
 على تعليم الحكم التي بها تنظم العقود وترصع وتغلب العقول فتدفع وذلك شيء
 تحيل عليه الخواطر لا تنطق به المفاتيح (واعلم) أي الناظر في كتابي أن مدار
 علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم وهذا الكتاب
 وان كان فيما يليقه اليك أستاذ اذا سألت عما ينتفع به في فنه قبل لك هذا فان
 الدربة والادمان أجدي عليك نفعا وأهدى بصرا وسمعا وهما يريانك الخبير
 عيانا ويجعلان عسر لك من القول امكانا وكل جراحة منك قلبا واسانا نغذ
 من هذا الكتاب ما أعطاك واستبسطا دمانك ما أخطاك وما مثلي فيما مهدته لك
 من هذه الطريق الا كمن طبع سيفا ووضع في يمينك لتقاتل به وليس عليه
 أن يجتاز لك قلبا فان حمل النصال غير مباشرة القتال

وانما يبلغ الانسان غاية ما كل ماشية بالرحل شملال

وانرجع الى ما فخر بصدده فنعول أقام مقدمة الكتاب فانها تشتمل على عشرة فصول

(الفصل الأول) في موضوع علم البيان موضوع كل علم هو الشيء الذي
يسئل فيه عن أحواله التي تعرض لذاته فهو موضوع الفقه هو أفعال المكلفين
والفقيه يسأل عن أحوالها التي تعرض لها من الغرض والنفل والحلال والحرام
والنذوب والمباح وغير ذلك وموضوع الطب هو بدن الإنسان والطبيب يسأل
عن أحواله التي تعرض له من صحته وسقمه وموضوع الحساب هو الأعداد
والحساب يسأل عن أحوالها التي تعرض لها من الضرب والقسمة والنسبة
وغير ذلك وموضوع الصور هو الألفاظ والمعاني والصوى يسأل عن أحوالها
في الدلالة من جهة الأوضاع اللغوية وكذلك يجري الحكم في كل علم من العلوم
وبهذا الضابط انفرد كل علم برأسه ولم يختلط بغيره وعلى هذا فموضوع علم البيان
هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه يسأل عن أحوالها اللفظية والمعنوية وهو
الصوى يشتركان في أن الصوى يتطرق في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع
اللفظي وتلك دلالة عامة وصاحب علم البيان يتطرق في فضيلة تلك الدلالة وهي
دلالة خاصة والمراد بهما أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء
الصور والاعراب ألا ترى أن الصوى يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم
مواقع اعرابه ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ومن ههنا
غلط مفسر والشعار في اقتصارهم على شرح المعنى وما فيه من الكلمات اللغوية
وتبيين مواضع الاعراب منها دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة
(الفصل الثاني) في آلات علم البيان وأدواته اعلم أن صناعة تأليف
الكلام من المنظوم والمنثور تنقسم إلى آلات كثيرة وقد قيل ينبغي للكاتب أن
يتعلق بكل علم حتى قيل كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه فيقول فلان
الصوى وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له أن ينسب نفسه إلى الكتابة
فيقول فلان الكاتب وذلك لما يفترق إليه من الخوض في كل فن وملاك هذا
كله الطبع فإنه إذا لم يكن ثم طبع فإنه لا تغني تلك الآلات شيئاً ومثال ذلك
كمثل النار الكامنة في الزناد والحديدة التي يمدح بها ألا ترى أنه إذا لم يكن
في الزناد نار لا تقيد تلك الحديدة شيئاً وكثيراً ما رأينا من غرائب الطباع
في تعلم العلوم حتى إن بعض الناس يكون له نقاد في تعلم علم مشكل المسالك صعب
المأخذ فإذا كلف تعلم ما هو دونه من سهل العلوم تكس على عقبيه ولم يكن له فيه

نفاذ وأغرب من ذلك أن صاحب الطبع في المنظوم يجيد في المديح دون الهجاء
أو في الهجاء دون المديح أو يجيد في المراثي دون التهاني أو في التهاني دون
المراثي وكذلك صاحب الطبع في المنشور هذا ابن الحريري صاحب المقامات قد
كان على ما ظهر عنه من تنقيح المقامات واحدا في فنه فلما حضر به بغداد ووقف
على مقاماته قبل هذا استصلح لكتابة الانشاء في ديوان الخلافة وبجس من أثره فيه
فأحضر وكاف كتابة كتاب فأخف ولم يجبر لسانه في طويلة ولا قصيرة فقال فيه بعضهم
شيخ لنا من ربيعة الفرس * ينتف عثمونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان وقد * أجلسه في بغداد بالخرس

وهذا مما يعجب منه وسئلت عن ذلك فقلت لا يحب لأن المقامات مدارها
جميعها على حكاية تخرج إلى مخاص وأما المكتبات فأنها ببحر لا ساحل له لأن
المعاني تتجدد فيها بتجدد حوادث الأيام وهي متجددة على عدد الانفس
الآتري أنه إذا خطب الكاتب المفلح عن دولة من الدول الواسعة التي يكون
لسلاطينها سيف مشهور وسعي مذكور ومكت على ذلك بربها يسيرة لا تبلغ
عشر سنين فانه يدون عنه من المكتبات ما يزيد على عشرة أجزاء كل جزء منها
أصغر من مقامات الحريري حجما لأنه إذا كتب في كل يوم كتابا واحدا
اجتمع من كتبه أكثر من هذه العدة المشار إليها وإذا فحلت وغربت واختبر
الاجود منها اذ تكون كلها جيدة فيخلص منها النصف وهو خمسة أجزاء والله يعلم
ما اشقت عليه من الغرائب والهجاء وما حصل في ضمنها من المعاني المبتدعة
على أن الحريري قد كتب في انشاء مقاماته وقاعا في مواضع عدة فجاءه منقطعة
عن كلامه في حكاية المقامات لا بل جاء بالغث البارد الذي لا نسبة له إلى باقي كلامه
فيها وله أيضا كتابة أشياء خارجة عن المقامات وإذا وقف عليها أقسم أن قائل
هذه ليس قائل هذه لما بينهم من التفاوت البعيد وبلغني عن الشيخ أبي محمد أحمد
ابن الخشاب النحوي رحمه الله أنه كان يقول ابن الحريري رجل مقامات أي
انه لم يحسن من الكلام المنشور وسواها وان أتى بغيرها لا يقول شيئا فانظر رأيها
المتأمل إلى هذا التفاوت في الصنعة الواحدة من الكلام المنشور ومن أجل
ذلك قبل شيئا أن لا نهاية لهما البيان والجمال * وعلى هذا فإذا ركب الله تعالى
في الانسان طبعاً قابلاً لهذا الذوق فيفتقر حينئذ إلى ثمانية أنواع من الآلات

(النوع الاول) معرفة علم العربية من النحو والتصريف (النوع الثاني)
 معرفة ما يحتاج اليه من اللغة وهو المتداول المألوف استعماله في فصح الكلام
 غير الوحشي الغريب ولا المستكبر المعيب (النوع الثالث) معرفة أمثال
 العرب وأيامهم ومعرفة الوقائع التي جاءت في حوادث خاصة بأقوام فان ذلك
 جرى مجرى الامثال أيضا (النوع الرابع) الاطلاع على تأليفات من تقدمه من
 أرباب هذه الصناعة المنظومة منه والمنشورة والتحفظ للكثير منه (النوع الخامس)
 معرفة الاحكام السلطانية الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك
 (النوع السادس) حفظ القرآن الكريم والتدريب باستعماله وادراجه
 في مطاوي كلامه (النوع السابع) حفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الواردة
 عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلوكيات التي للقرآن الكريم في الاستعمال
 (النوع الثامن) وهو مختص بالناظم دون النثر وذلك علم العروض والقوافي
 الذي يقام به ميزان الشعر ولذا ذكر بعد ذلك فائدة كل نوع من هذه الانواع
 ليعلم ان معرفته مما تمس الحاجة اليه فنقول أمما علم النثر فانه في علم البيان
 من المنظوم والمنثور بمنزلة أجد في تعليم الخط وهو أقول ما ينبغي اتقان معرفته
 لكل أحد ينطق باللسان العربي ليأمن معرفة اللحن ومع هذا فانه وان احتج
 اليه في بعض الكلام دون بعض ضرورة الافهام فان الواضع لم يخص منه شيئا
 بالوضع بل جعل الوضع عامما والا فاذ انظرنا الى ضرورته واقسامه المدونة وجدنا
 أكثرها غير محتاج اليه في افهام المعاني ألا ترى أنك لو أمرت رجلا بالقيام
 فقلت له قوم باثبات الواو ولم تجزم لما اختل من فهم ذلك شيء وكذلك الشرط
 لو قلت ان تقوم أقوم ولم تجزم لك المعنى مفهوما والاضلالات كلها تجري هذا
 المجرى كالحال والقيميز والاستثناء فاذا قلت جاء زيد راكب وما في السماء
 قدر راحة صاحب وقام القوم الا زيد فلزمت السكون في ذلك كله ولم تبين اعرابا
 لما توقف النهم على نصب الراكب والصحاب ولا على نصب زيد وهكذا يقال
 في الجوررات وفي المفعول فيه والمفعول له والمفعول معه وفي المبتدأ والخبر
 وغير ذلك من أقسام آخر لا حاجة الى ذكرها لكن قد خرج عن هذه الامثلة
 ما لا يفهم الا بقيود تقيد وانما يقع ذلك في الذي يدل صيغته الواحدة على
 معاني مختلفة ولذا ضرب لذلك مثلا نوضحه فنقول اعلم أن من أقسام المعامل

والمفعول ما لا يفهم إلا بعلامة كتحديد المفعول على الفاعل فإنه إذا لم يكن
ثم علامة تبين أحدهما من الآخر والأشكال الأمر كقولك ضرب زيد عمرو
ويكون زيد هو المضروب فأنك إذا لم تنصب زيد أو ترفع عمرو إلا لا يفهم ما أردت
وعلى هذا ورد قوله تعالى إنه يخشى الله من عباده العلماء وكذلك لو قال قائل
ما أحسن زيد ولم يبين الأعراب في ذلك لما علمنا غرضه منه إذ يحتمل أن يريد به
المتعجب من حسنه أو يريد به الاستفهام عن أي شيء منه أحسن ويحتمل أن
يريد به الأخبار بنحو الإحسان عنه ولو بين الأعراب في ذلك فقال ما أحسن زيد
وما أحسن زيد وما أحسن زيد علمنا غرضه وفهمنا معنى كلامه لا أفراد كل قسم
من هذه الأقسام الثلاثة بما يعرف به من الأعراب فوجب حينئذ بذلك معرفة
النحو إذا كان ضامضاً للمعاني الكلام حافظاً لها من الاختلاف * وأقول من تكلم
في النحو أبو الأسود الدؤلي وببذلك أنه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له يا أبت
ما أشد الحزن مستعجبة ورفعت أشد فظننا مستفهمة فقال شهر ناجر فقالت
يا أبت انما أخبرتكم ولم أسألك فأتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير
المؤمنين ذهبت لغة العرب ويوشك أن تطاول عليها زمان أن تضعيها فقال له
وما ذا فأخبره خبراً بنته فقال لهم صحيفة ثم أملى عليه الكلام لا يخرج عن اسم
وفعل وحرف جاء لمعنى ثم رسم له رسوماً فنقلها النحويون في كتبهم وقيل إن
أبا الأسود دخل على زياد بن أبيه بالبصرة فقال اني أرى العرب قد خالطت العجم
وتغيرت ألسنتها أفأذن لي أن أصنع ما يقيمون به كلامهم فقال لا فقام من عنده
ودخل عليه رجل فقال أيها الأمير مات أبانا وخلف بنون فقال زياد مات أبانا
وخلف بنون مه ردوا علي أبا الأسود فردوه فقال له اصنع ما كنت تهيتك عنه
فوضع شيئاً ثم جاء بعده سميون الأقرن فزاد عليه ثم جاء بعده عنبسة بن معدان
المهري فزاد عليه ثم جاء بعده عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي وأبو عمرو
ابن العلاء فزاد عليه ثم جاء بعدهما الخليل بن أحمد الأزدي وتابع الناس
واختلف البصريون والكوفيون في بعض ذلك فهذا ما بلغني من أمر النحو
في أول وضعه وكذلك العلوم كلها يوضع منها في مبادئ أمرها شيء يسير ثم يزداد
بالتدريج إلى أن يستكمل آخرها (فان قيل) أتماء علم النحو فسلم اليك أنه نجيب
معرفة لكن التصريف لا حاجة اليه لأن التصريف إنما هو معرفة أصل

الكامة وزياتهم وحذفها وابدالها وهذا لا يضر جهله ولا تنفع معرفته ولنضرب
لذلك مثالا كيف اتفق فنقول اذا قال القائل رأيت سردا حالا يلزمه أن يعرف
الالف في هذه الكامة زائدة هي أم أصلية لأن العرب لم تنطق بها الا كذلك
ولو قالت سردا بغير ألف لما جازلا حد أن يزيد الف فيها من عفة مفية قول
سردا حاقلم بهذا أنه أغما ينطق بالالفاظ كما سمعت عن العرب من غير زيادة فيها ولا
نقص وليس يلزم بعد ذلك أن يعلم أصلها ولا زيادتها لأن ذلك أمر خارج تقتضيه
صناعة تأليف الكلام (فالجواب) عن ذلك أنا نقول اعلم أنا لم نجعل معرفة
التصريف كمعرفة النحول لأن الكاتب أو الشاعر اذا كان عارفا بالمعاني مختارا
أما قادرا على الالفاظ مجيدا فيها ولم يكن عارفا بهم التصوفاته يفسد ما يصوغه
من الكلام ويختل عليه ما يقصده من المعاني كما أرى مثالي ذلك المثال المتقدم
وأما التصريف فانه اذا لم يكن عارفا به لم يفسد عليه معاني كلامه وانما يفسد
عليه الاوضاع وان كانت المعاني صحيحة وسليما في بيان ذلك في تحرير الجواب
فنقول أما قولك ان التصريف لا حاجة اليه واستدلالك بما ذكرته من المثال
المضروب فان ذلك لا يستعمل تلك الكلام فيه ألا ترى أنك مشأت كلامك في اقلية
سردا ح وقلت انه لا يحتاج الى معرفة الف زائدة هي أم أصلا لانهم انما نقلت
عن العرب على ما هي عليه من غير زيادة ولا نقص وهذا لا يطرده الا فيما هذا سبيله
من نقل الالفاظ على هيئتها من غير تصرف فيها بحال فأما اذا أريد تصغيرها
أو وجهها والنسبة اليها فانه اذا لم يعرف الاصل في حروف الكامة وزياتها
وحذفها وابدالها يضل حينئذ عن السبيل وينشأ من ذلك مجال للعائب
والطاعن ألا ترى أنه اذا قيل للهوى وكان جاهلا لم التصريف كيف تصغير لفظه
اضطراب فانه يقول اضطرب ولا يلام على جهله بذلك لأن الذي تقتضيه صناعة
النحو قد أتى به وذلك أن النحاة يقولون اذا كانت الكامة على خمسة أحرف وفيها
حرف زائد أولم يكن حذفه نحو قواهم في منطلق مطباق وفي جهرش بحسب
فلفظة منطلق على خمسة أحرف وفيها حرفان زائدان هما الميم والنون الا أن الميم
زيدت فيها معني فلذلك لم تحذف وحذفت النون وأما لفظة جهرش فخماسية
لا زيادة فيها وحذف منها حرف أيضا ولم يعلم الهوى أن علماء النحو انما قالوا
ذلك موهلا لكلامهم على تحقيقه من علم الصرف لأنه لا يلزمهم أن يقولوا

قوله لأن الباء ليست الحظا من أن يقول لأن المذني مفرد غير زائد كما قال ابن مالك والمذني في الثاني الواحد همز يرى في مثل كالقلائد

في كتب النحوي أكثر مما قالوا وليس عليهم أن يذكر في باب من أبواب النحويين
من التصريف لأن كلام من النحوي والتصريف علم مفرد برأسه غير أن أحدهما
مرتبط بالآخر ومحتاج إليه وانما قلت ان النحوي اذا سئل عن تصغير لفظه
اضطراب يقول ضطرب لأنه لا يخلو وأما أن يحذف من لفظه اضطراب الالف
أو الضاد أو الطاء أو الراء أو الباء وهذه الحروف المذكورة غير الالف ليست من
حروف الزيادة فلا تحذف بل الأولى أن يحذف الحرف الزائد ويترك الحرف الذي
ليس بزائد فلذلك قلنا ان النحوي يصغر لفظه اضطراب على ضطرب فيحذف
الالف التي هي حرف زائد دون غيرها مما ليس من حروف الزيادة وأما أن يعلم أن
الطاء في اضطراب مبدلة من تاء وأنه اذا أريد تصغيرها تعاد الى الأصل الذي كانت
عليه وهو التاء فيقال ضطرب فان هذا لا يعلمه الا التصريفي وتكليف النحوي
الجاهل بعلم التصريف معرفة ذلك كتكليفه علم ما لا يعلمه فثبت بما ذكرناه أنه يحتاج
الى علم التصريف لئلا يغلط في مثل هذا (ومن العجب) أن يقال انه لا يحتاج الى
معرفة التصريف ألم تعلم أن نافع بن أبي نعيم وهو من أكبر القراء السبعة قدرا
والفهم شأنا قال في معاني معاني بالهمزة ولم يعلم الأصل في ذلك فأوضح عليه
وهيب من أجله ومن جملة من عابه أبو عثمان المازني فقال في كتابه في التصريف
ان نافع لم يدوم العربية وكثيرا ما يقع أولوا العلم في مثل هذه المواضع فكيف
الجاهل الذين لا معرفة لهم بها ولا اطلاع لهم عليها واذا علم حقيقة الامر في ذلك
لم يغلط فيما يوجب قدحا ولا طعنا وهذه لفظة معاني لا يجوز همزها باجماع من
علماء العربية لأن الباء فيها ليست مبدلة من همزة وانما الباء التي تبدل من الهمزة
في هذا الموضع تكون بعد ألف الجع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف
واحد ولا تكون عينا نحو سقائن وفي هذا الموضع غلط نافع رحمه الله عليه لأنه
لا شك اعتقد أن معيشة بوزن فعيلة وجمع فعيلة هو على فعائل ولم ينظر الى أن
الأصل في معيشة معيشة على وزن فعيلة وذلك لأن أصل هذه الكلمة من عايش
التي أصلها عايش على وزن فعل ويلزم مضارع فعل المعتل العين يفعول تصحح الباء
فحوي عيش ثم تنقل حركة العين الى الفاء فتصير عيش ثم يبنى من عيش ففعول
فيقال معيوش به كما يقال مسيور به ثم يخفف ذلك فيحذف الواو فيقال معيش به كما
يقال مسير به ثم توث هذه اللفظة فتصير معيشة ومع هذا فلا يبنى لها صاحب هذه

الصناعة من النظم والنثر أن يسهل من علم العربية ما يحق عليه بأعماله اللحن
الخطي فإن اللحن الظاهر قد كثرت مفارقات الناس فيه حتى صار يعلم غير التصوي
ولاشك أن قلة المبالات بالامر واستشعار القدرة عليه توقع صاحبها فيما لا يشعر أنه
وقع فيه فيجهل بما يكون عالمه به ألا ترى أن أبو نواس كان ممدودا في طبقات العلماء
مع تقدمه في طبقات الشعراء وقد غلط فيما لا يغلط مثله فيه فقال في حصة النحر
كان صغرى وكبرى من فواقعهما • • • • • حسابا دورا على أرض من المذهب
وهذا لا يحقنى على مثل أبي نواس فإنه من طواهر علم العربية وليس من غوامضه
في شيء لأنه أمر تقلى • • • • • مل ناقلة فبسه على النقل من غير تصرف وقول أبي
نواس صغرى وكبرى غير جائز فإن فعلى أفعل لا يجوز حذف الألف واللام منها
وإنما يجوز حذفها • • • • • ما من فعلى التى لا أفعل لها نحو جلى إلا أن تكون فعلى
أفعل مضافة وههنا قد عريت عن الأضافة وعن الألف واللام فانظر كيف وقع
أبو نواس في مثل هذا الموضع مع قربه وسهولته وقد غلط أبو تمام في قوله
بالقائم الثامن المتخالف أطادت • • • • • قواعد الملك عمتها الطول
ألا ترى أنه قال أطادت والاصواب انطدت لأن التاء تبدل من الواو في موضعين
أحدهما ما قيس عليه كهذا الموضع لأنك إذا بنيت افتعل من الوعد قلت انعد
ومثله ما ورد في هذا البيت فإنه من وطيد يطد كما يقال وعد بعد فاذا بنى منه افتعل
قبل انطد ولا يقال أطاد وأما غير المقيس فقواهم في وجاءت وجاء وقالوا تكلان
وأصله الواو لأنه من • • • • • كل يكل فأبدلت الواو تاء للاستحسان فهذه الامثلة
قد أثبتت اليها ليعلم مكان الفائدة في أمثالها وتوقى على أنى لم أجدها أحد من
الشعراء المفاقيين سلم من مثل ذلك فإما أن يكون لحن لحننا يدل على جهله بمواقع
الاعراب وإما أن يكون أخطأ في تعريف الكلمة ولأعنى بالشعراء من هو
قريب منه • • • • • ديز مائتا بل أعنى بالشعراء من تقدم زمانه كالمتنبى ومن كان قبله
• • • • • كالمعتزى ومن تقدمه كأبي تمام ومن سبقه كأبي نواس والمعصوم من
عصمه الله تعالى على أن الخطأ في التعريف أندرو قوعا من الخطأ في النحول لأنه
قلما يقع له كلمة يحتاج في استعمالها إلى الإبدال والنقل في سرفها وأما النحو
فإنه يقع الخطأ فيه كثيرا حتى أنه ليس في ظاهره في بعض الأحوال فكيف خافه
كقول أبي نواس في الأمين محمد وسه الله

ياخير من كان ومن يكون * الا النبي الطاهر الميمون
 فرفع في الاستثناء من الموجب وهذا من ظواهر النحو وليس من خافية في شيء
 وكذلك قال أبو الطيب المتنبي

أرأيت هـمة ناقتي في ناقة * نقلت يدا سرحا وخفاجـرا
 تركت دخان الرمث في أوطانها * طلبا القوم يوقدون العنبرا
 وتكرمت ركبتهـا عن مبرك * تقعان فيه وليس مسكا اذا فـرا

فجمع في حال التثنية لان الناقه ليس اهما الاركبتان فقال ركبات وهذا من
 أظهر ظواهر النحو وقد خفي على مثل المتنبي ومع هذا فينبغي لك أن تعلم أن الجهل
 بالنحو لا يقصد في فصاحة ولا بلاغة ولكنه يقدح في الباطل به نفسه لانه رسوم
 قوم بواضه واعليه وهم الناطقون بال لغة فوجب اتباعهم والدليل على ذلك أن
 الشاعر لم ينظم شعره وغرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو ما جرى مجراهما
 وانما غرضه ايراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة
 والبلاغة ولهذا لم يكن اللحن قادحا في حسن الكلام لانه اذا قيل جاء زيد راكب
 ان لم يكن حسنا الا بان يقال جاء راكبا بالنصب لكان النحو شريطا في حسن
 الكلام وليس كذلك فتبين بذلك أنه ليس الغرض من نظم الشعر اقامة اعراب
 كلماته وانما الغرض آخر وراء ذلك وهكذا يجري الحكم في الخطب والرسائل
 من الكلام المنشور وأما الادغام فلا حاجة اليه لكاتب لكن الشاعر ربما
 احتاج اليه لانه قد يضطر في بعض الاسوال الى ادغام حرف والى ذلك ادغام من
 أجل اقامة الميزان الشعري (النوع الثاني) وهو قولنا انه يحتاج الى معرفة
 اللغة مما تداول استعماله فسيرد بيانه عند ذكر اللفظة الواحدة والكلام على
 جيدها ورديتها في المقالة المختصة بالصناعة اللفظية ويقتصر أيضا مؤلف الكلام
 الى معرفة عدة أسماء ما يقع استعماله في النظم والنثر ليجد اذا ضاق به موضع
 في كلامه ما يراد به بعض اللفظ في العدول عنه الى غيره ومما هو في معناه وهذه
 الاسماء تسمى المترادفة وهي اتحاد المسمى واختلاف أسمائه كقولنا الخير
 والراح والمدام فان المسمى بهذه الاسماء شيء واحد واسماؤه كثيرة وكذلك يحتاج
 الى معرفة الاسماء المشتركة ليعين بها على استعمال التحنيس في كلامه وهي
 اتحاد الاسم واختلاف التسميات كالعين فانها تطلق على العين الناطقة وعلى

ينبوع الماء وعلى المطر وغيره إلا أن المشترك تفتقر في الاستعمال إلى قرينة
تخصها بما كي لا تكون مبهمة لانا إذا قلنا عين ثم سكتنا وقع ذلك على محتملات
كثيرة من العين الناطرة والعين التابعة والمطر وغيره مما هو موضوع باراء هذا
الاسم وإذا قرنا إليه قرينة تخصه زال ذلك الابهام بأن تقول عين حسناء أو عين
نضاجة أو ملثة أو غير ذلك وهذا موضع للعلماء فيه مجاذبات جدلية (فإنهم)
من يشكر أن يكون اللفظ المشترك حقيقة في المعنيين جميعا ويقولون أن ذلك
يخل بفائدة وضع اللغة لأن اللغة انما هي وضع الالفاظ في دلالتها على المعاني
أما وضع الاسماء على التسميات لتكون منبئة عنها عند اطلاق اللفظ والاشتراك
لا بيان فيه وانما هو وضع البيان ليكن طريق البيان أن يجعل أحد المعنيين
في اللفظ المشترك حقيقة والآخر مجازا إذا قلنا هذه كلمة وأطلقنا القول فهم
منه اللفظة الواحدة وإذا قلنا اللفظ فقلنا هذه كلمة شاعرة فهم منه القصيدة
المقصدة من الشعر وهي مجموع كلمات كثيرة ولو أطلقنا من غير تقييد وأردنا
القصيدة من الشعر لما فهم مرادنا البتة هذا خلاصة ما ذهب إليه من يشكر
وقوع اللفظ المشترك في المعنيين حقيقة وفي ذلك ما فيه وسأبين ما يدخله من
الظلال فأقول في الجواب عن ذلك ما استخرجته بفتكرى ولم يكن لاحد فيه
قول من قبلي وهو اما قولك أن فائدة وضع اللغة انما هو البيان عند اطلاق اللفظ
واللفظ المشترك يخل بهذه الفائدة فهذا غير مسلم بل فائدة وضع اللغة هو البيان
والتبيين (أما البيان) فقد وفي الاسماء التبيينة التي هي كل اسم واحد دل على
مسمى واحد فإذا أطلق اللفظ في هذه الاسماء كان بينا مفهوما لا يحتاج إلى
قرينة ولو لم يضع الواضع من الاسماء شيئا غيرها لكان كافيا في البيان
(وأما التبيين) فإن الواضع لهذه اللغة العربية التي هي أحسن اللغات نظر إلى
ما يحتاج إليه أرباب القضاة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونثر ورأى أن
من مهمات ذلك التبيين ولا يقوم به إلا الاسماء المشتركة التي هي كل اسم واحد
دل على مسمى فصاعدا فوضعها من أجل ذلك وهذا الموضع يجاذبه جانيان
يترجح أحدهما على الآخر ويبان أن التبيين يقتضي بوضع الاسماء المشتركة
روضها أيذهب بفائدة البيان عند اطلاق اللفظ وعلى هذا فان وضعها الواضع
ذهب بفائدة البيان وان لم يضع ذهب بفائدة التبيين لكنه ان وضع

استدرك ما ذهب من قائدة البيان بالقربينة وان لم يضع لم يستدرك ما ذهب
من قائدة التعيين فترجع حيثما جازت الوضوح فوضع (فان قيل) فلم لا تنسب
الاسماء المشتركة الى اختلاف القبائل لا الى واضع واحد (قلت) في الجواب
هذا تعسف لا حاجة اليه وهو مدفوع من وجهين أحدهما ما قدمت القول فيه
من الترجيح الذي سوغ للواضع أن يضع الآخر أنا نرى أنه قد ورد من الجموع
ما يقع على مسعين اثنين كقوله سم كعاب بجمع كعب الذي هو كعب الرجل وجمع
كعبة وهي البنية المعروفة وإذا أطلقنا اللفظ قلنا كعاب من غير قرينة لا يدري
ما المراد بذلك أ كعب الرجل أم البنية المعروفة وكذلك ورد واحد وجمع على وزن
واحد كقوله سم راح اسم للخمر وراح جمع راحة وهي الكف وكقوله سم عقاب
وهو الجزار على الذئب وجمع عقبة أيضا وفي اللغة من هذا شيء كثير وهو
بالاجماع من علماء العربية أنه لم يجر فيه خلاف بين القبائل فأتضح بهذا أن
الاسماء المشتركة من واضع واحد (فان قلت) ان الواضع انما وضع المفرد
من الالفاظ والجمع وضعه غيره (قلت) في الجواب ان الذي وضع المفرد هو
الذي وضع الجمع لأن من قواعد وضع اللغة أن يوضع المفرد والجمع والمذكر
والمؤنث والمصغر والمكبر والمصادر وأسماء الفاعلين وما جرى هذا المجرى وإذا
أخل بشيء من ذلك كان قد أخل بقاعدة من قواعد وضع اللغة ثم لو سلمت اليك
أن واضع الجمع غير واضع المفرد كان ذلك قد حان في الواضع الثاني اذ جاء بالابهام
عند الإطلاق لا لانه بجمع كعبة التي هي البنية وكعب الرجل على كعاب وهذا
لفظ مشترك بينهم عند الإطلاق ولا فرق بين أن يضحه الواضع الاول أو واضع ثان
فان الابهام حاصل منه • وكان قارضي بعض الفقهاء في قوله تعالى في سورة
البقرة صفراء فاقع لونهن اتسرن الناظرين وقال ان لون البقرة كان أسود والاصفر
هو الاسود فأنكرت عليه هذا القول فأخذ يجادل مجادل غرير عارف ويغزو
ذلك الى تفسير النقاش وتفسير البلاذري فقلت له اعلم أن هذا الاسم الذي هو
الاصفر لا يخفى لوفى دلالة على الاسود من وجهين اما أنه من الاسماء المتباينة
التي يدل كل اسم منها على معنى واحد كالانسان والاسد والفرس وغير ذلك
واما أنه من الاسماء المشتركة التي يدل الاسم منها على معنيين فصاعدا ولا يجوز
أن يكون من الاسماء المتباينة لانازام متباينين اثنين أحدهما هذا اللون

الزعفراني الشكل والآخر اللون المظلم الشكل وعلى هذا فانه يكون من الاسماء
 المشتركة واذا كان من الاسماء المشتركة فلا بد له من قرينة تخصه باللون
 الزعفراني دون اللون المظلم لان الله تعالى قال صفراء فاقع لونها والفاقع من
 صفات اللون الزعفراني خاصة لانه قد ورد للدلالة ان صفات متعددة لسلك لون منها
 صفة فقيل أبيض يقى وأسود حالك وأحمر قان وأصفر فاقع ولم يقل أسود فاقع
 ولا أصفر حالك فعلم حينئذ ان لون البقرة لم يكن أسود وانما كان أصفر فلما تحقق
 عند ذلك الفقيه ما أنشئت اليه أذهن بالتسليم (وأما النوع الثالث) فهو
 معرفة أمثال العرب وأيامهم ومعرفة الوقائع التي وردت في حوادث خاصة
 بأقوام وقولي هذا لا يقتضي كل الأمثال الواردة عنهم فان منها ما لا يحسن
 استعماله كما أن من ألفاظهم أيضا ما لا يحسن استعماله وكنت جردت من
 كتاب الأمثال للميداني أوراها خفيفة تشقل على الحسنيين من الأمثال الذي
 يدخل في باب الاستعمال وسبيل المتصدى لهذا الفن أن يسلك ما سلكته وليمعلم
 أن الحاجة اليها شديدة وذلك أن العرب لم تضع الأمثال الا لأسباب أوجبتها
 وحوادث اقتضتها فصارت المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة التي
 يعرف بها الشيء وليس في كلامهم أوجز منها ولا أشد اختصارا ويجب ذلك
 ما أذكره لك لتكون من معرفته على يقين (فأقول) قد جاء عن العرب من جملة
 أمثالهم ان يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر وهو مثل يضرب للأمر الظاهر
 المشهور والاصل فيه كما قال المفضل بن محمد انه بلغنا أن بني ثعلبة بن سعد بن ضبة
 في الجاهلية تراءوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة من الشهر فقالت
 طائفة تطالع الشمس والقمر يرى وقالت طائفة يغيب القمر قبل أن تطلع الشمس
 فراضوا برجل بعلموه حكما فقال واحد منهم ان قومهم يغفون على فقال الحكم
 ان يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر فذهبت مثلا ومن المعلوم أن قول
 القائل ان يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر اذا أخذ على حقيقة من غير
 نظر الى القرائن المنوطة بالاسباب التي قبل من أجلها لا يعطى من المعنى ما قد
 أعطاه المثل وذلك أن المثل له مقدمات وأسباب قد عرفت وصارت مشهورة بين
 الناس معلومة عندهم وحيث كان الأمر كذلك جازايراده هذه اللفظيات
 في التعبير عن المعنى المراد ولولا تلك المقدمات المألوفة والاسباب المعروفة لما فهم

من قول القائل ان يسبح عليك قومك لا يسبح عليك القوم ما ذكرناه من المعنى
المقصود بل ما كان يفهم من هذا القول معنى مفيد لان البني هو الظلم والقهر
ليس من شأنه أن يظلم أحدا فكان يصير معنى المثل ان كان يظلم قومك لا يظلمك
القهر وهذا كلام محتمل للمعنى ليس بمستقيم فلما كانت الامثال كالرموز
والاشارات التي ياتوج بها على المعاني فلو يحا صارت من أوجز الكلام وأكثره
اختصارا ومن أجل ذلك قيل في حدة المثل انه القول الوجيز المرسل اليه حمل
عليه وحيث هي بهذه المثابة فلا ينبغي الاخلال بمعرفتها (وأما أيام العرب) فانها
تتنوع وتنشعب فمنها أيام نهار ومنها أيام محاربة ومنها أيام منافرة ومنها غير
ذلك ولا يخلو الناطق والشار من الاتصاف بوصف يوم يمر به في بعض الاحوال
شيها يوم من تلك الايام ومما ثلله فاذا اجابته ~~ب~~ كر بعض تلك الايام المناسبة
لمراد المرافقة له وقاس عليه يومه فانه يكون في غاية الحسن والرواق وهذا
لاختفائه (وأما الوقائع) التي وردت في حوادث خاصة بأقوام فانها كالامثال
في الاشتهاد بهما وسأبين لك نسبة منها حتى تعلم مقدار الفائدة بها فمن ذلك
انه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث بيعة الحديبية فحدث البصرة وكان
أرسل عثمان رضي الله تعالى عنه الى مكة في حاجة عرضت له ولم يحضر البيعة
فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشمال على اليمين وقال هذه عن عثمان
وشمالى خير من يمينه وقد استعملت أنا هذا في جملة كتاب فقات ولا يعقد البر
بر الحق يلحق الغيث بالحمور ويصل من لم يصله بجزء ولا شكور فزنة الغائب
بالشاهد من كرم الاحسان ولهذا اثابت شمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
يمين عثمان ومن ذلك أنه ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه استدعى
أبا موسى الأشعري ومن يليه من العمال وكان منهم الربيع بن زياد الحارثي
فخشي الى يرفأ مولى عمر وسأله عما يروح عنده وينفق عليه فأشار الى خشونة العيش
فخشي وابس جببة صوف وعمامة دسما وخفام مطابقا وحضر بين يديه في جملة
العمال فصوب عمر نظره وصعد فلم يقع الا عليه فأدناه وسأله عن حاله ثم أوصى أبا
موسى الأشعري به وقد استعملت أنا هذا في جملة تقليد لبعض الملوك من ديوان
الخلافة فقات واذا استعنت بأحد على عمل فاضرب عليه بالارصاد ولا ترض
بما عرفته من مبدإ حاله فان الاحوال تتقل بتقل الاجساد واياك أن تخدع

بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب بالربيع بن زياد فانظر كيف فعلت في هاتين
 القصتين وكيف أوردتهما في الغرض الذي قصدته وأما أنت على هذا النهج
 فانه من محاسن هذه الصنعة وعرض على كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي
 الشيباني رحمه الله من المقاتل صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله إلى ديوان
 الخلافة بغداد في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وضمنه ما أبلاه في خدمة الدولة
 من فتح الديار المصرية ومحو الدولة العلوية وإقامة الدعوة العباسية وشرح فيه
 ما قاساه في الفتح من الأهوال ولما تأملته وجدته كتابا حسنا قد وفي فيه
 الخطابة حقها لأنه أخل بشئ واحد وهو أن مصر لم تفتح إلا بعد أن قصدت من
 الشام ثلاث مرّات وكان الفتح في المرة الثالثة وهذا له تطير في فتح النبي صلى الله
 عليه وسلم مكة فانه قصد لها عام الحديبية ثم سار إليها في عمرة القضاء ثم سار إليها
 عام الفتح ففتحها وقد سألني بعض الأخوان أن أنشئ في ذلك كتابا إلى ديوان
 الخلافة معارضا للكتاب الذي أنشأه عبد الرحيم بن علي رحمه الله فأجبت به إلى
 سؤاله وعددت مساعي صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله فقلت ومن جملتها
 ما فعله الخادم في الدولة المصرية وقد قام به أمير وسيرير وقالت من أمرهم ومنكم
 أمير فرت الدعوة العباسية إلى معادها وأذكر المنابر ما نسبته بهم من زهو وأموالها
 وكانت أخرجت منها الخراج النبي صلى الله عليه وسلم من قرينته وقذف الشيطان
 على حقها يا طلة وعلى صدقها بغويته ثم طوتها اللبالي طي السجل للكتاب وكثر
 عابها من روادها حتى نسي لها عدد السنين والحباب ولم يعد لها إلى وطنها حتى
 تغربت أها الأرواح عن أوطانها وسهرت لها أجنحة السيف مبر العيون عن
 أجناسها وتطاردت الآراء في تسهيل أمرها قبل مطاردة أقرانها وحتى
 ثقفتها غربات ثلاث كاه أذوات غروب وكل خطاب من خطوبها ذو خطوب
 إلى أن تخض لباه عن صبحه وأصبحت في الإسلام كعاصم حديبته وعمرة قضائه
 وعام فتحه وفي ذكر أخبارها ما يطبع الأسنة في رؤس الأقلام ويرهب سامعها
 ولم يله شئ من مكروها سوى الكلام ويومها للدولة هو اليوم الذي أرخ فيه
 معاد نصرها ومعاد بشرها فإذا عتت لبانها الساعة كانت كسائر اللبالي وهذه
 ليلة قدرها فهذا فصل من فصول الكتاب فانظر كيف ماثلت بين الفتح المصري
 وفتح مكة وذكرت أيضا حديث الحباب بن المنذر الأنصاري حيث قال بعد وفاة

الذي صلى الله عليه وسلم من أمير ومثلكم أمير وذلك لما حضر أبو بكر وعمر
وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم في سقيفة بني ساعدة والقصة مشهورة
فقال الحباب بن المنذر من أمير ومثلكم أمير فقال أبو بكر رضي الله عنه بل نحن
الأمراء وأنتم الوزراء وهذا الذي ذكرته هو نكتة هذا الفتح التي عليها المعقول
ومركه الذي عليه يدورة (وعجبت) من عبد الرحيم بن علي البيسانى مع تقدمه
في فن الكتابة كيف فاته أن يأتي به في الكتاب الذي كتبه وكذلك وجدت لابن
زياد البغدادي كتابا كتبه إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف المقتدر
ذكره في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وضمنه فصولا تشتمل على أمور أنكرت
عليه من ديوان الخلافة فمن تلك الأمور التي أنكرت عليه أنه تلقب بالملك
الناصر وذلك لقب هو لا أمير المؤمنين خاصة فانه الإمام الناصر لدين الله فلما
وقفت على ذلك الكتاب وجدته كتابا حسنا قد أجاد فيه كل الاجادة ولم أجده فيه
مغرمزا الا في هذا الفصل الذي يتضمن حديث اللقب فانه لم يأت بكلام يناسب
باقي الفصول المذكورة بل أتى فيه بكلام فيه غثاثة ~~ككقوله~~ ما يستلزمه
المولى فهو على عبده حرام وشيأ من هذا النسق وكان الالبق والاحسن أن يحجج
بحجة فيه اروح ويذكر كلاما فيه ذلاقة ورشاقة وحضر عندي في بعض الايام
بعض اخواني وجرى حديث ذلك فساءلني عما كان ينبغي أن يكتب في هذا
الفصل فذكرت ما عندي وهو قد علم أن الانبياء والخلفاء خصائص يختصون
بها على سائر الانفراد وليس لاحد من الناس أن يشاركهم فيها مشاركة
الانداد وقد أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في أشياء نص عليها بحكمه
ومن جملة ما أنه نهى غيره أن يجمع بين كنيته وبين اسمه وهذا ما سقخ لأمير
المؤمنين أن يختص بأمر يكون به مشهورا وعلى غيره محظورا وقد وسع نفسه
بسمعة نزات عليه من السماء وتميزت به من بين المسميات والاشياء ثم استقرت عليها
الايام حتى خوطب بها من الحاضر والباد ورفعها الخطباء على المنابر في أيام
الجمع ومواسم الأعياد وقد شاركتها أنت في غير مراقب لازية التعظيم
ولا فارق بين نسخة التحليل وسرخ التحريم والشرع والادب يحكم أن عليك
بأن تأتي ما فرط منك بالمتاب ولا تخوج فيه إلى التقرير الذي هو أشد العتاب
ومثلك من عرف الحق فأمكنه بيده ونسخ اغفال اسمه باستئناف التيقظ في غده

والله قد رفع المؤاخذه عن أئمة الشيئ خطأ لا عهدا وقبل التوبة عن أخذ على نفسه بالاخلاص عهدا * فانظر أيها المتأمل كيف جئت بالخبر النبوي وجعلته شاهدا على هذا الموضع ولا يمكن أن يحتاج في مثل ذلك الأجل هذا الاحتجاج وما أعلم كيف شذ عن ابن زياد أن يأتي به مع أنه كان كتابا مقلعا أرتضى كتابته ولم أجد في متأخرى العراقيين من يمثله في هذا الفن (وأما النوع الرابع) وهو الاطسلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور فان في ذلك فوائد جمة لانه يعلم منه أغراض الناس ونسائج أفكارهم ويعرف به مقاصد كل فريق منهم وإلى أين ترامت به منعمته في ذلك فان هذه الاشياء مما تشهده القريحة وتذكر في الفطنة واذا كان صاحب هذه الصناعة عارفا بما تصير المعاني التي ذكرت وتعب في استخراجها كالشيئ الملقى بين يديه يأخذ منه ما أراد ويترك ما أراد وأيضا فانه اذا كان مطلعا على المعاني المسبوق اليها قد يتقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق اليه ومن المعلوم أن خواطر الناس وان كانت متفاوتة في الجودة والرداءة فان بعضها لا يكون عاليا على بعض أو متخطا عنه الا بشئ يسير وكثيرا ما تتساوى القرائح والافكار في الاتيان بالمعاني حتى ان بعض الناس قد يأتي بمعنى موضوع بلفظ ثم يأتي الآخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينه مما من غير علم منه بما جاء به الاول وهذا الذي يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الحاقرة على الجافر وسبب يأتي لذلك باب مفرد في آخر كتابنا هذا ان شاء الله تعالى (وأما النوع الخامس) وهو معرفة الاحكام السلطانية من الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك فانما أوجبنا معرفتها والاحاطة بها لما يحتاج اليه الكتاب في تقليدات الملوك والامراء والقضاء والمختصين ومن يجري مجراهم وأيضا فانه قد يحدث في الامامة حادث في بعض الاوقات بأن يموت الامام القائم بأمر المسلمين ثم يتولى من بعده من لم تكمل فيه شرائط الامامة أو يكون كامل الشرائط غير أن الامام الذي كان قبله عهد به الي آخر عمره وهو ناقص الشرائط أو يكون قد تنازع الامامة اثنان أو يكون أرباب الحل والعقد قد اختاروا اماما وهم غير كاملين الشرائط التي يجب أن توجد فيهم أو يكون أمر غير ما ذكرناه فتختلف الاطراف في ذلك وينتصب ملك من الملوك له عناية بالامام الذي قد قام للمسلمين فيأمر كاتبه أن يكتب كتابا في أمره الى الاطراف المخالفة له واذا لم يكن الكتاب

عند ذلك عارفا بالحكم في هذه الحوادث واختلاف أقوال العلماء فيها وما هو
 رخصة في ذلك وما ليس برخصة لا يكتب كتابا ينتفع به واستثنا عن هذا القول
 أن يكون الكتاب مقصورا على فقهه محض فقط لئلا لو أرادنا ذلك لما كنا محتاجين
 فيه إلى كتب كتاب بلاغي بل كنا نقصر على إرسال مصنف من مصنفات الفقه
 عوضا عن الكتاب وإنما قصدنا أن يكون الكتاب الذي يكتب في هذا المعنى
 مشتملا على الترغيب والترهيب والمسماحة في موضع والمحاكاة في موضع مشحونا
 ذلك بالنكت الشرعية المبرزة في قوالب البلاغة والفصاحة كما فعل الكتاب
 الصائبي في الكتاب الذي كتبه عن عز الدولة بجختيار بن محمد والدولة بن بويه
 إلى الإمام الطائع لما خاع المطيع فانه من محاسن الكتب التي تكتب في هذا
 الفن (وأما النوع السادس) وهو حفظ القرآن الكريم فان صاحب هذه
 الصناعة ينبغي له أن يكون عارفا بذلك لأن فيه فوائد كثيرة منها أنه يضمن كلامه
 بالآيات في أمما كتبها للاتقة بها ودواضعها المناسبة لها ولا شبهة فيما يصير للكلام
 بذلك من الفخامة والجزالة والروني ومنها أنه اذا عرف مواقع البلاغة
 وأسرار الفصاحة المودعة في تأليف القرآن اتخذ به حرايس خخرج منه الدرر
 والجواهر وروى دعها مطاوى كلامه كما فعلت به أنا فيما أنشأناه من المكتبات
 وكفى بالقرآن الكريم وحده آلة وأداة في استعمال أفانين الكلام فعليك أيها
 المتوشح بهذه الصناعة بحفظه والفحص عن سره وغامض رموزه وإشاراته فانه
 تجارة إن تبور ومنبع لا يبور وكثير يرجع إليه وذخيرة قول عليه (وأما النوع
 السابع) وهو حفظ الاخبار النبوية مما يحتاج إلى استعماله فان الأمر في ذلك
 يجري مجرى القرآن الكريم وقد تقدم القول عليه فأعرفه (وأما النوع
 الثامن) وهو ما يختص بالناظم دون الناثر وذلك بمعرفة العروض وما يجوز
 فيه من الزحاف وما لا يجوز فان الشاعر محتاج إليه واستنا نوجب عليه المعرفة
 بذلك لينظم بعلمه فان النظم يبقى على الذوق ولو نظم به قطيع الا فاعيل بلقاء شعره
 متكلنا غير مرضي وإنما أريد للشاعر معرفة العروض لأن الذوق قد ينبوع عن
 بعض الزحافات ويكون ذلك جائزا في العروض وقد ورد للعرب مثله فاذا كان
 الشاعر غير عالم به لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وما لا يجوز وكذلك أيضا يحتاج
 الشاعر إلى العلم بالقوافي والحركات ليعلم الروي والردف وما يصح من ذلك

وما لا يصح فاذا اكل صاحب هذه الصناعة معرفة هذه الآلات وكان ذا طبع
محبوب وقريحة مواتية فعليه بالنظر في كتابنا هذا والتصفح لما أودعناه
من حقائق علم البيان وبهنا عليه من أصول ذلك وقروعه على أن الذي ذكرناه
من هذه الآلات الثمان هو كالأصل لما يحتاج اليه الخاطيب والشاعر ومعرفة
ضرورية لا بد منها وهذه الأشياء أخر هي كالتواضع والروادف وبالجملة فان
صاحب هذه الصناعة يحتاج الى ان يشب بكل فن من الفنون حتى انه يحتاج
الى معرفة ما تقوله النساكية بين النساء والمناشدة عند جلوس العروس والى ما يقوله
المنادي في السوق على الساعة فها طلك بما فوق هذا والسبب في ذلك أنه مؤهل
لان يهيم في كل واحد فيحتاج أن يتعلق بكل فن

(الفصل الثالث في الحكم على المعاني) وغاية هذا الفصل الاضافة
بأساليب المعاني على اختلافها وتباينها وصاحب هذه الصناعة مفتقر الى هذا
الفصل والذي يليه بخلاف غيرهما من هذه الفصول المذكورة لانه مما يفسر
الاشعار فانهم به أعني * واعلم أن الأصل في المعنى أن يجعل على ظاهر اللفظ
ومن يذهب الى التأويل يفتقر الى دليل كقوله تعالى وثيابك فطهر فاقطع
لفظ الثياب هو ما يابس ومن تأول ذهب الى أن المراد هو القاب لا باللبوس وهذا
لا بد له من دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ وكذلك ورد عن عيسى بن مريم
عليه السلام أنه قال اذا أردت أن تصلي فادخل بيتك وأغلق بابك فاقطع
هذا هو البيت والباب ومن تأول ذهب الى أنه أراد أنك تجمع عليك هم قلبك
وقنع أن يخطر بذهنك أمر الصلاة فغير عن القلب بالبيت وعن منع الخواطر التي
تخطر له بإغلاق الباب وهذا يحتاج الى دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ فالأمر
المجول على ظاهره لا يقع في تفسيره خلاف والمعنى المعدول عن ظاهره الى
التأويل يقع فيه الخلاف اذ باب التأويل غير محصور والعلماء متفاوتون في هذا
فانه قد يأخذ بعضهم وجهها ضيقا من التأويل فيكسرونه بعبارة قوية تميزه على غيره
من الوجوه القوية فان السبب بضاربه

ان السبب مع الذين قلوبهم * كقولهم من اذا اتقى الجمع
تلقى الحسام على جراءة حسنة * مثل البيان بكف كل جهل
وذهب بعضهم في الفرق بين التفسير والتأويل الى شيء غير مرضي فقال المنفسر

بيان وضع اللفظ حقيقة كتفسير الصراط بالطريق والتأويل اظهار باطن اللفظ
كقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فتفسيره من الرصد يقال رصدته اذا رقبته
وتأويله تحذير العباد من تعدي حدود الله ومخالفة أوامره والذي عندي في ذلك
أنه أصاب في الآخر ولم يصب في الأول لأن قوله التفسير بيان وضع اللفظ
حقيقة لا مستند لجوازه بل التفسير يطاق على بيان وضع اللفظ حقيقة ومجازا
لأنه من الفسر وهو الكشف كتفسير الرصد في الآية المشار إليها بالرقبة وتفسيره
بالتحذير من تعدي حدود الله ومخالفة أوامره وأما التأويل فانه أحد قسمي
التفسير وذلك أنه رجوع عن ظاهر اللفظ وهو مشتق من الأول وهو الرجوع
يقال آل يؤل اذا رجع وعلى هذا فان التأويل خاص والتفسير عام فكل تأويل
تفسير وليس ~~كل~~ تفسير تأويل ولا هذا يقال تفسير القرآن ومن تفسيره ظاهر
وباطن وهذا الفصل الذي نحن بصدد ذكره ههنا يرجع أكثره إلى التأويل لأنه
أدق ولا يخلو تأويل المعنى من ثلاثة أقسام إما أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل
غيره وإما أن يفهم منه الشيء وغيره وتلك الغيرية إما أن تكون ضدا أو لا تكون
ضدا وليس لنا قسم رابع فالأول يقع عليه أكثر الاشعار ولا يجري في الدقة
واللطافة مجرى القسمين الآخرين وأما القسم الثاني فانه قليل الوقوع جدا
وهو من أطرف التأويلات المعنوية لأن دلالة اللفظ على المعنى وضده أغرب من
دلالة على المعنى وغيره مما ليس بضد فما جاء منه قول النبي صلى الله عليه وسلم
صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد
الحرام فهذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدان أحدهما أن المسجد
الحرام أفضل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر أن مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من المسجد الحرام أي أن صلاة واحدة
فيه لا تفعل ألف صلاة في المسجد الحرام بل تفضل ما دونها بخلاف المساجد
الباقية فان ألف صلاة فيها تفعل عن صلاة واحدة فيه وكذلك جاء قول النبي
صلى الله عليه وسلم أيضا من كلام النبوة الأولى اذا لم تسبح فاصنع ما شئت
وهذا يشتمل على معنيين ضدتين أحدهما أن المراد به اذا لم تفعل فاعلا تسبحي منه
فافعل ما شئت والآخر أن المراد به اذا لم يكن لك حياء ترعك عن فعل ما يستحي
منه فافعل ما شئت وهذان معنيان ضدان أحدهما مدح والآخر ذم ومثله

ورد في الحديث النبوي أيضا وذلك أنه ذكر شريح الحضرمي عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يتوسد القرآن وهذا يحتمل مدحا وذمّا أما المدح فالمراد به أنه لا ينسأ الليل عن القرآن فيكون القرآن متوسدا معه لم يتسجد به وأما الذم فالمراد به أنه لا يحتفظ من القرآن شيئا فإذا نام لم يتوسد معه القرآن وهذا التأويلان من الاضداد وكثيرا ما يرد أمثال ذلك في الأحاديث النبوية ويجوز على هذا النهج من الشعر قول أبي الطيب في قصيدة يمدح بها كافورا

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات في نعماته يتقلب
وهذا البيت يستخرج منه معنيان ضدان أحدهما أن المنيح عليه يحسد المنعم
والآخر أن المنعم يحسد المنعم عليه وكذلك ورد قوله أيضا من قصيدة يمدح به
فان قلت ما أقولت منك فرجما * شربت بلاء يهجز الطير ورده
فان هذا البيت يحتمل مدحا وذمّا وإذا أخذت قوله من غير نظر إلى ما قبله فانه
يكون بالذم أولى منه بالمدح لانه يتضمن وصف نواله بالبعس والشذوذ وصدر
البيت مفتوح بأن الشرطية وقد أوجب بالذمة رب التي معناها التقليل أي است
من نوالك على يقين فان الذمة فرجما وصلت إلى مورد لا يصل إليه الطير لبعسه
وإذا نظر إلى ما قبل هذا البيت دل على المدح خاصة لارتباطه بالمعنى الذي قبله
وكثيرا ما كان يقصد المتنبي هذا القسم في شعره كقوله من قصيدة أولها
هدوك مذموم بكل لسان * ولو كان من أعدائك القمران
ولله سر في عسلاك وانما * كلامه المدا ضرب من الهذيان
ثم قال

تعالى تعنى بالاسمعة والقنا * ويجعلك طعان بغير سنان
فان هذا بالذم أشبه منه بالمدح لانه يقول لم تبلغ ما بلغته بسهمك واهتمامك بل بجهد
وسعادة وهذا لا فضل فيه لان السعادة تنال الخامل والجاهل ومن لا يستحقها
وأكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا القسم في قصائده الكافوريات (وحكى)
أبو الفتح بن جني قال قرأت على أبي الطيب ديوانه إلى أن وصلت إلى قصيدته التي
أولها * أغاب قبلك الشوق والشوق أغاب * فأنت منها على هذا البيت وهو
وما طرب لي لما رأيته بدعة * لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب
فقلت له يا أبا الطيب لم ترد على أن جعلته أباريق فضحك لقولي وهذا القسم

من الكلام يسمى الموجه أى له وجهان وهو مما يدل على براعة الشاعر وحسن
 تأنيته * وأما القسم الثالث فإنه يكون أكثر وتوعا من القسم الثاني وهو واسطة
 بين طرفين لأن القسم الأول كثير الوقوع والقسم الثاني قليل الوقوع وهذا
 القسم الثالث وسط بينهما فما جاء منه قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم
 فإن هذا وجهان من التأويل أحدهما القتل الحقيقي الذي هو معروف
 والاخر هو القتل المجازي وهو الاكباب على المعاصي فإن الانسان اذا اكب
 على المعاصي قتل نفسه في الاخرة ومن ذلك ما ورد في قصة ابراهيم وذبح
 ولده عليهما السلام فقال الله تعالى حكايه عنه وقال اني ذاهب الى ربي سجدتين
 رب هب لي من الصالحين فبشرناه بسلام حلیم فلما بلغ معه السعي قال يا بني
 اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابي اقبل ما تؤمر واستجبني
 ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتلاه للجبين ونادى نساء أن يا ابراهيم قد صدقت
 الرؤيا انا كذلك فنجزي المحسنين ان هذا هو البلاء المبين وقد نسا بذبح عظيم
 وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابراهيم كذلك فنجزي المحسنين انه من عبادنا
 المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا
 من الصالحين قد يكون بشاره بنبوته بعد البشارة بعباده وقد يكون استئنافا
 بذكره بعد ذكر اسمعيل عليه السلام وذبحه والتأويل متجاذب بين هذين
 الامرين ولا دليل على الاختصاص بأحدهما ولم يرد في القرآن ما يدل على أن
 الذبيح اسمعيل ولا اسحق عليه السلام وكذلك لم يرد في الاخبار اني هبت
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما ما يروى عنه أنه قال أنا ابن الذبيحين
 فخرج عن الاخبار الصحيحة وفي التوراة ان اسحق عليه السلام هو الذبيح
 ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لم لا زواجه أطول لكن يدا أسر عكن
 لحوقا بي فلما مات صلوات الله عليه جعلن يطاولن بين أيديهن حتى ينظرن
 أيتهن أطول يدا ثم كانت زينب أسرعهن لحوقا به وكانت كثيرة الصدقة فعلم
 حينئذ أنه لم يرد الجارية وإنما أراد الصدقة فهذا القول يدل على المعنيين
 المشار إليهما ومن ذلك ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال خدمت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فلم يقل شيئا فعلته لم فعلته ولا شيئا
 لم أفعله لم لأفعله وهذا القول يحتمل وجهين من التأويل أحدهما ما وصف

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على خلق من يعصبه والاخر أنه وصف
 نفسه بالفطنة والذكاء فيما يقصده من الاعمال كأنه متفطن لما في نفس رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في عمله من غير حاجة الى استئذانه ومن ذلك ما ورد
 في الادعية النبوية فانه صلى الله عليه وسلم دعا على رجل من المشركين فقال اللهم
 اقطع أثره وهذا يحتمل ثلاثة أوجه من التاويل الاول أنه دعا عليه بالزمانه لانه
 اذا زمن لا يستطيع أن يعيش على الارض فينقطع حينئذ أثره الوجه الثاني أنه
 دعا عليه بأن لا يكون له نسل من بعده ولا عقب الوجه الثالث أنه دعا عليه بأن
 لا يكون له أثر من الاثر عطلقا وهو أن لا يفعل فعل لا يبقى أثره من بعده كائنا
 ما كان من عقب أو بناء أو غراس أو غير ذلك ونظرت الحرورية برجل فقالوا له
 ابرأ من علي وعثمان فقال انا من علي ومن عثمان ابرأ فهذا يدل على معنيين
 أحدهما أنه يرى من عثمان وحسده والاخر أنه يرى منهم ما يجتمعوا والرجل لم يرد
 الا الوجه الاول ومن ذلك ما يحكي عن عبد المسيح بن بقله لما نزل بهم خالد
 ابن الوليد على الخيرة وذلك أنه خرج اليه عبد المسيح بن بقله فلما مثل بين يديه
 قال أنعم صبا حائبا الملك فقال له خالد قد أغضنا الله عن صحبتك هذه بسلام
 عليكم ثم قال له من أين أقصى أثرك قال من ظهر رأيي قال فمن أين خرجت قال
 من بطن أمي قال فبسلام أنت قال على الارض قال فقيم أنت قال في ثيابي قال
 ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رأيت كاليوم قط أنا سأله عن المشي
 وهو يتخوف في غيره وهذا من توجيه الكلام على غلط حسن وهو يصلح أن يكون
 جوابا لما سأل وما يصلح أن يكون جوابا لغيره مما ذكره عبد المسيح بن بقله
 وقد ورد في التوراة أن لا يؤكل كل الحيواني بلين أمته وهذا يحتمل التحريم في وجهين
 أحدهما ما دل عليه ظاهر لفظه وهو تحريم لحم الحيواني بلين أمته خاصة واذا أكل
 بلين غير بلين أمته جاز ذلك ولم يكن حراما وهذا لا يأخذه أحد من اليهود
 والوجه الاخر وهو الذي يؤخذه عند اليهود جميعهم أن أسكل اللحم بالبلين حرام
 كما ثابنا كان من اللحوم الاطعمة منهم يسمون القرابين فانهم تأولوا فأكلوا
 لحم الطير بالبلين وقالوا انما حرم اللحم بالبلين من اللحوم ذوات الالبان والطير
 من ذوات البيض لامن ذوات الالبان وما يجري على هذا النهج ما يحكي
 عن افلاطون أنه قال ترك الدواء دواء فذهب بعض الاطباء أنه أراد ان اظف

المزاج وانتهى الى غاية لا يحتمل الدواء فتركه حينئذ والاضراب عنه دواء وذهب
آخرون الى أنه أراد بالترك الوضع أى وضع الدواء على الداء دواء يشبه بذلك
الى مذاق الطبيب في أوقات علاجه ومثله في الشعر قول الفرزدق

إذا جعفر مرت على هضبة الحبي * فقد أخذت الأحياء منها قبورها
وهذا يدل على معنى أحدهم ما ذم الأحياء والاخر ذم الاموات أما ذم
الأحياء فهو أنهم خذلوا الاموات يريد أنهم تلاقوا قتالهم وقوما آخرين
فقتل الأحياء عنهم وأسلوهم أو أنهم استجبدوهم فلم يجدوهم وأما ذم الاموات
فهو أنهم مخازي وفضائح توجب عارا وشماتة فهم يعبدون بها الأحياء
ويلصقون بها وعلى هذا ورد قول أبي تمام

بالشعر طول اذا اصططكت قمائده * في معشروبه من معشر قصر
فهذا البيت يحتمل تأويلين أحدهما أن الشعر يتسع بحاله بمدحك ويضيق بمدح
غيرك يريد بذلك ان ما تركه كثيرة وما تركه غيره قليلة والاخر أن الشعر يكون
ذا خفرون وبهاة بمدحك وذا خمول بمدح غيرك فلفظة الطول يفهم منها ضد القصير
ويفهم منها الغمر من قولنا طال فلان على فلان أى غمر عليه (وعلى) ينظم بهذا
السلام قول أبي كبير الهذلي

عجبت لدهى الدهريين وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
وهذا يحتمل وجهين من التأويل أحدهما أنه أراد بسعى الدهر وسرعة انقضى
الافاق مدة الوصال فلما انقضى الوصل عاد الدهر الى حاله في السكون والبطء
الاخر أنه أراد بسعى الدهر سعى أهل الدهر بالفنائم والوشايات فلما انقضى
ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السهابة وهذا من باب وضع المضاف
اليه مكان المضاف كقوله تعالى واسأل القرية أى أهل القرية * ومن الدقيق
المعنى في هذا الباب قول أبي الطيب المتنبى في عضد الدولة من جملة قصائده
الى أتولها أوه بديل من قواقي واها فقال

لوفطنت خياله لنا قله * لم يرضها أن ترام يرضاه
وهذا يستنبط منه معنيان غير أن أحدهما أن خياله لو علمت مقدار عطاياه
النفيسة لما رضيت له بأن تكون من جملة عطاياه لأن عطاياهم أنفسهم منها الاخر
أن خياله لو علمت أنه يهبها من جملة عطاياه لما رضيت ذلك اذ تذكره خروجها

من ماله وهذا الوجهان أنا ذكرتهما وانما المذكور منهما أحدهما وهذا
الذي أشرت إليه من الكلام على المعاني وتأويلاتها كاف لمن عهده ذوق وله
قوة على حملها على أشباهها ونظائرها

(الفصل الرابع) في الترجيح بين المعاني وهذا الفصل هو ميزان الخواطر
الذي يوزن به نقد درهما ودينارها بل الحق الذي يعلم منه مقدار عبارها
ولا يزن به الا ذوق فكرة متقدمة ولحمة متقدمة فليس كل من حمل ميزانا سمى صرافا
ولا كل من وزن به سمى صرافا والفرق بين هذا الترجيح والترجيح الفقهي
أن هذا الترجيح بين دليلي الخصمين في حكم شرعي وهما يرجح بين جاني فصاحة
وبلاغة في الفاظ ومعان خطائية ويبان ذلك أن صاحب الترجيح الفقهي
يرجع بين خبر التواتر مثلا وبين خبر الآحاد أو بين المسند والمرسل أو ما جرى هذا
الجرى وهذا لا يعرض اليه صاحب علم البيان لأنه ليس من شأنه ولكن الذي هو
من شأنه أن يرجح بين حقيقة ومجاز أو بين حقيقتين أو بين مجازين ويكون ناظرا
في ذلك كله الى الصنعة الخطائية ولربما اتفق هو وصاحب الترجيح الفقهي
في بعض المواضع كالترجيح بين عام وخاص أو ما شابه ذلك وكذا قد قدمنا القول
في الحكم على المعاني وانقسامها ولينين في هذا الفصل مواضع الترجيح بين
وجوه تأويلاتها فنقول (أما القسم الاول) من المعاني فلا تعاق للترجيح به
اذ ما دل عليه ظاهر لفظه ولا يحتمل الاوجهما واحدا فليس من هذا الباب في شيء
والترجيح انما يقع بين معنيين يدل عليهما اللفظ واحد ولا يخلو الترجيح بينهما من
ثلاثة أقسام اما أن يكون اللانظ حقيقة في أحدهما مجازا في الآخر
أو حقيقة فيهما جميعا أو مجازا فيهما جميعا وليس لنا قسم رابع والترجيح
بين الحقيقةين أو بين المجازين يحتاج الى نظر وأما الترجيح بين الحقيقة والمجاز
فانه يعلم بديهية النظر إمكان الاختلاف بينهما والشبهة أن المختلفان يظهر الفرق
بينما مختلف ما يظهر بين الشبهتين المشبهين فمثال الحقيقة والمجاز قوله تعالى
ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم
وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فالجلود ههنا تفسر حقيقة ومجازا أما
الحقيقة فغير ادب بالجلود مطلقا وأما المجاز فغير ادب بالفروج خاصة وهذا
هو المانع البلاغي الذي يرجح جانب المجاز على الحقيقة لما فيه من لطف الكناية

عن المكثي عنه وقد يسأل ههنا في الترجيح بين الحقيقة والجواز عن غير الجواب
 البلاغي. ويقال ما بيان هذا الترجيح فيقال طريقه انظر الجلود عام فلا يخلو
 أما أن يراد به الجلود مطلقاً أو يراد به الجوارح التي هي أدوات الأعمال خاصة
 ولا يجوز أن يراد به الجلود على الإطلاق لأن شهادة غير الجوارح التي هي الغفلة
 شهادة باطلة أذهى شهادة غير شاهد والشهادة هنا يراد بها الإقرار بقول الله
 أنا فعلت كذا وكذا وتقول الرجل أنا مشيت إلى كذا وكذا وكذلك الجوارح
 الباقية تنطق مقرة بأفعالها فتخرج بهذا أن يكون المراد به شهادة الجوارح
 وإذا أريد به الجوارح فلا يخلو أما أن يراد به الكل أو البعض فإن أريد به الكل
 دخل تحته السمع والبصر ولم يكن تخصيصهما بالذكر فائدة وإن أريد به البعض
 فهو بالفرج أحص حقه بتفسيره من الجوارح لا من أحد من أحدهما أن الجوارح كلها
 قد ذكرت في القرآن الكريم شهادة على صاحبها بالمعصية ما عدا الفرج فكان
 محل الجلود عليه أولى ليستكمل ذكر الجميع إلا أنه ليس في الجوارح ما يذكره
 التصريح به بذكره إلا الفرج فكفى عنه بالجلد دلالة موضع يسكره التصريح به
 بالمسمى على حقيقته (فان قيل) إن تخصيص السمع والبصر بالذكر من باب
 التفصيل كقوله تعالى فأكهة ونخل ورمان والنخل والرمان من الفاكهة (قلت)
 في الجواب هذا القول عليه كذلك لأن النخل والرمان إنما ذكرا لتفصيلهما
 في الشكل أو في الطعم والفضيلة ههنا في ذكر الشهادة إنما هي تعظيمهم لا من
 المعصية وغير السمع والبصر أعظم في المعصية لأن معصية السمع أغاث تكون
 في سماع غيبة أو في سماع صوت من مار أو وتر أو ما جرى هذا الجري ومعصية
 البصر أغاث تكون في النظر إلى محرم وكلتا المعصيتين لا حيد فيها وأما المعاصي
 التي توجد من غير السمع والبصر فأعظم لأن معصية اليد توجب القطع ومعصية
 الفرج توجب جلد مائة أو الرجم وهذا أعظم فكان ينبغي أن يخص بالذكر دون
 السمع والبصر وإذا ثبت فساد ما ذهب إليه فلم يكن المراد بالجلود إلا الفروج
 خاصة (وأما مثال الثمانيين) إذا كانوا حقيقيين فقول النبي صلى الله عليه وسلم
 اتقوا الرزق في خبايا الأرض وخبايا جميع خبيثة وهو كل ما يخبأ كائناً ما كان
 وهذا يدل على معنيين حقيقيين أحدهما الكنوز الخبوءة في بطون الأرض
 والاخر الحرث والغراس وجانب الحرث والغراس أرجح لأن موضع الكنوز

لا تعلم حتى تلتبس والنبى صلى الله عليه وسلم لا يأمر بذلك لانه شئ مجهول غير
 معلوم فبقى المراد بخبايا الارض ما يحترث ويغرس وكذلك ورد قوله صلى الله عليه
 وسلم اذا بليت النعال فالصلاة في الرجال وهذا الحديث مرخص في ترك صلاة
 الجماعة بسبب المطر وله تأويلان أحدهما أنه أراد نهال الارض وهو ما غلظ منها
 والاخر أنه أراد الاحذية والوجه هو الثاني لظهوره في الدلالة على المعنى وأكثر
 العلماء عليه ولو كان المراد به ما غلظ من الارض لخروج عن هذا الحكم كل بلد
 تكون أرضه سهلة لا غلظ فيها (وأما مثال المعنيين الجاهزين) فقول أبي تمام
 قديونا أباسعيد حديشا * وبلونا أباسعيد قديما
 ووردناه ساحلا وقلبيما * ورعيناه بارضا وحيفا
 فعلمنا ان ليس الا بشئ الا نفس صار الكرم يدعى كريما
 فالساحل والقلبي يستخرج منهما تأويلان مجازيان أحدهما أنه أراد بهما
 الكثير والقليل بالنسبة الى الساحل والقلبي والاخر أنه أراد بهما السبب
 وغير السبب فان الساحل لا يحتاج في ورده الى سبب والقلبي يحتاج في ورده
 الى سبب وكلا هذين المعنيين مجاز فان حقيقة الساحل والقلبي غيرهما والوجه
 هو الثاني لانه أدل على بلاغة القائل ومدح المقول فيه أما بلاغة القائل
 فالسلامة من هجسة التكرير بالخلافية بين صدر البيت وعجزه فان عجزه يدل
 على القليل والكثير لان البارض هو أول التبت حين يبدو فاذا كثرت مكاثف
 سمى جيفا فكانه قال أخذنا منه تبرعا ومسئلة وقليل وكثيرا وأما مدح المقول
 فيه فله عدة ادحالاته الاربع في تبرعه وسؤاله واكثره واقله وما في معاناة
 هذه الاحوال من المشاق فهذا ما يتعلق بالترجيح البلاغي بين الحقيقة والحقيقة
 وبين المجاز والمجاز وبين الحقيقة والمجاز (وههنا) ترجيح آخر لا يتعلق بما أشرنا
 اليه اذ هو خارج مما تقتضيه المعاني الخطائية من جهة الفصاحة والبلاغة وذلك
 ان يرجح بين معنيين أحدهما تام والاخر مقدر أو يكون أحدهما مناسبا
 لمعنى تقدمه أو تاخر عنه والاخر غير مناسب أو بأن يتطرق في الترجيح بينهما
 الشئ خارج عن اللفظ فقال المعنيين المشار اليهما أن المعنى التام هو الذي يدل
 عليه لفظه ولا يتقدم وأما المقدر فهو الذي لا يدل عليه لفظه بل يستدل عليه
 بقريضة أخرى وتلك القريضة قد تكون من قوابله وقد لا تكون (فيما) جاء

من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في ساعة الغنم ذكاة فهذا اللفظ يستخرج
منه معنيان أحدهما تأتم والآخر ممة تدرك التأتم دلالة على وجوب الذكاة
في الساعة لا غير والممة تدرك دلالة على سقوط الذكاة عن المعلوفة إلا أنه ليس
مفهوما من نفس اللفظ بل من قرينة أخرى هي كالتابعة له وهي أنه لما خضت
الساعة بالذكاة دون المعلوفة علم من مفهوم ذلك أن المعلوفة لا ذكاة فيها وللفقهاء
في ذلك مجازيات جدلية بطول الكلام فيها وليس هذا موضعها والذي يترجح
عندي هو القول بفهمي المعنى المقدر وهو الذي يسميه الفقهاء بمفهوم الخطاب
وله في الشعر أشباه ونظائر (فما) ورد من ذلك شعرا قول جري بن كعب الفهسي
من شعراء الجساسنة وقد خطب إليه ابن كوزا بقتله فرده

يحيى ابن كوز والسفاهة كاسمها * ليستأد منا ان سننونا ليا ليا
فلاتطلب منها يا ابن كوز فانه * غذا الناس مذقام النبي الجواريا
وهذا البيت الثاني يشتمل على المعنيين التأتم والمقدر أما التأتم فإن ابن كوز سأل
أيا هذه الجارية أن يزوجها في سنة والسنة الجذب فرده وقال قد غذا الناس
البنات مذقام النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أيضا أغذو هذه ولولا ذلك لو أدتها
كما كانت الجاهلية تفعل وفيه وجه آخر وهو أنهم كانوا يبتدون البنات قبل
الإسلام فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك فقوله غذا الناس مذقام
النبي الجواريا أي في النساء كثيرة فتزوج بهن وخل ابنتي وهذان المعنيان هما
الاذنان دل عليهما ظاهر اللفظ وأما المعنى المقدر الذي يعلم من مفهوم الكلام
فانه يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بإحياء البنات ونهى عن الوأد
ولو أنكحتكها لكنت قد وأدتها إذ لا فرق بين أنسكحك أياها وبين وأدتها وهذا
ذم للمضاطب وهو معنى دقيق وصح المعاني المستخرجة من المفهوم فليس في
الشعر (وأما) ما يستدل عليه بقرينة ليست من توابعه فإن ذلك أدق من الأول
والطرف مأخذا فمما ورد منه قول النبي صلى الله عليه وسلم من جعل قاضيا
بين الناس فقد ذبح بغير سكين فهذا يستخرج منه المعنيان المشار إليهما فالتأتم
منهما يدل على أنه من جعل قاضيا فقد عرض نفسه لخطر عظيم سكا الذبح بغير
سكين وأما المقدر فانه يدل على أنه من جعل قاضيا فقد أمر بمقارعة هواه وهذا
لا يدل عليه اللفظ بنفسه بل يستدل عليه بقرينة أخرى ولكنهما ليست من توابعه

ووجه ذلك أن لفظ الحديث عام يشمل القضاة على الإطلاق ولا يخلو ما أن يراد
 به عذاب الآخرة أو عذاب الدنيا ولا يجوز أن يكون المراد به عذاب الآخرة
 لأنه ليس كل قاضٍ معذَّب في الآخرة بل المعذب منهم قضاة السوء فوضح به ذلك أن
 المراد بالحديث عذاب الدنيا وعلى هذا فلا يخلو ما أن يكون العذاب صورة
 أو معنى ولا يجوز أن يكون صورة لأننا نرى الإنسان إذا جعل قاضياً لا يذبح
 ولا يناله شيء من ذلك فبقي أن يكون المراد به عذاباً معنوياً وهو الذبح الجاهلي
 غير الحقيقي وفحوى ذلك أن نفس الإنسان مركبة على حبة هواها فإذا جعل
 قاضياً فقد أمر بترك ما يجلب على حبه من الامتناع عن الرشوة والحكم بصديقه
 على ما قد ورد رفع الحجاب بينه وبين الناس والجلوس للمحكم في أوقات راحته
 وغير ذلك من الأشياء الممكرومة التي تشق على النفس وتجدد لها ألماً مبرحاً
 والذبح هو قطع الحلقوم والالم حاصل به وهو كالذبح الحقيقي بل أشد منه لأن ألم
 الذبح الحقيقي يكون لحظة واحدة ثم ينقضي ويذول وألم قطع النفس عن هواها
 يدوم ولا ينقضي وهو أشد العذاب قال الله تعالى في عذاب أهل النار وسيل بينهم
 وبين ما يشتهون وقال في نعيم أهل الجنة وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين
 وكثيراً ما رأينا من جاهد حبه الشيء على إقلاف نفسه في طلبه وركوب
 الأهوال من أجله فإذا امتنع عنه مع حبه أياه فقد ذبح نفسه أي قطعها عنه
 كما يقطع الذابح حلق الذبيحة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اتقنا عن
 الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر فسمى جهاد الكفار الجهاد الأصغر وجهاد
 النفس الجهاد الأكبر فكما أن مجاهدة النفس عن هواها قتال بغير سيف فكذلك
 قطعها عن هواها ذبح بغير سكين وهذا موضع غامض والترجيح فيه يختص
 بالوجه الآخر لاشتماله على المعنى المقصود وهو المراد من القضاة على الإطلاق
 (وأما) مثال المعنيين إذا كان أحدهما مناسباً للمعنى تقدمه أو بمعنى تأخر عنه
 والآخر غير مناسب فالأول وهو ما كان مناسباً للمعنى تقدمه كقوله تعالى لا تجعلوا
 دعا الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً فالدعاء هنا يدل على معنيين أحدهما
 النهي أن يدعى الرسول باسمه فيقال يا محمد كما يدعو بعضهم بعضاً باسمه اللهم
 وانما يقال يا رسول الله أو يائي الله الآخر النهي أن يجعلوا حضورهم عنده
 إذا دعاهم لأمر من الأمور كحضور بعضهم عند بعض بل يتأخرون عنه بأن

وهذا لم يسمع من أحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أتينا بمجاز غير ذلك
 في معناه فقلنا استعرت الحرب لما كان مؤذيا من الله - في ما يؤذيه حتى الوطيس
 والفرق بينهما أن الوطيس هو التثور وهو موطن الوقود ويجمع النار وذلك
 يحيل إلى السامع أن هناك صورة شبيهة بصورته في جميعها وتوقدها وهذا لا يوجد
 في قولنا استعرت الحرب أو ما جرى مجراه وكذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت
 في نفس الساعة فقوله نفس الساعة من العبارة العجيبة التي لا يقوم غيرها
 مقامها إلا أن المراد بذلك أنه بعث والساعة قرية منه لكن قريباً منه لا يدل على
 ما دل عليه النفس وذلك أن النفس يدل على أن الساعة منه بحيث يحس بها كما
 يحس الإنسان بنفس من هو إلى جانبه وقد قال صلى الله عليه وسلم في موضع آخر
 بعثت أنا والساعة كهاتين وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى ولو قال بعثت على
 قرب من الساعة أو الساعة قرية متى لادل ذلك على ما دل عليه نفس الساعة
 وهذا لا يحتاج إلى الإطالة في بيانه لأنه بين واضح وقد وردت في ذلك في أقوال
 الشعراء المقلدين ولقد تصفحت الأشعار قد عثتها وحديثها وحفظت ما حفظت
 منها وصككت إذا مررت بنظري في ديوان من الدواوين ويلوح لي فيه مثل هذه
 الالفاظ أجد لها نشوة كنشوة الخمر وطرباً كطرب اللطائف وكثير من الناطقين
 والناترين عجز على ذلك ولا يفتن له سوى أنه يستحسنه من غير نظر فيما نظرت أنا
 فيه ويظنه كثيراً من الالفاظ المستحسنة (فما) جاء من ذلك قول أبي تمام
 كم صارم غضب أناف على قفا * منهم لاعب الوغى جمال
 سبق المشيب إليه حق ابتزم * وطن النوى من مفرق وقدال
 فقوله وطن النوى من الكلمات الجامعة وهي عبارة عن الرأس ولا يجاء بمثلها
 في معناها مما يدل على مستدها وكذلك ورد قول البحتري
 قلب يطل على أفكاره ويد * تمضي الأمور ونفس لهوها التعب
 فقوله قلب يطل على أفكاره من الكلمات الجوامع ومراده بذلك أن قلبه لا تغلوه
 الأفكار ولا تحيط به وإنما هو عال عليها يصف بذلك عدم احتفاله بالآلة واذق وقلة
 ميلاته بالخطوب التي تحدث أفكاراً تستغرق القلوب وهذه عبارة عجيبة لا يؤتى
 بمثلها مما يستمددها (وأما) ما يأتي على حكم الحقيقة فكذلك قول ابن الرومي
 سقى الله أوطار النوا وما ربا * تقطع من أقرانها مائة قطعاً

ليال تنسبني الليالي حسابها * بلهنية أقضي بها الخول أجمع
سوى عزة لا أعرف اليوم باسمه * وأهل فيه الله ومراي ومسمع
فقوله لا أعرف اليوم باسمه من الكلمات الجامعة أي التي قد شملت بالذات
عن معرفة الليالي والأيام ولو وصف اشتغاله بالذات مهما وصف لم يأت بمثل قوله
لا أعرف اليوم باسمه (وأما القسم الثاني) من جوامع الكلام فالمراد به الإيجاز
الذي يدل به بالألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة أي أن ألفاظه صلت الله عليه
جامعة للمعاني المقصودة على إيجازها واختصارها وجل كلامه جار هذا الجري
فلا يحتاج إلى ضرب الأمثلة به وسبب يأتي في باب الإيجاز منه ما فيه كفاية ومقنع
(فان قيل) فما الفرق بين هذين القسمين اللذين ذكرتهما فانه ما في النظر سواء
(قلت) في الجواب أن الإيجاز هو أن يوثق بألفاظ دالة على معنى من غير أن تزيد
على ذلك المعنى ولا يشترط في تلك الألفاظ أنها لا تظهر لها فانه أن تكون قد انصفت
بوصف آخر خارج عن وصف الإيجاز وحيث يكثر الإيجاز أو زيادة (وأما) هذا
القسم الآخر فانه الناطق أفراد في حدها لا تظهر لها فتارة تكون موجزة وتارة
لا تكون موجزة وليس الغرض منها الإيجاز وإنما الغرض مكانها من الحسن
الذي لا تظهر لها فيه ألا ترى إلى قول أبي تمام وطن النهر فان ذلك عبارة عن
الرأس ولا شك أن الرأس أوجز لأن الرأس لفظة واحدة ووطن النهر لفظتان
الأن وطن النهر أحسن في التعبير عن الرأس من الرأس فبان بهذا أن أحد
هذين القسمين غير الآخر

(الفصل السادس في الحكمة التي هي ضالة المؤمن) قال النبي صلى الله عليه وسلم
الحكمة ضالة المؤمن فمداها وأحق بها إذا وجدها والمراد بذلك
أن الحكمة قد يستفيدها أهلها من غير أهلها كما يقال رب ربيعة من خير رائم
وهذا لا يخص علما واحدا من العلوم بل يقع في كل علم والمطلوب منه هو ما هو
ما يخص علم البيان من الفصاحة والبلاغة دون غيره وهذا سمع هذا الخبر
النبوي جعلت كذا في تتبع أقوال الناس في مدحها وضاعتهم وهما ورأتهم فانه
قد تصدر الأقوال البليغة والحكم والامثال عن لا يعلم مقدار ما يقوله فاستغدت
بذلك فوائده كثيرة لا أحصرها طويلا وأنا أذكر منها طرفا يستدل به على أشباهه
ونظائره فمن ذلك أني سرت في بعض الطرق وفي صحبتي رجل يدعى من الأبياط

لا يعتد بقوله فكان يقول غدا تدخل البلد وتستغل عني وكان الامر كما قال
فدخلت مدينة حلب وشغلت عنه أياما ثم اقبلني فقال لي من تروى فترت عظامه
وهذا القول من الاقوال البليغة وهي من الحكمة التي هي الضالة المطلوبة عند
مؤمن في الفصاحة والبلاغة ثم اني سمعت منه بعد ذلك شيئا يناسب قوله الاول فاني
سفرت له الى صاحب في حلب في نبي أخذته منه فاستقبله وقال الماء أروى لشدوق
النيب وهذا أيضا من الحكمة في بابها وسافرت مرة أخرى على طريق المناظر
وكان في صحبتي رجل يدعى فسأته عن مسافة ما بين تدمر وأرث فقال اذا خرج
سرحا هما تلاقيا فعبّر عن قرب المسافة بينهما ما بأوجز عبارة وأبلغها ثم سأله ليلة
من الليالي عن الصبح ان يتحل من موضعنا فقال قد ظهر الصبح الا أنه لم يعلت
الانسان بصره وهذا القول من الحكمة أيضا وكان تزوج غلام من غلمانني
بدمشق فوقعته المرأة منه بموقع وشغف به اثم اني سافرت عن دمشق لمهتم عرض لي
وسافر ذلك الغلام في صحبتي فلما عدنا من السفر شغل بامرأته والمقام عندها
فسأله عن حاله فقال انهما قد طالت وحسنت وهي كذا وكذا وأخذ يصفها
فقال أخ له ~~كان~~ حاضر ايام ولاي هي تلك لم تزد شيئا وانما هي في عينه جبار من
الجبارة وكذا القول قد ورد في بعض آيات الحساسة وهو معدود من آيات
المعاني

أهابك اجالا وما بك قدرة * على وليكن مل عين حبيبها
فكثيرا ما يصد رسل هذه الاقوال من السنة الجاهل * وسمعت ما يجري هذا
النجري من بعض العبيد الاحابيش الذين لا يستطيعون تقويم صبيغ الافراط
فضلا عما وراء ذلك وذلك أنه رأى صبيبا في يده طاقة ريحان فقال هذه طاقة
آمن تحمل طاقة ريحان فلما سمعت ذلك منه أخذتني هزة التهجب وذكرت شعرا أبي
نواس الذي توأفقه الناس في هذا المعنى وهو قوله

ووردة جاء بها شادن * في كفه اليمني فحاننا

سمعت ربي حين أبصرتها * ريحانة تحمل ريحاننا

وحضر عندي في بعض الايام رجل نصراني موسوم بالطب وكان لا يحسن ان
يقول كلمة واحدة وهو ألقاب اللسان يسمى العبارة فسأته عن زيارة شخص وهي
تتردد اليه أم لا فقال

ظلام الليل يهديني الى باب من أوده وضوء النهار يضلني عن باب من لأوده
وهذا من أطف المعاني وأحسنها وهو من الحكمة المطلوبة * وكنت قصدت زيارة
بعض الاخوان من الاجناد وهو من الاغنام الاعجماء فالتفت من حاله وكان
نوال عليه نكبات طالت أيامها وعظمت آلامها فقال لي في الجواب ما معناه انه
لم يبق عندي ارتساع لوقوع فائبة من النوائب وهذا معنى لو أقي به شاعر مقلق
أو كاتب بليغ لاستحسن منه غاية الاستحسان * وكنت في سنة ثمان وثمانين
وخمسة مائة بأرض فلسطين في الجيش الذي كان قبالة العدو والكافر من الفرنج لعنهم
الله وتقابل الفريقان على مدينة يافا وكان الي جانبي ثلاثة فرسان من المسلمين
فتعاقدوا على الجلة الى نحو العدو فلما حلوا صدق منهم اثنان وتلكا واحد فقيل
له في ذلك فقال الموت طعام لا تحبسه المعدة فلما سمعت هذه الكلمة استهزئت بها
واذا هي صادرة عن رجل من أهل بصرى فدم من الافدام ولو أخذت في ذكر
ما سمعته من هذا الاططت وانما دللت بسبب ما ذكرته على المراد وهو انه يجب على
المصدي للشعر والخطابة أن يتتبع أقوال الناس في محاوراتهم فانه لا يعدم مما
يسمعه منهم حكما كثيرة ولو أراد استخراج ذلك بذكره لا يحزه ويحكى عن أبي تمام
أنه لما نظم قصيدته البائية التي أولها

على مثلها من أربع وملاعب * انتهى منها الى قوله

يرى أفتح الاشياء أوبة أمل * كسسته يد المأمول حلة تطالب

ثم قال وأحسن من نور يفتح الصبا * ووقف عند صدر هذا البيت يردده وإذا
سائل يسأل على الباب وهو يقول من يياض عطاياكم في سواد مطالبنا فقال
أبو تمام * يياض العطايا في سواد المطالب * فأنتم صدر البيت الذي كان يردده من
كلام السائل وسمعت امرأة تدنو في لها ولد وهو بكرها الذي هو أول أولادها
فقلت كيف لا أحزن لذهابه وهو أول درهم وقع في الكيس فأخذت أنا هذا المعنى
وأودعته كتابا من كتبي في التمازي وهو كتاب كتبه الى بعض الاخوان وقد توفي
بكره من الاولاد فقلت وهو أول درهم اتخرنه في كيس الاتخار وأعددت له
لحوادث الليل والنهار وبلغني عن الشيخ أبي محمد أحمد بن أحمد المعروف بابن
الحشاب البغدادي وكان اماما في علم العربية وغيره فقيل انه كان كثيرا ما يفت على
خلق القصاص والمثيبين فاذا آتاه طلبه العلم لا يجردونه في أكثر أوقاته الا هنالك

فألم على ذلك وقيل له أنت امام الناس في العلم وما الذي يبعثك على الوقوف بهذه
المواقف الرذيلة فقال لو علمت ما أعلم لما لمت واطالما استفتدت من هؤلاء الجهال
فوائد كثيرة تجرى في ضمن هذيانهم معاني غريبة لطيفة ولو أردت أنا وأغيري أن
نأق بمثلها لما استطعنا ذلك ولا شك أن هذا الرجل رأى ما رأيت به وتطرا إلى
ما نظرت اليه

(الفصل السابع في الحقيقة والمجاز) وهذا الفصل مهم كبير من مهمات علم
البيان لا بل هو علم البيان بأجمعه فان في تصريف العبارات على الاسلوب المجازي
فوائد كثيرة وسيرديا فيها في مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد نبهنا
في هذا الموضع على جلته بدون تفصيلها فأما الحقيقة فهي اللفظ الدال على
موضوعه الاصلى وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة
وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع الى هذا الموضع اذا تخطاه اليه فالجهاز اذا سم
للمكان الذي يجاز فيه كالمعاج والمزار وأشباهه ما وحقيقته هي الانتقال من
مكان الى مكان فجعل ذلك لنقل الالفاظ من محل الى محل كقولنا زيد أسد فان زيدا
نسان والاسد هو هذا الحيوان المعروف وقد جرتنا من الانسانية الى الاسدية
أي عبرنا من هذه الى هذه لوصلة بينهما وتلك الوملة هي صفة الشجاعة وقد يكون
العبور لغير وصلة وذلك هو الاتساع كقوله في كتاب كليله ودمنه قال الاسد
وقال الثعلب فان القول لا وصلة بينه وبين هذين محال من الاحوال وانما أجرى
عليه ما اتساعا محض لا غير واهذا محال في المجاز الحقيقي الذي هو المكان المجاز
فيه فانه لا يتخلو اما أن يجاز من سهل الى سهل أو من وعرا الى وعرا أو من سهل الى
وعر فالجواز من سهل الى سهل أو من وعرا الى وعر هو كقولنا زيد أسد فالمشابهة
حاصلة في ذات بينهما كما في المشابهة الحاصلة في المكان والجواز من سهل الى وعر
كقوله في الاسد وقال الثعلب فكأنه لا مشابهة بين القول وبين هذين
فكذلك لا مشابهة بين السهل والوعر وسأنتي كشف الغطاء عن ذلك واشباع القول
في حقيقة في باب الاستعارة فليؤخذ من هنالك وقد ذهب قوم الى أن الكلام كله
حقيقة لا مجاز فيه وذهب آخرون الى أنه كله مجاز لا حقيقة فيه وكلا هذين
الذهنين فاسد عندي وسأجيب الخصم عما ادعاه فيهما فأقول محل النزاع هو
أن الالفة كلها حقيقة أو أنها كلها مجاز ولا فرق عمدي بين قولك انها كلها حقيقة

أو أنها كلها مجاز فان كلا الطرفين عندى سواء لان منكرهما غير مسلم لهما وانا
بصد أن أبين أن في اللغة حقيقة ومجازا والحقيقة اللغوية هي حقيقة اللفاظ
في دلالتها على المعاني وليست بالحقيقة التي هي ذات الشيء أي نفسه وصينه
فالحقيقة اللفظية إذا هي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة والمجاز
هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيرهِ وتقرير ذلك بأن أقول
الخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يستدل بها عليها يعرف كل منها باسمه من أجل
التفاهم بين الناس وهذا يقع ضرورة لا بد منها فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو
حقيقة له فإذا نقل إلى غيره صار مجازا ومثال ذلك أنا إذا قلنا شمس أردنا به هذا
الكوكب العظيم الكثير الضوء وهذا الاسم له حقيقة لانه وضع بإزائه وكذلك إذا
قلنا بحور أردنا به هذا الماء العظيم المجمع الذي طعمه ملح وهذا الاسم له حقيقة لانه
وضع بإزائه فإذا قلنا الشمس إلى الوجه المالح استعارة كان ذلك له مجازا لا حقيقة
وكذلك إذا قلنا البحر إلى الرجل الجواد استعارة كان ذلك له مجازا لا حقيقة
(فان قيل) إن الوجه المالح يقال له شمس وهو حقيقة فيه وكذلك البحر يقال
للرجل الجواد وهو حقيقة فيه (فالجواب) عن ذلك من وجهين أحدهما نظري
والآخر وحيي أما النظري فهو أن اللفاظ إنما جعلت أدلة على افهام المعاني
ولو كان ما ذهبت إليه صحيحا لكان البحر يطلق على هذا الماء العظيم الملح ومـ إلى
الرجل الجواد بالاشتراك وكذلك الشمس أيضا فانما كانت تطلق على هذا
الكوكب العظيم الكثير الضوء وعلى الوجه المالح بالاشتراك وحيث أن ذلك
أحد هذين اللفظين مطلقا بغير قرينة تخصه فلا يفهم المراد به ما هو من أحد
المعنيين المستترين المندرجين تحته ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك فاننا إذا قلنا
شمس أو بحر أو أطلقنا القول لا يفهم من ذلك وجه ملحي ولا وجه جواد وانما يفهم
منه ذلك الكوكب المعلوم وذلك الماء المعلوم لا غير فبطل إذا ما ذهبت إليه بما
بيناه وأوضحناه (فان قلت) إن العرف يخالف ما ذهبت إليه فان من اللفاظ ما إذا
أطلق لم يذهب الفهم منه إلا إلى المعنى دون الحقيقة كقوله الغائط فان العرف
يخص ذلك بقضاء الحاجة دون غيره من المطمئن من الأرض (قلت) في
الجواب هذا شيء ذهب إليه الفقهاء وليس الأمر كما ذهبوا إليه لانه ان كان إطلاق
اللفظ فيه بين عامة الناس من اسكاف وخدام ونجار وخباز ومن جرى مجراهم

اعتراض على الفقهاء في تخصيصهم اللفاظ بقضاء الحاجة

فهو ولا يفهمون من الغائط الا قضاء الحاجة لانهم لم يعلموا أصل وضع هذه
الكلمة وانهم مطمئنون من الارض واما خاصة الناس الذين يعلمون أصل الوضع
فانهم لم يفهمون عند اطلاق اللفظ الا الحقيقة لا غير ألا ترى أن هذه اللفظة
لما وردت في القرآن الكريم وأريد بها قضاء الحاجة قرنت بالفاظ تدل على ذلك
كقوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط فأن قوله أو جاء أحد منكم من الغائط
دليل على أنه أراد قضاء الحاجة دون المعائن من الارض فالكلام في هذا واضح
انما هو مع علم أصل الوضع حقيقة والنقل عنه مجازا واما الجهال فلا اعتبار
بهم ولا اعتداد بأقوالهم والعجب عندي من الفقهاء الذين دونوا ذلك على
مادق نوره وذهبوا الى ما ذهبوا اليه واما الوجه الوضحي فهو أن المراجع في هذا
وما يجري مجراه الى أصل اللغة التي هي وضع الاسماء على المسميات ولم يوجد فيها
أن الوجه الملمع يسمى شمساً ولا أن الرجل الجواد يسمى بحراً واما أهل الخطابة
والشعر فوسعوا في الاساليب المعنوية فذهبوا الى الحقيقة الى المجاز ولم يكن ذلك من
واضح اللغة في أصل الوضع ولهذا اختص ~~كل~~ عندهم بشي اخترعه في
التوسعات المجازية وهذا امر القيس قد اخترع شي لم يكن قبله فمن ذلك أنه
أول من عبر عن الفرس بقوله قيدا لا وابد ولم يسمع ذلك لاحد من قبله وقد روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم حنين الآن حى الوطيس وأراد بذلك
شدة الحرب فان الوطيس في أصل الوضع هو التنور فتنقل الى الحرب استعارة
ولم يسمع هذا اللفظ على هذا الوجه من غير النبي صلى الله عليه وسلم وواضح
الافسة ما ذكر شيأ من ذلك فعلنا حتى نقذف من الالفنة حقيقة بوضعه ومجازا
بتوسعات أهل الخطابة والشعر وفي زماننا هذا قد يحترمون أشياء من المجاز
على حكم الاستعارة لم تكن من قبل ولو كان هذا موقفا من جهة واضع
اللغة لما اخترعه أحد من بعده ولا زيد فيه ولا نقص منه واما الفرق بينه وبين
الحقيقة فهو أن الحقيقة جارية على العموم في تظاير ألا ترى أنما اذا قلنا فلان
عالم صدق على كل ذي علم بخلاف واسأل القرية لانه لا يصح الا في بعض
الجمادات دون بعض اذا مراد أهل القرية لانهم عن يصح السؤال لهم ولا يجوز
أن يقال واسأل الحجر والتراب وقد يحسن أن يقال واسأل الربيع والطلل (واعلم)
أن كل مجاز فله حقيقة لانه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز الا لانه عن حقيقة

موضوعه اذ الجواز هو اسم للموضع الذي يتقل فيه من مكان الى مكان فجعل
ذلك انقل الالفاظ من الحقيقة الى غيرها واذا كان كل مجاز لا يتقله من حقيقة
نقل عنها الى حالته الجوازية فكذلك ليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها
مجاز فان من الاسماء ما لا مجاز له كاسماء الاعلام لانها وضعت للفرق بين الذات
لا للفرق بين الصفات وكذلك فاعلم أن الجواز أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب
الفصاحة والبلاغة لانه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التي هي الاصل أولى
منه حيث هو فرع عليها وليس الامر كذلك لانه قد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام
اللطابي هو اثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى
يكاد يتطرا اليه عيانا ألا ترى أن حقيقة قولنا زيد أسدي قولنا زيد شجاع لكن
فرق بين القولين في التصوير والتخييل واثبات الغرض المقصود في نفس السامع
لأن قولنا زيد شجاع لا يتخيّل منه السامع سوى أنه رجل جرى مقدام فاذا قلنا
زيد أسدي يتخيّل عند ذلك صورة الأسد وهيئته وما عنده من البطش والقوة ودق
الفراتس وهذا النزاع فيه وأجيب ما في العبارة الجوازية أنها تنقل السامع
عن خلقه الطبيعي في بعض الاحوال حتى أنها تسمح به التخييل ويشجع به
الخيال ويحكم به الطائش المتسرع ويجرد الخطاب به ما عند سماعها نشوة كشوة
النمر حتى اذا قطع عنه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منه من بذل مال أو ترك
حقوبة أو اقدام على أمر مهول وهذا هو فخوى النهر الحلال المستغنى من
القائم العصا والخيال (واعلم) أنه اذا ورد عليك كلام يجوز أن يحتمل معناه
على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف أقطه فانظر فان كان لا مزية لعناء
في حمله على طريق المجاز لا ينبغي أن يحتمل الاعلى طريق الحقيقة لانها هي
الاصل والمجاز هو الفرع ولا يعدل من الاصل الى الفرع الا لفائدة مثال ذلك
قول البصري

مهيّب كذا السيف لو ضربت به * ذرى أجاظك واعلامها وهذا
ويروى أيضا لو ضربت به طلى أجا جمع طلبة وهي العنق فهذا البيت لا يجوز حمله
على المجاز لان الحقيقة أولى به ألا ترى أن الذرى جمع ذروة وهو أعلى الشيء يقال
ذروة الجبل أعلاه والطلّى جمع طلبة وهي العنق والعنق أعلى الجسد ولا فرق بينهما
في صفة العلو هنا فلا يعدل اذا الى المجاز اذا لم يزد على الحقيقة فهو هكذا كل

ما يجي من الكلام الجاري هذا الجري فانه ان لم يكن في الجواز زيادة فائدة على الحقيقة لا يهدل اليه

(الفصل الثامن في الفصاحة والبلاغة) اعلم أن هذا باب منهذره على الواجب ومنالك متوخر على الناهج ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه والبحث عنه ولم أجد من ذلك ما يعول عليه الا القليل وغاية ما يقال في هذا الباب ان الفصاحة هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوي يقال أفصح الصبح اذا ظهر ثم انهم يعفون عند ذلك ولا يكشفون عن السر فيه وبهذا القول لا تبين حقيقة الفصاحة لانه يعترض عليه بوجوده من الاعتراضات أحدها أنه اذا لم يكن اللفظ ظاهرا لئلا لم يكن فصيحاً ثم اذا ظهر بين صار فصيحاً الوجه الآخر أنه اذا كان اللفظ القصيح هو الظاهر البين فقد صار ذلك بالنسب والاضافات الى الأشخاص فان اللفظ قد يكون ظاهراً زليلاً ولا يكون ظاهراً عموماً فهو اذا فصيح من هذا وفيه فصيح عند هذا وليس كذلك بل القصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الأحوال لانه اذا تحقق حد الفصاحة وعرف ما هي لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف الوجه الآخر أنه اذا جىء باللفظ قبيح يتصور منه السمع وهو مع ذلك ظاهراً بين ينبغي أن يكون فصيحاً وليس كذلك لان الفصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبيح فهذه الاعتراضات الثلاثة وارودة على قول القائل ان اللفظ القصيح هو الظاهر البين من غير تفصيل وانما وقفت على أقوال الناس في هذا الباب ملكتني الحيرة فيها ولم يثبت عندي منها ما أعول عليه واكثره ولا يسقى هذا الفن ومعاركتي اياه انكشفت لي السر فيه وسأوضحه في كتابي هذا واحقق القول فيه فاقول ان الكلام القصيح هو الظاهر البين راعى بالظاهر البين أن تكون اللفظة موهمة لا يحتاج في فهمها الى استخراج من كتاب لغة وانما كانت بهذه الصفة لانها تكون مألوفاً للاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم وانما كانت مألوفاً للاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الاقفاط لمكان حسناتها وذلك أن أرباب النظم والنثر يرضون بالغة باعتبار الفاظها وسبوا وقصصها واختاروا الحسن من اللفاظ فاستعملوه ونهوا القبيح منها فلم يستعملوه فحسن الاستعمال سلب استعمالها دون غيرها واستعملها لها دون غيرها سلب ظاهرها وبها انما فالقصيح اذا من اللفاظ هو الحسن (فان قيل)

من أى وجه علم أرباب النظم والنثر الحسن من الالفاظ حتى استعملوه وعلموا
 القبيح منها حتى نفوه ولم يستعملوه (قلت فى الجواب) ان هذان الامور المحسوسة
 التى شاهدناها من نفسها لان الالفاظ داخله فى حيز الاصوات فالذى يستلذه
 السمع منها ويحيل اليه هو الحسن والذى يكرهه ويتفر عنه هو القبيح ألا ترى أن
 السمع يستلذ صوت البابل من الطير وصوت الشجر ورويعيل اليه وما ويكره صوت
 الغراب ويتفر عنه وكذلك يكره نهيق الحمار ولا يجد ذلك فى صهيل الفرس
 والالفاظ جارية هذا المجرى فانه لا خلاف فى أن لفظة المزة والديعة حسنة يستلذهها
 السمع وأن لفظة البعاق قبيحة يكرهها السمع وهذه اللفظان الثلاثة من صفة
 المطر وهى تدل على معنى واحد ومع هذا فانك ترى لفظى المزة والديعة وما جرى
 مجراهما مألوف الاستعمال وترى لفظ البعاق وما جرى مجراه متروكا لا يستعمل
 وان استعمل فانما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة أو من ذوقه غير ذوق سليم
 لاجرم أنه ذم وقبح فيه ولم يلتفت اليه وان كان عربيا محضاً من الجاهلية
 الاقدمين فان حقيقة الشئ اذا علمت وجب الوقوف عندها ولم يعرج على
 ما خرج عنها واذن ثبت أن الفصحى من الالفاظ هو الظاهر البين وانما كان ظاهراً
 بينا لانه مألوف الاستعمال وانما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه وحسنه
 مدرك بالسمع والذى يدرك بالسمع انما هو الالفاظ لانه صوت يأتلف عن مخارج
 الحروف فبالاستلذه السمع منه فهو الحسن وما كرهه فهو القبيح والحسن هو
 الموصوف بالفصاحة والقبيح غير موصوف بالفصاحة لانه ضد ما لمكان قبحه
 وقد مثلت ذلك فى المثال المتقدم بلطفة المزة والديعة ولفظة البعاق ولو كانت
 الفصاحة لا مرجع الى المعنى لكانت هذه الالفاظ فى الدلالة عليه سواء ليس
 منها حسن ومنها قبيح ولما لم يكن كذلك علمنا أنها تخص الانطادون المعنى وليس
 لقائل ههنا أن يقول لا لفظ الابعى فكيف فصلت أنت بين اللفظ والمعنى فأنى لم
 أفصل بينهما وانما خصصت اللفظ بصفة هى له والمعنى يحى فيه ضمنا وتبعاً (الوجه
 الثانى) ان وزن فعيل هو اسم فاعل من فعل بفتح الفاء وضم العين نحو كرم فهو
 كريم وشرف فهو شريف ولطف فهو لطيف وهذا مطلق فى باب وعلى هذا فان
 اللفظ الفصحى هو اسم فاعل من فصيح فهو فصيح واللفظ هو الفاعل لا بالانتماء عن
 المعنى فكانت الفصاحة مختصة به (فان قيل) انك قلت ان الفصحى من الالفاظ

هو الظاهر البين أى المفهوم ونرى من آيات القرآن ما لا يفهم ما تضمنه من المعنى
 الاستنباط وتفسير تلك الآيات فصيحة لا محالة وهذا بخلاف ما ذكرته (قلت)
 لأن الآيات التى تستنبط وتحتاج الى تفسير ليس شئ منها الا ومفردات ألفاظه
 كلها ظاهرة واضحة وانما التفسير يقع فى غموض المعنى من جهة التركيب لا من
 جهة ألفاظه المفردة لأن معنى المفردة يتداخل بالتركيب ويصير له هيئة تخصه
 وهذا ليس قد حافى فصاحة تلك الالفاظ لانها اذا اعتبرت لفظة لفظة وجدت كلها
 فصيحة أى ظاهرة واضحة وأجيب ما فى ذلك أن تكون الالفاظ المفردة التى
 تركبت منها المركبة واضحة كلها واذا نظر اليها مع التركيب احتاجت الى استنباط
 وتفسير وهذا لا يختص به القرآن وحده بل فى الاخبار النبوية والشعار والخطب
 والمكاتبات كثير من ذلك (وسأورد ههنا منه شيئا فأقول) قد ورد عن النبي صلى
 الله عليه وسلم أنه قال صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون وأضحاكم يوم
 تفخون وهذا الكلام مفهومة مفردات ألفاظه لأن الصوم والنظر والاضحى
 مفهومة كما واذا سمع هذا الخبر من غير فكرة قبل علمنا أن صومنا يوم نصوم وفطرنا
 يوم نفطر واضحنا يوم نضحى فما الذى أعلمنا به بحال نعلمه واذا علمنا النظر فظهر فيه
 علم أن معناه يحتاج الى استنباط والمراد به أنه اذا اجتمع الناس على أن أول شهر
 رمضان يوم كذا ولم يكن ذلك اليوم أوله فإن الصوم صحيح وأوله هو ذلك اليوم
 الذى اجتمع الناس عليه وكذا يقال فى يوم الفطر ويوم الاضحى ولهذا الخبر
 المشار اليه أشباه كثيرة تفهم معانى ألفاظها المفردة واذا تركبت تحتاج
 فى فهمها الى استنباط (وأما) ما ورد من ذلك شعرا فلك قول أبى تمام

ولهت فأظلم كل شئ دونها * وأضاء منها كل شئ مظلم

فإن الوله والظلمة والاضاءة كل ذلك مفهومة المعنى لكن البيت بجملة يحتاج
 فى فهمه الى استنباط والمراد به أنها ولهت فأظلم ما بينى وبينها الما نا الى من الخزع
 لولهها كما بقول الجوازع أظلمت الارض على أى انى صرت كالأعمى الذى
 لا يبصر وأما قوله وأضاء منها كل شئ مظلم أى وضح لي منها ما كان مستترا عني
 من حبها اباى وكذلك ورد قول أبى عبادة البصري فى متهزم

اذا سار بهباعد ظهر أعدوه * وكان الصديق بكرة ذلك السهب

فإن السير والسهب والظهور والعروق والصديق كل ذلك مفهومة المعنى لكن البيت

بحجوه وعنه يحتاج معناه الى استنباط والمراد أن هذا المنزوم يرى ما بين يديه
 محبوبا اليه وما خلفه ~~مكر~~ وها عنده لأنه يطلب النجاة فيؤثر البعد عما خلفه
 والقرب عما أمامه فإذا قطع سهبا وخلفه وراءه صار عنده كالعقد وقيل أن يقطعه
 كان له صدقاً أي يطلب لقائه ويحب الدنو منه فانظر أي المتأمل الى ما ذكرته
 من هذه الامثلة حتى يثبت عندك ما أردت بيانه (وأما البلاغة) فإن أصلها في
 وضع اللغة من الوصول والانتهاى يقال بلغت المكان إذا انتهيت اليه ومبلغ الشيء
 منتهاه وسمى الكلام بليغاً من ذلك أي أنه قد بلغ الاوصاف اللفظية والمعنوية
 والبلاغة شاملة للالفاظ والمعاني وهي أخص من الفصاحة كالإنسان من
 الحيوان فكل إنسان حيوان وليس كل حيوان إنسانا وكذلك يقال كل
 كلام بليغ فصيح وليس كل كلام فصيح بليغاً ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه
 آخر غير الحواس والعلم وهو أنهما لا يتكونا الا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب
 فإن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة ويطلق عليها اسم الفصاحة
 اذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن وأما وصف البلاغة فلا
 يوجد فيها تلوهام من المعنى المفيد الذي ينظم كلاماً (مسئلة تتعلق بهذا الفصل)
 هل أخذ علم البيان من ضرور الفصاحة والبلاغة بالاستقراء من أشعار العرب
 أم بالنظر وقضية العقل (الجواب) عن ذلك أنا نقول لم يؤخذ علم البيان
 بالاستقراء فإن لمزب الذين ألفوا الشعر والحكايا لم يؤخذوا من حكايا أئمة
 أنهم ابتدعوا ما أنوبه من ضرور الفصاحة والبلاغة بالنظر وقضية العقل أو
 أخذوه بالاستقراء من كان قبلهم فإن كانوا ابتدعوه عند وقوفهم على
 أسرار اللغة ومعرفة جيدها من رديئها وحسنها من قبيحها فكذلك هو الذي
 أذهب اليه وإن كانوا أخذوه بالاستقراء من كان قبلهم فهذا يتسلسل الى أول
 من ابتدعه ولم يستقره فإن ~~كل~~ لغة من اللغات لا تعلم من وصفي الفصاحة
 والبلاغة المختصين بالالفاظ والمعاني الا أن لغة العربية منيرة على غيرها لما فيها
 من التوسعات التي لا توجد في لغة أخرى سواها (مسئلة أخرى تتعلق به هذا
 الفصل أيضاً) هل علم البيان من الفصاحة والبلاغة جار مجرى علم النجوم لا
 (الجواب) عن ذلك أنا نقول الفرق بينهما ظاهر وذلك أن أقسام النجوم أخذت
 من واضعها بالتقليد حتى لو ~~كس~~ القضية فيها الجازلة ذلك ولما كان

العقل يأباه ولا يشكره فإنه لو جعل الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا قلده في ذلك كما قلده في رفع الفاعل ونصب المفعول وأما علم البيان من الفصاحة والبلاغة فليس كذلك لأنه استنبطت بالنظر وقضية العقل من غير واضع اللغة ولم يقتصر فيه إلى التوقيف منه بل أخذت ألفاظ ومعاني على هيئة مخصوصة وحكمها العقل بجزية من الحسن لا يشاركها فيها غيرها فان كل عارف بأسرار الكلام من أي لغة كانت من اللغات يعلم أن إخراج المعاني في ألفاظ حسنة راقية بلذها السمع ولا ينبو عنها الطبع خير من إخراجها في ألفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع ولو أراد واضع اللغة خلاف ذلك لما قلدهناه (فان قيل) لو أخذت أقسام النحوي بالقليد من واضعها لما أقيمت الأدلة عليها وعلم بقضية النظر أن الفاعل يكون مرفوعا والمفعول منصوبا (فالجواب) من ذلك أنا نقول هذه الأدلة واهية لا تثبت على محك الجدل فان هؤلاء الذين تصدوا لإقامتها جمعوا عن واضع اللغة رفع الفاعل ونصب المفعول من غير دليل إبداء لهم فاستخرجوا ذلك أدلة وعلا لا والافن أين علم هؤلاء أن الحكمة التي دعت الواضع إلى رفع الفاعل ونصب المفعول هي التي ذكروها

(الفصل التاسع في أركان الكتابة) اعلم أن الكتابة شرائط وأركان (أما) شرائطها فكثيرة وهذا التأليف موضوع لجمعها وللقسم الآخر من الكلام المنظوم وليس يلزم الكاتب أن يأتي بالجميع في كتاب واحد بل يأتي بكل نوع من أنواعها في موضعه الذي يليق به كما أرى بناء فيما يأتي من هذا التأليف (وأما) الأركان التي لا بد من إبداءها في كل كتاب بلاغي ذي شأن نفيسة (الأول) أن يكون مطلع الكتاب عليه حدة ورشاقة فان الكاتب من أجاد المطلاع والمقطع أو يكون مبنيا على مقصد الكتاب ولهذا باب يسمى باب المبادئ والافتتاحات فليحذ حذوه وهذا الركن يشترك فيه الكاتب والشاعر (الركن الثاني) أن يكون الدعاء المودع في صدر الكتاب مشتقا من المعنى الذي بنى عليه الكتاب وقد نبهنا على طرف من ذلك في باب يخصه أيضا فليطلب من هذا النوع هو مما يدل على حذاقة الكاتب وفطنته وكثيرا ما تجده في مكتبات التي أنشأتم إنا في قصده فيها وقوخته بخلاف غيري من الكتاب لأنه ربما يوجد في كتابة غيري قليلا وتجدد في كتابي كثيرا (الركن الثالث) أن يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى

وهذا الموضع بعيد المثال كثيرا الاشكال يحتاج الى اطف ذوق وشهامة خاطر
وهو شبهه بالشئ الذي يقال انه لا داخل العالم ولا خارج العالم فلفظه هو الذي
يستعمل وليس بالذي يستعمل أى أن مفردات اللفظه هي المستعملة المؤلفه
ولا يمكن سبكه وتركيبه هو الغريب العجيب واذا سموت أيم الكاتب الى هذه
الدرجة واستطعت طم هذا الكلام المشار اليه علمت حينئذ أنه كالروح الساكنة
في بدنك التي قال الله فيها قل الروح من أمر ربي وليس كل خاطر يراق الى هذه
الدرجة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومع هذا فلا تظن
أيها الناظر في كتابي أني أردت بهذا القول اهـ مال جانب المعاني بحيث يؤتى باللفظ
الموصوف بصفات الحسن والملاحه ولا يكون تحتها من المعاني ما يجاء به وبها وبه
فانه اذا كان كذلك كان كصورة حسنة بدية في حسنها الا أن صاحبها بليد أبله
والمراد أن تكون هذه الالفاظ المشار اليها جسيما للمعنى شريف على أن تصحىل
المعاني الشريفة على الوجه الذي أشرت اليه أيسر من تصحىل الالفاظ المشار
اليها (ويحكى) عن المبرر درجه الله تعالى أنه قال ليس أحد في زمانى الا وهو يسألني
عن مشكل من معاني القرآن أو مشكل من معاني الحديث النبوى أو غير ذلك من
مشكلات علم العربية فأنا امام الناس في زمانى هذا واذا عرضت لى حاجة الى بعض
اخوانى وأردت أن أكتب اليه شيئا في أمرها أجهم عن ذلك لاني أرتب المعاني في
نفسى ثم أحاول ان أصوغه بالفاظ مرضية فلا أستطيع ذلك ولقد صدق في قوله
هـ ذا وأنصف غاية الانصاف ولقد رأيت كثيرا من البهال الذين هم من السوقة
أرباب الحرف والصنائع ومما هم الامن يقع له المعنى الشريف ويظهر من خاطره

المعنى الدقيق والمكنه لا يحسن أن يزوج بين لفظتين فالعبارة عن المعاني
هي التي تخالب بها العقول وعلى هذا فالناس كلهم مشتركون في استخراج المعاني
فانه لا يمنع الجاهل الذي لا يعرف علما من العلوم أن يكون ذكيا بالفطرة واستخراج
المعاني انما هو بالذكاء لا بتعلم العلم وبلغني أن قوما يغيثون من رعايا العامة
يطوفون بالليل في شهر رمضان على الحارات وينادون بالسحور ويخرجون ذلك
في كلام موزون على هيئة الشعر وان لم يكن من بحار الشعر المنقولة عن العرب
وسمعت شيئا منه فوجدت فيه معاني حسنة مريحة ومعاني غريبة وان لم تكن
الالفاظ التي صيغت به صيغة وهذا الركن أيضا يشترك فيه الكاتب والشاعر
(الركن الخامس) أن لا يخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم
والاخبار النبوية فانها معدن الفصاحة والبلاغة ويرا ذلك على الوجه الذي
أشرت اليه في الفصل الذي يلي هذا الفصل من حل معاني القرآن الكريم
والاخبار النبوية أحسن من ابراده على وجه التضمن وتوحي ذلك في كل كتاب
عشر جذا أو أنا أفردت بذلك دون غيري من الكتاب فاني استعملته في كل
كتاب حتى انه ليأتى في الكتاب الواحد في عدة مواضع منه ولقد أنشأت تقليدا
لبعض الملوك مما يكتب من ديوان الخلافة ثم اني اعتبرت ما ورد فيه من معاني
الآيات والاخبار النبوية فكان ما يزيد على الخمسين وهذا لا أتكلفه تكلفا وانما
يأتى على حسب ما يقتضيه الموضع الذي يذكر فيه وقد عرفتك أيها الكاتب كيف
تستعمل ما تستعمله من ذلك في الفصل الذي يأتي بعد هذا الفصل فخذ من هناك
وهذا الركن يختص بالكاتب دون الشاعر لان الشاعر لا يلزمه ذلك اذا شعر
أكثر مدائح وأيضا فانه لا يتمكن من صوغ معاني القرآن والاخبار في المظوم
كما يتمكن منه في المثنوي ولربما يمكن ذلك في الشيء اليسير في بعض الاحيان
(واذا) استكملت معرفة هذه الاركان الخمسة وأتيت بها في كل كتاب بلاغى ذى
شأن فقد استجعت حجة فضيلة التقدم ووجب لك أن تسمى نفسك كاتباً
(الفصل العاشر في الطريق الى تعلم الكتابة) هذا الفصل هو كنز الكتابة ومنبعها
وما رأيت أحدا تكلم فيه بشئ وما حبيت الى هذه الفضيلة وبلغني الله منها
ما بلغني وجدت الطريق ينقسم فيها الى ثلاث شعب (الاولى) أن يتصفح
الكاتب كتابة المتقدمين ويطالع على أوضاعهم في استعمال الالفاظ والمعاني

ثم يحدو رحلهم وهذه أدنى الطبقات عندي (الثانية) أن يمزج كتابة المتقدمين بما يستجيده لنفسه من زيادة حسنة إما في تحسين ألفاظ أو في تحسين معاني وهذه هي الطبقة الوسطى وهي أعلى من التي قبلها (الثالثة) أن لا يتصفح كتابة المتقدمين ولا يطلع على شيء منها بل يصرف همه إلى حفظ القرآن الكريم وكثير من الأخبار النبوية وعدة من دواوين فحول الشعراء من غلب على شعره الإجابة في المعاني والالفاظ ثم يأخذ في الاقتباس من هذه الثلاثة أعني القرآن والأخبار النبوية والشعار فيقوم ويقع ويخطئ ويصيب ويضل ويهتدي حتى يستقيم على طريقة يفتضحها لنفسه وأخلق بتلك الطريق أن تكون مبدعة غريبة لا شراكة لأحد من المتقدمين فيها وهذه الطريق هي طريق الاجتهاد وصاحبها يعتد بما في فن الكتابة كما يعتد الشافعي وأبو حنيفة ومالك رضي الله تعالى عنهم وغيرهم من الأئمة المجتهدين في علم الفقه إلا أنهم استوعروا جردا ولا يستطيعونها إلا من رزقه الله تعالى إسانا هجيا ما وخطر ارتقاها وقد سهلت لك صعابها وأذلت محاسنها وكنت أشح باظهار ذلك لما عاينت من نيله من العناء فإني سلكت إليه كل طريق حتى بلغت آخره وانما تكون نفاسة الأشياء اعزتها حصواها ومشقة وصولها

ليس حلوا وجود ذلك الشيء تبغيه طلابا حتى يعز طلابه

واقدمارست الكتابة ممارسة كشفت لي عن أسرارها وأظفرتني بكنوز جواهرها اذ لم يظفر غيري بأبحارها فما وجدت أعون الأشياء عليها الاحل آيات القرآن الكريم والأخبار النبوية وحل الآيات الشعرية وقد قصرت هذا الفصل على ذكر جواهرها وتقسيمها وتعميد الطريق إلى تعليمها فمن وقف على ما ذكرته علم أني لم أت شيئا فريا وإن الله قد جعل تحت خواطري من نبات الافكار سريرا وهذه الطريق يجعلها كثير من متعاطي هذه الصناعة والذي يعلمها منهم يرضى بالحواشى والاطراف ويقنع من لاكتفاء بعرفته ما في الاصداف ولو استخرج منها ما استخرجت واستنتج ما استنتجت اهتم بها في كل واد وتزود الى سلوك طريقها كل زاد

لو يجمعون كما سمعت كلامها * خروا العزرة ركعوا وهودا

ولا أريد به هذه الطريق أن يكون الكاتب من تبطاني كتابته بما يستخرج به من القرآن الكريم والأخبار النبوية والشعر بحيث أنه لا ينشئ كتابا إلا من ذلك بل

أريد أنه إذا حفظ القرآن الكريم وأكثره من حفظ الاخبار النبوية والاشعار ثم
 نقب عن ذلك تنقيب مطاع على معانيه مقتش عن دقائقه وقلبه ظهر البطن عرف
 حيثئذ من أين توكل الكتف فيما يشاء من ذات نفسه واستعان بالمحفوظ
 على العريضة الطبيعية ألا ترى أن صاحب الاجتهاد من الفقهاء يفتقر الى معرفة
 آيات الاحكام واخبار الاحكام والى معرفة الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة
 والى معرفة علم العربية والى معرفة الفرائض والحساب من المعلوم والمجهول من
 أجل مسائل الدور والوصايا وغيرها والى معرفة اجماع الصحابة فهذه أدوات
 الاجتهاد فإذا عرفها استخرج بفسكرته حيثئذ ما يؤدبه اليه اجتهاده كما فعل أبو
 حنيفة والشافعي ومالك وغيرهم من أئمة الاجتهاد وكذلك يجري الحكم في
 الكتاب إذا أحب الترقى الى درجة الاجتهاد في الكتابة فإنه يحتاج الى أشياء
 كثيرة قد ذكرتها في صدر كتابي هذا ألا أن رأسها وودها وذروة سنامها ثلاثة
 أشياء هي حفظ القرآن الكريم والاكتراث من حفظ الاخبار النبوية والاشعار
 وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع فأقول ما بدأ به على عقب ذلك أن أقول
 حل الايات الشعرية ينقسم الى ثلاثة أقسام (الاول) منها وهو أدناها مرتبة
 أن يأخذ الناثر ينسج الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة وهو ذا عيب فاحش
 ومثاله كن أخذ عقد اقد اتقن نظمه وأحسن تأليفه فأوهاه وبدده وكان يقوم
 صدره في ذلك أن لو نقله عن كونه عقد الى صورة أخرى مثله أو أحسن منه
 وأضافه إذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهورا السرقة فيقال هذا شعر
 فلان بعينه ~~لكن~~ كون اللفاظ باقية لم يتغير منها شيء وقد سلك هذا المسلك بعض
 العراقيين فجاء مستهجننا المستهجنات كقوله في بعض آيات الحماسة

والذي حنق على كائنا • تغلى عداوة صدره في رجل

أرجيته حق فأبصر صدره • وكويته فوق النواظر من حل

(فقال) في نثر هذين البيتين فكلم لي الذي حنق كأنه ينظر الى الكواكب

من حل وتغلى عداوة صدره في رجل فكروا فوق ناظره وأكبه لضمه

ويديه فلم يزد هذا النثر على أن أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لا غير ومن

هذا القسم ضرب محمود لا عيب فيه وهو أن يكون البيت من الشعر قد تضمن شيئا

لا يمكن تغيير لفظه فحينئذ يذرع نثره إذا أتى بذلك اللفظ ومثاله قول الشاعر في

أول المجاسة

لو كنت من مازن لم تستج ابلى • بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانما
(وقد) نثرت ذلك فقلت است من تستج ابلى بنو اللقيطة ولا الذي اذاهم بأمر
كانت الآمال اليه وسيطة ولكني أحمل الهمل وأقرب الامل وأقول سبق
السيف العذل فذكرني اللقيطة ههنا لا بد منه على حسب ما ذكره الشاعر
وكذلك الامثال السائرة فانه لا بد من ذكرها على ما جاءت في الشعر (وأما
القسم الثاني) وهو وسط بين الاول والثالث في المرتبة وهو أن يثر المعنى المنظوم
ببعض ألفاظه ويعزم عن البعض بألفاظ أخرى وهناك تظهر الصنعة في المماثلة
والمشابهة ومواخاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المرتجلة فانه اذا أخذ لفظ الشاعر
محمدا قد نفعه وصححه فقرنه بما لا يلائمه كان كمن جمع بين أولوة وحصاة ولا خفاء بما
في ذلك من الانتصاب للقدح والاستهداف للطعن والطريق المسلول الى هذا
القسم أن تأخذ بعض بيت من الابيات الشعرية هو أحسن ما فيه ثم عماله
وسأورده ههنا مثالا واحدا ليكون قدوة للمتعلم (فأقول) قد ورد هذا البيت من
شعر أبي تمام في وصف قصيدة له

وحداة تلا كل أذن حكمة • وبلاغة وتندر كل ويريد

فقوله تلا كل أذن حكمة من الكلام الحسن وهو أحسن ما في البيت فاذا
أردت أن تثر هذا المعنى فلا بد من استعمال لفظه بعينه لانه في الغاية
القصد من الفصاحة والبلاغة فعليك حينئذ أن تؤاخي به مثله وهذا أمر جندا
وهو عندي أصعب مثالا من نثر الشعر بغير لفظه لانه مما لا مضيق لمافيته من
العرض لمماثلة ما هو في غاية الحسن والجلودة وأما نثر الشعر بغير لفظه فذلك
يتصرف فيه نثره على حسب ما يراه ولا يصحكون مقيدافيه بمثال يضطر الى
مواخاته وقد نثرت هذه الكلمات المشار اليها وأتيت بها في جملة كتاب فقلت
وكلامي قد عرف بين الناس واشتهر وفاق مسير الشمس والقمر واذا عرف
الكلام صارت المعرفة له علامة وأمن من سرقة اذ لو سرق لدلت عليه
الوسامة ومن خصائص صفاته أن يلائم كل أذن حكمة ويجعل فصاحة كل
لسان بحكمة واذا جرت نفثاته في الافهام قالت أهذه بيت فكرة أم بنت كريمة
فانظر كيف فعلت في هذا الموضع فاني لما أخذت تلك الكلمات من البيت

الشعري التزم بأن أو أخيهما ساجدا هو مثلهما أو أحسن منها فحشت بهذا الفصل
 كما تراه وكذلك ينبغي أن يفعل فيما هذا سبيله (وأما القسم الثالث) وهو أعلى من
 القسمين الأولين فهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بالفاظ غير ألفاظه وشرهيتين
 حذف الصانع في صياغته ويؤمل مقدار تصرفه في صناعته فإن استطاع الزيادة
 على المعنى فذلك الدرجة العالية والأحسن التصريح وأتقن التأليف ليكون
 أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول (واعلم) أن من أبيات الشعر ما يتسع المجال
 لثلاثة فيورده بضروب من العبارات وذلك عندى شبيه بالمسائل السبالية في
 الحساب التي يجاب عنها بعدة من الاجوبة ومن الأبيات ما يضيئ فيه المجال
 حتى يكاد الماهر في هذه الصنعة أن لا يخرج عن ذلك اللفظ ولها يكون هذا
 لعدم الظهور فأما ما يتسع المجال في ثمره فكقول أبي الطيب المتنبي
 لا تعزل المشتاق في أشواقه * حتى يكون حشا في أحشائه

وقد ثرت هذا المعنى فن ذلك قولي لا تعزل المحب فيما يهواه حتى تطوى القلب
 على ما طواه ومن ذلك وجه آخر وهو إذا اختلفت العينان في النظر فالعذل
 ضرب من الهذب ومن هذا الباب قول أبي الطيب المتنبي أيضا
 إن القتل مضر جابده موعه * مثل القتل مضر جابده مائه

أخذت هذا المعنى فثمرته فن ذلك قولي القتل بسيف العيون كالقتل
 بسيف المنون غير أن ذلك لا يجزئ من غمده ولا يقاد صاحبه به مده فزدت على
 المعنى الذي تضمنه البيت وغيرت اللفظ وعن ذلك وجه آخر وهو دمج المحب
 ودم القتل متفقان في التشبيه والقتل ولا تجدي بينهما بونا إلا أنهم لا يجتمعان
 لونا وهذا أحسن من الأول * وأما ما يضيئ فيه المجال فيعسر على الشاعر
 تبديل ألفاظه فكقول أبي تمام

ترقى ثياب الموت جرائعا أتى * لها الليل الأوهى من سندس خضر

وقول أبي الطيب المتنبي

وكان به مثل الجنون فأصبت * ومن جئت القتل عليها غائم

وأما هذا الثاني الأقل وسببه أن المعنى يخصص في مقصد من المقاصد حتى
 لا يكاد يأتي الاقتدا كهذين البيتين ألا ترى أن أبا تمام قصد المواجهة في ذكر لوني
 الشيا من الاسمر والاحضر وجاء ذلك واقعا على المعنى الذي أراد من لون ثياب

القتلى وثياب الجنة فاذا نظم هذا البيت وأريد صوغه بغير انظمه لا يمكن ذلك
 وبيت أبي الطيب جار هذا الجري فانه بناء على واقعة من الوقائع وذلك ان حصنا
 من حصون سيف الدولة قصد الروم وانتزعه وأخربوه فهدم سيف الدولة اليه
 واسترجعه وجدد بنيانه وهزم الروم ونصب من جثث القتلى على السور فنظم
 المتنبي في هذا قصيدته الأولى * على قدر أهل العزم تأتي العزائم * فلما انتهى الى ذكر
 الحصن جاء به هذا البيت في جملة أبيات فشرح صورة الحال في ازعاج الحصن
 بالقتال وتعليق القتلى عليه وأبرز ذلك في معنى التمثيل بالجنون والتمائم وهذا
 لا يمكن تبديل انظمه وهو أمثاله مما يجب على الناظر أن يحسن الصناعة في ذلك
 نظامه لانه يصدى لثمره بالاضافة فان كان عنده قوة تصرف وبسطة عبارة فانه
 يأتي به حسنا راقيا وقد نثرت هذين البيتين أما بيت أبي تمام فاني قلت في ثمره لم
 تكسبه المنايا نسج شفاها حتى كسبه الجنة نسج شفاها فبديل آخر ثوبه
 بأخضره وكأمن سامه بكاس كونه وهذا من الحسن على غاية يكون كد
 حسودها من جملة شهودها وأما بيت أبي الطيب المتنبي فاني قلت في ثمره سري
 الى حصن كذا مسددة عياد منه سبية نزعا للعدو واختلاسا وأخذها بخدعة
 لا افتراسا فأنزلها حتى استفادها ولا نزلها حتى استفادها وكأمنها كان بها
 جنون فبعث اليها من عزائم عزائم وعاق عليها من رؤس القتلى تمام وفي هذا
 من الحسن ما لا يخفى به فمن شاء أن ينثر شعرا فلينثر هكذا ولا فليترك وقد جئت
 بهذا المعنى على وجه آخر وأبرزته في صورة أخرى وذلك اني أضفت الى هذا البيت
 البيت الذي قبله وهو

بناها فأعلى والقنات قرع القنا * وموج المنايا حواها متلاطم
 ولما نثرت هذين البيتين قلت في ثمرهما ما أذكره وهو بناها والاسنة في بناها
 من خواصمة وأمواج المنايا فوق أيدي البائين متلاطمة وما أحلت الحرب عنها
 حتى زلات أقطارها برقص الجياد وأصيبت بمثل الجنون فعلمت عليها تمام من
 الرؤس والاحساد ولا شك أن الحرب تغرد عن عزجانها ونقول الا هكذا
 فليكتب المجد كاسيه وهذا أحسن من الاول وأتم معنى وقد تصرف في هذا
 الموضع بزيادة في معناه ونثرته على أسلوب أحسن من هذا الأسلوب فقلت بناها
 ودون ذلك البناء شوك الاسل وطوقان المنايا الذي لا يقال ساوي منه الى جبل

ولم يكن بناؤها الا بعد ان هدمت رؤوس عن اعناقى وكانما أصيبت بجنون فعلفت
القتلى عليها مكان القمام أو ثبتت بهطل فعلفت مكان الاطواق . وهذا الفصل
فيه زيادة على الفصل الذى قبله * واذا انتهى بنا الكلام الى ههنا فى التنبيه على
نثر الشعر وكيفية نثره وذكر ما يسهل منه وما يصعب فانتبه ذلك بقول كلى فى هذا
الباب فنقول من أحب أن يكون كاتباً أو كان عنده طبع مجيب فعليه
بحفظ الدواوين ذوات العدد ولا يقنع بالقليل من ذلك ثم يأخذ فى نثر الشعر من
محفوظاته وطريقه أن يتدبّر أولاً خلد قصيداً من القصائد فينثره يتسابق على
التوالي ولا يستنكف فى الابتداء أن ينثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها فإنه
لا يستطيع الا ذلك واذا مرت نفسه وتدرّب خاطره ارتفع عن هذه الدرجة
وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفع عن ذلك حتى يكسوه ضرباً
من العبارات المختلفة وحينئذ يحصل لخطره مباشرة المعانى لقاح فيستنتج منها
معانى غير تلك المعانى وسبيله أن يكثر الادمان ليلالونهم ارا ولا يزال على ذلك مدة
طويلة حتى يصير له ملكة فاذا كتب كتاباً أو خطب خطبة تدفقت المعانى فى أثناء
كلامه وجاءت ألفاظه معسولة لا معسولة وكان عليها حدة حتى تنكاد ترقص
رقصاً وهذا شئ خبرته بالتجربة ولا ينشك مثل خبير (فان قيل) الكلام قسمان
منظوم ومنثور فلم حضضت على حفظ المنظوم وجعلته مادة للمنثور وهلا كان
الامر بالعكس (قلت) فى الجواب ان الاشعاراً أكثر والمعانى فيها أغزر وسبب
ذلك أن العرب الذين هم أصل الفصاحة كل جل كلامهم شعر ولا نجد الكلام
المنثور فى كلامهم الا يسيراً ولو كثرة فانه لم ينقل عنهم بل المنقول عنهم هو الشعر
فأودعوا أشعارهم كل المعانى كما قال الله تعالى ألم تر أنهم فى كل واديه يهيمون ثم جاء
الطراز الاول من المخضرمين فلم يكن لهم الا الشعر ثم استقر الحال على ذلك فكان
الشعر هو الاكثر والكلام المنثور بالنسبة اليه قطرة من بحر وهذا صارت المعانى
كلها مودعة فى الاشعار وحيث كانت بهذه الصورة فكان شئ على حفظها
واستعمال معانيها فى الخطب والمكاتبات لهذا السبب وقد نثرت فى هذا الموضع
أبياتاً تكون قدوة للمتعلم فمن ذلك قولى فى فصل من فصول الكلام يتضمن
ذكر السيادة وهو الشريف من شرف بنفسه لا بما دفن مع أبيه فى ربه
فان تلك مكارم أنت تجعل الزمان بما نأها ثم مات أربابهم فقد فنت مع موتها

ولو ساد الناس بآبائهم لكانت السيادة للطينة الاولى واقد خلق الابناء من
الآباء مجبولا وهذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر

وما الفخر بالعظم الرميم وانما * نفاذ الذي يبغي الفخار بنفسه

غير أن الفصل الذي ذكرته يتضمن من المعنى زيادة على ما تضمنه هذا البيت (ومن
ذلك) ما كتبه في فصل من كتاب يتضمن معاتبة أخ لأخوته وتوصله اليهم فقلت
جرحوا قلبي وحبهم يذهب بألم الجراحة وطرفوا عيني وهم يريدون في نظرها
ملاحظة واذا صدرت الاساءة عن الاحباب لم يكن وقرها وقرأ وأصبحت
وهي منسوبة اذا تجددت الاساءة بالذكورى وما منهم الا من سيطر على يده
ولم يلبس به ولولا أن الاسماء معارف الاشخاص لكان اسمي واردا على اسمي
وكيف أخشن عليهم وقد جعلني الله لهم على اللين أم كيف اذود النفس عنهم
وهي مشقة منهم وآدم بين الماء والطين ومتى أو مل من شجرة في أغصانها كهذه
الأغصان وقد أصيبت جرتومتها بالجداد ولهذا قيل ان الأخوة يتعذر
الاعتياض عنهم ولا يتعذر الاعتياض عن الاولاد آخر هذا الفصل مأخوذ
من شعر ابن الرومي وهو قوله

تعزيت عن أمرك حياتي * ووشك التعزى عن غمارك أجدر

تغدر أن تعاض عن أمهاتنا * وأبنائنا والنسل لا يتعذر

غير أن ابن الرومي ذكر ذلك في تعزية انسان بابنه فتصرفت أنا في هذا المعنى ونقلته
الى هذا الفصل في تضمنه معاتبة أخ لأخوته (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من
كتاب يتضمن ذم المشيب فقلت والعيش كل العيش في سن الحداثة وما يأتي
بعدها فلا يدعى الابن الغناثة وليس بعد الاربعين من مصيف للذة ولا صريع
وهي نهاية القوة الصالحة من الطبائع الاربع فاذا تجاوزها المرء أشقت غمار عمره
على حرصها وصارت زيادته كزيادة التصغير التي هي زيادة تدل على نقصها
وأصبح بعد ذلك يدعى أبا بعدان كان يدعى ابنا وتقصص نوبان المشيب لا يجزئونه
خيلاء ولا يزهى به حسنا وان قيل ان أحسن الشباب شعارا البياض قيل الا هذا
الثوب فانه مستثنى وبكفيه من الفظاعة أن ينظر الاحباب اليه نظرا لجمال
ولولا أن الخلود بعد ما استعبر له لفظة الاشتغال ومن الناس من يداس لونه
بصبغة الخضاب وليس ذلك الاحداد اعلى فقد الشباب وهو في فعله هذا

كاذب ولا يخفى أنس الصادق من وحشة الكذاب وخداع النفس إن تساو عن
بئر المعطلة وقصر المشيد ويحسب أن لها الخروج في ثوب مرقع وهي تراء بعين
الثوب الجديد وبعض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومي وهو قوله

رأيت خضاب المرء بعد مشيبه * حدادا على شرح الشبيبة باليس

غير أن في هذا الفصل معاني كثيرة لطيفة لا توجد في كلام آخر (ومن ذلك) قولي
في وصف الجود والسخاء وهذا الفصل يشتمل على معان متعددة فمنها قولي في
العطاء وهو شافهني أسباب الغنى برؤيته حق كادت تنطق واخضرت أكنان
منزله بعطائه حق كادت تورق ومن فضيلة بره أنه لا يأتي به على أعين الناس وإذا
فرسه عند أنسان رب ذلك الغراس فلا يستكثر ما جادت به صحاب يده ولا
يغنيه عطاء يومه عن عطاء غده وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبي نواس

كانوا إذا غرسوا سقوا وإذا نوا * لم يروا البناهم أسسا

ومن هذا المعنى أيضا قولي وهو أخذ المكارم من سمائها وأرضها وقام بفعلها
في الناس وفرضها وتحلى ببعض أسماء الشهور حتى أصبح بعضها حاسدا لبعضها
فالمحرم للعائد بحرمه ومقر لا طامع في سعادة قدمه وبيع لاندناله ورجب
لا قوال هذا وهذا مأخوذ من قول الفرزدق

يد البدر يبيع الناس فيها * وفي الأخرى الشهور من المحرم

وقد قال الشعراء في ذلك كثير إلا أني أنا تصرفت في هذا المعنى تصرفا لم يتصرف
فيه أحد غيري (ومن هذا المعنى) ما ذكرته في فصل من كتاب وهو واقع
سوي بين أعدائه في البغض وبين أمواله فهذه مغنية بوقع نصاله وهذه مغنية
بصنائع نواله ولو أحب المال لكان أحبه إليه ما يبذله كما أن أحب الناس إليه
من يساله ومن أحسن ما سئله من الكرم أنه جاد حتى يدل رغب العارفين زهدا
ورأي الجاهل عروضا من الصنعة فأبى أن يعتاض من صنائعه جدا وبعض هذا
المعنى مأخوذ من شعر أبي نواس وهو

أبت أعدائي كانوا * لا يبي أمعنى مالا

(ومن ذلك) قولي في وصف القتال وموطن الحرب ووصف الشجاعة والإفجاد
وما يتبعها من ذلك ويحكي معه وهذا الفصل يشتمل على معان مختلفة (فمن ذلك)
مذكرته في وصف العسكر وهو فسرنا في غمامة من الكتاب تظلمها غمامة

من الطيور الاشائب فهذه يضمها البحر من حديد وهذه يضمها بحر من حديد
وما مرت يبلد الا زالت أرضه من مائه وألبست نهاره ثوب ظلماته وبدلت
احراره بعبيده وحراره بامائه وكذلك فعلت بمدينة فلانة وقد ضرب الامن عليها
أسوارا وبعد عهد هابا بالنواب فلم تدخل اهاديارا فهي تخبر عن بلهنية الخلفض
ولم ترع عنه بالانتقال ولا رأت السيف وقد ألقى لونه في ذوائب الاطفال فما
شعراها الا وقد رجعها الجيش بكاهله ورماها بوابله قبل طله وطل السحاب
قبل وابله وبرزت خيل القوم ولهazy فرسانها وهي مستبقة الى طرادها
كاستبقاها الى ميدانها وما منهم الا من تتأود القنا من يده بين لهذين وتستقل
السرج منه ومن جواده بين مطهين فجرت المغاور الى المغاور وتلاقت
الرياح بالاعاصير وكان الطعن بينهم عنافا واللبث وفاقا وسبق ألم الموت ألم
الجراح ونفذت غير مختصة لسرعتها أسنة الرماح وحصل القوم القبضة
وذموا عبي النهضة وحي بالاسرى مقرنين في الاصفاد موقنين أن رؤسهم
هو ارى على تلك الاجساد ولو استطاع رأس أحدهم أن ينكر عنقه لانكره
ولا يؤذوه والمعظم أن يقال ما أعظمه بل يقال ما أحقره وتصرفت أيدي المسلمين
في القتل والنهب وكان للسيف رقاب والسبي رقاب في هذا الفصل معان
كثيرة مستحسنة ومنها ما أخذ من شعر المتنبى كقوله

سحاب من العقبان ترجف تحتها * سحاب اذا استسقت سقته اصوارمه
وكقوله

واستعار الحديد لونا وألقى * لونه في ذوائب الاطفال
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف المسلوبين في فصل من جملة كتاب يتضمن البشري
بترجمة السكتار وهو فلبوا واعاضتهم الدماء عن اللباس فهم في صورة عار
وزيمهم زى كاس وما أسرع ما خيط لهم لباسها المحمر غير أنه لم يجب عليهم
ولم يرتوا وما لبسوه حتى لبس الاسلام شعار النصر الباقي على الدهر وهو شعار
نسجه السمان الخارق لا الصنع الخاذق ولم يغب عن لابسها الا ريمتا غابت
البيض في الطلى والهيام وألف الطعن بين ألف الخط واللام وهذه معان
حسنة راقية ومنها معنى واحد مأخوذ من شعر البحري وهو
سلبوا وأشرقت الدماء عليهم * حمرة فمكأنهم لم يسلبوا

(ومن ذلك) ما ذكرته في صدر كتابي يتضمن قصاوه وأصده هذا الكتاب والفتح غرض طري لم تتصل بحرق يومه ولا أنعمت به يوف قوميه فسطوره مترتبة بمشارجه ممتلئة بخط ضربه وأبحام زجاجه وهذا المعنى يتطرق إلى قول أبي تمام

كتبته أوجههم مشقا وتمخضت • ضربا وطمعنا بقات الهام والصلفا
 كتابه ما تفي مقروءة أبدا • وما خططت به الأما ولا ألفا

الأناب أتمام مثل آثار الضرب والطمع في الوجود بالكتابة وأنا مثلت الكتابة وأبحامه بالضرب والطمع فكأنني عكست المعنى الذي ذكره أبو تمام وهذا مقصد في حل الآيات الشعرية حسن فان استخراج المعنى من عكسه أدق من استخراج المعنى من نفسه وقد ثبت على ذلك في مواضع أخر من هذا الباب (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتابي يتضمن قصا من فتوح الكفار وهو وأقبلت أحزاب الكفر وهي معتصمة بصليبيها ورفعتهم على أعواد عالية كهيئة خطيبيها ولم تعلم أن الله كتب عليهم الهوان بعد تلك الكرامة وأنه ذو شعب أربع والتربيع خمس في حكم النجاة وكيف تربو بكفرها ظهروا ولها منه معنى الاختفاء وللإسلام معنى السلامة ولما اتقى الجمعان اصطفت عين وشمال وزحفت جبال إلى جبال وكثرت النفوس على المنيا حتى كادت لا تفي بالآجال وأقدمت الخيل أقدام فرسانها وأظلم النقع فلم تبصر إلا بأذانها ونالت الخوذ ثارها من كعوب الرماح واشتكت الاسنة فلا طريق بين المهب الرياح واستوصلت شجرة الكافرين بالقطع لا بالجداد وحال حد السيف دون حديد الأصفاد ونقلوا إلى جهنم يصلونها ويئس المهاد وانقلب المسلمون وقدموا الانحمار انصرا والعصاة أجرا والأيدي وقرا والقلوب جذلا والاسنة شكرا وكان ذلك اليوم في الأيام علما وفي الأقسام قسما ولم يره الزمان منسوب إليه إلا راجع شيئا بعد أن ناهزهم ما في هذا الفصل شيء من معاني الشعر وذلك من قول أبي الطيب المتنبي

اتاهم بأوسع من أرضهم • طوال السيف قصار العيب
 تغيب الشواقي في جيشه • وتبدوا صفارا إذا لم تغيب
 ولا تعبر الريح في جوده • إذا لم تحط القنا أو تثب

(ومن قوله أيضا)

في يجفل ستر العيون غباره * فكأنما يصرن بالآذان
(ومن ذلك) ما ذكرته في الانحجاد واجابة الصريح وهو اذا استصرخ أصرخ بهزم
غذته صحبة الجيش عن لذة العيش فهو يستعذب حر الثغور على برد الثغور
ويلهو بالبيض الذكور عن بيض الخدود ولا طيب عنده الا ريح العجاج
ولا عنباق الا طراف الزجاج ولا أرب له في الرقاد الا على سهوات الجساد
فمكر قلبه أمضى في الوغى من عسكر ونجدة بأسه تأبى لقاء الاقران في درع
أو مغفر وهذا المعاني مأخوذة من أبيات الحساسة ومن شعر مسلم بن الوليد
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الخمر بدون المنظر وهو اذا سموت لاهر فمكن
واحدا في مكانك ولا ترمض بكثرة الشركاء فيقال فلان من أقرانك ألم تر
الى الحرباء الذي هو دويبة حقيرة الشان ضعيفة الاركان فانه ارتفع في هواء
عن الارض وأنسها الى السماء وشمسها وقال لا أحب من تفسد الايام من
حسنه ولا من أحديس خله ولا خدته والهم ليست منوطة بجهارة المناظر
والتعويل على الخبر المستتر في الاقتدة الباطنة لاعلى الظواهر ومن ههنا قيل
ان وضاعة النفوس أنضر من وضاعة الاجساد ورقم الشيم أحسن من رقم
الابراد وآخر هذا الفصل ينظر الى قول سعيد بن جبير بن الجهم

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * أو أسود اللون انى أبيض الخلق

الا أن الفصل يتضمن معنى غريبا لم يسبق الى اليه أحد (ومن ذلك) ما ذكرته
في الحسد في فصل من كتاب وهو حاسد سيدنا ينظر الى زهرة دنياه ولا ينظر
الى استحقاقه وهو كالناظر الى الاطواق الموضوعة في الجسد ولا يدري
أن الجسد أحسن من اطواقه ولو قاس الدنيا بالاستحقاق لذهب الحسد
من صدره وقال ما لي أحسد من لم ينه قدر دنياه الى معشار قدره (ومن ذلك)
ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن الاعذار عن تواتر المكاتبات وهو اذا اعتذر
من انقطاع الكتب اعتذرا الخادم من اتصالها ولو كانت واردة على غير ذلك
الباب الكريم لحاق من املاها وقد عدا احتمال ثقيلها من جملة الايادي
التي أثقلت به وأراد أن يجري معها بسوابق شكره فأبغضته وما أمهاته وهو
الا أن مرتهن بين قديم وجديد وأصبح كغراش اذا تكاثرت عليه الطيلاء فلم يدر

لكثرتم ما يصيد فان أمسك سيدنا من أياديه والافلية فضل على الشكر بالانظار
وابعلم أن ذمة وفائه كذمة ديوان المال في الاعصار هذا فصل في هذا المعنى
قلما يؤتى بمثله وفيه معنى واحد من قول الشاعر

تكثر الظباء على خراش * فتأيدني خراش ما يصيد

(ومن ذلك) ما ذكرته في استصلاح مودة فقلت كنت عنده بالمنزلة التي آمن بها
ما أجنيه فصرت أخاف ما لم أجنيه وكان لا يقبل علي شهادة عينه فأصبح الآن
يقبل علي شهادة أذنه انكن لم يجعل الله القلوب بين اصبعين من أصابعه
الا يذهب به اكل واد ومن ههنا كانت تتقل من ودا الى قلى ومن قلى الى ودا
ولاشك أن لها بين الحالتين عمراتتهى اليه كما تنتهي أعمار الاجساد والصبر خير
ما استعمل في جفاء الاخوان والماء اذا جرى في مكان ثم انفجر عنه فلابد
أن يعود الى ذلك المكان وبعض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومي

عهدتك لا تعتمد بالعين شاهدا * على فلم أصبحت تعتد بالاذن

(ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض المولود على يد بعض العفاة وهو
الشيم الكريمة للانسان بمنزلة المسك في سر الغزلان غير أن طيب هذه يعبق
بالانوف وطيب هذه يعبق بالاذان وقد جعل تفاوت المزية بين هذين الطيبين
فرقا فأحدهما يبقى دائما ولا يذهب والاخر يذهب ولا يبقى ونصيب مولانا
من الطيب الباقي نصيب زكت معادته وكثرت خرائقه وسارت في الارض
محاسنه ورفع الله به الى محل يبعد شأوه على الطالب ولا يرى الا في اسان شاعر
أو اسان خاطب وهو مما استثنى من خلق الناس الذي هو من طين لازب
ومن أجل ذلك يرون أشباه ما عداه وما منهم الامن يقر بفضل ولو كان من
حساده أو عداه وقد أصبحوا وهم يقولون لديه حين يكثرون ويقول كل منهم
اصاحبه أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون هذا الفصل وان تضمن شيئا من القرآن
الكريم فليس المراد ههنا القرآن الكريم بل منه شيء مأخوذ من الشعر وهو
قول المتنبي

الناس ما لم يروك أشباه * والدهر لفظ وأنت معناه

(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الخمر وهو الخمر التي لذتها سكارها بتفخيص
نارها فهي خرقاء البيان بذية اللسان وتأنيثها يدل على أنها من ناعيمات العقول

والاديان وقد عرف منها سنة الجور في أحكامها ولولا ذلك لما استأثرت من
الرؤس بجنابة اقدامها وهذا حسن من قول الشاعر وأغرب وألطف لانه قال
ذكرت حقائدها القديمة اذ غدت * وهنات داس بأرجل العصار
لانتاهم حتى انتشوا فخصمت * فيهم فنادت فيهم بالنار
وكذلك قلت في وصفها أيضا وهو مدامة تنقي خواطر الهوم وتسري مسرى
الارواح في الجسوم وتشهد بأن الكرم مستقيم ماء الكروم ويتمثل حبها
نجوما الا أنهم مضلة والهداية للتجوم وبعض هذا مأخوذ من قول أبي نواس
اذا هي حلت في الالهة من الهى * دعى همه من صدره برحيل
وما زال الشعراء يتواردون على هذا المعنى حتى سمع الكن الذي ذكرته بعد
هذا المعنى من محاسن الممانى في وصفها وكذلك ما ذكرته في وصفها وهو الخمر
كالعذراء في نفورها وملازمة خدورها ولهذا تشبهت من فكاح المزاج
وتصحب لمس الماء صخب الابكار لمس الازواج ومن شأنها أن تلبس عند
الزفاف الكيل على راسها وكذلك شأن العرائس عند زفافها الى أعراسها
وهذه المماثلة بين الخرو وبين البكر على هذا النسق لم يأت بها أحد غيري وإنما
وصفت بانها بكر كقول أبي نواس

فقلت لشيوخ منهم ممتكاسم * له دين قسيس وفي نطقه كفر
أعندك بكر مرة الطعم قرقف * صنعة دهقان تراخى له العمر
فقال عروس كان كسرى ربيها * معتقة من دونها الباب والستر
(ووصفت) بالنكاح والزواج كقوله أيضا

وقهوة كالعقيق صافية * يطير من كاسها لها شرر
تزوجتها الماء كي تذلل له * فامنعضت حين مسها الذكر

(ومن ذلك) ما ذكرته في الحزم وهو لا ينبغي للحازم أن يساور المورد المؤذن
بعضيقه وان أفضى الصدر الى رحيمه فان لوى الداء خسر من التعرض له
مع وجود طبيبه ولندع قول من يقعد على تل السلامة ثم يلبس الكتائب
بالكتائب ويقول ليس للحزم الا تمام الصدر وليس له تمام العواقب بعض
هذا مأخوذ من شعر أبي تمام

وركب كاطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياها

لأمر عليهم أن يتم صدوره * وايس عليهم أن تتم عواقبه
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الرأي والكيد وهو أخفى على العدو كيد حتى لم
يدع كائدا وأعمى عليه سلوك الطريق حتى ظنه طائدا فسيوفه تسطو على بعدها
ولا تقطع الا وهي في غمدها وبعض هذا المعنى أخذته من شعرا أبي تمام وهو
سكن الكيد فيهم ان من أعمى ظم كيد أن لا يسمي أربيا
(وكذلك) قولي في هذا المعنى وهو أخذ بسمع العدو وبصره وسد مطلع ورده
وصدوره فيداه مغلوله مع أنها مطلقه السراح ومقاتله بادية على أنها شاكبة
السلاح وهذا المعنى ينظر الى المعنى الذي قبله وكذلك قولي أيضا وهو
يبيت برأيه العدو وقبل جيشه وتلقاه بطيش قله الذي كل الخلم في طيشه فاذا
أطالت وجوه الأراء كان رأيه لها صباها واذا جهزت الخفافل لحرب كان قله لها
سلاحا وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر الجعفي

وهو المرء ما غزا بلدا بالرأي الا كفاه غزو الجنود

(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف السير والركاب والخيل والقفار وما يتعلق بها
(فمنه) ما يتعلق بالسير وهو ركب ظهر الليل يباري مسير شبهه عسير أشبهه
ويستقرب بعد المدى في نيل مطلبه غير أن تلك تقرى أديم الغياهب وهذا
يفرى أديم السباب وهذا مأخوذ من قول المتنبي

يباري نجوم القذف في كل ليلة * نجوم له منهن ورد وأدهم

(ومن هذا المعنى) أيضا قولي وهو اتخذ الليل ظهرا واستلان خشونة المسرى
فلم يزل يهذف صبيغة سواده بصبيغة جواده حتى بدت في أديم الليل شبكات
صباحه وشابه الأدهم في غرته وأوضاحه فعند ذلك أخذ أحدهما في رحله
وأخذ الآخر في نزوله وهذا المعنى ينظر الى الذي قبله وفيه من شرف الصنعة
مالا يخفاه (ومن ذلك) ما ذكرته أيضا في فصل من كتاب وهو سرت وتحتى بنت
قفرة لا يذهب السرى بجماعها ولا تستزيد الخادى من مراحمها فهي طموح
بانشاء الزمام واذا سارت بين الأكام قيل هذه واحدة من الأكام ولم تسم
بحسرة الا لأنها تقطع عرض القلاة كما يقطع الجسر عرض الماء ولا سميت برفا
الا لأنها جاءت بمعنى في العزائم والمعنى في الأفعال والأسماء وخافها بجنيب من
الخيل يقبل بجذع ويدبر بعضه وينظر من عين لحظة ويسمع بأذن حشيره

ويجري مع الريح الزعزع فيبذرها وقد ظهر فيها أثر القفرة وما قيد خاضها الا
وهو يهتدي بها في المسالك المضلة ويطأ على اثرها فيرقم وجوه البدور باشكال
الاهلّة هذا والليل قد ألقى جراحه فلم يبرح واليكوا كب قدر كدت فيه فلم تسج
وانا أودلوزاد طولة ولم تظهر غرة أدهمه ولا جولة فقد قيل انه أدنى للبعد
وأكنتم للأسرار ودل عليه القول النبوي بأن الارض تطوى فيه ما لا تطوى
في النهار وما زلت أسير بربدها تنويه حتى كاد ينضولون السواد وتظهر لون
السرطان فأغار على سرح السماء كما يغير السرطان على سرح النقاد فعند ذلك
نهات العين من الكرى ثم له الطائر ولم يكن ذلك على ظهر الارض المطمئنة
وانما كان على الظهر السائر في هذا الفصل كل مليحة من المعاني ولولم يكن
في هذا الكتاب سواه لكان كافيا وبعضه مأخوذ من الشعر كقول أبي تمام
طموح بائناء الزمام كأنما * يخال بهم من عدوها طيف جنة
ومكقوله

بالشقيقات العتاق كأنما * أشباها بين الأكام اكام
(ومن ذلك) ما ذكرته في النسب في فصل من كتاب وهو لهم نسب لا تدخله لام
التعريف وهو موضوع لا يجري على سنن التوقيف فإذا ذكر أوله وقفت من
عرفانه على طلل ووجدته مهملا في جملة الهمل وان قيل انه من هجوم السماء
قلت لكنه لا يخرج عن الثور أو الجمل فصار هب لوصفه لسان الانبا ولا
اقتدح له زناد خاطر الأبا وهم منه كما وى الذي يرى الناس له ابنا ولا يرون
لابنه أبا وهذا من أغرب ما يؤتى به في ذم النسب وهو من باب تواليب المعطى
الذى يسمى الكيمياء وبعضه مستولد من قول أبي نواس في هجاء الخصيب
وما خبره الا كما وى يرى ابنه * ولم يراوى في عزون ولا سهل
فأبو نواس ذم خبر الخصيب في عدم رؤيته وأنا نقلت ذلك الى النسب فخاء اللفظ
وأحسن وأليق وأدخل في باب الصنعة وإذا حقق النظر فيما ذكره أبو نواس
في هذا المعنى لم يوجد مناسبا فان الظاهر في عدم رؤيته لا يحمل على ابن آوى
وانما المناسبة تقع في النسب من أجل ذكر الابن والاب (ومن ذلك) ما ذكرته
في ذم قوم وهو فصل من كتاب فقات تركت قوما لم يتقوا صدى ولم يحجروا
الى مدى فأعراضهم نكرة العارف وأموالهم حنظلة الناقف لا تظنهم

على كثرة ما فيها ولا تزكوا الزبيلة بأرضهم على غنائها وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر الشريف الرضي

تركت أناسا لم يشوا المنية * ولم ينقهوا غلظ الظلمات والوامس
على القرب فيهم اني غير طامع * ومنك على بعد المدى غير آيس
ومن هذا الباب أيضا قولي وهو تركت قوما يسألون الحبيب ويميلون القريب
ولا يرفعون من برعاهم ولا يدرء اللين على مرعاهم فنوالهم تصايا واعراضهم
خصايا ومن أــــن صفتهم أنهم يعاقبون على الظنفة ولا يرتاحون لمنة
قال ذراع لهم مدفونة والصنائع غير مسبونة وبعض هذه المعاني مأخوذ
من شعر أبي الطيب المتنبي

رأيتكم لا تبصون العرض جاركم * ولا يدرء على مرعاكم اللين
جزاء كل قريب منكم ملال * وحظ كل محب منكم ضغن
(ومن ذلك) ما ذكرته على الحث على الاعتدال وهو لولا التفرغ لما ارتقت نبات
الاصداف الى شرف الاعتياق ولولا ارتقي تراب الاجار الى نور الاحداق
(وكذلك) قولي في هذا المعنى وهو في الانتقال تنويه لحاصل الاقدار ولولا
ذلك لم يكس الله لاله الابدان والمعدل الرطب حطب في أوطانه والمسلك
دم في سرر غزلانه ولولا فراق السهم وتره لم يحط بفضل الاصباة ولولا فراق
الوشيج منبته لم يحل بعز السنمان ولا شرف الذؤابة وهذا الفصل فصل من
القول في معناه وعالم ينشئ للخواطر ابتداء معناه فنه ما هو مأخوذ من الشعر
ومنه ما سخر به الخاطر على غير مثال وهو يشهد لنفسه (ومن ذلك) ما ذكرته
في وصف الايام وهو أيام تعدباً عوام اقصر أعمارها وشهور لا يشعربا تصافها
ولا سرارها فالأوقات بها أمثال والمحاسن فيها شمائل والمآرب في ساعاتها
رياض في شمائل فما أدري أهى خيالات أحلام غرت أم أحاديث أمان
مرت وبعض هذا المعنى مأخوذ من أبيات الجاسسة

شهورينة قضين وما شعرنا * بانصاف لهن ولا سرار
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الاخوان وهو ليس الصديق من عدس قطات
قرينه وجازاه بغشه وسمينه بل الصديق من ماشى أخاه على عرجه واستقام
له على عوجه فذلك الذي ان رأى سيئة وطئها بالقدم وان رأى حسنة رفعها

على علم وبعض هذا المعنى مأخوذ من آيات الحماسة

ان يسمعواريية طاروا بفرح عني وما سمعوا من صالح دفنوا
 الا أن الذي ذكرته ضد هذا المعنى وقد يستخرج المعنى من ضده وهو أحسن
 مما يشتهر يخرج من نفسه (ومن هذا) قولي أيضا وهو ليس الصديق من صري
 اخلاف وده وعش في صفقة عهد بل الصديق من لا ترده سلامة وده بأقالة
 ولا عيب ولا تخص محافظة اخائه بشهادة دون غيب فذلك أخى من غير نسب
 وكثر من غير نسب وهذا مأخوذ من الفقه في نصريه ضرع الشاة عند البيع
 وذلك يوجب الرد (وما) ينظم به ذلك قولي وهو الانتقال عن خلة الوداد
 كالانتقال عن نسب الميلاد وكما يحرم هذا في نص الحكم المشروع فكذا
 يحرم هذا في خلق الكرم المطبوع على أن نسب الخلة الذي ينسب القلب الى القلب
 أوصل من نسب الرحم الذي ينسب الابن الى الأب ولهذا كانت مودة سلمان
 قري ونسب أبي لهب سباوتيا وبعض هذا مأخوذ من شعر أبي نواس وهو
 كانت مودة سلمان له نسبيا * ولم يكن بين نوح وابنه رحم

(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الديار وهو دار كانت مقاصرجنة فأصبحت
 وهي ملاعب جنة واقدمعت أخبار قطانها وأنشاز أوطانها حتى شابهت
 احدهما في الخفاء الاخرى في العفاء وكنت أظن أنها لا تسقى بعدهم بغمام
 ولا يرفع عنها جلباب ظلام غير أن السحاب بكاهم فجرت بهم اسواق دموعه
 والبل شق عليهم توبه فظهر الصباح من خلال صدوعه وهذه معان لطيفة جدا
 وبعضها مأخوذ من شعر الشريف الرضي رحمه الله تعالى

أمرابع الغزلان غيرك البلا * حتى غدت مراتع الغزلان

(وما) يلتزم به هذا المعنى قولي أيضا وهو دار أصبحت مراتع أذواد بعد أن كانت
 مناجع رواد فلو تصورت الآمال التي مثلت بفنائها كما تصورت الآثار الماثلة
 من بنائها لرأيت رسومها مع رسوم القباب وعلمت كم غاربها من بحر ونضب من
 سحاب وهذا معنى حسن له من نفسه مثن وحامد ومن سامعه عين وشاهد وهو
 من معاني المستخرجة (ومن ذلك) قولي أيضا وهو النقص موكل بكال النعماء
 ولذلك كان الوخممة ترنا بالمرعى والماء وقلما ترى غمرة الاومعها زبور
 ولاندة الاوالى جانبها شئ محذور (وكذلك) قولي أيضا وهو لا يظفر الرجل

عطا إليه شفعا ولا تؤتيه من كل جهة نفعا بل يرى صريحى بالاماء وما بالامرعى
ولذلك كانت النحلة مع الشهدة والشوكة مع الوردة وبعض هذه المعانى
مأخوذ من قول أبي تمام

أرض بها عشب زالوا ليس بها ماء وأخرى بها ماء ولا عشب
الآن فى الكلام المنشور زيادة على ما تضمنه الشعر وكأنه يتطرا اليه نظرا بعيدا
ومن سبيل المتصدي هذا الفن أن يأخذ المعنى من الشعر فيجعله مثل الاكسير
فى صناعة الكيمياء ثم يخرج منه ألوانا مختلفة من جوهر وذهب وفضة كما فعلت
فى هذا الموضع فأنى أخذت معنى هذا البيت من الشعر فاستخرجت منه
ما ليس منه وهذا أعلى الدرجات فى تثر المعانى الشعرية وقد بسطت القول
فى هذا الموضع وكشفت عن دقائقه فى الكتاب الذى وصفته بالوشى المرقوم
فى حل المنظوم وهو كتاب مفرد هذا الفن خاصة ومن هذا الضرب الذى هو
الكيمياء فى توليد المعانى ما ذكرته فى وصف الربيع فقلت فصل الربيع هو أحد
ميراثى عامه والمستفيد لاسمائه من جامه وقد وصف بأنه مبعاد نطق الاطيار
وميلاد أجنة الازهار والذى تستوفى به حوائه اسلافه العقارب فاذا سلبت
السحب فيه سيوفها كان ذلك لارضال الغضب واذا خلعت على الارض غلالها
الدكاء لبست منها ديباجة منسوجة بالذهب وهذا المعنى مستولد من قول أبي
تمام فى وصف السحاب

سلبته الجفوب والدين والدنيا ووصافى الحياة فى سلبه

الآن فى الذى ذكرته معنيين غريبين اذا أمعن الناظر نظره فهمهما (ومن ذلك)
ما ذكرته فى اين القول واعادته وما يجرى مجرى كقولى فى فصل من كتاب وهو
لم أعد عليه القول لانه لا يبلغ مدى ميدانه الا بتجريك سوطه وعناقه بل
أخذ بأدب الله فى أذكار القرآن واتباع السنة نبيه صلى الله عليه وسلم
فى تشويب الاذان وبعض هذا مأخوذ من شعر أبي تمام

لورأيت التأكيد خطة عجز ما شفعنا الاذان بالتشويب

(وكذلك) قولى أيضا وهو وقد علم أن اين القول انجيع قبولا وهو من
أدب كلام الله اذ بعثه الى فرعون رسولا ألا ترى أن الحدا يبلغ من المطايا باطفه
ما لا يبلغ السوط على عنقه وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبي تمام

وخذهم بالرفق ان الماهري * يجهها على السبيل الخلداء
 (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم الدنيا وهو أنك اذا الدنيا مشوبة بالاشياء التي
 جبات النفوس على حبها وكل ما تستلذه الابدان من ما كاهها فانه يضرها من
 جهة طيها واهذا يذم من منفعة الهليلج ومضرة اللوزينج وأجيب عن ذلك
 أنه لا ينتفع الانسان بشئ من لذاتها الا ضرره من جهة ثوابه وهو كالذي ينتفع
 باصطلاء النار وهي محروقة لا ثوابه وقد ضرب لذلك مثل من الامثال وقيل ان
 كل ما ينتفع الكبد بضره بالطعام وهذا مأخوذ من الامثال العربية والمولدة
 (ومن ذلك) ما ذكرته في الزهد وهو الناس في الدنيا أبناء الساعة الراهنة
 وكما أن النفوس ليست فيها بقاطنة فكذلك الاحوال ليست بقاطنة ولهذا
 كانت المآتم بها كالاعراس يتفرق ندى حبها فهذه تنسى ماضى من لذة
 سرورها وهذه تنسى ماضى من ألم لحبها ولا شبيهها على ذلك الا الاحلام
 التي تلاشي خيالها عاجلا وتجعل البقطة حقة باطلا وما ينبغي حينئذ ان
 يفرح بها مقبلة ولا يؤسى عليها مدبرة وكل ما تراه العين منها ثم يذهب فكأنها
 لم تره وغاية مطلوب الانبياء منها أن يمتهل في مدة عمره ويعمل له في امتداد كثره
 أما تعميره فمعرضه المشيب الذي هو عدم في وجود وهو أخوال الموت في كل شئ
 الا في سكنى العود فالبحوارح التي يدركها الشهوات تزي وكل منها قد تحول
 وأصبح كالظلال الدارس الذي ليس هنده من معول فلا يسلي بابل ولا النوار
 بالنوار ولا الاتماع أسمع ولا الابصار بأبصار وأما ما له فان أمسكه فهو
 عرضة لو ارتبأ كله أو لحادث يستأصله وان أنفقته كان عليه في الحلال
 حسابا وفي الحرام عقابا فهذه زهرة الدنيا الناضرة وهذه عقابها الخاسرة
 وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر صالح بن عبد القدوس

واذا الجنازة والعروش تلاقيا * ألفت جميعا كانه يفرق

ومن قول أبي العتاهية

انما أنت طول عمرك ما هرت في الساعة التي أنت فيها

(ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن تعزية وهو كيف يظلم ذلك الجسد
 وبه من أهوال ساكنه أنوار أم كيف يجذب وبه من فيض عيشته بها بصدرا
 أم كيف توحش أقطاره والملازمة داخله عليه من تلك الاقطار أم كيف يخفيه

طول العهد على زقاره وطيب تراه هاد للزقار وما أعلم ما أقوله في هذا المطلب
 الجليل الذي دق فيه الحزن الجليل وسمعت له النفوس بالقدسية على حب
 الحياة وذلك من القداء القليل وقد قيل انه لم يخلق الدمع الا اندارا بأن نواب
 الزمان ستروب وقد جعل له الله ذخرا للقائها وانما يذخر السراح للقاء الحروب
 والذي ذخرت منه لم يكن عني في هذه النائية وأي جنة تقوم في وجه سهامها
 الصائبة لا جرم أني أصبحت بين يديها هاد للرماء ولم يبق مني الا ذماء الحشاشة
 ومن العجب بقاء الذماء وشئ من هذا الفصل مأخوذ من شعر ابن الرومي
 لم يخلق الدمع لامرئ غيبا الله أدري بلوعة الحزن

(وكذلك) ذكرت فصلا في كتاب آخر يتضمن تعزية وهو فيا ويح أيدأ سلمته
 الى الثرى وما كان يسلمها الى الاعداء وأبسته ظلمة اللحد وطال ما جلا عنها
 غيابة الظلم والاضلام وغادرت بوحده مستوحشا وقد كان يؤنسها ينوافي
 الانعام ومثله لا يوارى القبر منه الا صورة يدركها النقاد وتبلى كما يلي غيرها
 من الاجساد ولكنه لا يستطيع مواراة الذكر الخالد الذي يذهب بشماعة المساد
 ويتمثل في السماء بصورة البكواكب وفي الارض بصورة الاطواد وبعض هذا
 مأخوذ من قول بعض شعراء الجاهلية

فان تدفنوا البكرى لاتدفنوا اسمه ولا تدفنوا معروفه في القبائل
 (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف كلام بالفصاحة وهو فصل من كتاب فقات
 وله البيان الذي يغض منه نسق الفريد ولا يخلق نضرة لباسه الجديد وهو
 فوق كلام الجيد ودون القرآن المجيد واذا اختصر واصفه قال انه يستحيل سمع
 الطروب ويستحق وقار القلوب ويتمثل آيات بيضاء من غير ضم الى الجيوب
 ويرى في الارض غير لاغب اذا من غير فترة للغروب ولا تزال الناس في عشق
 معانيه ضربا واحدا والعاشقة تون ضروب وما وقفت عليه قلت سبحانه
 من أعطى سيدنا فلم يخل وخصه بنبوته البيان الا أنه لم يرسل ولولا أن الوحي
 قدس ثيابه لقبل هذا كتاب منزل ولقد خارا الله لا في الفصاحة اذ لم يحجوا
 الى عصره ولم يتلوا فيه بدء المسند الذي يصلحهم بنو قد جره واثن سلوا
 من ذلك فحاسبت أقوالهم من أقواله التي محتها محو المسداد وقد كانت باقية
 بعدهم فلما أتى صارت كما صاروا الى الانحداد في هذا الفصل شئ من المعاني

الشعرية كقول البصري

مستجبل سمع الطروب المعنى * عن أغاني معبد وعقيد

وقول الشريف الرضي رحمه الله

عشت وما لي أعلم الله حاجة * سوى تطرى والماشقة ونضروب
وفيه أيضا شيء من معاني القرآن الكريم إلا أنها جاءت ضمنا وتبعاد موضعها يأتي
بعد الأبيات الشعرية (وكذلك) ذكرت فصلا آخر من هذا الأسلوب وهو وإن
للحكمة طعما يعرف مذاقه من بين الكلام وخفة الأرواح معلومة من بين ثقل
الاجسام فلو لم نعرفه بطعمه عرفناه بوسمه والمصباح لا يتبارى في أسفاره ولا
يفتقر إلى دليل على إشراق أنواره وقد علم أن العرق يعرف بغصنه وأن القول
يعرف بلحنه ونفائس هذه العقود لا يبرزها إلا أنفاسه قدررها لقطه وسلوكلها
قرطاسه (ومن) هذا الباب قول أيضا وهو ألفاظ كخفق البنود وأوزار الأسود
ومعان تلال بارها فها أنها هي السيفوف وإن قلوبنا غمها هي الغمود فيضالها
المتأمل حومة طمان أو جلبة رهان وبعض هذا مأخوذ من شعر البصري
يقظان ينقضب الكلام كأنه * جيش لديه يريد أن يلقى به

(ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان من أهل الكتابة كان
اعتدى عليه شخص يدعى الكتابة وليس من أهلها فقلت وقد نيت بيميننا قلمنا
الخط اللذان ينسب أحدهما إلى المداد وينسب الآخر إلى الصعاد فهو يدير
هذاني معركة المقاتل وهذاني معركة الطراد ولربما سهل أحد قلبه من فوق
صفحات الدروج كأنهم ليل الجناد من تحت أعواد السروج فله احتفال
المواطن والمجالس واليه غناء أصحاب العمام والقلانس لا كن لا يجاوزهم
طرفي ردائه وإذا نودي لفضيلة قيل ألفا يسمع الحى بشدائه وكم في الناس
من صور لا تجدد لمعناها أثرا وإذا رأيت هاقات أرى خالا ولا أرى مطرا وأي
جمال عند من ليس له الأجمال ثيابه وهل يرفع السيف الكهان أن يجعل من
الذهب سلمية قرابه وكل من هو لا مذنب يسى بغير راس ولله هم الأفي عيشة
الطاعم الكاس وإذا اعتبر بحاله وجد من البهائم وإن كان منسوبا إلى الناس
والسبادة ليست في وشي الشباب ولا في طيب الطعام والشراب وأغناهي
في شيبين أما شهامة قلم تفرق لها قلوب الغمود أو شهامة ربح تفرق لها قلوب

الاسود وكانى يقوم يسمعون هذا وكانهم يمتعض امتعاض المغضب ، وتتابع
نفسه تتابع المتعب . ويعترض الشهي في حلقه حتى يغص من غير أن يشرب
ولم يزل بالحساد من سيد ناداء يورثهم أرقا . ويوسعهم شرفا . وكثيرا ما تعرق له
جباهم . وكذا الميت تندى جبينه عرقا . وما أرى عداؤه ولا بدواه إلا أن يطرحوا
عن منا كبهم ثقل المساجلة . والحساد انما يدركون بمن يحرق مع صاحبه
في مضمار المساملة . وكنت أحب أن يقام على الكتابة محاسب حتى يتفليس منها
خلق كثير . وتستريح جبايا كثيرة من ركوب حير . وفي مثل هذا السوق يظهر
أهل الخلاية والنجس وما منهم الا من هو في الحضيض الاسفل وقد أجاس
نفسه قاعة العرش . ونار الآلة المعمرية تغير خالص النور من زيفها . ولا حيف
في هذا المقام على من أسرفت دعواه الكاذبة في حقها . وبعض هذا الفضل
ما أخذ من شعر عبد السلام بن رعيان عرف بديك الحق

ترحمى به القلمان إلا أن ذا لذن الجس وأن ذا كروب
هو دان يقضب ذا القلي بلعابه ويجوب ذا المهجات بالتركيب
ويكفيك أيها الموضع لنثر الشعر أن تنظر الى هذا الفضل وتتأمل الموضع الذي
أخذت معنى هذين البيتين ووضعت فيه فإني غنا (وأما) حل آيات
القرآن العزيز فليمن كثيرا المعاني الشعرية لأن الفاظه ينبغي أن يحافظ عليها
ليتمكن فصاحتها إلا أنه لا ينبغي أن يؤخذ لفظ الآية بجملة فإني ذلك من باب
التعميمين وانما يؤخذ بعضه . فاما أن يجعل أول الكلام أو آخره على حسب
ما يفتضيه موضعه وكذلك تفعل بالاختيار النبوية على أنه قد يؤخذ معنى الآية
والخبر فيكم هي أظنا غير لفظه وليس لذلك من الحسن ما للقسيم الأول للعائدة التي
أشرفنا إليها . وقد سلكت في ذلك طريقا اخترتها وكنت أنا ابن عذرتها وعند تأمل
لما أوردته منها في هذا الكتاب يظهر للمتأمل صحة دعاوي واتن كان من تقته مني أني
بنيت من ذلك فإني ركبت فيه جوادا وركب جولا . وقال من موده نهلة واحدة
ونلت منه ثم لا وعلا . ومن آتاه الله في القرآن بصيرة فانه يسبك ألفاظه ومعانيه
في كلامه ويستغنى به عن غيره . إلا أنه ينبغي أن يكون فيه موقعا يخرج منه
شروب المصوغات أو حرا فاقية في نفوده المختلفة من الذهب المختل بالالوان
ولا أقول من الفضة فانه ليس فيه من الفضة شيء وهو أعلى من ذلك أو يكون فيه

تاجر ايديره على يده ويتصرف في ارباحه ويخرج من الامتعة المحبوبة من منامه
 كل غريبة عجيبة وكل هذا يفهمه من عرف لازم وحكم بما علم
 وما كل من قال القريض بشاعر ولا كل من عانى الهوى بعتيم
 (واعلم) ان المتصدي لحل معاني القرآن يحتاج الى كثرة الدرس فانه كلما دبر على
 درسه ظهر من معانيه ما لم يظهر من قبل وهذا شيء جريته وخبرته فاني كنت آخذ
 سورة من السور وأتلوها وكلماتي معني آيتيه في ورقة مفردة حتى أتتهى الى
 آخرها ثم آخذ في حل تلك المعاني التي آتيتها واحدا بعد واحد ولا أقنع بذلك حتى
 أعاودة تلاوة تلك السورة وأفعل مثل ما فعلته أولا وكلمة ملها التلاوة مرة بعد مرة
 ظهر في كل مرة من المعاني ما لم يظهر في المرة التي قبلها وسأورد في هذا الموضع
 سورة من السور ثم أردفها بآيات أخرى من سور متفرقة حتى يتبين لك أيها المتعلم
 ما فعلته فكذلك وحذوه وقد بدأت بالسورة أولا وهي سورة يوسف عليه السلام
 لانها قصة مفردة برأسها وفيها معان كثيرة فالقول ما ذكرته في دعاء كتاب من
 الكتب وهو وصل كتاب الحضرة السامية أحسن الله أثرها وأعلا خطرها
 وقضى من العلياء وطرها وأظهر على يدها آيات المكارم وسورها وأصبداها
 كواكب السيادة وشمسها وقرها وهذا قول معني في السورة وقد نقلته عن قصة
 المنام الى الدعاء ثم أبرزت هذا المعنى في صورة أخرى وهو أكرم النعم ما كان فيها
 ذكرى للعابدين وتقدمه اني رأيت أحدهم كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي
 ساجدين فهذه النعمة هي التي تأتي بتيسير العسير وتخلو ظلمة الخطب بالصباح
 المنير فانظر الى أثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتي وهو
 على كل شيء قدير ثم نصرفت في هذا المعنى فأخرجته في معرض آخر وهو فصل من
 جملة تقليد يكتب من ديوان الخلافة لبعض الوزراء فقلت وقد علمه أمير المؤمنين
 فأدنى مجلسه من معانيه وآتاه على وحدة الافراد بحفل نعمائه ورفعته حتى
 ودت الشمس لو كانت من أترابه والقمر لو كان من ندمائه وذلك مقام لا يستطيع
 الحدود أن ترقى الى رتبته ولا الآمال أن تطوف حول كهنته ولا الشفاء
 أن يتصرف بتبديل ترتيبه فليرداه يا بما فاتته مواطئ أقدامه ولينظر الى
 جهود الكواكب له في بقلته لافي منامه (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم فيضيل وهو
 لم أركرأب إلا نملأت أمني بطمع وعودها وفرغت يدي من نيل جودها

فلم أخط الأبلامع سرايها وكانت كدم القميص في كذايها (ومن ذلك)
 ما ذكرته في تركيبة انسان عماري به وهو لم ترم بذنوب الانابت البراءة له مناب
 الشهود وحي من أهلها يشهدادة القميص المقدود (ومن ذلك) ما ذكرته
 في عذرا الهوى وهو لم يوحيدا الا كان لأهل التقى فيه اسوة ولايم من
 أجله الا عذرا عذرا امرأة العزيز الى النسوة (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من
 جواب كتاب الى بعض الاخوان وهو ان كان الكلام كاقيل ذكر او الجواب أنى
 بخوابي هذا عروس تجلى في حلاله المجرى وعقودها المشدرة وترهى بما آتاه الله
 من الحسن الذى ايس بالمحبوب ولا ترضى بتفطيع الايدى دون تقطيع القلوب
 وما قد أوساها الى سيدنا حتى يعلم أن تتأخر خاطرى على الفطرة وأنهم معشوقة
 الصور فكل الناس في هواها بنوع عذرة في هذا الفصل معنى الآية والخبر النبوى
 والبيت من الشعر (ومن ذلك) ما ذكرت في قلب الايام وهو اقينا أياما ضاحكات
 وليتها أيام عابسات فكانت كسبع سنبلات خضروا خرباسات (ومن ذلك)
 ما ذكرته في وصف كريم وهو ليس بمن يرقب بعف الزمان فيه نذر الحبيب في سنبلة
 ولكن يسهل ثنائف الصبر في آخره ويسهل المسال في أوله فلا يبقى من يومه لغده
 ولا يهتم ربه فيما بيده (ومن ذلك) ما ذكرته في حب الرشوة وهو الرشوة تتحل عقد
 القلوب وتمون فراق المحبوب ألا ترى أن رد البضاعة حكم على أخى يوسف
 بالاضاعة (ومن ذلك) ما ذكرته في الاستسلام لحكم الاقدار وهو لا تحترس
 من جنود الاقدار بالا راء المتعمقة وسواء عندها الباب الواحد والابواب
 المتفرقة (ومن ذلك) ما ذكرته في تتابع الاسماء وهو لم يزل يرشقى بقوارصه
 حتى تكاثر النبل واستحكم التبل ولم يتكفه الاقضاء في غيابة الحب حتى قال
 ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل (ومن ذلك) ما ذكرته في التوكل وهو اذا طلب
 أمر أجهل في المطلوب ووكاه الى الذى بيده مفااتيح الغيوب وتأسى في حاجته
 منه بالحاجة التى كانت في نفس يعقوب (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الكمد
 وهو لم يأت امر الا أخى أسباب أواخيه وبذأفيه بالاعومة قبل وعام أخيه
 وهذه ثلاثة عشر معنى من سورة يوسف عليه السلام (وأما) الآيات التى هى
 من سور متفرقة فأولها ما كتبه في صدر كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه
 وهو ورد كتابه عشية يوم كذا فعرض على عرض الحيا دعى سليمان

ونساويته في الاشتغال منه ومنها بالاستقصان غير أن الجياد وان حسنت فانها
 لا تبلغ في الحسن مبلغ الكتاب لكن قلت كما قال اني احببت حب الخير عن ذكر
 ربي حتى توارت بالجاب ولئن قضى الاشتغال هناك بمسح سوق وأعناق فانه
 لم يقض ههنا بمسح سطور ولا أوراق وانما اشتغلت عن عبادة بعبادة ولو شئت
 لقات عن اخادة بافادة وهذا مأخوذ من قصة سليمان عليه السلام في سورة ص
 وهي قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أقرب اذ عرض عليه بالعشي
 الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالجاب
 ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق فانظر كيف أخذت هذه القصة
 وقابلت بينهما وبين الكتاب ثم اني تصرف فيها بالموافقة بينهما مارة والمخالفة
 بينهما أخرى وهكذا ينبغي أن يفعل فيما هذاسيله (ومن ذلك) ما كتبه
 عن الملك الافضل علي بن يوسف الى الديوان العزيز النبوي ببغداد في فصل من
 كتاب وهو وقد علم أن المال الذي يختزن كالماء الذي يحترق فكلما أن هذا بأجن
 تعطيل الايدي عن امتياح مشاربه فكذلك بأجن هذا تعطيل الايدي عن
 امتياح مواهبه وأي فرق بين وجوده وعدمه لولا أن تملك به القلوب وتقل به
 الخطوب ويركب به ظواهر العزم الذي ليس برسكوب ومن بسط الله يده وفيه
 ثم قبضه ساجده فانه يقف دون الرجال مغمورا ويقعد عن نيل المعالي ملوما
 محسورا واذا أدركته منية مفضى وكأنت لم يكن شيأ مذكورا ومذناط الله بيد
 الخادم مانا طه من أمر بلاده لم يدخر منها الا مربط أشقره ومرر كز أسمره
 وماء عداها فانه مصروف الى قوة الاسلام في سد تغوره وتكثير جنوده وايقاد
 حرب عدوه بعد خودها واستياحة جرحها عند وقوده وما يفضل من ذلك فانه
 للناس يشتركون في وشله ونعمه والمسلم أخو المسلم يساويه في حقه من بيت المال
 وان خالفه في مزية قدره ولا سبيل على الخادم وهو يفعل ما يفعله أن يدلس من
 هذا المال بتبعة المطلوب أو يلتهق بالقوم الذين يكثرونه فيجزى عليه بكي
 الجياد والظهور والجنوب ولم يأت به الله على فترة من مثله الا ليمحويه سميات
 الدين ويعيده الاسلام الى وطنه بعد أن طال عهد صفارقة الوطن ولا يكون
 حسنة من حسنات أمير المؤمنين ترقها الدنيا في ديوانه وتثقل بها في الآخرة
 كفة ميزانه في هذا الفصل مع في آيتين احدهما في سورة هل أتى والأخرى

في سورة براءة (ومن ذلك) ما كتبه عنه الى عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب
 من كتاب يتضمن استعطافه والتدخل اليه وهو من شعبة الاقدار أن تذهب
 بيطاير ذوى الالباب ويمثل لهم الخطأ في مثال الصواب ولولا ذلك لمازل الحكيم
 وأصبح المستقيم والمملوك يقبل اليد الكريمة المولوية الملكية العنصرية
 لا زال عرفها مأمولا واحسانها عند الله مقبولا وفعلها في المكرمات مستدعا
 اذا كان يقبل الايادي مفعولا وتستغيب الى عفوها الذي يسكن في فيه لقلعة
 الاعتذار ولا ينقد بمواظبة الاصرار ولو عرف ذنبه ياديا لقرع لسان الدمامة
 وعاد على نفسه بالامانة ولما كان يظن أن يكون ملما وأن يكون مولانا
 كرما لكنه حمل اصرة الذنب وهو يرى من حملها وخاف أن تكون هذه
 كآخواتها التي سلفت من قبلها والامور المشابهة بقاس البعض منها على
 البعض والمسوق لا يستطيع أن يرى مجر عجل على الارض ولم يحترم المملوك
 الا ان جريمة سوى ان فز الى الاعتصام والى يده الى اقوام لم يكونوا له باقوام
 واذا ضاق على المرء اقربه كان الابعده من ذوى الارحام وليس بأقل من ذهب
 هذا المذهب ولا بأقل من حمل نفسه على ركوب هذا المركب ولئن قال بعض
 الناس انه جمل في اعتصامه وفراره وانه لو ضربه لدمعة اضطراره فهذا قول
 من لم يعرف حال المملوك فيقيم له عذرا ولا اجل بما اتى به من قوارض مولانا
 مرة بعد أخرى ولقد تكاثرت عليه هذه الاقوال المؤنبية حتى ملأت طرفه كل
 الشهاد وجنبه شوك الاقتاد وأصبح وهو يرى أنه زان في خطيئته زلقا وغص
 بدمعة من أوجها شرقا وبدت له سوائه حتى طفق يخفض عليه ياورقا ومع هذا
 قائم وانق أن لم مولانا لا يوقى من الزلزال وأن حصاة الذنوب لا تحصى بوزن ذلك
 الجبل وهذا قد جاء نازعا وللنازع العتي وعادة مستشفعا ولا شفيع أكرم من
 القريب ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب وفي الذي أوردته من هذا
 الفصل معنى آية من القرآن في سورة الاعراف وهي قوله تعالى فبذلت لها ما
 سواتها وطفة فاحطت فان عليها من ورق الجنة (ومن ذلك) ما كتبه عن الملك
 القاهر عز الدين محمد بن أرسلان بن مسعود صاحب الموصلى الى الديوان
 العزيز بغداد بعد وفاة والده يسأل في التقليد وكان عمره اذ ذلت ست عشرة سنة
 قد جاء في صدر الكتاب بعد الدعاء قولي وهو اذا توفى ولي من أولياء الدولة من

السنة أن يعزى بفقده ويستخرج أفضها في سلبه القائم من بعده حتى لا تغفلوا
أرضها من رواسي الجبال ولا سماؤها من مطالع الكواكب التي تجلبو ظلمة الليال
وقدم مضى والد العبد إلى رحمة الله وهو مفرود من الطاعة خير زاد غير خائف
من احصاء الرقيب العتيد اذ جعلها له من العتاد وما عليه وقد ثقلت كفة ميزانه
ما كان في الكفة الاخرى من السجلات الكثيرة الاعداد ومضغون وصيته التي
عهدتها أن غشي في الطاعة على اثره ونهتدي بالاوامر الشريفة في مورد الامر
ومصدره وقد جعلها العبد نجي فكره اذ اقام واذا قعد وسبحة صلاته اذ اركع
واذا سجد وهو يرى أنه لم يرض والده حتى أبقي للدولة من ينبت قدمه موضع قدمه
وهند ذلك يقال ان غصن الشجرة كالشجرة في ثبات أصله وقوة مجبه وهذا
مقام لا يمتاز فيه الا بآباء من الأبناء وليست المزية لا كتهال السن انما هي اشيبية
الغناء وقد أوفى يحيى الحكم قبل أن يجري القلم في كتابه وشهد له بالتزكية قبل
أن ينتصب في محرابه وكذلك قد أتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة على
فتاهممه وشهد أنه خليف عما أسند اليه من أمره والعبد وان بسط الاستحقاق
لسانه غان الادب يحكم بانقباضه ويريه أن التفويض الى انعام الديوان العزيز
أسرع في نجب أغراضه ولا شك أن منتهى الآمال لا يبلغ أدنى تلك المواهب
ولو جهت في صعيد واحد ثم سألت مطالبها المانقة نرائن العطايا من تلك
المطالب وهذا الفصل من أول الكتاب وفيه معنى آيتين من سورة مريم عليها
السلام أما الاولى فقوله تعالى هنذرك يحيى عليه السلام وآتيناه الحكم صبيا
وأما الثانية فقوله تعالى وحنا نأمن لدنا وزكاة وكان تقيا وفي هذا الفصل أيضا
معان ثلاثة من الاخبار النبوية وليس هذا موضعها وانما جاءت ضعفا وتبعها
(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الفجار في الحرب وهو بعقد الهجاء شققا فانه قد
وأرانا كيف رفع السماء بغيرهم غير أنهم اسماء بنيت بسنابك الجياد وزينت
بنجوم الصعاد ففيها ما يوعد من المنايا لا ما يوعد من الارزاق ومنها تقذف
شياطين الحرب لاشياطين الاستراق وهذه المعاني مأخوذة من سورة الرعد
وسورة الصافات وسورة الذاريات (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف طعام وهو فصل
من كتاب فقلت طعام لا يمل اذا شئت الاطعمة بجلها وكأنا نواته يد الخلق ولم
تباشره الايدي بعملها فهو من بقايا المائدة التي نزلت من السماء وقد طاب

حتى لا يحتاج من بعده الى استعمال الماء ومارآه وشبع الا رأى تركه غيبنا
 وودلوزيد الى بطنه بطننا وبعض هذا مأخوذ من سورة المائدة (ومن ذلك)
 ما ذكرته في فصل من كتاب الديوان الخلقة وهو قد تكاثرت وصالت الخدام
 حتى لا يدري ما يجعله لطلابهم سفيرا وما منها الا ما يقال انه أقول وليس فيها ما يجعل
 اخيرا غير أنه لا يذكر منها الا ما هو توأما بجانته والذي لا يتطرق له من ابن آدم
 الا الى مكانه وفي ذلك كاف عن الوسائل التامدة والطريقة وقول لا اله الا الله
 لا بعد له شيء من الحسرات المودعة في العصفرة وقد تجد الآن للخادم مطلب
 هو بالنسبة الى مواهب الديوان العزيز يسير ولوقامت مطالب الناس في حينه
 وأخذ لا يعطى كلامها حرامه ولم يقل ذلك كثير وكتابه هذا سائر الى تلك
 المواهب التي يضيق منها صدر الارض باتساعه وليس الذي يسأله من سائر افعال
 على النظر الى الجبل في امتناعه وكأن عبيد الديوان العزيز أطوار في ذلك
 مطالبهم أطوار وقد جعل الله الاشياء متفاوتة في مراتبها وكل شيء عنده بمقدار
 وهذا الفصل من أحسن ما يكتب في استبصار مطلبه وفيه معاني ثلاثة أخبار
 نبوية ومعنى آيتين من القرآن الكريم وليس هذا موضع الاخبار وانما جاء ضمنا
 وتبعا لآية الاولى في سورة الاعراف والآية الثانية في سورة الرعد (ومن ذلك)
 ما ذكرته في وصف كاتب وهو اذا دجا بل قلبه وطلعت فيه نجوم كله لم يقعد
 لها شيطان بلاغة مقعدا الا وجد له منها ما مرصدا فاسرارها مصونة عن كل
 خاطف مطوية عن كل قاتف وهذا المعنى مأخوذ من سورة الجن (ومن ذلك)
 ما ذكرته في وصف كاتب أيضا فقلت له بنت فكم ما تمضت به في الاتصته
 من غير ماتممه وأنت به قومها تحمله ولم يعرض على ملا من الباغاء الا أنوا
 أقلامهم أيهم بسيرة لا أيهم يكفله في هذين السطرين آيات من القرآن
 الكريم الاولى في سورة مريم وقصتها وقصة ولدها عليهما السلام وهي قوله
 تعالى فأتت به قومها تحمله والثانية في سورة آل عمران في قوله اذ يلقون
 أقلامهم أيهم يكفل مريم (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن وصف
 القلم فقلت وقد أوحى الله تعالى الى قلبه ما أوحاه الى النحل غير أنها تاتوا الى
 المكان الوعر وهو يأوي الى البيان السهل ومن شأنه أن يجتني من غمرات ذات
 أرواح لا ذات اكمام ويخرج من تغشاته شراب مختلف طعمه فيه شفاء للانفهام

وابن ماذنبته كثافة الخشب عما تنبته لطافة المعنى ولا تستوى تضارة هذا الثمر
 وهذا الثمر ولا طيب هذا المعنى وهذا المعنى وقد أرخص الله ما يكثر وجوده
 في ذهب في لهوات الافواه وأغلى ما يعز وجوده فيبقى خالدا على السنة الرواه
 وكل هذه الاوصاف لا تصح الا في قلم سيدنا الذي اذا خسل لا يضطره امتلات
 بهديته المحافل واذا حلا كتابه وجدت الكتب الحالمية من قبله وهي مواعيل
 فلا حينئذ أن ينظر الى غيره بعين الاحتقار ولو اصفه أن يسهب وهو قائم مقام
 الاختصار هذا الفصل غريب عجيب وقد جمع بين الاختصار والبعيد وفهمه
 قريب وهو مأخوذ من سورة النحل (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم بنسب وهو
 له شعبة في الجود لا يشام تأملها واذا هزها سائلها قال انها كلمة هو قائمها
 وهذا مأخوذ من سورة المؤمنين (ومن ذلك) ما ذكرته في صدر كتاب وهو
 وصل كتابه فوقف منه على اللفظ الرخيم والمعنى الذي هو في كل واحد يرم وقال
 يا أيها المسلماني اني اتى الى كتاب كريم ثم أخسني في اعلا قدره وتنويه ذكره ولم
 يستفت الملائكة الاذهان لامره ولا أهدى في قبالة سوى هدية اسائه وصدره
 لا جرم أنها تقبل ولا ترد ويعتد بهم ولا تعد فانهم امال لا ينزده الاتفاق وجوه
 تصلح به الاخلاق لا الاعناق وهذا مأخوذ من قصة سليمان عليه السلام
 في كتابه الى بلقيس وهي مذكورة في سورة النمل وفي هذا من شرف الصنعة أنه
 خولف بين معانيه ومعاني ما أتى به القرآن الكريم (ومن ذلك) ما ذكرته في صدر
 كتاب يتضمن ذكر معركة حروب بين المسلمين والكفار وهو اذا خطب القلم عن الرح
 الذي هو نديده قام محتفلا وأسهب مقربا وصرح بحلا حتى يأتي في خطابه
 بالاماني الاخائر وأصدق القول ما صدر عن شهادة الضمائر للضرائر وكتابنا
 هذا يصف معركة اجرت ضبايتها وضافت بالاسود غابيتها فالطعن بها محض
 والموت محقق والنصر من كلا الفريقين مقتسر وكان الاسلام هذا الزجر
 السنج وفور القدر المنيع وايس الذي يرقب المعونة من الله الذي هو رب المسبح
 كن يرقبها من المسبح ولقد تقذت الرماح في اصداء الله تعالى حتى اعتدات من
 جانبي الصدور والظهور وتركنا الناجي منهم وهو لا ينظر الى الصليب الا ينظر
 انما تفت المدحور فليس اهلهم من بعد هاجب يشجع ولا لوا يرفع وقد كانت
 بلادهم من قبل مانعة وهي الآن لا تذوب عنها ولا تمنع وهذه معركة قلت بها

الرقاب المأسورة وكثرت النفوس المقتولة وقربت بها القرايين التي تأكلها النار
 لانهم امقبولة ومعنى الآية في هذا الفصل مأخوذ من سورة آل عمران الا انها
 تخالفه وذلك ان القربان كان يقبل فتزل النار تأكله واجساد هؤلاء الكفار
 قربان تأكله النار لكم الاتا كانه مقبول وباقي الفصل يتضمن معنى حسنا
 رقيقا (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن الشكوى من خلق
 بعض الاخوان وهو ولقد صيرت على اخلاقه العائنة وعاملته بالخلقة الرائنة
 وعاملته بضروب المعاملات فلم تنفع فيه رقي الراقية ولا نفث النافثة ولما احيا
 على اصلاحه اخذت بمقالة الخضر موسى في المرة الثالثة وهذا مأخوذ من
 قصة موسى عليه السلام وقصة الخضر في سورة الكهف (ومن ذلك) ما ذكرته
 في فصل من كتاب وهو تحية عوا في نار الندم يعرضون عليهم اغدوا وعشيا وصار
 الامر الذي كانوا يرجونه مخشيا واضمحوا كاهل النار الذين صاروا اعداء وكانوا
 شيئا وقال ضعفاؤهم للذين استكبروا انا كمالكم تبعا وهذا مأخوذ من سورة
 حم المؤمن ومن سورة سبأ (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم غلام ابله كنت اقاسي
 من بلهه تكذبا فكتبت يوما من الايام الى بعض اخواني كتابا وعرضت فيه
 بذكرة فقلت ولقد ملكك النسيان حتى كانه يقظ في صورة نائم وحتى حقق قول
 التماسخ في نقل ارواح الاناس الى البهائم فلما ارسل في حاجة الاذهبت عن قلبه
 عنة وبسرة ولا طالب منه ما استهفظة الاحال ارايت اذا وينا الى الصخرة وهذا
 فصل يشتمل على عدة معان منها ما هو مأخوذ من القرآن الكريم من سورة
 الكهف (ومن ذلك) ما ذكرته في تقليد قاض وهو فصل منه فقلت والفضائل
 ما بقيت موجودة ولم تنفقد وهي حبيبة وان اودي اربابها ولا يموت من لم يولد
 ومن احكم ما اوتي به منها فضيلة التقوى التي الكرم من شعارها والعاقبة
 والحسن في كلاهما من آثارها وما قول الا أنه اتخذها حارسا يمنع الخصم من
 تسويع رايه ويؤمن قلبه من الفتنة الداعية الى استغفاره ومتابه وقد قرن الله
 له هذه الفضيلة بالعلم الذي اعله بعلمته ووسمه بوسامته وقذف في روعه
 حلايل سأل معه عن السفينة وخرقة اوالغلام وقتله والجدار واقامته وعلى ما
 بلغه منه فانه فيه أحد المومنين الذين لا يشبعان واذا كان غيره فيه نظر واحد
 ومسمع فله فيه نظران وصومعان في هذا الفصل المختصر معنى عدة آيات وخبر

من الاخبار النبوية أما الآية الاولى فقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
 وأما الآية الثانية فقوله تعالى والعاقبة للمتقوى وأما الثالثة فقوله تعالى وهل
 أتانا نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب وأما الآية الرابعة فقوله تعالى فانطلقا حتى اذا
 ركبا في السفينة خرقها وكذلك الى آخر القصة وهذا من احسن ما يأتي في هذا
 الباب (ومن ذلك) ما ذكرته في جملة كتاب يتضمن عناية ببعض الفقهاء فقامت بعد
 الابتداء بصدر الكتاب وقد علم منه أنه يعدل طالب فضله فضلا ويرى التبرع
 بعروفه فرضا اذا رآه غيره مع المساواة نفلا وما ذاك الا لمزية خاق توحد بطيب
 التربة وشرف الرتبة وأوفى من ~~كنوز~~ الكرم ما ان مفاصله لتنوء بالعصبة
 ولهذا اخرج على قومه من الاخلاق في زينتته وفضل الخلق بطينة غير طينته
 ومن فضله أنه يسأل عن السائلين ويحتال في استنباط أمل الآملين ثم مضى
 على هذا النهج حتى انتهت الكتاب والفرض أن تعلم أيها المتعلم كيف تضع يدك
 في اخذ ما تأخذه من بعض الآية ثم تضيف اليه كلاما من عندك وتجعل مسجوعا
 كما قد فعلت أنا في هذا الموضع ألا ترى أنني أخذت بعض هذه الآية في قصة من
 سورة القصص وهي قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبني عليهم وآتاهم
 من الكنوز ما ان مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله
 لا يحب الفرحين فهذه الآية أخذت بعضها وأضفت اليه كلاما من عندي حتى
 جاء كما تراهم مسجوعا وكذلك فعلت بالآية الاخرى من هذه السورة أيضا وهي قوله
 فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي
 قارون انه لذو حظ عظيم وهذا ينبغي لك اذا أردت أن تسلك هذه الطريق وقد رت
 على سلكها وهي من محاسن الصناعة البلاغية وليس فوقها من الكلام ما هو
 أعلى درجة منها لانها مزوجة بالقرآن لأعلى وجه التضمين بل على وجه الانتظام به
 والله يختص بها من يشاء من عباده وفيما ذكرته من نثر هذه الآيات كفاية
 للمتعلم (وأما) الاخبار النبوية فكما للقرآن العزيز في حل معانيها (فان قلت) ان
 الاخبار النبوية لا يجري فيها الاصر مجرى القرآن اذ القرآن له حاصر وضابط
 وكل آياته تدخل في الاستعمال كما قال بعضهم لوضاع من هتال لوجدته
 في القرآن الكريم وأما الاخبار فليست كذلك لانها كثيرة لا تحصر ولوا انحصرت
 لكان منها ما يدخل في الاستعمال ومنها ما لا يدخل ولا بد من بيان ~~يمكن~~

الاحاطة به والوقوف عنده (قلت) في الجواب عن هذا انك اقول ما تحفظه من
 الاخبار هو كتاب الشهاب فانه كتاب مختصر وجميع ما فيه يستعمل لانه يتضمن
 حكما وآدابا فاذا حفظته وتذرت باستعماله كما اريدك ههنا حصل عندك قوة على
 التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخل وعند ذلك تصفح كتاب
 صحيح البخاري ومسلم والموطا والترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي وغيرها
 من كتب الحديث وتاخذ ما تحتاج اليه وأهل مكة أشهر بشارعها والذي تأخذه
 ان أمكنك حفظه والدرس عليه فهو المراد لان ما لا تحفظه فليست منسه على ثقة
 وان كان لك محفوظات كثيرة كالقرآن الكريم ودواوين كثيرة من الشعر
 وما ورد من الامثال السائرة وغير ذلك مما أشرفنا اليه فعليك بدوام المطالعة
 للاخبار والا يكثر من استعمالها في كلامك حتى ترقم على خاطرك فتشكون اذا
 احتجت منها الى شيء وجدته وسهل عليك أن تأتي به ارجحالا فتأمل ما أوردته
 عليك وأهل به وكنت جردت من الاخبار النبوية كتابا يشغل على ثلاثة آلاف
 خبر كما تدخل في الاستعمال وما زلت أو اطلب مطالعته مدة تزيد على عشرين
 فكنت انهي مطالعته في كل أسبوع مرة حتى داره على خاطري وخاطري ما يزيد
 على خمسمائة مرة وصار محفوظا لا يشغني منسه شيء وهذا الذي أوردته ههنا
 في حل معاني الاخبار هو من هناك وسأذكر ما دار بيني وبين بعض علماء الادب
 في هذا الاسلوب الذي أنا بصدد ههنا وذلك انه استوعبه وأنكره وقال هذا
 لا يتهيأ الا في الشيء اليسير من الاخبار النبوية فقلت لا بل يتهيأ في الاكثر منها
 فقال قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اختص اليه في جنين فقصي على
 من استقطه بغرة عبد أو أمة فأمين يستعمل هذا فافكرت فيما ذكره ثم أنشأت هذا
 الفصل من الكلام وأودعته فيه قد كثرا لجهل حتى لا يقال فلان عالم وفلان
 جاهل وضرب المثل يياقل وكم في هذه الصور الممثلة من باقل ولو عرف كل انسان
 قدره لما مشى بدن الانثى رأسه ولا انتصب رأس الاعلى بدنه وان كان صاحب
 العمامة بهمامته وصاحب الرسن أحق برسنه وكنت سمعت بكاتب من الكتاب
 كلمة الى فثانة وقلبه بغثائه لا يستنسر وأي بطش لبغثائه واذا وجب الوضوء
 على غيره بالخارج من السبيلين وجب عليه من سبل ثلاثة هذا وهو يدعي أنه
 في الفصاحة أمة وحده ومن قس اباد ومحبان وائل عنده واذا كشف عن

خاطره وجد باليد الا يخرج من العمه والكفه وان رام أن يستنجه في حين من
 الاحيان قضى عليه بغرة عبيد أو أمه وكثيرا ما تقدم وتقيسته هذه على
 الافاضل من العلماء وقد صار الناس الى زمان يملكون فيه حضيض الارض على
 هام السماء فلما أوردته عليه ظهر ثمار الحسد على صفحات وجهه
 وفلمات لسانه مع اجهاب به واستغرابه اياه ثم قال وقد ورد عن النبي صلى الله
 عليه وسلم هذا الحديث وهو لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال فهذا
 أين يستعمل من المكاتبات فترويت في قوله ترويا يسيرا ثم قلت هذا يستعمل
 في كتاب الى ديوان الخلافة وأملت عليه الكتاب فخاف هذا الحديث في فصل
 منه وهو اذا فاض الخادم في وصف ولاته نكصت همم الاولياء عن مقامه
 وعلموا أنه اخذ الامر بزمامه فقد أصبح وايس بقلبه سوى الولاء والايمن
 فهذا يظهر أثره في طاعة السر وهذا في طاعة الاملان وما عداهما فان دخوله
 الى قلبه من الاشياء المخطورة والملائكة لا تدخل بيتا فيه تمثال ولا صورة
 عليه قول الديوان العزيز على سيف من سيف الله يفرى بلا ضارب ويسرى
 بلا حامل ولا يسل الا يدحق ولا يفقد الا في ظهر باطل وايعلم أنه ككرشه
 وصيته في تضمين الاسرار وأنه أحسن عديده اذا عذت مواقف الانصار فلما
 رأى هذا الفصل بهت له وأجيب منه ثم اني لم أقنع بما يرا ذلك الحديث حتى قرنت
 به حديثا آخر وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم الانصار كرشى وعبيتى
 وحيث مرتكك أيها المتعلم ما تقدي به في هذا الموضع فقد ذكرت لك أمثلة
 كثيرة تتدرب بها (فن ذلك) ما ذكرته في دعاء كتاب من الكتب وهو اعاد الله
 أيامه من الغير وبين بخطر مجده نقص كل خطر وجعل ذكره زاد الكل ركب
 وأنسا لكل ممر ومنحه من فضله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
 بشر وهذا المعنى مأخوذ من الحديث في وصف نعيم الجنة فقلته الى الدعاء
 (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الحلم وهو تركته حتى جال في الميدان وامتد
 في الاشيطان ولم اتصر خوفا من قيام الملك وقعود الشيطان والحلم لا يظهر أثر
 حله الا عند تلذذه والكظام هو أشد ما يخاف من تلذذه وهذا المعنى أخذته من
 قصة أبي بكر رضي الله عنه في خصامه فانه بقى عليه ثلاث مرات وهو ساكت في
 الثالثة اتصر فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان الملك جالسا الى جانب أبي بكر

يكذب خهجه بما يقول فلما اتصروا قام الملك وفتح الشيطان (ومن ذلك) ما ذكرته
 في النصر على العدو في موطن القتال وهو أخذنا بسنة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في النصر الذي نرجوه ونبتنا في وجه العدو وكفنا من التراب وقلنا شامت
 الوجوه فثبت الله ما نزل من أقدامنا وأقدم حيزوم فأغنى عن أقدامنا
 وهذان المعنيان أحدهما مأخوذ من حديث غزوة حنين وما فعله رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في أخذه قبضة من التراب وألقاها في وجوه الكفار وقوله شامت
 الوجوه والمعنى الآخر مأخوذ من حديث غزوة بدر وذلك أن رجلا من المسلمين
 لاقى رجلا من الكفار وأراد أن يضربه فخر على الأرض ميتا قبل أن يصل إليه
 وسمع الرجل المسلم صوتا من فوقه وهو يقول أقدم حيزوم فشاء إلى النبي صلى
 الله عليه وسلم وأخبره فقال ذلك من مدد السماء الثالثة (ومن ذلك) ما ذكرته
 في ضيق مجال الحرب وهو وضاق الضرب بين الفريقين حتى اتصلت مواقع
 البيض الذكور وتماخضت القور بالقور والصدور بالصدور واستظل حينئذ
 بالسيف لاشتباك مجالها وتبقت مقاعد الجنة التي هي تحت ظلالها وهو
 مأخوذ من الحديث النبوي وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم الجنة تحت
 ظلال السيف (ومن ذلك) ما ذكرته في جله كتاب آدم فيه الزمان فقلت
 ولكنها الأيام تدي الناس جوهرها كل غريفة وتسوسنا سياسة العبد المهدد
 الذي كان رأسه زبيده وليس للمرء فيما يليق من أحداثها نعمى كانت أو يؤسى إلا
 أن يكل الأمور إلى وليها فيقول حاج آدم موسى وهذا مأخوذ من الخبر النبوي
 في قوله صلى الله عليه وسلم حاج آدم موسى فقال له موسى أنت أخرجت الناس
 بخطيئتكم من الجنة وأشقيتهم فقال له آدم أنت الذي اصطفاك الله تعالى برسالاته
 وكلامه أتألمني على أمر كتبته الله تعالى علي قبل أن يخلقني قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم حج آدم موسى (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف بعض الكتاب وهو
 فصل من كتاب كتبه إليه فقات وأقد سردت عليه أحاديث البلاغة فاستغنى
 عن سطر دانه وهدى إلى جوامع كلها فاقتدى الناس بأهله فاذ الشبهت
 عنده مسالك طرقاتها لم يملكه سلطان الحيرة وإن أغرب في أساليبها لم يقل فيه
 ما قيل في رواية أبي هريرة وهذا الفصل من أحسن ما يؤتى به في صناعة نثر المعاني
 وهو مأخوذ من حديث أبي هريرة قال قالت يا رسول الله أسمع منك أشياء

فلا أخفها فاشال اب بطرداء له قسطة فحدث حديثا كثيرا فأنشيت شيئا
 حدثني به (وأما) رواية أبي هريرة فشك فيها قوم لكثيرتها وقد اجتمع في هذا الفصل
 معني الحديث النبوي وغيره ومثل هذا لا يضمن له عند الوقوف عليه الا من يقهر
 في الوقوف على الاخبار النبوية ومن أجل ذلك جعلته ركنا من أركان الكتابة
 في الفصل التاسع (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم بعض البلاد الوضحة فقلت
 ومن صفاتها أنها مدمرة مستتبلة الطينة مجموع لها بين حرمة ولاؤا المدينة
 إلا أنهم يأمن حرمها في الحظفة ولا نقلت حماها الى الجحفة في هذه الكلمات
 القصار آية من القرآن الكريم وخبران من الاخبار النبوية فالآية من سورة
 العنكبوت وهي قوله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آتنا ويتخطى الناس من
 حولهم وهذا موضع يختص بالاخبار لا بالآيات غير أن الآية جاءت ضمنا وتبعها
 وأما الخبران فالأول منهم ما قول النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حرمة
 ولاؤا المدينة ضمنت له على الله الجنة وأما الثاني فقوله صلى الله عليه وسلم
 في دعائه لامدينية اللهم حبيب الدنيا كما حبيت الينا مكة وانقل حماها الى الجحفة
 فانظر أيهم المتأمل الى هذه الكلمات حتى تعلم أن عبدك امه ووجه من الآية
 والخبرين سواء بسواء وهذا طريق لو اذعنتم الافراد بآلهو كلفنا الخلف على
 في الاعتراف به اثنان (ومن ذلك) ما كتبت في كتاب الى بعض الاخوان
 جوابا عن كتاب ورد منه وكان كتابه تأخر عن زماننا طويلا فقلت ولما تأملت
 ضاعته الى وانزمت ثم استأنته والتفتت وعلمت أن المعارف وان قدمت أيامها
 انساب وشجعة وتأسيت بالخلق النبوي في العجز التي كانت تأتي في زمن خديجة
 وهذا مأخوذ من الخبر المنقول عن عائشة رضي الله عنها ورواها قالت كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يذبح الشاة فيعطيها العشاء ويقسمها في أحد قاء
 خديجة وكانت تأتيه عجوز فذكر معها ويطلب لها رداء فبدأ الله عن ذلك فقال
 هذه كانت تأتينا في زمن خديجة وحسن العهد من الايمان (ومن ذلك) ما ذكرته
 في وصف كتاب وهو كل سطر حنة روضة غير أن البديل في مناج وكل معنى منه
 دمية غير أن ليس على مصق وها من جناح وهذا مأخوذ من الحديث في تخريم
 الصور (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف كريم وهو فأشفي بجوده اغناء المطهر
 وسجنا الى المدالي سعدوا الشمس وسار في هذا اتمام سيرة القدر ونج من ابحار

فضائله ما اذا ادعاه غيره قيل للعاهرا الجبر وهذا المعنى من قول النبي صلى
الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الجبر (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف
الفصاحة فقلت افكار الخواطر لا تستولد على انفرادها وغايتها ان يتشاكح
في استنتاج اولادها وأنا أنكح فكري اذ كرى نكاح الانساب ولا أخاف
أن أضوي فأميل الى الاعترا ب وهذا مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه
وسلم في الامر بنكاح البعيدة النسب فقال غرتوا لا تضوا يريد بذلك أن
الانسان اذا نكح المرأة القريبة اليه حصل بينهما ما حياه يمنع من قضاء الشهوة
كما ينبغي فيجسى الولد ضاويأى هز بلا وهذا معنى غريب لي استخرجته من
الحديث النبوى (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الاخوان
جوابا عن كتاب ورد منه يتضمن الشكوى من شخص جرت بينه وبينه خصامة
فقلت وصل كتابه وهو كتاب من أكثر الشكوى وطاب العبدوى ونزل
من التظلم بالعدوة الدنيا وأنزل خصمه بالعدوة القصوى والقاضى لا يحكم
لاحد الخصمين حتى يحضر صاحبه وان فقت عين أحدهما فربما فقت عين
الآخر وهشم حاجبه على أنه قد اعترف أن كليه ما كان للحم أخيه آكلا
وعليه في حال محضه جاهلا وسباب المؤمن معدود من فسوقه واطراقه عن
تورده هذا المقام أولى من طروقه ولولا تغليظ التكبر لما جعل اللسان واليد
سواء فيما جرحا ولما أخر الله المغفرة عن الخاطئين فيها حتى يصطلحا فيكن أنت
من أطاع تقواه لاهواء واتبع من علم الحق قرأه أو سمعه فرواه واعلم أن
تجابر الاخوين فوق الثلاث من منيات الحرام وان القائلين بالاجر منها هو
البادئ باللام ودفع السيئة بالسنة يجعل العدو وليا حيا وقد جعل الله
المخلوق بهذا الخلق صابرا وجعل له ظاهريا والشیطان انما يحوم على آثاره
مواقع الشنآن ولا يحمد من اعمال بنيه شيأ الا ما زيل بين الاخوان في هذا
الفصل معانى آيات وأخبار وهذا الموضع مختص بذكر الاخبار دون الآيات
فأقول المعانى المأخوذة من الاخبار قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاك أحد
الخصمين وقد فقت عينه فلا تحسب له فرما أتى خصمه وقد فقت عيناه وأما
المعنى الثانى فقوله صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأما
المعنى الثالث فقوله صلى الله عليه وسلم ان الاعمال تعرض على الله يوم الاثنين

ويوم الخميس فبغفر لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً الا امرأ كانت بينه وبين أخيه
شخصاء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا وأما المعنى الرابع فقوله صلى الله عليه
وسلم لا يحجل له ومن أن يجر أخاه فوق ثلاث وأما المعنى الخامس فقوله النبي
صلى الله عليه وسلم اذا التقى المتهاجران فأعرض هذا وأعرض هذا فغيرهما الذي
يبدأ بالسلام وأما المعنى السادس فقوله صلى الله عليه وسلم ان ابليس له عرش
على البحر في بيت بنيه في آفاق الارض فيأتي أحدهم فيقول فعلت كذا وفعلت كذا
فيقول ما فعلت شيئاً ويأتي أحدهم فيقول زيلت بينه وبين أخيه أو بينه وبين
زوجته فيقول نعم الولد أنت فانظر كم في هذه الاسطر السيرة من معنى خبر نبوي
هذا سوى ما فيها من معاني الآيات واذا عُدت هذه الكلمات المذكورة
في هذه الاسطر وجدت جميعها منتظمة من الآية والخبر وهذا ما يدل على
الاكثار من المحفوظ واستحضاره عند الحاجة اليه على الفور (ومن ذلك)
ما ذكرته في صدر كتاب وهو جواب عن كتاب يتضمن تمهيداً وتخويفاً فقلت
ورد الكتاب مضمناً من الوعد والوعيد ما أنس نفس المملوك وأوحشها وتقع
ضلوعه وأعطشها وأقام له من الظنون السيئة جنوداً تقاؤه وتأخذ عليه
شعب الافكار فلا تراوله وكانت كلماته طوالاً وأوراقه ثقلاً وما أفلت سطر
من سطره الا كان الاخر له عقلاً والماست ~~ك~~ملى الوقوف عليه ثقلت
أطوار الخوف والرجاء من أطواره وعرضت عليه الجنة والنار في قرطاسه
كما عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرض جداره ولولا وثوقه بأمانة
مولانا لذهبت نفسه فرقا وابتنى في السماء سما وفي الارض نفقا لكنه قد
فوسم في كرمه مخايل الصنع الوسيم وغرم منه ما غرته من ربه الكريم وعلم أن
خلق حلمه يغلب خلق غضبه اذ هذا حادث وذالك قديم في هذا الفصل معنى خبر
من الاخبار النبوية وهو أنه كان صلوات الله عليه يحطب فقال بيده الى الجدار
وقال عرضت على الجنة والنار في عرض هذا الجدار فلم أركأ اليوم في الخير والشر
(ومن ذلك) ما ذكرته في صدر كتاب الى بعض الاخوان وهو المدام يواصل
بالدعاء الذي لا يزال لقلبه زميلاً وللسان رسيلاً واذا رفع أدنته الملائكة قرباً
اذا تبعادت عن غيره ميلاً ولاعتد اداب الدعاء الا اذا صدر عن أكرم مصدر
ووجد له فوق السماء مظهر راوان لم يكن هنالك من مظهر ووصف باطنه بأنه

الأبيض الناصع الذي هو خير من ظاهر الاشعث الاغبى ولا يعامل الخادم أهل
 وده الابهـ هذه المعاملة ومن خلقه المجازفة في بذل المودة اذا أخذ الناس نسبة
 المكابلة في هذا معنى خبرين أحدهما قول النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا
 كذب الكاذب تباعد الملك عنه ميلانين كذبه والاخر قوله صلى الله عليه
 وسلم لم رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره (ومن هذا
 الباب) ما ذكرته في كتاب يتضمن خطبة مودة فابتدأت الكلام فيه بعد
 تصدره بالدعاء فقلت لولا المعادة لرفع الخادم كتابه هذا أن يسطر في ورقة وليس
 ذلك الا لرساله في خطبة مودة رأى صورتها في سرقة ولما تأملها قال ان يكن
 ذلك من عند الله يمضه وأبدى لها صفة الرضا وان كانت كل مودة لم ترضه
 وخبر المودات ما ليس لها ضرر تشايركها في وسامتها ولا تضاهيها في درجة
 كرامتها فقلت التي تزدهي ذال الهمة أبوة وجمالا ولم يغله مهرها ولو بذل فيه نفسا
 لا مالا وما ينظم الخادم الا هذه المودة التي خطاها وقد علمت أن تكون راضية
 ولكن هو الذي أرغبها على أنه لم يترشح لها الا من هو من أكتافها وليست
 الكفاءة ههنا الا ما تبذله الضعفاء من صفاتها وقد أتاح الله لها كفو ايكثر من
 ايناسها ويضعها من البر في محلة تليها ويجعل كل يوم من ايامها عرسا حتى
 تتصل مواسم أعراسها ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب والمعنى
 المأخوذ فيه من الخبر النبوي في موضعين الاول أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال لعائشة رضي الله عنها ان جبريل عليه السلام عرض علي صورتي في سرقة
 والسرقة حرة بيضاء وقال هذه زوجتك في الدنيا والاخرة فقلت ان يكن
 ذلك من عند الله يمضه فأخذت لنا هذا المعنى ونقلته الى خطبة مودة ولا يأتي في
 خطبة المودات شيء أحسن منه ولا ألقف ولا اشتمة قصدا الخبر النبوي الثاني
 قول النبي صلى الله عليه وسلم انما تنكح المرأة لربع الحسب أو لدينها أو لمالها أو
 لجمالها فقلت أنا فقلت التي تزدهي الهمة أبوة وجمالا أي قد جعت الحسب
 والجمال (ومن ذلك) ما ذكرته في سبب حب المال وهو بين المال علاقة وكيدة
 وبين القلوب وهي له بمنزلة المحب وهو لها بمنزلة المحبوب وليس ذلك الا لأن الله
 قبض قبضة من جميع الارض فخلق آدم من تلك القبضة ويوشك حينئذ أن
 صورة قلبه تكونت من معدن الذهب والفضة ولولا أن يكون منهم ما عسر ابدانه

لما جعلها مما الاطباء دواء من دائه فلا تستغرب اذن أن تكون على حبه مما
 مطبوعا اذ كان منها مصنوعا وهذا المعنى من قول النبي صلى الله عليه وسلم
 ان الله خلق آدم من قبضة قبضتها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض
 منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والحزن والسهل والحديث والطيب وغير
 أنى استنبطت أنا حب المال من هذا الحديث وهو معنى غريب لم أسبق اليه
 (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف كلام وهو ليس السحر ما أودع في جف طاعة بل
 ما أودع في صوغ معنى أو نظم جملة ولذلك ليس في شعره أسحر من ليس في شعره
 وكلام منعه ما من الغريب المحيى غير أن ما يستنبط من القلب أعجب مما يدفن
 في القلب وهذا المعنى مأخوذ من قصة ليس بن الأعصر في شعره النبي صلى
 الله عليه وسلم ومن عرف القصة وصورتها علم ما قد ذكرته في شرح هذه الكلمات
 البديعة (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف المتجنين من جملة كتاب فقلت ونصب
 المتجنين بفتح بين يدي السور مناصيا وبسط كفه اليه مؤثرا ثم تولى عقوبته
 بعصاه التي تفتك بأججاره وإذا عصى عليه باليد أخذت في تأديب أسواره فما
 كان إلا أن استمرت عقوبته عليه حتى صار قائمه حميدا وعاصيه مستقيدا
 وقال ألم يكن نهى عن المذ والتجريد تعالى لا أرى الامدا وتجريدا وعند ذلك
 أذعن أفتح الابواب وتلا قوله تعالى لكل أجل كتاب وكذلك لم تات
 صعبا الاستسهل ولا حثنا طيا الاستعجل واطما الموقوف غيرنا على هذا
 البلد فشق طول الانتظار ولم يحفظ منه الاعساءة المنصب اجار الديار في هذا
 الفصل معنى خبر من الاخبار النبوية وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم في النهي
 عن ضرب الحدود لامة ولا تجريد أي لا يعتد على الارض ولا يجرد عنه ثوبه (ومن
 ذلك) ما ذكرته في صدر كتاب الى الديوان العزيز النبوي وهو بخلد الله دوله
 الديوان العزيز النبوي ولا زالت اكافها وادعة وعلياؤها جامعة وجدودها
 كالنجوم التي ترى في كل حين طالعة وأيامها كالليالي ساكنة ولياليها كالايام
 ناصعة وأبوابها كواب الجنة التي يقال فيها ثامن وثامنة اذا قيل في أبواب
 غيرها سابع وسابع وهذا الدعاء قد استجاب له الله فبيل أن ترفع اليه يد أو ينطق
 به ضمير فاذا دعاه الخادم وجب له صنع الله فبيل أن ترفع اليه يد أو ينطق
 الاخير فليس له حينئذ الا أن يدعو لما شؤله الديوان العزيز بالدوام وأن يعينه

من النقص بعد القيام ثم يستهدى ما يؤهل له من الخدم التي يعتد بها من لطائف
الاحسان واذا ندب لتكليف أو امرها قال والحمد والشكر يسجدان
ولا شك أن درجات الاولياء متفاوتة في الصفات والامعاء فمما يكون بيان
الارض ومنها ما يرى كالنوكب في أفق السماء ولولا النهي عن تركية المرة نفسه
لا دعى الخادم أن له اعلاها وجاء بالاولياء من بعده فقال والشمس وضحاها
والقمر اذا تلاها لكنه لا يمتنع باعتداله عند الله من ذنوبه وسر الولاء في هذا
المقام أكرم من جهرة وايس الذي يمتن بصلاته وصيامه كالذي يمتن بسر وقر في
صدره والله لا يتطرق الى الاعمال وانما ينظر الى القلوب وقر في بين المطيع
بحضرة الشهادة وبين المطيع بظهر الغيوب ولو اطاع الديوان العزيز على ضمير
الخادم في الطاعة لسرته وعلم أن الاشعث الاخير الذي لو أقسم على الله لأبره
في هذا الفصل من الآيات والاعبار هذه مواضع وهذا الموضع يختص بالاعبار
فلنذكر هادون الآيات أما الاول منه فاقول النبي صلى الله عليه وسلم انكم
ترون أهل الدرجات العلى في الجنة كما ترون النوكب في أفق السماء وأما
الخير الثاني فقول صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا صيام وانكن
فضلتكم بسر وقر في صدره وأما الخير الثالث فقول صلى الله عليه وسلم رب
أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره وفيما أوردته من حل المعاني
الشعرية وحل آيات القرآن والاعبار النبوية طريق واضح ان يقوى على سلوكه
والله الموفق للصواب

(المقالة الاولى في الصناعة اللفظية)

وهي تنقسم قسمين (القسم الاول في اللفظة المقررة) اعلم أنه يحتاج صاحب هذه
الصناعة في تأليفه الى ثلاثة أشياء الاول منها اختيار الالفاظ المفردة وحكم ذلك
بحكم اللاتى المبتددة فانها تختير وتنتقى قبل النظم الثاني نظم كل كلمة مع اختها
في المشاكلة لها للتلاجيء الكلام قلنا فافرا عن مواضعه وحكم ذلك بحكم
العقد المنظوم في اقتران كل او اوة منه بأختها المشاكلة لها الثالث الغرض
المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه وحكم ذلك بحكم الموضع الذي
يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل على الرأس وتارة يجعل قلادة
في العنق وتارة يجعل شفة في الاذن واسكن موضع من هذه المواضع هيئة من

الحسن تخلصه فهذه ثلاثة أشياء لا بد للطبيب والشاعر من العناية بهم وهي
 الأصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر فالأول والثاني من هذه
 الثلاثة المذكورة هما المراد بالفصاحة والثلاثة بجمالها هي المراد بالبلاغة
 وهذا الموضع يفضل في سلوك طريقة العلماء بصناعة صنوع الكلام من النظم والنثر
 فكيف البهال الذين لم تنفعهم رائحة ومن الذي يؤتبه الله فطرة فاصحة يكاد
 زيتها يفضى ولولم نفسه نار حتى ينظر إلى أسرارها يستعمله من الالفاظ فيضعها
 في مواضعها ومن يجيب ذلك أنك ترى لفظتين يدلان على معنى واحد وكلاهما
 حسن في الاستعمال وهما على وزن واحد وعدة واحدة لأنه لا يحسن
 استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما في مواضع السبك
 وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه وجل نظره فمن ذلك قوله تعالى ما جعل
 الله لرجل من قلبين في جوفه وقوله تعالى رب اني نذرت لك ما في بطني محررا
 فاستعمل الجوف في الاولى والبطن في الثانية ولم يستعمل الجوف موضع
 البطن ولا البطن موضع الجوف واللفظتان سواء في الدلالة وهما اثنتان
 في عدد واحد ووزنهما واحد أيضا فانظر إلى سبك الالفاظ كيف تفعل
 وما يجرى هذا المجرى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقوله ان في ذلك
 لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فالقلب والفؤاد سواء في الدلالة
 وان كانا مختلفين في الوزن ولم يستعمل في القرآن أحدهما في موضع الآخر
 وعلى هذا ورد قول الأعرج من أبيات الحماسة

فمن بئو الموت اذا الموت نزل * لا عار بالموت اذا حم الأجل

* الموت أحلى عندنا من العسل *

وقال أبو الطيب المتنبي

اذابي مشت حفت على كل سابع * رجال كان الموت في فخها شهد

فهاتان لفظةان هما العسل والشهد وكلاهما حسن مستعمل لا يشك في حسنه
 واستعماله وقد وردت لفظة العسل في القرآن دون لفظة الشهد لانها أحسن
 منها ومع هذا فان لفظة الشهد وردت في بيت أبي الطيب فخامت أحسن من
 لفظة العسل في بيت الأعرج وكثيرا ما تجد أمثال ذلك في أقوال الشعراء
 المقلقين وغيرهم ومن بلغاء الكتاب ومصحفي الخطباء ويحتمل دقائقي ورموزا إذا

علمت وقيس عليها شيئا وتظاهرها كان صاحب الكلام في النظم والنثر قد انتهى الى الغاية القصوى في اختيار الالفاظ ووضعها في مواضعها اللاتعة بها واعلم أن تماثل التفاضل يقع في تركيب الالفاظ اكثر مما يقع في مفرداتها لان التركيب اعم وأشق ألا ترى الالفاظ القرآنية الكريمة من حيث انفرادها قد استعملتها العرب ومن بعدهم ومع ذلك فانه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه وليس ذلك الا بفضل التركيب وهل تشك أيها المتأمل ان كتابنا هذا اذا فكرت في قوله تعالى وقيل يا ارض ابلي ماءك وباسمنا اقلبي وغيبض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعد للقوم الظالمين أنك لم تجد ما وجدته اهذه الالفاظ من المازية الظاهرة الا امر يرجع الى تركيبها وأنه لم يعرض لها هذا الحسن الا من حيث لا يلتفت الاولى بالشانية والثالثة بالرابعة وكذلك الى آخرها فان ارتبت في ذلك فتأمل هل ترى لفظة منها الواخذت من مكانها أو أفردت من بين اخواتها كانت لايسة من الحسن ما لبسته في موضعها من الآية ومما يشهد لذلك ويؤيده أنك ترى اللطيفة تروك في كلام ثم تراها في كلام آخر فتكررها فهذا ينكر من لم يثق بامم القضاة ولا عرف أسرار الالفاظ في تركيبها وانفرادها وشأن ضرب لك مثالا يشهد بحجة ما ذكرته وهو أنه قد جاءت لفظة واحدة في آية من القرآن وبیت من الشعر فجاءت في القرآن بحرف متبينة وفي الشعر ركيكة ضعيفة فأثر التركيب فيها هذين الوصفين الضدين أما الآية فهي قوله تعالى فاذا طعمتم فانتمشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستغي منكم والله لا يستغي من الحق وأما بيت الشعر فهو قول أبي الطيب المتنبي

تلذله المرأاة وهي تؤذي * ومن يعشق بلذله الغرام

وهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة الا أن لفظة تؤذي قد جاءت فيه وفي الآية من القرآن فخطت من قدر البيت لضعف تركيبها وحسن موقعها في تركيب الآية فالصفت أيها المتأمل لما ذكرناه واعرضه على طبعك السليم حتى تعلم محنته وهذا موطع غامض يحتاج الى تفصيل فذكره وامعان نظر وماتعريض للتنبيه عليه أحد قبلي وهذه اللفظة التي هي تؤذي اذا جاءت في الكلام فينبغي أن تكون من درجته مع ما يأتي بعدها مما علاقة به كقوله تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي وقد جاءت في قول المتنبي منقطعاً ألا ترى أنه قال تلذله المرأاة

وهي تؤذى ثم قال ومن يعشق يلذله الغرام فجاء بكلام مستأنف وقد جاءت
هذه اللفظة بعينها في الحديث النبوي وأضيف إليها كاف الخطاب فأزال ما بها
من الضعف والركه وذلك أنه اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه
السلام ورقاه فقال بسم الله أرقبك من كل داء يؤذيك فانظر الى السر
في استعمال اللفظة الواحدة فإنه لما زيد على هذه اللفظة حرف واحد أصلها
وحسنها ومن ههنا تزايد الهاء في بعض المواضع كقوله تعالى فأما من أرقى
كأبه يمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابه اني ظننت اني ملاق حسابه ثم قال
ما أغنى عنى ماله هلك عنى سطاينه فان الاصل في هذه اللفاظ كتابي
وحسابي ومالي وسلطاني فلما أضيفت الهاء إليها وتسمى هاء المسكت أضافت
إليها حسنا زائدا على حسنها وكستها لطافة ولباقة وكذلك ورد في القرآن
الكريم ان هذا أخي له تسع وتسعون نجمة ولي نجمة واحدة فلفظة لي أيضا مثل
لفظة تؤذى وقد جاءت في الآية مندرجة متعلقة بما بعدها واذا جاءت منقطعة
لا تجي ولا تقة كقول أبي الطيب أيضا

تسمى الاماني صرعى دون مبلغه * فبايقول لشيئ ليت ذلك لي
وربما وقع بعض الجهال في هذا الموضع فأدخل فيه ما ليس منه كقول
أبي الطيب

ما أجد رايام واليالي * بان تقول ماله ومالي

فان لفظة لي ههنا قد وردت بعد ما وقبلها ماله ثم قال ومالي فجاء الكلام على نسق
واحد ولو جاءت لفظة لي ههنا كما جاءت في البيت الاول لكانت منقطعة عن النظر
والشبيه فكان يعملوها الضعف والركه وبين ورودها ههنا وورودها في البيت
الاول فرق يحسبكم فيه الذوق السليم وههنا من هذا النوع لفظة أخرى قد
وردت في آية من القرآن الكريم وفي بيت من شعر الفرزدق فجاءت في القرآن
حسنة وفي البيت الشعر غير حسنة وتلك اللفظة هي لفظة القمل أما الآية فقوله
تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات
وأما البيت الشعر فقول الفرزدق

من عزه احتجرت كليب عنده * زربا كأنهم لديه القمل

وانما حسنت هذه اللفظة في الآية دون هذا البيت من الشعر لأنها جاءت في الآية

مندرجة في ضمن كلام ولم ينقطع الكلام عندها وجاءت في الشعر قافية أي آخر
انقطع الكلام عندها وإذا نظرنا إلى حكمة أمرار الفصاحة في القرآن الكريم
غصنا منه في بحر عميق لا قرار له فمن ذلك هذه الآية المشار إليها فإنها قد تضمنت
خمس ألفاظ هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وأحسن هذه
الالفاظ الخمسة هي الطوفان والجراد والدم فلما وردت هذه الالفاظ الخمسة
بجملتها قدم منها الفظنا الطوفان والجراد وأخرت لفظة الدم آخر وأوجعت لفظة
القمل والضفادع في الوسط ليمرّق السمع أو لا الحسن من الالفاظ الخمسة وينتهي
إليه آخر ثم إن لفظة الدم أحسن من لفظي الطوفان والجراد وأخف
في الاستعمال ومن أجل ذلك جئنا بها آخرًا ومراعاة مثل هذه الاسرار والدقائق
في استعمال الالفاظ ليس من القدرة البشرية (وقد ذكر) من تقدمتني من علماء
البيان للالفاظ المفردة خصائص وهيأت تصف بها واختلفوا في ذلك
واستحسن أحدهم شيئاً يخولف فيه وكذلك استعجب الآخر شيئاً يخولف فيه
ولو حققوا النظر ووقفوا على السر في انصاف بعض الالفاظ بالحسن وبعضها
بالقبح لما كان بينهم خلاف في شيء منها وقد أشرت إلى ذلك في الفصل الثامن
من مقدمة كتابي هذا الذي يشتمل على ذكر الفصاحة وفي الوقوف عليه
والاحاطة به غنى عن غيره لكن لا بد أن نذكر ههنا تفصيلاً لما أجلنا ههنا لأننا
ذكرنا في ذلك الفصل أن الالفاظ داخلية في حيز الاصوات لأنها مركبة من مخارج
الحروف فاستلزم السمع منها فهو الحسن وما كرهه ونبا عنه فهو القبح
وإذا ثبت ذلك فلا حاجة إلى ما ذكر من تلك الخصائص والهيئات التي أوردتها علماء
البيان في كتبهم لأنه إذا كان اللفظ لا يذوق في السمع كان حسناً وإذا كان حسناً
دخلت تلك الخصائص والهيئات في ضمن حسنه (وقد رأيت) جماعة من الجهال
إذا قيل لأحدهم إن هذه اللفظة حسنة وهذه قبيحة أنكروا ذلك وقال كل الالفاظ
حسن والواضح لم يضع إلا حسناً ومن يبلغ جهله إلى أن لا يفرق بين لفظة الغصن
ولفظة العسلوج وبين لفظة المدامة ولفظة الاسفوط وبين لفظة السيف ولفظة
الخنزير وبين لفظة الاسد ولفظة القدوكس فلا ينبغي أن يخاطب بخطاب
ولا يجاب بجواب بل يترك شأنه كما قيل أتركوا الجاهل بجهله ولو أتى الجعر
في رحله وما مثاله في هذا المقام إلا أن يسوي بين صورة زنجية سوداء مظلمة

ودعي من قال إن كل الالفاظ حسن والواضح لم يضع إلا حسناً

السواد شوهاء الخلق ذات عين حجرة وشفة غليظة كأنها كاوة وشعر ققط كأنه
 زبيبة وبين صورة رومية يضاء مشربة بمجرة ذات خذ أسيل وطرف كحيل
 ومبسم كأنما نظم من اقحاح وطرة كأنه البيل على صباح فإذا كان بإنسان
 من مقام النظر أن يسوى بين هذه الصورة وهذه فلا يبعد أن يكون به من سقم
 القم **ك**ر أن يسوى بين هذه الالفاظ وهذه ولا فرق بين النظر والسمع في هذا
 المقام فإن هذا حاسة وهذا حاسة وقياس حاسة على حاسة مناسب فإن عاند معاند
 في هذا وقال أغراض الناس مختلفة فيما يختارونه من هذه الاشياء وقد يعشق
 الانسان صورة الزنجية التي ذمها ويفضلها على صورة الرومية التي وصفها
 قلت في الجواب نحن لا نحكم على الشاذ القادر الخارج عن الاعتدال بل نحكم
 على الكثير الغالب وكذلك اذا رأينا شخصا يحب أكل الفهم مثلا أو أكل الجص
 والتراب ويختار ذلك على ملاذ الاطعمة فهل نستجيد هذه الشهوة أو نحكم عليه
 بأنه مريض قد فسدت معدته وهو محتاج الى علاج ومداواة ومن له أدنى
 بصيرة يعلم أن الالفاظ في الاذن نعمة لذينة كنغمة أوتار وصوت منكر كصوت
 حمار وأن لها في الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة الحنظل وهي
 على ذلك تجري مجرى التغمات والطعوم ولا يسبق وهمك أيها المتأمل الى قول
 القائل الذي غلب عليه غلط الطبع وفجاجة الذهن بأن العرب كانت تستعمل
 من الالفاظ **ك**ذا وكذا فهذا دليل على أنه حسن بل ينبغي أن تعلم أن الذي
 نستعمله نحن في زماننا هذا هو الذي كان عند العرب مستعملنا والذي
 نستعمله هو الذي كان عندهم مستقبلا والاستعمال ليس بدليل على الحسن
 فإننا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن وانما نستعمله لضرورة
 فليس استعمال الحسن ممكن في كل الاسوال وهذا طريق يضل بغير العارف
 بما الكدوم لم يعرف صناعة النظم والنثر وما يجيده صاحبه من الكلفة
 في صوغ الالفاظ واختيارها فإنه معذور في أن يقول ما قال

لا يعرف الشوق الا لمن يكابده ولا الصباية الا لمن يعايتها

ومع هذا فإن قول القائل بأن العرب كانت تستعمل من الالفاظ كذا وكذا
 وهذا دليل على أنه حسن قول فاسد لا يصدر الا عن جاهل فإن استحسن الالفاظ
 واستعملها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لانه شيء ليس للتقليد فيه مجال وانما هو

شيء له خصائص وهيات وعلامات اذا وجدت علم حسنه من قبجه وقد تقدم
 الكلام على ذلك في باب الفصاحة والبلاغة وأما الذي نقله العرب قبيحه من
 اللفاظ فانما هو الاستشهاد بأشعارها على ما ينقل من لغتها والاخذ بأقوالها
 في الاوضاع النحوية في رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف اليه وجرم
 الشرط وأشياء ذلك وما عداها فلا وحسن الالفاظ وقبحها ليس اضافيا الى زيد
 دون عمرو أو الى عمرو دون زيد لانه وصف ذووى لا يتغير بالاضافة ألا ترى أن
 لفظة المزنة مثلا حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم وهم جرا لا يختلف
 أحد في حسنها وكذلك لفظة البعاق فانها قبيحة عند الناس كافة من العرب
 وغيرهم فاذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم اياها مخروجا لها عن القبح
 ولا يلتفت اذن الى استعمالهم اياها بل يعاب استعمالها ويغلظ له النكير حيث
 استعمالها (وقد ذكر) ابن سنان الخفاجي ما يتعلق باللفظة الواحدة من الاوصاف
 وقسمها الى عدة أقسام كتباعد مخارج الحروف وأن تكون الكلمة جارية على
 العرف العربي غير شاذة وأن تكون مصغرة في موضع يعبر به عن شيء لطيف
 أو خفي أو ما جرى مجراه وأن لا تكون مبتذلة بين العامة وغير ذلك من
 الاوصاف وفي الذي ذكره ما لا حاجة اليه أما تباعد المخارج فان معظم اللغة
 العربية دائر عليه لان الواضع قسمها في وضعه ثلاثة أقسام ثلاثيا ورباعيا
 وخماسيا والثنائي من الالفاظ هو الاكثر ولا يوجد فيه ما يكره استعماله الا
 الشاذ النادر وأما الرباعي فانه وسط بين الثلاثي والخماسي في الكثرة عددا
 واستعمالا وأما الخماسي فانه الاقل ولا يوجد فيه ما يستعمل الا الشاذ النادر
 وعلى هذا التقدير فان أكثر اللغة مستعمل على غير مكره ولا تقتضي حكمة
 هذه اللغة الشريفة التي هي سيدة اللغات الا ذلك ولهذا أسقط الواضع حروفا
 كثيرة في تأليف بعضها مع بعض استئثالا واستكراها فلم يوافق بين حروف
 الحلق كالحاء والهاء والعين وكذلك لم يوافق بين الجيم والقاف ولا بين اللام
 والراء ولا بين الزايم والسين وكل هذا دليل على عنايته بتأليف المتباعد المخارج
 دون المتقارب ومن العجب أنه كان يحل بمثل هذا الاصل الكلي
 في تحسين اللغة وقد اعتنى بأمر آخر جريسة كما نلت به بين حركات الفعل
 في الوجود وبين حركات المصدر في النطق كالغليان والضربان والنقيدان

رد على ابن سنان الخفاجي

والنزوان وغير ذلك مما جرى مجرى مجرى ما كان حروفاً مجتمعةً متعزّكات وليس فيها حرف ساكن وهي مماثلة للحركات الفعالة في الوجود ومن نظرت في حكمة وضع هذه اللغة إلى هذه الدقائق التي هي كالأطراف والحواسي فكيف كان يخل بالاصل المعقول عليه في تأليف الحروف بعضها إلى بعض على أنه لو أراد الناظم أو الناثر أن يعتبر مخارج الحروف عند استعمال الالفاظ وهل هي متباعدة أو متقاربة لطال الخطب في ذلك وعسر ولما كان الشاعر يتظم قصيداً ولا الكاتب ينشئ كتاباً إلا في مدة طويلة تغضي عليها أيام وليال ذوات عدد كثير ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك فإن حاسة السمع هي الحاسة في هذا المقام بحسن ما يحسن من الالفاظ وقبح ما يقبح وسأضرب لك في هذا مثلاً فأقول إذا سمعت عن لفظة من الالفاظ وقيل لك ما تقول في هذه اللفظة أحسنه هي أم قبيحه فاني لأراك عند ذلك الاتفي بحسنها أو قبحها على الفور ولو كنت لاتفي بذلك حتى تقول للسائل اصبر إلى أن اعتبر مخارج حروفها ثم أفتيك بعد ذلك بما فيها من حسن أو قبح لصح لابن سنان ما ذهب إليه من جعل مخارج الحروف المتباعدة شرطاً في اختيار الالفاظ وانما شذذه الاصل في ذلك وهو أن الحسن من الالفاظ يكون متباعد الخارج فحسن الالفاظ اذن ليس معلوماً من تباعد الخارج وانما علم قبل العلم بتباعدها وكل هذا راجع إلى حاسة السمع فإذا استحسننا لفظاً واستقبحناه وجدنا متباعدة متباعدة الخارج وما تستقبحه متقارب الخارج واستحسننا واستقبحناهما انما هو قبل اعتبار الخارج لبعده على أن هذه قاعدة قد شذعننا شواذ كثيرة لانه قد يخي في المتقارب الخارج ما هو حسن رائق ألا ترى أن الجيم والشين والباء مخارج متقاربة وهي من وسط اللسان بين الحنك وتسمى ثلاثتها الشجرية وإذا تركب منها شيء من الالفاظ جاء حسناً رائقاً فان قيل جيش كانت لفظة محمودة أو قدمت الشين على الجيم فقيل نحبي كانت أيضاً لفظة محمودة وعما هو أقرب مخرجاً من ذلك الباء والميم والفاء وثلاثتها من الشفة وتسمى الشفهية فإذا نظم منها شيء من الالفاظ كان جيلاً حسناً كقولنا فم فهذه اللفظة من حرفين هما الفاء والميم وكقولنا ذقته بقمي وهذه اللفظة مؤلفة من الثلاثة بجماتها وكلاهما حسن لا عيب فيه (وقد ورد) من المتباعد الخارج شيء قبيح أيضاً ولو كان التباعد

سبب الحسن لما كان سبب اللقيح اذ هما ضدان لا يجتمعان (نحن ذلك) أنه يقال
 ملح اذا عدا غاليه من الشفة والعين من حروف الخلق واللام من وسط اللسان
 وكل ذلك متباعد ومع هذا فان هذه اللفظة مكروحة الاستعمال ينوع عنها الذوق
 السليم ولا يستعملها من عنده معرفة بفن الفصاحة (وههنا نكتة غريبة) وهو
 أنا اذا عكسنا حروف هذه اللفظة صارت علم وعند ذلك تكون حسنة لا مزيد
 على حسنها وما ندري كيف صار القبح حسنة لانه لم يتغير من مخارجها شيء وذلك
 أن اللام لم تزل وسطا والميم والعين يكسفا نهما من جانبيها ولو كان مخارج الحروف
 معتبرا في الحسن والقبح لما تغيرت هذه اللفظة في ملح وعلم (فان قيل) ان اخراج
 الحروف من الخلق الى الشفة أبسر من ادخالها من الشفة الى الخلق فان ذلك
 المحذور وهذا محمود والافتحار أسهل (فالجواب) عن ذلك أني أقول لو اسقطنا ذلك
 هذا الصبح ما ذهب اليه الكثر من الالفاظ ما اذا عكسنا حروفه من الشفة الى
 الخلق أو من وسط اللسان أو من آخره الى الخلق لا يتغير كقولنا غلب فان الغين
 من حروف الخلق واللام من وسط اللسان والميم من الشفة واذا عكسنا ذلك صار
 بلغ وكلاهما حسن ملح وكذلك تقول حلم من الحلم وهو الاتناء واذا عكسنا
 هذه الكلمة صارت ملح على وزن فعل بفتح الفاء وضم العين وكلاهما أيضا حسن
 ملح وكذلك تقول عقر ودرقع وعرف وفرع وحلف وفلح وقلم وملك وكلم وملك
 ولوشة لا وردت من ذلك شيئا كثيرا تضيق عنه هذه الاوراق ولو كان ما ذكرته
 مطردا لكنا اذا عكسنا هذه الالفاظ صار حسنها قبحا وليس الامر كذلك وأما
 ما ذكره ابن سنان من بيان اللفظة على العرف العربي فليس ذلك مما يوجب لها
 حسنة ولا قبحا وانما قدح في معرفة حسنة عملها بما ينقله من الالفاظ فكيف
 يعد ذلك من جملة الاوصاف الحسنة وأما تصغير اللفظة فيما يعبر به عن شيء
 لطيف أو خفي أو ما جرى مجراه فهو ذا عا لا حاجة الى ذكره فان المعنى يسوق
 اليه وليست معاني التصغير من الاشياء الغامضة التي يفهمها التبيين عليها
 فانهم امدقته في كتب النحو وما من كتاب نحو الا والتصغير باب من أبوابه ومع هذا
 فان صاحب هذه الصناعة مخير في ذلك ان شاء أن يورده بلفظ التصغير وان شاء
 بجملة كقول بعضهم

لو كان يخفى على الرحمن خافية * من خلقه خفيت عنه بنو ابد

فهل كان يمكن هذا الشاعر أن يصغر من هؤلاء القوم ويحقّر من شأنهم باللفاظ
التصغير ويحيى هكذا كما جاء بيته هذا فالوصية به اذن ملغاة لا حاجة اليها (وأما
الاولى صاف الباقية التي ذكرت فهي التي ينبغي أن ينبه عليها) فمنها أن لا تكون
الكلمة وحشية وقد خفي الوحشي على جماعة من المتقين الى صناعة النظم
والنثر وظنوه المستقيم من الالفاظ وليس كذلك بل الوحشي ينقسم قسمين
أحدهما غريب حسن والاخر غريب قبيح وذلك أنه منسوب الى اسم
الوحش الذي يسكن القفار وليس بأنيس وكذلك الالفاظ التي لم تكن مأنوسة
الاستعمال وليس من شرط الوحش أن يكون مستقيما بل أن يكون نافرا
لا يألأف الا نسر فتارة يكون حسنا وتارة يكون قبيحا وعلى هذا فان أحد قسمي
الوحشي وهو الغريب الحسن يختلف باختلاف النسب والاضافات وأما
القسم الاخر من الوحشي الذي هو قبيح فان الناس في استقباحه سواء
ولا يختلف فيه هربى يادولا قروى متحضر وأحسن الالفاظ ما كان مألوفا
معدا ولا لانه لم يكن مألوفا معدا ولا الامكان حسنه وقد تقدم الكلام
على ذلك في باب الفصاحة فان أرباب الخطابة والشعر نظروا الى الالفاظ ونقبوا
عن ثائمه عدلوا الى الاحسن منها فاستعملوه وتركوا ما سواه وهو أيضا يتفاوت
في درجات حسنة فالالفاظ اذن تنقسم ثلاثة أقسام قسمان حسنان وقسم قبيح
فالقسمان الحسنان أحدهما ما تداول استعماله الاول والاخر من الزمن
القديم الى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشي والاخر ما تداول استعماله
الاول دون الاخر ويختلف في استعماله بالنسبة الى الزمن وأهله وهذا هو الذي
لا يعاب استعماله عند العرب لانه لم يكن عندهم وحشيا وهو عندنا وحشي
وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات معدودة وهي التي يطلق عليها غريب
القرآن وكذلك تضمن الحديث النبوي منه شيئا وهو الذي يطلق عليه غريب
الحديث (وحضر عندي في بعض الايام رجل متفلسف) فجرى ذكر القرآن
الكريم فأخذت في وصفه وذكر ما اشتملت عليه ألفاظه ومعانيه من
الفصاحة والبلاغة فقال ذلك الرجل وأي فصاحة هناك وهو يقول تلك
اذا قسمة ضيزى فهل في لفظة ضيزى من الحسن ما يوصف فقلت له اعلم
أن لاسنة عمال الالفاظ أمرا لم تقف عليها أنت ولا أعتقدك مثل ابن سينا

رد على متفلسف اعترض على قوله تعالى في صيغة ضيزى

والفارابي ولا من أضلهم مثل ارسطاطليس وافلاطون وهذه اللفظة التي أنكرتها
 في القرآن وهي لفظة ضيزى فانها في موضعها لا يستغیرها مستدّها ألا ترى أن
 السورة كلها التي هي سورة النجم مستبجوعة على حرف الياء فقال تعالى والنجم
 اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وكذلك الى آخر السورة فلماذا كرر الاصنام
 وقسمة الاولاد وما كان يزعمه الكفار قال ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة
 ضيزى فجاءت اللفظة على الحرف المستبجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه
 وغيرها لا يستد مسدّها في مكانها واذا انزلنا معك أيها المعاند على ما تريد قلنا ان
 غير هذه اللفظة أحسن منها ولكنها في هذا الموضع لا ترد ملائمة لا خوائها
 ولا مناسبة لانها تكون خارجة عن حرف السورة وسأبين ذلك فأقول اذا جئنا
 باللفظة في معنى هذه اللفظة قلنا قسمة جائرة أو ظالمة ولا شك أن جائرة أو ظالمة
 أحسن من ضيزى الا اذا انظمنا الكلام قلنا ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا
 قسمة ظالمة لم يكن النظم كالنظم الاول وصار الكلام كالشيء المعوز الذي يحتاج
 الى تمام وهذا لا يفتق على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام فلما سمع ذلك الرجل
 ما أوردته عليه رب السان في نفسه الخفا ما ولم يكن عنده في ذلك شيء سوى العناد
 الذي مستنده تقليد بعض الزنادقة الذين يكفرون تشبيها ويقولون ما يقولونه
 جهلا واذا هو قوا عليه ظهر عجزهم وقصورهم وحيث انتهى القول
 الى ههنا فاني أرجع الى ما كنت بصدده ذكره فأقول وأما القبيح من الالفاظ
 الذي يعاب استعماله فلا يسمى وحشيا فقط بل يسمى الوحشي الغليظ وسبأني
 ذكره واذا نظرنا الى كتاب الله تعالى الذي هو أفصح الكلام وجدناه سهلا
 سلسا وما تضمنه من الكلمات الغريبة يسير جدا هذا وقد أنزل في زمن العرب
 العرباء والفاظه كلها من أسهل الالفاظ وأقربها استعمالا وكفى به قدوة في هذا
 الباب قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل
 أم القرآن وهي السبع المثاني يريد بذلك فاتحة الكتاب واذا نظرنا الى ما اشتملت
 عليه من الالفاظ وجدناها سهلة قريبة المأخذ يفهمها كل أحد حتى صبيان
 المكاتب وعوام السوق وان لم يفهموا ما تحتها من أسرار الفصاحة والبلاغة
 فان أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله وفهم العامة معناه وهكذا فلتكن
 الالفاظ المستعملة في سهولة فهمها وقرب متناولها والمقتدى بالالفاظ القرآن

يكتفى بها عن غيرها من جميع الالفاظ المنثورة والمنظومة * وأما ما ورد من اللفظ
الوحي في الاخبار النبوية فمن جملة ذلك حديث طهفة بن أبي زهير التهمدي
وذلك أنه لما قدمت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم قام طهفة بن أبي
زهير فقال أئتنا يا رسول الله من غوري تهامة على أكوار الميس ترتقي بنا
العيس نستجلب الصبير ونستجلب الخير ونستهضد البير ونستجلب الرهام
ونستجلب الجهام في أرض غائلة الغطاء غليظة الوطاء قد نشف المدهن
ويبس الجمع ونسقط الاملوح ومات العسلوح وهلك الهدى وفاد الودي
برئت اليك يا رسول الله من الوثن والفتن وما يحدث الزمن لنادعوة السلام
وشريعة الاسلام ما طمى البحر وقام تعار ولنا نعم حمل اعقال ما تبض
بيلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل أصابتنا سنية حراء مؤزلة ليس لها عمل
ولانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها
ومذقها وفرقها وابعث راعيها في الدثر بيناع الثمر والجفر له الحمد وبارك له في
المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن
شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك
لا تملط في الزكاة ولا تلمد في الحياة ولا تتناقل عن الصلاة (وكتب) معه
كتابا الى بني نهد من محمد رسول الله الى بني نهد السلام على من آمن بالله ورسوله
لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم القارض والقريش وذو العنان
الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طهركم ولا يحبس دركم ولا
يؤكل أكلكم ما لم تضمر والاماني وتأكلوا الرباق من أقر بما في هذا الكتاب
فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبي فعليه الرتبة * وقصاحة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تقضى استعمال هذه الالفاظ ولا تكاد توجد
في كلامه الاجواب لمن يخاطبه بمثلها كهذا الحديث وما جرى مجراه على
أنه قد كان في زمنه متداولا بين العرب ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يستعمله
الا سيرا لانه أعلم بالفصح والافصح وهذا الكلام هو الذي نعت به نحن في زماننا
وحشينا لعدم الاستعمال فلا تظن أن الوحي من الالفاظ ما يكرهه سمعك
ويثقل عليك النطق به وانما هو الغريب الذي يقل استعماله فتارة يحذف على
سمعك ولا تجده كراهة وتارة يثقل على سمعك وتجده كراهة وذلك في اللفظ

عيبان أحدهما أنه غريب الاستعمال والاخر أنه ثقيل على السمع كربه على الذوق وإذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على قضاظته وغلاظته وهو الذي يسمى الوحشي الغليظ ويسمى أيضا المتوعر وليس وراءه في القبح درجة أخرى ولا يستعمله إلا أجهل الناس من لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلا (فان قيل) فما هذا النوع من الالفاظ (قلت) قد ثبت لك أنه ما كرهه معك وثقل على لسانك النطوق به وسأضرب لك في ذلك مثالا نفسه ما ورد لتأبط شرافى كتاب الحماسة

يظل بمومة ويمسى بغيرها * بجيشا ويرورى ظهورا المسالك
فان لفظة بجيش من الالفاظ المنكرة القبيحة وبالله العجب أليس أنها بمعنى فريد وفريد لفظة حسنة راقية ولو وضعت في هذا البيت موضع بجيش لما اختل شيء من وزنه فتأبط شرافا لوم من وجهين في هذا الموضع أحدهما أنه استعمل القبيح والاخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنها ومما هو أقبح منها ما ورد لابى تمام قوله

قد قلت لما اطعمت الامر وانبعثت * عسواء نالمة غبسا دهاريسا
فاللغة اطعمت من الالفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنها غريبة وأنها غليظة في السمع كربه على الذوق وكذلك لفظة دهاريس أيضا وعلى هذا ورد قوله من أبيات يصف فرسانا من جملتها

أهم متاع الدنيا حبس باليه * أروع لاجيد رولا جيس
فاللغة جيدر غليظة وأعظم منها قول أبي الطيب المتنبي

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم * شيم على الحسب الاغرد لائل
فان لفظة جفخ مرة اطعم وإذا مرت على السمع اقشعرت منها وأبو الطيب في استعمالها كاستعمال تأبط شرافة بجيش فان تأبط شرافا كانت له مندوحة عن استعمال تلك اللفظة كما أشرنا اليه فيما تقدم وكذلك أبو الطيب في استعمال هذه اللفظة التي هي جفخت فان معناها خفرت والجفخ الفخر يقال جفخ فلان اذا نفروا واستعمل عوضا عن جفخت خفرت لاستقام وزن البيت وحطى في استعماله بالاحسن وما أعلم كيف يذهب هذا وأمثاله على مثل هؤلاء الفحول من الشعراء وهذا الذي ذكرته وما يجري مجراه من الالفاظ هو الوحشي الغليظ الذي

ليس له ما يدانيه في قبحه وكرهته وهذه الامثلة دليل على ما أوردناه والعرب اذن
لا تلام على استعمال الغريب الحسن من الالفاظ وانما تلام على الغريب
القبيح وانما الحضري فانه يلام على استعمال القسمين معا وهو في أحدهما أشد
ملامة من الآخر على أن هذا الموضع يحتاج الى قيد آخر وذلك شئ استخرجته
أنادون غيري فاني وجدت الغريب الحسن يسوغ استعماله في الشعر ولا يسوغ
في الخطب والمكاتبات وهذا ينكره من يسمعه حتى ينتهي الى ما أوردته من
الامثلة ولربما أنك لم بعد ذلك انما عناد او اما جهل لعدم الذوق السليم عنده
(فمن ذلك) قول الفرزدق

ولولا حياء زدت رأسك شجرة * اذا سبرت ظلمات جوانبها انغلى

شربانة شطآن من يرعى بها * يشبه ولوبين الخاسي والطفل

ف قوله شربانة من الالفاظ الغريبة التي يسوغ استعمالها في الشعر وهي ههنا
غير مستكرهة الا انهم لو وردت في كلام منثور من كتاب أو خطبة اعيدت على
مستعملها وكذلك وردت لفظة مشختر فان بسرا قد استعمالها في آياته التي
يصف فيها القاء الاسد فقال

وأطلقت المهند عن عيني * فقتله من الاضلاع عشرة

فخر مضرجا بدم ككأني * هدمت به بناء مشجرا

وعلى هذا ورد قول البحري في قصيدته التي يصف فيها الوان كسرى فقال

مشختر تعالوا له شرفات * رفعت في رؤس رضوى وقدس

فان لفظة مشختر لا يحسن استعمالها في الخطب والمكاتبات ولا باس بها ههنا
في الشعر وقد وردت في خطب الشيخ الخطيب بن نباتة كقوله في خطبة يذكر فيها
أهوال يوم القيامة فقال اقترؤ بها الها واشمختر نكالها فاطابت ولا ساغت
ومن هذا الاسلوب لفظة الكنهور في وصف السحاب كقول أبي الطيب

يا ليت باكية شجاني دمعها * نظرت اليك كما نظرت فتعددا

وترى الفضيلة لا تترد فضيلة * الشمس تشرق والسحاب كنورا

فلفظة الكنهور لا تعاب نظما وتعاب نثرا وكذلك يجري الامر في لفظة العرمس
وهي اسم الناقة الشديدة فان هذه اللفظة يسوغ استعمالها في الشعر ولا يعاب
مستعملها كقول أبي الطيب أيضا

ومهمه نجيبته على قدي * تهجز عنه العرامس الذال
فانه جمع هذه اللفظة ولا بأس بها ولو استعملت في الكلام المنشور لمطابقت
ولا ساغت وقد جاءت موحدة في شعر أبي تمام كقوله

هي العرمس الوجناء وابن ملة * وحاش على ما يحدث الدهر خافض
وكذلك ورد قوله أيضا * ياموضع الشدية الوجباء * فان الشدية لا تعاب شعرا
وتعاب لو وردت في كتاب أو خطبة وهي كذا يجري الحكم في أمثال هذه
الانفاظ المشار إليها وعلى هذا فاعلم أن كل ما يسوغ استعماله في الكلام
المنشور من الانفاظ يسوغ استعماله في الكلام المنظوم وليس كل ما يسوغ
استعماله في الكلام المنظوم يسوغ استعماله في الكلام المنشور وذلك شئ
استنبطته واطلعت عليه لكثرة ممارستي لهذا الفن ولان الذوق الذي عندي دلتني
عليه فن شاء أن يقلدني فيه والا فليد من النظر حتى يطلع على ما اطلعت عليه
والأذهان في مثل هذا المقام تتفاوت (وقدر آيت) جماعة من مدعي هذه
الصناعة يعتقدون أن الكلام الفصيح هو الذي يعزفهم ويعدم تناوله وإذا
رأوا كلاما وحشا غامضا الانفاظ يحبون به ويصفونه بالفصاحة وهو بالضد
من ذلك لان الفصاحة هي الظهور والبيان لا الغموض والخفاء * وسأبين لك
ما تعتمد عليه في هذا الموضع (فأقول) الانفاظ تنقسم في الاستعمال الى بحرلة
ورقية ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه فالبحرل منها يستعمل في وصف
مواقف الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف وأشياء ذلك وأما الرقيق منها
فانه يستعمل في وصف الاشواق وذكر أيام البعاد وفي استجلاب المودات
وملاينات الاستعطاف وأشياء ذلك واستأعني بالبحرل من الانفاظ أن يكون
وحشا متوعرا عليه عنجھمة البسادة بل أعني بالبحرل أن يكون متيناعا على
عذوبته في الفم ولذا ذته في السمع وكذلك استأعني بالرقيق أن يكون ركيكا
سفيفا وانما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملس كقول أبي تمام
ناعمات الاطراف لو أنهن الملبس أغنت عن الملاء الرقاق
وسأضرب لك مثالا للبحرل من الانفاظ والرقيق فأقول انظر الى قوارع القرآن
عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط وعند ذكر الموت ومقارعة الدنيا
وما جرى هذا المجرى فانك لا ترى شيئا من ذلك وحشا الانفاظ ولا متوعرا ثم انظر

الى ذكر الرحمة والرافة والمغفرة والملاطفات في خطاب الانبياء وخطاب المنبيين
 والتائبين من العباد وما جرى هذا المجرى فانك لا ترى شيئا من ذلك ضعيف
 الالفاظ ولا سفسفا (مثال الاول) وهو الجزل من الالفاظ قوله تعالى وتنفخ في
 الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى
 فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجى بالنبيين
 والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم
 بما يفعلون وسبق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال
 لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
 هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم
 خالدين فيها فبقى مشوى المتكبرين وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى
 اذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
 وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض تنبوا آمن الجنة حيث نشاء فنعم
 أجر العاملين فتأمل هذه الآيات المضمنة ذكر الحشر على تفاصيل أحواله وذكر
 النار والجنة وانظر هل فيها الفظة الاوهى سهولة مستعذبة على ما به من الجزالة
 وكذلك ورد قوله تعالى واقعد جنتنا فرادى كما خلقناكم اولا مرة وتركتم
 ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد
 تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون (وأما مثال الثاني) وهو الرقيق من
 الالفاظ فقولته تعالى في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم والضحي والليل اذا سجي
 ما ودعك ربك وما قلى الى آخر السورة وكذلك قوله تعالى في ترغيب المسئلة
 واذا سالك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وهكذا ترى سبيل
 القرآن الكريم فى كلا هذين الحالين من الجزالة والرقية وكذلك كلام العرب
 الاول فى الزمن القديم مما ورد عنها انرا ويكنى من ذلك كلام قبيصة بن نعيم لما قدم
 على امرئ القيس فى أشبه اخ بنى أسديسألونه العفوع عن دم أبيه فقال له انك فى
 المحل والقدر من المعرفة بتصرف الدهر ما تحبته أيامه وتنتقل به أحواله
 بحيث لا يحتاج الى تذكير من واعظ ولا تبصير من مخبر ولك من سودد من نصبك
 وشرف اعراقك وكرم أصلك فى العرب مخمدي محتمل ما حمل عليه من اقالة العثرة
 ورجوع عن الهفوة ولا تنجوا وزالهم الى غاية الاربعات اليك فوجدت عندك

كلام قبيصة لا يلى القيس يسأل العفوع عن دم أبيه

من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصفح ما يقول رغباتها ويستغرق طلباتها
وقد كان الذي كان من الخطيب الجليل الذي عمت رزقته زارا واليمن ولم تخصص
بذلك كندة دوت الشرف البارع كان حجر ولو كان يفدي هالك بالانفس الباقية
بعده لما بخت كراثنا بها على مثله ولكنه مضى به سبيل لا يرجع أخراه على
أولاه ولا يلحق أقصاه أدناه فأحد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك
في إحدى خلال ثلاث إما أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتا وأعلاها في بناء
المكرات صوتا فقد ناه اليك بنوهم تذهب مع شفرات حسامك يباقي قصرته
فمنقول رجل امتحن به الملك عزير فلم يستل تهنئته إلا بكنيته من الانتقام أو
فداء عمار ورجع على بني أسد من نعمها فهي ألوف تجاوز الخمسة فكان ذلك فداء
رجعت به القضب إلى أجدانهم لم تزد بها بسليط الإجن على البنزاء وإما أن
وادعتنيا إلى أن تضع الحوامسل فتسدل الأزر وتعد الخمر فوق الرايات قال
فبكي ساعة ثم رفع رأسه فقال لقد علمت العرب أنه لا كفو لحجر في دم واني إن
أعماض بجلال ولا ناقة فاك تسب به سبعة الأبد وقت العصد وأما النظرة فقد
أوجبت الأجنسة في بطون أمهاتها ولن أكون أعظمها سبيا وستعرفون طلائع
كندة من بعد ذلك تحمل في القلوب حنقا وفوق الاسنة علقا

إذا جالت الحرب في مارق * تصافح فيه المنمايا النقسا
أقيمون أم تنصرفون قالوا بل تنصرف بأسوا الاختيار وأبلى الاجترار بمكره
وأذية وحرب وبليّة ثم نهضوا عنه وقبيصة يتأمل

أعلك أن تستوخم الوردان عدت * كاتبتنا في مارق الحرب عطار
فقال امرؤ القيس لا والله ولكن أسست عذبه فرويدا يتفرج لك دجاها من فرسان
كندة وكاتب حبر ولقد كان ذكر غير هذا في أولى أذ كنت نازلا بربعي وليكنك
قلت فأوجبت فقال امرؤ القيس هو ذاك * فلمنظر إلى هذا الكلام من
الرجلين قبيصة وامرؤ القيس حتى يدع المتعمقون تعبه مقهم في استعمال
الوحشي من الانفاط فان هذا الكلام قد كان في الزمن القديم قبل الاسلام بما
شاء الله وكذلك كلام كل فصيح من العرب مشهور وما عداه فليس بشيء وهذا
المشار إليه ههنا هو من جزل كلامهم وعلى ما تراهم من السلاسة والعذوبة وإذا
تصفت أشعارهم أيضا وجدت الوحشي من الانفاط قليلا بالنسبة إلى المسائل

قوله وأكذلك قالت الخ كذا في التبع والظاهر أن يقول فقال قبيصة وأكذلك الخ

في الفهم والسمع ألا ترى الى هذه الايات الواردة للسموأل بن عاديا وهي
 اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه * فكل ردا غير تدب به جليل
 وان هو لم يحمل على النفس ضميها * فليس الى حسن الثناء سبيل
 تعيرنا أنا قليل عد يدنا * فتمت لها ان الكرام قليل
 وما ضرتنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الا كثيرين ذليل
 يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
 وما مات مناسيد حثف أنفسه * ولا تطل منا حيث كان قتيل
 علونا الى خير الظهور وروحنا * لوقت الى خير البطون نزول
 فنحن كماء المزن ما في نصابتنا * كهام ولا فينا يعد تبجيل
 اذا سيد منا خلا قام سيد * قوول لما قال الكرام فعول
 وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غرر مشهورة وحجول
 وأسيفنا في كل غرب ومشرق * بها من قراع الدارعين قاول
 معودة الابسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل
 فاذا انظرنا الى ما تضمنه من الجزالة خلناها زبر من الحديد وهي مع ذلك سهلة
 مستعذبة غير فظة ولا غليظة وكذلك قد ورد للعرب في جانب الرقة من الاشعار
 ما يكاد يذوب لرقة كقول عروة بن أذينة

ان التي زعت فؤادك ملها * خلقت هوالك كما خلقت هوى لها
 بيضاء يا كرها للنعم فصاغها * بلباقة فادقها وأجلها
 بجيت تحميتها افقات اصاحي * ما كان أكثرها لنا وأقلها
 واذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
 (وكذلك ورد قول الآخر)

أقول اصاحي والعيس تهوى * بنابين المنيقة فالضمير
 تمتع من شميم عرار نجد * فابعد العشيبة من عرار
 ألا يا حبيذا نفعات نجد * ورياروضة غب القطار
 وأهلك اذ يحل الحى نجد * وأنت على زمانك غير زار
 شهور ينقضين وما شعرنا * بأنصاف الهن ولا سرار
 فاقماليهن نخسبر ايسل * وأطيب ما يكون من النهار

ومما ترقص الاسماع له ويرق على صفحات القلوب قول يزيد بن الطثرية في محبته
من جرم

بنفسى من لومر بردى سانه * على كبدى كانت شفاء أنا مله
ومن هابنى فى كل شئ وهبته * فلا هو يعطينى ولا أنا سائله
واذا كان هذا قول ساكن فى الفلاة لا يرى الاشجة أو قيصومة ولا يأكل الاضبا
أو يربو عافيا ل قوم ~~سكنوا~~ الحضر ووجد وارقة العيش يتعاطون وحشى
الافراط وشطف العبارات ولا يخلد الى ذلك الا ما جاهل بأسرار القصاحة واما
عاجز عن سلوك طريقها فان كل أحد من شداشياً من علم الادب يمكنه أن يأتي
بالوحش من الكلام وذلك أنه يلقطه من كتب اللغة أو يثاققه من أربابها
وأما الفصيح المتصف بصفة الملاحه فانه لا يقدر عليه ولو قدر عليه لما علم أين
يضع يده فى تأليفه وسبكه فان ماري فى ذلك مما ان فليتنظر الى أشعار علماء الادب
من كان مشارا اليه حتى يعلم صحة ما ذكرته هذا ابن دريد قد قيل انه أشعر علماء
الادب واذا نظرت الى شعره وجدته بالنسبة الى شعر الشعراء المجيدين منخطا
مع أن أولئك الشعراء لم يعرفوا من علم الادب عشر معشار ما علمه هذا العباس
ابن الاحنف قد كان من أوائل الشعراء المجيدين وشعره كمر نسيم على عذبات
أغصان وكأواث طل على طرر ريحان وليس فيه لفظة واحدة غريبة يحتاج
الى استخراجها من كتب اللغة فمن ذلك قوله

وانى ليرضىنى قليل نوالكم * وان كان لا أَرْضى لىكم بقليل
بحرمة ما قد كان بينى وبينكم * من الودّ الا عند تمويه جميل
وهكذا ورد قوله فى فوزا لى كان يشيب بها فى شعره

يا فوز يا منية عباس * قلبى يفدى قلبك القاسى
أسأت اذا حسنت ظنى بكم * والحزم سوء الظن بالناس
يقلبنى شوقى فأتىكمو * والقلب ملوء من الياس
وهل أعذب من هذه الايات وأعلق بالخطا طروأسرى فى السمع ولمنلهما تخن
رواجح الاوزان وعلى مثلها تسهر الاجفان ومن مثلها تتأخر السوابق عند
الرهان ولم أجرها بلسانى يوم من الايام الا ذكرت قول أبى الطيب المتنبي
اذا شاء أن يلهمو بلحمة أحق * أراه غبارى ثم قال له الحق

ومن الذي يستطبع أن يسلك هذه الطريق التي هي سهلة وعرة قريبة بعيدة
وهذا أبو العتاهية كان في عزة الدولة العباسية وشعراء العرب اذ ذل لموجودون
كثيرا وكانت مدائحهم في المهدي بن المنصور واذ اتأملت شعره وجدته كلما
الجاري رقة الفاظ واطافة سبك وليس بركيك ولا واه وكذلك أبو نواس وبهذا
قدم على شعراء عصره وناهيك بعصره وما بعده من قول الشعراء ويكفي منهم
مسلم بن الوليد الذي كان فارس الشعر وله الاسلوب الغريب العجيب غير أنه كان
يتعجب في أكثر ألقاظه ويحكى أن أبا نواس جلس يوما إلى بعض التجار بغداد
هو وجماعة من الشعراء فاستسقى ماء فلما شرب قال * عذب الماء وطابا * ثم قال
أجيزوه فأخذوا تلك الشعراء يترددون في اجازته واذا هم بأبي العتاهية فقال
ما شأنكم مجتمعين فقالوا هو كيت وكيت وقد قال أبو نواس * عذب الماء وطابا
فقال أبو العتاهية * عذب الماء شرابا * فحجروا قوله على الفور من غير تأمل
وكل شعر أبي العتاهية كذلك سهل الالفاظ وسأورد منه ههنا شيئا يستدل به على
سلاسة طبعه وترويق خاطره (فمن ذلك) قصيدته التي يمدح فيها المهدي
ويشيب فيها بجارية عتب

ألا ما لسيدي مالها * تدل فأجمل ادلالها
ألا ان جارية لالما * م قد سكن الحسن سر بالها
لقد أتعب الله قلبي بها * وأتعب في اللوم عذالها
كان بعيني في حينها * سلكت من الارض تمثالها

فلما وصل إلى المديح قال من جلته

أنته اللالمة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الاله * ولم يك يصلح الاله
ولورامها أحد غيره * زلات الارض زلالها
ولولم تطعه نيات القلوب * لما قبل الله أعمالها

ويحكى أن بشارا كان شاهدا عند انشاد أبي العتاهية هذه الايات فلما سمع
المديح قال انظروا إلى أمير المؤمنين هل طار عن أعواده يريد هل زال عن سريره
طربا بهذا المديح ولعمري ان الامر كما قال بشار وخير القول ما أسكر السامع
حتى ينقله عن حاله سواء كان في مديح أو غيره وقد أشرت إلى ذلك فيما يأتي

ما يجتنب من الأحرف في النظم والنثر لخص بها تشبيه ألفاظ أبي تمام والبحتري

من هذا الكتاب عند ذكر الاستعارة فليؤخذ من هناك (واعلم) أن هذه الأبيات
المشار إليها هنا من رقيق الشعر غزلا ومديحا وقد أذن لمديحها الشعراء من
أهل ذلك العصر ومع هذا فإنك تراها من السلاسة واللطافة على أقصى الغايات
وهذا هو الكلام الذي يسمى السهل الممتنع فتراها يطعمك ثم إذا حاولت مماثلته
راغ عنك كما يروغ الثعلب وهكذا ينبغي أن يكون من خاص في كتابة أو شعرا فإن
خير الكلام ما دخل الأذن بغير آذن (وأما) البدأة والعجوبة في الألفاظ فتلك
أمة قد خلت ومع أنها قد خلت وكأنت في زمن العرب العاربة فإنهم قد عيبت
على مستعملها في ذلك الوقت فكيف الآن وقد غلب على الناس رقة الحضر
(وبعد هذا) فاعلم أن الألفاظ تجري من السمع بحجـرى الأشخاص من البصر
فالألفاظ الجزلة تختص في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار والألفاظ
الرقيقة تختص كأشخاص ذى دماثة واين أسلاق ولطافة مزج ولهذا ترى ألفاظ
أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا أسلحتهم وتأهبوا للطراد
وترى ألفاظ البحتري كأنها نساء حسان عليهن غلازل مصبغات وقد تهيأن
بأصناف الخلى وإذا أنعمت نظرك فيما ذكرته ههنا وجدتني قد دللتك على الطريق
وضربت لك أمثالا مناسبة (واعلم) أنه يجب على الناظم والنثر أن يجتنب
ما يضيّق به مجال الكلام في بعض الحروف كالنساء والذال والحاء والشين والصاد
والطاء والظاء والغين فإن في الحروف السابقة مذوحة عن استعمال ما لا يحسن
من هذه الأحرف المشار إليها والناظم في ذلك أشد ملامة لأنه يتعرض لأن
ينظم قصيدة ذات أبيات متعددة فيأتي في أكثرها باليشع **الكره** الذي
يجب السمع لعدم استعماله كما فعل أبو تمام في قصيدته الثمانية التي مطلعها
قف بالطلول الدارسات علائها وكان فعل أبو الطيب المتنبي في قصيدته الشينية
التي مطلعها مبيتى من دمشق على فراش وكان فعل ابن هاني المغربي في قصيدته
الخامسة التي مطلعها سرى وجناح الليل أقتم أفخج والناظم لا يعاب إذا لم ينظم
هذه الأحرف في شعره بل يعاب إذا نظمها وجاءت كريمة مستندعة وأما النثر
فإنه أقرب حالا من الناظم لأن غاية ما يأتي به مجعنان أو ثلاثة أو أربع على حرف
من هذه الأحرف وما يعدم في ذلك ما يروق إذا كان بهذه العدة اليسيرة فإن كلفت
أبي الشاعر أن تنظم شيئا على هذه الحروف فقل هذه الحروف هي مقاتل الفصاحة

وعندى واضح في تركها فإن واضح اللغة لم يضع عليها ألفاظا تعذب في الفم ولا تملأ في السمع والذي هو بهذه الصفة منها فاعلموا فلا يلجأ لجدال ولا يصاغ منه إلا مقاطيع أبيات من الشعر وأما القصائد المقصدة فلا تصاغ منه وإن صيغت جاء أكثرها بشما كريمة على أن هذه الحروف متفاوتة في كراهة الاستعمال وأشدّها كراهية أربعة أحرف وهي الخاء والصاد والطاء والغين وأما الشين والذال والشين والطاء فإن الأمر بينهما أقرب حالا وهذا موضع ينبغي لصاحب الصناعة أن ينعم نظره فيه وفيما أشرنا إليه كفاية للمتعمّل فلم يعرفه وليقف عنده (ومن أوصاف الكلمة) أن لا تكون بتدلة بين العمامة وذلك ينقسم قسمين (الأول) ما كان من الألفاظ دالاً على معنى وضع له في أصل اللغة فغيرته العمامة وجهاته دالاً على معنى آخر وهو ضربان الأول ما يذكره ذكره كقول أبي الطيب إذا في الغواني حسنه ما أذقني * وعف فيما زاهن عفى بالصرم

فإن لفظة الصرم في وضع اللغة هو القطع يقال صرّمه إذا قطعه فغيرتها العمامة وجعلتها دالّة على المحل المخصوص من الحيوان دون غيره فأبدلوا السمين صادا ومن أجل ذلك استكروه استعمال هذه اللفظة وما جرى مجراها لئلا يكتن المكره منها ما يستعمل على صيغة الاسمية كما جاءت في هذا البيت وأما إذا استعملت على صيغة الفعل كقولنا صرّمه وصرّمته وتصرّمته فأنه لا تكون كريمة لأن استعمال العمامة لا يدخل في ذلك وهذا الضرب المشار إليه لا يعاب البدوى على استعماله كما يعاب المحضر لأن البدوى لم يتغير الألفاظ في زمنه ولا تصرفت العمامة فيها كما تصرفت في زمن المحضر من الشعراء في أجل ذلك عيب استعمال لفظة الصرم وما جرى مجراها على الشاعر المحضر ولم يعب على الشاعر المتبدى ألا ترى إلى قول أبي مضر الهذلي

قد كان صرم في الممات لنا * فجعلت قبل الموت بالصرم

فإن هذا لا يعاب على مضر كما عيب على المتنبي قوله في البيت المقدم ذكره وقد صنف الشيخ أبو منصور بن أحمد البغدادي المعروف بابن الجواليقي كتاباً في هذا الفن ووسمه بإصلاح ما تغلط فيه العمامة فمنه ما هذا سيده وهو الذي أنكر استعماله كراهته ولأنه مما لم يثقل عن العرب فهذان عيبان وأما الضرب الثاني وهو أنه وضع في أصل اللغة معنى فجعلته العمامة دالاً على غيره

الأنه ليس بمستقيم ولا مستكره وذلك كتسميتهم الإنسان نظرياً إذا كان
 دمث الاخلاق حسن الصورة أو اللباس أو ما هذا سبيله والظرف في أصل اللغة
 يختص بالنطق فقط (وقد قيل في صفات خلق الإنسان ما أذكره ههنا) وهو
 الصباحة في الوجه الوضاعة في البشرة الجمال في الأنف الحلاوة في العينين
 الملاحة في الفم الظرف في اللسان الرشاقة في القد اللباقة في الشمائل كمال
 الحسن في الشعر فالظرف انما يعاق بالنطق خاصة فغيره العامة عن يابه وعن
 غلط في هذا الموضع أبو نواس حيث قال

اختص الجود والجمال * فميك فصار الى جدال
 فقبال هـ ذابضه الى * للعرف والبذل والنوال
 وقال هـ ذال وجهه الى * للظرف والحسن والكمال
 فاقترافيك عن تراض * كلا هـ ما صادق المقال

وكذلك غلط أبو تمام فقال

للأهضبة الحلم التي لو وازنت * أجاذن ثقلت وكان خفيفها
 وجلالة الشيم التي لو ما زجت * خلق الزمان القدم عاد نظريها

فأبو نواس غلط ههنا في أنه وصف الوجه بالظرف وهو من صفات النطق
 وأبو تمام غلط في أنه وصف الخلق بالظرف وهو من صفات النطق أيضاً الآن هذا
 غلط لا يوجب في هذه اللفظة قبحاً لكنه جهل بعرفة أصنافها في وضع اللغة (القسم
 الثاني) مما ابتدته العامة وهو الذي لم تغيره من وضعه وانما أنكر استعماله
 لانه مبتذل بينهم لانه مستقيم ولا لانه مخالف لما وضع له وفي هذا القسم
 نظر عندي لانه ان كان عبارة عما يكثر تداوله بين العامة فإن من الكثير المتداول
 بينهم الفاظاً صحيحة كالشباب والأرض والنار والماء والحجر والطين وأشياء ذلك
 وقد نطق بها القرآن الكريم في مواضع كثيرة منه وجاءت في كلام الفصحاء نظاماً
 ونثراً والذي ترجح في نظري أن المراد بالمبتذل من هذا القسم انما هو الالفاظ
 السخيفة الضعيفة سواء تداولتها العامة أو الخاصة (فهما) جاء منه قول
 أبي العليبي المتنبي

وملومة سيفية ربعية * يصيح الحصان فيها صياح اللعاليق

فإن لفظة اللعاليق مبتذلة بين العامة جداً وكذلك قوله

ومن الناس من تجوز اليهم • شعراء كأنها الخماز باز
وهذا البيت من مضحكات الاشعار وهو من جملة البرسام الذي ذكره في شعره
حيث قال

ان بعضا من القريض هراء • ليس شيا وبعضه احكام
فيه ما يجلب البراعة والفهم وفيه ما يجلب البرسام
ومثل هذه الالفاظ اذا وردت في الكلام وضعت من قدره ولو كان معنى
شريفا وهذا القسم من الالفاظ المبتذلة لا يكاد يحضره شعر شاعر
لكن منهم المقل ومنهم المكترح حتى ان العاربية قد استعملت هذا الا
انه في اشعارها اقل فمن ذلك قول النابغة الذبياني في قصيدته التي اولها
من آل مية رائح أو مغتدى

أودمية في مرمر مرفوعة • بيت باجر يشاد بقرمد
فلانظمة آجر مبدلة جدا وان شئت أن تعلم شيئا من سر الفصاحة التي تضمنها
القرآن فانظر الى هذا الموضع فانه لما جئ به فيه بذكر الاجر لم يذكر باللفظ ولا باللفظ
القرمد أيضا ولا باللفظ الطوب الذي هو لغة أهل مصر فان هذه الاسماء مبتذلة
لكن ذكر في القرآن على وجه آخر وهو قوله تعالى وقال فرعون يا هؤلاء
ما علمت لكم من الغيبي فأتوقدلى ياها مان على الطين فاجعل لى صرحا فعبر
عن الاجر بالوقود على الطين (ومن هذا القسم المبتذل) قول الفرزدق
في قصيدته التي اولها عرفت باعشاش وما كدت تعرف

وأصبح مبيض الضريب كأنه • على سروات البيت قطن منسدف
فقوله منسدف من الالفاظ العامية (ومن هذا القسم) قول الجعفي
وجوه حساد لمسودة • أم صبيغت بهدى بالزاج
فلفظة الزاج من أشد الالفاظ العامة ابتذالا وقد استعمل أبو نواس هذا النوع
في شعره كثيرا كقوله

يا من جناني وملا • نسيت أهلا وسهلا
ومات مرحبا • رأيت مالي قهلا
اني أظنك فيما • فعلت تحكي القرلا
(وكقوله)

وأنت را جلمدة صبرته * في الناس زاعوا وشقراها
مازلت أبحر كل كي فوقه * حتى دعامن تحته قاعها
(وكقوله)

وملحة بالعدل تحسب أنني * بالجهل أنزل حجة الشطار
وقد استعمل اللفظة الشاطر والشاطرة والشطار والشطارة كثيرا وهي من
الالفاظ التي ابتدأها العامة حتى سميت من ابتدأها وهذه الامثلة تمنع الواقع
عليهم من استعمال أشباهها وأمثالها (ومن أوصاف الكلمة) أن لا تكون
مشتركة بين معنيين أحدهما يكره ذكره وإذا وردت وهي غير مقصود بها ذلك
المعنى فبحت وذلك إذا كانت مهملة بغير قرينة تميز معناها عن القبح فأما إذا
جاءت ومعها قرينة فأنه لا تكون معيبة كقوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه
ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ألا ترى أن لفظة
التعزيز مشتركة تطلق على التعظيم والاكرام وعلى الضرب الذي هو دون الحد
وذلك نوع من الهوان وهما معنيان ضدان فحيث وردت في هذه الآية جاء
معها قرائن من قبلها ومن بعدها تفصصت معناها بالحسن وميزته عن القبح
ولو وردت مهملة بغير قرينة وأريد بها المعنى الحسن لسبق الى الوهم ما اشتملت
عليه من المعنى القبيح مثال ذلك لو قال قائل اقيت فلانا فعزرتة لسبق الى الفهم
أنه ضربه وأهانته ولو قال اقيت فلانا فأكرمته وعزرتة لزال ذلك اللبس (واعلم)
أنه قد جاء من الكلام مامعه قرينة فأوجب قبحه ولو لم تبي معه لما استقبح
كقول الشريف الرضي

أعز زعلي بأن أراك وقد خلا * عن جانبك مقاعد العواد
وقد ذكر ابن سنان اللفظ في هذا البيت في كتابه فقال إن أراد هذه اللفظة
في هذا الموضع صحيح إلا أنه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا الشعر لا سيما
وقد أضافه الى من يحتمل إضافته اليه وهم العواد ولو انفرد لكان الامر فيه
سهلا فأما الإضافة الى من ذكره فقيم اقبح لاختصاصه بهذا حكاية كلامه وهو
مرضئ واقع في موقعه ولقد كرهن ماعنه في ذلك فقول قد جاءت هذه
اللفظة المعيبة في الشعر في القرآن الكريم فجاءت حسنة مرضية وهي قوله
تعالى واذهبوا من أهلك تبوء المؤمنون مقاعد العواد وكذلك قوله تعالى

وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع فنستمع الآن يجدها شهابا رصدا ألا ترى أنها في هاتين الآيتين
غير مضافة الى من تقبح اضافته اليه كما جاءت في الشعر ولو قال الشاعر بدلا
من مقاعد المقاعد الزبارة أو ما جرى مجراه لذهب ذلك القبح وزالت
تلك الهجنة وهذا جاء هذه اللفظة في الآيتين على ما تراه من الحسن وجاءت
على ما تراه من القبح في قول الشريف الرضي وعلى هذا ورد قول تأبط شرا

أقول للحيان وقد صغرت لهم * وطابى ويومى ضيق الجحرم عور
فانه أضاف الجحرم الى اليوم فأزال عنه هجنة الاشتباء لان الجحرم يطلق على كل
ثقب كثقب الحية والبر بوع وعلى المحل المخصوص من الحيوان فاذا ورد معه هـ لا
بغير قرينة تخصصه سبق الى الوهم ما يقبح ذكره لاشتهاره به دون غيره ومن ههنا
ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن لا يلسع من جحرم مرتين وحيث قال
يلسع زال اللبس لان اللسع لا يكون الا للحية وغيرها من ذوات السموم وأما
ما ورد معه هـ لا بغير قرينة فقول أبي تمام

أعطيت لى دية القليل وايس لى * عقل ولا حق عليك قديم
فقوله ايس لى عقل يظن أنه من عقل الشيء اذا علمه ولو قال ليس لى عليك عقل
لزال اللبس فيجب اذا على صاحب هذه الصناعة أن يراعى في كلامه مثل هذا
الموضع وهو من جملة الالفاظ المشتركة التي يحتاج في ايرادها الى قرينة تخصصها
ضرورية (ومن أوصاف الكلمة) أن تكون مؤلفة من أقل الاوزان تركيبا
وهذا مما ذكره ابن سنان في كتابه ثم مثله بقول أبي الطيب المتنبي

ان الكرام بلا كرام منهم * مثل القلوب بلا سويداواتها
وقال ان لفظة سويداواتها طويلة قلها هذا قبح وليس الامر كما ذكره فان
قبح هذه اللفظة لم يكن بسبب طولها وانما هو لانها في نفسها قبيحة وقد كانت
وهي مفردة حسنة فلما جمعت قبحت لاسبب الطول والدليل على ذلك أنه قد ورد
في القرآن الكريم ألفاظ طوال وهي مع ذلك حسنة كقوله تعالى فسبكف بكهم
الله فان هذه اللفظة تسعة أحرف وكذا ما حسنة رائقة ولو كان الطول
مما يوجب قبحا لقبح هاتان اللفظتان وليس كذلك ألا ترى أنه لو أسقط من

اللفظة سويدا وانما الهاء والالف اللتين هما عوض عن الاضافة لبقى منها ثمانية
 أحرف ومع هذا فانها قبيحة واللفظة ليست خافضهم عشرة أحرف وهي أطول منها
 بحرفين ومع هذا فانها حسنة راقية والاصل في هذا الباب ما ذكره وهو أن
 الاصول من الالفاظ لا تحسن الا في الثلاث وفي بعض الرباعي كقولنا عذب
 وعذب فان هاتين اللفظتين احدهما ثلاثية والاخرى رباعية وثمنا للجاسي
 من الاصول فانه قبيح ولا يكاد يوجد منه شيء حسن كقولنا بخمرش وعصا صلق
 وما جرى مجراهما وكان ينبغي على ما ذكره ابن سنان أن تكون هاتان اللفظتان
 حذفتين واللفظتان الواردتان في القرآن قبيحتين لان تلك تسعة أحرف وعشرة
 وهاتان خمسة وخمسة ونرى الامر بالضد مما ذكره وهذا لا يعترف به طول
 ولا قصر وانما يعتبر نظم تأليف الحروف بعضها مع بعض وقد تقدم الكلام على
 ذلك وهذا لا يوجد في القرآن من الجاسي الاصول شيء الا ما كان من اسم نجى
 عزرب اسمه ولم يكن في الاصل عريشا شحوا ابراهيم واسماعيل (ومما يدخل في هذا
 الباب) أن تجنب الالفاظ المؤلفة من حروف يشغل النطق بها سواء كانت طويلة
 أو قصيرة ومثال ذلك قول امرئ القيس في قصيدته الدامية التي هي من جملة
 القصائد السبع الطوال

غدا ترمه مستشزرات الى العلا * تفضل المدارى في مثنى ومرسل

فاللفظة مستشزرات مما يقع استعمالها لانها تثقل على اللسان ويشق النطق بها
 وان لم تكن طويلة لاننا قلنا مستشكرات أو مستشفرات على وزن مستشزرات
 لما كان في هاتين اللفظتين من ثقل ولا كراهة ولربما اعترض به بعض الجهال
 في هذا الموضع وقال ان كراهة هذه اللفظة انما هو اطواها وليس الامر كذلك
 فاننا لو حذفنا منها الالف والتاء وقلنا مستشزرا كان ذلك ثقيلا أيضا وسببه
 أن الشين قبلها تاء وبعد هاء زاي فتثقل النطق بها والافلو جعلنا عوضا من الزاي
 راء ومن الراء فاء فقلنا مستشرف زال ذلك الثقل ولقد رأي بعض الناس
 وأنا أعيب على امرئ القيس هذه اللفظة المشار اليها فأكبر ذلك لوقوفه مع شهرة
 التقليد في أن امرأ القيس أشعر الشعراء فنجيت من ارتباطه بمثل هذه الشبهة
 الضعيفة وقلت له لا يمنع احسان امرئ القيس من استعجاب ما له من القبح
 ومثال هذا كمثال غزال المسك فانه يخرج منه المسك والبحر ولا يمنع طيب

ما يخرج من مسكه من خبث ما يخرج من بعره ولا تكون لاذة ذلك الطيب
 حامية للخبث من الاستكراء فأسكت الرجل عند ذلك (وحضر) عندي في بعض
 الأيام رجل من اليهود وكنت اذ ذاك بالديار المصرية وكان لليهود في هذا الرجل
 اعتقاد لما كان علمه في دينهم وغيره وكان له مري كذلك فحري ذكر اللغات وأن اللغة
 العربية هي سيدة اللغات وأنها أشرفهن مكاناً وأحسنهن وضماً فقال ذلك
 الرجل كيف لا تكون هكذا وقد جاء من آخر أفضت الصبح من اللغات
 قبلها وأخذت الحسن ثم إن واضعها تصرف في جميع اللغات السائدة فاختصر
 ما اختصر وخفف ما خفف فن ذلك اسم الجمل فانه عندنا في اللسان العبراني
 كوميلا عمال على وزن فوعيل فبما واضع اللغة العربية وحذف منها الثقيل
 المستبشع وقال بجمل فصار خفيفاً حسناً وكذلك فعل في كذا وكذا وذكر
 أشياء كثيرة واقصد صدق في الذي ذكره وهو كلام عالم به (ومن أوصاف
 الكلمة) أن تكون مبنية من حركات خفيفة ليخفف النطق بها وهذا الوصف
 يترتب على ما قبله من تأليف الكلمة وهذه اذا توالي حركات خفيفة كان في كلمة
 واحدة تستعمل ويخفف ذلك الحركات الثقيلة فانه اذا توالي منها حركات
 في كلمة واحدة امتثلت ومن أجل ذلك استعملت الضمة على الواو والكسرة
 على الياء لان الضمة من جنس الواو والكسرة من جنس الياء فتكون عند ذلك
 كأنها حركات ثقلتان وتقل لك مثلاً لا تهدي به في هذا الموضع وهو أنا نقول
 اذا أتينا بلفظة مؤلفة من ثلاثة أحرف وهي ج ز ع فاذا جعلنا الياء مفتوحة
 فقلنا الجزع أو مكسورة فقلنا الجزع كان ذلك أحسن من أن نوجعلنا الياء
 مضمومة فقلنا الجزع وكذلك اذا وائنا حركة الفتح فقلنا الجزع كان ذلك أحسن
 من موالاته حركة الضم عند قولنا الجزع ومن المعلوم أن هذه اللفظة لم يكن
 اختلاف حركاتها مغيراً للخارج حروفها حتى يوجب ذلك الى اختلاف تأليف
 الخارج بل وجدناها تارة تكسب حسناً وتارة يسلب ذلك الحسن عنها فقلنا
 أن ذلك حادث عن اختلاف تأليف حركاتها (واعلم) أنه قد قوت حركة الضم
 في بعض اللفاظ ولم يحدث فيها كراهة ولا ثقلاً ولا كونه تعالى واقداً أنذرهم
 بطشاً فقلنا فقلنا وأبانا نذر وكقوله تعالى أن المجرمين في ضلال وسعير وكقوله تعالى
 وكل شيء فعلموه في الزبر فحركة الضم في هذه اللفاظ متواليمة وليس بها من ثقل

ولا كراهة وكذلك ورد قول أبي تمام

نفس يحتمه نفس • ودموع ليس تحتمس

ومغان لا كرى دثر • عطل من عهد درص

شهرت ما كنت اكتمه • ناطقات بالهوى خرس

فانظر كيف جاءت هذه الالفاظ الاربعة مضمومات كلها وهي مع ذلك حسنة لا ثقل بها ولا ينبغي السمع عنها وهذا لا يتقضى ما أشرنا اليه لان الغالب أن يكون نوالى حركة الضم مستتقلا فاذا شد عن ذلك شيء يسير لا يتقضى الاصل المقيس عليه (القسم الثاني في الالفاظ المركبة) قد قدمنا القول في شرح أحوال اللفظة المفردة وما يختص بها وأما اذا صارت مركبة فان تركيبها حكما آخر وذلك أنه يحدث عنه من فوائد التاليفات والامتزاجات ما يجبل للسامع أن هذه الالفاظ ليست تلك التي كانت مفردة ومثال ذلك كمن اخذ لا آلى ليست من ذوات القيم العالية فألفها وأحسن الوضع في تأليفها نقيض للناظر بحسن تأليفه واتقان صنعه أنها ليست تلك التي كانت منشورة مبتددة وفي عكس ذلك من يأخذ لا آلى من ذوات القيم العالية فيفسد تأليفها فانه يضع من حسناتها وكذلك يجري حكم الالفاظ العالية مع فساد التأليف وهذا موضع شريف ينبغى الالتفات اليه والعناية به (واعلم) أن صناعة تأليف الالفاظ تنقسم الى ثمانية أنواع هي السجع ويختص بالكلام المنشور والتصريع ويختص بالكلام المنظوم وهو داخل في باب السجع لانه في الكلام المنظوم كالسجع في الكلام المنشور والتجنيس وهو يعم القسمين جميعا والتصريع وهو يعم القسمين أيضا ولزوم ما لا يلزم وهو يعم القسمين أيضا والموازنة وتختص بالكلام المنشور واختلاف صيغ الالفاظ وهو يعم القسمين جميعا وتكرير الحروف وهو يعم القسمين جميعا (النوع الاول المسجع) وحده أن يقال نواط والقواصل في الكلام المنشور على حرف واحد وقد ذكته بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجه سوى مجزئهم أن يأثروا به والافلو كان مذموما لما ورد في القرآن الكريم فانه قد أتى منه بالكثير حتى انه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور فمن ذلك قوله تعالى ان الله لعن الكافرين وأعد لهم

سعيهم خالدين فيها أبد لا يجدون وليا ولا نصيرا وكقوله تعالى في سورة طه
 طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض
 والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض
 وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا
 هو له الاسماء الحسنى وكذلك قوله تعالى في سورة ق بل كذبوا بالحق لما جاؤهم
 فهم فى أمر مرجح أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من
 فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج
 وكقوله تعالى والهاديات ضحيا فالمريات قدحا فالغيايرات صبحا فآثرن به
 نقعا فوسطن به جمعا وأمثال ذلك كثيرة وقد ورد على هذا الأسلوب من كلام
 النبي صلى الله عليه وسلم شئ كثيرا أيضا (فمن ذلك) ما رواه ابن مسعود رضى الله
 عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قلنا انا
 لنستحي من الله يا رسول الله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ
 الرأس وما وهى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة
 ترك زينة الحياة الدنيا (ومن ذلك) ما رواه عبد الله بن سلام فقال لما قدم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت فى الناس لانظر اليه فلما تبينت وجهه علمت
 انه ليس بوجه كذاب فكان أقول شئ تنكلم به أن قال أيها الناس أفشوا السلام
 وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام (فان قيل)
 ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعضهم منكر عليه وقد كلفه بكلام مسجوع
 أسجعا كسجيع الكهان ولولا أن السجيع مكره لما أنكره النبي صلى الله عليه
 وسلم (فالجواب) عن ذلك أنا نقول لو كره النبي صلى الله عليه وسلم السجيع مما لمقا
 لقال أسجعا ثم سكوت وكان المعنى يدل على انكار هذا الفعل لم كان فلما قال أسجعا
 كسجيع الكهان صار المعنى معلقا على أمر وهو انكار الفعل لم كان على هذا
 الوجه فعلم أنه انما ذم من السجيع ما كان مثل سجع الكهان لا غير وأنه لم يذم
 السجيع على الإطلاق وقد ورد فى القرآن الكريم وهو صلى الله عليه وسلم
 قد نطق به فى كثير من كلامه حتى انه غير النكامة عن وجهه بالتيالهها بأخواتها
 من أجل السجيع فقال لابن ابنته عليها السلام اعيزه من الهامة والساقة
 وكل عيز لامة وانما أراد ملة لان الاصل فيها من ألم فهو ألم وكذلك قوله صلى

الله عليه وسلم ما زورات غير مأجورات وانما أراد موزورات من الوزر
 فقال ما زورات لمكان ما أجورات طلبا للتوازن والسجوع وهذا مما يدل
 على فضيلة السجوع على أن هذا الحديث النبوي الذي يتضمن انكار سجوع
 الكهان عندي فيه نظر فان الوهم يسبق الى انكاره يقال فما سجوع الكهان الذي
 يتعلق بالانكار به ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والجواب عن ذلك أن
 المنهى لم يكن عن السجوع نفسه وانما المنهى عن حكم الكهان الوارد باللفظ
 المسجوع ألا ترى أنه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنين بغرة عبيد
 أو أمة قال الرجل أأدى من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك
 بطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجعا كسجوع الكهان أي أتتبع سجعا
 كسجوع الكهان وكذلك كان الكهنة كلهم فأنهم كانوا إذا سئلوا عن أمر جأوا
 بالكلام مسجوعا كما فعل الكاهن في قصة هند بنت عتبة فانه قال لما سئل قبل
 السؤال عن قصتها ثمة في كربة فقيل له زيد أدين من هذا فقال حبة بر في تحليل
 مهر والحكاية مشهورة فلهذا اختصرناها هنا وكذلك قال سطح فانه قال عبيد
 المسيح جاء الى سطح وهو موف على الضريح رؤيا المؤيدان وارتجاس
 الايوان وأتم الكلام الى آخره مسجوعا والحكاية مشهورة أيضا فلهذا
 اختصرناها فالسجوع اذا ليس بمعنى عنه وانما المنهى عنه هو الحكم المتبوع
 في قول الكاهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجعا كسجوع الكهان أي
 احكموا كحكم الكهان والا فالسجوع الذي أتى به ذلك الرجل لا بأس به لانه قال أأدى
 من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك بطل وهذا كلام حسن من
 حيث المسجوع واما من ينسكrate نفسه وانما المنكر هو الحكم الذي تضمنه في امتناع
 الكهان أن يدي الجنين بغرة عبيد أو أمة (واعلم) أن الاصل في السجوع انما هو
 الاعتماد في مقاطع الكلام والاعتدال المطلوب في جميع الاشياء والنفس غير
 اليه بالطبع ومع هذا فليس الوقوف في السجوع عند الاعتدال فقط ولا عند
 توازن القواصل على حرف واحد اذ لو كان ذلك هو المراد من السجوع لكان كل
 أديب من الادباء مختصا وما من أحد منهم ولو شدا شيئا يسيرا من الادب
 الا ويمكنه أن يتراف ألفاظا مسجوعة ويأتى بها في كلامه بل ينبغي أن تكون
 الالفاظ المسجوعة حلوة سادة طنانة زمانية لا غثة ولا باردة وأعني بقولي غثة باردة

أن صاحبها يصرف نظره إلى السجوع نفسه من غير نظر إلى مفردات الالفاظ
المسجوعة وما يشترط لها من الحسن ولا إلى تركيبها وما يشترط له من الحسن وهو
في الذي يأتي به من الالفاظ المسجوعة كمن ينقش أبواباً من السكرسف أو ينظم
عقدان من الحزف الملون وهذا مقام تزل عنه الاقدام ولا يستطبعه إلا الواحد
من أرباب هذا الفن بعد الواحد ومن أجل ذلك كان أربابه قليلين فإذا
صنى الكلام المسجوع من الغثاء والبردقان وراء ذلك مطلوباً آخر وهو أن يكون
اللفظ فيه تابعاً للمعنى لأن يكون المعنى فيه تابعاً للفظ فإنه يجيء عنده ذلك
كظاهر محمول على باطن مشهور ويكون مثله كقوله من ذهب على نصلي من
خشب وكذلك يجري المحكم في الأنواع الباقية الآتي ذكرها من التخييس
والترصيع وغيرهما • وسأبين لك في هذا مثلاً لا تتبعه فأقول إذا صورت
في نفسك معنى من المعاني ثم أردت أن تدعو به بلفظ مسجوع ولم يأتك ذلك
الزيادة في ذلك اللفظ أو نقصان منه ولا يكون محتاجاً إلى الزيادة ولا إلى النقصان
وانما تفهم ذلك لأن المعنى الذي قصدته يحتاج إلى لفظ يدل عليه وإذا دلت
عليه بذلك اللفظ لا يكون مسجوعاً إلا أن تضيف إليه شيئاً آخر أو تنقص منه
فإذا فعلت ذلك فإنه هو الذي يذم من السجوع ويستقيم ما فيه من التكلف
والتعسف وأما إذا كان محمولاً على الطبع غير متكلف فإنه يجيء في غاية الحسن
وهو أعلى درجات الكلام وإذا تم بالكاتب أن يأتي به في كتابته كما هو أعلى هذه
الشريطة فإنه يكون قد ملك رقاب الكلام يستعبد كرامتها ويستولد عفاؤها
وفي مثل ذلك فليتناقش وعن مقامه فليتناقش وأصاحبه أولى بقول أبي
الطيب المتنبي

أنت الوحيد إذا ركبت طير بقة • ومن الرديف وقد ركبت غصن فرا
(فان قيل) فإذا كان السجوع أعلى درجات الكلام على ما ذهب إليه فكان
ينبغي أن يأتي القرآن كله مسجوعاً وليس الأمر كذلك بل منه المسجوع ومنه غير
المسجوع (قلت في الجواب) إن أكثر القرآن مسجوع حتى أن السورة لتأتي
بجميعها مسجوعة وما منع أن يأتي القرآن كله مسجوعاً إلا أنه سلك به مسلك
الايجاز والاختصار والسجوع لا يوافق في كل موضع من الكلام على حد الإيجاز
والاختصار فترك استعماله في جميع القرآن لهذا السبب وهو هنا وجه آخر هو

أقوى من الاول ولذا ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع
 وانما تضمن القرآن غير المسجوع لأن ورود غير المسجوع مهبزا أبلغ في باب
 الابهاز من ورود المسجوع ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعا (واعلم)
 أن للسجع سر هو خلاصته المطلوبة فان عرى الكلام المسجوع منه فلا يعتد به
 أصلا وهذا شيء لم ينبه عليه أحد فيرى وسأينزه ههنا وأقول فيه قولاهما بين
 مما تقدم وأمثل لك مثلا إذا حذوته أمنت الطاعن والعائب وقيل في كلامك
 ليبلغ الشاهد الغائب والذي أقوله في ذلك هو أن تكون كل واحدة من
 السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها
 فان كان المعنى فيها سوا ذلك هو التطويل بعينه لأن التطويل انما هو الدلالة
 على المعنى بالفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها وإذا وردت سجعتان يدلان على معنى
 واحد كانت احدهما كافية في الدلالة عليه وجعل كلام الناس المسجوع جار
 عليه وإذا تأملت كتابه المفلحين من تقدم كالصابي وابن العميد وابن عباد وفلان
 وفلان فانك ترى أكثر المسجوع منه كذلك والاقول منه على ما أشرت اليه وانقد
 تصفحت المقامات الحربية والخطب النبوية على غرام الناس بهما وأكبرهم
 عليهما فوجدت الأكثر من السجع فيهما على الاسلوب الذي أنكرته فالكلام
 المسجوع اذا احتاج الى أربع شرائط الاولى اختيار مفردات الالفاظ على
 الوجه الذي أشرت اليه فيما تقدم الثانية اختيار التركيب على الوجه
 الذي أشرت اليه أيضا فيما تقدم الثالثة أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع
 تابعاً للمعنى لا المعنى تابعاً للفظ الرابعة أن تكون كل واحدة من الفقرتين
 المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها فهذه أربع شرائط
 لا بد منها وسأورد ههنا من كلامي أمثلة تتخذى حذوها فاني لما سلكت هذه
 الطريق وأتيت بكلامي مسجوعا توخيت أن تكون كل سجعة منه مختصة بمعنى
 غير المعنى الذي تضمنته أختها ولم أخل بذلك في مكاتباتي كلها وإذا تأملت ما علمت
 صحة ما قد ذكرته (ففي ذلك) ما كتبه في صدر كتاب عن بعض الملوكة الى دار
 الخلافة وهو الخادم واقف موقف راج هائب لازم بكتابه هذا وقار حاضر عن
 شخص غائب موجه وجهه الى ذلك الجنب الذي تقسم فيه أرزاق العباد
 ويتأذبه الزمان تأذب ذوي الاستعداد وتسجد الملوكة من خدمته شرف

الجلود كما تستغنى بنسبها اليه عن شرف الاجساد ولو ملك الخدام نفسه
 لقصرها على خدمة قصره وأظاهها من النظر اليه ببرد العيش الذي عمرها
 محسوب من عمره وهذا القول يقوله وكل ما جدد فيه حامد وبثأله راكم
 ساجد والديوان العزيز محسود الاغتراب وهو موطن الرغبات الذي
 الاغتراب اليه ليس بالاغتراب وما ينافس في القرب من أبواب الكريمة الا
 ذوو الهمة الكريمة وقد ودت الكواكب بأسرها أن تكون له منادمة
 فضلا عن ندما في جذية (ومن ذلك) ما كتبه من كتاب يتضمن العناية ببعض
 الناس وهو الكريم من أوجب لسانه حقا وجعل كواذب آماله صديقا
 وكان خرق العطايا منه خافا ولم يرب بين ذمه وبين رجه فرقا وكل ذلك موجود
 في كرم مولانا أجزاه الله من فضله على وتيرة وجعل همه على غام كل نقص قديرة
 وأوطأه من كل مجد سيرا كما بواؤه من كل قلب سريرة ولا زالت يده بالكارم
 جديرة ومن الايام بحيرة واضراؤها من البهار والصاب معيرة ولا برحت
 تستولد عقائم المعاني وتستجدة أبنيتها حتى تشهد الناس منها في كل يوم
 عقيمة أو وكيرة ومن صفات كرمه أنه يسبك الاموال ما أثر ويضدها عند
 السؤال ذخائر فهي تفنى لديهم بالانفاق وذكرها على مرور الايام باق ومن
 أربح منه صفقة وقد باع صامتا بنطاق وما هو معرض لحوادث المبرقات
 بما اتصل اليه يدسارق ومثله من عرف الدنيا فرغب عن اقتنائها وجد في ابتداء
 المهام ديم بنائها وعلم أن مالها ليس عند الضنين به الا أجارا وأن غناها منها
 لا يزيد الا افتقارا فهو لما له عبد يخدمه ولا يستخدمه وأتم رضعه بسعيها
 ولا تفطامه (ومنه) ما كتبه في جواب كتاب يتضمن اباغ غلام وهو أول كتاب
 ورد من المكتوب عنه الى المكتوب اليه فقلت وأما الاشارة الكريمة في أمر
 الفلام الا ببق عن الخدمة فقد ديفتر المهر من عليه ويطير الفرائش الى خريقه
 وغير بعيد أن ينوبه مضجعه أو يكبويه مطمعه فيرجع وقد جدم من رجوعه
 ما ذمه من ذهابه وعلم أن الغنية كل الغنية في اياه فما كل شجرة تهولذا انقها
 ولا كل دار ترهب بطارقه ومن أبق عن مولاه مغاضبا وجانب محل احسانه
 الذي لم يكن له مجابا فانه يجدم من مفارقة الاحسان ما يجدم من مفارقة معاهد
 الاوطان وكل أضل سعيامن دفع في صدر العافية وغدا يسأل عن الاستقام

والتي التروة من يده ومضى في طلب الاعداد ومع هذا فان الخادم يشكره على
 ذنب الاياق الذي أقدم على اجتراحه وليس ذلك الا لانه صار سببا لافتح
 باب المكتبة الذي لم يطمع في افتتاحه ولا جزاء له عنده الا السجى في اعادته
 الى الخدمة التي تقلب في انشائها وهي أبر به من أمه التي تقلب في أحشائها
 ومن فضلها أنها انقذت من عملها بوسيلة الشافع ومن كرمها بالوجه الضاحك
 والفضل الواسع (فانظر) أيها المتأمل الى هذه الامم جميعها وأعظمها حق
 النظر حتى تعلم أن كل واحدة منها تختص بمعنى ليس في أخنها التي يليها وكذلك
 فليكن السميع والافلاحة وسأورد ههنا من كلام الصابي ما ستراه (فمن ذلك)
 فعميد في كتاب فقال الحمد لله الذي لا تدركه الاعين بالمناظرة ولا تحده الالسن
 بالفاظها ولا تخلفه العصور بمرورها ولا يهرمه الدهور بمرورها ثم انتهى الى
 الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لم فقال لم ير الكفر أثار الا طمسه ومحاه
 ولا رسما الا أزاله وعفاء ولا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور وكذلك
 لا فرق بين محو الأثر وعفاء الرسم (ومن كلامه) أيضا في كتاب وهو وقد علمت
 أن الدولة العباسية لم تزل على سالف الأيام ومعاقب الاعوام تعتل طورا
 وتصح أطوارا وتلتا مرة وتستقل مرارا من حيث أهلها راسخ لا يتزعزع
 وبنيانها ثابت لا يتزعزع وهذه الامم جميعا كلها متساوية المعاني فان الاعتلال
 والالتباس والطور والمرة والرسوخ والثبات كل ذلك سواء وكذلك ورد له في
 كتاب كتبه عن عز الدولة بن بويه جوابا عن كتاب وصله من الأمير عبد الكريم
 ابن المطيع لله فقال وصلني كتابه مفتحا من الاعتراف الى اماره المؤمنين
 والتقليد لامور المسلمين بما أعراقه ان كية مجترة لاسيما قراره وأرومته العلية
 مسوقة لاسيما قراره ولكل عجيب اخذ بحظه من نسبه وضارب بسهم
 في منصبه اذ كان ذلك جارا على الاصول المعهودة فيه والامم باب العقادة
 من اجماع المؤمنين ككافة فان تعذر اجتماعهم مع انبساطهم في الارض
 وانتشارهم في الطول والعرض فلا بد من اتفاق اشراف كل قطر وأفاضله
 وأعيان كل صقع وأمائله وهذا الكلام كله متماثل المعاني في اجماعه فان
 اماره المؤمنين والتقليد لامور المسلمين سواء في المعنى وكذلك الاعراق
 والارومة والتجريد والتسوية والاشراف والاقاضيل والاعيان والامائل

والقطر والامقع كل ذلك سواء (وعلى هذا) جاء كلامه في كتاب آخر فقال يسافر
 رأيه وهو دان لم ينزح ويسير تدبيره وهو ثا ولم يبرح وكلا هذين سواء ايضا
 وما أحسن هذا المعنى لو قال يسافر رأيه وهو دان لم يبرح وينحن الجراح
 في عدوه وسيفه في الغم لم يبحر فإنه لو قال مثل هذا سلم من هجعة التكرار
 وأمثال ذلك في كلام الصابي ~~كثير~~ وعلى منواله نسج الصاحب بن عباد
 (في ذلك) ما ذكره في وصف مهزومين فقال طاروا وايقن بظهورهم صدورهم
 ربأصلابهم ثم نصورهم وكلا المعنيين سواء (وكذلك) قوله في هذا الكتاب
 يصف ضيق مجال الحرب مكان ضحك على الفارس والراجل ضيق على الراح
 والنابل (ومن كلامه) في كتاب وهو لا تتوجه همته الى أعظم مرقوب الاطاع
 ودان ولا تمتد عزيمته الى أنفهم مطلوب الا كان واستكان وكل هذا الذي
 ذكره شئ واحد (وله من كتاب) وهو وصل كتابه جامعاً من الفوائد أشدها
 للشكر استحقاقاً واتعها للحمد مداساً تغراها وتعرفت من احسان الله فيما وقره
 من سلامته وهناه من كرامته أنفس موهوب ومطلوب وأحد مرقوب
 ومخطوب وهذا كله متماثل المعاني متشابه الالفاظ وفيما أوردته ههنا
 مقنع فأنتظر لك أيها الواقف على هذا الكتاب فيما بينته لك ووضعت بدلي عليه
 حتى تعلم كيف تأتي بالمعاني في الالفاظ المسجوعة والله الموفق للصواب
 (فان قيل) انك اشترطت أن تكون كل واحدة من الفقرتين في الكلام
 المسجوع دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها وانما اشترطت هذه
 الشريطة فراراً من أن يكون المعنيان شيئاً واحداً ونرى قد ورد في القرآن
 الكريم لفظتان بمعنى واحد في آخر إحدى الفقرتين المسجوعتين كقوله تعالى
 وادكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكل رسول نبي
 (قلت في الجواب) ليس هذا كالأذى اشترطته أما في اختصاص كل فقرة بمعنى
 غير المعنى الذي اختصت به أختها وانما هذا هو إيراد لفظتين في آخر إحدى
 الفقرتين بمعنى واحد وهذا لا بأس به لما كان طلب السجع ألا ترى أن أكثر
 هذه السورة التي هي سورة مريم عليها السلام مسجوعة على حرف الياء
 وهذا يجوز لصاحب السجع أن يأتي به وهو بخلاف ما ذكرته أنا ألا ترى
 أن النبي صلى الله عليه وسلم لم قد غير اللفظة عن وضعها طلباً للسجع فقال

ما زورات وانما هي موزورات وقال العبد الملامة وانما هي الملامة الا انه
 ليس في ذلك زيادة مع في بل يفهم من لفظة ما زورات انها قائمة مقام موزورات
 وكذلك يفهم من لفظة لامة انها بمعنى كلمة فالسبع قد اجيز مع تغير وضع
 اللفظة واجيز مع ان يورد اللفظتان بمعنى واحد في آخر احدي الفقرتين ومع هذا
 فلم يجز في استعماله ان يورد فقرتان بمعنى واحد لانه تطويل محض لا فائدة فيه وبين
 الذي ذكرته أنت وبين الذي ذكرته أنا فرق ظاهر (والذي قدمته) من الامثلة
 المسجوعة للصابي والصاحب بن عباد ربما كانت يسيرة اتهم فيها بالتعصب ويقال
 اني التقطتها التقاطا من جملة رسائلهما وقد خرجت من عهد هذه التهمة
 وذلك اني وجدت للصابي تقليدا بقبالة الاشراف العلويين ببغداد وكنت انشأت
 تقليدا بقبالة الاشراف العلويين بالموصل وقد اوردت التقليدين ههنا لئلا يتأخرا
 الناظر في كتابي هذا ويحكم بينهما ان كان عارفاً ويسأل عنهما العارف ان كان
 مقادراً وقد اوردت تقليد الصابي اولاً لانه المتقدم زماناً وفضلاً وهو هذا ما عهد
 أمير المؤمنين الى محمد بن الحسين بن موسى العلوي الموسوي حين وصلته به
 الانساب وتأسست له الاسباب وظهرت دلائل عقله ولبابه ووضعت
 مخايل فضله ونجابته ومهد له بها الدولة وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة
 وتاج الملة مولى أمير المؤمنين ما يمكن له عند أمير المؤمنين من المثل المكين
 ووصفه به من الحلم الرزين وأشاد به فيه من رفع المنزلة وتقدير المرتبة
 والتأهيل لولاية الاعمال والحمل للاعباء الثقال وحيث رغبه فيه سابقه
 الحسين أبيه في الخدمة والنصيحة والمواقف الممودة والمقامات المشهودة التي
 طابت بها أخباره وحسنت فيها آثاره وكان محمد متعلقاً بخلاته وذاهباً
 في طرائقه علماً وديانة وورعاً وصيانة وعفة وأمانة وشهامة وصرامة بالخط
 الجزيل من الفضل الجليل والادب الجزل والتوجه في الأهل والايفاء بالماثبات
 على لدائه وأترابه والابرار على قرائمه وأضرابه فقلده ما كان داخل في أعمال
 أبيه من نقابة تقباء الطالبين أجمعين بمدينة السلام وسائر الاعمال والامصار
 شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً واختصه بذلك جذبا بصنعه وانافة بقدره وقضاء
 ملق رحمه وترفيه الآيبه واسعا قاله باباؤه فيه أمر المؤمنين واستخلافه
 عليه من النظر في المطالم وتسيير الجيوش في المواسم والله يعقب أمير المؤمنين فيما

أمر ودين حسن العاقبة فيما قضى وأما في ما توفيق أمير المؤمنين الإيالة
 عليه يتوكل واليه ينسب وأمره يتقوى الله التي هي شعار المؤمنين وسما
 الصالحين وعصمة عباد الله أجمعين وأن يمتدحها من أوجهها ويعتقد
 قولاً وفعلاً وبأخذها ويعطى ويسر بها وينوي وبأن يذو ويدور
 ويصدر قائمها السبب المنين والمعقل المحصين والزاد النافع يوم الحساب
 والمسلط المعفى إلى دار الثواب وقد ضل الله أولياءه عليها وهذا هم في محكم
 كتابها فقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
 وأمره بتلاوة كتاب الله مواظباً وتصفه مداوماً لازماً والرجوع إلى
 أحكامه فيما أحل وحرم ونقض وأبرم وأتاب وعاقب وباعد وقارب فقد
 صمم الله برهانه وحجته وأوضح منهاجه وحجته وجعله نجوماً في الظلمات طالعا
 ونورا في المشكلات ساطعا فمن أخذ به نجا وسلم ومن عدل عنه هوى وندم
 قال الله تعالى وأنه الكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
 من حكيم حميد وأمره بتزيه نفسه عما تدعو إليه الشهوات وتطلع إليه
 التبعات وأن يضبطها بضبط الخليم ويكفها كف الحكيم ويجعل عقله
 سلطانا عليها وتبديره أمرا ناهيا لها ولا يجعل لها عذرا إلى صبوته ولا هفوة
 ولا يطلق منها عنا غنوده ولا فوره قائمها أمانة بالسوء منسوبة إلى التي فن
 رفضها عنها ومن اتبعها هوى فالخازم منهم عند تحرك وطره وأربه واحتياج
 غيظه ولا بدع أن يغضها بالشكيم ويعرکہا عرك الأديم ويقودها إلى مصالحها
 بالخزانم ويفتقدوها من مقارفة الماس ثم والمحارم كما يعز بتذليلها وتأديها
 ويجعل برضاها وتقويها والمفترط تطمع به إذا طمعت ويجمع معها إذا
 جمعت ولا يلبث أن يورد في حيث لا يصدور وتطشه إلى أن يمتدح وتقويه
 مقام المدام الواجم وتنكب به سبيل الرشيد السالم وأحق من تحلى
 بالمحاسن وتصدى لاكتساب المحامد من ضرب بمنزل سهمه في نسب أمير المؤمنين
 الشريف ومنصبه المنيف واجتمع معه في ذؤابة العترة الطاهرة واستظل
 بأوراق الدوحة الفخخرة فذلك الذي تتضاعف به المآثران أثرها والمساب
 ان أسف إليها ولا سيما من كان مندوبا بالسياسة ومرشدا للتعدي على أهله إذ
 ليس ينبغي بالصلاح أن ولي عليه ولا ينبغي بالصلاح ما بين جنبيه ومن أعظم الهجنة

عليه أن يأمر ولا يأمر وينجز ولا ينجز قال الله تعالى ذكره أنا مرون
الناس بالبر وتذكرون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وأمره أن
يتصفح أحوال من ولي عليهم من استقرا مذاهيبهم والبحث عن يواطئهم
ودخالهم وأن يعرف أن تقدمت قدمه منهم وتظاهر فضله فيهم منزله
ويؤفيه حقه وزينته وينتهي في إكرام جماعتهم إلى الحدود التي توجبها أنسابهم
وأقدارهم ونقتضيا مواقعهم وأخطارهم فان ذلك يلزمه لشئئين أحدهما
يخصه وهو النسب الذي بينه وبينهم والآخر يعمله والمسلمين جميعا وهو قول الله
جل ذكره قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى فالمودة لهم الاعظام
لأكبرهم والاشغال على أصغارهم واجب متضاعف الوجوب عليه
متما كذا لزوم له ومن كان منهم في دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتضن كوا عليه
وجذعان لم يقرحوا ومجربون إلى ما يروى بأنسابهم ويفض من أحسابهم
عذاهم وأنبههم ونهاهم ووعظهم فان نزعوا وأقلعوا فذاك المراد بهم
والمقصود فيهم وإن أصروا وتسابعوا أنالهم من العقوبة بقدر ما يكف ويردع
فان نفع والاحتجاء وزه إلى ما يلذع ويوجع من غير تطرق لأعراضهم ولا
استهان لأحسابهم فان الغرض منهم الصيانة لا الإهانة والادالة لا الإذالة
واذا وجبت عليهم الحقوق أو تعلقت بهم دواعي الخصوم فادهم إلى الإغفاء بما
يصح منها ويوجب والخروج إلى سنن الحق فيما يشبهه ويلتبس ومتى لزمهم الحدود
أقامها عليهم بحسب ما أمره الله تعالى فيها بعد أن ثبتت الجرائم وتصح وتبين
وتتضح وتجرد عن الشك وتنجلي من الظن والتهمة فان الذي يستحب في حدود
الله عز وجل أن تدرا مع نقصان اليقين والعصمة وأن تقضى عليهم مع قيام
الدليل والبيينة قال الله عز وجل ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون
وأمره بجهاطة أهل النسب الأظهر والشرف الأنفخر عن أن يدعيه الأعداء
أو يدخل فيه المدخل ومن انتفى إليه كاذبا أو اتهمه باطلا ولم يوجد له بيت
في الشهادة ولا مصداق عند النسابين الماهرة أوقع به كذبه وفسقه وشهره
شهرة ينكشف بها غشه ولبسه وينزع بها غيره عن تسول له ذلك نفسه وأن
يحصن الفروج عن مناهكة من ليس كقوالها في شرفها ونفورها حتى لا يطمع
في المرأة الحسبية النسبية إلا من كان مثلالها مساويا وتطير موازيا فقد قال الله

تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وأمره
 براعاة متبلي اهل ومنتجديهم وصلواتهم ومجاورهم وأرااملهم وأصاغرهم
 حتى تستد الخلة من أحوالهم وتدر المواد عليهم وتتعدل أقساطهم فيما يصل
 اليهم من وجوه أموالهم وأن يزوج الايامى ويرى اليتامى ويلزمهم المكاتب
 فيتلقوا القرآن ويعرفوا فرائض الاسلام والايان ويتأدوا بالآداب
 الملائكة بذوى الاحساب فان شرف الاعراق محتاج الى شرف الاخلاق
 ولا حيل لمن شرفه حسبه ويهتف أدبه اذ كان لم يكتسب الفخر الحاصل
 بفضله سعي ولا طلب ولا اجتهاد بل يصنع الله تعالى له وهب المنة عليه
 وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطية والاعتداد بما
 فيها من المزية واعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب والترفع عن
 الرذائل والمثالب وأمره باجمال النياية عن شيعه الحسين بن موسى فيما أمره
 أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر والاخذ للظلم من الظالم وأن يجلس
 لهم ترافعين اليه جلوسا عاما ويتأمل كلامهم تأملا تاما لما كان منها متعلقا
 بالحكم رده اليه ليحل الخصوم عليه وما كان من طريقة القسوم والظلم
 والتغلب والغصب قبض عنه اليد المبطلة وثبت فيه اليد المستحقة وتحرى
 في قضاياء أن تكون موافقة للعادل ومجانبة للخذل فان عادة الحكام وصاحب
 المظالم واجدة وهي اقامة الحق ونصرتة وابانة واثارته وانما يختلف سبيلهما
 في النظر اذ كان الحاكم يعمل بما ثبت عنده وظهر وصاحب المظالم يفتحص
 عما غرض واستتر وليس له مع ذلك أن يرد للحاكم حكومة ولا يعمل له قضية
 ولا يتعقب ما ينفذه ويعضيه ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه والله به يوفونه
 ويستدونه ويرشده وأمره أن يسير جميع بيت الله عز وجل الى مقصدهم
 ويحجمهم في بدايتهم وعودتهم ويرتبهم في مسيرهم ومساكنهم ويرعاهم
 في ابلهم ونهارهم حتى لا تنالهم شدة ولا تنصل اليهم مضرة وأن يريحهم
 في المنازل ويوردهم المناهل وينابو بينهم في النهل والعلل ويصككهم من
 الارواء والاكتفاء مجتهدا في الصيانة لهم ومعدرا في الذب عنهم ومتلوما على
 متأخرهم ومتخلفهم ومنه الضعيفهم ومهيضهم فانهم محتاج بيت الله
 الحرام وزوار قبر رسوله عليه الصلاة والسلام قد هجروا الاهل والاوطان

وفارقوا البحيرة والآخران وتجنبوا المفارم الثقال ونعسوا السهولة والجبال
 يابون دعاء الله ويطيعون أمره ويؤدون فرضه ويرجون ثوابه وحقة بقى على
 المسلم أن يحرمهم متمبرعا ويحوطهم منطوقا فكيف من تولى ذلك وضعه
 وتقلده واعتقبه قال الله تعالى والله على الغاسج البيت من استطاع إليه
 سبيلا وأمره أن يراعى أمور المساجد بدنة السلام واطرافها واقطارها
 واكتافها وأن يجنبى أموال رفقها ويستقصى جميع حقوقها وأن يلم
 شعنها ويستخلصها بما يتحصل من هذه الوجوه قبله لا يزيل رسمها جرى
 ولا ينقض عادة كانت لها وأن يكتب اسم أمير المؤمنين على ما يهـمه منها
 ويذكر اسمه بعده بأن عمارتها جرت على يده وصالح إذاه قول أمير المؤمنين في ذلك
 تنويم أبائهم واشادة لذكره وأن يولى ذلك من قبله من حسنت أمانته وظهرت
 عقته وصيائمه فقد قال الله جل من قائل اغياي عمر مساجد الله من آمن بالله
 واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا
 من المهتدين وأمره أن يستخلف على ما يرى استخلافه عليه من هذه الأعمال
 في الأمصار الدانية والنائية والبلاد القريبة والبعيدة من يثق به من صلحاء
 الرجال ذوي الوفاء والاستقلال وأن يعهد إليهم مثل ما عهد إليه ويعتمد
 عليهم مثل ما اعتمد عليه ويستقصى في ذلك آثارهم ويتمرف أخبارهم فن
 وجدهم محمودا قربة ومن وجدهم مذمومًا صرفه ولم يهله واعتاض من تربى
 الأمانة عنده وتكون الثقة به وودعه منه وأن يختار لكتابته وجابته والتصرف
 فيما قرب منه وبعد عنه من يرضيه ولا يشينه وينصح له ولا ينشئه ويجعله
 ولا يهينه من الطيبة المعروفة باللطف المتصونة عن اللطف ويجعل لهم من
 الأرزاق الكافية والابرة الوافية ما يصدقهم عن المكاسب الذميمة والمآكل
 الوحشية فليس يجب عليهم الخجة الامع اعطاء الحاجة قال الله تعالى وأن ليس
 للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأمره أن
~~يكتب لمن~~ يقوم بينته عنده ويكشف له حجه إلى أصحاب المعارف بالشدة
 على يده واتصال حقه إليه وحسم الطمع الكاذب فيه وقبض اليد الظالمة
 عنه اذهم منه ويؤن للتصرف بين أمره ونهيه والوقوف عند رسمه وحده هذا
 عهد أمير المؤمنين إليك وحجته لك وصليك قد أبان منه سبيلك وأوضح دليلك

وهذا الرشيد وجعلك على بينة من أمرك كما عمل به ولا تخالفه واتمه إليه
ولا تجاوزه وان عرض لك عارض يجهزك الوفاء به ويستببه عليك الظهور وج منه
أنهيته إلى أمير المؤمنين مبادرا وكنت إلى ما يأمر بك به صائرا ان شاء الله تعالى
(وأما التقليد الذي أنشأته أنا) فقد أوردته بعد هذا التقليد وهو أنما بعد فان
كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجندم وكل كتاب لا يرقم بأهله فليس يعلم
وعلى هذا فان حده يتنزل من الكلام منزلة الاعضاء من الاجسام وأما
يتنزل من الكتاب منزلة الرقوم من الثياب وقد جئنا في كتابنا هذا بين التسمية
والتصميم وجعلنا احداها ما مفتاحا للتميز والاخر سببا للتمييز ثم ردقناهما
بالصلاة على سيدنا محمد الذي أيده الله بالقرآن المجيد وجعل شهادته قبيل كل
شهاد وعلى آله وصحبه الذين هدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط
الحديد وعما يقتزن بهذه الصلاة في جوابها ويحیی على أعقابها النظر في أمر
الامرة النبوية التي وصل ودها بوقته وجعلها احدى النقطتين المختلفتين من بعده
وقد تقدم الان زمانها وتشعبت أغصانها ونسى ما لها في الرقاب من هذه
الامانة ولم توضع فيما وضع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من المكانة
وأولى الناس بها من أضرع ولا ما حقا وأوجب أن يرد معها الخوض حين يقال
لوارده مصفا وكان عن تحت يده منها بارأفقا حتى لا يسأل به برا ولا رفا ونحن
نرجو أن يفوز بفضل هذه الحسنة وأن يسبق اليها سبق المتقرب في الجمعة بيته
ومن أهم أمورها أن يختار لها زعيم يرأف بها رافة الوالد بولده ويقوم بأمرها
قيام الرأس بحسبه حتى تألف أصوارها كاهها في مفرسها ولا يصحكم عليها
من ليس من أنفسها وقد اخترنا لها من وفقنا في اختياره وأخذنا فيه
بيان الرأي وسرمة لا بشبهة الهوى واعتباره ولولم يكن من القوم الذين ولوها
لكان استحقاقها لنا والتمويل عليه متعينا فكيف وقدمه فيها قدسية
الميلاد ووراثته أياها عن سيادة الجدود وودد الاجداد وهو أنت
أيها السيد الأجل الشريف الحبيب النسب فلان بن فلان الحسيني ولوشنا
لا منذنا هذه النسبة كبرا عن كبر ونضدناها آخر بعد أول من أول قبل آخر
حتى وصلنا هذا الفرع بشجرة الطيبة وهذا القطر بساكنة الصبية وشرف
الانساب أصدقه ما كان الدهر به شهيدا وأجده ما كان قد جارا وأخلفه

ما كان جديدا وما تولى الروح الامين مدحه قرأنا كرم مما تولى الشعراء
 مدحه قصيدا ولا فضل للمعتزى الى هذا القريب حتى تلمح اليقظة بالابوة
 ويضيف درجة الفضيلة الى محبة النبوة وحينئذ يقال ما أقرب الشبه على
 قدم عهده وهذا ما ورد به مذهب ورده وانت ذلك الرجل الذى تردد
 الشرف فى مناسبه تردد القمر فى منازل وزها المجد بعناقبه زهو الروض
 فى خائله فلا تى حسبك تغنيك عن سؤال من وما وتلا بؤذك وجدك قلبا
 وغيا والحسب ما حفظت أو اخره أوائله وأوضحت الليالى والايام دلائله
 وأقربت به الاعداء غارت فضائله وهذه هي المآثر التى اذا نظمت غارت
 الشعراء عليها من الشعر واذا انثرت وجدت فى محكم الذكر وانت صاحبها
 وابن صاحبها ومن لم ير منها عن أباعد هابل عن أقاربها ولو جابت رياستها
 مصانعا ومشيت بها الضراء متواضعا لدل عليك وصفها وعرف منك عرفها
 وقد قلنا لك أمر هذه الاسرة الطاهرة التى هى أسرتك وأمرناك عليها وأمرتها
 أمرتك فتولها تولى من خضع لها جناحه وأفاض عليها سحابة وأنضى فيها
 ضد قوه ورواحه حتى يقال انك الراعى الذى تناول ثلثه غاراح حسيبها
 وجبر كسبها وارتادها لخصبها وأورد هارفا لآغيا وأذكى فى كلاءتها
 عيننا وقلبا ومن حقه عليك أن تنظر الى ذات شمالها وذات يمينها وتصفح
 أحوالها فى أمر دينها ودينها فأقول ذلك أن تعلمنا كتاب الله تعالى الذى
 فى تعليمه نهج الصواب وفى تلاوته مضاعفة حسنات الثواب وقد مثل
 قارئه بالبيت العامر وتاركه بالبيت الخراب وهو كتاب امتاز عن الكتب بنجوم
 التنزيل وتولى الله حفظه من التصريف والتبديل وافتحه بالسبع المثاني التى
 لم ينزل مثالا فى التوراة ولا فى الانجيل وهو الموصوف بأنه النور المستضاء به
 فى غياية الظلماء والحبل الممدود من الارض الى السماء والبحر الذى لا يستخرج
 أولوه ومربياته الا الراسخون من العلماء وكذلك نفخ هذه الاسرة بتعليم
 الفضائل التى تتفاوت بها القيم وسبها برياضة الآداب وتهذيب الشيم ولا
 تتركها فوضى لا يتسم أحدها بسعة القدر المنيف ولا يرجع الى حسب تليد
 ولا الحسنى طريف وتكون غاية ما عنده من الفضيلة أن يقال فلان الشريف
 ومن حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أن توفى فضل مكانها وتختلف

بين شأن غيرها من المسلمين وبين شأنها فلا يتبدل بمجالس الولاية في انتزاع ظلامه
 ولا في إقامة حد يلب معه رداء الكرامة وأنت تتولى ذلك منها بما وجب عليها
 من حق فخذها باقتضائه وأمنض فيها حكم الله الذي أمر بما مضاهه وليكن ذلك
 على وجه الرفق الذي يمس له القياد ويتوطأ له المهاد وإن أمكنك اقتداء شئ
 من هذه الظلمات التي تتوجه عليها فساد وقد أتم الله فضلها بمنع كرائمها الأمن
 كفؤ لادناءة في عنصره ولا غضاضة في مخبره وهو الذي إن فاته شرف النبوة
 في مغرسه فلم يفته شرف النباهة في معشره وإذا تباينت الاقدار فلا فرق
 بين المناكح المخطوبة وبين الاسلاب المسلوقة فأحفظ لا تسرك حرمة هذه
 المنزلة واجعلها في كتاب الوصايا التي وصيت بها مكران البسطة وكما أمرناك بالنظر
 في صون أقدارها فكذلك تأمرنا بالنظر في حفظ مادة درهمها ودينارها وقد
 علمت أن لها أوقافا وقفها قوم فخطوا بأجرها واسمها وستحظى أنت بالعدل
 في قسمها فأجر على كل منها رزقه وأعطا كل ذي حق حقه وفي الناس طائفة
 أدعياء يرومون الحاق الرأس بالذنب والبيع بالغرب ويلحقون أبا الغير ابن وابنا
 الغريب كل ذلك رغبة في سحت يأكلونه لا في نسب يوصلونه فنقب عن حال
 هؤلاء تهقبا واجعل النسب نسبيا والغريب غريبا حتى تخلص السلالة من
 طراقتها وتبقى الشجرة قائمة على أعراقها ومن علمت كذبه فازجره بأليم
 الازدجار وأعلمه بأنه قد تبوأ مقعده من النار وأشهره في الناس حتى ينتهي
 وينتهي غيره بذلك الاشتهار وههنا وصية هي أهم من هذه الوصية أمرا
 وأعظم أجرا وأجدربأن تكون هي الأولى وتكون هذه الأخرى وهي
 الأخذ على السنة السفهاء من الخوض فيما شجر بين آل النبي صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه وأظهار العصبية التي تخرج الحق عن نصابه وترجعه على أعقابيه وليس
 مستندها الامقالات ذوى الجهل وربما نشأ منها فتنة والفتنة أشد من القتل
 فوكلهم ولا غربا قاطعا ونهيا قاعا وكن في ذلك شارعا لما كان الله شارعا
 فأولئك السادات هم النجوم الذين بأيهم كان الاقتداء كان به الاهتداء وقصارى
 المحسن في هذا الزمان أن يتعلق منها سببا ويأخذ عنهم ديناً وأدبا ولا يبالغ
 متأخذهم ولا نصيفه ولو أنفق مثل أحد ذهبا ونحن نعلم أنك واقف على
 سنن اقتصادك وأن هذه الوصية هي محض اعتقادك والمنصف في هذا المقام

من رغبة بنظر يحيى فوفى بأب بكر وعمر رضي الله عنهم ما خففها وان كان من نسل
على فكل قد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضلته وهو لاء من صحابته
وهذا من أهله ونعوذ بالله من الاهواء الزائغة والاقوال التي ليست بشائفة
ولا حجة الا بالحق والله الحجة البالغة وقد جمعنا لك في ما لنا عطايا دار التوبة من به
على لوازم التفتات وتخرج نافلتها في وقاية عرضك التي هي محسوبة من
الصناعات فان من سادق ما يفتر الى تحمل انصالحهم والافاضة من حاله
على أسوالهم وهذا بر يتكون حنا أصله ومذك فرغه وثواب يكون لك قصده
ولنا شرعه وصاحب الاحسان من سبق شيقيل الاحسان ولم نرض أن أريناك
مكانه حتى أمددناك فيه بالامكان فأعطى مالنا وتعلم من سنة الفضائل ولدا ولتنا
بذلك ثواب بخال كليا ليس زاد بحدته وعمود كركل مضت عليه ممدد الايام طال
مدة ولا ملك في الدنيا لم يجعل ملكا خدينا حسنا وبشرنا بالحمد فيجعلها
ثنا ومن عرفت قدر الثناء جدد في تحصيله ولو اتفق الكثير في قليله فكهم من
دولة أعدمت منه فداوست آثارها عالمها ولو كانت منه مزية لما ذهبت مع بقاء
مكانها واذا ذكرنا هذا فلنحتمه بما يكون فلا دة لصاحب هذا التقليد وهو أن
نجرد العناية بوجاهته حتى يلبس ثوبا بذلك التجريد ونحوى ذلك أن يعلم الناس
ماله في الدولة من منزلة الكرامة ويعرفوا أنه في ابن جلا غير محتاج الى وضع
العمامة ونحن نأمر قواينا وولاتنا وأصحابنا أن يوفوه حق أبوة الشريعة
وقضياته التي ردتهم فأضحت وهي لها رديفة وأن يعطوه ما شاء من اعلامه
ويعضوا فعل يده وقول لسانه ان شاء الله تعالى (وقد وجدت للصابي) أيضا تقليدا
أنشأه لفخر الدولة أبي الحسن بن ركن الدولة أبي علي بن بويه عن الخليفة الطائع
رجه الله وهو مثبت ههنا على صورته وكان عرض علي تقليد كتب للملك الناصر
صلاح الدين يوسف بن أيوب من الخليفة المستضي بالله رجه الله في سنة اخدي
وسبعين ونسختة فوجدت فيه كلاما نازلا بالمره وسألني بعض الاخوان بمدينة
دمشق أن أعرضه فعرضته بتقليد في معناه وهو مثبت ههنا أيضا وكلا
التقليدين باسم ملك كبير وفيهما يظهر ما يظهر من فصاحة وبلاغة
(فأما التقليد) الذي أنشأه الصابي فهو هذا ما عهدت عهد الله عبد الكريم الطائع
له أمير المؤمنين الى فخر الدولة أبي الحسن بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين

حين عرف غناه وبلاء واستصح دينه وبقيمته ورعى قديمه وحديثه واستجب
عوده ونجباره وأثنى على الدولة أبو منصور بن عبد الدولة أبي الحسين مولى أمير
المؤمنين عليه وأشار بالزيدى الصنعية اليه وأعلم أمير المؤمنين اقتداءه به في كل
مذهب ذهب فيه من الخدمة وغرض رضى اليه من النصيحة بدخول في زمرة
الاولياء المنصورة وخروجاً عن جماعة الاعبداء المندحورة وتصرفاً على
موجبات البيعة التي هي بعز الدولة أبي منصور منوطة وعلى سائر ما يتلوه ويتبعه
مأخوذة مشروطة فقلده الصلات وأعمال الحرب والمأون والاحداث والخراج
والاعشار والضرائب والجهيزة والصدقات والجواري وسائر وجوه الخباياق
والعرض والعتاء والنفقة في الاولياء والمظالم وأسواق الدقيقتى والعيارى
دور الضرب والطرد والحسبة بكونهم مذان واستتراياذ والدينور وتوزيع
والامعارين واعمال اذريجان وأران والسجانيين وموقان وائقامهم باستقبال
استدانتها والاستزادة بلا شكركمها والتجنيب انعطافها وجمودها والتعريب
لا يحاشونها وتنفيرها والتعميد لما يكن له الخطوة والزلزلى وحرس عليه الاثمة
والقربى بما يظهره ويضمه من الوفاء الصحيح والولاء الصريح والغيب الامين
والصدر السليم والمقاطعة لكل من قطع العصمة وفارق الجماعة والمواصلة لكل
من جنى البيضة وأخلص النية والكون تحت ظل أمير المؤمنين ودمته ومع
عز الدولة أبي منصور وفى حوزته والله جمل اسمه يعرف لا أمير المؤمنين حسين
العقبى فيما أبرم ونقض وسداد الرأى فيمن رفع وخفض ويجهل عزائمه
امقر وثب بالسلامة شجوبة عن موارد الندامة وحسب أمير المؤمنين بالله ونعم
الوكيل أمره بتقوى الله التي هي العصمة المتينة والجنسية المحصنة والطود
الارفع والمعاد الامنع والجانب الاعز والمطلب الاحرز وأن يستشعرها سراً
وجهرًا ويستعملها قولاً وفعلًا ويتخذها ذخراً اذا فعيا النوائب القدر وكهفا
حامياً من حوادث الغير فانها أوجب الوسائل وأقرب الذرائع وأعوذ بها على
العبد بصلاته وأدعائها الى كل مناجحه وأولاهها بالاستمرار على هدايته
والانجاة من غوايته والسلامة في دينه حين توبق موبقاتها وتردى مدياتها
وفى آخرته حين تروع رابعاتها وتخيف مخيفاتها وأن يتأدب بأدب الله
فى التواضع والاختبات والسكينة وصدق اللهجة اذا نطق وعض الطرف اذا

رفق وكظم الغيظ اذا حفظ وضبط اللسان اذا أغضب وكف اليد عن المآثم
 وصون النفس عن المحارم وأن يذكر الموت الذي هو نازل به والموقف الذي هو
 صائر اليه ويعلم أنه مسئول عما كتب يحزى عما ترتل واحتجب ويتزود
 من هذا الممر لذلك المقر ويستكثر من أعمال البر لتنفعه ومن مساغى الخير
 لتنفذه ويأتمر بالصالحات قبل أن يأمر بها ويزجر عن السيئات قبل أن يزجر
 عنها ويمتدئ بأصلاح نفسه قبل إصلاح رعيته فلا يبعثهم على ما يلقى ضده
 ولا ينهاهم عما يعترف مثله ويجعل ربه رقيباً عليه في خلواته ومروءاته مانعة له من
 شهواته فان أحق من غلب سلطان الشهوة وأولى من ضرع لغذاء الحيلة من
 ملأ أزيمة الأمور واقتدر على سياسة الجمهور وكان مطاعاً فيما يرى متبعاً فيما
 يشا يلى على الناس ولا يلون عليه ويقتص منهم ولا يقتصون منه فاذا اطلع
 الله منه على تقاه جيبه وطهارة ذيله وجملة سيرته واستقامة سيرته أعانه على
 حفظ ما استحفظه وأنضه بشقل ما حله وجعل له مخلصاً من الشبهة ومخرجاً من
 الحيرة فقد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب
 وقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم
 مسلمون وقال واتقوا الله وكونوا مع الصادقين الى آى كثيرة حضنا بها على
 أكرم الخلق وأسلم الطرق فالسعيد من نصيبها اراء ناظره والشقي من نبذها
 وراء ظهره وأشقى منهم ما من بعث عليها وهو صايف عنها واهاب اليها وهو
 يبعده منها وله ولا مثاله يقول الله تعالى ذكره أتأمرون الناس بالبر وتنسون
 أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وأمره أن يتخذ كتاب الله اماماً
 متبعها وطريقاً متوقفاً ويكثر من تلاوته اذا خلا بذكره ويلا بتأمله أرجاء
 صدره فيذهب معه فيما أباح وحظر ويقتهى به اذا نهى وأمر ويستبين
 ببيانها اذا استغلقت دونه المعضلات ويستضي بمصابيحها اذا عظمت عليه
 المشكلات فانه عروة الاسلام الوثقى وحجته الوسطى ودليله المقنع وبرهانه
 المرشد والكاشف اعظم الخطوب والشافى من مرض القلوب والهادى لمن ضل
 والمتلا فى انزل فن نجاهه فقد فاز وسلم ومن إلهامه فقد خاب وندم قال الله
 تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
 حميد وأمره أن يحافظ على الصلوات ويدخل فيها فى حقائق الاوقات قائماً

على حدودها متبها الرسومها جامعاً فيها بين نيته وانظفه متوقفاً لمطامح جهوه
ولحظه منقطعاً اليها عن كل قاطع لها مشغولاً به عن كل شاغل عنها متثبتاً
في ركوعها وسجودها مستوفياً عدد مفروضها ومسنونها موقراً عليها
ذهنه صارفاً اليها همه عالماً بأن راقف بين يدي خالقه ورازقه ومحبيه ومحبته
ومعاقبه ومثيبه لا تستتر دونه خائفة الاعين وما تخفى الصدور فإذا قضاه على
هذه السبيل من ذنوبه الكبيرة الاحرام الى خاتمة التسليم أتبعها ببدعها غير رفع
بارتفاعها ويستمع باسماها لا يمتد في مسائل الابرار ورغائب الاخيار
من استصفاح واستغفار واستقالة واسترحام واستدعاء لمصالح الدين والدنيا
وعوائد الآخرة والأولى فقد قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً
موقوتاً وقال تعالى وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأمره
بالسعي في أيام الجمع الى المساجد الجامعة وفي الأعياد الى المصليات الضاحية
بعد التقدم في قرشها وكسوتها وجمع القوام والمؤذنين والمكبرين فيها
واستسقاء الناس اليها وحضهم عليها آخذين الالهية متنفذين في البرة
مؤذنين لفريضة الطهارة وبالغين في ذلك أقصى الاستقصاء مع متقين خشية الله
وخيفته مستدرعين تقواهم ومراقبته مكثرين من دعائه عز وجل وسؤاله
مصلين على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله بقلوب على اليقين موقوفة وهم
الى الدين مصروفة وألسن بالتقديس والتسبيح فصيحة وآمال في المغفرة والرحمة
فصيحة فان هذه المصليات والمنعبدات بيوت الله الذي فضلها ومناسكها التي
شرفها وفيها يتلى القرآن الكريم وتعود العائدون وتتعبد المتعبدون
وتتجدد المنجدون وحقيق على المسلمين أجمعين من وال ومولى عليه أن يصونها
ويحرمها ويواصلها ولا يهجرها وأن يقيم الدعوة على منابرها لأمير المؤمنين
ثم انفسه على الرسم الجاري فيها قال الله تعالى في هذه الصلاة يا أيها الذين آمنوا
إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وقال في عبارة
المساجد انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى
الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وأمره أن يراعى
أحوال من يليه من طبقات جند أمير المؤمنين ومواليه ويطلق لهم الارزاق
في أوقات الوجوب والاستحقاق وأن يحسن في معاملتهم ويحتمل في

استخدامهم ويتصرف في سياستهم بين رفيق من غير ضعف وخشونة في غير عنف
 مثيبا لمحسنهم ما زاد بالاثابة في حسن الاثر وسلم معها من دواعي الاشر ومنعها
 لمسيئهم ما كان التعمد له نافعا وفيه ناجعا فان تكررت زلاته وتتابعت عثراته
 تناولته من عقوبته ما يكون له مصليا واغريه واعظا وان يختص اكبرهم
 واماثلهم واهل الرأي والخطر منهم بالمشاورة في الملم والاطلاع على بعض
 المهتم مستخاضا لخبايا حيدورهم بالبط والادناء ومستشعرا بصائرهم
 بالاكرام والاحتباء فان في مشاورة هذه الطبقة استدلالا على مواقع الصواب
 وتحرزا عن غلط الاستبداد واخذابا بجماع الحزامية وامننا من مضارقة
 الاستقامة وقد حض الله عز وجل على الشورى حيث قال لرسوله عليه الصلاة
 والسلام وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين
 وامره بان يصعد بناية صل بنواحيه من ثغور المسلمين ورباط المرباطين ويقسم
 لهاقسموا وافر من عنايته ويصرف اليها طر فابل شطرا من رعايته ويختار لها
 اهل الجلد والشدّة وذوي البأس والنجدة ممن عجمته الخطوب وعركته
 الحروب واكتسب ديرة بجدع المتنازلين وتجربة بكايدها المتقارعين وان
 يستظهر بكشف عددهم واعتبار عددهم واتخاب خيلهم واستجادة
 أسلحتهم غير محجرب عنها اذا بعثه ولا مسيتكرهه اذا وجهه بل ينابو بين
 رجاله من اوية تريعههم ولا تمدهم وترفعهم ولا تؤدهم فان في ذلك من فائدة
 الاجسام والعدل في الاستخدام زينا فليسوق بين رجال التوب فيما عاد عليهم
 بمنزلة الظفر والنصر وبعد الصيت والذكر واحراز النفع والاجر ما يحق أن
 يكون الولاية به عاملين والناس عليه عاملين وان يكثر في اسمائهم وينبت
 في قلوبهم مواعيد الله تعالى ابن صيرورابط وسامح بالنفس من حيث لا يقدمون
 على اورط عزمه ولا يجمعون عن انتهائهم فرسه ولا ينكصون عن ثور دمعركه
 ولا يلقون بأيديهم الى التهلكة فقد أخذ الله ذلك على خلقه والمراميين
 على دينه وان يريح العملة فيما يحتاج اليه من راتب نفقات هذه الثغور
 وحادثها وشاء حصونها ودمعائها واسمطع ابق طرقها ومسالكها وافلضة
 الاقوات والعلوفة فيها للمترتين بها والمتردد بين اليها والخالين لها وان يبدل
 امانه لمن طلبه ويعرضه على من لم يطلبه وبقي بالعهد اذا عاهد وبالعقد اذا

غاقد غير مخففة رذمة ولا جرح أمانة فقد أمر الله تعالى بالوفاء فقال عز وجل
 يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ونهى عن النكث فقال عز من قائل فمن نكث
 فأنما ينكث على نفسه وأمره أن يعرض من في حبوس عمله على جرائمهم فمن كان
 إقراره واجبا أقره ومن كان اطلاقه سائغا أطلقه وأن ينظر في الشرطية
 والأحداث نظر عدل وانصاف ويختار أهلا من يثق بالله ويتقيه ولا يخابي ولا
 يراقب فيه ويتقدم اليهم بقمع الجهال وردع الغشال وتتبع الأشرار
 وطلب الزعار مستدلين على أما كنهم متوغلين إلى مكائهم متولين
 عليهم في مظانهم متوثقين ممن يجدونه منهم متقذين أحكام الله تعالى فيهم
 بحسب الذي تبين من أمرهم ويصح من فعلهم في كبرية ارتكبوها
 وعظيمة احتقروها ومهجة أن أغاظوها واستهلكوها وعزومة أن استباحوها
 وانتهكوها فمن استحق حدا من حدود الله المعلومه أقاموه عليه غير مخففين منه
 وأحلفوه به غير مقصرين عنه بعد أن لا يكون عليهم في الذي يأثرونه حجة ولا
 يعترضهم في وجوبه شبهة فان الواجب في الحدود أن تقام بالبيانات وأن تدرأ
 بالشبهات فأولى ما توخاه رعاة الرعايا فيها أن لا يقدموا عليهم مع نقصان ولا
 يتوقفوا عنهم مع قيام الدليل ومن وجب عليه القتل احتاط بما يحاط به على مثله
 من الحبس الحصين والتوثيق الشديد وكتب إلى أمير المؤمنين بخبره وشرح جنائته
 وثبوتها بإقرار يكون منه أو يشهد أنه تقع عليه ولينظر من جوابه ما يكون عمله
 بحسبه فان أمير المؤمنين لا يطلق سفك دم مسلم أو معاهد إلا ما أحاط به علما
 وأتقنه فهما وكان ما يرضيه فيه عن بصيرة لا يخالجه شك ولا يشوبهم ريب
 ومن ألم بصغيرة من الصغار وبسيرة من الجرائر من حيث لم يعرف له مثلاها
 ولم يتقدم له أخنها وعظم وزجره ونهاه وحذره واستتابه وأقاله ما لم يكن
 عليه خصم في ذلك يطالب بقصاص منه وجزائه فان عادتنا وله من التقويم
 والتهذيب والتعزير والتأديب بما يرى أن قد كفي فيما اجترم ووفي بما قدم
 فقد قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وأمره أن يعطل
 ما في أعماله من الحماقات والمواخير ويظهرها من القبائح والمناكير وينزع من
 يجمع أهل الخنا فيها ويؤلف شملهم بها فانه شمل يصلحه التشيت وجمع يحفظه
 التفريق وما زالت هذه المواطن الذميمة والمطارح الدنية داعية من يأوي

اليها ويعكف عليها الى ترك الصلوات واهمال المفترضات وركوب
 المنكرات واقتراف المحظورات وهي يوت الشيطان التي في عمارتها الله
 معصية وفي اخراجها للخير مجلبة والله تعالى يقول لنا معشر المؤمنين كنتم
 خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله
 ويقول عز من قائل اغيرنا من المذمومين فخلق من بعدهم خائف اضعوا الصلاة
 واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وأمره أن يولي الحماية في هذه الاعمال
 أهل الكفاية والعناية من الرجال وأن يضم اليهم كل من خف ركابه وأسرع
 عند الصريح مرتب اليهم في المسالحي وصادقهم في غير المسالك وأن يوصيهم بالتيقظ
 ويأخذهم بالتخفيف ويشرح علمهم في علوفة خيلهم والمقرر من أزوادهم
 وميرهم حتى لا تنقل لهم عن البلاد وطاعة ولا يدعوهم الى تحققةهم وثلمهم
 حاجه وأن يحوطوا السابلة بادئة وعائدة ويذوقوا القوافل صادرة وواردة
 ويحرسوا الطريق ليلا ونهارا ويتقصوها رواحا وغدوا وينصيبوا لاهل
 العيث الارصاد ويتكلموا اليهم بكل واد ويتفرقوا عليهم حيث يكون
 التفرق مضيقا لفضائهم وموذيلا الى انهضاضهم ويجمعوا حيث يكون
 الاجتماع مطقة لجزتهم وصادعا لرويتهم ولا يخلوا هذه السبل من حاة لها
 وسيارة فيها يترددون في جوادتها ويتسففون في عواديتها حتى تكون
 الدماء محقونة والاموال مصونة والفتن محسومة والغارات مأمونة ومن
 حصل في أيديهم من اص خاتل وصعلوك خارب ومخيف اسبيل ومنتهك لحريم
 امثلة في أمره أمير المؤمنين الموافق لقول الله عز وجل انما جزاء الذين
 يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع
 أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم
 في الآخرة عذاب عظيم وأمره بوضع الرصد على من يجتاز في أعماله من اباق
 العبيد والاحتياط عليهم وعلى ما يكون معهم والبحث عن الاماكن التي
 فارقوها والطرق التي استطرقوها ومواليهم الذين أنفوا منهم ونشروا عنهم
 وأن يردوهم عليهم قهرا ويعيدوهم اليهم صغرا وان ينشدوا الاضالة ما أمكن
 أن تنشد ويحفظوها على ربه بما جاز أن تحفظ ويتجنبوا الامتطاء اظهرها
 والانتهاج بأوبارها والبيان ما يجز ويحلب وأن يعرفوا اللقطة ويتبعوا أثرها

ويشيعوا خبرها فإذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها سلمت إليه ولم
 يعترض فيها عليه والله عز وجل يقول إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
 إلى أهلها ويقول رسوله صلى الله عليه وسلم ضالة المؤمن من حرق النار وأمره أن
 يوصى عمله بالشفقة على يد الحكام وتنفيذ ما يصدر عنهم من الأحكام وأن
 يحضروا مجالسهم حضور الموقرين لها الذابين عنها المقيمين لرسوم الهيبة
 وعدود الطاعة فيها ومن خرج عن ذلك من ذى عقل ضعيف وحلم ضعيف
 نالوه بما يردعه وأحلوا به ما ينزعه ومضى تقاعس متقاعس عن حضور مع
 خصم يستدعيه بأمر يوجب الحكم إليه أو التوى ملتوي بحق يحصل عليه
 ودين يستقر في ذمته فادوه إلى ذلك بأزمة الصغار وحرائم الاضطرار وأن
 يحبوا ويطلقوا بأقوالهم ويثبتوا الأيدي في الأملاك والفروج وينزعوا
 بقضاياهم فانهم آمناء الله في فصل ما يقضون وبث ما يدينون وعن كتابه وسنة
 نبيه صلى الله عليه وسلم يوردون ويصدرون وقد قال الله عز وجل يا داود انا
 جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
 عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
 الحساب وأن يتوخى بمثل هذه المعاملة أعمال الخراج في استيفاء حقوق
 ما استعملوا عليه واستنظاف بقاياهم فيه والرياسة لمن تسوء طاعته من
 معاملة هم واحضارهم طائعين أو كارهين بين أيديهم فن آداب الله
 تعالى للعباد الذي يحق عليه أن يتخذها ويحمله للرضا عنه سببا قوله تعالى
 وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان واتقوا الله إن الله
 شديد العقاب وأمره أن يجلس للرعية جالوسا عاما ويتظر في مظالمها نظرا
 تاما يساوى في الحق بين خاصها وعامتها ويوازي في المجالس بين عزيزها وذليلها
 وينصف المظلوم من ظالمه والمغصوب من غاصبه بعد الفحص والتأمل والبحث
 والتبيين حتى لا يحكم إلا بعدل ولا ينطق إلا بفصل ولا يثبت إلا فيما وجب
 تثبتا فيه ولا يقبضها إلا عما وجب قبضها عنه وأن يسهل الأذن لجماعتهم
 ويرفع الحجاب بينه وبينهم ويوليهم من حصانة الكنف ولين المنعطف والاشتمال
 والعناية والصون والرعاية ما تتعادل به أقسامهم وتتوازي منه أقساطهم ولا
 يصل الركين منهم إلى استئصامه ما تأخر عنه ولا ذو السلطان إلى هضمه من حل

دونه وأن يدعوهم إلى أحسن العادات والخلائق ويحضهم على أحسن
المذاهب والطرائق ويحمل عنهم كله ويمد عليهم ظله ولا يسومهم عسفا ولا يلحق
بهم حينا ولا يكلفهم شظا ولا يجثمهم مضاعا ولا ينلم لهم معيشة ولا يداخلهم
في جريمة ولا يأخذ برياب سقيم ولا حاضرهم بغيرهم فان الله عز وجل ينهى أن
تزرأ ذرة وزر أخرى ويرفع عن هذه الرعية ما عسى أن يكون سق عليها من سنة
ظالمة وسلك بها من شجة جائزة ويستقرى آثار الولاية قبله عليها فيمارجوه
من خيرا وشر اليها فيقر من ذلك ما طاب وحسن ويزيل ما خبت وقبح فان
من غرس الخير يحظى بعسول ثمره ومن زرع الشر يصلى بهم ورزيقه والله
تعالى يقول والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا
كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون وأمره بأن يصون مال الخراج وأنما
الغلات ووجوه الجبايات موقرا ويزيد ذلك مثرا بما يستعمله من الانصاف
لأهلها واجرائهم على صحيح الرسوم فيها فانه مال الله الذي به قوة عباده وحماية
بلادهم ودور رحلهم واتصال مدده وبه يحاط الحرم ويدفع العظيم ويحمى
الذمار ويزاد الاشرار وأن يجعل افتتاحه أياما بحسب ادراك الصنافة وعند
حضور موافقته وأحيانه غير متساقف شأ قبلها ولا مؤخرها عنها وأن يخص
أهل الطاعة والسلامة بالترقية لهم وأهل الاستعصاب والامتناع بالتشديد
عليهم ان لا يقع ارهاق لمذعن أو اهما لاطامع وعلى المتولى لذلك أن يضع كلال
من الامرين موضعه ويوقعه موقعه متجنبيا لحلال الغلظة من لا يستحقها
واعطاء الفسحة من ليس أهلها والله تعالى يقول وأن ليس للانسان الا ما سعى
وأن سعيه سوف يرى ثم يجزأ الجزاء الاوفى وأمره أن يتخير عمله على الخراج
والاعشار والضمايع والجبهنة والصدقات والجوالى من أهل الطائف
والنراة والضبط والاصيانة والجزالة والشهامة وأن يستظهر مع ذلك
عليهم بوصية تعيها اسماعهم وعهود يقدوها أعناقهم بأن لا يضجعوا
حقا ولا يأكلوا منحتا ولا يستعملوا ظلما ولا يقرؤا غشما وأن يقيموا
العمارات ويحسبوا ويحترزوا من القواء حق لازم أو تعطيل رسم عادل مؤدب
في جميع ذلك الامانة مجتنبين للخيانة وأن يأخذوا جهابذتهم بما يستيفاء وزن
المال على تمامه واستجدادة نقده على عيانه واستعمال الصحة في قبض

ما يقبضون واطلاق ما يطلاقون وأن يوغروا إلى سعة الصدقات في أخذ
 الفرائض من سائمة مواشي المسلمين دون عاملتها وكذلك الواجب فيها وأن
 لا يجتمعوا فيها متفرقا ولا يفرقوا مجتمعا ولا يدخلوا فيها خارجا عنها ولا
 يضيفوا إليها ما ليس منها من فحل ابل وأكولة راع أو عقيلة مال فإذا اجتنبوها
 على حقها واستوفوها على رسمها أخرجوها في سبيلها وقسموها على أهلها
 الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه العزيز إلا المؤلفة قلوبهم الذين ذكرهم الله عز
 وجل في كتابه الكريم وسقط سهمهم فإن الله تعالى يقول انما الصدقات
 للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي
 سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم وإلى جباة أهل الذمة أن
 يأخذوا منهم الجزية في المحرم من كل سنة بحسب منازلهم في الاحوال وذات
 أيديهم في الاموال وعلى الطبقات المطبقة فيها والحدود والمعهودات لها
 وأن لا يأخذوها من النساء ولا ممن لم يبلغ الحلم من الرجال ولا من ذى سن عالية
 ولا ذى علة بادية ولا فقير معدم ولا مترهب مبتلى وأن يراعى جماعة هؤلاء
 العمال مراعاة يسرها ويظهرها ويلاحظهم ملاحظة يخفيها ويبيدها لئلا
 يزولوا عن الحق الواجب أو يعدلوا عن السنن اللاحب فقد قال الله تعالى
 وأوفوا بالعهد إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وأمره بأن يندب لعرض الرجال
 واعطائهم وحفظ جرائبهم وأوقات اطعامهم من يعرفه بالثقة في متصرفه
 والامانة فيما يجري على يده والبعيد عن الاسفاف إلى الدنية والاتباع للدناءة
 وأن يبعثه على ضبط الرجال وشيأت الخيل وتجديد العرض بعد الاستحقاق
 وإيقاع الاحتياط في الانفاق فمن صرع عرضه ولم يبق في نفسه شيء منهم من
 شك بمرض له أو ربيبة يوهمها أطلق أموالهم موفورة وحصلها في أيديهم غير
 منجومة وأن يرد على بيت المال أرزاق من سقط بالوفاة والاخلال ناسبا ذلك
 إلى جهته موداه على حقيقته وأن يطالب الرجال باحضار الخيل المختارة
 والآلات المستكملة على ما توجبها مبالغ أرزاقهم وحسب منازلهم ومراتبهم
 فان أخرأ أحدهم شيئا من ذلك قاصصه به من رزقه وأغرمه مثل قيمته فان
 المقصر فيه خائن لا مبر المؤمنين ومخالف لرب العالمين اذ يقول سبحانه وأعدوا
 لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وأمره أن

يعتمد في أسواق الرقيق ودور الضرب والطرز والحسبة على من تجتمع فيه آلات
هذه الولايات من ثقة ودراية وعلم وكفاية ومعرفة ورواية وتجربة وحسنة
وحصانة ومسكة فانها أحوال تضارع الحكم وتناسبه وتدانيه وتقاربه وأن
يتقدم الى ولاية أسواق الرقيق بالحفظ فيمن يطلقون بيعة ويمضون أمره
والصحر من وقوع تحقق فيه أو إهمال له إذ كان ذلك عائداً بمصين الفروج
ونظهير الانساب وأن يبعدوا عنه أهل الريسة ويقربوا أهل العفة ولا
يعضوا بيعاً على شبهة ولا عقداً على تهمة والى ولاية العيار يتخلص عين الدرهم
والدينار ليكونا مضروبين على البراءة من الغش والنزاهة من المش وبجسب
الامام المقدر بمدينة السلام وحراسة السكك من أن تتداولها الأيدي المزغلة
وتتقاذها الجهات المنمقة واثبات اسم أمير المؤمنين على ما يضرب ذهباً وفضة
وأجراء ذلك على الرسم والسنة والى ولاية الطرز أن يجبروا الاستعمال في جميع
المناسج على أتم النيقة وأسلم الطريقة وأحكم الصنعة وأفضل الصحة وأن
يكتبوا اسم أمير المؤمنين على طرز الكسا والقرش والاعلام والبنود والى
ولاية الحسبة يتصفح أحوال العوام في عرفهم ومتاجرهم ومجتمع أسواقهم
ومعاملاتهم وأن يعايروا الموازين والمكاييل ويفرّضوها على التعديل
والتكميل ومن اطلعوا منه على حيلة أو تلبس أو غيلة أو تدليس أو
بخس ما يوفيه واستفصال فيما يستوفيه نالوا بغليظ العقوبة وعظمها وخصوه
بوجبه وألمها واقفين في ذلك عند الحد الذي يرويه لذبّه مجازياً وفي تأديبه
كافياً فقد قال الله تعالى ويل للمطففين الذين إذا كالأوا على الناس يستوفون
وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحبته عليك
وقد وثقتك على سواء السبيل وأرشدك الى واضح الدليل وأوسعك تعليماً
وتحكيماً وأقنعك تعليماً وتفهماً ولم يالك جهداً فيما عصمت وعصم على يدك
ولم يدخلك ممكناً فيما أصلم بك وأصلحك ولا ترك لك عذراً في غلط تغلطه ولا طريقاً
الى تورط تورطه بالقاتك في الأوامر والزواجر الى حيث يلزم الأئمة أن يتدبوا
الناس اليه ويخبروهم عليه مقيماً لك على منجيات المسالك صار قالك عن
مرديات المهالك مردياً فيك ما يسلك في دينك ودنياك ويعود بالخط عليك في
آخرتك وأولك فان اعتدلت وعيدت فقد فزت وغنمت وان تخلفت

وأعوججت فقد فسدت وندمت والأولى بك عند أمير المؤمنين من مغرسك
الزأكي ومنبتك النامي وعودك الانحجب وعنصرك الاطيب أن تكون
لظنه محققا ولخيلته فيك مصدقا وأن تستزيد بالاثرا الجليل قربا وثوابا يوم الدين
وزاني عند أمير المؤمنين وثنا حسنا من المسلمين فخذ ما بذالك أمير المؤمنين
من معاذيره وأمسك بيدك على ما أعطى من موافيقه واجعل عهدك مثالا
تحتذيه وامامات تقتضيه واستعن بالله يعينك واستهد بهدك وأخلص اليه في
طاعته بخلص لك الحظ في معونتك ومهما أشكل عليك من خطب أو أعضل
عليك من صعب أو بهر لك من باهر أو بهر ظك من باهظ فاكذب الى أمير المؤمنين
منها وكن الى ما يرد عليك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
(وأما التقليد) الذي أنشأته أنا فهو هذا أما بعد فان أمير المؤمنين يبدأ بحمد
الله الذي يكون لكل خطبة قيادا ولكل أمر مهادا ويستزيد من نعمه التي
جعلت التقوى له زادا وجماله عبء الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يأل فيه
اجتهادا وصغرت لديه أمور الدنيا فاستورت له محرابا ولا عرضت عليه جهادا
وحققت فيه قول الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عاوا
في الارض ولا فسادا ثم صلى على من أنزات الملائكة لنصره امدادا وأسرى
به الى السما حتى ارتقى سبع عا شادا وتجيلى له ربه فلم يزغ منه بصرا ولا أكذب
قوادا ثم من بعده على أسرته الطاهرة التي زكت أوراقا وأعوادا وورثت النور
المتين تلامدا ووصفت بأنها أحد الثقلين هداية وارشادا وخصوصا عنه العباس
المدعوله بأن يحفظ نفسه وأولادا وأن تبقى كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تتخاف
دركا ولا تخشى نفادا واذا استوفى القلم مداده من هذه الجملة وأسند القول
فيها عن فصاحته المرسلة فانه يأخذ في انشاء هذا التقليد الذي جعله حليفنا
أقرطاسه واستدام بحجوده على صفحته حتى لم يكديره من راسه وليس
ذلك الا لافاضته في وصف المناقب التي كثرت لحسن اهام مقام الاكثار
واشتهبه التطويل فيها بالاختصار وهي التي لا يفتقر واهفها الى القول المعاد
ولا يستوعر سألوك أطوادها ومن العجب وجود السهل في سألوك الأطواد
وتلك مناقبك أيها الملك الناصر الاجل السيد الكبير العالم العادل المجاهد
المربط صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب والديوان العزيز يتلوها عليك

تحت ثابث كرك و يباهى بك أولياءه تنويها بذكرك ويقول أنت الذى تستمكن
فتكون للدولة سهمها الصائب وشهابها الناقب وكثرها الذى تذهب الكنوز
وليس يذهب وماضرها وقد حضرت فى نصرتها اذا كان غيرك هو الغائب
فاشكرا اذا مساعبك التى أهلتك لما أهلتك وفضلتك على الاولياء بما فضلتك
ولئن شورك فى الولاية بعقيدة الاضمار فلم تشارك فى عزمك الذى انتصر للدولة
فكان له بسطة الانتصار وفرق بين من أمد بقلبه وبين من أمد يده فى درجات
الامداد وما جعل الله المقاعد من كالذين قالوا لو أمرنا بالضر بنا أتكادها الى
برك الغماد وقد كفالك من المسامحة أنك كفيت الخلافة أحرم منازعها وطمست
على الدعوة الكاذبة التى كانت تدعيها ولقد مضى عليها زمن ومحراب حقه
محضوف من الباطل بحرايين ورأت ما زآ رسول الله صلى الله عليه وسلم من
السوارين الذين أولهما كذايين فبصر منهم ما واحد تام عجزى أنهم بارها من
تحتهم ودعا الناس الى عبادة طاغوته وجبته ولعب بالدين حتى لم يدري يوم جمعه
من يوم أحده ولا يوم سبته وأعجانه على ذلك قوم رعى الله بصائرهم بالعمى
والصمم واتخذوه صغائيرهم ولم تكن الضلالة هناك الا يجعل أوصم فقامت أنت
فى وجه باطله حتى قعدت وجعلت فى جبهته حبل من مسد وقلت ليدمدت
فأصبح وهو لا يسمي بقدم ولا يبطش بيد وكذلك فعلت بالآخر الذى نجحت
بالين ناجته وسامت فيه سائمته فوضع بنية موضع الكعبة اليمانية وقال
هذاذوالخليفة الثانية فإى مقامين يعترف الاسلام بسبقه أم أيها يقوم
بأداء حقه وههنا فليصم القلم للسيف من الحساد وليقصر مكانته عن مكانته
وقد كان له من الانداد ولم يحظ به هذه المزية الا لانه أصبح لك صاحباً ونفرك
حتى طال فخر اعماع زجانيا وقضى بولايتك فكان بها قاضيا لما كان حجة
قاضيا وقد قللك أمير المؤمنين البلاد المصرية واليمانية غورا وشجدا وما اشملت
عليه رعية وجندا وما انتهت اليه أطرافها برا وبحرا وما يستنقذ من
بجاورها مسالمة وقهرا وأضاف اليها بلاد الشام وما تحتوى عليه من المدن
الممدنة والمراكز المحصنة مستنميا منها ما هو بيد نور الدين اسمعيل بن نور الدين
محمود رحمه الله وهو حبيب وأعمالها فقدمضى أبوه عن آثار فى الاسلام ترفع
ذكره فى الذاكرين وتخلقه فى عقبه فى الغابرين وولد هذا قد هذبتة الفطارة

في القول والعمل وليست هذه الربوة الا من ذلك الجبل فليكن له منك جاريد نو
 منه واداكما دنا أرضا ويصبح وهو له كالبنيان يشد بعضه ببعضا والذي قد مناه
 من الثناء عليك ربما تجاوز بك درجة الاقتصار والفتك عن فضيلة الازدياد
 فايالك أن تنظر سريعك بالاجحاب وتقول هذه بلادنا فتمتها بعد أن أضرب عنها
 كثير من الاضراب ولكن اعلم أن الارض لله ورسوله ثم خلقتهم من بعده
 ولا منة للعبد باسلامه بل المنة لله به بداية عبده وكم سلف من قبلك من لورام
 طارمت له دناسا معه وأجاب مانعه لكن ذخره الله لك لتعطي في الآخرة عفازه
 وفي الدنيا بركة طرازه فألق يدك عنده هذا القول القاء التسليم وقل لا علم لنا
 الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم وقد قرن تعالى ذلك هذا بجملة تكون لك
 في الاسم شعارا وفي الوسم فخارا وتناسب محل قلبك وبصرك وخير ما لبس
 الاوليا ما تناسب قلوبا وأبصارا ومن جعلها طوق يوضع في عنقك موضع العهد
 والميثاق ويشير اليك بأن الانعام قد أطاف بك اطافة الاطواق بالاعناق ثم
 انك خطبت بالملك وذلك خطاب يقتضي صدورك بالانشراف ولا ملك بالانفساح
 وتؤمر معه بتدليك الى العليا لا بضمها الى الجناح وهذه الثلاثة المشار اليها
 هي التي تكمل بها أقسام السيادة وهي التي لا مزيد عليها في الاحسان
 فيقال انها الحسنى وزيادة فاذا صارت اليك فانصب لها يوما يكون في الايام
 كريم الانساب واجعل لها عيدا وقل هذا عيد الخلعة والتقليد والخطاب هذا
 ولك عند أمير المؤمنين مكانة تجعلك لديه حاضرا وأنت فاعن الحضور وتضيق
 أن تكون مشتركة بينك وبين غيرك والضنة من شيم الغيور وهذه المكانة
 قد عرفت لك نفسها وما كنت تعرفها وما نقول الا انهم لك صاحبة وأنت يوسفها
 فاحرسها عليك حراسة تقضي بتقديدها واعمل لها فان الاعمال بخواتمها
 واعلم أنك قد تلتك أمر اتعين به نفي الخلوم ولا ينقل صاحبها عن عهدة
 الخلوم وكثيرا ما يرى حسنة يوم القيامة وهي مقتسمة بأيدي المصوم ولا ينجو
 من ذلك الا من أخذ أهبة الخذار وأشفق من شهادة الاسماع والابصار وعلم
 أن الولاية ميزان احدي كفتيه في الجنة والاخرى في النار قال النبي صلى
 الله عليه وسلم يا أيذا راني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين
 مال يتيم فانظر الى هذا القول النبوي فانظر من لم يخدع بجديد الحرص والآمال

ومثل الدنيا وقد سبقت اليك بهذا قبرها أليس مصيرها الى زوال والسعيد
 اذا جاءته قضى بها أرب الارواح لا أرب الجسوم واتخذ منها وهي السم دواء
 وقد اتخذ الادوية من السموم وما لا غلبا عليها يختلف على تلاشيها المساء والصبح
 وهو كماء أنزلناه من السماء فاختلفت به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه
 الرياح والله يعصم أمير المؤمنين وولادة أمره من ثباتها التي لا يستهم ولا يسوها
 وأحصاها الله عليهم ونسوها ولك أنت من هذا الدعاء حظ على قدر محلك
 من العناية التي جذبت بضبعك ومحلك من الولاية التي بسطت من درعك فخذ
 هذا الامر الذي تقلدته أخذ من لم يتعقبه بالنسيان وكن في رعايته ممن اذا نامت
 عيناه كان قلبه يقظان وملا ذلك كله في اسبغ العدل الذي جعله الله ثالث
 الحديث والكتاب وأغنى بشوايه وحده عن أعمال النواب وقد روي ما منه
 بهتادة ستين عاما في الحساب ولم يأمر به أمر الا زيدة قوة في أمره وتحصن به من
 عدوه ومن دهره ثم يجاء به يوم القيامة وفي يديه كتابا أمان ويجلس على منبر
 من نور عن يمين الرحمن ومع هذا فان مركبه صعب لا يستوي على ظهره الا من
 أمسك عنان نفسه قبل امساك عنانته وغلبت عليه ملكه على لمة شيطانه ومن
 أوكد فروضه أن يحصى السنين السبعة التي طالت مدد أيامها ويئس الرعايا من
 رفع ظلاماتها فلم يجعلوا أمدا لا تضار ظلامها وتلك السنين هي المكوس التي
 أنشأتها لهم الفقيرة ولا غنى للأيدي الغنية اذا كانت ذات نفوس فقيرة وكلما
 زادت الاموال الحاصلة منها قدر ازادها الله محقا وقد استمرت عليها العوائد
 حتى ألحقها الظالمون بالحقوق الواجبة فسموها حقا ولولا أن صاحبها أعظم
 الناس جرمالما أعاقب في عقابه ومثلت نوبة المرأة الغامدية بعقابه وهى أشقى
 من يكون السواد الأعظم له خضعا ويصبح وهو مطالب بهم بما يعلم ويعلم يحط به
 علما وأنت مأمور بأن تأتى هذه الظلمات فتجنى على ابطالها وتلحق اسماءها في
 المحو بأفعالها حتى لا يبقى لها في العيان صور من منظور ولا في الالسننة أحاديث
 مذكورة فاذا فعلت ذلك كنت قد أزلت عن الماضي سنة سوسنتها يداه وعن
 الآتى متابعة ظلم وجدته نهجا مسلوكا جفرت على مدام فتبادر الى ما أمرت به
 من مبادرة من لم يضق به ذرعا ونظر الى الحياة الدنيا بعينه فرآها في الاخرة متاعا
 واحد الله تعالى على أن قبض للإمام هدى ينفك بك على هذاك ويأخذ بحجزتك

عن خطوات الشيطان الذي هو أعدى عدائك وهذه البلاد المنوطة بطرفك
تشتغل على أطراف متباعدة وتفتقر في سياستها إلى أيدي مساعدة ولهذا
يكثرت بقضاة الأحكام وأولو تدبيرات السيوف والاقلام وكل من هؤلاء
ينبغي أن يقف على باب الاختيار ويسلط عليه شاهد عدل من أمانة الدوام
والدينار فما أضل الناس شيء تكب المال الذي فورقت من أجله الأديان
وهجرت بسببه الأولاد والأخوان وكثيرا ما نرى الرجل الصائم القائم وهو عابد
له عبادة الأوثان فإذا استعنت بأحد منهم على شيء من أمره فاضرب عليه
بالأرصاء ولا ترض بما عرفت من مبدإ حاله فإن الأحوال تنتقل منتقلة
الأجساد وإياك أن تخدع به لاج الطاهر كما خدع عرب الخطاب رضى الله عنه
بالريح بن زياد وكذلك أوامر هؤلاء على اختلاف طبقاتهم بأن يأمر وإيا المعروف
مواظبين ونهوا عن المنكر محاسنين ويعلموا أن ذلك من دأب حزب الله الذين
جعلهم الله الغالبين وأسبغوا أوليائهم في عدلواهم عن هواها وبأسروها
بما يأمرون به سواها ولا يكونوا ممن هدى إلى طريق البر وهو عنه حائد وانتصب
أطاب المرضى وهو محتاج إلى طبيب وعائد فأنزل بركات السماء الأعلى من خاف
مقام ربه وألزم التقوى أعمال يده وإيمانه وقلبه وإذا صلت الولاية صلت
الرعية بصلاحهم وهم لهم بمنزلة المصاييح ولا يستضيء كل قوم إلا بصباحهم وعباد
يؤمنون به أن يكونوا المثل تحت أيديهم ثم أخوانا في الاصطحاب وجيرانا
في الاقتراب وأعوانا في توزع الحمل الذي ينقل على الرقاب فالسلم أخو السلم
وان كان عليه أميرا وأولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كثيرا
وابت الولاية لمن يستجيبها كثرة اللقيف ويتولاها بالوطء العنيف وليكنها
من يمال على جوانبه ويؤكل من أطايبه ولما إذا غضب لم ير للغضب عنده
أثر وإذا ألحف في سؤاله لم يبق إلا الحاف بخلق الخضر وإذا حضر الخصوم بين يديه
عدل بينهم في قسمة القول والنظر فذلك الذي يكون في أصحاب العبيد
والذي يدهى بالحفيظ العليم والقوى الأمين ومن سعادة المرء أن تكون
ولاه متأديين بأذاه وجارين على تهيج صوابه وإذا نظرت الكتب يوم
القيامة كانوا أحسن من مثبته في كتابه وبعد هذه الوصية فإن هذا حسنته هي
الحسنات كالآم الولود ولطالما أغنت عن صاحبها الغنا الجنود وتيقظت

لنصره والعيون رقود وهي التي تسبغ لها الآلاء ولا يقضاها البلاء
ولا أمير المؤمنين بها عناية تبعم الرحمة الموضوعة في قلبه والرغبة في المغفرة
لما تقدم وتأخر من ذنبه وتلك هي الصدقة التي فضل الله بها بعض عباده لازية
افضلها وجهها سبيلها الى الله ويض عنها بعض أمثالها وهو يأمر لك أن
تتفقد أحوال الفقراء الذين قدرت عليهم ما ذلة الارزاق وألبسهم التعفف
ثوب الغنى وهم في ضيق من الاملاق فأولئك أولياء الله الذين يستهم الضراء
فصبروا وكثرت الدنيا في يد غيرهم فأنظروا اليها أنظروا ويطلبني أن يهيئ لهم
من أمرهم صرفا ويضرب بينهم وبين المقرمو بقا وما أظن لك القول
في هذه الوصية الا اعلاما بأنهم من المهتم الذي يستقبل ولا يستدبر ويستكثر
منه ولا يستكثر وهذا بعد من جهاد النفس في بذل المال وتلو جهاد العدو
الكافر في واقف القتال وأمير المؤمنين يعرفك من نوابه ما يجعل السيف
في ملازمته أظنا وتضوله بنقسه ان كان أحد بنفسه هنا ومن صفاته أنه
العمل المحبوب بفضل الكرامة الذي يفي أجره بعد صاحبه الى يوم القيامة
وبه تمس طاعة الخلق على الخلق وكل الاعمال عاطلة لا خلق لها وهو
الخص من دنس البرية الخلق ولولا فضلها كان محسوبا بشر الايمان ولما
جعل الله الجنة له غنا وابست لغيره من الاثمان وقد علمت أن العدو وهو جارك
الأدنى والذي يملكك وتباعه عينه وأذنا ولا تكون للاسلام نعم الجار حتى
تكون له ينس الجار ولا عذر لك في ترك جهاده بنفسك ومالك اذا قامت لغربك
الاعداد وأمير المؤمنين لا يرضى منك بأن تلقاه مكافا أو تطرق أرضه محتاسبا
أو صاحبها بل يريد أن تقصد البلاء الذي في يده قصد المنة فلا قصدا للغير
وأن تصكم فيها بحكمكم الله الذي قضاه على ان سعد في بني قريظة والنضير
وعلى الخصوص البيت المقدس فانه فلا الاسلام القديم وأخو البيت الحرام
في شرف التعظيم والذي توجهت اليه الوجود من قبل بالسجود والتسليم
وقد أصبح وهو يشكو طول المدة في أمر رقبته وأصبحت كلمة التوحيد وهي
تشكو طول الوحشة في غربة ما غشيه وغر بته فانهمض اليه نهضة توغل
في قرحه وتبذل صعب قيادته يجمعه وان كان له عام حديثة فانه بعد عام
نفسه وهذه الاستزادة انما تكون بعد سداد ما في اليد من فقر كان معه خلا

فحمت موارد أوصتم ما فرفت قواعد ومن أهمها ما كان حاضر البصر
 فانه عورة مكشوفة وخطئة مخوفة والعدو قريب منه على بعده وكثيرا ما يأتيه
 فجأة حتى يسبق برقه برعه فينبغي أن يربط بهذه الثغور رابطة تكثر شجاعتهما
 وتقل أفرانها ويكون قناله لا تنكون كلمة الله هي العليا إلا لأن يرى مكانها
 وحينئذ يصح كل منها له من الرجال أسوار ويدلم أهله أن يشاء السيف أمتنع من
 بناء الاحجار ومع هذا لا بد لها من اصطول يسكن عدده ويقوى مدده فانه
 العدة التي تستعين بها على كشف العمام والاستكثار من سبايا العبيد والاماء
 وجيشه أخو الجيش السليماني فذلك ليس برعلى متن الرياح وهذا على متن الماء
 ومن صفات خياله أنها اجتمعت بين العوم والمطار وتساوت أقدار خاقها على
 اختلاف مدة الاحجار فاذا أشرعت قبل جبال متلفعة يقطع من الغيوم
 وإذا انظر الى أشكالها قبل أنها أحلة غير أنها تدي في مسيرها بالبحوم ومثل
 هذه الخيل ينبغي أن يغالي في جيادها ويستكثر من قيادها وليؤمر عليها أمير
 يأتي البحر مثله من سعة صدره ويسلك طرقه سالوك من لم تقاله بجهلها ولو كان
 قناله بخبره وكذلك فليكن عن أفنت الايام تجاربه وزحمتها من كبره وعن
 يذل الصوب اذا هو ساسه وان لان جانبه وهذا هو الرجل يرأس على القوم
 فلا يجدهم بالرياسة وان كان في الساقفة في الساقفة أو كان في الحراسة في
 الحراسة ولقد أفلتت عصابة اعتصبت من ورائه وأيقنت بالنصر من رايته
 كما أيقنت بالصر من رايه واعلم أنه قد أدخل من الجهاد بركن يقدح في عمله
 وهو مقامه الذي يأتي في آخره كما أن صدق النبوة تأتي في قوله وذلك هو قسم
 الفنائم فان الايدي قد تداولته بالاجحاف وخاطت جهادها فيه بغلقها فلم
 ترجع بالكداف والله قد جعل الظلم في تعدي حدوده المحدودة وجعل
 الاستئثار بالمغنم من أشرط الساعة الموعودة ونحن نعوذ به أن يكون زماننا
 هذا زمانه وباسه شر باس ولم يستخفنا على حفظ أركان دينه ثم نملة اهل مال
 مضيع ولا اهل مال فاس والذي تأمر له أن تجرى هذا الامر على المنصوص
 من حكمه وتبرئ ذمتك مما يكون غيرك القاتل فوائده وأنت المطالب بأشبهه
 وفي أرزاق الجاهدين بالديار المصرية والشامية ما يغنيهم عن هذه الأكلة التي
 تكون غدا أنكالا ويحجما وطعاما ذا غصة وعذايا اليها فتصفح ما سطرنا لك

وهذه الاساطير التي هي عزائم مبرمات بل آيات محكمات وتوجب الى الله والى
 أمير المؤمنين باقية كلياتها وابن لان منها مجداني في عقبك اذا أصيبت البيوت
 في أعقابها وهذا التعليل يدني طاق عليك بأنهم لم يأل في الوصايا التي أوصاها وأنه
 لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ثم انه قد ختم بدعوات دعائم أمير
 المؤمنين عند ختامه وسأل فيها خيرة الله التي تنزل من كل أمر بمنزلة نظامه
 ثم قال اللهم اني أشهدك على من قلده شهادة تكون عليه رقية وله حسية فاني
 لم آمره إلا بأوامر الحق التي فيها موعظة وذكرى وهي لمن تبعها هدى ورحمة
 وبشرى واذا أخذها بلج بحجته يوم يسأل عن الحجج ولم يحتج بدون رسول
 الله صلى الله عليه وسلم على الخوض في جملته من يحتج وقيل لا يخرج عليك ولا
 انما اذنجوت من ورطات الاثم والخرج والسلام (وهذا الذي ذكرته) من كلامي
 وكلام الصابي في هذه المقالة الاربعة لم أقصده الوضع من الرجل وانما ذكرت
 ما ذكرته لبيان موضع المجمع الذي يثبت على المحكم ولا شك أن هذا الوصف
 المشار اليه في فقر الاسجاع لم يكن مقصودا في الزمن القديم اتمالك كان عصره
 أولانه لم يقتضه له وكيف أضع من الصابي وعلم الكتابة قد رفته وهو امام هذا الفن
 والواحد فيه واقعا اعتبرت كتاباته فوجدته قد أجاد في الاساطينيات كل
 الاجادة وأحسن كل الاحسان ولولم يكن له سوى كتابه الذي كتبه عن عزالدولة
 بختيار بن بويه الى سبب مكنه عند خروجه عليه وبجها رته اياه بالانصاف
 لا يستحق به فضيلة التقدم كيف وله من السلطانيات ما أتى فيه بكل عجوبة لكنه
 في الاخوانيات مقصير وكذلك في كتب التعازي (وعندي فيه رأي) لم يره
 أحد غيري ولي فيه قول لم يقله أحد سوى وذال ان عقل الرجل في كتابته زائد
 على فصاحته وبلاغته وسأين ذلك فأقول لينظر الناظر في هذين التقليدين
 اللذين أوردتهما له فانه يرى وصايا وشروط واستدراكات وأوامر ما بين أصل
 وفروع وكل وجزء وقليل وكثير ولا ترى ذلك في كلام غيره من الكتاب الا أنه غير
 عن تلك الوصايا والاوامر والشروط والاستدراكات بعجالة في بعضها ما فيه
 من الضعف والركه وقد قيل ان زيادة العلم على المنطق هيمنة وزيادة المنطق على
 العلم خدعة ومع هذا فاني أقول للرجل بالتقدم وأنهم له بالفضل (واذا فرغت)
 مما أردت فحقه في هذا الموضع فاني أرجع الى ما كنت بصدده ذكره من الكلام

على السبع وقد تقدم من ذلك ما تقدم وبقي ما أفاد كرههنا وهو أن السبع
 قد ينقسم إلى ثلاثة أقسام (الاول) أن يكون الفصول متساوية لا يزيد
 أحدهما على الآخر كقوله تعالى فأما إليهم فلا تنهر وأما السائل فلا تنهر
 وقوله تعالى والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالغيرات ضبحا فأثرن به نفعها
 فوسطن به جمعا ألا ترى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الأجزاء حتى كأنها
 أفرغت في قالب واحد وأمثال ذلك في القرآن الكريم كثيرة وهو أشرف
 السبع منزلة للاعتدال الذي فيه (القسم الثاني) أن يكون الفصل الثاني
 أطول من الأول لا طولا يخرج به عن الاعتدال خروجا كثريرا فإنه يقع عند
 ذلك ويستكره ويعتد عيبا فما جاء من ذلك قوله تعالى بل كذبوا بالساعة
 وأعتدنا لمن ~~كذب~~ بالساعة سعيرا إذا رأيتم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا
 وزفيرا وإذا أقروا منها كاناضة قائمة مرتين دعوا هناك ثبوراً ألا ترى أن
 الفصل الأول ثمان ألفاظ والفصل الثاني والثالث تسع تسع (ومن ذلك) قوله
 تعالى في سورة مريم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إذا تكاد السموات
 ينقطن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال عنها وأمثال هذا في القرآن كثيرة
 ويستثنى من هذا القسم ما كان من السبع على ثلاث فقرات الفقرتين الأولى
 بحسب بيان في عدة واحدة ثم باقي الثلاثة فينبغي أن تكون طويلة لا يزيد
 عليه عما إذا كانت الأولى والثانية أربع لفظات أربع لفظات ~~تكون~~
 الثلاثة عشر لفظات أو إحدى عشر مثال ذلك ما ذكرته في وصف صدق
 فقلت الصدقي من لم يعتض عنك بخالف ولم يعاملك معاملة خالف وإذا بلغته
 أذنه وشاية أقام عليها أحد سارق أو قاذف فالأولى والثانية ههنا أربع لفظات
 أربع لفظات لأن الأولى لم يعتض عنك بخالف والثانية لم يعاملك معاملة خالف
 وجاءت الثلاثة عشر لفظات ~~وهي~~ كذا ينبغي أن يستعمل ما كان من هذا
 القبيل وإن زادت الأولى والثانية عن هذه العدة فتراد الائمة بالحساب وكذلك
 إذا نقصت الأولى والثانية عن هذه العدة فافهم ذلك وقس عليه ألا أنه لا ينبغي
 أن يجعله قياسا عطر داني السبعات الثلاث أين وقعت من الكلام بل تعلم
 أن الجواز بينهما الجانبين من التساوي في السبعات الثلاث ومن زيادة السبعة
 الثالثة ألا ترى أنه قد ورد ثلاث سبعات متساويات في القرآن الكريم كقوله

تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطح منضود وظل
 محدود فهذه السبعات كلها من افظتين افظتين ولوجه الثالث منها
 خمس لفظات أو ستا لما كان ذلك معها (القسم الثالث) أن يكون الفصل
 الآخر أقصر من الأول وهو عندى سبب قاض وسبب ذلك أن السبع يكون
 قد استمر في أمده من الفصل الأول بحكم طوله ثم يجي الفصل الثاني قصيرا
 من الأول فيكون كاشي المتور في في الإنسان عند سماعه كن يريد الاتهام
 الرغبة فيه ثم دونها (وإذا انتهى هذا إلى هنا) وبيننا أقسام السبع وابع وقشوره
 فستقول فيه قول كليا وهو أن السبع على اختلاف أقسامه ضربان
 (أحدهما) يسمى السبع القصير وهو أن تكون كل واحدة من السبعتين
 مؤلفة من ألفاظ قليلة وكلما قلت اللفاظ كان أحسن اقرب الفواصل
 المسبوقة من سمع السامع وهذا الضرب أوعر السبع مذهبيا وأبعد
 متناولا ولا يكاد يستعمله يقع الانادرا (والضرب الآخر) يسمى السبع
 الطويل وهو ضربة الأقل لأنه أسهل متناولا وانما كان القصير من السبع أوعر
 مسلكا من الطويل لأن المعنى إذا صيغ بألفاظ قصيرة عزموا تامة السبع فيه
 أقصر تلك اللفاظ وضيق المجال في استعماله وأما الطويل فإن اللفاظ تطول
 فيه ويستجلب له السبع من حيث وليس كما يقال وكان ذلك سهلا وكل واحد
 من هذين الضربين تماوت درجانه في عدة ألفاظ (أما السبع القصير) فأحسنه
 ما كان مؤلفا من افظتين افظتين كتولة تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات
 عصفا وقوله تعالى يا أيها المذثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز
 فاهجر ومنبه ما يكون مؤلفا من ثلاثة ألفاظ وأربعة وخمسة وكذلك إلى
 العشرة وما زاد على ذلك فهو من السبع الطويل فما جاء منه قوله تعالى والهم
 إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى وقوله تعالى
 اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا
 واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر (وأما السبع الطويل) فإن درجانه
 تتفاوت أيضا في الطول فمنه ما يقرب من السبع القصير وهو أن يكون تأليفه
 من إحدى عشرة إلى اثني عشرة لفظة وأكثره خمس عشرة لفظة كقوله تعالى
 ولئن أذقنا الإنسان منارحة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفورا ولئن أذقنا نزعما

بعد ضراء مئة له قولن ذهب السبثات عن انه لفرح نخور قالوا لى احبى
 عشرة لفظة والثانية ثلاث عشرة لفظة وكذلك قوله تعالى لقد جاءكم رسول من
 انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان قولوا فقل
 حسي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (ومن الصحيح
 الطويل) ما يكون تأليفه من العشرين انظمة فما حوالها كقوله تعالى اذ يريكهم
 الله في منامك قليلا ولو اراهم كثيرا لفسدتهم واتسارعتهم في الامر ولكن الله عالم
 انه علم بذات الصدور واذ يريكهم وهم اذا التقيتم في اعينكم قليلا وبقية الكلام
 في اعينهم ليقضى الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور ومن الصحيح
 الطويل ايضا ما يزيد على هذه العدة المذكورة وهو غير مضبوط (والعلم)
 أن التصريح في الشعر بمنزلة الصحيح في الفصحين من الكلام المنشور وفائدته في
 الشعر انه قبل كمال البيت الاول من القصيدة تعلم قافيتها وشبه البيت المصراع
 يساب له مصراعان متساويان وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون وفيه دلالة
 على سعة القدرة في اغانى الكلام فاما اذا كثرت التصريح في القصيدة فقلت
 اراء مختارا الا أن هذه احدى مناف من التصريح والترصيع والتعجيس وغيرها
 انما يحسن منها في الكلام ما قل وجري مجرى الغزة من الوجه أو كان كالطراز
 من الثوب فاما اذا تواترت وكثرت فانها لا تكون مرضية لمنافيهما من أعارات
 الكفاية (وهو عندي بقسم الى سبع مراتب) وذلك شئ لم يذكره على هذا الوجه
 أحد غيري (فالمرتبة الاولى) وهي أعلى التصريح درجة أن يكون كل مصراع
 من البيت مستقلا بنفسه في فهم معناه غير محتاج الى صاحبه الذي يليه ويسمى
 التصريح الكامل وذلك كقول امرئ القيس

أقامم مهلا بعض هذا التمدال • وان كنت قد أزعجت هجرا فاجلي
 فان كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه غير محتاج الى ما يليه
 وعليه ورد قول المتنبي

اذا كان مدح فالنسب المقدم • اكل فصيح قال شعرا منبج
 (المرتبة الثانية) أن يكون المصراع الاول مستقلا بنفسه غير محتاج الى الذي
 يليه فاذا جاء الذي يليه كان مرتبطا به كقول امرئ القيس
 فسايل من ذكرى حبيب وممزل • بسط اللوى بين الدخول فومل

فالمصراع الاول غير محتاج الى الثاني في فهم معناه لكن لما جاء الثاني صار مرتبطا به وكذلك ورد قول أبي تمام
 ألم يأن أن تروى الظماء الحوام * وأن يتظم الشمل المبتدناظم
 وعليه ورد قول المتنبي

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهي المحل الثاني
 (المرتبة الثالثة) أن يكون الشاعر مخيرا في وضع كل مصراع موضع صاحبه
 ويسمى التصريح الموجبه وذلك كقول ابن الجراح البغدادي
 من شروط الصبوح في المهرجان * خفة الشرب مع خلق المكان
 فان هذا البيت يجعل مصراعه الاول ثانيا ومصراعه الثاني اولاً وهذا المرتبة
 كما الثانية في الجودة (المرتبة الرابعة) أن يكون المصراع الاول غير مستقل
 بنفسه ولا يفهم معناه الا بالثاني ويسمى التصريح الناقص وليس مرضى
 ولا حسن فاما ورد منه قول المتنبي

مغاني الشعب طيبا في المعاني * بمنزلة الربيع من الزمان
 فان المصراع الاول لا يستقل بنفسه في فهم معناه دون أن يذكر المصراع الثاني
 (المرتبة الخامسة) أن يكون التصريح في البيت بالفتحة واحدة وسطا وقافية
 ويسمى التصريح المكرر وهو ينقسم قسمين أحدهما أقرب حالاً من الآخر
 فالاول أن يكون بالفتحة حقيقة لا مجاز فيها وهو أنزل الدرجتين كقول عبيد
 ابن البرص فكل ذي غيبة يؤب * وغائب الموت لا يؤب

القسم الآخر أن يكون التصريح بالفتحة مجازية يختلف المعنى فيها كقول أبي
 تمام فقي كان شرباً للعفاة ومرتعاً * فأصبح للهندي البيض مرتعاً
 (المرتبة السادسة) أن يذكر المصراع الاول ويكون معلقاً على صفة يأتي ذكرها
 في أول المصراع الثاني ويسمى التصريح المعاق فاما ورد منه قول امرئ
 القيس ألا يا ليل الطويل ألا انجلي * بصبح وما الاصباح منك بأمثل
 فان المصراع الاول معلق على قوله بصبح وهذا معيب جداً وعليه ورد قول المتنبي
 قد علم البين منا البين أن جفانا * تدعى وألف في ذا القلب أحزاناً
 فان المصراع الاول معلق على قوله تدعى (المرتبة السابعة) أن يكون
 التصريح في البيت محالاً للقافية ويسمى التصريح المشطور وهو أنزل درجات

التصريح وأقبحها فمن ذلك قول أبي نواس

أقلنى قد ندمت على الذنوب * وبالأقرار عدت عن الجود

فصرع بحرف الباء في وسط البيت ثم قفاه بحرف الدال وهذا لا يسكت على عمله الاقليل لانادرا (النوع الثاني في التجنيس) اعلم أن التجنيس غرة شاذة في وجه الكلام وقد تصرف العلماء من أبواب هذه الصناعة فيه فقرّبوا وشرّقوا لاسيما المحدثين منهم وصنف الناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه أبواباً متعددة واختلفوا في ذلك وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض فنهى عبد الله بن المعتز وأبو علي السامعي والقاضي أبو الحسين الجرجاني وقدامة بن جعفر الكتاب وغيرهم وانما سمي هذا النوع من الكلام مجانسا لان حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد (وحقيقته) أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا وعلى هذا فإنه هو اللفظ المشترك وترك وما عداه فليس من التجنيس الحقيقي في شيء الا أنه قد خرج من ذلك ما يسمى تجنيسا وتلك تسمية بالمشابهة لانها ادلت على حقيقة المسمى بعينه (وعلى هذا) فاني نظرت في التجنيس وما شبه به فأجريت مجراه فوجدته ينقسم الى سبعة أقسام واحد منها يدل على حقيقة التجنيس لان لفظه واحد لا يختلف وستة أقسام مشبهة (فأما القسم الاول) فهو أن تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها ووزنها كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وايس في القرآن الكريم سورة هذه الآية فأعترف بها ويروى في الاخبار النبوية أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله البجلي زمامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا بين جرير والجرير أي دعوا زمامه وما جاء منه في الشعر قول أبي تمام

فأصبحت غررا لايام مشرقة * بالنصر تضحك عن أيامك الغرور

فالغرور الاولى استعارة من غرر الوجه والامر الثانية مأخوذة من غرة الشيء أكرمه فاللفظ اذا واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله

من القوم جعد أبيض الوجه والنسدي * وليس بشان يجتدي منه بالجعد
فالجعد السيد والبنان الجعد ضد البسيط فأحدهما يوصف به السفني والاخر يوصف به الخيل وكذلك قوله

بكل فتى ضرب به رضى لائقنا * محبي محلي حليه الطعن والضرب

فالضرب الرجل الخفيف والضرب بالسيف في الحرب وكذلك قوله
عدا الحُر الثغور المستضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الحصب
فالثغور جمع ثغر وهو واحد الاسنان وهو أيضا البلد الذي على تخوم العدو
ثم قال في هذه القصيدة

كم أحزنت قصب الهندي مصلاة * تم تزم من قصب تم تنز في كنب
بيض اذا انتضيت من جبهار جعت * أحق بالبيض أبدانا من الحجب
فالقصب السيوف والقصب القدود على حكم الاستعارة وكذلك البيض
السيوف والبيض النساء وهذا من النادر الذي لا يتعلق به أحد وكذلك قوله
اذا الخليل جابت قسطل الحرب صدعوا * صدور العوالي في صدور الكتاب
فلفظ الصدور في هذا البيت واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله

عامي وعام العيس بين وديقة * مسجورة وتنوفة صيهود
حتى أعاد كل يوم بالفضلا * للطير عيدا من بيات العيد
فالعيد يدخل من قول الابل والعيد اليوم المعروف من الايام وقد أكثر أبو تمام
من التهنيس في شعره فنه ما أعرب فيه فأحسن كالذي ذكرته ومنه ما أتى به
كرها مستثقلا كقوله

ويوم أرسق والهيجاء قدر شفت * من المنيسة رشقا وابلاقصفا
وكقوله يامض غنا خالدا لك الشكل ان * خلد حقا عاك في خالده
وكقوله وأهل موغان اذا ما قوا فلا وزر * أقباهم ومنك في الهيجا ولا سند
وكقوله مهلا بنى مالك لا تحاسن الى * سحر الاراقم دلول الله الرقم
(ثم قال فيها)

من الردينية الالاق اذا عسلت * تشم بوا الصغار الانف ذا الشم
(وكقوله)

قربت بقران عين الدين واشتترت * بالاشترين عيون الشرك فاصطلما
وله من هذا الغث البارد المتكاف شيء كثير لا حاجة الى استقصائه بل قد أوردنا
منه قليلا يستدل به على أمثاله (ومن الحسن) في هذا الباب قول أبي نواس
عباس عباس اذا احترم الوغى * والفضل فضل والربيع ربيع
(وكذلك قوله)

فقل لابي العباس ان كنت مذهبيا * فأنت أحق الناس بالاختصاص بالفضل
فلا تخرج دوني ودعشرين حجة * ولا تقصدوا ما كان منكم من الفضل
(وعلى هذا النهج ورد قول البحتري)

إذا العين راحت وهي عين علي الهوى * فليس بسر ما سر الاضالع
فالعين الجاسوس والعين معروفة وكذلك ورد قول بعضهم
وترى سوابق دمعها فتوا كفت * ساق تجاوب فوق ساق ساقا
قال ساق ساق الشجرة والساق القمري من الطيور وعلى هذا الاسلوب جاء قول
بعض المتأخرين وهو الشاعر المعروف بالمعري في قصيدة قصدهم التجنيس في كثير
من أبياتهما فمن ذلك ما أورده في مطلعها

لوزارنا طيف ذات الخيال أحيانا * ونحن في حفر الاجداث أحيانا
(ثم قال في أبياتها)
تقول أنت امرؤ جاف مغالطة * فقلت لا هومت أجفان أجفانا
(وكذا قال في آخرها)

لم يبق غيبك انسانا بلاذيه * فلا برحت لعين الدهر انسانا
(ورأيت) الغنائمي قد ذكر في كتابه بابا وسماه ردالاجاز على الصدور خارجا عن
باب التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جملة أقسامه كالذي نحن بصدد ذكره
ههنا فمأورده الغنائمي من الامثلة في ذلك قول بعضهم

ونشرى بجميل الصنع ذكر طيب النثر
ونفري بسيف الهنـد من أسرف في النفر
وبجري في شري الحميد * على شاكاة البحر
(وكذلك قول بعضهم في الشيب)

يا ياضا اذرى دموهى حتى * عاد منها سواد عيني ياضا
(وكذلك قول البحتري)

وأغتر في الزمن البهيم حجل * قد وحت منه على أغر حجل
كما الهبكل المبني إلا أنه * في الحسن جاء كصورة في هبكل
وليس الاخذ على المعاني في ذلك مناقشة على الاسماء وانما المناقشة على أن
ينصب نفسه لا يراد علم البيان وتفصيل أبوابه ويكون أحسن الابواب الذي

ذكرنا هاداً خلا في الآخر فيذهب عليه ذلك ويحذف عنه وهو أشهر من قلق
الصباح وربما جهل بعض الناس فأدخل في التجنيس ما ليس منه نظر إلى
مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى فن ذلك قول أبي تمام

أظن الدمع في خدي سيقى * رسوماً من بكائي في الرسوم

وهذا ليس من التجنيس في شيء إذ حد التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى
وهذا البيت المشار إليه هو اتفاق اللفظ والمعنى معاً وهذا مما ينبغي أن ينبه عليه
يعرف ومن علماء البيان من جعل له اسماً سماه به وهو الترديد أي أن اللفظة
الواحدة رددت فيه وحيث نبهت عليه ههنا فلا احتياج أن أعقبه باباً أفرد
بالذكر فيه (وأما الأقسام الستة) المشبهة بالتجنيس (فالقسم الأول) منها أن
تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها فمما جاء من ذلك قول
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقي حسن خلقني ألا ترى أن هاتين
اللفظتين متساويتان في التركيب مختلفتان في الوزن لأن تركيب الخلق
والخلق من ثلاثة أحرف وهي الخاء واللام والقاف إلا أنهم اختلفا في الوزن
إذ وزن الخلق فعل يفتح الفاء ووزن الخلق فعل يضم الفاء ومن هذا القسم قول
بعضهم لا تنال غرر المعالي إلا بركوب الغرر واهتبال الغرر وقال البيهقي

وقرأت لسان المغرب ويرجو * أماناً أي ساعة ما أمان

بهاب الالتفات وقد تها * للحظة طرفه طرف السنان

(وكذلك ورد قول الآخر)

قد ثبت بين حشاشة ودماء * ما بين حر هوى وحر هواء

(القسم الثاني) من المشبهة بالتجنيس وهو أن تكون اللفاظ متساوية
في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير وان زاد على ذلك خرج من باب
التجنيس (فهما) جاء منه قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فان
هاتين اللفظتين على وزن واحد إلا أن تركيبهما مختلف في حرف واحد وكذلك
قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وكذلك قوله تعالى ذلكم بما كنتم
تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرسون وعلى نحو من هذا ورد قول
النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصم الخيل وقال بعضهم لا تنال
المكارم إلا بالمكاره وقال أبو تمام

يعدّون من أيدعواص عواصم * تصول بأسـياف قواض قواض
(وقال البخاري)

من كل ساجي الطرف أغيد أحيد * ومهفهف الكشكين أحوى أحور
وكذلك قوله شواجر أرماح تقطع بينهم شواجر من أرحام ملوم قطوعها
(القسم الثالث) من المشبه بالتجنيس وهو أن تكون الالفاظ مختلفة في الوزن
والتركيب بحرف واحد كقوله تعالى والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ
المساق وقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وكذلك ورد قوله صلى
الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه ويده (ودخل ثعلب) صاحب كتاب
الفصيح على أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ومجلسه غاصت بجلوسه إلى جانبه ثم أقبل
عليه وقال أخاف أن أكون ضيقت عليك على أنه لا يضيّق مجلس محتجبين
ولا تسع الدنيا بأسرها متباعدين فقال له أحمد الصديق لا يحاسب والعدو
لا يحتسب له وهذا كلام حسن من كلا الرجلين والتجنيس في كلام أحمد
رحمه الله في قوله يحاسب ويحتسب له (وقد جاءني شيء من ذلك) عليه خفة
الطبع لا ثقل التطبيع (فنه ما ذكرته) في فصل من كتاب إلى ديوان الخلافة يتضمن
ذكر الجهاد فقلت وخيل الله قد اشتاقت أن يقال لها اركبي وسيوفه
قد تطلعت أن يقال لها اضربي ومواطن الجهاد قد بعد عهد لها باستسقاء
شاييب النحور وانبساط ربيع الذباب والنسور وما ذلك إلا لأن العدو إذا
طلب تقصص ثوب اذلاله وتنصل من حجة نصاله واعتصم بمعاقلة التي لا فرق
بينها وبين عقاله (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف كريم فقلت وقد جعل الله
حرمه ملق الجفان وملق الجفان فهو من جن جنى عليه زمانه وبارئ
بعد عنه جيرانه (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب إلى ديوان الخلافة
وهو واقعد استبان الخدام من بركة طاعته ما يعصى عنه غيره فيأمره ووجده
من أثره في صلاح دنياه ما استبدل به على صلاح آخره فهو المرء كعب
المنجي والعامل المرجو لا المرجى والمعنى المزاوي - مائة الصراط المستقيم
وتأويل قوله تعالى فليحذر الذين يخافون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم
عذاب أليم (ومن ذلك) ما ذكرته في أثناء كتاب إلى بعض الإخوان وذلك وصف
بعض المنعمين فقلت نحن من حسن شيمه وفواضل احسانه بين همد وهنيدة

ومن ين نقيته وامانة غيبه بين أم معبد وأبي عبيدة (ومن ذلك) ما ذكرته
في مطلع كتاب الى بعض الاخوان فقلت الكتب وان عدها قوم عرضا من
الاعراض وتقالوها حتى قالوا هي سواد في بياض فان لها عند الاخوان وجهها
وسما ومحلا كريما وهي حاتم القلوب اذا فارق حبيب حينا ومن أحسنها كتاب
سيدنا ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب (ومن هذا القسم) قول أبي تمام
أيام تدمي عينه تلك الدما * فيها وتقم راية الاقار

وكذلك قوله ييض فهن اذا رمقن سوافر * صوروهن اذا رمقن صوار
وكذلك قوله بدر أطالت فيك بادرة النوى * ولعا وشمس أولعت بشماس
وكذلك قوله كادوا النبوة والهدى فقة قطعت * أعناقهم في ذلك المضممار
جهلوا فلم يستكثروا من طاعة * معروفة بعمارة الاعمار
وكذلك قوله ان الرماح اذا غوسن بشهد * فحنى العوالي في ذراه معالي
وكذلك قوله اذا أحسن الاقوام أن يتناولوا * بلا نعمة أحسنت أن تتطولا
وكذلك قوله أي ربح يكذب الدهر عنه * وهو مابق على طريق اللبالي
بين حال جنت عليه وحول * فهو نضوا الاحوال والاحوال
شما استترتلك عن دمعك الأنط * عان حتى استهل صوب العزالي
أي حسن في الذاهين تولى * وجمال على ظهور الجمال
ودلال مخيم في ذوى الخيم * وحجل معصم في الجمال
فالبيت الثاني والخامس هما المقصودان بالتمثيل ههنا والايات الباقية
جاءت تبعا ومما جاء من ذلك قول علي بن جبلة

وكم لك من يوم رفعت بناءه * بذات جفون أو بذات جفان

(وكذلك قول محمد بن وهيب الجبلي)

قسمت صروف الدهر بأسا وناثلا * فخالك وتوروسيفك واتر

وهذا من الملمح النادر (ومن هذا القسم) قول الجعفي

جدير بأن تنشق عن ضوء وجهه * ضبابه تنقع تحتها الموت فاقع

وكذلك قوله نسيم الروض في ربح شمال * وصوب المزن في راح شموس

(وذم أعرابي رجلا) فقال كان اذا سأل الحف واذا سئل سوف

يجسد على الفضل ويرهد في الافضال (القسم الرابع) من المشبه بالجنيس

ويسمى المعكوس (وذلك ضربان) أحدهما عكس اللفاظ والآخرة عكس
الحروف (فالأول) كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات وكقول
الآخر شيم الاحرار اسرار الشيم ومن هذا النوع ما ورد شعرا قول الاضبط
ابن قريع من شعراء الجاهلية

قد يجمع المال غير آكله * وبأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه * ويلبس الثوب غير من قطعه
(وكذلك) ورد قول أبي الطيب المتنبي

فلا مجد في الدنيا من قلّ ماله * ولا مال في الدنيا من قلّ مجده
(وكذلك) قول الشريف الرضي من أبيات يذم فيها الزمان
اسفّ بمن يطير الى المعالي * وطار بمن يسف الى الدنایا
(وكذلك قول الآخر)

ان الالبالى للانام منهاهـلى * تطوى وتنشر بيننا الاعمار
فقصارهت من الهموم طويلة * وطوالهت من السرور قصار
(وأحسن من هذا كله وألطفه) قول ابن الزقاق الاندلسي
غسير تناید الزمان * فقـد شبت والتي
فاستحال المضحي دجا * واستحال المدحاضى

وهذا الضرب من التجنيس له - لاوة وعليه رونق وقد سماه قدامة بن جعفر
الكاتب التبديل وذلك اسم مناسب لمسامه لان مؤلف الكلام يأتي بما كان
مقدما في جزئ كلامه الاول ومؤخر في الثاني وبما كان مؤخر في الاول مقدما
في الثاني ومثله قدامة بقول بعضهم اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك
(ومن هذا القسم) قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
(وكذلك) ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم جار الدار أحق بدار الجار (وكتب
علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى عبد الله بن عباس رضي الله عنه كتابا فقال
أما بعد فان الانسان يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوه فوت ما لم يكن ليدركه
فلا تكن عيانات من دنياك فرحا ولا بما فاتك منها حزنا ولا تكن ممن يرجو
الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول أمله وكان قد والسلام (وروى عن أبي
تمام) أنه لما قصد عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان وامتدحه بتهذيبه

المشهورة التي مطلعها * أهق هوادي يوسف وصوا حبه * أنكر عليه أبو سعيد
الضري وأبو العميشل هذا الابتداء وقال لم لا يقول ما يفهم فقال لم لا يفهمان
ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على الفور وهو من التجنيس المشار إليه
(وقد جاء في شيء منه) كقولي في فصل من كتاب يتضمن فتحا وهو فكم كان
في افتراء عذرة الحصن من افتراء عذرة حصان وكم حيز به من سنان لحظ استرقه
لحظ سنان (وكذلك) قولي في صدر كتاب إلى ديوان الخلافة وهو الخادم يبلغ
خدمته إلى ذلك الجنب التي تطره الشفاه قبله وتوسعه العفاة املا وترى
الطول به ملوكا والمولك خولا وطاعته هي محك الاعمال التي أشير إليها بقوله
تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا (وكذلك) ورد قولي أيضا وهو فصل من تقاليد
وزير فقلت وقد صدق الله لهجة المثنى عليك أن يقول انك الرجل الذي
تضرب به الامثال والمهذب الذي لا يقال معه أي الرجال وإذا وزرت
ملكك فقد حظيت منك بشدة أزرها وسدت ثغرها وأصبحت وأنت صدر راقليها
وقلب لصدورها فهي من دانة منك بالفضل المئين معانة بالقوى الأمين (وأما
الضرب الثاني) من هذا القسم وهو عكس الحروف فهو كقول بعضهم
أهديت شيأ بقل لولا * أحدوثة الفال والتبرك
كرسى تقاءلت فيه لما * رأيت مقه لوبه يسرك
(وكذلك قول الآخر)

كيف السرور باقبال وآثره * إذا تأملت مقلوب اقبال
(وأجود من هذا كله) قول الآخر

جاذبتها والريح تجذب عقربا * من فوق ختم مثل قلب العقرب
وطفقت الثمر فخرها فتمتعت * وتنجبت عني بقلب العقرب
وإذا قلب لفظ عقرب صار برقا وهذا الضرب نادر الاستعمال لأنه قل ما يقع
كلمة قلب حروفها فهي معناها صوابا (القسم الخامس) من المشبه بالتجنيس
ويسمى المجنب وذلك أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين أحدهما كالتبع للآخرى
والجنسية لهما كقول بعضهم

أبا العباس لا تحسب بأني * شيء من حلى الاشجار عارى
فلى طبع كاسنال معين * زلال من ذرا الاجار جارى

وعند القسم عندى فيه نظر لانه يلزوم ما لا يلزم أولى منه بالتجنيس ألا ترى
أن التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وههنا لم يتفق الاجزاء من اللفظ
وهو آفته وأما اللزوم في الكلام المنشور فهو تساوى الحروف التي قبل الفواصل
المشجوعة وهذا هو كذلك لأن العين والراء تساويان في البيت الاول في قوله
الاشعار وعار والجيم والراء في البيت الثاني في قوله الاجبار وجار (القسم
السادس) من المشبه بالتجنيس وهو ما يساوى وزنه تركيبه غير أن حروفه تتقدم
وتتأخر وذلك كقول أبي تمام

بيض الصفائح لاسود الصفائح في * متون من جلاء الشك والريب

فالصفائح والصفائح مماثلة قدمت حروفه وتأخرت وقد ورد في الكلام المنشور
كقوله صلى الله عليه وسلم في فضيلة تلاوة القرآن الكريم يقال اصاحب
القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأ
بقوله صلى الله عليه وسلم اقرأ وارق من التجنيس المشار اليه في هذا القسم
(النوع الثالث في الترتيب) وهو مأخوذ من ترصيع العقد وذلك أن يكون
في أحد جانبي العقد من اللآلئ مثل ما في الجانب الآخر وكذلك يجعل هذا
في الالفاظ المنشورة من الاسجاع وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل
الاول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية وهذا
لا يوجد في كتاب الله تعالى لما هو عليه من زيادة التكلف فاما قول من
ذهب الى أن في كتاب الله منه شيئاً ومثله بقوله تعالى ان ابرار انى نعيم وان
النجار انى جهيم فليس الامر كما وقع له فان لفظة انى قد وردت في الفقرتين معاً
وهذا يخالف شرط الترتيب الذي شرطناه لكى قريب منه وأما الشعر فاني
كنت أقول انه لا يتزن على هذه الشريطة ولم أجده في اشعار العرب لما فيه من
تعمق الصنعة وتعسف الكلفة واذا جئ به في الشعر لم يكن عليه محض الطلاوة
التي تكون اذا جئ به في الكلام المنشور ثم انى عثرت عليه في شعر المحدثين
ولكنه قليل جداً فمن ذلك قول بعضهم

فيكارم أوليتها مثيراً * وجرائم ألفتها مثيراً

فيكارم بازاء جرائم وأوليتها بازاء ألفتها ومثيراً بازاء مثيراً وقد أجاز بعضهم
أن يكون أحد ألفاظ الفصل الاول مخالفاً لما يقابله من الفصل الثاني وهذا

ليس بشئ لمخالفته حقيقة التصريح (فما جاء من هذا النوع) منشورا
 قول الحريري في مقاماته فهو بطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرر الاسجاع
 بزواج وعظمه فانه جعل اللفاظ الفصل الاول مساوية لالفاظ الفصل الثاني
 وزنا وقافية فجعل يطبع بازاء يقرع والاسجاع بازاء الاسماع وجواهر
 بارا زواج ولفظه بازاء وعظمه (ومما جاء في هذا النوع) ما ذكرته في جواب
 كتاب الى بعض الاخوان وهو قد أعدت الجواب ولم أستعزله نظاما ملحقا
 ولا جلبت اليه حسنا منقحا بل أخرجه على رساله وغنيت بصقال حسنه
 عن صقله بقاء كما تراه غير مشروط ولا مخطوط فهو يرفل في أبواب بذاته
 وقد حوى الجمال بحملته والحسن ما وشته فطرة التصوير لا ما حشنته
 فمكرة التزوير والتصريح في قول وشته فطرة التصوير وحشنته فمكرة التزوير
 وكذلك ورد قول في فصل من الكلام يتضمن تثقيف الاولاد فقلت من قوم أود
 أولاده ضرتم كم حساده فهذه اللفاظ كافية في ترصيعها فقوم
 بازاء ضرتم وأود بازاء كم وأولاده بازاء حساده وكذلك قول بعضهم
 في الامثال المولدة التي لم ترد عن العرب وهو من أطاع غضبه أضاع ادبه فأطاع
 بازاء أضاع وغضبه بازاء أدبه * وقد ورد هذا الضرب كثيرا في الخطب التي
 أنشأها الشيخ الخطيب عبد الرحيم بن نباتة رحمه الله (فمن ذلك) قوله في أول
 خطبة الحمد لله عاقد أزمنة الامور بعزائم أمره وحاصد أئمة الغرور بقواصم
 مكره وموفق عبده ما غانم ذكره ومحقق مواعيد بلوازم شكره فالألفاظ
 التي جاءت في الفصلين الاولين متساوية وزنا وقافية والتي جاءت في الفصلين
 الآخرين فيها اختلاف في الوزن فان مواعيد يتخالف وزن عبده ولا يتخالف
 قافيتها التي هي الدال (ومن ذلك) قوله أيضا في جملة خطبة أولئك الذين أفلوا
 فنجتمهم ورحلوا فأنتم وأبادهم الموت كما علمتم وأنتم الطامعون في البقاء
 بعدهم كما زعمتم كلا والله ما أشخصوا لتقرؤا ولا تغصوا لتسرؤا ولا بدأن تمزؤا
 حيث مزؤا فلا تمقوا بحدع الدنيا ولا تعتروا وهذا الكلام فيه أيضا ما في الذي
 قبله من صحة الوزن والقافية وصحة القافية دون الوزن (وكذلك) قوله أيضا
 في خطبة أخرى أيها الناس أسبروا القلوب في رياض الحكم وأديموا النجيب على
 ايضاض اللام وأطيلوا الاعتبار بآثار النعم وأجبلوا الأفكار في انقراض

الام (وأما ما ورد في الشعر) على مخالفة بعض الالفاظ بعضا فذكر قول ذي الرمة
 كحلاء في برج صقراء في عجب * كأنهم افضة قدمها ذهب
 وصدر هذا البيت مرصع وبجزءه خال من الترصيع وعذر الشاعر في ذلك واضح
 لانه مقيد بالوقوف مع الوزن والقافية ألا ترى أن ذا الرمة بنى قصيدته على حرف
 الباء ولورصع هذا البيت الترصيع الحقيقي اكان يلزمه أن يأتي بالفاظه على
 حرفين حرفين أحدهما الباء أو كان يقسم البيت نصفين ويمائل بين الفاظ هذا
 النصف وهذا النصف وذلك مما يعسر وقوعه في الشعر وأرباب هذه الصناعة
 قد قسموا الترصيع الى هذين القسمين المذكورين وهذه القسمة لا أراها صوابا
 لأن حقيقة الترصيع موجودة في القسم الأول دون الثاني (ومما جاء) من هذا
 القسم الثاني قول الخنساء

حامي الحقيقة محمود الخليفة * مهدي الطريقة نفاع وضرار
 (وكذلك قول الاسخ)

سود ذوائبها بيض ترائبها * محض ضرائبها صيغت من الكرم
 (النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم) وهو من أشق هذه الصناعة مذهبا وأبعدها
 مسلكا وذلك لأن المؤلف يلتزم ما لا يلزمه فان اللازم في هذا الموضع وما جرى
 مجراه انما هو السجع الذي هو تساوي أجزاء الفواصل من الكلام المنشور
 في قوافيها وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة
 حرفا واحدا وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي قبل روى الابيات الشعرية
 وقد سجع أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان في ذلك كتابا وسماه كتاب اللزوم
 فأثنى فيه بالجليل الذي يحمده والردى الذي يذمه وسأذكر في كتابي هذا في هذا
 الموضع أمثلة من المنشور والمنظوم يتدى بها (فن ذلك) ما ذكرته في جملة كتاب
 في فصل يتضمن ذم جبان فقلت اذا نزل به خطب ما يلك الفرق واذا ضل في أمر
 لم يؤمن الا اذا أدركه الغرق (ومن ذلك) ما ذكرته في مجلد كتاب الى بعض
 الاخوان فقلت الخادم يهدي من دعائه وثنائه ما يلك أحدهم ما سماء
 والآخر أرضا ويصون أحدهم انفسا والآخر عرضا وأعجب ما فيه ما أنهما
 نوامان غير أن هذا مستنتج من ضمير القلب وهذا من نطق اللسان فاللزوم
 ههنا في الرأ والضاد (وكذلك) ورد قولي في جملة كتاب الى ديوان الخليفة

فقلت وقد علم من شيع الدبوان العزيز أنه يسر بامتداد الأيدي إلى يابه وإذا
أغيب أحدها في المسئلة نهى عن اغبابه حتى لا يخلو حرمه الكريم من المطاف
ولا يدم الكريمة من الاسعاف فاللزم ههنا في انطقي يابه واغبابه (ومن ذلك)
ما كتبه في جملة كتاب إلى ديوان الخلافة أيضا وهو مهم حاشيته عضد
الخدام من الاعمال فانه قوة للبد التي خواته ولا يقوى تصعد السحب إلا بكثرة
غيتها الذي أنزاته وغير خاف أن عبيد الدولة لها كالعهد من طرفها
ومركز الدائرة من أطرافها ولا يؤيد السيف الا بقائمه ولا ينهض الجناح الا
بقوامه فاللزم في هذا الموضع في الرأ والفاء في قولي طرف وأطراف
(ومن ذلك) ما كتبه في صدر كتاب إلى الملك الأفضل علي بن يوسف أهنيبه
بملك مصر في سنة خمس وتسعين وخمسة فقلت المملوك يهني ولا نابعمة الله
المؤذنة باستخلاصه واحتبائه وتمكينه حتى بلغ أشده واستخرج كثر آياته ولو
أقصاه في الأرض منه بوابها والامة بكافها وخصوصا أرض مصر التي
خصت بشرف سكان وغدت بين بحرين من فيض البحر وفيض عيانه وكل
هذه الفصول المذكورة من هذه المكتوبات التي انشأتها لكافة على كلمات
اللزوم فيها (وقرأت في كتاب الاغانى) لأبي الفرج أن أقيط بن زرارة تزوج بنت
قيس بن خالد بن ذى الجدين فخطبت عنده وخطب عندها ثم قتل فآمنت بعده
وتزوجت زوجها غيره فكانت كثيرا ما تذكر أقيطا فلامها على ذلك فقالت انه
خرج في يوم دجن وقد تطيب وشرب فطرد البقر فصرع منها ثم أتاني وبه نضح
دم فضمتي ضمة وشمني شمة فلبتني متعة فلم أر من ظرا كان أحسن من أقيط
فقواه ضمتي ضمة وشمني شمة فلبتني متعة من الكلام الملو في باب اللزوم
ولا كافة عليه وهكذا فيمكن فإن الكافة وحشة تذهب برونق المنعة وما
ينبغي لمواف الكلام أن يستعمل هذا النوع حتى يحجب به متكلفا ومناله
في هذا المقام كن أخذ موضوعا ردينا فأجاد فيه صنعة فانه يكون عند ذلك
قد راعى الفرع وأهمل الأصل فأضاع جودة المنعة في رداة الموضوع (وقد
سلك ذلك) أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان فحما جاء من ذلك
قوله في حرف التامع الخاء

بنت عن الدنيا ولا يبتلى فيها ولا عرس ولا أخت

وقد تحسنت من الوزر ما * تعجز أن تحسنت له البخت
 أن مدحوني ساء في مدحهم * ونحات أني في الثرى سخطهم
 (وله من ذلك الجيد كقوله)

لا تطالبني بالآلة لك حاجة * قلم البليغ بغير جنة مغزل
 سكن السماء كان السماء كلاهما * هذا له ربح وهذا أعزل

وهذا بين الاسترسال وبين الكفاة وأما ما تكاف له تكافا ظاهرا وإن أجاد فقله

تنازع في الدنيا والدينا * ولا لك شيء في الحقيقة فقه فيها
 ولا كنهها ملك رب مقدر * يعجز جنوب الأرض عن تدفنها
 ولم تحظ من ذلك النزاع بطائل * من الأمر الآن تعدد فيها
 قبا نفس لا تعظم عليك خطوبها * فقهها وهامد ل مختلف فيها
 تداعوا إلى النزاع قليل فجالدوا * عليه وخلاوها لم تفر فيها
 وما أتم وصل أو حلية ضيق * باطل من دنياك فاعرف فيها
 تلاقى الوفود القادم بها فرحة * وتبكي على آثار منصرف فيها
 وما هي الأشربة ليس عندها * وبذلك أرطاب لخص فيها
 كما تبذل للطير والوحش رازم * فألفت شرورا بين محبة طيفها
 يبات عن الانصاف من ضيق لم يجد * سبيل إلى غايات مختلف فيها
 فأطبق فباعها وكفا ومقابلة * وقل لغوى الناس فالك لفيها
 (ومن ذلك)

أرى الدنيا وما وصفت ببر * إذا اغتنت فقيرا أرهقته
 إذا اغشيت أشرب عجلته * وإن رجيت نكاحا عوقته
 حياة كالحبالة ذات مكسر * ونفس المرء صبيدا أعلقته
 فلا يخدع بحيلها أريب * وإن هي سورته ونطقته
 أذا قته شهيا من جناها * وصدت فاءها ذوقته

وقد ورد للعرب شيء من ذلك إلا أنه قليل فما جاء منه قول بعضهم في آيات الحماسة

إن التي زعمت فؤادك لها * خلقت هوالك كما خلقت هوى لها
 يضاء باكرها النعيم فصاغاها * بلباقية فأدقها وأجسلها
 عجبت فحيتها فقلت لصاحبى * ما كان أنكرها النسا وأقلها

واذا وجدت لها وسوس سلوة * شفع الضمير الى الثغور فسلمها
وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه (ومما يجرى هذا المجرى) قول جبر بن حبة
العيسى من شعراء الحماسة أيضا

ولا أدوم قدرى بعد ما نضجت * بخجل لا فتع ما فيها أنافها
حتى تقسم شقي بين ما وسعت * ولا يؤنب تحت الليل عافها
ومما ورد من ذلك أيضا قول طرفة بن العبد البكري

ألم تر أن المال يكسب أهله * فضروحا إذا لم يعط منه فواسيه
أرى كل مال لا محالة ذاهبا * وأفضله ما ورث الحد كاسيه
(وكذلك قول الفرزدق)

وغـير لون راحلي ولوني * تردى الهواجر واعتماني
أقول لها اذا ضجرت وغصت * بمورك الوراك مع الزمام
سلام تلقين وأنت تصبني * وخير الناس كلهم أمامي
(وكذلك قوله أيضا)

منع الحياة من الرجال ونفعها * خدق ثعلبها التباء من امس
وكان أفتدة الرجال اذا رأوا * خدق النساء لنملها أغراض
واذا شئت أن تعلم مقادير الكلام وكان لك ذوق صحيح فانظر الى هذا العربي
في كلامه السهل الذي كأنه ماء جار وانظر الى ما أورده لابي العلاء المعري فان
أثر الكلفة عليه باذ ظاهر (ومن) قصيد من العرب قصيدة كاه على اللزوم كثير
عزة وهي القصيدة التي أولها

خيل لي هذا ربع عزة فاعقلا * قلوبكم كما تم احلا حيث حلت
وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتا وهي مع ذلك سمها لينة تكاد تترقرق من
لينها وسهولتها وليس عليها من أثر الكلفة شيء ولولا خوف الاطالة لا وردت بها
بجملتها وقد ذكر بعضهم من هذا النوع ما ورد في أبيات الحماسة وهو
وفي شدة ليست كهذي الفيس * قد ملئت من ترف وطيش
اذا بدت قلت أمير الجيش * من ذاقها يعرف طعم العيش
(وهذا) ليس من باب اللزوم لأن اللزوم هو أن يلتزم الناظم والناسر ما لا يلزمه
كقولنا شرق وشرق مثلاً فإنه لو قيل بدلاً من ذلك شرق وشرق لجاز ذلك وفي

هذه الايات لا يقع الامر كذلك لانه لو قيل طيش وعرش لما جاز وهذا
يقال له الردف في الشعر وهو الباء والواو قبل حرف الروى واذا جى بذلك
في الشعر وفي الكلام المنثور لا يقال انه التزام ما لا يلزم لان الملتزم ما لا يلزم له
مندوحة في العدول الى غيره وههنا لامندوحة (ومن اطبق ذلك) ما يروى
لامرأة من البصرة مجنت بأبي فواس فقالت

ان حرى خزبل حرايه * اذا عدت فوقيه نيايه

* كالارنب الجاثم فوق الرايه *

(وكذلك ورد قول أبي تمام وهو)

خدم العلاء فخدمته رهي التي * لا تخدم الاقوام ما لم تخدم
فاذا ارتقي في قلبه من سودد * قالت له الاخرى بلغت قد قدم
(وعلى هذا الاسلوب قوله ايضا)

ولو جرتني لوجدت خرقا * يصافي الاكرميين ولا يصادي
جديرا أن يكر الطرف شيرا * الى بعض الموارد وهو صادي
(وله من آيات تتضمن مرثية)

لقبت بجعت عتابة وزهيرة * وتعلمية أخرى الليالي ووائله
ومبتدرا المعروف تسري هباته * اليهم ولا تسري اليهم غوائله
طواه الردى طى الرداء وغيب * فضائله عن قومه وفواضله
طوى شيما كانت تروح وتغمدى * وسائل من أعيت عليه وسائله
قباعارضا للعرف أقاع منزله * وبيا واديا للجود جفت مسائله
ألم تبنى أنزفت عيسى على أبي * محمد النجم المشرق في آفله
وأخلصته فانيه كمال أيتنه * طريد الليالي اخلصته نوافله

وهذا من أحسن ما يجي في هذا الباب وليس يتكلف كشعر أبي العلاء فان
حسن هذا مطبوع وحسن ذال المصنوع وكذلك أقول في غير اللزوم من الانواع
المذكورة أولا فان الالفاظ اذا صدرت فيها عن سهولة خاطر وسلاسة طبع
وكانت غير مستحاجة ولا متكلفة جاءت غير محتاجة الى التأنق ولا شك أن صورة
الخلقة غير صورة التخلق (فان قيل) ما الفرق بين المتكلف من هذه الانواع وغير
المتكلف (قلت في الجواب) أما المتكلف فهو الذي يأتي بالفكرة والروية وذلك

أن ينضى الخياط في طلبه ويبعث على تتبعه واقصا ص أثره وغير المتكلف
 يأتي مسه تر يحامن ذلك كله وهو أن يكون الشاعر في نظم قصيدته أو الخطيب
 أو الكاتب في انشاء خطبته أو كتابته فبيناهو كذلك اذسخله نوع من هذه
 الانواع بالاتفاق لا بالسعي والطلب ألا ترى الى قول أبي نواس في مثل هذا
 الموضع
 اترك الاطلال لانهبأبها * انهم من كل يؤمن دانيه
 وانعت الراح على تحريجها * انما دنياك دار فانيه
 من عقار من رآها قال لي * صيدت الشمس لنا في آنيه
 (وعلى هذه السهولة واللطافة ورد قوله أيضا)

كم من غلام ذي تحاسين * أفسده ناطق ياسين
 وهذه ياسين كان يبيع الناطق ببغداد (وحكى ابراهيم البندنجي) قال رأيت
 شيخا ضعيفا يبيع ناطقا فقلت له يا شيخ أما زلت في هذه الصناعة قال مذ كنت
 ولا يمكن الحال كانت واسعة والسعة مافقة وكنت ممن يشار الى حق
 قال أبو نواس في وأنشده هذا البيت فانتظر أيها المتأمل ما أحلى لفظ أبي نواس
 في لزومه وما أعرا من الكلفة وكذلك فالتسكن الانساظ في اللزوم وغيره (واعلم)
 أنه اذا صغرت الكلمة الاخيرة من الشعر أو من فواصل الكلام المنشور فان ذلك
 ملحق باللزوم ويكون التصغير عوضا عن تساوي الحروف التي قبل روى الايات
 الشعرية والحروف التي قبل الفاصلة من النثر (فمن ذلك) قول بعضهم
 عز على ليلى بنى سدير * سوء مبيتى ليلة الغميري
 مقبضا نفسي في طميري * تتهز الرعدة في ظهيري
 بهقوالى الزور من صديري * ظمآن في ريح وفي مطيري
 وازرق سرايس بالغريري * من لدا ما ظهر الى صديري
 حتى بدت لي جبهة القمير * لا ربع خيلون من شميري

وهذا من محاسن الصناعة في هذا الباب فاعرفه وأحسن منه ما ورد عن أبي
 نواس وعن عنان جارية النطاف وله معها حكايات كثيرة غير هذه فقبال أبو
 نواس
 أما ترقى لصبت * يكفيه منك قطيره
 فقاتل عنان
 اياي تعنى به هذا * عليك فاجاد غيره
 فقال أبو نواس
 أخاف ان رمت هذا * على يدي منك غيره

خالبيتان الا قول والثاني من هذا الباب والثالث جاء تبعا وقد ورد في القرآن
 الكريم شيء من اللزوم الا أنه يسير جدا (في ذلك) قوله تعالى اقرأ باسم
 ربك الذي خلق خلق الانسان من عاق وقوله تعالى والطور وكتاب مسطور
 وكذلك ورد قوله تعالى في هذه السورة فذكر فما أنت ببعث ربك بسكاكين
 ولا مجنون أم يقولون شاعر نترهبس به ريب المنون وربما وقع بعض الجهال
 في هذا الموضع فأدخل فيه ما ليس منه كقوله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم
 فاصكهم بما اتاهم ربهم ورفاههم ربهم عذاب الجحيم وهذا لا يدخل في باب
 اللزوم لان الاصل فيه نعم وجحيم والياء هي من حروف المد واللين فلا يعتد بها
 ههنا (ومن هذا الباب) قوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر
 مخضود وطلم منضود وكذلك ورد قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
 ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما تعملون بصير وان تولوا فاعلموا
 ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (وعلى هذا الاسلوب) جاء قوله تعالى
 في قصة ابراهيم عليه السلام يا أبت اني أخاف أن يسلك عذاب من الرحمن
 فتكون للشيطان وليا قال أرأيت أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته
 لأرجنك واجبرني مليا وعلى نحو هذا جاء قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته
 ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد
 ولا تجد أمثال ذلك في القرآن الا قليلا (النوع الخامس في الموازنة) وهي
 أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن وأن يكون
 صدر البيت الشعري وبجزء متساوي الالفاظ وزنا وللحكاية بذلك ط لإوة
 وروقي وسببه الاعتدال لانه مطلوب في جميع الاشياء واذا كانت مقاطع
 الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا الامر افيوضه
 وهذا النوع من الكلام هو أخص السجع في المعادلة دون المماثلة لان في السجع
 اعتدالا وزيادة على الاعتدال وهي غمائر أجزاء البواصل لورودها على حرف
 واحد وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع ولا تماثل في فواصلها
 فيقال اذا كل سجع موارنة وايمس كل موازنة سجعيا وعلى هذا فالسجع
 أخص من الموازنة (فيما جاء منها) قوله تعالى وآتيناهم الكتاب المستبين
 وهديناهم الصراط المستقيم فالمستبين والمستقيم على وزن واحد وكذلك

قوله تعالى في سورة مريم عليها السلام واتخذوا من دون الله آلهة ليكفروا
 لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم عتدا ألم تر أنا أرسلنا
 الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلاتعجل عليهم انما عتداهم عتدا وكذلك
 قوله تعالى في سورة طه من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالد
 فيه وسألهم يوم القيامة حملا وكذلك ورد قوله تعالى في سورة حم عسق
 والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجهم راحضة عند ربهم وعليهم
 غضب ولهم عذاب شديد الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل
 الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها
 ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون في الساعة اني ضلال بعيد الله لطيف
 بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزله
 في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب أم لهم
 شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان
 الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم
 والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم
 ذلك هو الفضل الكبير وهذه الآيات جميعها على وزن واحد فان شديدا
 وقريب وبعيدا وعزيز ونصيب وأليم وكبير كل ذلك على وزن تفعيل وان
 اختلفت حروف المقاطع التي هي فواصلها وأمثال هذا في القرآن كثير بل
 معظم آياته جارية على هذا النهج حتى انه لا تخلوا منه سورة من السور ولقد
 تصفحته فوجدته لا يكاد يخرج منه شيء عن السجع والموازنة (وأما ما جاء من
 هذا النوع شعرا فقول زهير بن ذؤابة

ان يقتلوك فقد ثلثت عروشهم * بعثية بن الحرث بن شهاب
 بأشدهم بأسا على أصحابه * وأعزهم فقدا على الأصحاب

فالبيت الثاني هو المختص بالموازنة فان بأسا وفقدا على وزن واحد (النوع
 السادس في اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها) وهو من هذه الصناعة بمنزلة علمية
 ومكانة شريفة وجل الالفاظ اللفظية منوطة به ولقد اقيمت جماعة من مدعي
 فن الفصاحة وفاوضتهم وفاوضوني وسألتهم وسألوني فما وجدت أحدا منهم تيقن
 معرفة هذا الموضع كما ينبغي وقد استخرجت فيه أشياء لم أسبق اليها وسبأني

اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها

ذكرها ههنا (أما اختلاف صيغة الافعال) فانه اذا نقلت من هيئة الى هيئة
 كنقلها مثلا من وزن من الاوزان الى وزن آخر وان كانت اللفظة واحدة
 أو كنقلها من صيغة الاسم الى صيغة الفعل أو من صيغة الفعل الى صيغة الاسم
 أو كنقلها من الماضي الى المستقبل أو من المستقبل الى الماضي أو من الواحد
 الى التثنية أو الى الجمع أو الى النسب أو الى غير ذلك انتقل قبجها صار حسنا
 وحسنها صار قبيحا (في ذلك) لفظه خود فانها عبارة عن المرأة الناعمة واذا نقلت
 الى صيغة الفعل قيل خود على وزن فعل بتشديد العين ومعناها أسرع يقال
 خود البهيرا اذا أسرع فهي على صيغة الاسم حسنة رائقة وقد وردت في النظم
 والنثر كثيرا واذا جاءت على صيغة الفعل لم تكن حسنة كقول أبي تمام
 والى بنى عبد الكريم نواهقت * ذلك النعام رأى الظلام ينفودا
 وهذا يقاس عليه أشباهه وأنظاره الآن هذه اللفظة التي هي خود قد نقلت
 عن الحقيقة الى المجاز تخف عنها ذلك القبح قليلا كقول بعض شعراء الحماسة
 أقول لنفسى حين خود رأها * رويدك لما تشقى حين مشفق
 رويدك حتى تنظري عم تنجلي * غياية هذا البارق المتألق
 والرأى النعام والمراد به ههنا أن نفسه فزت وفزعت وشبه ذلك بأسراع النعام
 في فراره وفزعه ولما أوردته على حكم المجاز تخف بعض القبح الذي على لفظه خود
 وهذا يدرك بالذوق الصحيح ولا خفاء بما بين هذه اللفظة في إيرادها ههنا وإيرادها
 في بيت أبي تمام فانها وردت في بيت أبي تمام قبيحة سجيئة ووردت ههنا بين
 (ومن هذا النوع) لفظه ودع وهي فعل ماض ثنائي لا ثقل بها على اللسان
 ومع ذلك فلا تستعمل على صيغتها الماضية الاجاءت غير مستحسنة ولا يمكنها
 تستعمل مستقبلة وعلى صيغة الامر فتجيب حسنة أما الامر فكذلك وله تعالى
 فدعهم يخوضوا ويلعبوا ولم تأت في القرآن الكريم الا على هذه الصيغة وأما
 كونها مستقبلة فكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد واصل في شهر رمضان
 فواصل معه قوم لومداني الشهر لو اواصلنا وصلا لا يدع له المتعمقون تعمقه هم
 وقال أبو الطيب المتنبي

يشقكم بفتاها كل سلوبة * والضرب بأخذ منكم فوق ما يدع

وأما الماضي من هذه اللفظة فلم يستعمل الا شاذوا لا حسن له كقول أبي

اعتباهية أثروا فلم يدخلوا قبورهم * شيا من الثروة التي جمعوا
 وكان ما قدموا لأنفسهم * أعظم نفعاً من الذي ودعوا
 وهذا غير حسن في الاستعمال ولا عليه من الملاحظة شيء وهذه لفظة واحدة لم يتغير
 من حالها شيء سوى أنها انقلت من الماضي إلى المستقبل لا غير . وكذلك لفظة وذو
 فأنهم لا تستعمل ماضية وتستعمل على صيغة الامر كقوله تعالى ذرهم يأكلوا
 ويقتعوا وتستعمل مستقبلية أيضاً كقوله تعالى سأصليه سقر وما أدراك ما سقر
 لا تبقى ولا تذر فهي لم ترد في القرآن إلا على هاتين الصيغتين وكذلك في فصيح
 الكلام غير القرآن وأما إذا جاءت على صيغة الماضي فأنها لا تستعمل وهي
 أقبح من لفظة ودع لأن لفظة ودع قد استعملت ماضية وهذه لم تستعمل وههنا
 فليتهم الخائضون في هذا الفن نظرهم ويعلموا أن في الزوايا خبايا وإذا أنعموا
 الفكر في أسرار اللفاظ عند الاستعمال وأغرقوا في الاعتبار والكشف
 وجدوا غرائب وهائب (ومن هذا النوع) لفظة الاخدع فأنها وردت في بيتين
 من الشعر وهي في أحدهما حسنة رائقة وفي الآخر ثقيلة مستكرهة كقول
 ابن الصمة عبد الله من شعراء الجعانية

تلفت نحو الخي حتى وجدتني * وجهت من الامضاء ليا وأخدعا
 (وكقول أبي تمام)

يأدر قوم من أخذ عيك فقد * أنجبت هذا الانام من خرقك
 ألا ترى أنه وجد له هذه اللفظة في بيت أبي تمام من الثقل على السمع والكراهة
 في النفس أضعاف ما وجد لها في بيت ابن الصمة عبد الله من الروح والخفة
 والليناس والبهجة وليس سبب ذلك إلا أنها جاءت موحدة في أحدهما مثناة
 في الآخر وكانت حسنة في حالة الأفراد مستكرهة في حالة التثنية والافعال لفظية
 واحدة وانما الاختلاف صيغتها فاعل بهما ترى (ومن هذا النوع) ألفاظ يعدل
 عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها ولا يستغنى في ذلك إلا الذوق
 السليم وهذا موضع عجيب لا يعلم كنه سره (فمن ذلك) لفظة اللب الذي هو العقل
 لا لفظة اللب الذي تحت القشر فأنها لا تحسن في الاستعمال إلا بمجموعة وكذلك
 وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وهي مجموعة ولم ترد مفردة كقوله
 تعالى وليتذكر أولو الألباب وإن في ذلك لذكرى لأولى الألباب وأشياء ذلك

وهذه اللفظة ثلاثية خفيفة على النطق ومخارجها بعيدة وايدت بمسئلة
ولامكروية وقد تستعمل مفردة بشرط أن تكون مضافة أو مضافاً اليها
أما كونها مضافاً اليها فكذلك ولنا لا يعلم ذلك الا ذولب وان في ذلك اعبرة لذى لب
وعليه ورد قول جرير

ان العيون التي في طرفها حور * قتلنا ثم لم يحيين قتلاً
يصر عن ذاللب حتى لا حرا ليه * وهن أضعف خلق الله أركاناً

وأما كونها مضافة فكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر النساء ما رأيت
ناقصات عقل ودين أذهب للباطل من احدكن ثيامن النساء فان كانت
هذه اللفظة عارية عن الجمع أو الاضافة فانها لا تأتي حسنة ولا تجد دليلاً على ذلك
الا مجرد الذوق الصحيح واذا تأملت القرآن الكريم ودققت النظر في رموزه
وأسراره وجدت مثل هذه اللفظة قد روي فيها الجمع دون الافراد كلفظة كوب
فانها وردت في القرآن مجموعة ولم ترد مفردة وهي وان لم تكن مستقبحة في حال
افرادها فان الجمع فيها أحسن لكن قد ترد مفردة مع ألفاظ أخر تدرج معها
فيكسوها ذلك حسناً ليس اها وذلك كقولي في جملة أبيات أحصف بها الخمر
وما يجري معها من آلتها

ثلاثة تعطى الفرح * كأس وكوب وقدح

ما ذبح الذوق بها * الا والله — تم ذبح

فلما وردت لفظة الكوب مع الكأس والمقدح على هذا الاسلوب حسنها وكانها
جلاها في غير لباسها الذي كان لها اذ جاءت مفردة (وكذلك وردت) لفظة
رجا بالقصر والرجا بالجاب فانها لم تستعمل موحدة وانما استعملت مجموعة
كقوله تعالى والمالك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فلما
وردت هذه اللفظة مجموعة البسم الجمع ثوباً من الحسن لم يكن لها في حال كونها
موحدة وقد تستعمل موحدة بشرط الاضافة كقولنا رجا البئر وربما أخطأ
بعض الناس في هذا الموضع وقاس عليه ما ليس بمقيس وذلك أنه وقف على
ما ذكرته هنا واقف فقال وكذلك قد وردت لفظة الصوف في القرآن الكريم
ولم ترد الا مجموعة كقوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتات تحفون بها
يوم نطعنكم ويوم أقامتكم ومن أصفاءها وأبارها وأشعارها أنا وامتاعا الى

بين وهذا بخلاف ما وردت عليه في شعر أبي تمام
 كانوا برود فمانيهم فتصدعوا * فكأنما النفس الزمان الصوفا
 وهذا ليس كالذي أنشئت اليه فان لفظة الصوف لفظة حسنة مفردة ومجموعة
 وانما أنزى به في قول أبي تمام أنها اجامت مجازية في نسبتها الى الزمان وعلى
 هذا التهج وردت لفظة خبروا خبا وفاق هذه اللفظة مجموعة أحسن منها مفردة
 ولم ترد في القرآن الا مجموعة (وفي صدد ذلك) ما ورد استعماله من الالفاظ
 مفردا ولم يرد مجموعا كلفظة الارض فانهم لم ترد في القرآن الا مفردة فاذا ذكرت
 السماء مجموعة تسمى بها مفردة معها في كل موضع من القرآن ولما أريد أن يؤتى
 بها مجموعة قيل ومن الارض مثلها في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات
 ومن الارض مثلها (ومما ورد) من الالفاظ مفردا فكان أحسن مما يرد
 مجموعا لفظة البقعة قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام فلما أتاهم نوادي
 من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله
 والاحسن استعمالها مفردة لا مجموعة وان استعمالها مجموعة فالاولى أن
 تكون مضافة كقولنا بقاع الارض أو ما جرى مجراها (وكذلك) لفظة طيف
 في ذكر طيف الانبياء فانهم لم تستعمل الا مفردة وقد استعمالها الشعراء قديما
 وحديثا فلم يأتوا بها الا مفردة لان جمعها جمع قبيح فاذا قيل طيوف كان من
 ألقب الالفاظ وأشدّها كراهة على السمع ويا لله العجب من هذه اللفظة ومن
 اختبأ عدة ووزنا وهي لفظة ضيف فانهم استعمالها مفردة ومجموعة وكلاهما
 في الاستعمال حسن رائق وهذا مما لا يعلم السرفقه والذوق السليم هو الحاكم
 في الفرق بين هاتين اللفظتين وما يجري مجراها (وأما جمع المصادر) فانه لا يبيح
 حسنها والافراد فيه هو الحسن (ومما) جاء في المصادر مجموعا قول عن ترة
 فان يبرأ فلم أنفث عليه * وان يفقد فحق له الفقود
 قوله الفقود جمع مصدر من قوائمه فقد فقد واستعمال مثل هذه اللفظة
 غير سائغ ولا لذيذ وان كان جائزا ونحو في استعمال ما استعماله من الالفاظ
 واقفون مع الحسن لامع الجواز وهذا كله يرجع الى حاكم الذوق السليم
 فان صاحب هذه الضناعة يصرف الالفاظ بضروب التصريف فما عذب في فقه
 منها استعماله وما لفظه فقه تركه ألا ترى أنه يقال الامة بالضم عبارة عن الجمع

اعتراض على صاحب الفصحى في ذكر النظم الامة في فيه

الكثير من الناس ويقال الامة بالكسرو هي النعمة فان الامة ياظم افظة
حسنة وبالكسر ليست بحسنة واسمها قبيح (ورأيت صاحب كتاب
الفصحى) قد ذكرها فيما اختاره من الالفاظ الفصيحة ويايت شعري ما الذي
رآه من فصاحتها حتى اختارها وكذلك قد اختار الالفاظا آخر ايت بفصيحة
ولا لوم عليه لان صدور مثل ذلك الكتاب عنه كثير واسم الالفصاحة لا تؤخذ
من علماء العربية وانما تؤخذ من كتبهم مسئلة نحوية أو تصريفية أو نقل كلمة
لغوية وما جرى هذا المجرى وأما أسرار الفصاحة فلها قوم مخصوصون بها اذا
شد عن صاحب كتاب الفصحى الالفاظ معدودة ليست بفصيحة في جملة كثيرة
ذكرها من الفصحى فان هذا منه كثير (ومما يذكر في هذا الباب) أنه يقال سهم
صائب فاذا جمع الجمع الحسن الذي يعذب في القم قيل سهام صواب وصاقيات
وصيب فاذا جمع الجمع الذي يقبح قيل سهام صيب على وزن كتب قال أبو نواس

ما أحل الله ما صنعت * عينه تلك العشيبة

قتلت انسانها كبدي * بسهام للردى صيب

فقوله سهام صيب من اللفظ الذي ينبوعه السمع ويحيد عنه اللسان ومثله ورد
قول عريف القوافي من أبيات الحماسة

ذهب الرقاد فاحس رقاد * مما شجالك ونامت العقواد

لما أتاني من عينة أنه * أنست عليه بظاهر أقياد

فقوله أقياد في جمع قيد مما لا يحسن استعماله بل الحسن أن يقال في جمعه
قيود وكذلك قول مرة بن محكان التميمي من أبيات الحماسة وذلك من جملة
الآيات المشهورة التي أولها

ياربة البيت قوي غير صاغرة * ضمي اليك رجال القوم والقريا

فقال فيها

ماذا ترين أئدنيهم لا رحلنا * في جانب البيت أم تبني لهم قريبا

فانه جمع قبة على قبيب وذلك من المشتبشع الكريه والاحسن المستعمل هو
قباب لا قبيب وكذلك يجري الامر في غير هذا (ومن المجموع) ما يختلف
استعماله وان كان متفقا في لفظة واحدة كالعين الناظرة وعين الناس وهو
الغيبه فيهم فان العين الناظرة تجمع على عيون وعين الناس تجمع على أعيان

وهذا يرجع فيه الى الاستحسان لاني جازي لوضع اللغوي وقد شد هذا الموضع
عن أبي الطيب المتنبي في قوله

والقوم في أعيانهم خزر * والخيل في أعيانهم اقبل

فجمع العين الناظرة على أعيان وكان الذوق يابى ذلك ولا تجبده على اللسان
حالا وان كان جائزا ولولا خوف الاطالة لاوردت من هذا النوع وأمثاله
أشياء كثيرة وكشفت عن رموز وأسرار تخفى على كثير من متعاطي هذا الفن
لكن في الذي أشرت اليه منبه لأهل الفطنة والذكاء أن يحمله على أشياء
وأناظره (وأعجب من ذلك كله) أنك ترى وزنا واحدا من الالفاظ فتارة تجدد
مفرده حسنا وتارة تجرده حسنا وتارة تجرده ما جميعا حسنين قالوا
نحو جبرور وهو فرخ الحباري فان هذه اللفظة يحسن مفردا لا بجمعها لان
جمعها على حبارير وكذلك طنبور وطنابير وعرقوب وعراقيب وأما
الثاني فتصويب لول وبها يبل وله موم وله اميم وهذا ضد الاول وأما الثالث
فتصويجه وروجه امير وعرجون وعراجين فانظر الى الوزن الواحد كيف
يختلف في أحواله مفردا وجموعا وهذا من أعجب ما يجيء في هذا الباب
(وهكذا قد جاءت الالفاظ) على وزن واحد ثلاثية مسكنة الوسط وجميعها حسن
في الاستعمال واذا أردنا أن نثقل وسطها حسن منها شيء دون شيء (فمن ذلك)
اللفظة الثلث والرابع الى العشر فان الجميع على وزن واحد واذا ثقلنا أو ساطها
فقلنا ثلث ورابع وخمس وكذلك الى عشر فان الحسن من ذلك جميعه ثلاثة وهي
الثلث والخمس والسادس والباقي وهو الرابع والسبع والثن والتسع والعشر
ليس كالاول في حسنه هذا والجميع على وزن واحد وصيغة واحدة والجميع
حسن في الاستعمال قبل أن يثقل وسطه ولا ثقل صار بعضه حسنا وبعضه
غير حسن وهكذا تجد الامر في أسماء الفاعلين كالثلاثي منها نحو فاعل
بفتح الفاء والعين وفعل بفتح الفاء وكسر العين وفعل بفتح الفاء وضم العين
فان هذه الاوزان الثلاثة كلها أسماء فاعلين أما فاعل بفتح الفاء والعين
فليس له الاسم واحد أيضا وهو فاعل لا غير ولا يقع فيه اختلاف وكذلك
فعل بفتح الفاء وضم العين فليس له الاسم واحد أيضا وهو فاعل ولا يقع فيه
اختلاف الا ما شذوا من فعل بفتح الفاء وكسر العين يقع في اسم فاعله

الاختلاف استحسانا واستقباحا لأن له ثلاثة أوزان نحو فاعل وفعل وفعلان
تقول منه حمد فهو حامد وحمد وحمدان وقد جاء على وزنه فرح تقول منه فرح
زيد فهو فرح وهو الاحسن ولا يحسن أن يقال فارح ولا فرحان وإن كان جائزا
لكن فرحان أحسن من فارح وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم
فلا تستعمل الاعلى فرح لا غير كقوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون وكقوله
تعالى إن الله لا يحب الفرحين وقد جاءت هذه اللفظة في شعر بعض شعراء
الحجاسة في باب المراتي

فما أنا من حزن وإن جل جازع * ولا يسرور بعد موتك فارح
وهذا غير حسن وإن جاز استعمله وعلى نحو منه يقال غضب وهو غضبان
ولا يقال غاضب وإن كان جائزا وقد تقدم القول أنا في تأليف الكلام بصدد
استعمال الحسن والاحسن لا بصدد استعمال الجائز وغير الجائز (وعما يجري
هذا المجرى) فوالله ما فعل واقتل فان لفظه فعل لها موضع تستعمل فيه ألا ترى
أنتك تقول قعدت إلى فلان أحسنه ولا تقول اقعدت إليه وكذلك تقول
اقعدت غارب الجبل ولا تقول قعدت على غارب الجبل وإن جاز ذلك لكن
الأول أحسن وهذا لا يحكم فيه غير الذوق السليم فانه لا يمكن أن يقام عليه
دليل (وأما فعل وافعل) فإنا نقول أعشب المكان فإذا كثر عشبها قلنا
اعشوشب فلفظة افعل للتعكير على أني استعربت هذه اللفظة في كثير
من الالفاظ فوجدتها عذبة طيبة على تكرار حروفها كقولنا اعشوشب
المكان واغرو رقت العيون والولى الطعم وأشباهاها (وأما فعله) فهو حمزة
ولمزة وجملة ونومة ولسكنة ولحنة وأشياء ذلك فالغالب على هذه اللفظة أن
تكون حسنة وهذا أخذته بالاستعارة وفي اللغة مواضع كثيرة ~~هههه~~ كذا
لا يمكن استقصاؤها فانظر إلى ما يفعله اختلاف الصيغة بالالفاظ وعليك
أن تتفقد أمثال هذه المواضع لتعلم كيف تضع يدك في استعمالها فكثيرا ما يقع
في قول الشعراء والخطباء في مثلها ومواف الكلام من كاتب وشاعر إذا مرت به
الفاظ عرضها على ذوقه الصحيح فما يجد الحسن منها موحدا وحده وما يجد
الحسن منها مجوعا جمعه وكذلك يجري الحكم فيما سوى ذلك من الالفاظ
(النوع السابع في المعاطلة اللفظية) والمعاطلة معاطلة ان لفظية ومعنوية

(أما المعنوية) فبما أتى ذكرها في باب التقديم والتأخير من المقالة الثانية قليلاً وخذ من هناك (وأما المعاطلة اللفظية) وهي المخصوصة بالذكر ههنا في باب صناعة الالفاظ وحقيقتها مأخوذة من قوله -م تعاطلت الجرادتان إذا ركبت أحدهما الأخرى- فسمى الكلام المتراكب في ألفاظه أو في معانيه المعاطلة مأخوذاً من ذلك وهو اسم لا تقي بهما ووصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه زهير بن أبي سلمى فقال كان لا يعاقل بين الكلام (وقد اختلف علماء البيان في حقيقة المعاطلة) فقال قدامة بن جعفر الكاتب المتعاطل في الكلام هو أن يدخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه ولا أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة كقول أوس بن حجر

وذات هدم عارنوا شرها * نصمت بالماء نولاً جديداً

فسمى الظبي نولاً والتولب ولد الحمار هذا ما ذكره قدامة بن جعفر وهو خطأ إذ لو كان ما ذهب إليه صواباً لكانت حقيقة المعاطلة دخول الكلام فيما ليس من جنسه وليست حقيقتها هذه بل حقيقتها ما تقدم وهو التراكب من قوله -م تعاطلت الجرادتان إذا ركبت أحدهما الأخرى- وهذا المثال الذي مثل به قدامة لا تركب في ألفاظه ولا في معانيه (وأما) غير قدامة فإنه خالفه فيما ذهب إليه إلا أنه لم يقسم المعاطلة إلى لفظية ومعنوية ولكنه ضرب إياها مثلاً كقول الفرزدق وما مثله في الناس إلا ملكا * أبو أمه حي أبو به يقاربه وهذا من القسم المعنوي لأن القسم اللفظي ألا ترى إلى تراكب معانيه بتقديم ما كان يجب تأخيره وتأخير ما كان يجب تقديمه لأن الأصل في معناه وما مثله في الناس حي يقاربه إلا ملكا أبو أمه أبوه وسيجيئ شرح ذلك مستوفى في باب من المقالة الثانية إن شاء الله تعالى * وإذا حققت القول في بيان المعاطلة والكشف عن حقيقتها فاني أتبع ذلك بتقسيم القسم اللفظي منها الذي أنا بصدد ذكره ههنا (فأقول) اني تأملت بالاستقراء من الأشعار قديماً ومحدثاً ومن النظر في حقيقتها نفسها فوجدتها تنقسم إلى خمسة أقسام (الأول منها) يختص بأدوات الكلام نحو من وإلى وعن وعلى وأشباهها فان منها ما يسهل النطق به إذا ورد مع أخواته ومنها ما لا يسهل بل يرد ثقيل على اللسان ولكل موضع يخصه من اليبك (فما جاء منه) قول أبي تمام

الى خالد راحت بنا ارسبية • مرافقها من عن كرا كرها نكس
 فقوله من عن **كرا كرها** من الكلام المتعاطل الذي ينقل النطق به على أنه
 قد وردت هاتان اللفظتان وهما من وعن في موضع آخر فلم ينقل النطق به **جما**
كقول القائل من عن عین الطريق والسبب في ذلك أنهم ما وردتافي بيت
 أبي تمام مضافتين الى لفظة الكرا كرفنقلت منهما وجعلتهما مكروهتين كما ترى
 والافقه قد وردتافي شعر قطري بن النخاعة فيكاتبكاتبتيقتين كقوله
 واقعد أرائي للزماح دريشة • من عن عيني مرة وأما
 والاصل في ذلك راجع الى السبب فاذاسبكت هاتان اللفظتان أو مايجري
 مجراهما مع اللفاظ تسهل منهما لم يكن جمعا من ثقل كما جاءتافي بيت قطري وإذا
 سببكلام اللفاظ ثقل منها جاءتا كما جاءتافي بيت أبي تمام (ومن هذا القسم)
 قول أبي تمام أيضا

كأنه لاجتماع الروح فيه • في كل جارية من جسمه روح
 فقوله في بعد قوله فيه لهما لا يحسن وروده وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي
 وتعدني في غمرة بعد غمرة • سبوح إلهامنها عليها شواهد
 فقوله إلهامنها عليها من الثقل الثقيل الثقيل وكذلك قوله
 تبيت وفودهم تسرى اليه • وجدوا التي سألوها اغتفار
 تخلفهم برد البيض عنهم • وهامهم له معهم معار
 وقوله وهامهم له معهم مما يشغل النطق به ويتعثر اللسان فيه لكنه أقرب حال من
 الاول ومن الحسن في هذا الموضع قول أبي تمام
 دار أجل الهوى عن أن ألم بها • في الركب الاوعيني من منائحها
 فقوله عن أن في هذا البيت من الخفيف الحسن الذي لا بأس به (القسم الثاني
 من المعاطلة اللفظية) يختص بتكرير الحروف وليس ذلك مما يعلق بتكرير
 الالفاظ ولا بتكرير المعاني مما يأتي ذكره في باب التكرير في المقالة الثانية
 وانما هو تكرير حرف واحد أو حرفين في كل لفظة من ألفاظ الكلام المنثور
 أو المنظوم فيثقل حينئذ النطق به (فمن ذلك) قول بعضهم
 وقبر حرب بمكان قفسر • وليس قرب قبر حرب قبر
 فهذه الصافات والراآت كأنها في تسابعها سلسلة ولاخفاء بما في ذلك من الثقل

وكذا ورد قول الحريري في مقاماته

وازور من كان له زائرا * وعاف عافى العرف عرفانه

فقوله وعاف عافى العرف عرفانه من التكرير المشار اليه وكذلك ورد قوله أيضا في رسالته اللتين صاغهما على حرفي السين والشين فإنه أتى في أحدهما بالسين في كل لفظة من ألفاظها وأتى في الأخرى بالشين في كل لفظة من ألفاظها الخاء تا صكأنهم مارقى العقارب أو خذروقة العزائم وما أعلم كيف خفي ما فيه وما من القبح على مثل الحريري مع معرفته بالبيد والردىء من الكلام (ويحكي) عن بعض الوعاظ أنه قال في جملة كلام أورده جنى جنات وجنات الحبيب فصاح وجعل من الحاضرين في المجلس ومادوتغاشي فقال له رجل كان إلى جانبه ما الذي سمعت حتى حدث بك هذا فقال سمعت جيماني جيم في جيم فصمت وهذا من أقبح عيوب الألفاظ (ومما جاء منه) قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته التي مطلعها * أترأها لكثرة العشاق

كيف ترى التي ترى كل جفن * راءها غير جفنها غير راق

وهذا وأمثاله إنما يعرض لقائله في نوبة الصرخ التي تنوب في بعض الأيام (ومن هذا القسم) قول الشاعر المعروف بكشاجم في قصيدته التي مطلعها داوئماري بكاس نجر

والزهر والقطر في ربها * ما بين نظم وبين نثر

حدائق كف كل ريح * حل بها خيط كل قطر

وهذا البيت يحتاج الناطق به إلى بركار يضعه في شدقه حتى يديره وعلى هذا الأسلوب ورد قول بعضهم وهو البيت المشهور الذي يتذاكره الناس مللت مطال مولود مقدي * ملج مانع مني مرادي

وهذه الميمات كأنها مقدمة متصلة بعضها ببعض (وكان بعض أهل الأدب) من أهل مصرنا هذا يستعمل هذا القسم في ألفاظه كثيرا في كلامه نثرا ونظما وذلك لعدم معرفته بسلوك الطريق (وأنا أذكر نبذة من ذلك) كقوله في وصف رجل مضى أنت المديح كبد اترجح والمليح ان يجهم المليح بالتكليم عند سائل تلوح بل يفوق اذ يروق مرأى لوح يا مغبوق كاس الحمد يا مصبوح شاق عن نذالك اللوح ويساك المفتوح تستريح وترجح ذالته برجح وترفه

الطليح فانظر الى حرف الحاء كيف قد لزمه في كل لفظة من هذه الالفاظ فجاء
 كما تراهم من الثقل والغثاثة (واعلم) أن العرب الذين هم الاصل في هذه اللغة
 قد عدلوا عن تكرير الحروف في كثير من كلامهم وذلك أنه اذا تكرر الحرف
 عندهم أدغموه استجاءا فقلوا في جعل لك جعلك وفي تضربون في تضربون
 وكذلك قالوا استعذ فلان لا امر اذا تأهب له والاصل فيه استعذ واستعذب
 الامر اذا تأهب والاصل فيه استتيب وأشبه ذلك كثير في كلامهم حتى انهم
 استعدوا كراهتهم لتكرير الحروف أبدلوا أحدهما بالحرفين المكررين حرفا آخر
 غيره فقلوا أمليت الكتاب والاصل فيه أمليت فأبدلوا اللام بياء طلبا للخفض
 وفرارا من الثقل واذا كان قد فعلوا ذلك في اللفظة الواحدة فما ظنك بالالفاظ
 الكثيرة التي يتبع بعضها بعضا (القسم الثالث من المعاطلة) أن ترد الفاظ
 على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضا فبما يختلف بين ماض ومستقبل ومنها
 ما لا يختلف فالقول كقول القاضي الارجاني في آيات يصف فيها الشععة
 وفيها معنى هو له مبتدع ولم يسمع من غيره وذلك أنه قال عن لسان الشيخ أنه
 ألف العسل وهو أخوه الذي ربي معه في بيت واحد وان النار فترقت بينه وبينه
 وأنه نذر أن يقتل نفسه بالنار أيضا من ألم الفراق الا أنه أساء العبارة فقال
 بالنار فترقت الحوادث بيننا * وبها نذرت أعودا قبل روي
 فقوله نذرت أعودا من المعاطلة المشار اليها وأما ما يرد على نهج واحد من
 الصيغة الفعلية فكقول أبي الطيب المتنبي

أقل أنل أقطع اجل على سل أعد * زدهش يش تفضل أدن سر وصل
 فهذه الفاظ جاءت على صيغة واحدة وهي صيغة الامر كأنه قال افعل افعل
 هكذا الى آخر البيت وهذا تكرير للصيغة وأن لم يكن تكرير للحروف الا أنه
 أخوه ولا أقول ابن عمه وهذه الفاظ متراكبة متداخلة ولو عطفها بالواو
 لكانت أقرب حالا كما قال عبد السلام بن رعبان

فسد الناس فاطلب الرزق بالسيف والانت شديد الهزال
 اجل وامر وضر وانفع وان واخشى وأبرم انتدب للمعالي
 ألا ترى أنه لما عطف ههنا بالواو لم تتراكب الفاظ كثيرا كما في بيت أبي الطيب
 المتقدم ذكره (فان قيل) انك جعلت ما كان واردا على صيغة واحدة على سبيل

التكرار معاملة له وقد ورد ذلك في القرآن الكريم كقوله تعالى فإذا انسح
 الا شهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم
 واقعدوا اليهم كل مرصد ولو كان معاملة لما ورد في القرآن الكريم مثله
 (فالجواب عن ذلك) أني أقول هذه الآية ليست كالذي أنكرته فإن هذا الموضع
 ينظر فيه إلى الكثير والقليل فإذا أكثر كان معاملة لا ترا كبه وثقة على النطق
 وقد عرفت أن ما يفصل بين صغبه يواو العطف يكون أقل ثقلا عما لا يفصل
 والذي أنكرته من ذلك هو أن تأتي ألفاظ مكررة على صيغة واحدة كأنها عقد
 متصلة فينتدبثقل النطق بها ويكره موقعها من السمع كبيت أبي الطيب المتقي
 وأما هذه الآية المشار إليها فإنها خارجة عن هذا الحكم ألا ترى أنها ما وردت
 ألفاظها على صيغة واحدة فترق بينها يواو العطف ثم مع التفريق بينها يواو
 العطف لم يرد التكرير فيها إلا بين ثنتين وهما خذوهم واحصروهم وأما
 الصيغة الأولى فإنها أضيف إليها كلام آخر فثقل اقترالوا المشركين حيث
 وجدتموهم ولم يقل اقتلوا المشركين وخذوهم ثم لما جاءت الصيغة الرابعة
 أضيف إليها كلام آخر أيضا فثقل واقعدوا اليهم كل مرصد لاجرم أن الآية
 جاءت غير ثقل على النطق مع توارده صيغة الأمر فيها أربع مرار وهذه
 رموز ينبغي أن يتنبه لها في استعمال الألفاظ إذا جاءت هكذا (القسم الرابع
 من المعاملة) وهو الذي يتضمن مضافات كثيرة كقولهم سرج فرس غلام زيد
 وإن زيد على ذلك قيل لبدمرج فرس غلام زيد وهذا أشد ثقلًا وأثقل على
 اللسان وعليه ورد قول ابن بابك الشاعر في مفتتح قصيدته

سامة جراحومة الجندل اسبحي * فأنت برأى من سعاد ومسمي
 (القسم الخامس من المعاملة) أن ترد صفات متعددة على نحو واحد كقول أبي
 تمام في قصيدته التي مطلعها * ما الكتيب الحبي إلى عقده * فقال يصف بجلا
 سأخرق الخدرق بيا بن خرقاء كالمهيق إذا ما استعتم من نجده
 مقابل في الجديل صلب القرى * لوحك من عجبته إلى كتده
 تامكه نه سده سداخله * ملومه محزله أجده
 فالبيت الثالث من المعاملة التي قلع الاسنان دون إرادها وكذلك قال من هذه
 القصيدة يصف رجلا

ومرته فوذوا بتمامه على • أسمر من يوم الوغى بحسبه
 مارته لانه مثقفه • عراصة في الاكف مطردة
 وهذا كالأول في قصته وثقله ثقالة الله ما أمثنت شعره وما أسخفه في بعض
 الاحوال وعلى هذا جاء من هذه القصيدة أيضا يصف الممدوح
 اليك عن سيل عارض خضل الشؤبوب بأقى الحمام من نضده
 مسفه ثرته مسجحه • والله تم له جوده
 ولولم يكن لأبي تمام من القبيح الشنيع الا هذه الابيات لمطت من قدره وعلى
 هذا ورد قول أبي الطيب المتنبي

دان بعيد محب مبغض تهج • أغر حلو ممزلق شر من
 ندأبى غرواف أخى ثقة • بعد سريته غيب رضى ندس

وهذا كأنه سلسلة بلا شك وقليل لا ما يوجد في أشعار الشعراء ولم أجده كثيرا
 الا في شعر الفرزدق وتلك معاملة معنوية وسبأني بها في بابها وهذه معاملة
 لفظية وهي توجد في شعر أبي الطيب كثيرا (النوع الثامن في المناظرة بين الالفاظ
 في البيت) وهذا النوع لم يهتق أحد من علماء البيان القول فيه وغاية ما يقال
 انه ينبغي أن لا تكون الالفاظ نافرة عن مواضعها ثم يكتب في هذا القول من غير
 بيان ولا تفصيل حتى انه قد خلط هذا النوع بالمعاملة وكل منهما نوع مفرد
 برأسه له حقيقة تخصه الا أنهم ما قد اشتبهوا على علماء البيان فكيف على جاهل لا يعلم
 (وقد بينت) هذا النوع وفصلته عن المعاملة وضربت له أمثلة يستدل بها على
 أخواتها وما يجري مجراها وجملة الامثلة من مدارسك الالفاظ على هذا النوع
 والذي قبله دون غيرهما من تلك الانواع المذكورة لان هذين النوعين أصلان
 الالفاظ وما عداها ما فرع عليهما واذ لم يكن النثر أو النظم عارفا به ما كان
 مقالة تباد وكثيرا (وحقيقة هذا النوع) الذي هو المناظرة أن يذكر لفظ أو الالفاظ
 يكون غيرها مما هو في معناها أولى بالذكر وعلى هذا فان الفرق بينه وبين
 المعاملة انه أن المعاملة هي التراكم والتداخل اما في الالفاظ أو في المعاني على
 ما أشرت اليه وهذا النوع لا تراكم فيه وانما هو ان يراد الالفاظ غير لائحة
 بوضعها الذي ترد فيه (وهو ينقسم قسمين) أحدهما يوجد في اللفظة الواحدة
 والاخر في الالفاظ المتعددة فاما الذي يوجد في اللفظة الواحدة فانه اذا ورد

في الكلام أمكن تبديله بغيره مما هو في معناه سواء كان ذلك الكلام نثرا أو تعاملا
وأما الذي يوجد في الالفاظ المتمددة فإنه لا يمكن تبديله بغيره في الشعر بل يمكن ذلك
في النثر خاصة لأنه يعسر في الشعر من أجل الوزن فمما جاء من القسم الأول قول
أبي الطيب المتنبي فلا يبرم الامر الذي هو حال * ولا يحال الامر الذي هو يبرم
فلفظة حال نافية عن وضعها وكانت له مندوحة عنها لأنه لو استعمل عوضا
عنها لفظه ناقض فقال

فلا يبرم الامر الذي هو ناقض * ولا ينقض الامر الذي هو يبرم
لجاءت اللفظة قارة في مكانها غير قلقة ولا نافية (وبلغنى) عن أبي العلاء
ابن سليمان المعري أنه كان يتعصب لأبي الطيب حتى أنه كان يسميه الشاعر
ويسمى غيره من الشعراء باسمه وكان يقول ليس في شعره لفظة ~~ي~~ يمكن أن يقوم
عنها ما هو في معناها فيجى حسنا مثلها في البيت شعري أما وقف على هذا
البيت المشار إليه ليكن الهوى كما يقال أعمى وكان أبو العلاء أعمى العين
خالقة وأعمالها عصبية فاجتمع له العمى من جهتين وهذه اللفظة التي هي حال
وما يجرى مجراها بقبية الاستعمال وهي فك الادغام في الفعل الثلاثي
ونقله الى اسم الفاعل وعلى هذا فلا يحسن أن يقال بل الثوب فهو بال ولا
سل السيف فهو سأل ولا أن يقال هم بالامر فهو هام ولا خط الكتاب
فهو خاطط ولا حتى الى كذا فهو حانن وهذا لو عرض على من لا ذوق له لا دركه
وفهمه فكيف من له ذوق صحيح كأبي الطيب لكن لا بد لكل جواد من كبوة
وأشد بعض الادباء يتألمد على وهو

شفيحك فاشكر في الحوائج انه * يصونك عن مكروهها وهو يخلق
وقلت له عجز هذا البيت حسن وأما صدره فقصيح لأنه سبكه قلقا نافرا وتلك الفاء
التي في قوله شفيحك فاشكر كأنها ركة البعير وهي في زيادتها كزيادة الكرش
فقال لهذه الفاء في كتاب الله أشباه كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر
وثيابك فطهر فقلت له بين هذه الفاء وتلك الفاء فرق ظاهر يدركه بالعلم أولا
وبالذوق ثانيا أما العلم فإن الفاء في وربك فكبر وثيابك فطهر فهي الفاء العاطفة
فأنها واردة بعد قم فأنذر وهي مثل قولك امش فأسرع وقل فأبلغ وليست الفاء
التي في شفيحك فاشكر كهذه الفاء لأن ثلاث زائدة لا موضع لها ولو جاءت

رد على أبي العلاء المعري

في السورة كما جاءت في قول دعبل وحاش لله من ذلك لا بتدئ الكلام فقيل ربك
فكبر وثيابك فطهر لكنها لما جاءت بعد قم فأنذر حسن ذكرها فيما يأتي بعدها من
وربك فكبر وثيابك فطهر وأما الذوق فإنه ينبوع الفاء الواردة في قول دعبل
ويستثناها ولا يوجد ذلك في الفاء الواردة في السورة فلما سمع ما ذكرته أذن
بالتسليم ومثل هذه الدقائق التي ترد في الكلام نظما كان أو نثرا لا يقطعن إياها إلا
الرايح في علم الفصاحة والبلاغة (ومن هذا القسم) وصل همزة القطع وهو
محبوب من جائزات الشعر التي لا تجوز في الكلام المنثور وكذلك قطع همزة
الوصل لكن وصل همزة القطع أقبح لأنه أثقل على اللسان (فما ورد من ذلك)
قول أبي تمام

قراني اللهات والود حتى كأنما * أفاد الغنى من نائي وفرايدي

فأصبح يلقي الزمان من أجله * بأعظامه ولودورأفة والد

فقوله من أجله وصل همزة القطع وعليه ورد قول أبي الطيب المتنبي

نوسطه المفاوز كل يوم * طلاب العالمين لا الانتظار

فقوله لا الانتظار كلام نافر عن موضعه (ومن هذا القسم) أن يفرق بين

الموصوف والصفة بضمير من تقدم ذكره كقول البحري

حلفت لها بالله يوم التفرق * وبألوجد من قلبي بها المتعلق

تقديره من قلبي المتعلق بها فلما فصل بين الموصوف الذي هو قلبي والصفة التي هي

المتعلق بالضمير الذي هو به أقبح ذلك ولو كان قال من قلب بها متعلق لزال ذلك

القبح وذهبت تلك الهجنة (ومن هذا القسم أيضا) أن تزداد الالف واللام في

اسم الفاعل ويقام الضمير فيه مقام المفعول كقول أبي تمام

فلوعايتهم والزائرهم * لما مزت البعيد من الحميم

فقوله الزائرهم اسم فاعل وقوله هم الذي هو الضمير في موضع المفعول تقديره

الزائرين أرضهم أودارهم أو الزائرين إياهم فاستعمال هذا مع الالف واللام

قبيح جدا وإذا حذف زال ذلك القبح وقد استعملها الشعراء المتقدمون كثيرا

(ومما جاء من القسم الثاني) الذي يوجد في الألفاظ المتعددة قول أبي الطيب

أيضا

لاخلق أكرم منك الاعارف * بكراء نفسك لم يقل لك هاتما

قرأ ورش من أجل ذلك كتبنا وهذا كالميت من باب الال لا الوصل والبيت بعد همزة وصل لا يقطع

فان ههنا البيت نافر عن مواضعه وأمثال هذا في الاشعار كثير

(المقالة الثانية في الصناعة المعنوية)

وهي تنقسم قسمين الاول منها في الكلام على المسماني مجمل والشاني في الكلام عليها مفصلا وقبل الكلام على ذلك لابد من توطئة تكون شاملة لما نحن بصدد ذكره ههنا فأقول اعلم أن المعاني الخطائية قد حصرت أصولها وأول من تكلم في ذلك حكماء اليونان غير أن ذلك الحصر كلّي لا جزئي ومحال أن تحصر جزئيات المعاني وما يفرع عليها من التفريعات التي لانهاية لها لا جرم أن ذلك الحصر لا يستفيد من رفته صاحب هذا العلم ولا يستقر عليه فان البدوي البادي راعي الابل ما كان يترشئ من ذلك بفهمه ولا يخطر بباله ومع هذا فانه كان يأتي بالسحر الحلال ان قال شعرا أو تكلم نثرا (فان قيل) ان ذلك البدوي كان له ذلك طبعاً وخليفة والله فطره عليه كما فطر ضر وب نوع الآدمي على فطر مختلفة هي لهم في أصل الخلقة فانه فطر الترك على الاحسان في الرمي والاصابة فبه من غير تعليم وكذلك فطر أهل الصين على الاحسان في صنعة اليد فيما يباشرونه من مصوغ أو خشب أو فخار أو غير ذلك وكذلك فطر أهل المغرب على الشجاعة وهذا الانزع فيه فانه مشاهد (فالجواب عن ذلك) أني أقول ان سلمت اليك أن الشهر والخطابة كانا لأعرب بالطبع والقطرة فاذا تقول فيمن جاء بعدهم من شاعر وخطيب تحذروا وسكروا البالد ولم يروا البادية ولا خلقوا بها وقد أجادوا في تأليف النظم والشعر وجاءوا بعسان كثيرة ما جاءت في شعر العرب ولا نطقوا بها (فان قلت) ان هؤلاء وقصوا على ما ذكره علماء اليونان وتعلموا منه (قلت لك في الجواب) هذا شيء لم يكن ولا علم أبونواس شيئاً منه ولا مسلم بن الوائد ولا أبو تمام ولا البحتري ولا أبو الطيب المتنبي ولا غيرهم وكذلك جرى الحسبكم في أهل الكتابة كعبد الحميد وابن العميد والصابي وغيرهم فان ادعيت أن هؤلاء تعلموا ذلك من كتب علماء اليونان قلت لك في الجواب هذا باطل بي أنا فاني لم أعلم شيئاً مما ذكره حكماء اليونان ولا عرفته ومع هذا فأنظر الى كلامي فقد أوردت لك نبذة منه في هذا الكتاب واذا وقفت على رسائلي ومكتباتي وهي عدة مجلدات وعرفت أني لم أتعرض لشيء مما ذكره حكماء اليونان في حصر المعاني علمت حينئذ أن صاحب هذا العلم من النظم والشعر بنجوة من ذلك كله وأنه لا يحتاج اليه أبداً وفي كتابي

هذا ما يفتن بك وهو كاف (ولقد فاضني بعض المتفلسفين في هذا) وانساق الكلام
الى شيء ذكره لابي علي بن سينا في الخطابة والشعر وذكر ضربا من ضروب الشعر
اليوناني يسمى اللاغوزيا وقام فأحضر كتاب الشفاء لابي علي فوقفني على
ما ذكره فلما وقفت عليه استجبهت له فانه طول فيه وعرض كانه يخاطب بعض
اليونان وكل الذي ذكره اغلو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا
ثم مع هذا جميعه فان معقول القوم فيما يذكر من الكلام الخطابي أنه يورد على
مقدمتين ونتيجة وهذا مما لم يحط لابي علي بن سينا ببال قياسا على من شعر
أو كلام مسجوع فان له شيئا من ذلك في كلامه وعند افاضته في صوغ ما صاغه
لم تحط بالمقدمتان والنتيجة له ببال ولو أنه أفكر أو لا في المقدمتين والنتيجة ثم أتى
بنظم أو ثمر بعد ذلك لما أتى بشيء يتفجع به ولطال الخطب عليه بل أقول شيئا
آخر وهو أن اليونان أنفسهم لما نظموا ما نظموه من أشعارهم لم ينظموه في وقت
نظمه وعندهم فكرة في مقدمتين ونتيجة وانما هذه أوضاع توضع ويطول بها
مصنفات كتبهم في الخطابة والشعر وهي كما يقال تعاقب ليس لها طائل كأنها شعر
الايوردي وحيث أوردت هذه المقدمة قبل الخوض في تقسيم المعاني فاني
راجع الى شرح ما أجدته فأقول (أما القسم الاول) فان المعاني فيه على
ضربين أحدهما يتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدي فيه بمن سبقه وهذا
الضرب ربما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ويتنبه له عند الامور الطارئة
ولنشر في هذا الموضع الى سدة تكون مثالا للمتوهم لهذه الصناعة (فن ذلك)
ما ورد في شعر أبي تمام في وصف مصليين

بكررو وأسروا في متون ضوامر * قيدت لهم من مربوط النجار

لا يبرحون ومن رآهم خالهم * أبدا على سفر من الاسفار

وهذا المعنى مما يكثر عليه عند الحوادث المتجددة والطارئة في مثل هذا المقام
ينساق الى المعنى المخترع عن غير كبير كافة لشاهد الحال الحاضرة (وكذلك) قال
في هذه التصديدة في صفة من أحرق بالنار

ما زال سر الكفر بين خلوعه * حتى اصطلى سر الزناد الواري

فأربس اور جسمه من حرها * لهب كجاءه فحرق شق ازار

طارت لها شعل يهدم لقعها * أركانه هدم ما في غير غبار

المعاني المتبدلة من غير أن يقتدي فيها بشيء

فصل منه كل مجمع مفصل * وفعلن فاقسرة بكل فقار
 مشبوبة رفعت لاعظام مشرك * ما كان يرفع ضوأها للباري
 ضلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار
 وهذا ما يعين على استخراج المعاني فيه شاهد الحال (وقد ذيل البحري) على
 ما ذكره أبو تمام في وصف المصابين فقال

هكم - زير أباده فغدا يركب عودا مركبا في عود
 أسلمته الى الرقاد رجال * لم يكونوا من وترهم برقود
 تحسد الطير فيه صنع البوادي * وهو في غير حالة المحسود
 غاب عن صحبه فلا هو موجود لديهم وليس بالقود
 وكان امتداد كفيه فوق الجذع في محفل الردى المشهود
 طائر مدمستريحنا حيث استراحات متعب مكدود
 أخطب الناس راكبا فاذا أرجل خاطبت منه عين البليد

وهذه أبيات حسنة قد استوعبت أقسام هذا المعنى المقصود الآن فيها معنى
 مأخوذ من شعر مسلم بن الوليد الانصاري وهو قوله

نصبت حيث ترتاب الرياح به * وتحسد الطير فيه أضبع البليد
ليكن البحري زاد في ذلك زيادة حسنة وهي قوله وهو في غير حالة المحسود
 (ومن هذا الضرب) ما جاء في شعر أبي الطيب المتنبي في وصفه الحمى وهو قوله
 وزائرني كأن بها حياء * فليس تزور الا في الظلام
 بذات لها المطارف والحشايا * فعافتها وبانت في عظامي
 كأن الصبح يطردها فتجري * مدا معها بأربعة سهام
 أراقب وقتها من غير شوق * مراقبة المشوق المستهام
 وقد شرح أبو الطيب بهذه الأبيات حاله مع الحمى (ومن بديع ما أتى به في هذا
 الموضع) أن سيف الدولة بن سنان كان مخيما بأرض ديار بكر على مدينة
 ميا فارقين فعصفت الرياح بخيمته فتطير الناس لذلك وقالوا فيه أقوالا خدحه أبو
 الطيب بقصيدة يمتدح فيها عن سقوط الخيمة أولها * أينفع في الخيمة العذل * فنه
 ما أحسن فيه كل الاحسان وهو قوله

تضيق بشخصك أرجاؤها * ويركض في الواحدا الخفل

وتقصر ما كنت في جوفها * وترك فيها القنا الذبيل
وكيف تقوم على راحة * كان البصار لها أغمل
فليت وتارك فترقه * وحملت أرضك ما تحمل
فصار الانام به سادة * وسدتهم وبالذي يفضل
رأت لون نورك في لونها * كالون الغزالة لا يغسل
وأن لها شرفا باذخا * وأن الخيام بها تتجمل
فلا تشكرون لها صرعة * فن فرح النفس ما يقتل
ولو بلغ الناس ما بلغت * لخاتهم وحولك الأرجل
ولما أصررت بتظنيبها * أشبهت بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضا * ولكن أشار بما تفعل
وعرف أنك من همه * وأنت في نصره ترفل
فما العائدون وما أثلوا * وما الحاسدون وما قولوا
هم ويطلبون فن أدركوا * وهم يكذبون فن يقبل
وهم يتمنون ما يشتهون * ومن دونه جذل المقبل

وهذه الايات قد اشتملت على معان بدبعة وكفى المتنبي فضلا أن ياتي بمثلها وهذا
مقام يظهر في مثله براعة الناظم والبنار (وقرأت في كتاب الروضة) لابي العباس
المبرد وهو كتاب جمعه واختار فيه أشعار شعراء بدأ فيه بأبي نواس ثم بين كان
في زمانه وانسحب على ذيله فقال فيما أورد من شعره وله معنى لم يسبق اليه
باجماع وهو قوله

تدار علينا الراح في عسجدية * حبتها بأشواخ التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها * مهاثورتها بالعشي القوارس
فلراح ما زرت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلائس

وقد أكثر العلماء من وصف هذا المعنى وقولهم فيه انه معنى مبتدع (ويحكي عن
الجاحظ) أنه قال ما زال الشعراء يتناقلون المعنى قديما وحديثا الا هذا المعنى
فإن أبا نواس انقر دبا بداعه وما أعلم أنا ما أقول لها ولا ي سوي أن أقول قد تجاوز
بحم حد الاكثار ومن الامثال السائرة بدون هذا يباع الحمار وفصاحة هذا
الشعر عندى هي الموصوفة لا هذا المعنى فانه لا كبير كلفة فيه لان أبا نواس رأى

كأن من الذهب ذات تصاوير فخكاها في شعره والذي عندي في هذا أنه من المعاني المزايدة فإن هذه الخمر لم تحمل الماء يسيرا وكانت تستغرق صور هذا الكاس الى مكان جيوبها وكان الماء فيها قليلا بقدر القلائس التي على رؤسها وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر وكذلك ورد قوله في الخمر أيضا

يا شقيق النفس من حـكم * نمت عن ليلى ولم تسنم

فاسقني الخمر الذي اخمرت * بخمار الشيب في الرحم

وهذا معنى مخترع لم يسبق اليه وهو دقيق يكاد لا يقته أن يلتحق بالمعاني التي تستخرج من غير شاهد حال متصور (وبالغنى) أنه اختلف في هذا المعنى بحضرة الرشيد هرون رحمه الله فقبل انه يريد بخمار الشيب في الرحم أن الخمر تكون في جوانبها ذات زبد أبيض على وجهها فقال الاصمعي ان أبا نواس ألطف خاطرا من هذا وأسد غرضا فأسأله فأحضر وسئل فقال ان الكرم أول ما يجري فيه الماء يخرج شبيهها بالقطنه وهي أصل العنقود فقال الاصمعي ألم أقل لكم ان الرجل ألطف خاطرا وأسد غرضا وقد جاء لابن حمديس الصقلي في الهلال لآخر شهر ما لم يأت به غيره وهو من الحسن واللطافة في الغاية القصوى وذلك قوله

كانما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح التي نعل حافره

وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر الا أنه أبدع في التشبيه وأمثال هذا كثيرة في أقوال المجيدين من الشعراء (وجملة الامر في ذلك) أن الشاعر أو الكاتب ينظر الى الحال الحاضرة ثم يستنبط لها ما يشابه من المعاني كما فعل النابغة في مدح النعمان وقد أتاه وفد من الوفود فأت رجل منهم قبل أن يوفدهم فلما رفدهم جعل عطاء ذلك الميت على قبره حتى جاء أهله وأخذوه فقال النابغة في ذلك حبا شقيق فوق أحجار قبره * وما كان يحبي قبله قبر واغد

وهذا بيت من جملة أبيات فانظر كيف فعل النابغة في هذا المعنى (وكذلك) ورد قول أخت جساس زوجة كليب فانه لما قتل جساس كليب اجتمع النساء اليها وتدينه فحدث بعضهم الى بعض وقلن هذه ليست ناكثة وانما هي شامة فان أخاها هو القاتل فنم ذلك اليها فقالت

يا ابنة الاقوام ان شئت فلا * تعجلي باللوم حتى تسألي

فاذا أنت تدين الذي * يوجب اللوم فلو عي واعدلي

ان أختالا مرئى لبيت على * شفق منها عليه فافعل على
 جل عذدى فعل جساس فوا * حسرتا عم انجلى أو تنجلي
 فعل جساس على وجدى به * فاطع ظهري ومدن أجلي
 لوبعين فقتت عين سوى * أختها فانه قات لم أحفل
 يا قتيلا قنوس الدهر به * سقبتى جميعا من عل
 هدم البيت الذى استعدت به * وانثى فى هدم بيتى الاول
 يستنى المدرك بالشاروفى * دركى تارى شكل مشكلى
 انى فانسالة مقنولة * ولعل الله أن يرتاح لى

وهذه الايات لو نطق بها الفحول المعدودون من الشعراء لاستعظمت فكيف
 امرأة وهى خزينة فى شرح تلك الحال المشار اليها (واعلم) أنه قد يستخرج من
 المعنى الذى ليس بمبتدع معنى مبتدع (فمن ذلك) قول الشاعر المعروف بآين
 السراج فى الفهد

تنافس الليل فيه والنهار معا * فقمصاه بجلباب من المقل
 وليس هذا من المعانى الغريبة واسكنه تشبيه حسن واقع فى موقعه وقد جاء بعده
 شاعر من أهل الموصل يقال له ابن ماهر فاستخرج من هذا البيت معنى غريبا
 فقال ونقطة حباكى يسالمها * على المنايا نعالج الرمل بالحدق
 وهذا معنى غريب لم أسمع بمثله فى مقصده الذى قصد من أجله وقليل ما يقع فى
 هذا الكلام المنظوم والمنثور وهو وضع يقبى أن توضع اليد عليه ويتنبه له
 وكذلك فلتكن سياقة ما جرى هذا الجرى (وقد جاءنى شئ من ذلك) فى الكلام
 المنثور (فمن ذلك) ما ذكرته فى وصف ناس احسان وهو أقبلت ربائب الكاس
 فى محضرة اللباس فقبل انما يضرتن الخضر من الالوان ليصح تشبيههن
 بالاعصان وهذا معنى غريب وربما يكون قد سبق الى الاله الا أنه لم يبلغنى بل
 ابتدعته ابتداء (ومن ذلك) ما ذكرته فى فصل من كتاب يتضمن منازلة بلد
 فذكرت القتال بالمتجنيق وهو قزلة اجراى منه ومسمع واستدرا نابه استدارة
 الخاتم بالاصبع ونصبت المتجنبة فانشأت سحبا صعبة القياد مختصة بالربا
 دون الوهاد فلم تزل تقذف السور يوبل من جلودها وتفجؤه برعودها قبل
 بروقها وبروق السحب قبل رعودها حتى غادرت الحزن منه سهلا والعامر بلقعا

مخلى وفي هذا معنيان غريبان أحدهما أن هذه السحب تخص الريادون الوهاد
 والآخر أن رعودها قبل بروقها وكل ذلك يتفطن له بالمشاهدة (ومن ذلك)
 ما ذكرته في فصل من كتاب فقلت إذا تخلق المرء بخلق البأس والنسب لم يحق
 عرضه دنسا كما أن الماء إذا بلغ قلتين لم يحمل نجسا وهذا المعنى مبتدع لي وهو
 مستخرج من الحديث النبوي في قوله صلى الله عليه وسلم إذا بلغ الماء قلتين
 لم يحمل خبثا (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف مفازة فقلت مفازة لا فوطا بأجفان
 ساهر ولا تقتل باقتحام خابر ولولا مسير الهلال من فوقها لما عرفت قتال حافر
 (ومن ذلك) ما ذكرته في كتاب أصف فيه نزول العدو على حصار بلد من بلاد
 المكتوب عنه وكان ذلك في زمن الشتاء فسقط على العدو ثلج كثير صار به محصورا
 فقات وقد غاب له قتال البروق قبل البوارق وأحاط به الثلج فصار خنادق تتحول
 بينه وبين الخنادق والشتاء قد انقضى عسكره من البرد بعسكره والسماء قد قابلته
 بأغصان وجهها بالأخضر والارض كأنها قرصة النقي وعسى أن تكون أرض
 محشورة والمعنى المخترع من هذا الكلام قولي والارض كأنها قرصة النقي وعسى
 أن تكون أرض محشورة وهو مستخرج من الحديث النبوي في قوله صلى الله
 عليه وسلم إنكم تمشرون على أرض بيضاء كقرصة النقي يريد الخبزة البيضاء ولما
 كان الثلج على الارض مماثل لذلك ومشاها له استنبطت أنه هذا المعنى المخترع
 بغيره كما تراه وهو من المعاني التي يدل عليها شاهد الحال (وأحسن من هذا كله)
 ما كتبه في فصل من كتاب إلى ديوان الخلافة ببغداد فقلت ودواته هي الضاحكة
 وإن كان نسبها إلى العباس وهي خير دولة أخرجت للزمن كما أن رعاياها خير أمة
 أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الانداز لا بأنهم الاتهم وأنهم
 لا تزال محبوبة من أبكار السعادة بالحلب الذي لا يسلي والوصل الذي لا يصرم
 وهذا معنى استنبطه الخادم للدولة وشعارها وهو مما لم تخط به الاقلام في خطها
 ولا آجاله انطوا طرق أفكارها وخرابة هذا المعنى ظاهرة ولم يأت بها أحد قبلي
 (ويلغني) من المعاني المخترعة أن عبد الملك بن مروان بنى بابا من أبواب المسجد
 الأقصى بالبيت المقدس وبنى الخجاج بابا إلى جانبه فجاءت صاعقة فأحرقت الباب
 الذي بناه عبد الملك فتطير لذلك وشق عليه فبلغ ذلك الخجاج فكاتب إليه كتابا يلغني
 كذا وكذا فليهن أ. ير المؤمنون أن الله تقبل منه ومما نسلي ومثله إلا كاتبي آدم

اذقربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يقبل من الآخر فلما وقف عبد الملك على كتابه
سرى عنه وهذا معنى غريب استخرجه الحجاج من القرآن الكريم وهو من
المعاني المناسبة لما ذكرت فيه ويكفي الحجاج من فطانه الفكرة أن يكون عنده
الاستعداد لاستخراج مثل ذلك (وأما المعاني) التي تستخرج من غير شاهد حال
متصورة فانها أصعب مثالا مما يستخرج بشاهد الحال ولا مرما كان لا يكرها
سرا لا يهجم على مكانته الاجناسان الشهم ولا يعوز بحاسنه الامن دق فهمه حتى
جل عن دقة الفهم ولل هجوم على عذارى المعاني المحمية بحجب البواتر أيسر من
الهجوم على عذارى المعاني المحمية بحجب الخواطر وما ذلك مما يليق به اليك
الاستاذ وليس يقوم به الا الفذولا أقول الافذاذ وأين الذي ينشئ فيحسن فيها
الانشاء ويبرز فيها صور ايركها كيف يشاء ومن نظر الى هذا الموضع حق النظر
وأخذ فيه بالعين دون الاثر علم أنه مقام يراقب معارف الافهام فكيف بمواقف
الاقدام وليست المعاني فيه الا كالارواح ولا الانايط الا كالجسام فمن شاء
أن يخلق خلقا من الكلام فليأت به على صورة الاناسى لا على صورة الانعام فإنا
من القول الغاية التي هي أحسن من الغاية ومنه البهيمية التي لا تشبهه الا
بالسانية (فما جاء في هذا الباب) قول أبي نواس

شرابك في السراب اذا عطشنا * وخبزك عند منقطع التراب

وما روتنا لـ سـذب عـنا * ولكن خفت مرزية الذباب

فالبيت الثاني من هذين البيتين هو المشار اليه بأنه معنى مبتدع ويحكى عن الرشيد
هرون رحمه الله أنه قال لم يهجم بادولا حاضر بمثل هذا الهجاء (ومن هذا الباب)
قول مسلم بن الوليد

تتال بالرفق مانعيا الرجال به * كماوت مستهجلا يأتي على مهل

(ومن هذا الباب) قول جلي بن جبلة

تكفل سناكن الدنيا سعيد * فقد أضحت له الدنيا عيالا

كان أباه آدم مكان أوصى * اليه أن يعواهم وفعالا

وهذا معنى دندن - وله الشعراء وفاز على بن جبلة بالافصاح عنه وقد قيل
إن أبا تمام أكثر الشعراء المتأخرين ابتداء المعاني وقد عدت معانيه المبتدعة
فوجدت ما يزيد على عشرين معنى وأهل هذه الصناعة يكبرون ذلك وما هذا من

مثل أبي تمام بكبير فاني أنا عدت معاني المبتدعة التي وردت في ميسكاتنا
فوجدتها أكثر من هذه المدة وهي مما لا أنزع فيه ولا أدافع عنه فاقامنا ورد
لأبي تمام فن ذلك قوله

يا أيها الملك النافي برؤية • وجوده لم يراعي وجوده كذب
ليس الجباب بمقص عندك لي أملا • ان السماء ترجى حين تخب
(وكذلك قوله) رأينا الجود فيك وما عرضنا • لسجل منه بعد ولا ذنوب
ولكن دائرة القمرا استمت • فدلتنا على مطر قريب
(وكذلك قوله في الهجاء

وأنت تدبر قطب رحا عليا • ولم يرالرحا العليا قطبا
تري قطر بكل صراع قرن • اذا ما كنت اسفل منه جنبا
(وكذلك قوله) واذا أرد الله نشر فضيلة • طويت اتاحها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت • ما كان يعرف طيب عرف العود
(وكذلك قوله) لا تشكروا ضرب لي من دونه • مثلا شرودا في الندي والباس
فأله قد ضرب الاقل لنوره • مثلا من المشكاة والبراس
(وكذلك قوله)

لا تشكروا عطل الكريم من الغنى • فالسيل سرب للامكان العالي
(وكذلك قوله في الشيب)

شعلة في المفارق استودعتني • في صميم الفؤاد ثكلا صهبا
يستثير الهموم ما كنت منها • صعدا وهي تستثير الهموما
فالبيت الثاني من المعاني المخترعة وقد تغتبه فيه بفعلة مستلة من مسائل الدور
وهذا من اغراب أبي تمام المعروف وهذا القدر كاف من جملة معانيه فانالم
نستقصها ههنا (ومن هذا الباب) قول ابن الرومي

كل امرئ مدح امرأ النواله • وأطال فيه فقد أساء هجاء
لوم بقدرته بعد المستقى • هذا الورود لما أطال رشاء
(وكذلك قوله)

مدحك من صديقتك مستفاد • فلا تستكثر من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه • يكون من الطعام أو الشراب

(وكذلك قوله) لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والاغباب ~~يكبه~~ منها وانه * لا توسع عما كان فيه وأرغد
إذا أبصر الدنيا استهل * كانه * بما هو لاق من أذاها لم تد
(وكذلك قوله) رددت على مدحى بعد مظل * وقد دنت ملبسه الجديد
وقات امدح به من شئت غبرى * ومن ذاق قبل المدح الرديدا
وهل للحنى في أكفان ميت * لبوس بعد ما امتلئت صديدا
(وقد ورد لابي الطيب المتنبي) من ذلك كقوله

أجزني إذا أنشدت مدحا فاعلم * بشعري أذاك المادحون مرثدا
ودع كل صوت بعد صوقي فأننى * أنا الصائح المحكي والآخر الصدى
فالبيت الاول قد توارده على معناه الشعراء قديما وحديثا ليكن البيت الثانى
فى التمثيل الذى مثله ليس لاحد الا له وكذلك قوله

بهجر سيفك أغمادها * تفى الطلى أن يكون الغمودا
الى الهام تصد عن منله * يرى صدرا عن ورود ورودا
(وكذلك قوله) فى بدر بن عمار يهيم به ببره من مرض

قصدت من شرقها ومغربها * حتى اشتكتك الركاب والسبل
لم تبق الا قليل عافية * قد وفدت تجتديكها العلال

(وقد وقفت) على ماشاء الله من أشعار الفحول من الشعراء قديما وحديثا فلم أجده
لاحد منهم فى ذكر المرض ما بعد معنى مخترا لابل لم أجده من أقوالهم شيئا مرضيا
ماعدا المتنبي فانه ذكر المرض فى عدة مواضع من شعره فأجاد وهذا البيت الثانى
من هذين البيتين معنى مخترا له وقد أحسن فيه كل الاحسان (وعما يتدعه)
باجماع قوله فى مدح عضد الدولة فى قصيدته النونية التى مطلعها

مغانى الشعب طيبا فى المغانى * فقال عنه وذكره

فما شاء عيشة القومين يحيا * بضوء ما ولا يتحاسدان
ولا ملكا سوى ملك الاعادى * ولا وراثا سوى من يقتلان
وصكان ابناء عدوك آراء * له ياءى حروف أنبيان

أى جعل الله ابني عدوك آراء يعنى ابني عضد الدولة يكادى حروف تصغير انسان
فان ذلك زيادة وهو نقص فى المقدار الا أن سبك هذا البيت قد شوهه وأذهب

ملاوة المعنى المندرج تحته (ومن معانيه) المبتدعة قوله
فان تنق الانام وانت منهم * فان المسك بعض دم الغزال
وأحسن من ذلك قوله

صدمتهم بخميس أنت غزته * وسهمه ريته في وجهه غم
فكان أثبت ما فيههم جسومهم * يسقطن حولك والادواح تنهزم
وهذا من أعاجيب أبي الطيب التي برز فيها على الشعراء (ومن الاحسان)
في هذا الباب قول بعضهم

وقد أشقى الحجاب الصهب ماضيه * دوني وآبى ولوجانيه ان طرقا
كالطيف بأبي دخول الجفن منفتحها * وليس يدخله الا اذا انطبقا
(ورأيت ابن جندون) البغدادي صاحب كتاب التذكرة قدأورد هاتين البيتين
في كتابه وقال قد أغرب هذا الشاعر ولاكنه خلط وجرى على عادة الشعراء لان
الطيف لا يدخل الجفن وانما يتخيل الى النفس وهذا كلام من لم يطعم من شجرة
الفصاحة والبلاغة وليس مثله عندي الا كما يحكي عن ملك الروم اذا نشد عنده
بيت المتنبي الذي هو

كان العيس كانت فوق جفني * مناضات فلما ثرن سالا
فقال عن المعنى ففسره فقال ما سمعت بأ كذب من هذا الشاعر رأيت من
أناخ الجمل على عينه لا يملكه (ومن محاسن هذا القسم) قول بعضهم
تخبره الله من آدم * فما زال منحدر ايرتقى
(وكذلك قول الآخر)

بأبي غزال غارته مقلتي * بين الغوير وبين شطي بارقي
عاطيته واليه يلجأ ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشقي
وضمته ضم الكمي لسيفه * وذو ابتاه مماثل في عاتقي
حتى اذا مات به سنة الكرى * زحزحته شيا وكان معانقي
أبعدته عن اضلاع تشاقه * كي لا ينام على وساد خافقي
وهذا من الحسن والملاحة بالمكان الاقصى واقد خفت معانيه على القلوب
حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير منه هو الموصوف بالابداع وبه وبأمثاله
أقرت الابصار بفضل الاسماع (ومن هذا الضرب) قول بعض المصريين

اذنا يا قال له ابن طليل احترقت داره

انظر الى الايام كيف تسوقنا * طوعا الى الاقرار بالاقدار

ما أوقد ابن طليل قط بذاره * نارا وكان هـ لا كهيا بالنار

(وكذلك) : رد قول ابن قلاقس من شعراء مصر

زد رخصة ان قيل أن تغض وانخفض ان قيل أترى

كالغصن يدنو ما اكتسى * ثمرا وينأى ما تعرى

وهذا من المعاني الدقيقة (ومن هذا الاسلوب) قول الشاعر المعروف بالحافظ

في تشبيه البهار وهو

عيون تبركا كما سرقت * سواد أحداقها من الغسق

فان دجا ليها بظلمته * ضم من من خوفها على السرق

وهذا تشبيه بدیع لم يسمع مثله وهو من اللطافة على ما لا يخفى به (ومن هذا

القسم) قول بعض المتأخرين من أهل زماننا

لأنقص من عظيم قدر وان كنت مشارا اليه بالعظيم

قال شريف العظيم ينقص قدرا * بالتعدي على الشريف العظيم

ولع الخمر بالعـقول رعى الخمر بتنجيسها وبالتحسـريم

(ومن غريب ما سمعته في هذا الباب) قول بعض الشعراء المغاربة يرقى قتيلا

غدرت به زرق الاسنة بعدما * قد كن طوع عينه وشماله

فليحذر البدر المنير بنجومه * اذ بان غدر منالها على مثاله

(وكذلك) جاء قول بعض المغاربة في الخمر وكلماتها

ثقلت زجاجات آتتنا فرثا * حتى اذا ملئت بصرف الراح

خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تحق بالارواح

وهذا معنى مبتدع أشهد أنه يفعل بالعقول فعل الخمر سكرا ويروق كما رقت لطفها

ويفوح كما فاحت نشرا (وكذلك) ورد قول ابن جديس الصقلي

يا سالبيا قسر السماء بجماله * ألبستني للعزن ثوب سمائه

أضربت قلبي فارتقى بشرارة * وقعت بجندك فانطففت من مائه

وهذا المعنى دقيق جدا (وقد سمعت في الخلال) ما شاء الله أن أسمع فلم أجده مثل هذا

وقد جاءني في الكلام المنشور من هذا الضرب شيء وسأذكره هنا منته تبذة

(فمن ذلك) ما ذكرته في وصف صورة ملاحظة فقلت ألبس من الحسن أنضر لباس
وخلق من طينة غير طينة الناس وكما زاد حسنا فكذلك ازداد طبيا واتفقت
فيه الأهواء حتى صار إلى كل قلب حبيبا فالوصافح الورداتعطرت أوراقه وأمرت
على النيلوفر ليلالتفتحت أحداقه (والمعنى) القريب ههنا أن الشمس اذا طلعت
على النيلوفر تفتح أوراقه واذا غربت عنه انضم ثم انى سمعت هذا في شعر الفرس
لبعض شعرائهم فحصل عندي منه تعجب (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم الشيب فقلت
الشيب اعدام لا ييسار وظلام لا ينوار وهو الموت الا قول الذي يصلى فارا من الهمة
أشد وقودا من النار ولئن قال قوم انه جلالة فانهم دقوا به وما جلوا وأفتوا في
وصفه بغير علم فضلوا وأضلوا وما أراه الا محراثا لله ولم تدخل آلة الحرث دار
قوم الاذلوا ومن عجيب شأنه أنه المملول الذي يشفق من بعده والخلق الذي يكرمه
نزع برده ولما فقد الشيب كان عنه عوضا ولا عوض عنه في فقدته (والمعنى)
المخترع ههنا في قولي وما أراه الا محراثا لله ولم تدخل آلة الحرث دار قوم الاذلوا
وهو مستنبط من الحديث النبوي وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى آلة
حرث فقال ما دخلت هذه دار قوم الاذلوا فأخذت أفاهاذا ونقلته الى الشيب
بخفاء كما تراه في أعلى درجات الحسن وذلك لما بينه وبين الشيب من المناسبة الشبيهة
لأن الشيب يفعل في البدن ما يفعله المحراث في الارض واذا نزل بالانسان أحدث
عنده ذلا (ومن هذا الباب) ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الناس أعجب به
فقلت واذا كتبت مثالبه في كتاب اجتمع عليه بنات وردان وحرم على أن يبدأ
فيه بالبسالة لانهم من القرآن وهذا معنى لطيف في غاية اللطافة وهو مخترع على
(وكذلك) كتبت الى بعض الناس كتابا من هذا الجنس أهزل معه فقلت في فصل منه
ما أذكره وهو ينبغي له أن يشكرني على ونعمه بهجائي دون امتداحي فاني لم أسمه
الا تحرم به الاضحية في يوم الاضاحي ولا شك أن سيدنا معدود في جملة الانعام
غير أنه من ذوات القرون والقرن عدوه عند الخصاص وهذا معنى ابتدعته ابتداء
ولم أسمه لاحد من قبلي (ومن ذلك) ما ذكرته في جملة كتاب يتضمن هزيمة الكفار
وذلك فصل منه فقلت وكانت الواقعة يوم الاحد منتصف شهر كذا وكذا وهذا هو
اليوم الذي تخيره الكفار من أيام الاسبوع ونصبوه موسما للشرع كفرهم المشروع
فصل ارتياحهم به اذ تضمن للاسلام مزيدا وقالوا هذا يوم قد أسلم فلا تجعله لنا

عبدا وقد أفصح لهم لسانه لو كانوا يعلمون بأن الدين عند الله هو الاسلام
 وأن أولياءهم المسلمون وهذا معنى انفردت بابتداعه ولم يأت به أحد من
 تقدمي (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة بيغداد وهو
 في وصف القلم فقلت وقلم الديوان العزيز هو الذي يخفض ويرفع ويعطي وينع
 وهو المطاع لبدع أنفه وسواد لباسه وقد ردد الامر بطاعة الحبشي الاجدع
 ومن أحسن صفاته أن شعاره من شعار مولاة فهو يخضع على عبيده من الكرامة
 ما يخضع في هذه الاوصاف معان حسنة لطيفة ومنها معنى غريب لم أسبق اليه
 وهو قولي انه المطاع لبدع أنفه وسواد لباسه وقد ردد الامر بطاعة الحبشي
 الاجدع فان هذا مما ابتكرته وهو مستخرج من الحديث النبوي في ذكر
 الطاعة والجماعة فقال صلى الله عليه وسلم أطع ولو عبدا حبشيا مجتدعا ما أقام
 عليك كتاب الله فاستخرجت أنا للقلم معنى من ذلك وهو أن القلم يجدهم ص
 لباس السواد فصار حبشيا أجدع وهذا كما فعل أبو تمام حبيب بن أوس
 الطائي في قصيدته السينية فانه استخرج المعنى المخترع من اقرآن الكريم وأنا
 استخرجت المعنى من الخبر النبوي كما أريتك وهذا المعنى المشار اليه في وصف
 القلم أو رددته بعبارة أخرى على وجه آخر ونبهت عليه في كتاب الوشي المرقوم
 في حل المنظوم وهذا كتاب ألفتة في صناعة حل الشعر وغيره (وبعد هذا)
 فإقول لك في هذا الموضع قولاً لم يقله أحد غيري وهو أن المعاني المبتدعة
 شبيهة بمسائل الحساب المجهول من الجبر والمقابلة فكما أنك اذاوردت عليك
 مسألة من المجهولات تأخذها وتقلها تظهر البطن وتنتظر الى أوائها وأواخرها
 وتعتبر أطرافها وأواسطها وعند ذلك تخرج بك الفكرة الى معلوم فكذلك
 اذاوردت عليك معنى من المعاني ينبغي لك أن تنظر فيه كتنظرك في المجهولات
 الحسية الآن هذا لا يقع في كل معنى فان أكثر المعاني قد طرق وسبق اليه
 والابداع انما يقع في معنى غريب لم يطرق ولا يكون ذلك الا في أمر غريب لم يأت
 مثله وحينئذ اذا كتب فيه كتاب أو نظم فيه شعر فان الكاتب والشاعر يهتران
 على مظنة الابداع فيه وقد لا يست ذلك في مواضع كثيرة وسأوردها هنا ما يحذو
 حذو من استطاع اليه سبيلا (ومن ذلك) ما كتبه عن نفسي الى بعض ملوك
 الشام وأهديت اليه رطباً وهو خلد الله دولة مولانا وعمرها مجداً وجنانا

وخولها السعادة عطاء حسابا وأنشأ اللبالي لخدمتها عربا أثريا وأبقى شبيبتها
بقاء لا يتحدث معه خضابا ولا جعل لها في محاسن الدول السابقة أشياها ولا
أثريا وألقى البأس بين أعدائها وحادها حتى يبعث لهم في الأرض غرابا إذا
أراد العبيد أن يهدوا والموا اليهم قصرت بهم يد وجدهم وعلوا أن كل ما عندهم
من عندهم لكن في الأشياء المستظرفة ما يهدي وإن كان قدر مخفيا ولولا
اختلاف البلاد فيما يوجد بها لما كان شيء من الأشياء طريقا وقد أهدى المملوك
من الرطب ما يتجلى في صفة الوارس ويرهى بحسنه حتى كأنه لم يدنس بيد لابس
وما سمي رطب الا لاشتقاقه من الرطب الذي هو ضد اليابس وقد أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليه ثناء بما وفضل شجرته على الشجر بأن سماها أمّا ولئن
عدم عرفها لذيذا فإنه لم يعد من منظار الذبذبا ولا طعما وله أوصاف أخرى هي لفضله
بمنزلة الشهود فمنها أنه أول غذاء ينظر عليه الصائم وأول غذاء يدخل بطن المولود
وأحسن من ذلك أنه مع دود من الحلو وإن كان من ذوات الغراس ولا فرق
بينها سوى أنه من خلق الله وتلك من خلق الناس وإذا أنصف واصفه قال ما من
ثمرة الا وهي عنه قاصرة ولو تفاخرت البلاد بمحاسن ثمارها لقاتت أرض العراق به
فاخرة وها قد سار الى باب ولانا وهو محبب المنابت سار الى محبب الكرم وملاك
الفاكهة وقد على ملك الشيم ولما استقلت به الطريق أنشأ الحسد لغيره من
الفواكه أثريا وما من لها الامن قال ياليتني كنت رطبيا ولئن كان من الثمرات التي
تختلف في الصور والاسماء ويفضل بعضها على بعض ويسقى بشرب واحد من الماء
فكذلك تلك الشيم العريقة تصد في عنصرها وهي مختلفة الوتيرة ومن أفضالها
سمة السماح التي تغبل القليل من عبيدها وتسمع لهم بالعطايا الكثيرة وقد ضرب
لها المملوك مثلا لافقال هي كجنة بربرة بل ضرب لها ما ضرب للمثل النبوي وهي
نخلة بكبوة ولا يختم كتابه بأحسن من هذا القول الذي طاب سمعنا وزكا أصلا وفرعا
وتصرف في أساليب البلاغة فجاء به تراوشها والسلام (وهذا كتاب غريب) في
معناه وقد اشتمل على معان كثيرة فمن جملتها أن الرطب مشتق من الرطب الذي
هو ضد اليابس ومن جملتها أن النبي صلى الله عليه وسلم سمي النخلة أمّا فقال أتمكم
النخلة ومن جملتها أنه كان صلى الله عليه وسلم ينظر على رطبات فان لم يجد فثمرات
ومن جملتها أنه كان يلوذ القمرة ويحنك بها المولود عند ميلاده والولد عبد الله بن

الزبير جاءت أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنه ووضعت في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلالت ثمرة ووضعتها في فيه ومن جملتها أنه والخلو أشي واحد إلا أنه من خلق الله وتلك من خلق الناس ومن جملتها أن العباس رضي الله عنه قال يا رسول الله إن قريشا نذاكرت أحسابها فضر بوالك مثالا بنحلة بكبوة وكل هذه المعاني حسنة واردة في موضعها ومن كتب في معنى من المعاني فليكتبه هكذا ولا فليدع (ومن ذلك) رقعة كتبها إلى بعض حجاب السلطان في حاجة عرضت لي وأرسلت معها هدية من ثياب ودرهم وهي

ما من صديق وإن صحت صداقته * يوما بأفجع في الحاجات من طبق
إذا تلمس بالمد يد منطلقا * لم يخش نبوة بواب ولا خلق
الهدية مشتقة من الهدى غير أنها ترف إلى القلب لا إلى الندى وصهارتها أنفع
من الصهارة وكلما ترددت كانت بكرافهي لا تنفك عن البكارة ومن خصائصها
أنها تمسك بعروف آمن من السراح وإذا رامت فتح باب لا تفتقر في علاجه إلى
مفتاح وقد قيل إنها الحسنة المتأنقة في عمارة بيتها التي توصف بأن القنديل
يضي مزيتهما وقد أرسلتها إلى المولى وهي تنهذى في اصحابها وتدل بكثرة
دراهمها وثيابها وتقول أنا الكريمة في قومها الشريفة في أنسابها وأحسن
ما فيها أنها جاءت سرا لم تعلم بها اليد اليمنى من اليسرى فخذها يام ولأى واكشف
نقابها وأعط عنها جلبابها وقد كانت منك حرة وهي الآن في حيز الملكة ومن
السنة في مثلها أن تؤخذ بالناصية ويدهى بالبركة والائر بها فلان وهو في
الجهل بها حامل أسفار وناقل لها من دار إلى دار ولربما نطق لسان حالها
الذي هو أفصح من نطق اللسان وأذكرت بحاجة مرسلها وحاشي فطانة
الكريم من التسيان وليس المطلوب الأفضلية من الجاه تسفير بين السائل
والمسؤول وتنقل البعيد إلى درجة القريب والماء نوع إلى درجة المبدول فإذا
فعل المولى ذلك كان لهمنة السفارة ومنه الانعام وإن سمع بأن سعيها واحدا فاز
بشكرين اثنين فتي مثل هذا المقام ومن الناس من يقول ليس على جانب
السلطان ثقل في صنعه وهل ههنا الاكلمات تقال والكلام ماعون لا رخصة
في منعه ولم يدرك أن ملاطفة الخطاب ضرب من الاحتيال وأن ثقل الخطوات فيه
أثقل من نقل الجبال وأن صاحب الحاجة يحظى بحلاوة النجاح والخابب يلقى

مرارة السؤال وهذا يقوله الخادم ايحيا بالاحسان المولى الذى هو احسان شامل ولا يعلمه الا عالم بفضله ولا يحبه الا جاهل والله تعالى يجعل الحاجات مغد وقتها به حتى لا تنفك في الدنيا من امداد شكره وفي الآخرة من امداد ثوابه والسلام فتأمل أيها الناظر في كتابي هذا الى ما اشملت عليه هذه الرقعة من المعاني حتى تعلم كيف تصنع بذلك فيما تكتبه (ومن ذلك) رقعة أخرى كتبتها في هذا المعنى المتقدم ذكره وأرسلت معها هدية من المسك وهي الهدية ترسل بخاطب عن مرسله بغير لسان ويدخل على القلوب من غير استئذان وقد قبل أخت السكر في ملاطفة قصدها غير أنها لا تحتاج الى نقشة ولا الى عقد لها وما من قلب الا وصورتها تجلي عليه في سرقة ولولا شرف مكانها لما حلت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة ولها صفات غير هذه كريمة الاخطار حسنة لدى الاسماع والابصار ومن أحسنها أنها تستجد ودا وتجعل قربا مكان بعدا وتقول لئلا الاحنة يانار كوني بردا ولهذا قبل تهادوا تحابوا ولا شك أنها واصله بين المودات فاذا تواصل الناس تقاربوا وقد أرسل الخادم منها شيئا اذا كتبه ذاع واذا خزنه ضاع وقد شبه به الجليس الصالح بعدد أسباب الانتفاع وعما زاد منزلة على منزلة أنه وشيم المولى توأمان غير أن شيمته تنتمى الى كرم محمدها وهو ينتقى الى سرر الغزلان فاذا ورد على مجلسه قيل هذا عطر ورد على جونه عطار وعرف له حق المشاركة فان أدنى الشر في الشيم جوار وقد نطق الخبر النبوي بأنه أحد الثلاثة التي لا ترد على من أهداها واذا نظر الى محصول بقائها وفائدتها وجد أطولها عمرا وأجداها وهذا يحكم على المولى بقبول ما استرسل الخادم في إرساله واذا سأل غيره في قبول هديته كف ما نص الخبر مؤنة سؤاله والسلام وهذه الرقعة أحسن من التي قبلها (فما اشملت عليه من المعاني) قولي وما من قلب الا وصورتها تجلي عليه في سرقة ولولا شرف مكانها لما حلت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة وهذان المعنيان مستخرجان من خبرين نبويين أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل عليه السلام ومعه سرقة من حرير يعني حريرة بيضاء وفيها صورة عائشة رضي الله تعالى عنها وقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة والخبر الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حرمت على الصدقة وأحل لي الهدية (وعما اشملت عليه أيضا) قولي وقد أرسل الخادم منها

شأنا اذا كتمه ذاع واذا خزنه ضاع وهذه مغالطة حسنة لان المسك اذا كتم ذاعت رائحته واذا خزن ضاع أى فاح ويقال ضاع الشيء اذا ذهب فللمغالطة ههنا في الجمع بين المصدين (وكذلك) قولى وقد شبه به الجليس الصالح وهذا مستخرج من الخبر النبوى أيضا وذلك أنه قال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك أما أن يحذيك وأما أن يتباع منه وأما أن تجرد منه عرفا طيبا ومثل جليس السوء مثل فافخ الكبر أما أن يحرق ثوبك وأما أن تجرد منه رائحة كريهة (ومما اشقت عليه) من المعاني أيضا قولى أنه أحد الثلاثة التي لا ترد على من اهداها وهذا مستخرج من الخبر النبوى أيضا وهو قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد الطيب والريحان والذهن (ومن ذلك) رقعة كلفى بعض أصدقائي املاءها عليه وهى رقعة من عاشق الى معشوق وهى

واذا قيل من تحب تخطا * لسانى وأنت فى القلب ذاكا

يا من لا أعبيه ولا أكنيه وأذكر غيره وهو الذى أعذبه لا تكن ممن أوتى ملكا فلم ينظر فى زواله وعرف مكانه من القلوب بخار فى ادلاله ولا تغتر بقول من رأى الحسن للاساءة ما حيا واعلم أن اللاسى يقول كفى بالتذلل لاحيا وكثيرا ما يزول العشق بجنابات الصدود والزيادة فى الحد نقصان فى الحدود وقد قيل أن الحسن عليه زكاة كزكاة المال وليست زكاته عند علماء الهبة الا بمبارة عن الوصال وهذه صدقة تقسم على أربابها ولا ينتظر أن يحول الحول فى ايجابها فهى مستمرة على تجدد الايام والمستحقون لها قسم واحد ولا يقال انهم ثمانية أقسام وهؤلاء هم المخصوصون بلك الرقاب ورقبة العشق أشد أسرا من رقبة تتحرر بالكتاب فأخرج يامولاي من هذا الحق الواجب والافتات لطالب منى ومطالب ولا نقل هذا غريما أكثر عدل الى فى مطلقه وأعدده المواعيد زاد لمنه فهذه سلامة قد علمتني بهامة ساخر او مزة ساحرا ومن الاقوال السائرة أن الغر تجعله التجربة ما هرا واحدهرى ان ممارسة الحب تجتددا صاحبها علما وتبصره وان كان كما يقال أعى وقد كذب القائل

عزضن للذى تحب بحب * ثم دعه يروضه ابليس

فان كانت الرياضة كما قيل لابليس فما أراه صناعته فى الذى صنع وأراك استعصيت عليه استعصاء القارح وأنت جذع ولا شك أنك تهتم ما يشيده من

البناء أو أنك مستثنى في جملة من دخل في حكم الاستثناء وأنا الآن له عاتب
وعليه عاتب فأين نفسياته التي هي أخمدع من الحباثل وأين قوله لا يتهمهم عن
الايان والشماثل وأين جنوده المسترقة ما في السما التي تجري من بني آدم مجرى
الدماء وكل هذا قد بطل عندي خبره كما بطل عندي أثره فان أدركته النجوة بأنني
أستهزئ بتصديق أفعاله فليحلال معقول حاجتي هذه حتى أعلم أنه قادر على حل
عقابه والافل يخفف راسه ولمح وسواسه وان كان له عرش على البحر فليقوض
من عرشه وليعلم أن السحرا ليس في عقده ونفثه ولكن في الاصفرو نقشه
وهما أنا قد بعثت منه ما يجعل العزم محلولاً والودم مذولاً وما أقول الا اني
بعثت معشوقاً الى معشوق وكلاهما محله القلب بل القلب من جهة ما مخلوق
وما أكرمه وهو وسيلة الى مثله وحسنه من حسنه وان لم يكن شكله من شكله
وما وصفه واصف الا كان ماراً منه فوق مارواه ومن أغرب أوصافه وأحسنها
أنه لم يرد وجهين وجهيهما سواء لاجرم أنه اذا أسفر في أمر تلتطف في فتح أبوابه
وتناول وعده فبذله بسهولة وبعدم قبلة باقترابه ولو بعثت غيره لخفت أن
لا يصحكون في سفارته صادقاً أو أنه كان يمضي سفيراً ويعود عاشقاً فليس على
الحسن أمانة وفي مثله تعذر الخيانة ولالوم على العقول اذا نسبت هناك عزيمة
رشدتها ورأت ما لا يحمله كاهل جهدها ومن الذي يقوى درعه على تلك السهام
أو يروم النجاة منها وقد حبل بينه وبين المرام وهذا الذي منعني أن أرسل الاكيسا
وكتاباً فأحدهما يكون في السقارة والآخر على السر حجاباً والسلام ان شاء
الله تعالى (وفي هذه الرقعة) من المعاني الغريبة ما أذكره فالاول ما ذكرته في قسم
الصدقات وفك الرقاب والثاني ما ذكرته في وصف الدينار وهو أنه وجه
ذو وجهين وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون وجهيهما وهذا معني
لم يسبقني أحداً اليه وقد وصف الحريري الدينار في مقامة من مقاماته ولم يظفر
بهذا المعنى ولا جاء من الاوصاف التي ذكرها مثله والثالث أني بعثت معشوقاً
الى معشوق (ومن ذلك ما كتبه) وكان توفيت زوجة بعض الملوك وتوفي معها ولد
لها وهو طفل صغير وكان بينهما يومان وتلك المرأة بنت ملك من الملوك أيضاً فكتب
اليه من الاطراف المجاورة يعزونه وحضر عندي بعض الادباء ممن يجب أن يكون
كاتباً وعرض علي نسخة ما كتبه كتب به ذلك الملك في التعزية بزوجه وولدها

فوجدتها كتباً باردة غشة لا تعرب عن الحادثة بل بينها وبينها بعد المشرقين
ومن شرط الكتابة أن يكون الكتاب مضمناً في المعنى المقصود والتعازي
مختلفة الأقسام فتعازي النساء غير تعازي الرجال وهي من مستصعبات فن
الكتابة والشعر وتعازي الرجال أيضاً تختلف فلا يعزى بالملت على فراشه كما يعزى
بالميت قتيلاً ولا يعزى بالقتيل كما يعزى بالغريق وهكذا يجري الحكم في
المعاني جميعها وهذا شيء لا يتنبه له إلا الراسخون في هذا الفن من أرباب النثر
والنظم وسألني ذلك الرجل عن هذه التعزية المشار إليها في المرأة وولدها الصغير
وقال أحب أن أعلم كيف تكون فأملت عليه ثلاثة كتب كل كتاب يتضمن معنى
لا يتضمنه الكتاب الآخر (فما جاء منها) كتاب أنا ذا كرهه هنا وهو أشجى
التعازي ما أتبع فيه المفقود بفقود لاسيما إذا جمع بين سعد الأخبية وسعد
السعود وكل منهما يعظم حزنا كما يعظم مكاناً وهذا يحسر عن الوجوه خيراً وهذا
يلقي عن الرؤس تيجاناً ولم يوفهم ما حقهما من بكى ولا من نذب ولا من شعر ولا من
كتب ولبت فدى أحدهما بصاحبه فغاش درهما المقتدى بالذهب

ولو كان خطيباً واحداً خف كلمة * ولكنه خطب أعيد على خطب
وقد أصدر الخادم كتابه هذا ومن حقه أن يخرج في ثوب من الحداد وإن يتعزى
أذبال كلمة والكتاب عنوان الفؤاد وغاية ما يقول أحسن الله عزاء المجلس السامي
الملك الاجل السيد علي أن هذا الدعاء قد شهدت الحال بلحنه وكيف يملك قلبه
عزاء وقد أوثقه الهم في سجنه وصار له ولداً دون ولده وخداً دون خدنه لكن
يدعي له بامتداد البقاء وأن تعمل له الحوادث بعده هذه معاملة الإبقاء ثم تتبع ذلك
بطلب الجنة لمن نقلته المنايا عن أرائك الخدور وجعلته في بطون القبور وإن
فاجأت الأيام غصنه فقصفته ولم يعيش حتى عرف الدنيا ولا عرفته فواها الهمما
وقد نزل بمنزل عديم اليناس وإن كان مأهولاً بأكثر الناس فهو القريب داراً
البعيد من أرا الذي يجب من اليأس بأمنع حجاب وذهب عن الوجوه المتعمة
لذل التراب فمن كان مسعداً للمجلس فليأخذ بوله الجزع لا بعزيرة الاصطبار
وليقل هذا حادث بان فيه تعامل الاقدار وجرت همومه مجرى الخواطر من
القلوب والرقاد من الابصار فالأسوة الاخيرة معدودة من الاحسان والساوة
الاعنة داخله في حيز الامكان والخادم أولى من اتي المجلس فيه بالاسعاد وقام

بما يجب من قضاء حق الوداد وفعل ما يفعله القريب الحاضر وإن كان على شقة
 من البعاد وقد أرسل من يشوب عنه في التعزية وإن لم يكن فيه المذاب وكارخص
 العذر في قصر الصلاة فكذلك رخص في الاقتصار على الرسول والكتاب وقد وده
 لو حضر بنفسه فاستسقى لذلك الضريح صحابا وعقر عندهم ركابا وسأل الله له مغفرة
 وثوابا والسلام (في هذا الكتاب معنى غريب) وهو قول سعد الاخبية كناية
 عن المرأة وسعد السعد وكناية عن ولدها لأن سعد الاخبية اسم منزلة من منازل
 القمر والاخبية جمع خباء ومن شأن المرأة أن تحتجب في الاخبية فهي سعداها
 وهذا من المعاني الغريبة في مثل هذا المقصد وقد اتفق سعد الاخبية وسعد
 السعد معا وهذا أيضا غريب (ومن ذلك) أني كتبت كتابا عن الملك الافضل على
 بن يوسف الى أخيه الملك الظاهر غازي بن يوسف صاحب حلب في أمر شخص
 كان أبوه صاحب مدينة تكريت وهذه تكريت كان يتولاها قديما الأمير
 أيوب جد الملك الافضل والملك الظاهر وأولدهم ولد صلاح الدين يوسف أباهما
 وعلى عقب ولادته انتقل والده عن تكريت هو وعشيرته لا موطأ لهم وجاء الى
 الموصل ثم الى الشام وهنا السعدوا وكانت السعادة على يد صلاح الدين يوسف فلما
 أردت أن أكتب هذا الكتاب علمت أنه مظنة المعاني المبتدعة لأن الامر المكتوب
 فيه غريب لم يقع مثله فحينئذ كتبت هذا الكتاب وهو رفع الله شأن مولانا الملك
 الظاهر ولا زال الدهر فائرا عما ترسلطانه فاعلم مناقبه في جوده ومحامده في
 لسانه ناسخا عما هي دولته ما تقدم من مساعي آل بويه وآل حمدانه كتاب الخادم
 هذا وارد من يد الأمير شمس الدين ابن صاحب تكريت وهي أول أرض مس
 جلد الوالد تراها ورقت بها السعادة على جبينه كتابها ومنها ظهر نور البيت
 الايوبي مشرقا وأشام اذ خرج مغرقا وكفاء بذلك وسيله يكتنفها الاحسان
 والارعاء ويكني صاحبها أن يقول لا أسقى حتى يصدر الرعاء وقد قرنت ابوسيله قصده
 الخدمة التي توجب اقاصدها داما وتقول له سلاما اذا حال سلاما ثم ثلث هاتين
 الوسيلتين بكتاب الخادم أخذ ابنا سنة النبوية في الدعاء وعده وتفاولا بتقليد
 النجوم فيما يقصده المرء من سعادة مقصده ولا قدح في كرم الكريم اذا استكثر
 طالبه من الاسباب فان الله على كرمه قد استكثر اليه من أعمال الثواب وكتاب
 الخادم على انفراد كاف لحامه ومكثر من حقوق وسائله وقد صدر بخطاطنا عن

مخوى ضميره فانما تحق السفارة اذا قد بكل طالب سعى سفيرو وهو مع ذلك خفية
 صفته وبجيزة لمحتة واذا وجد لى مولانا معولا فليس عليه أن يرد مطولا اذ
 التعويل على نفع مصدره لاعلى كثرة أسطره (فانظر) أيها المتأمل الى هذا الكتاب
 وأعطه حقه من التأمل حتى ترى ما اشقل عليه من المعاني وانظر كيف ذكرت
 الاول ثم الثاني ثم الثالث أما المعنى الاول فانه يختص بذكر عادة البيت الايوبى
 ومنشئها وانما ولدت بتكرير وهذا الرجل ينبغي أن يرعى بسببها اذ كان أبوه
 صاحبها وأما المعنى الثاني فانه قصد الخدمة الظاهرية وهذا وسيلة ثانية
 فوجب له ذماما وأما المعنى الثالث فانه حرمة الكتاب الصادر على يده ثم انى
 مثلت ذلك بالدعاء النبوى وبتمثيل النجوم فان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا
 دعاه ثلاثا وانما مثلت ذلك بالدعاء لأميرين أحدهما أنه موضع سؤال
 وضراعة والاخر أن الكتاب وسيلة ثلاثة والدعاء ثلاث مرار وأما تمثيل
 النجوم فان التمثيل سعد والتريع فحس وأحسن المعاني الثلاثة التى تضمنها هذا
 الكتاب هو الاول والثالث وأما الثانى فانه متداول فتأمل ما أشرت اليه
 واذا شئت أن تكتب كتابا فافعل كما فعلت فى هذا الكتاب ان كان الامر الذى
 تكتب فيه غريب الوقوع (واعلم) أنه قد يقع المعنى المبتدع فى غير أمر غريب
 الوقوع وذلك يكون قليلا بالنسبة الى الوقائع الغريبة التى هى مظنة المعاني
 المبتدعة (ومن هذا الباب) ما أوردته فى جملة رسالة طردية فى وصف قسى البندق
 وحاملها وهو فاذا تناولوها فى أيديهم قيل أنه طالعة من أكف أقدار واذا
 مثل غناؤها وغناؤها قيل منها ما موقفة بأيدي أقدار وتلك قسى وضعت
 للعب لا للنضال ولردي الاطيار لاردي الرجال واذا نعتها فاعت قال انها جمعت
 بين وصى الدين والصلابة وصنعت من نوعين غريبتين فجازت معنى الغرابة
 فهى مركبة من حيوان ونبات مؤلفة منهم ما على بعد الشئ فهاذا
 من سكان البحر وسواحه وهذا من سكان البر ومجاهله ومن صفاتها أنها
 لا تمك من البطش الا حين نشد ولا تنطلق فى شأنها الا حين تعطف وتود ولها
 نثار أحكم تصويرها وصحح تدويرها فهى فى لونها صندلية الالهاب وكأما
 صيغت لقوتها من حجر لا من تراب فاذا قد فتها الى الاطيار قيل ويصعد من
 الارض من جبال فيها من برد ولا يرى حينئذ الا قبيل ولكن بالمثقل الذى

لا يجب في مثله قود فهي كافلة من تلك الاطيار بقبض نفوسها منزلة لها من جو
 السماء على أتم روسها (هذا الفصل) يشتمل على معاني غريبة منها قولي انها
 لا تمكن من البطش الا حين نشد ولا تنطلق في شأنها الا حين تعطف وترد ومنها
 قولي ويضع من الارض من جبال فيها من برد وكل هذا من المعاني التي يتبدع
 بالنظر الى المقصد المكتوب فيه فان الكاتب اذا فكر فيما لديه وتأمله وكان قادرا
 على استخراج المعنى والمناسبة بينه وبين مقصده جاء هكذا كما تراء الآن القادر على
 ذلك من أقدره الله عليه فما كل خاطر حكيم ولا كل من أوحى اليه بكليم وفي
 الاقلام هاشم بن ناواه ومنها هشيم (وسأنبه في هذا الموضع) على طريق يسلك
 الى شيء من المعاني المخترعة وهو ما استخراجته وانفردت باستخراجها دون غيري
 فان المعاني المخترعة لم يتكلم فيها أحد بالاشارة الى طريق يسلك فيها الا ذلك مما
 لا يمكن ومن ههنا أضرب علماء البيان عنه ولم يتكلموا فيه كما تكلموا في غيره
 وكيف تتعبد المعاني المخترعة بقبول أو يفتح اليها طريق تسلك وهي تأتي من قبض
 الهى بغير تعليم ولهذا اختص بها بعض النادرين والناظمين دون بعض والذي
 يختص بها يكون فذا واحدا يوجد في الزمن المتطاوول ولما مارست أنا هذا
 الفن أعنى فن الكتابة وقلبه ظهر البطن وفشت عن دقائقه وخباياه وأكثر
 من تحصيل مواده والاسباب الموصلة الى الغاية منه مخلى في شيء من المعاني
 المخترعة طريق سلكته وهو يستخرج من كتاب الله تعالى وأحاديث نبيه
 صلوات الله عليه وسلامه وقد تقدم لي منه أمثلة في هذا الكتاب وذلك أنه ترد
 الآية من كتاب الله أو الحديث النبوي والمراد به ما معنى من المعاني فأخذ
 أنا ذلك وأنقله الى معنى آخر فيصير مخترعا وسأورد ههنا منه نبذة يسيرة يعلم
 منها كيف فعلت حتى يسلك اليها في الطريق الذي سلكته (فمن ذلك) قصة
 أصحاب الكهف والرقم فاني أخذت ذلك ونقلته الى الاحسان والشكر
 ألا ترى أن الاحسان يستعار له كهف وكنف وظل وأشياء ذلك والشكر
 كلمات تقال في التنويه بذكر المحسن واجسانه والرقم هو الكتاب المكتوب
 فهو والشكر متماثلان والذي أتيت به قد أوردته وهو فصل من كتاب الى
 بعض المنعمين انعام يشكر احسان المولى الذي ظل عنده مقيما وغدا
 عطا اليه زعيما وأصبح بتواليه اليه مغرما كما أصبح له غريبا ولما شمل في الاشتمال

عليه كه فاصار شكره فيه رقيا فانظر كيف فعالت في هذا الموضع لتعلم اني
قد فحنت لك فيه طريقا سلمك (وأما الحديث النبوي) فاني أخذت قصة قتلي
بدر كأي جهل وعتية وشبهة وغيرهم ونقلتها الى القلم وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم وقف على القلب الذي ألقاهم فيه وناداهم باسمائهم فقال
يا عتبة يا شيبة يا أباجهل يا فلان يا فلان والحديث مشهور فلا حاجة الى استقصائه
والذي أتيت به في وصف القلم هو أني قلت واقد مرح القلم في يدي وحق له أن
يمرح وأبدع فيما أتى به وكل انا بالذي فيه ينضح ومن شأنه أن يستقل على
أعواد المنبر فلا ينتهي من خطبتها الى فصلها ويقف على جانب القلب الا أنه
لا ينادي من المعاني أباجهلهما فالدواء قلب والقلم يقف عليه والمعاني التي ينشأ
من باب العلم لامن باب الجهل فتأمل هذه الكلمات التي ذكرتها فانها الطيفة جدا
وهي مختصرة على وهذا القدر كاف في طريق التعليم فليحذر حذوه ان أمكن
والله الموفق للصواب (وأما الضرب الآخر) من المعاني وهو الذي يستند
فيه على مثال سابق ومنهج مطروق فذلك جل ما يستعمله أرباب هذه الصناعة
ولذلك قال عنتره * هل غادر الشراء من متردم * الا أنه لا ينبغي أن يرمخ
هذا القول في الازهان لسلايوس من الترفي الى درجة الاختراع بل يعول
على القول المطمع في ذلك وهو قول أبي تمام

لا زلت من شكري في حلل * لا يسها ذو سلب فاجر
يشول من تفرع أبعاضه * كم ترك الأول للآخر

وعلى الحقيقة فان في زوايا الافكار خبايا وفي أبكار الخواطر سببا يمكن قد
تقاصرت الهمم ونكصت العزائم وصار قصارى الآخر ان يتبع الأول وليته
تبعه ولم يقصر عنه تقصيرا فاحشا (ووقفت على كتاب) يقال له مقدمة ابن أفلح
البغدادي قد قصرها على تفصيل أقسام علم الفصاحة والبلاغة وللعراقيين بها
هناية وهم واصفون لها وممكنون عليها ولما تأملتها وجدت ما تشور الالب
تحتها الان غاية ما عند الرجل أن يقول وأما الفصاحة فانها كقول النابغة مثلا
أو كقول الاعشى أو غيرهما ثم يذكر بيتا من الشعر أو آياتا وما بهذا تعرف
حقيقة الفصاحة حتى اذا وردت في كلام عرفنا أنه فصيح بما عرفنا من حقيقة
الموجودة فيه وكذلك يقول في غير الفصاحة (ومن أعجب) ما وجدته في كتابه

قوله في حلل في الدوران في لفظة اه

أنه قال أما المعاني المبتدعة فليس للعرب منها شيء وإنما اختص بها المحدثون
ثم ذكر للمحدثين معاني وقال هذا المعنى لفلان وهو غريب وهذا القول لفلان
وهو غريب وتلك الأقوال التي خص قائلها بأنهم ابتدعوها قد سبقوا إليها فاما
أن يكون غير عارف بالمعنى الغريب وأما أنه لم يقف على أقوال الناظمين
والناثرين ولا يتحرف فيها حتى عرف ما قاله المتقدم مما قاله المتأخر وأما قوله أنه ليس
للعرب معنى مبتدع وإنما هو للمحدثين فبالتشعري من السابق إلى المعاني من
تقدم زمانه أم من تأخر زمانه (وأنا أورد ههنا) ما يستدل به على بطلان ما ذكره
وذلك أنه قد ورد من المعاني أن صور المنازل تمثلت في القلوب فإذا عفت آثارها
لم تعف صورها من القلوب وأقول من أتى بذلك العرب فقال الحرث بن خالد من
آيات الحماسة

أني وإن فخر وأغداقني * عند الجار يؤدها العقل
لو بدلت أعلى مساكنها * سفلا وأصبح سفها يعالو
لعرفت معناها ما ضمنت * من الضلوع لاهلها قبل
ثم جاء المحدثون من بعده فأنصبوا على ذيله وحذوا حذوه فقال أبو تمام
وقفت واحشاني منازل للامني * به وهو قفر قد تعنت منازل
(وقال الجحري)

عفت الرسوم وما عفت أحشاؤه * من عهد شوق ما تحول فتذهب
وقال المتنبى لا يامنازل في القلوب منازل * أقفرت أنت وهن منك أو اهل
وهذا المعنى قد تداوله الشعراء حتى أنه ما من شاعر إلا ويأتى به في شعره (وكذلك)
ورد لبعضهم من شعراء الحماسة

أناخ اللوم وسطى رماح * مطيته وأقسم لا يريم
كذلك كل ذي سفر إذا ما * تناهى عن دعايته يقيم
وهذان البيتان من آيات المعاني المبتدعة وعلى اثرهما مشى الشعراء
(وكذلك) ورد لبعضهم في شعر الحماسة

تركت ضائتي قود الذئب راعيها * وأنهم لا تراني آخر الأبد
الذئب يطررها في الدهر واحدة * وكل يوم تراني مديته يبدى
(وكذلك) ورد قول الآخر

قوم اذا ما جئنا جانيهم موأمنوا * لا روم أحسابهم أن يقتلوا قودا
وكم للعرب من هذه المعاني التي سبقوا اليها (ومن أدل الدليل) على فساد ما ذهب
اليه من أن المحدثين هم المختصون بابتداع المعاني أن أول من بكى على الديار
في شعره رجل يقال له ابن حرام وكان هو المبتدئ لهذا المعنى أولا وقد ذكره
امرؤ القيس في شعره فقال

عوجا على الظلل الخفيل اعلنا * تبكي الديار كما تبكي ابن حرام

وقد أجمع نقله الأشعار أن لا يرى القيس في صفات الفرس أشباه كثيرة لم يسبق
اليها ولا قبلت من قبله ويكفي من هذا كله ما قدمت القول فيه وهو أن العرب
السابقون بالشعر وزمانهم هو الأول فكيف يقال إن المتأخرين هم السابقون
إلى المعاني وفي هذه الامثلة التي أوردتها كفاية في نقض ما ذكره ولو قال
إن المحدثين أكثر ابتداعا للمعاني والطف مأخذا وأدق نظرا لكان قوله صوابا
لأن المحدثين عظم المثلث الاسلحي في زمانهم وروا ما لم يره المتقدمون وقد قيل
إن الله ما تفتح الله ما وهو كذلك فان نقاق السوق جلاب (وقد رأيت جماعة)
من مخلفي هذه الصناعة يجمعونهم مقصورا على اللفاظ التي لا حاصل
وراءها ولا كبير معنى تحتها وإذا أتى أحدهم بلفظ مسجوع على أي وجه كان
من الغثاثة والبرديعة قد أنه قد أتى بأمر عظيم ولا يشك في أنه صار كلمة مقلعا
وإذا نظر إلى كتاب زماننا وجدوا كذلك فقاتل الله القلم الذي عشي في أيدي
الجهال الانحمار ولا يعلم أنه كجواد عشي تحت حمار ولو أنه لا يتناول اليه إلا أهله
لبان الفاضل من الناقص على أنه كالرحم الذي إذا اعتقله حامله بين الصفيين
بان به المقدم من الناكص وقد أصبح اليوم في يد قوم هم أحوج من صبيان
المكاتب إلى التعليم وقد قيل إن الجهل بالجهل دائم لا ينتهي اليه سقم السقيم
وهؤلاء لا ذنب لهم لأنهم لو لم يستخدموا في الدول ويستكتبوا والامناظهرت
جهالتهم وفي أمثال العوام لا تعرف الا حوشا فيظنمه له وكذلك يجري الامر مع
هؤلاء فانهم استكتبوا في الدول فظنوا أن الكتابة قد صارت لهم بأمر حق واجب
(ومن أعجب الاشياء) أني لا أرى الاطامعا في هذا الفن مدعيه على خلقه
عن تحصيل آلائه واسبابه ولا أرى أحدا يطمع في فن من الفنون غيره ولا يتدعيه
هذا وهو بحر لا ساحل له يحتاج صاحبه إلى تحصيل علوم كثيرة حتى ينتهي اليه

ويحتوى عليه فسبحان الله هل يدعى بعض هؤلاء أنه فقيه أو طبيب أو حاسب
أو غير ذلك من غير أن يحصل آلات ذلك ويتقن معرفتها فإذا كان العلم
الواحد من هذه العلوم الذى يمكن تحصيله في سنة أو سنتين من الزمان لا يتدعيه
أحد من هؤلاء فكيف يجيب إلى فن الكتابة وهو ما لا تحصل معرفته إلا في سنتين
كثيرة فيدعيه وهو جاهل به (وعما رأيت من المتدعين) لهذا الفن الذين حصلوا
منه على القشور وقصروا معرفتهم على الألفاظ المسبوعة الغثة التي لا حاصل
وراءها أنهم إذا أنكروا هذه الحال عليهم وقيل لهم إن الكلام المسبوع ليس
عبارة عن بواطن الفقر على حرف واحد فقط إذ لو كان عبارة عن هذا وحده
لا يمكن أكثر الناس أن يأتوا به من غير كثرة وانما هو أمر وراء هذا وله شروط
متعددة فإذا سمعوا ذلك أنكروا وخلقواهم عن معرفته ثم لو عرفوه وأتوا به
على الوجه الحسن من اختيار الألفاظ المسبوعة لاحتاجوا إلى شرط آخر قد
نهت عليه في باب السجع وإذا أنكروا عليهم الاقتصار على الألفاظ المسبوعة
وهدوا إلى طريق المعاني يقولون لنساء أسوة بالعرب الذين هم أرباب الفصاحة
فإنهم انما اعتنوا بالألفاظ ولم يعتنوا بالمعاني اعتناءكم بها فلم يكفهم جهلهم فيما
ارتكبوه حتى ادعوا الأسوة بالعرب فيه فصارت جهالتهم جهالتين (ولنذكر
ههنا) في الرد عليهم ما إذا تأملنا الناظر في كتابنا عرف عنه ما يؤتقنه ويذهب به
الاستحسان كل مذهب (فنقول) اعلم أن العرب كما كانت تعتنى بالألفاظ
فتصلحها وتهذيبها فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأشرف قدرا
في نفوسها فأقول ذلك عنانيها بالألفاظ لانها لما كانت عنوان معانيها
وطريقها إلى اظهار أغراضها أصلها وزينوها وبانغوا في فهمها ليكون ذلك
أوقع لها في النفس وأذهب بها في الدلالة على القصد ألا ترى أن الكلام إذا كان
مسبوعا لئلا يسمع غفلة وإذا لم يكن مسبوعا لم يأنس به أنسه في حالة السجع
فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها ورققوا حواشيها ومقلوا
أطرافها فلا تظن أن العناية إذ ذاك انما هي بالألفاظ فقط بل هي خدمة منهم
للمعاني وتظهر ذلك ابراز صورة الحسناء في الحلال الموشية والاثواب المحببة فانما
قد تجدد من المعاني الفاضلة ما يشوه من حسنه بذات لفظه وسوء العبارة عنه
(فان قيل) اننا نرى من ألفاظ العرب ما قد حسنه وزخرفوه واسننا

نرى تحته مع ذلك معنى شريف فاقدم ما جاء منه قول بعضهم
ولما قضينا من معنى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو مسح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت باعناق المطى - الاباطح
ألا ترى الى حسن هذا اللفظ وصقالته وتديج أجزائه ومعناه مع ذلك ليس
مدانيه ولا مقاربا فانه انما هو لما فرغنا من الحجج بيننا الطريق راجعين
وتحدثنا على ظهور الابل ولهذا نظر كثيرة شريفة اللفاظ خبيسة المعاني
(فالجواب عن ذلك) أنا نقول هذا الموضع قد سبق الى التشبث به من لم ينم النظر
فيه ولا رأى ما رآه القوم وانما ذلك لطفاء طبع الناظر وعدم معرفته وهو أن
في قول هذا الشاعر كل حاجة مما تستفيد منه أهل النسيب والرقعة والاهواء
والمة ما لا يستفيد غيرهم ولا يشاركونهم فيه من ليس منهم ألا ترى أن خواجج
منى أشياء كثيرة فمن التلاقي ومنها التشاكي ومنها التخلي للاجتماع الى غير
ذلك مما هو تال له ومعقود الكون به فكان الشاعر صانع عن هذا الموضع الذي
أومأ له وعقد غرضه عليه بقوله في آخر البيت ومسح بالاركان من هو مسح
أي انما كانت حوائجنا التي قضيناها وآراءنا التي بلغناها من هذا النحو الذي
هو مسح الاركان وما هو لاحق به وجاري في القربة من الله مجراه أي لم تتعد هذا
القدر المذكور الى ما يحمله أول البيت من التعريض بالماضي مجرى التصريح
وأما البيت الثاني فان فيه أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وفي هذا ما ذكره
لتعجب به وعن بحب منه ووضع من معناه وذلك أنه لو قال أخذنا في أحاديثنا
أو نحو ذلك لكان فيه ما يكبره أهل النسيب فانه قد شاع عنهم واتسع في محاوراتهم
علو قدر الحديث بين الافين والجلال بجمع شمل المتواصلين ألا ترى الى قول
بعضهم وحديثني ياسعد عن افزدني * جنونا فزدني من حديثك ياسعد
وقول الآخر وحديثها السهر الحلال لو أنه * لم يحسن قتلي المسلم المتحيز
فاذا كان قدر الحديث عندهم على ما ترى فكيف به اذا قيده بقوله أخذنا
بأطراف الاحاديث فان في ذلك وحيا خفيا ورزاخا ألا ترى أنه قد يريد
بأطرافها ما يتهاطاه المحبون ويتفارضه ذوو الصبابة من التعريض والتلويح
والإيماء دون التصريح وذلك أحلى وأطيب وأغزل وأنسب من أن يكون
كشفا ومصارحة وجهرا وان كان الامر كذلك فعني هذين البيتين أعلى عندهم

وأشدّ تقدماً في نفوسهم من لفظها وإن عذب ولزم مستمعهم نعم في قول الشاعر
وسالت باعناق المطلق الأباطح من اطاقة المعنى وحسنه ما لا يخفى به وسأنتبه
على ذلك فاقول إن هؤلاء القوم لما تحذثوا واهم سائرهم على المطايا شغلهم
لذة الحديث عن امساك الازمة فاسترخت عن أيديهم وكذلك شأن من
يشمره وتغلبه الشهوة في أمر من الأمور ولما كان الأمر كذلك وارتحت الازمة
عن الأيدي أمرعت المطايا في المسير فشبهت أعناقها بعرور السيل على وجه
الأرض في سرعته وهذا موضع كريم حسن لا هن يدعي حسنة والذي لا ينعم
نظرة فيه لا يعلم ما اشغل عليه من المعنى فالعرب إنما تحسن ألفاظها وتزخر بها
عناية منها بالمعاني التي تحتها فالألفاظ إذا خدم المعاني والمخدوم لا يشك أشرف
من الخادم فاعرف ذلك وقس عليه (التوسع الأول في الاستعارة) ولنقدم قبل
الكلام في هذا الموضع قولاً جامعاً فنتقول اعلم أن للفصاحة والبلاغة أو صافاً
خاصة وأوصافاً عامة فالخاصة كالجنيس فيما يرجع إلى اللفظ وكإطابقة فيما
يرجع إلى المعنى وأما العامة فكالسجع فيما يرجع إلى اللفظ وكالاستعارة
فما يرجع إلى المعنى وهذا الموضع الذي نحن بصدد ذكره وهو الاستعارة كثير
الاشكال غامض الخفاء * وسأورد في كتابي هذا ما استخراجته ولم أسمع فيه قولاً
لغيري وكنت قد مت القول في الفصل السابع من مقدمة الكتاب فيما يختص
بأبواب الجواز والرد على من ذهب إلى أن الكلام كله حقيقة لا مجاز فيه وأقت
الدليل على ذلك ولا حاجة إلى أعادته ههنا بل الذي أذكره ههنا هو ما يختص
بالاستعارة التي هي جزء من المجاز ولم سميت بهذا الاسم وكشفت عن حقيقة تمامها
وميزتها عن التشبيه المضمرة الأداة والكلام في هذا يحتاج إلى إعادة ذكر الجواز
وإدخاله فيه ليمتدريين والذي انكشف لي بالنظر الصحيح أن الجواز ينقسم
قسمين توسع في الكلام وتشبيهه والتشبيه ضربان تشبيه تام وتشبيه محذوف
فالتشبيه التام أن يذكر المشبه والمشبه به والتشبيه المحذوف أن يذكر المشبه
دون المشبه به ويسمى استعارة وهذا الاسم وضع للفرق بينه وبين التشبيه التام
والألف كلاهما يجوز أن يطلق عليه اسم التشبيه ويجوز أن يطلق عليه اسم
الاستعارة لا شترأ كهـ ما في المعنى وأما التوسع فانه يذكر للتصرف في اللغة
لألفاظ أخرى وإن شئت قلت إن الجواز ينقسم إلى توسع في الكلام وتشبيه

الاستعارة

واستعارة ولا يخرج عن أحد هذه الأقسام الثلاثة فأما ويجد مكان مجازاً
 (فان قيل) ان التوسع شامل لهذه الأقسام الثلاثة لان الخروج من الحقيقة الى
 المجاز اتساع في الاستعمال (قلت في الجواب) ان التوسع في التشبيه والاستعارة
 جاء ضمناً وتبعاً وان لم يكن هو السبب الموجب لاستعمالها وأما القسم الاخر
 الذي هو لانتشيه ولا استعارة فان السبب في استعماله هو طلب التوسع لا غير
 وبيان ذلك انه قد ثبت ان المجاز فرع عن الحقيقة وأن الحقيقة هي الاصل وانما
 يعدل عن الاصل الى الفرع اسبب اقتضاه وذلك السبب الذي يعدل فيه عن
 الحقيقة الى المجاز اما ان يكون لمشاركة بين المنقول والمنقول اليه في وصف من
 الاوصاف واما ان يكون لغير مشاركة فان كان لمشاركة فاما ان يذكر المنقول
 والمنقول اليه معا واما ان يذكر المنقول اليه دون المنقول فان ذكر المنقول
 والمنقول اليه معا كان ذلك تشبيهاً والتشبيه تشبيهان تشبيبه مظهر الاداة
 كقولنا زيد كالاسد وتشبيه مضمرة الاداة كقولنا زيد اسد وهذا التشبيه المضمرة
 الاداة قد خلطه قوم بالاستعارة ولم يفرقوا بينهما وذلك خطأ محض وسأوضح
 وجه الخطأ فيه وأحقق القول في الفرق بينهما ما تحققت اجاباً (فأقول) أما
 التشبيه المظهر الاداة فلا حاجة بنا الى ذكره ههنا لانه معلوم لا خلاف فيه لكن
 نذكر التشبيه المضمرة الاداة الذي وقع فيه الخلاف فنقول اذا ذكر المنقول
 والمنقول اليه على أنه تشبيه مضمرة الاداة قيل فيه زيد اسد أي كالاسد فأداة
 التشبيه فيه مضمرة واذا أظهرت حسن ظهورها ولم تقدر في الكلام الذي
 أظهرت فيه ولا تزال عنه فصاحة ولا بلاغة وهذا بخلاف ما اذا ذكر المنقول اليه
 دون المنقول فانه لا يحسن فيه ظهور اداة التشبيه ومتى أظهرت أزيلت عن
 ذلك الكلام ما كان متصفاً به من جنس فصاحة وبلاغة وهذا هو الاستعارة
 ولنضرب لك مثالا نوضحه فنقول قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * مجل القضيبي وأبطأ الدعص

وهذا قد ذكر فيه المنقول اليه دون المنقول لان تقديره مجل كالقضيبي وأبطأ
 ردف كالدعص وبين ايراده على هذا التقدير وبين ايراده على هيئته في البيت
 بون بعيد في الحسن والملاحة والفرق اذا بين التشبيه المضمرة الاداة بحسن اظهار
 أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن ذلك فيها وعلى هذا فان الاستعارة

لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له الذي هو المنقول اليه ويكتفى بذكر
المستعار الذي هو المنقول (فان قيل) لان سلم أن الفرق بين التشبيه وبين
الاستعارة ما ذهب اليه بل الفرق بينهما أن التشبيه انما يكون بأداته كالإكاف
وكان وما جرى مجراها فإلم يظهر فيه أداة التشبيه لا يكون تشبيها وانما يكون
استعارة فاذا قلنا زيد اسد كان ذلك استعارة واذا قلنا زيد كالاسد كان ذلك
تشبيها (قلت في الجواب) عن ذلك اذ لم نجعل قولنا زيد اسد تشبيها مضمرا الاداة
استحالة المعنى لان زيد ليس اسدا وانما هو كاسد في شفاعته فأداة
التشبيه تقتدرهنا ضرورة كي لا يستحيل المعنى (فان قيل) وكذلك أيضا اذ لم
تقتدر أداة التشبيه في الاستعارة استحالة المعنى لانا اذا قلنا جعل القضيبي
وأبطأ الدعص فإلم تقتدر فيه أداة التشبيه والاستحالة المعنى (قلت في الجواب)
عن ذلك تقتدر أداة التشبيه لا بد منه في الموضعين اسكن يحسن اظهارها
في التشبيه دون الاستعارة ووجه الامر أن ترى أداة التشبيه يحسن اظهارها
في موضع دون موضع فعلنا أن الموضع الذي يحسن اظهارها فيه غير الموضع
الذي لا يحسن اظهارها فيه فسمي الموضع الذي يحسن اظهارها فيه تشبيها
مضمرا الاداة والذي لا يحسن اظهارها فيه استعارة وانما قلنا ذلك لان تسمية
ما يحسن اظهارها أداة التشبيه فيه بالتشبيه أليق وتسمية ما لا يحسن اظهارها أداة
التشبيه فيه بالاستعارة أليق فاذا قلنا زيد اسد حسن اظهار أداة التشبيه فيه
بأن نقول زيد كالاسد واذا قلنا كما قال الشاعر

فرعاء ان نهضت طلبا جيتها * عجل القضيبي وأبطأ الدعص

لا يحسن اظهار أداة التشبيه فيه على ما تقدم من ذكر ذلك أولا (فان قيل) اذا
أجريت اضممار أداة التشبيه وقدرت اظهارها في قولك زيد اسد أي كالاسد فحسن
نضمرا أيضا المستعار له وتقدر اظهاره فانه لما قال الشاعر عجل القضيبي وأبطأ
الدعص اضمم المستعار له وهو الة والردف واذا أظهر قيل عجل قد كالقضيبي
وأبطأ ردف كالدعص ولا فرق بين الاضممارين فكما يسمى اضممار أداة التشبيه
في قولك زيد اسد فكذلك يسمى اضممار المستعار له في قول الشاعر
(فالجواب عن ذلك) أني أقول نحن في هذا المقام واقفون مع الاستحسان لا مع
البلواز ولو تأملت ما أوردته في أول كلامي بالعين الصحيحة لما أوردت على هذا

الاعتراض ههنا فاني قلت التشبيه المضمحل الاداة يحسن اظهار الاداة التشبيهية فيه
والاستعارة لا يحسن اظهار الاداة التشبيهية فيها ولو قلت يجوزاً ولا يجوز لورد
على ههنا الاعتراض الذي ذكرته وقد علم وتحقق أن من اللواجب في حكم
الفصاحة والبلاغة أن لا يظهر المستعار له وإذا أظهر ذهب ما على الكلام من
الحسن والروثق (ألا ترى) أنا إذا أوردنا هذا البيت الذي هو

فأمطرت أولوا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد
وجد عليه من الحسن والروثق ما لا يخفاه وهو من باب الاستعارة فإذا أظهرنا
المستعار له صرنا الى كلام غث وذلك أنا نقول فأمطرت دمعاً كاللؤلؤ من عين
كالنرجس وسقت خذا كالورد وعضت على أنا مل مخضوبة كالعناب بأسمان
كالبرد وفرق بين هذين الكلامين للمتأمل واسع وهكذا يجري الحكم في البيت
المتقدم ذكره الذي هو

فرعاء ان نهضت تلحاجتها * عجل القضيبي وأبطأ الدعض
فإن هذا البيت لا يخفاهما عليه من الحسن وإذا ظهر فيه المستعار له زال ذلك
الحسن عنه لا بل تبدل بضده وليس كذلك التشبيه المضمحل الاداة فانا إذا
أظهرنا أداة التشبيه وأضمرناها كان ذلك سواء إذا لفرق بين قولنا زيد أسد وبين
قولنا زيد كالأسد وهذا لا يخفى على جاهل بعلم الفصاحة والبلاغة فضلاً عن
عالم والمغول عليه في تأليف الكلام من المنثور والمنظوم انما هو حسنة وطلاوته
فإذا ذهب ذلك عنه فليس بشئ ونحن في الذي نورد في هذا الكتاب واقفون مع
الحسن لامع الجواز ثم لو تنزلنا معك أي المعتبر عن درجة الحسن الى درجة
الجواز لما استقام لك ما ذكرته وذلك أن اضممار أداة التشبيه ظاهر في قولنا زيد
أسد أي كالأسد وهو مضمحل واحد وأما قول الشاعر فرعاء ان نهضت تلحاجتها
فانه لا يضر فيه أداة التشبيه الا بعد أن يظهر المستعار له وحينئذ يكون فيه
اضماران أحدهما المستعار له والآخر أداة التشبيه وضممار واحد أي سر
من اضممارين أحدهما معلق على الآخر وإذا كان الامر كذلك فالفرق
بين الاستعارة والتشبيه هو ما قدمت القول فيه من أن الاستعارة لا تكون
الا بحيث يطوى ذكر المستعار له فتأمل ما أنشئت اليه وتدبره حتى تعلم أنني ذكرت
ما لم يذكره أحد غيري على هذا الوجه (وانما سمي هذا القسم) من الكلام

استعارة لان الاصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي
 هي ضرب من المعاملة وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الاشياء
 ولا يقع ذلك الا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من
 الآخر شيئا واذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير
 أحدهما من الآخر شيئا اذ لا يعرفه حتى يستعير منه وهذا الحكم جار
 في استعارة اللفاظ بعضها من بعض فالشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من
 أحدهما الى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما الى
 الآخر (واعلم) أنه قد ورد من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة وعلى التشبيه
 المضمرا الاداة معا باختلاف القرينة وذلك أن يرد الكلام محمولا على ضمير من
 تقدم ذكره فينتقل عن ذلك الى غيره ويرتجل ارتجالا (فما جاء منه) قول البحري
 اذا سمرت أضواء شمس دجن * ومات في التعطف غصن بان
 فلما قال أضواء شمس دجن ينصب الشمس كان ذلك محمولا على الضمير في قوله
 أضواء كانه قال أضواء هي وهذا تشبيه لان المشبه مذكور وهو الضمير
 في أضواء الذي نابت عنه التاء ويجوز حمله على الاستعارة بأن يقال أضواء
 شمس دجن برفع الشمس ولا يعود الضمير حينئذ الى من تقدم ذكره وانما يكون
 الكلام مرتجلا ويكون البيت

اذا سمرت أضواء شمس دجن * ومات من التعطف غصن بان
 وهذا الموضع فيه دقة غموض وحرف التشبيه يحسن في الاول دون الثاني
 (وأما القسم) الذي يكون العدول فيه عن الحقيقة الى المجاز اغير مشاركة بين
 المنقول والمنقول اليه فذلك لا يكون الا لطلب التوسع في الكلام وهو سبب
 صالح اذا توسع في الكلام مطلوب (وهو ضربان أحدهما) يرد على وجه
 الاضافة واستعماله قبيح لبعدهما بين المضاف والمضاف اليه وذلك لانه يلحق
 بالتشبيه المضمرا الاداة واذا ورد التشبيه ولا مناسبة بين المشبه والمشبه به كان
 ذلك قبيحا ولا يستعمل هذا الضرب من التوسع الا جاهل بأسرار الفصاحة
 والبلاغة أو ساه غافل يذهب به خاطره الى استعمال ما لا يجوز ولا يحسن كقول
 أبي نواس
 يح صوت المال بما * منذ يشكو ويصيح
 فقوله يح صوت المال من الكلام النازل بالمرّة ومراده من ذلك أن المال يتظلم

من اهانتك اياه بالتمزيق فالمعنى حسن والتعبير عنه قبيح وما أحسن ما قال
مسلم بن الوليد في هذا المعنى

تظلم المال والاعداء من يده * لا زال للمال والاعداء ظلاما
(وكذلك) ورد قول أبي نواس أيضا

ما لرجل المال أمست * تشتكي منك الكلالا

فإضافة الرجل الى المال أقبح من إضافة الصوت (ومن هذا الضرب) قول أبي
تمام وكلمة أحرزت منكم على قبح قدها * صروف النوى من مرهف حسن القيد
فإضافة القيد الى النوى من التشبيه البعيد البعيد وانما أوقعه فيه المماثلة بين
القيد والقيد وهذا أدب الرجل في تتبع المماثلة تارة والتجنيس أخرى حتى أنه
يخرج الى بناء يعاب به أقبح عيب وأخفشه (وكذلك) ورد قوله
بلونالك أتما كعب عرضك في العلا * فعالم وأما خذ مالك أسفل

فقوله كعب عرضك وخذ مالك مما يستقبح ويستنكر ومراده من ذلك أن عرضك
مصون ومالك مبتذل الا أنه عبر عنه أقبح تعبير وأبو تمام يقع في مثل ذلك كثيرا
(وأما الضرب الآخر من التوسع) فإنه يرد على غير وجهه الإضافة وهو حسن
لا عيب فيه وقد ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي
دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فنسبة القول الى
السماء والارض من باب التوسع لانهما جاد والنطق انما هو للانسان لا للجناد
ولا مشاركة ههنا بين المنقول والمنقول اليه وكذلك قوله تعالى فما بكت عليهم
السماء والارض وما كانوا منظرين وعليه ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم
فانه نظر الى أحد يومه فقال هذا جبل يحبنا ونحبه فإضافة المحبة الى الجبل من
باب التوسع اذ لا مشاركة بينه وبين الجبل الذي هو جاد (وعلى هذا) ورد
مخاطبة الطول ومساءلة الاجازة قول أبي تمام

أعبدان لهوى من اتاح لك البلى * فأصبحت ميدان الصبا والجنائب

وكقول أبي الطيب المتنبي اثلث فانا أجم الطلل * نيكى وترزم تحتنا الابل
فأبو تمام سائل ربوعا عافية وأجارا دارسة ولا وجه لها ههنا إلا مساءلة الاهل
كالذى في قوله تعالى وأسئل القرية أى أهل القرية وكل هذا توسع في العبارة
اذ لا مشاركة بين رسوم الديار وبين فهم السؤال والجواب وكذلك قال

قوله وكلمة أحرزت في الديوان وكلمة ملكن اه

أبو الطيب المتنبي في أمره الطلل بأن يكون ثالثاً له - ما أي الركب والابل وهذا واضح لانزاع فيه - فاذا قد تبين وتحقق ما أشرت اليه من هذا الموضع فالجهاز لا يخرج عن هذه الاقسام الثلاثة اما توسع أو تشبيه أو استعارة واذا حققنا النظر في الاستعارة والتشبيه وجدناهما أمر اقياسي يافى حل فرع على أصل المناسبة بينهما وان كانا يفترقان بمجدهما وحقيقةتهما (فأما حد الاستعارة) فقليل انه نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما وهذا الحد فاسد لان التشبيه يشترك الاستعارة فيه ألا ترى أننا اذا قلنا زيد أسد أي كأنه أسد وهذا نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما لاننا نقلنا حقيقة الاسد الى زيد فصار مجازاً وانما قلنا لمشاركة بين زيد وبين الاسد في وصف الشجاعة والذي عندي من ذلك أن يقال حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ الى لفظ لمشاركة بينهما - ما مع طي ذكر المنقول اليه لانه اذا احتز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة وكان حد المهادون التشبيه وطريقه أنك تريد تشبيه الشيء بالشيء مظهر او مضمرا وتجيء الى المشبه فتعبر باسم المشبه به وتجريه عليه مثال ذلك أن تقول رأيت أسدا وهذا كالبيت الشعر المتقدم ذكره وهو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * بحمل القضيبي وأبطأ الدعص

فان هذا الشاعر أراد تشبيه القديا بالقضيبي والردف بالدعص الذي هو كشيبي الرمل فترك ذكر التشبيه مظهرا ومضمرا وجاء الى المشبه وهو القدي فأعارة المشبه به وهو القضيبي والدعص وأجروا عليه الا أن هذا الموضع لا بد له من قرينة تفهم من خوى اللفظ لانه اذا قال القائل رأيت أسدا وهو يريد رجلا شجاعا فان هذا القول لا يفهم منه ما أراد وانما يفهم منه أنه أراد الحيوان المعروف بالاسد لكن اذا اقترن بقوله هذا قرينة تدل على أنه أراد رجلا شجاعا اختص الكلام بما أراد ألا ترى الى قول الشاعر بحمل القضيبي وأبطأ الدعص فانه دل عليه من نفس البيت لان قوله فرعاء ان نهضت دليل على أن المراد هو القدي والردف لان القضيبي والدعص لا يكونان لامرأة فرعاء نهض لحاجتها وكذلك كل ما يجيء على هذا الاسلوب لان المستعار له وهو المنقول اليه مطوي الذكر (وكنت تصفحت) كتاب الخصائص لابن الفتح عثمان بن جني فوجدته قد ذكر في المجاز شيئا يتطرق اليه النظر وذلك أنه قال لا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا لمعان ثلاثة

وهي الاتساع والتشبيه والتوكيد فان عدمت الثلاثة كانت الحقيقة البتة
(فن ذلك) قوله تعالى ناد خلفاه في رحمتنا فهذا مجاز وفيه الثلاثة المذكورة أما
الاتساع فهو أنه زاد في أسماء الجهات والمحال أسماء وهو الرحمة وأما التشبيه
فانه شبه الرحمة وان لم يصح دخولها بما يصح دخوله وأما التوكيد فهو أنه أخبر
عما لا يدرك بالحاسة بما يدرك بالحاسة تعالى بالخبر عنه وتفخيم حاله اذا صير بمنزلة
ما يشاهد ويعاين هذا مجموع قول أبي الفتح رحمه الله من غير زيادة ولا نقص
(والنظرية طرق اليه من ثلاثة أوجه الاول) أنه جعل وجود هذه المعاني
الثلاثة سببا لوجود المجاز بل وجود واحد منها سبب لوجوده ألا ترى أنه اذا
وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازا واذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازا
ثم ان كان وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز كان عدم واحد منها سببا
لعدمه ألا ترى أنما اذا قلنا لا يوجد الانسان إلا بان يكون حيوانا ناطقا
فالحيوانية والنطق سبب لوجود الانسان واذا عدم واحد منهما بطل أن يكون
انسانا وكذلك كل صفات تكون مقدمة لوجود الشيء فان وجودها بوجوده
وعدم واحد منها يوجب عدمه (وأما الوجه الثاني) فانه ذكر التوكيد والتشبيه
وكلاهما شيئا واحدا على الوجه الذي ذكره لانه لما شبهت الرحمة وهي معنى لا يدرك
بالبصر بمكان يدخل وهو صورة تدرك بالبصر دخل تحت التوكيد الذي هو اخبار
عما لا يدرك بالحاسة بما قد يدرك بالحاسة على أن التوكيد ههنا على وجه ما أورده
في تمثيله لا أعلم ما الذي أراد به لانه لا يوتى به في اللغة العربية إلا المعنيين أحدهما
أنه يرد أبدا فيما استقرى بألفاظ محصورة نحو نفسه وعينه وكاه وما أضيف اليها مما
استقرى وهو مذكور في كتب النحاة وقد كفيت مؤنته الآخر أنه يرد على وجه
التكرير نحو قام زيد قام زيد كثر اللفظ في ذلك تحقيقا للمعنى المقصود أى توكيدا
والذي ذكره أبو الفتح رحمه الله تعالى لا يدل على أن المراد به أحد هذين المعنيين
المشار إليهما ولا شك أنه أراد به المبالغة والمغالاة في ابراز المعنى الموهوم الى
الصورة المشاهدة فعبّر عن ذلك بالتوكيد ولا مشاحة له في تعبيره واذا أراد به ذلك
فهو والتشبيه سواء على ما ذكره ولا حاجة الى ذكر التوكيد مع ذكر التشبيه
(وأما الوجه الثالث) فانه قال أما الاتساع فهو أنه زاد في أسماء الجهات
والمحال كذا وكذا وهذا القول مضطرب شديد الاضطراب لانه ينبغي على قياسه

أن يكون جناح الذل في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل زيادة في أسماء الطيور وذلك أنه زاد في أسماء الطيور اسمها هو الذل وهكذا يجري الحكم في الأقوال الشعرية كقول أبي تمام

لبست سواه أقواما فمكافوا * كما أغنى التيمم بالصعيد

فزاد في أسماء اللباس اسمها هو الأذى وهذا مما يضحك منه نعوذ بالله من الخطل والاتساع في المجال لا يقال فيه كذا وإنما يقال هو أن تجري صفة من الصفات على موصوف ليس أهلا لأن تجري عليه لبعدها عنه وبينها كقول أبي الطيب المتنبي

اثلت فانا أيها الطال * نبكي وترزم تحتنا الأبل

فانه أجرى الكلام على ذلك وإنما يستعمل طلبة الاتساع في أساليب الكلام لا المناسبة بين الصفة والموصوف اذ لو كان المناسبة لما كان ذلك اتساعا وإنما كان ضريبا من القياس في حمل الشيء على ما يناسبه ويشاكله وحينئذ يكون ذلك تشبيها أو استعارة على ما أشرت إليه من قبل (وكنت اطلعت) في كتاب من مصنفات أبي حامد الغزالي رحمه الله ألفه في أصول الفقه ووجهه قد ذكر الحقيقة والمجاز وقسم المجاز إلى أربعة عشر قسما وتلك الأربعة عشر ترجع إلى الثلاثة التي أشرت إليها وهي التوسع والتشبيه والاستعارة ولا يخرج عنها والتقسيم لا يصح في شيء من الأشياء الا اذا اختلف كل قسم من الأقسام بصفة لا يختص بها غيره والا كان التقسيم لغوا لا فائدة فيه * وسأورد ما ذكره وأبين فسادا (فالقسم الأول) من الأقسام التي ذكرها هو ما جعل للشيء بسبب المشاركة في خاصية كقوله لهم للشجاع أسد وللبليد حمار وهذا القسم داخل في الاستعارة ان ذكر المنقول وحده مثل أن يقول القائل رأيت أسدا ومن ادعرجا لا شجاعا أو رأيت حمارا ومن ادعرجا بليدا ودخل في التشبيه المضمرا لاداة ان ذكر المنقول والمنقول اليه معا كقول القائل زيد أسد أي كالأسد أو حمار أي كالحمار (القسم الثاني) تسمية الشيء باسم ما يؤل إليه كقوله تعالى اني أراي أعصر نخرا وإنما كان يعصر عنبا وهذا القسم داخل في القسم الأول لصفة المشابهة بين المنقول والمنقول اليه وهو من باب الاستعارة لا بل أو غل في المشابهة من ذلك لان الخمر من العنب وليس الأسد من الرجل ولا الرجل من الأسد (القسم الثالث) تسمية الشيء باسم فرعه كقول الشاعر

وما العيش الا نومة ونشوق * وقر على رأس النخيل وماء

فسمى الرطب قرا وهذا القسم والقسم الذي قبله سواء لان هذا يسمى العنب
نجرا وهما يسمى الرطب قرا فالعنب أصل والنجر فرع وكذلك الرطب أصل والتمر
فرع وكلا هذين القسمين داخل في القسم الاول وهب أن الغزالي لم يحقق أمر
المجاز وانقسامه الى تلك الاقسام الثلاثة التي أثبتت اليها ألم ينظر الى هذين
القسمين اللذين هما العنب والنجر والرطب والتمر ويعلم أنهم ما شئ واحد لا فرق
بينهما (القسم الرابع) تسمية الشئ باسم أصله كقوله لهم للآدمي مضغة وهذا
ضد القسم الذي قبله لان ذلك جعل الاصل فيه فرعاً وهذا جعل الفرع فيه أصلاً
وهو داخل في القسم الاول أيضاً (القسم الخامس) تسمية الشئ بدواعيه
كتسميتهم الاعتقاد قولاً لا شوق قولهم هذا يقول بقول الشافعي رحمه الله أي
يعتقد اعتقاده وهذا القسم داخل في القسم الاول لان بين القول وبين
الاعتقاد مناسبة كالمناسبة بين السبب والمسبب والباطن والظاهر
(القسم السادس) تسمية الشئ باسم مكانه كقوله لهم للامطر سماء لانه ينزل منها
وهذا القسم داخل في الاول لصفة المناسبة بين المنقول والمنقول اليه وهو
النزول من عال وكل ما علاك فأطلق فهو سماء على أن الاغلب على ظني أن هذا
القسم من الاسماء المشتركة وتسمية المطر بالسماء حقيقة فيه وليس من المجاز
في شئ (القسم السابع) تسمية الشئ باسم مجاوره كقوله لهم للامزادة راوية وانما
الراوية الجمل الذي يحملها وهذا القسم من باب التوسيع لامن باب التشبيه
ولامن باب الاستعارة لان على قياسه ينبغي أن يسمى الجمل زاملة لانه يحملها
(القسم الثامن) تسمية الشئ باسم جزئه كقوله لمن تبغضه أبعده الله وجهه عنى
وانما تريد سائر جنته وهذا القسم داخل في القسم الاول وهو شبهه بتسمية الشئ
باسم فرعه (القسم التاسع) تسمية الشئ باسم ضده كقوله لهم للاسود والابيض
جون وهذا القسم ليس من المجاز في شئ البتة وانما هو حقيقة في هذين المسميين
معاً لانه من الاسماء المشتركة كقوله لهم شمت السيف اذا سلمته وشتمه اذا أغمدته
فدل الشيم على الضدين معاً بالوضع الحقيقي وفي اللغة من هذا شئ كثير فكيف
يجعل هذا القسم من المجاز ولا شك أن الغزالي نظر الى أن الضدين لا يجتمعان
في محل واحد فقياس الاسم على الذات وظن أن الذاتين لا يجتمعان في اسم واحد

كما أنهم لا يجتمعان في محل واحد (فان قيل) لان سلم أن اللفظ المشترك حقيقة
 بالوضع في المعنيين مع الان ذلك يحل بفائدة الوضع الذي هو البيان وانما هو حقيقة
 في أحد معنييه مجاز في الآخر (فالجواب عن ذلك) أن هذا الموضع تقدم
 الكلام عليه في الفصل الثاني من مقدمة الكتاب وهو الفصل الذي يشتمل على
 آلات علم البيان وأدواته فليؤخذ من هنالك فاني قد أشبعت القول فيه اشباعا
 لا مزيد عليه (القسم العاشر) تسمية الشيء بفعله كتسمية الخمر مسكرا وهذا
 القسم داخل في القسم الاول وأى مشاركة أقرب من هذه المشاركة فان
 الاسكار صفة لازمة للخمر وليست الشجاعة صفة لازمة لزيد لانه يمكن أن يكون
 زيد ولا شجاعة ولا يمكن أن يكون نخرو ولا اسكار الا يرى أنهم لم تسم نخرا الا
 لاسكارها فانما تخمر العقل أي تستره (القسم الحادي عشر) تسمية الشيء بكلمة
 كقولك في جواب ما فعل زيد القيام والقيام جنس يتناول جميع أنواعه وهذا
 القسم لا ينبغي أن يوصل باقسام المجاز لان القيام لزيد حقيقة (فان قيل) ان
 القيام يشتمل جميع أنواع القيام من الماضي والحاضر والمستقبل (قلت) وهذا
 من أقرب أقسام المجاز مناسبة لانه اقامة للمصدر مقام الفعل الماضي والمصدر
 أصل الفعل وعلى هذا فان هذا داخل في القسم الاول (القسم الثاني عشر)
 الزيادة في الكلام لغير فائدة كقوله تعالى فيمارة من الله انت لهم فمارة
 زائدة لا معنى لها أي فبرحة من الله انت لهم وهذا القول لا أراه صوابا
 وفيه نظر من وجهين أحدهما أن هذا القسم ليس من المجاز لان المجاز هو دلالة
 اللفظ على غير ما وضع له في أصل اللغة وهذا غير موجود في الآية وانما هي دالة
 على الوضع اللغوي المنطوق به في أصل اللغة الوجه الآخر أني لو سلمت أن ذلك
 من المجاز لانتكرت أن لفظة ما زائدة لا معنى لها ولكنها وردت تفخيما لا امر
 النعمة التي لان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اهم وهي محض الفصاحة ولو
 عرى الكلام منها لما كانت له تلك الفخامة وقد ورد مثلها في كلام العرب كالذي
 يحكى عن الزباء وذلك أن الوضاح الذي هو جذية البرش تزوجها والساكية
 في ذلك مشهورة فلما دخل عليها كشفت له عن فرجها وقد غفرت الشعر
 من فوقه صغيرتين وقالت اذات عروس ترى أما انه ليس ذلك من عوز المواس
 ولا من قلة الاواس ولكنه شبيهة ما أناس فمعنى الكلام ولكنه شبيهة أناس

وانما جاءت لفظة ما ههنا تغيب الشأن صاحب تلك التسمية وتعظيما لامره
ولو أسقطت لما كان للكلام ههنا هذه الفخامة والجزالة ولا يعرف ذلك الا أهله
من علماء الفصاحة والبلاغة وأما الغزالي رحمه الله تعالى فإنه معذور عندي
في أن لا يعرف ذلك لانه ليس فنه ومن ذهب الى أن في القرآن لفظا زائدا لامعنى
له فاما أن يكون جاهلا بهذا القول واما أن يكون متسعدا في دينه واعتقاده
وقول النحاة أن ما في هذه الآية زائدة فانما يعنون به أنها لا تنفع ما قبلها من
العمل كما يسمونها في موضع آخر كافة أى أنها تكفى الحرف العامل عن عمله
كقولك انما زيد قائم فاقدم كفت أن عن العمل في زيد وفي الآية لم تنفع عن العمل
ألا ترى أنها لم تنفع الباء عن العمل في خفض الرحمة (القسم الثالث عشر)
تسمية الشيء بحكمه كقوله تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد
النبي أن يستنكحها فسمى النكاح هبة وهذا القسم داخل في القسم الاول
لان النكاح هو تمكين الزوج من الوطء على عوض على هبة مخصوصة والهبة
تمكينه من الشيء الموهوب على غير عوض فشاركته الهبة النكاح في نفس
التمكين من الوطء وان اختلفا في الصورة (القسم الرابع عشر) النقصان الذي
لا يطل به المعنى كحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قال الله تعالى ومن
يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا أو يكذب المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه قال الله تعالى واسئل القرية أى أهل القرية وهذا القسم
داخل في القسم الاول أما حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه فلا ان الصفة
لازمة للموصوف وأما حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فلا انه دل
بالمسكون على الساكن وتلك مقارنة قريبة فهذه أقسام المجاز التي ذكرها
الغزالي رحمه الله تعالى وقد بينت فساد التقسيم فيها وأنها ترجع الى ثلاثة
أقسام هي التوسع والتشبيه والاستعارة (وحيث اتهم بي الكلام الى ههنا)
وفرغت مما أردت تحقيقه وبينت ما أردت بيانه فاني أتبع ذلك بضرب الامثلة
للاستعارة التي يستفيد بها المتعلم ما لا يستفده بذكر الحد والحقيقة (فما جاء من
ذلك في القرآن الكريم) قوله تعالى في أول سورة ابراهيم صلوات الله عليه
الكتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور فالظلمات
والنور استعارة للكفر والايان أول للضلال والهدى والمستعار له مطوى الذكر

كأنه قال أخرج الناس من الكفر الذي هو كالظلمة إلى الإيمان الذي هو كالنور
 وكذلك ورد قوله تعالى في هذه السورة أيضا وقد مكر وأمكرهم وعند الله
 مكرهم وإن كان مكرهم أنزل منه الجبال والقراءة ترفع أنزل منه الجبال ليست
 من باب الاستعارة ولكنها في نصب نزول واللام كي والجبال ههنا استعارة
 طوى فيها ذكر المستعار له وهو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به
 من الآيات والمعجزات أي أنهم مكرروا مكرهم لكي تنزل منه هذه الآيات
 والمعجزات التي هي في ثباتها واستقرارها كالجبال وعلى هذا ورد قوله تعالى
 والشجر أن يتبعهم الغياورون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون
 ما لا يفعلون فاستعار الأودية للفنون والأغراض من المعاني الشعرية التي
 يقصدونها وإنما خص الأودية بالاستعارة ولم يستعرا الطرق والمسالك أو
 ما جرى مجراها لأن معاني الشعر تستخرج بأفكار الروية والفكرة والروية
 فيها خفاء وغموض فكان استعارة الأودية لها أشبه وأبقى والاستعارة
 في القرآن قليلة لكن التشبيه المضمحل الأداة كثير وكذلك هي في فصح الكلام
 من الرسائل والخطب والأشعار لأن طي المستعار له لا يتيسر في كل كلام
 وأما التشبيه المضمحل الأداة فكثير سهل لما كان أظهر المشبه والمشبه به معا
 (وعاورد من الاستعارة في الأخبار النبوية) قول النبي صلى الله عليه وسلم
 لا تستضيئون أنوار المشركين فاستعار النار للرأي والمشورة أي لا تهتدوا
 برأي المشركين ولا تأخذوا بمشورتهم وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه
 دخل يوما مصلاه فرأى أناسا كأنهم يكثرون فقال أما أنكم لو أكثرتم من ذكر
 هاذم الذات لشغلكم عما أرى وهازم الذات أراد به الموت وهو مطوى الذكر
 (وبلغني عن العرب) أنهم يقولون عند رؤية الهلال لامر حبا بالبحرين مقرب
 أجل ومحل وهذا من باب الاستعارة في طي ذكر المستعار له (وكذلك بلغني
 عن الحاج بن يوسف) أنه خطب خطبة عند قدمه العراق في أول ولايته إياه
 والخطبة مشهورة فمن جملتها أنه قال إن أمير المؤمنين نزل كائنه وبجملتها عودا
 عودا فرأى أصلها فجارا وأقومها عودا وأنفذها ناصلا فقوله نزل كائنه
 وبجملتها عودا عودا يريد أنه عرض رجاله واختبرهم واحدا واحدا
 اختباره فرأى أشدهم وأمضاهم وهذا من الاستعارة الحسنة الفاتحة (وقد

جاءني من الاستعارة في رسائلي) ما أذكر شيئا منه ولو مثالا واحدا وذلك أنه
سألتني بعض الأصدقاء أن أصف له غلامين تركيين كان بينهما واهما وكان أحدهما
يلبس قباء أحمر والآخر قباء أسود فقلت إذا تشعبت أسباب الهوى كانت لسرته
أظهر وأضحت أمراضه خطرا كلها ولا يقال في أحدهما هذا أخطر وقد
هويت بدرين على غصنين ولا طاقة للقلب بهوى واحد فكيف إذا حل هوى
اثنين ومما شجاني أنهم ما يتلوتنان في أصباح الثياب كما يتلوتنان في فنون التحريم
والعتاب وقد استجدا الآن زبالا من يدعي حسنهما في حسنه فهذا يخرج
في ثوب من حرة خذه وهذا في ثوب من سواد جفنه وما أدري من دلهما على
هذا العجيب غير أنه ليس على فتنة الحب أهدي من حبيب وهذا الفصل بجملة
مما توأصفه الناس وأغروا بحفظه (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فكقول مسكين
الدارمي من شعراء الحماسة

لما في لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهني عنه غزال مقنع
أحدثه إن الحديث من القرى * وتعلم نفسي أنه سوف يجمع
فالغزال المقنع هنا استعارة للمرأة الحسنة (وكذا ورد) قول رجل من بني
يسار في كتاب الحماسة أيضا

أقول لنفسي حين حق زوالها * رويدك لما اشتقي حين مشفق
رويدك حتى تنظري عم تجلي * غمامة هذا العارض المتألق
فالعارض المتألق استعارة للحرب أو الذي أطل به كروحه كالبارق المتألق
(ويحكى) أن امرأة وقفت لعبد الملك بن مروان وهو سائر إلى قتال مصعب بن
الزبير فقالت يا أمير المؤمنين فقال رويدك حتى تنظري عم تجلي وأنشد البيت
(ومن هذا الباب) قول عبد السلام بن رعيان المعروف بديك الجن
لما نظرت إلى عن جدق المها * وبسمت عن متفتح النسوار
وعقدت بين قضيبان أهيف * وكثيب رمل عقدة الزنار
عقرت خدي في الثرى لك طائعا * وعزمت فيك على دخول النار
وهذه الآيات لا تجد لها في الحسن شريكا ولأن يسمى قائلها شحرورا أولى من
أن يسمى ديكا وكذلك ورد قوله
لا ومكان الصليب في النحر منك * وهجرى الزنار في النحر

والخمال في الخلد إذ أشبهه * وردة مسك على ثرى تبر
وتحجب مذ خطه قلم الحس * نبحير البهاء لا الحبر
والنحوان بفيضك منتظم * على شبيهه من رائق النحر
فالبيت الرابع هو المخصوص بالاستعارة والمستعار له هو الثغر والريق (وعما
ورد لابي تمام) في هذا المعنى قوله

لما غدا منظم الاحشاء من أشمر * أسكنت جانحه كوكبا قد
قال كوكب استعارة للرمح (وكذلك ورد قوله) في الاعتذار
أسرى طريق اللحياء من التي * زعموا وليس لرهبنة بطريق
وغدا تبين ما براعة ساحتي * لو قد نقضت تهائمى ونجودى
والتهائم والنجود هما استعارة عما استعاره من باطن أمره وظاهره وكذلك ورد
قوله كم أحرزت قضب الهندى مصلته * ثم ستر من قضب تهترى كشب
فالقضب والكشب استعارة للقدود والارداف وكذلك ورد في هذه القصيدة
أيضا عند ذكر ملك الروم وانهم زامه لما فتحت مدينة عمورية فقال
ان يعد من حرها عدو الظليم فقد * أوسعت جاحها من كثرة الخطب
فالخطب استعارة للقتلى وقبل هذا البيت ما يدل عليه لانه قال
أخذى قرايينه صرف الردى ومضى * يحث أنجي مطايا من الهرب
موكل لا يفعاع الارض يشرفها * من خفة الخوف لامن خفة الطرب
ان يعد من حرها عدو الظليم البيت وأحسن من هذا كله قوله

تطل الطلول الدمع في كل منزل * وتمثل بالصبر الديار الموائل
دوايس لم يحف الربيع ربوعها * ولا تمر في اغفالها وهو غافل
يعفين من زاد العفافة اذا اتقى * على الحى ضرب الازمة المتحامل
فقوله زاد العفافة استعارة طوى فيها ذكر المستعار له وهو أهل الديار كأنه قال
يعفين من قوم هم زاد العفافة (وله في الغزل) من الاستعارة ما بلغ به غاية اللطافة
والرقة وذلك في قصيدته التي مطلعها * ان عهد الوتعلمان ذميا * فقال
قد مررتا بالدار وهي خلاء * فبكينا طلواها والرسوما
وسألنا ربوعها فانصرفنا * بسقام وما سالنا حكيما
كنت أرى النجوم حتى اذا ما * فارقوني أمسيت أرى النجوم

والبيت الثالث هو المخصوص بالاستعارة وعلى هذا المنهاج ورد قول الجعري
وأغتر في الزمن البهيم فحجل * قدرحت منه على أغتر فحجل
والاغتر المحجل الاول هو الممدوح والاغتر المحجل الثاني هو الفرس الذي أعطاه
اياه (وكذلك) ورد قوله

وصاعة - في كفه تنكفي بها * على أروس الاعداء خمس سحائب
وهذا من النمط العالي الذي شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر الى
استعارته والمراد بالسحائب الخمس الاصابع (وكذلك) ورد في آيات الحماسة
دك طود الكفر دكا * صاعق من وقع سيفك
أرسلته خمس سحب * نشأت من بحر ركفك

(وكذلك) ورد قوله في آيات يصف فيها السيف
جالت جمائله القدية بقله * من عهد جاد غضة لم تذبل
وهذا من الحسن على ما يشهد لنفسه كأنه قال جلت جمائله سيفنا أخضر الحديد
كالبقلة (وعلى هذا الأسلوب) ورد قول أبي الطيب المتنبي
في اللذان عزم الخليط رحيلاً * مطر ترذيبه الحدود محولاً
وكذلك ورد قوله يتديبه في المناضة ضيغم وأحسن من هذا قوله في قصيدته
التي مطلعها * عقي اليمين على عقي الوغى ندم

وأصبحت بقرى هنزيط جائلة * ترجى الطي في خصيب نبتة اللهم
فما تركن بهما خلد له بصر * تحت التراب ولا يباله قدم
ولا هزرا له من درعه ليد * ولا مهاة لها من شبيهها حشم
وهذا من الملمح النادر فالخلد استعارة لمن اختفى تحت التراب خائفاً والبار
استعارة لمن طارها ربا والهزبر والمهاة استعارتان للرجال المقاتلة والنساء
من السبايا (ومن هذا الباب قوله)

كل جريح ترجى سلامته * الأجر يجادهته عيناها
تبلى خدي كلما ابتسمت * من مطر برقه شياها

والبيت الثاني من الايات الحسان التي تتوافت وقد حسن الاستعارة التي
فيه أنه جاء ذكر المطر مع البرق (وبلغني عن أبي الفتح بن جني) رحمه الله أنه شرح
ذلك في كتابه الموسوم بالمفسر الذي ألفه في شرح شعر أبي الطيب فقال انها كانت

رد على ابن سنان وعذره في خطابه الاستعارة بالتشبيه المضر الاداة

تبرق في وجهه فظن أن أبا الطيب أراد أنها كانت تبسم فيخرج الريق من فمها ويوقع على وجهه فشبهه بالمطر وما كنت أظن أن أحدا من الناس يذهب وجهه وخاطره حيث ذهب وجه هذا الرجل وخاطره وإذا كان هذا قول امام من أئمة العربية تشد إليه الرحال فما يقال في غيره لكن فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والاعراب (وكذلك) ورد قول الشريف الرضي

إذا أنت أقيت العسر انين والذرى * ومثل الليالي من يد الخامل الغمر
وهبك أقيت السهم من حيث يتقى * فن ليد ترميك من حيث لا تدري
فالعرانين والذرى هما عظماء الناس وأشرافهم كأنه قال إذا أقيت عظماء
الناس رميت من يد الخامل (واذا قد بينت) أن الاستعارة لا تكون الا بحيث
يطوى ذكر المستعار له فانها لا تجي إلا ملائمة مناسبة ولا يوجد فيها مباينة
ولا تباعد لانها لا تذكر مطوية الا لبيان المناسبة بين المستعار منه والمستعار له
ولو طويت ولم يكن هنالك مناسبة بين المستعار منه والمستعار له لعسر فهمها
ولم بين المراد منها (ورأيت أبا محمد عبد الله بن سنان الخفاجي) رحمه الله تعالى
قد خلط الاستعارة بالتشبيه المضر الاداة ولم يفرق بينهما وتأسى في ذلك بغيره من
علماء البيان كابي هلال العسكري والغناني وأبي القاسم الحسين بن بشر
الآمدي على أن أبا القاسم بن بشر الآمدي كان أثبت القوم قدما في فن
الفصاحة والبلاغة وكأبه المسمى بالموازنة بين شعر الطائيين يشهد له بذلك وما أعلم
كيف خفي عليه الفرق بين الاستعارة والتشبيه المضر الاداة (ومما أورده ابن
سنان) في كتابه الموسوم بسر الفصاحة قول امرئ القيس في صفة الليل
فقلت له لما عطى بصلبه * وأردف ابحازا وماء بكل كل

وهذا البيت من التشبيه المضر الاداة لان المستعار له مذكور وهو الليل وعلى
الخطا في خطابه بالاستعارة فان ابن سنان أخطأ في الرد على الآمدي ولم يوفق
للصواب وأنا أتكلم على ما ذكره ولا أضايقه في الاستعارة والتشبيه بل أنزل
معه على ما رآه من أنه استعارة ثم أبين فساد ما ذهب اليه وذلك أن الآمدي
قال في كتاب الموازنة ان امرأ القيس وصف أحوال الليل الطويل فذكر كرامته داد
وسطه وثناقل صدره وترادف ابحازه فلما جعل له وسطا ممتدا وصدره ثقلا
وابحازا رادفة لوسطه استعار له اسم الصليب وجعله متمطيا من أجل امتداده

واسم الكل كل وجعله نائباً للتثاقله واسم العجز من أجل نهوضه فقال ابن سنان
الخفاجي معترضاً عليه أن هذا الذي ذكره الآمدي ليس برضى غاية الرضا وأن
بيت امرئ القيس ليس من الاستعارة الجيدة ولا الرديئة بل هو وسط فإن
الآمدي قد أفصح بأن امرئ القيس لما جعل الليل وسطاً ممتداً الاستعارة له اسم
الصلب وجعله ممتطياً من أجل امتداده وحيث جعل له آخر أو أولاً استعار له
عجزاً وكل كلا وهذا كله انما يحسن بعضه مع بعض فذكر الصلابة انما يحسن من
أجل العجز والوسط والتمطى من أجل الصلابة والكل كل لمجموع ذلك وهذه
استعارة مبنية على استعارة أخرى هذا حكاية كلامه في الاعتراض على
الآمدي (وفيه نظر من وجهين الأول) أنه قال هذا بيت من الاستعارة
الوسطى التي ليست بجيدة ولا رديئة ثم جعلها استعارة مبنية على استعارة أخرى
وعنده أن الاستعارة المبنية على الاستعارة من أبعد الاستعارات وذلك أنه قسم
الاستعارة الى قسمين قريب مختار وبعيد مطروح فالقريب المختار ما كان بينه
وبين ما استعير له تناسب قوى وشبه واضح والبعيد المطروح اما أن يكون لبعده
عما استعير له في الأصل أو لانه استعارة مبنية على استعارة أخرى فيضعف لذلك
هذا ما ذكره ابن سنان الخفاجي في تقسيم الاستعارة وإذا كانت الاستعارة
المبنية على استعارة أخرى عنده بعيدة مطروحة فكيف جعلها وسطاً هذا تناقض
في القول (الوجه الثاني) أنه لم يأخذ على الآمدي في موضع الاختلاف أنه لم يختار
الاما حسن اختياره وذلك أن حد الاستعارة على ما رآه الآمدي وابن سنان
هو نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما وان كان المذهب الصحيح
في حد الاستعارة غير ذلك على ما تقدم الكلام عليه ولكن في هذا الموضع
أنزل معهما على ما رأينا حتى يتوجه الكلام على الحكم بينهما في بيت امرئ
القيس وأخذنا الاستعارة بهذا الحد فيه يفرق على رأي ابن سنان بين
الاستعارة المرضية والاستعارة المطروحة فإذا وجدنا استعارة في كلام ما
عرضناها على هذا الحد فوجدنا فيه مناسبة بين المنقول عنه والمنقول
اليه حكمنا له بالجوادة وما لم نجد فيه تلك المناسبة حكمنا عليه بالرداءة وبيت
امرئ القيس من الاستعارات المرضية لانه لو لم يكن لليل صدر أعني أولاً
ولم يكن له وسط وآخر لما حسنت هذه الاستعارة ولما كان الامر كذلك استعار

لوسطه صلبا وجعله متطبا واستعار لصدره المتشاغل أعنى قوله ككلا وجعله نائبا
 واستعار لآخره عجزا وجعله رادفا لوسطه وكل ذلك من الاستعارات المناسبة
 وأما قول ابن سنان الخفاجي أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى بعيدة
 مطرحة فإن في هذا القول نظرا وذاك أنه قد ثبت أنها أصل نقيس عليه في الفرق
 بين الاستعارة المرضية والمطرحة كما أريناك ولا يمنع ذلك من أن يجيء استعارة
 مبنية على استعارة أخرى وتوجد فيها المناسبة المطلوبة في الاستعارة
 المرضية فإنه قد ورد في القرآن الكريم ما هو من هذا الجنس وهو قوله تعالى
 وضرب الله مثلا لاقرية كانت آمنة مطمئنة يأتيهم رزقها رغدا من كل مكان
 فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فهذه ثلاث استعارات
 ينبثق بعضها على بعض فالأولى استعارة القرية للاهل والثانية استعارة الذوق
 للباس والثالثة استعارة اللباس للجوع والخوف وهذه الاستعارات الثلاث
 من التنااسب على ما لا يخفى فكيف يذم ابن سنان الخفاجي الاستعارة المبنية
 على استعارة أخرى وما أقول أن ذلك شذذه إلا لأنه لم ينظر إلى الأصل
 المقيس عليه وهو التنااسب بين المنقول عنه والمنقول اليه بل نظر إلى التقسيم
 الذي هو قسمه في القرب أو البعد ورأى أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى
 تكون بعيدة فحكم عليها بالاطراح وإذا كان الأصل انما هو التنااسب فلا فرق
 بين أن يوجد في استعارة واحدة أو في استعارة مبنية على استعارة ولهذا أشبه
 ونظائر في غير الاستعارة ألا ترى أن المنطقي يقول في المقدمة والنتيجة كل
 انسان حيوان وكل حيوان نام فكل انسان نام وكذلك يقول المهندس
 في بعض الاشكال الهندسية اذا كان خط اب مثل خط ب وخط ب ح مثل خط ج د
 فخط اب مثل خط ج د وهكذا أقول أنا في الاستعارة اذا كانت الاستعارة
 الأولى مناسبة ثم جئ عليها استعارة ثانية وكانت أيضا مناسبة فالجميع متناسب
 وهذا أمر برهاني لا يتصور انكاره وهذا الكلام الذي أورده ههنا هو اعتراض
 على ما ذكره ابن سنان الخفاجي في الاستعارة فلا تظن أني موافقه في الأصل وانما
 وافقته قصد التبيين وجه الخطأ في كلامه وكيف يسوغ لي موافقته وقد ثبت
 عندي بالدليل أن الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له وفيما قدمته
 من الكلام كفاية (النوع الثاني في التشبيه) وجدت علماء البيان قد فرقوا

بين التشبيه والتشيل وجعلوا له - ذابا بامفردا وله - ذابا بامفردا وهما شئ واحد
لا فرق بينهما في أصل الوضع يقال شئت هذا الشئ بهذا الشئ كما يقال مثلته به
وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه وكنت قد تمت
القول في باب الاستعارة على الفرق بين التشبيه وبينها ولا حاجة الى اعادته ههنا
مرة ثانية (والتشبيه ينقسم قسمين) مظهر او مضمرا وفي المضمرا اشكال في تقدير
أداة التشبيه فيه في بعض المواضع (وهو ينقسم أقساما خمسة فالأول) يقع
موقع المبتدأ والخبر مفردين (والثاني) يقع موقع المبتدأ المفرد والخبر جملة
مركبة من مضاف ومضاف اليه (والثالث) يقع موقع المبتدأ والخبر جملتين
(والرابع) يرد على وجه الفعل والفاعل (والخامس) يرد على وجه المثل المضروب
وهذان القسمان الاخيران هما أشكال الاقسام الخمسة في تقدير أداة التشبيه
(أما الأول) فكقولنا زيد أسد فهذا مبتدأ وخبره وإذا قدرت أداة التشبيه فيه
كان ذلك يديه النظر على الفور فقل زيد كالأسد (وأما القسم الثاني والثالث)
فانهما متوسطان في تقدير أداة التشبيه فيهما فالثاني كقول النبي صلى الله عليه
وسلم الكفاة جدرى الأرض وهذا يتنوع نوعين فإذا كان المضاف اليه معرفة
كهذا الخبر النبوي لا يحتاج في تقدير أداة التشبيه الى تقديم المضاف اليه بل ان
شئنا قدمناه وان شئنا أخرناه فقلنا الكفاة للأرض كالجدرى أو الكفاة
كالجدرى للأرض وإذا كان المضاف اليه نكرة فلا بد من تقديمه عند تقدير أداة
التشبيه من ذلك قول البصري

نعم سماح لا يجب له حيا * ومعه حرب لا يضيع له وتر
فإذا قدرنا أداة التشبيه ههنا قلنا سماح كالغمام ولا يتدرا الأهل هذا والمبتدأ
في هذا البيت محذوف وهو الإشارة الى المدح كأنه قال هو غمام سماح
(ومن هذا النوع) ما يشكل تقدير أداة التشبيه فيه على غير العارف بهذا الفن
كقول أبي تمام أي مرعى عين ووادي نسيب * طيبته الايام في محبوب
ومراد أبي تمام أن يصف هذا المكان بأنه كان حسنا ثم زال عنه حسنه فقال
بأن العين كانت تلتذ بالنظر اليه كالتذاز الساعية بالمرعى فانه كان يشب به
في الاشعار لحسنه وطيبه وإذا قدرنا أداة التشبيه ههنا قلنا كأنه كان للعين مرعى
ولنسيب منزلا ومألفا وإذا جاء شئ من الابيات الشعرية على هذا الاسلوب

أو ما يجري مجراه فإنه يحتاج إلى عارف بوضع أداة التشبيه فيه (وأما الثالث) فيكون قول النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكتب الناس على منائرهم في نار جهنم إلا صائد أنتهم كأنه قال كلام الائمة كصائد المناجل وهذا القسم لا يكون التشبيه مذكوراً فيه بل تذكر صفته ألا ترى أن المنجل لم يذكر ههنا وإنما ذكرت صفته وهي الحصد وكل ما يجي من هذا القسم فإنه لا يرد إلا كذلك (وأما القسم الرابع والخامس) اللذان هما أشكل الأقسام المذكورة في تقدير أداة التشبيه فهما قانها لا يظن لهما أنهما تشبيه (فما جاء من القسم الرابع) قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم وتقدير أداة التشبيه في هذا الموضع أن يقال هم في ايمانهم كالتيبوي داراً أي أنهم قد اتخذوا الايمان مسكناً يسكنونه يصف بذلك تمكثهم منه (وعلى هذا) ورد قول أبي تمام

نظمت مقلة الفتى الملهوف * فتشكت بفيض دمع دروف

وإذا أردنا أن نقدر أداة التشبيه ههنا قلنا دمع العين كنطق اللسان أو قلنا العين الباكية كأنها تنطق بما في الضمير (وأما ما جاء من القسم الخامس) فيكون قول الفرزدق يهجو جريراً

ماضرت تغلب وائل أهجوتها * أم بات حيث تناطح الجيران

فتشبه هجاء جرير تغلب وائل بيوله في جمع الجارين فكأن أن البول في مجمع البحرين لا يؤثر شيئاً فكذلك هجاء ولاء القوم لا يؤثر شيئاً وهذا البيت من الايات الذي أقره الناس بالحسن وكذلك ورد قوله أيضاً

قوارص تأتيني وتجتقرونها * وقد عملا القطر الاناء فيفعم

فانه شبه القوارص التي تأتيه محقرة بالقطر الذي عملا الاناء على صغر مقداره يشير بذلك إلى أن الكثرة تجعل الصغير من الامر كبيراً وهذا الموضع يشكل على كثير من علماء البيان ويخلطونه بالاستعارة كقول الجعفي في التمزية يولد تعز فان السيف يمضي وان وهت * سمائله عنه وخلاه طامه

وهذا ليس من التشبيه وإنما هو استعارة لأن المستعار له مطوى المذكور وهو المعزى كأنه قال تعز فانك كالسيف الذي يمضي وان وهت سمائله وخلاه طامه (فان قيل) انك قدمت القول في باب الاستعارة بأن التشبيه المضمر الاداة يحسن تقدير أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن تقدير أداة التشبيه فيها وجعلت ذلك هو الفرق

بين التشبيه المضمحل الاداة وبين الاستعارة وقررت ذلك تقريراً طويلاً عريضاً ثم ترأيت
 قد نقضته ههنا بقولك ان من التشبيه المضمحل الاداة ما يشكل تقدير اداة التشبيه
 فيه وانه يحتاج في تقديرها الى نظر كهذين البيتين المذكورين للفرزدق وما يجري
 مجراهما (فالجواب) عن ذلك اني أقول هذا الذي ذكرته لا ينقض على شيأ مما
 قدمت القول فيه في باب الاستعارة لاني قلت ان التشبيه المضمحل الاداة يحسن
 تقدير الاداة فيه أي لا يتغير بتقديرها فيه عن صفته التي اتصف بها من فصاحة
 وبلاغة وليس كذلك الاستعارة فانها اذا قدرت اداة التشبيه فيها تغيرت عن صفتها
 التي اتصفت بها من فصاحة وبلاغة وأما الذي ورد ههنا من بيتي الفرزدق وما
 يجري مجراهما من التشبيه المضمحل الاداة فان اداة التشبيه لا تنقض فيه وهو على
 حاله من النظم حتى يتبين هل تغيرت صفته التي اتصف بها من فصاحة وبلاغة أم لا
 وانما تنقض اداة التشبيه فيه على وجه آخر وهذا لا ينقض ما أنشئت اليه في باب
 الاستعارة (واذا ثبتت هذه الاقسام الاربعة فأقول) ان التشبيه المضمحل يبلغ من
 التشبيه المظهر وأوجز أمّا كونه أبلغ فلجعل المشبه مشبهاً به من غير واسطة اداة
 فيكون هو اياه فانك اذا قلت زيد أسد كنت قد جعلته أسداً من غير اظهار اداة
 التشبيه وأما كونه أوجز فلحذف اداة التشبيه منه وعلى هذا فان القسمين
 من المظهر والمضمحل كليهما في فضيلة البيان سواء فان الغرض المقصود من قولنا زيد
 أسد أن يتبين حال زيد في اتصافه بشهامة النفس وقوة البطش وجراءة الاقدام
 وغير ذلك مما يجري مجراه الا أنال نجد شيئاً يدل به عليه سوى أن جعلناه شبيهاً بالأسد
 حيث كانت هذه الصفات مختصة به فصار ما قصدناه من هذا القول أكشف
 وأبين من أن لو قلنا زيد شهم شجاع قوى البطش جرى الجنان وأشبهه ذلك لما قد
 عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات في المشبه به أعني الأسد وأما زيد الذي هو
 المشبه فليس معروفاً به وان كانت موجودة فيه وكلا هذين القسمين أيضاً يختص
 بفضيلة الایجاز وان كان المضمحل أوجز من المظهر لان قولنا زيد أسد أو كلاً سيدي
 سيد قولنا زيد من حاله كبت وكبت وهو من الشجاعة والشدة على كذا وكذا مما
 يطول ذكره فالتشبيه اذاً يجمع صفات ثلاثة هي المبالغة والبيان والایجاز كما
 أريت لك الا أنه من بين أنواع علم البيان مستوعر المذهب وهو مقتل من مقاتل
 البلاغة وسبب ذلك أن حمل الشيء على الشيء بالماثلة اما صورة واما معنى يعز

صوابه وتعمير الابادة فيه وقلما أكثر منه أحد الا عشر كما فعل ابن المعتز من أدباء
العراق وابن وكيع من أدباء مصر فانهما أكثر من ذلك لاسيما في وصف الرياض
والاشجار والازهار والثمار لا جرم أنهم ما أتيا بالغث البارد الذي لا يثبت على محك
الصواب فعليك أن تتوقى ما أشرت اليه (وأما فائدة التشبيه من الكلام) فهي
أنك اذا مثلت الشيء بالشيء فانما تقصده اثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به
أو عكسه وذلك أو كد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه ألا ترى أنك اذا شبهت
صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يذعوالى
الترغيب فيها وكذلك اذا شبهتها بصورة شئ أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس
خيالا قبيحا يذعوالى التنفير عنها وهذا النزاع فيه ولنضرب له مثلا يوضحه
فنقول قد ورد عن ابن الرومي في مدح العسل وذمه بيت من الشعر وهو

تقول هذا يجاج الخلل قدحه * وان تعب قلت ذاق الزنا بدير

ألا ترى كيف مدح وذم الشيء الواحد بتصرف التشبيه المجازي المضمر الاداة
الذي خيل به الى السامع خيالا يحسن الشيء عند تارة ويقبحه أخرى ولولا
التوصل بطريق التشبيه على هذا الوجه لما أمكنه ذلك وهذا المثال كاف فيما
أردناه (واعلم أن محاسن التشبيه) أن يجي مصدرها كقوله اقدم اقدم الاسد
وقاض قبض البحر وهو أحسن ما استعمل في باب التشبيه كقول أبي نواس في
وصف الخمر

واذا ما من جوها * وثبت وثب الجراد * واذا ما شربوها * أخذت أخذ الرقاد

وقيل أن من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الشيء بشئ أعظم وأكبر منه وأعظم ومن
هنا غلط بعض الكتاب من أهل مصر في ذكر حصن من حصون الجبال مشبهها له
فقال هامة عليها من الغمامة عمامة وانما تخضع الاصيل فسكان الهلال منها
قلامة وهذا الكتاب حفظ شيئا وغابت عنه أشياء فانه أخطأ في قوله اغلة وأى
مقدار الاغلة بالنسبة الى تشبيه حصن على رأس جبل وأصاب في المناسبة بين ذكر
الاغلة والقلامة وتشبيهها بالهلال (فان قيل) ان هذا الكتاب تأملى فيما ذكره
بكلام الله تعالى حيث قال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
فمثل نوره بطلاقة فيها ذبالة وقال الله تعالى والقمر قد رنا منازل حتى عاد
كالعرجون القديم فمثل الهلال بأصل عذق النخلة (فالجواب) عن ذلك أني

أقول أما تمثيل نور الله تعالى بمشكاة فيها مصباح فإن هذا مثال ضربه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليه أنه قال تود من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية وإذا نظرت إلى هذا الموضع وجدته تشبيها لطيفا عجيبا وذلك أن قلب النبي صلى الله عليه وسلم وما ألقى فيه من النور وما هو عليه من الصفة الشفافة كالزجاجة التي كأنها كوكب لصفائها وإضاءتها وأما الشجرة المباركة التي لا شرقية ولا غربية فإنها عبارة عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم لأنه من أرض الحجاز التي لا تميل إلى الشرق ولا إلى الغرب وأما زيت هذه الزجاجة فإنه مضيء من غير أن تمسه نار والمراد بذلك أن فطرته فطرة صافية من الأكدار متيرة من قبل مصالحة الأنوار فهذا هو المراد بالتشبيه الذي ورد في هذه الآية (وأما الآية الأخرى) فإنه شبه به الهلال في باب العرجون القديم وذلك في هيئة تحوله واستدارته لا في مقداره فإن مقدار الهلال عظيم ولا نسبة للعرجون إليه لكنه في مرأى النظر كالعرجون هيئة لا مقدارا وأما هذا الكاتب فإن تشبيهه ليس على هذا النسق لأنه شبه صورة الحصن بأعمدة في المقدار لا في الهيئة والشكل وهذا غير حسن ولا مناسب وإنما ألقاه فيه أنه قصده الهلال والقلامه مع ذكر الأعمدة فأخطأ من جهة وأصاب من جهة لكن خطؤه غطى على صوابه (والقول السديد) في بلاغة التشبيه هو ما ذكره وهو أن إطلاق من أطلق قوله في أن من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الأصغر بالأكبر غير سديد فإن هذا قول غير حاصر للغرض المقصود لأن التشبيه يأتي تارة في معرض المدح وتارة في معرض الذم وتارة في غير معرض مدح ولا ذم وإنما يأتي قصده اللابانة والإيضاح ولا يكون تشبيه الأصغر بأكبر كما ذهب إليه من ذهب بل القول الجامع في ذلك أن يقال إن التشبيه لا يعمد إليه الاضرب من المبالغة فاما أن يكون مدحا أو ذما أو بياناً وإيضاحاً ولا يخرج عن هذه المعاني الثلاثة وإذا كان الأمر كذلك فلا بد فيه من تقدير لفظة أفعال فإن لم تقدر فيه لفظة أفعال فليس بتشبيه بليغ ألا ترى أنا نقول في التشبيه المضمحل الأداة زيد أسد فقد شبهنا زيداً بالأسد الذي هو أشجع منه فإن لم يكن التشبيه في هذا المقام أشجع من زيد الذي هو المشبه والا كان التشبيه ناقصاً إذ لا مبالغة فيه (وأما التشبيه المظهر الأداة) فكقوله تعالى وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام وهذا تشبيه كبير بما هو أكبر منه لأن خلق السفن البحرية

كبير وخلق الجبال أكبر منه وكذلك اذا شبه شيء حسن بشيء حسن فانه اذا لم
يشبه بجاهل أو حسن منه فليس يوايد على طريق البلاغة وان شبه قبيح بقبيح وهكذا
ينبغي أن يكون المشبه به أقيح وان قصد البيان والايضاح فينبغي أن يكون المشبه
به أبين وأوضح فتقدير لفظة أفعل لا بد منه فيما يقصده بلاغة التشبيه والا كان
التشبيه ناقصا فاعلم ذلك وقس عليه (واعلم) انه لا يخلو تشبيه الشئين أحدهما
بالآخر من أربعة أقسام اتمام تشبيه معنى بمعنى كالذي تقدم ذكره من قولنا زيد
كلاسد واما تشبيه صورة بصورة كقوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف عين
فكأنهن يرضى مكنون واما تشبيه معنى بصورة كقوله تعالى والذين كفروا
أعمالهم كسراب بقيعة وهذا القسم أبلغ الاقسام الاربعة لتمثيله المعاني الموهومة
بالصور المشاهدة واما تشبيه صورة بمعنى كقول أبي تمام

وقتكت بالمال الجزيل وبالعدا * فتك الصباية بالحب المنعم

فشبهه فتك بالمال وبالعدا وذلك صورة مرئية بفتك الصباية وهو فتك معنوي
وهذا القسم أطف الاقسام الاربعة لانه نقل صورة الى غير صورة وكل واحد
من هذه الاقسام الاربعة المشار اليها لا يخلو تشبيه فيه من أربعة أقسام أيضا
اماتشبيه مفرد بمفرد واما تشبيه مركب بمركب واما تشبيه مفرد بمركب واما
تشبيه مركب بمفرد والمراد بقولنا مفرد ومركب أن المفرد يكون تشبيهه شئ
واحد بشئ واحد والمركب تشبيه شئين اثنين بشئين اثنين وكذلك المفرد بالمركب
والمركب بالمفرد فان أحدهما ما يكون تشبيهه شئ واحد بشئين اثنين والاخر يكون
تشبيهه شئين اثنين بشئ واحد واستأعني بقولي تشبيه شئين بشئين أنه لا يكون
الا كذلك بل أردت تشبيه شئين بشئين فافوقهما كقول بعضهم في الخبر

وكانها وكان حامل كاشها * اذا قام يجلوها على الندماء

شمس الضحى رقعت فنقط وجهها * بدر الدجى بكواكب الجوزاء

فشبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فانه شبه الساقى بالبدر وشبه الخمر بالشمس وشبه
الحبيب الذي فوقها بالكواكب (واذ يثبت) أن التشبيه ينقسم الى تلك الاقسام
الاربعة فاني أقول ان التشبيه المضمر الاداة قد قدمت القول في أنه ينقسم
الى خمسة أقسام فالقسم الاول لا يرد الا في تشبيه مفرد بمفرد والقسم الثاني
لا يرد الا في تشبيه مفرد بمركب والقسم الثالث لا يرد الا في تشبيه مركب بمركب

والقسم الرابع والخامس لا يردان الا في تشبيه مركب بمركب ألا ترى أنا اذا قلنا
 في القسم الاول زيد أسد كان ذلك تشبيه مفرد بمفرد واذا قلنا في القسم الثاني
 ما مثله من الخبر النبوي وهو الكجاء جدرى الارض كان ذلك تشبيه مفرد
 بمركب وكذلك بيت البحرى وبيت أبي تمام المشار اليه ما قيمته قدم واذا قلنا في
 القسم الثالث ما أشترنا اليه من الخبر النبوي أيضا الذى هو وهل يكب الناس
 على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد أسفهم كان ذلك تشبيه مركب بمركب واذا
 قلنا في القسم الرابع والخامس ما مثله من بيتى الفرزدق والبحرئى كان ذلك
 تشبيه مركب بمركب واذا كان الامر كذلك وجاءت شئ من التشبيه المضمحل
 الاداة وهو من القسم الاول فاعلم أنه تشبيه مفرد بمفرد واذا جاءت شئ من القسم
 الثانى فاعلم أنه تشبيه مفرد بمركب واذا جاءت شئ من القسم الثالث فاعلم أنه
 تشبيه مركب بمركب وكذلك اذا جاءت شئ من القسم الرابع والخامس
 فانهم ما من باب تشبيه المركب بالمركب وليرجع الى ذكر ما أشترنا اليه أولا في
 تقسيم التشبيه الى الاربعه الاقسام الاخرى التى هى تشبيه مفرد بمفرد وتشبيه
 مركب بمركب وتشبيه مفرد بمركب وتشبيه مركب بمركب (فالقسم الاول
 منها) كقوله تعالى فى المضمحل الاداة وجعلنا الليل لباسا فشبّه الليل باللباس
 وذلك انه ليس ترانس بهضهم عن بعض لمن أراد هربا من عدو أو شيئا تاعدو
 أو اخفاء ما لا يجب الاطلاع عليه من أمره وهذا من التشبيهات التى لم يأت بها
 الا القرآن الكريم فان تشبيه الليل باللباس مما اختص به دون غيره من الكلام
 المنثور والمنظوم وكذلك قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن تشبيه المرأة
 باللباس للرجل وشبه الرجل باللباس للمرأة (ومن محاسن التشبيهات) قوله تعالى
 نسأؤكم حرث لكم وهذا يكاد ينقله تناسبه عن درجة المجاز الى الحقيقة والحرف
 هو الارض التى تخرث للزراع وكذلك الرحم يزدرع فيه الولد اذ راعا كما يزدرع
 البذر فى الارض (ومن هذا الاسلوب) قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
 فشبّه تبرا الليل من النهار بانسلاخ الجلد عن الجسم المسلوخ وذلك انه لما كانت
 هو ادى الصبح عند طلوعه ملتحمة بأعجاز الليل أجرى عليها اسم السلخ وكان ذلك
 أولى من أن لو قيل يخرج لان السلخ أدل على الاتصاف من الانحارج وهذا تشبيه
 فى غاية المناسبة (وكذلك) ورد قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا فشبّه انتشار

الشيب باشتعال النار ولما كان الشيب يأخذ في الرأس ويسعى فيه شياً فشيأ حتى
يحميه إلى غير لونه الا قول كان بمنزلة النار التي تشتعل في الجسم وتسرى فيه حتى
تحميه إلى غير حاله الاولى وأحسن من هذا أن يقال انه شبه انتشار الشيب باشتعال
النار في سرعة التماسه وتعذر تلافيه وفي عظم الألم في القلب به وأنه لم يبق بعده
الا الخود فهذه أوصاف أربعة جامعة بين المشبه والمشبه به وذلك في الغاية
القصوى من التناسب والتلازم (وقد ورد في الامثال) الليل جنة الهارب وهذا
تشبيه حسن و~~ص~~كل ذلك من التشبيه المضر الاداة ومما ورد منه شعرا
قول أبي الطيب المتنبي

واذا اهتز للندي كان بحرا * واذا اهتز للوغي كان نصلا
واذا الارض أظلمت كان شمسا * واذا الارض أمحلت كان وبلا
فحرف التشبيه ههنا مضر وتقديره كان كأنه بحر وكان كأنه نصل وكذلك يقال
في البيت الثاني كان كأنه شمس وكان كأنه ويل وهذا تشبيه صورة بصورة وهو
حسن في معناه وكذلك ورد قول أبي نواس وهو في تشبيه الحبيب
فاذا ما اعترضته الشعين من حيث استدارا
خلته في جنبات الكأس واوات صغارا
وهذا تشبيه صورة بصورة أيضا وقد أبرز هذا المعنى في اباس آخر فقال
واذا علاها الماء ألبسها * حبيباً شبيه جلاجل الجبل
حتى اذا سكنت جوامعها * كتبت بحسب كارع النمل
(ومن هذا) قول الجحترى

تبسم وقطوب في ندى ووغي * كالرعد والبرق تحت العارض البرد
وهذا من أحسن التشبيه وأقربه إلا أن فيه إخلالاً من جهة الصنعة وهي ترتيب
التفسير فإن الاولى أن كان قد تم تفسير التبسم على تفسير القطوب بأن كان قال
كالبرق والرعد فانظر أيها المنتهي إلى هذا الفن كيف ذهب على الجحترى مثل هذا
الموضع على قربه مع تقدمه في صناعة الشعر وليس في ذلك كبير أمر سوى ان كان
قد تم ما أخر لا غير وانما يعذر الشاعر في مثل هذا المقام اذا حكم عليه الوزن
والعافية واضطر إلى ترك ما يجب عليه وأما اذا كانت الحال كالتي ذكرها
الجحترى فينبذ لا عذره وسبأني لذلك باب مفرد في موضعه من هذا الكتاب

ان شاء الله تعالى وهو باب ترتيب التفسير وكذلك ورد قول البحري
 في معركتنا تخال به القنا • بين الضلوع اذا انحنين ضلوعا
 (ومن تشبيه المفرد بالمفرد قول أبي الطيب المتنبى)

خرجن من النقع في عارض • ومن عرق الركض في وابل
 فلما نشقن لقين السباط • بمثل صفاء البلد الماحل

وقد حوى هذان البيتان قرب التشبيه مع براعة النظم وبجراحة اللفظ
 (وأما القسم الثاني) وهو تشبيه المركب بالمركب فما جاء منه مضمرا الاداة ما يروى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يرويه معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو
 حديث طويل يشتمل على فضائل أعمال متعددة ولا حاجة الى ايرادها هنا على
 نصح بل نذكر الغرض منه وهو أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك
 عليك هذا وأشار الى لسانه فقال معاذ أو نحن مؤاخذون بما نتكلم به فقال
 تكلمك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد
 الستم فقوله حصائد الستم من تشبيه المركب بالمركب فانه شبه الاسنة وما
 تمضي فيه من الاحاديث التي يؤاخذ بها المناجل التي تحصد النباتات من الارض
 وهذا تشبيه بليغ عجيب لم يسمع الا من النبي صلى الله عليه وسلم (وعما ورد منه)
 شعر اقول أبي تمام

معشراً أصبحوا حصون المعالي • ودروع الاحساب والاعراض
 فقوله حصون المعالي من التشبيه المركب وذلك أنه شبههم في منعمهم المعالي
 أن ينالها أحد سواهم بالحصون في منعمها من بها وحيايتها وكذلك قوله دروع
 الاحساب (وأما المظهر الاداة) فما جاء منه قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا
 كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى
 اذا أخذت الارض زخرفها وزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا
 ليلا ونهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس فشبهت حال الدنيا في سرعة
 زوالها وانقراض نعيمها به حصيد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه
 حطاما بعد ما التفت وتكاثر وزين الارض وذلك تشبيه بصورة بصورة وهو
 من أبدع ما يجي في بابيه (ومن ذلك أيضا) قوله تعالى في وصف حال المنافقين
 مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم

في ظلمات لا يبصرون تقديره أن مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أو قد نارا
 في ليلة مظلمة بمفارقة قاسية ضاءها ما حوله فائق ما يخاف وأمن فبينما هو كذلك إذ
 طفت ناره فبقي مظلمًا خائفًا وكذلك المنافق إذا أظهر كلمة الإيمان استنار بها
 واعتز بعزها وأمن على نفسه وماله وولده فإذا مات عاد إلى الخوف وبقي في
 العذاب والنقمة (وما ورد منه في الاخبار النبوية) قول النبي صلى الله عليه وسلم
 مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب
 ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل القرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل
 المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل المنافق
 الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنثى لا ريح لها ولا طعم لها وهذا من باب تشبيه
 المركب بالمركب ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه المؤمن القارئ وهو
 متصف بصفتين هما الإيمان والقراءة بالترجمة وهي ذات وصفين هما الطعم والريح
 وكذلك يجري الحكم في المؤمن غير القارئ وفي المنافق القارئ والمنافق غير
 القارئ (وقد جاء في شيء من ذلك) أوردته في فصل من كتاب أصف فيه البر
 والمسيرة قلت ولم أزل أصلي الزميل بالزميل وألف الضحى بالاصيل
 والارض كالبحر في سعة صدره والمطايا كالخوارى راكبة على ظهره فكان
 المركب منها ككانهم من الاكوار ومسيرهم فيها على كرة لا تستقر بهم الحركة
 الادوار (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فكقول الجعفي

خلق منهم وتردد فيهم * وليته عصاية عن عصايه
 كاللحام الجرازي بقي على الدهر ويغنى في كل حين قرايه
 وكذلك ورد قول ابن الرومي

ادرك ثقاتك انهم وقعوا * في ترجمش معه ابنة العنب
 فهم وجمال لو بصرت بها * سجت من عجب ومن عجب
 ربحانهم ذهب على درر * وشرابهم درر على ذهب

وهذا تشبيه صنيع الا أن تشبيه الجعفي أصنع وذلك أن هذا التشبيه صدر عن
 صورة مشاهدة وذلك انما استنبطه استنباطا من خاطره واداشت أن تفرق بين
 صناعة التشبيه فانظر الى ما أشرت اليه ههنا فان كان أحد الشبيهين عن صورة
 مشاهدة والاخر عن صورة غير مشاهدة فاعلم أن الذي هو عن صورة غير

مشاهدة أصنع وأعمري أن التشبيهين كليهما لا بد فيهما من صورة تحكي لكن
 أحدهما مشوهة والصورة فيه مخكيت والآخر استنبطت له صورة لم تشاهد
 في تلك الحال وإنما الفكر استنبطها ألا ترى أن ابن الرومي نظر إلى الترجس
 وإلى الخمر فشبهه. وأما الجعري فإنه مدح قومًا بأن خلق السماح باق فيهم يستقل
 عن الأول إلى الآخر ثم استنبط لذلك تشبيهًا فأذاه فكره إلى السيف وقربه التي
 تفنى في كل حين وهو باق لا يفنى بفنائها ومن أجل ذلك كان الجعري أصنع
 في تشبيهه (وسأورد هنا من كلامي نبذة يسيرة من ذلك) ما كتبه من جملة
 كتاب إلى ديوان الخلافة أذكر فيه نزول العدو والكافر على ثغر عكا في سنة خمس
 وثمانين وخمس مائة فقلت وأحاط بها العدو وأحاطة الشفاه بالثغور ونزل عليها
 نزول الظلماء على النور وهذا من التشبيهات المناسبة ثم لما جئت إلى ذكر
 قتال المسلمين إياه وأزالته عن جانب الثغر قلت وقد اصطدم من الإسلام
 والكفر ابننا شهابم والتقى من عجاظهم ما ظلام وعند ذلك أخذ العدو في التحيز
 إلى جانب وكان كحاجب على عين فصار كعين في حاجب وإذا ترزع البناء فقد
 هوى وإذا قبض من طسرف البساط فقد انطوى وهذا التشبيه في مناسباته
 كالقول بل أحسن (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان
 فقلت وما شبهت كتابه في وروده وانقباضه إلا بنظر الحبيب في إقباله وأعراضه
 وكلا الأمرين كالسهم في ألم وقعه وألم نزع المشوق من استتوت صباه
 في حالي وصله وقطعه وما أزال على وجل من إرسال كتبه وأحسامها واشتباها
 لمها بالمامها (ومما جاء من هذا القسم) في الشعر قول بكر بن النطاح
 تراهم ينظرون إلى المعالي * كما نظرت إلى الشيب الملاح
 يحذون العميون إلى شذرا * كأنني في عيونهم السماح
 وهذا بديع في حسنه بليغ في تشبيهه (وعلى هذا النهج) ورد قول أبي تمام
 خلاط الشجاعة بالحياة فأصبحا * كالحسن شيب لمغرم بدلال
 وهذا من غريب ما يأتي في هذا الباب وقد تغالت شبيعة أبي تمام في وصف هذا
 البيت وهو لعمرى كذلك ومن هذا القسم أيضا قوله
 كم نعمة لله ~~كانت~~ عنده * فكأنها في غربة وإسار
 كسيت سباب لومه فتضاءلت * كفضائل الحسناء في الإطمار

(وكذلك قوله)

صدقت عنه ولم تصدق مواهبه * عني وعارده ظني فلم يحجب
كالغيث ان جثته وافاك ريقه * وان ترحلت عنه لج في الطلب

(وعلى هذا الاسلوب) ورد قول علي بن جبلة

اذا ما تردي لائمة الحرب ارددت * حشا الارض واستدى الرماح السوارع
واسفر تحت النقع حتى كانه * صباح مشي في ظلمة الليل طالع
وقد احسن علي بن جبلة في تشبيه هذا اكل الاحسان وكشله في الحسن قوله
ايضا في تشبيه الحبيب فوق الخمر

تري فوقها غشا للمزاج * تباذير لا يتصان اتصالا
كوجه العروس اذا خططت * على كل ناحية منه خلا

(ومن هذا القسم) قول مسلم بن الوليد

تلقى المنية في أمثال عذتها * كالسبل يقذف جامودا بجواد

(وعلى هذا الاسلوب) ورد قول العباس بن الاحنف

لا جري الله دمع عيني خسيرا * وجري الله كل خير لسانى
ثم دمعى فليس يحسبكم شيئا * ووجدت اللسان ذا كتمانى
كنت مثل الكتاب أخفاه طي * فاستدلوا عليه بالعنوان

وهذا من اللطيف البديع (ويروى أن أبا نواس) لما دخل مصر مادح الخصب
جلس يوما في رهط من الادباء وتذكروا مناه به فنادوا فأنشد مر تبيلا

ذكر الكرج فانج الاوطان * فصبا صبوة ولات أوان

ثم أتم ذلك قصيدا مدح به الخصب فلما عاد الى بغداد دخل عليه العباس بن
الاحنف وقال أنشدني شيئا من شعرك بعصر فأنشده ذكر الكرج فانج الاوطان
فلما استتم الايات قال له لقد ظلمت من ناواك وتخطت عنك من جارك وحرام
على أحد يتفوه بقول الشعر بعدك فقال له أبو نواس وأنت أيضا يا أبا الفضل
تقول هذا ألست القائل لا جري الله دمع عيني خيرا وأنشد الايات ثم قال
ومن الذي يحسن أن يقول مثل هذا (ومن تشبيه المراكب بالمركب) قول الجعفي
جديذود الجمل عن أطرافها * كالبحر يندفع عليه من مائه

وهذا من محاسن التشبيهات وكذلك ورد قوله

وتراه في ظلم الوغى فتحاله * قرا يكثر على الرجال بكوكب
وفي هذا البيت تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فانه شبه العجاج بالظلمة والممدوح
بالقمر والسنان بالكوكب وهذا من الحسن النادر وكذلك ورد قوله
عشون في زغف كان متونها * في كل معركة متون نهاء
بيض تسيل على السكة نصولها * سبل الشراب بقفرة يبداء
فإذا الاسنة خالطتها خلتها * فيها خيال كواكب في ماء
فالبيتان الاخيران هما اللذان تضمنتا تشبيه المركب بالمركب وانما جئنا بالبيت
الاول سباقا الى معناهما وهو من التشبيه الذي أحسن فيه المصنوع وأغرب
(ومن هذا الباب) ما ورد لبعض الشعراء في وصف الخمر فقال
كانت سراج أغاس ينسدون بها * في سالف الدهر قبل النار والنور
تمت في الكأس من ضعف ومن هرم * كأنها قيس في صكف مقروور
وقد يسد للناظم أو الناثر شي من كلامه يبلغ الغاية التي لا أمدها فوقها وهذا
البيتان من هذا القبيل (ومن أغرب ما سمعته في هذا الباب) قول الحسين بن
مطير في معنى بن زائدة

حتى عيش في معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
(القسم الثالث) في تشبيه المفرد بالمركب (فما ورد) منه قوله تعالى الله نور
السموات والارض مثل نوره كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج
كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونه لا شرقية ولا غربية
وكذلك قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم
عاصف (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن استجداد اقلت وهو
إذا استصرخ أصرخ بعزم كالشهاب في رجه وهم كالقوس الممتلى بنزع سهمه
ويرى أن صريحه لم يحجب وأنه إذا لم يجبه بالسيف فكأنه لم يحجب فهو
مغري جواده وحسامه ومسمع العدو صريره قبل قهقهة بلامه (وكذلك)
أيضا ما كتبه في كتاب الى بعض الاخوان أذم الفسراق فقلت والفسراق شيء
لا كالأشياء وصاحبه ميت لا كالأموات وحى لا كالأحياء وما أراه إلا
كقار الله الموقدة التي تطلع على الانفوسة وما يجعل صاحبها في ضحضاح
منها الا نواز الكتب التي تقيه بعض الوقاه وتقوم له وان لم يسق مقام الاسقاء

نوله هذه البيت في الموضع الثاني

(وأما ما ورد منه في الشعر) فكقول أبي نواس
 إذا امتحن الدنيا ليبيبت تنكشف * * * عن عذوق في ثياب صديق
 (وكذلك) قول أبي تمام يصف قبيداله
 خذها منقفة القوافي وبها * * * لسوايخ النعماء غير كنود
 كالدر والمربان ألف نظمه * * * بالشدة في عنق الفتاة الرود
 وكذلك ورد قول البحتري وهو من بخله قصيدته المشهورة التي وصف فيها
 الفرس والسيف وأولها * أهلا بذالكم الخيال المقبل * فقال فيها من أبيات
 تفيضت وصف السيف ينما أجاد في تشبيهه
 وكأعماس ود النمل وجرها * * * دبت بأيدي قوائم وأرجل
 فشبه فرند السيف بديد الغل سودها وجرها وذلك من التشبيه الحسن (وأما
 ما ورد منه مضمر الأداة) فكقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن
 العزل فقال هو الواد الخفي وهذا تشبيه بليغ والواد هو ما كانت العرب
 تفعله في دفن البنات أحياء فجعل العزل في الجماع كالواد لأنه خفي وذلك
 أنهم كانوا يفعلون بالبنات ذلك هربا منهن وهكذا من يعزل في الجماع فأنما يفعل
 ذلك هربا من الولد (وكذلك) قال النبي صلى الله عليه وسلم هو الوادة الصغرى
 وهذا من الحسن إلى غاية تغض لها العيون طرفها ولا ينتهي الوصف إليها
 فيكون ترك الوصفها كوصفها (وعما جاء في من ذلك) فصل من جملة كتاب
 ضمنت وصف القلم فقلت جدد أنفه فصارت في الكبد قصيرا وأرشف صدره
 فصارت في المضاء عضبا شهيرا وقص لباس السواد وهو شعار الخطباء فنطق
 بفصل الخطباء ونهكس رأسه وهي صورة الأذلال فاختلف في مشبه من
 الإعجاب وأوصى إليه بنجوى الخواطر وهو الأصم فافضى بما سمعه إلى الكتاب
 وهذه الأوصاف غريبة جدا ومن أغربها ذكر قصير عند جددع الأنف
 (وأما القسم الرابع) وهو تشبيه المركب بالمقرد فانه قليل الاستعمال بالنسبة
 إلى الأقسام الثلاثة وليس ذلك إلا لعدم التظير بين المشبه والمشبه به وعلى
 كثرة ما حفظته من الأشعار لم أجد ما أمثل به هذا القسم الأمثالا واحدا وهو
 قول أبي تمام في وصف الربيع
 يا صاحبي تقصبا نظري كما * * * تريا وجوه الأرض كيف تصور

ترى انهارا مشعا قد شابه * زهر الربا فكأنما هو معة -
 تشبه النهار المشمس مع الزهر الأبيض بضوء القمر وهو تشبيه حسن واقع
 في موقعه مع ما فيه من لطف الصنعة (ولربما اعترض في هذا الموضع معترض)
 وقال انك اوردت هذا القسم من التشبيه وذكرت أنه قليل وليس كذلك فان
 تشبيه شيئين بشئ واحد كثير كقول أبي الطيب المتنبي

تشرق أعراضهم وأوجهم * كأنها في نفوسهم شمس

فشبه اشراق الاعراض والوجوه باشراق الشمس (الجواب عن ذلك) اني أقول
 هذا البيت المعترض به على ما ذكرته ليس كالذي ذكرته فاني اردت أن يشبه
 شيان هما كشيء واحد في الاشتراك بشئ واحد ألا ترى أن نور الشمس مع
 بياض الزهر وهما شيان مشتركان قد شبا بضوء القمر وأما هذا البيت الذي
 لأبي الطيب المتنبي فإنه تشبيه شيئين كل واحد منهما مفرد برأسه بشئ واحد لانه
 شبه اشراق الاعراض واشراق الوجوه باشراق الشمس وهذا غير ما اردته أنا
 لكن ينبغي أن تعلم أن تشبيه المركب بالمفرد ينقسم قسمين أحدهما تشبيه
 شيئين مشتركين بشئ واحد كالذي اوردته لأبي تمام وهو قليل الاستعمال
 والاخر تشبيه شيئين منفردين بشئ واحد كالذي ذكرته أنت لأبي الطيب المتنبي
 وهو كثير الاستعمال (واذا ذكرنا أقسام التشبيه) وبيننا المحمود منها الذي ينبغي
 اقتفاء أثره واتباع مذهبه فلم يتبعه بضوء ما ينبغي اجتنابه والاضراب عنه على أنه
 قد قدمنا القول بأن حد التشبيه هو أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به
 فإذا لم يكن بهذه الصفة أو كان بين المشبه والمشبه به بعد فذلك الذي يطرح
 ولا يستعمل والذي يرد منه مضمحل الاداة لا يكون الا في القسم الواحد من أقسام
 المجاز وهو التوسع وقد قدمت القول في ذلك في أول باب الاستعارة وضربت
 له أمثلة منها قول أبي نواس

ما لرجل المال أمت * تشتكي منك الكلالا

فجعل للمال رجلا وذلك تشبيه بعيد ولا حاجة الى إعادة ذلك الكلام هنا فجهلته
 لكن قد أشرت اليه اشارة خفيفة (ومن أقبح ما سمعته من ذلك) قول أبي تمام
 وتقاسم الناس السخاء مجزأ * وذهبت أنت برأسه وسنائه
 وتركت للناس الاهاب وما بقي * من قرنه وعروقه وعظامه

والقبح الفاحش في البيت الثاني وكل هذا التعسف في التشبيه البعيد دندنة
حول معنى ليس بطائل فإن غرضه أن يقول ذهب بالأعلى وترك للناس الأدنى
أو ذهب بالجيد وترك للناس الردي وقد عيب عليه قوله

لا تسقى ماء الملام فأننى * صب قد استعذبت ماء بكافى

وقيل أنه جعل للملام ماء وذلك تشبيه بعيد وما به هذا التشبيه عندي من بأس
بل هو من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم وهو قريب من وجه بعيد
من وجه أما سبب قربه فهو أن الملام هو القول الذي يعنف به المومل من جناه
وذلك يختص بالسمع فنقله أبو تمام إلى السقيا التي هي مختصة بالخلق كأنه قال
لا تذقنى الملام ولو تمبأله ذلك مع وزن الشعر لكان تشبيها حسنا لكنه جاء
بذكر الماء فخط من درجته شيئا ولما كان السمع يتجرع الملام أولا أولا كتجرع
الخلق الماء صار كأنه شبيه به وهو تشبيه بمعنى بصورة وأما سبب بعده هذا التشبيه
فهو أن الماء مستلذ والملام مستكره فحصل بينهم ما خالفته من هذا الوجه
فهذا التشبيه أن بعد من وجه فقد قرب من وجه فيغفر هذا هذا ولذلك جعلته
من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم (وقد روى) وهو رواية ضعيفة أن
بعض أهل الجمانه أرسل إلى أبي تمام فاروذة وقال ابعتنى هذه شيئا من ماء الملام
فأرسل إليه أبو تمام وقال إذا بعثت إلى ريشة من جناح الذل بعثت إليك شيئا
من ماء الملام وما كان أبو تمام ليذهب عليه الفرق بين هذين التشبيهين فإنه
ليس جعل الجناح للذل كجعل الماء للملام فإن الجناح للذل مناسب وذلك
أن الطائر إذا وهن أو تعب بسط جناحه ونفضه وألقى نفسه على الأرض
والإنسان أيضا بجناح فإن يديه جناحاه وإذا خضع واستكان طأطأ من رأسه
ونفض من يديه فحسن عنده ذلك جعل الجناح للذل وصار تشبيها مناسباً
وأما الماء للملام فليس كذلك في مناسبة التشبيه (وأما التشبيه المضمحل
الاداة) من هذا الباب فقد أوردت له أمثلة يستدل بها على أشباهه وأمثاله
فإن ذكر الأمثال فائدة لا تكون لذكر الحد وحده (فإن ذلك) قول بعضهم

ملاحضتك الشيب حتى كأنه * طبا بهرت منها شبح وبارح

(وكذلك) قول الآخر يصف السهام

كساهد رطب الريش فاعتدلت له * قد أح كاهناني الأطباء الفوارق

قوله كان بواسا كذا في النسخ ولم يرد في الدوران ويجوز

فانه شبه السهام بأعناق الطيلاء وذلك من أبعاد التشبيهات وعلى فهو منه قول
الفرزدق يحشون في حلق الحديد كما مشت * جرب الجمال بها الكحيل المشعل
فشبه الرجال في دروع الزرد بالجمال الجرب وهذا من التشبيه البهيد لانه ان
أراد السواد فلا مقاربة بينهم - حافى اللون لأن لون الحديد أبيض ومن أجل ذلك
سميت السيوف بالبعض ومع كون هذا التشبيه بهيدا فانه تشبيهه بضعف
(ومن التشبيهات الباردة) قول أبي الطيب المتنبي

وجرى على الورق التجميع القاتل * فكأنه النار نج في الاغصان
وهذا تشبيه يشكره أهل التجسيم واذ اقصت التشبيهات بعد البعد والبرد حاز
طرق ذلك التقسيم وأبشع من هذا قول أبي نواس في النهر

كان بواسا رروا كد حواها * وزرق سناير تدير عيونها
(والحجب) أنه يقول مثل هذا الغث الذي لا ملاءمة بينه وبين ما شبه به ويقرنه
بالبديع البارد الذي أحسن فيه وأبدع وهو

كأننا حلول بين أكاف روضة * اذا ما سليناها مع الليل طينها
فانظر كيف قون بين ورده وسعدانه لابل بين بعره ومرجانه وقد أكثر في تشبيه
النخلة أحسن في موضع وأساء في موضع ومن أساءته قوله أيضا في أبيات لامية
واذا ما الماء واقعهما * أظهرت شكلا من الغزل
أولاً أت يتحدثون بها * كأنهم دار النذر من جبل

فشبه الحبيب في انحداره بنخل صغار يتحدث من جبل وهذا من البعد على غاية
لا يحتاج الى بيان وإيضاح (واعلم) أن من التشبيه ضمير بالسمى الطرد والعكس
وهو أن يجعل المشبه به مشبها والمشبه مشبها به وبعضهم يسميه غلبة الفروع
على الأصول ولا تجد شيئا من ذلك الا والغرض به المبالغة (فما جاء من ذلك)
قول ذي الرمة

ورمل كارداف العذارى قطعتة * اذا ألبسته المظلمات الخنادس
ألا ترى الى ذي الرمة كيف جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً وذلك أن العادة
والعرف في هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الانقاء وهو مارد في بابها فمعكس
ذو الرمة القصيدة في ذلك فشبه كثبان الانقاء بأعجاز النساء وانما فعل ذلك مبالغة
أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لأعجاز النساء وصار كأنه الأصل - حتى شئت

به كذباً بالانقاء وعلى نحو من هذا جاء قول الجحترى
 في طلعة البدر شئ من محاسنها * وللقضيب نصيب من ثمنها
 وكذلك ورد قول عبد الله بن المعتز في قصيدته المشهورة التي أولها
 سقى المطيرة ذات الطل والشجر * فقال في تشبيه الهلال
 ولا ح ضوء غير كاد يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر
 وما شاع ذلك في كلام العرب واتسع ساركانه هو الاصل وهو موضع من علم
 البيان حسن الموقع لطيف المأخذ وهذا قد ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب
 الخصال وأوردته هكذا مهملاً (ولما نظرت أنا في ذلك) وأنعمت نظري فيه
 تبين لي ما أذكره وهو أنه قد تفرق في أصل الفائدة المستتجة من التشبيه أن
 يشبه الشئ بما يطلق عليه اللفظة أفعل أي يشبه بما هو أبين وأوضح أو بما هو
 أحسن منه أو أقمج وكذلك يشبه الاقل بالأكثر والادنى بالأعلى وهذا الموضع
 لا ينقض هذه القاعدة لأن الذي قد مر ذكره مطرد في بابيه وعليه مدار الاستعمال
 وهذا غير مطرد وإنما يحسن في عكس المعنى المتعارف وذلك أن تجعل المشبه
 به مشبهاً أو المشبه مشبهاً به ولا يحسن في غير ذلك مما ليس بمتعارف ألا ترى
 أن من العادة والعرف أن تشبه الأجهار بالكتمان فلما عكس ذوالرمة هذه القضية
 في شعره جاء حسناً لا نقار وكذلك فعل الجحترى فأت من العادة والعرف أن يشبه
 الوجه الحسن بالبدر والقد الحسن بالقضيب فلما عكس الجحترى القضية في ذلك
 جاء أيضاً حسناً لا نقار ولو شبه ذوالرمة الكتمان بما هو أصغر منها غير الأجهار لما
 حسن ذلك وهكذا الوشبه الجحترى طلعة البدر بغير طلعة الحسناء والقضيب بغير
 قدّها لما حسن ذلك أيضاً وهكذا القول في تشبيه عبد الله بن المعتز صورة الهلال
 بالقلامة لأن من العادة أن تشبه القلامة بالهلال فلما صار ذلك مشهوراً متعارفاً
 حسن عكس القضية فيه

(النوع الثالث في التجريد) وهذا اسم كنت سمعته فقال القائل التجريد
 في الكلام حسن ثم سكت فسأله عن حقيقة فقال كذا سمعت ولم يزد شيئاً
 فأنعمت حينئذ نظري في هذا النوع من الكلام فأتني في روعي أنه ينبغي أن يكون
 كذا وكذا وكان الذي وقع لي صواباً ثم مضى على ذلك برهة من الزمان ووصل إلى
 ما ذكره أبو علي القاربي رحمه الله تعالى وقد أوردته هنا وذكر ما أتيت به

من ذات خاطري من زيادة لم يذكرها . وستقف أيها المتأمل على كلامه وكلامي
 (فأما جد التجريد) فإنه اخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب
 نفسه لأن أصله في وضع اللغة من جردت السيف اذ انزعته من غمده وجردت
 فلانا اذ انزعت ثيابه ومن ههنا قال صلى الله عليه وسلم لا مد ولا تجريد . وذلك في
 النهي عند إقامة الحد أن يمد صاحبه على الارض وأن تجرد عنه ثيابه وقد نقل هذا
 المعنى الى نوع من أنواع علم البيان (وقد تأملته فوجدت له فائدتين) احدهما
 أبلغ من الاخرى (فالاولى) طلب التوسع في الكلام فإنه اذا كان ظاهره خطابا
 لغيرك وباطنه خطابا لنفسك فإن ذلك من باب التوسع وأظن أنه شئ اختصت به
 اللغة العربية دون غيرها من اللغات (والفائدة الثانية) وهي الابلغ وذلك أنه
 يتمكن المخاطب من اجراء الاوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه اذ
 يكون مخاطبا بها غيره ~~لي~~ كوا عذروا برأى من العهدة فيما يقوله غير محجور عما به
 (وعلى هذا فإن التجريد ينقسم قسمين) أحدهما تجريد محض والاخر تجريد غير
 محض (فالاول) وهو المحض أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك
 وذلك كقول بعض المتأخرين وهو الشاعر المعروف بالحليص بيص في مطلع
 قصيدته له الامير المجد في زى شاعر * وقد نخلت شوقا فروع المنابر
 كمت بعيب الشهر حلا وحكمة * ببعضهما تنقاد صعب المفاخر
 أما وأبيك انيسير انك فارس السمقال ومحبي الدارسات الغواير
 واذك أعييت المسامع والنهى * بقولك عمافي بطون الدفاتر
 فهذا من محاسن التجريد ألا ترى أنه أجرى الخطاب على غيره وهو يريد نفسه كي
 يتمكن من ذكر ما ذكره من الصفات الفاتكة وعدما عذبه من الفضائل التامة
 وكل ما يجي من هذا القبيل فهو التجريد المحض (وأما ما قصد به التوسع خاصة)
 فكقول الصمة بن عبد الله من شعراء الحماسة

حننت الى ريا ونفسي باعدت * هنار لك من ريا وشعبا كما معا
 فما حسن أن تأتي الامر طائعا * وتجنزع ان داعي الصباية أسعها
 وقد ورد بعد هذين البيتين ما يدل على أن المراد بالتجريد فيهما التوسع لانه قال
 وأذكر أيام الحسى ثم أنتنى * على كبدى من خشية أن يصدعا
 بنفسى تلك الارض ما أطيب الربا * وما أحسن المصطاف والمترعا

فانتقل من الخطاب التجريدي الى خطاب النفس ولو امتد على الحالة الاولى لما قضى عليه بالتوسع وانما كان يرضى عليه بالتجريد البليغ الذي هو الطرف الآخر ويتأول له بأن غرضه من خطاب غيره أن يتقن عن نفسه سمعة الهوى ومعزة العشق لما في ذلك من الشهرة والغضاضة ~~لكن~~ قد زال هذا التأويل بانتقاله عن التجريد أو لا الى خطاب النفس (وعلى هذا الاسلوب) ورد قول أبي الطيب المتنبي

لا خيل عندك تهميها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تسعد الحال
واجز الامير الذي نعماء فاجتمة * يغير قول ونعمى القوم أقوال
وهذان البيتان من مطلع قصيدة يمدح بها فاتسكا الاخشيدى بهصر وكان وصله
بصله سنية من نقعة وكسوة قبل أن يمدحه ثم مدحه بعد ذلك بهذه القصيدة وهي
من غرر شعره وقد بنى مطلعها على المعنى المشار اليه من ابتداء فاتك ايام بالصله قبل
المدح وليس في التجريد المذكور في هذين البيتين ما يدل على وصف النفس ولا
على تركيبتها بالمديح كما ورد في الابيات الرائية المتقدم ذكرها وانما هو توسع
لا غير (وأما القسم الثاني) وهو غير المحض فانه خطاب لنفسك لا غيرك واثن
كان بين النفس والبدن فرق الا أنهم ما كنهم ما شئ واحد لعلاقة أحدهما بالآخر
وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر وذلك اولى بأن يسمى تجريدا لان التجريد
لا تقي به وهذا هو نصف تجريد لانك لم تتجرد به عن نفسك شيئا وانما خاطبت نفسك
بنفسك ~~هكذا~~ أنك فصلت ما عنك وهي منك (فما جاء منه) قول عمرو بن الاطنابة
أقول لها وقد جشأت وجاشت * رويدك فحمدى أو تستريحى
وكذلك قول الآخر

أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدي أما بقى ولم تزد
وليس في هذا ما يصلح أن يكون خطابا لغيرك كالاتول وانما الخطاب هو الخطاب
بعينه وليس ثم شئ خارج عنه (وأما الذى ذكره أبو علي الفارسي رحمه
الله) فانه قال ان العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامنا فيه كانه حقيقة
ومحمولة فتخرج ذلك المعنى الى الفاظه بمجرد ان الانسان كأنه غيره وهو هو
بعينه نحو قولهم ائني اقيمت فلانا لائقين به الاسد واثن سألتهم لتسألن منه البحر
وهو عينه الاسد والبحر لأن هاتين الشئيين منفصلين عنه أو متميزان منه ثم قال وعلى

فرد ونعمى القوم في الديوان ونعمى الناس

هذا النمط كون الانسان يحاطب نفسه حتى كانه يقول غيره كما قال الاعشى
وهل تطيق وداعاً ايها الرجل وهو الرجل نفسه لا غيره هذا خلاصة ما ذكره
أبو علي رحمه الله (والذي عندي فيه) أنه أصاب في الثاني ولم يصب في الاول لان
الثاني هو التجريد ألا ترى أن الاعشى جرد الخطاب عن نفسه وهو يريد ما واما
الاول وهو قوله لئن لقيت فلانا لتلقين به الاسد ولئن سألته لتسألن منه البحر
فإن هذا تشبيه مضمحل الاداة اذ يحسن تقدير أداة التشبيه فيه وبيان ذلك أنك
تقول لئن لقيت فلانا لتلقين منه كالاسد ولئن سألته لتسألن منه كالبحر وليس
هذا بتجريد لان حقيقة التجريد غير موجودة فيه وانما هو تشبيه مضمحل الاداة
ألا ترى أن المذكور هو كالاسد وهو كالبحر وليس ثم شئ يحجز عنه كما تقدم في
الآيات الشعرية ويبطل على أبي علي قوله أيضاً من وجه آخر وذلك أنه قال
إن العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامناً فيه كانه حقيقة ومحصوله فتخرج
ذلك المعنى الى ألفاظها محجزاً من الانسان كانه غيره وهو كالمثال الذي مثله
في تشبيهه بالاسد وتشبيهه بالبحر وهذا ينتقض بقولنا لئن رأيت الاسد لترين
منه هضبة ولئن لقيت لتلقين منه المات فان الصورة التي أوردناها في الانسان
وزعم أن العرب تعتقد أن ذلك معنى كامن فيه قد أوردنا مثله في الاسد فخصيصه
ذلك بالانسان باطل وكلا الصورتين ليس بتجريد وانما هو تشبيه مضمحل الاداة
وقد سبق القول بأن التجريد هو أن تطلق الخطاب على غيرك ولا يكون هو المراد
وانما المراد نفسك وهذا لا يوجد في هذا المثال المضمحل الاداة بل الخطاب هو
لا غيره فلا يطلق عليه اسم التجريد لانه خارج عن حقيقة ومناف لموضوعه
فاذا حال القائل لئن لقيت لتلقين به كالاسد ولئن سألته لتسألن منه كالبحر لم يحجز
عن المقول عنه شيئاً وانما شبهه تارة بالاسد في شجاعته وتارة بالبحر في سخائه وما
أعلم كيف ذهب هذا على مثل أبي علي رحمه الله حتى خلطه بالتجريد وأجراه مجراه
وأما قوله إن العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامناً فيه كانه حقيقة ومحصوله
فأقول وغير العرب أيضاً تعتقد ذلك فان عني بالمعنى الكامن معنى الانسانية
الذي هو الاستعداد للعلوم والصنائع فما هذا من الشئ الغريب الخفي الذي
علمته العرب خاصة وانقرض باستخراجه أبو علي رحمه الله وان عني بالمعنى
الكامن ما فيه من الاخلاق كالشجاعة والسخاء في المثال الذي ذكره حتى يشبه

دع على أبي علي الثاني في غير قوله التجريد

بالاسد تارة وبالجحر أخرى فليس الانسان مختصا بهذا المعنى الكامن دون غيره من
الحيوانات بل الاسد فيه من معنى الشجاعة ما ليس في الانسان. ولهذا اذا
بولغ في وصف الانسان بالشجاعة شبهه بالاسد وكذلك في بعض الحيوانات من
السخاء ما ليس في الانسان ومن الامثال أكرم من ديك لانه اذا طفر بجبهة من
الحنطة أخذها في منقاره وطاف بها على الدجاج حتى يضعها في منقار واحدة
منهن. فالاخلاق اذا ما شتركة بين الانسان وبين غيره من الحيوانات غير أن
الانسان يجتمع فيه ما تفرق في كثير منها. وما أعلم ما أراد أبو علي رحمه الله بقوله
أن في الانسان معنى كما منافيه كانه حقيقة ومحصوله الآن يكون أحدهذين
القسمين اللذين أشرت اليهما على أن القسم الواحد الذي هو خلق الشجاعة
والسخاء وغيره من الاخلاق ليس عبارة عن حقيقة الانسان اذ لا يقال في حده
حيوان شجاع ولا نهي بل يقال حيوان ناطق. فالنطق الذي هو الاستعداد
للعلم والصنائع هو حقيقة الانسان فيطل اذا قول أبي علي رحمه الله في غيبه
حقيقة الانسان بالشجاعة والسخاء فالخطأ توجيه في كلامه من وجهين أحدهما
أنه جعل حقيقة الانسان عبارة عن خلقه والاخر أنه أدخل في التجريد
ما ليس منه وهذا القدر كاف في هذا الموضوع فليتأمل

(النوع الرابع في الالتفات) وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان
التي حوله يدندن واليهاتس تند البلاغة وعنها يغتنم وحقيقة ما أخوذة
من التفات الانسان عن عيئه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة
كذا وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لانه يتقل فيه عن صيغة
الى صيغة ك الانتقال من خطاب حاضر الى غائب أو من خطاب غائب الى
حاضر أو من فعل ماض الى مستقبل أو من مستقبل الى ماض أو غير ذلك
مما يأتي ذكره مفصلا. ويسمى أيضا شجاعة العربية وانما سمى بذلك لان
الشجاعة هي الاقدام. وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه
غيره ويتوردهما لا يتورده سواء. وكذلك هذا الالتفات في الكلام فان اللغة
العربية تختص به دون غيرها من اللغات (وهو ينقسم الى ثلاثة أقسام
القسم الاول في الرجوع من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة) اعلم
أن عامة المنتمين الى هذا الفن اذا سئلوا عن الالتفات عن الغيبة الى الخطاب

فقره على أن الخطب الذي ساقط بكان

الالتفات

وعن الخطاب الى الغيبة قالوا كذلك كانت عادة العرب في أساليب كلامها وهذا القول هو عكاز العميان كما يقال ونحن انما نسأل عن السبب الذي قصدت العرب ذلك من أجله وقال الزمخشري رحمه الله ان الرجوع من الغيبة الى الخطاب انما يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب الى أسلوب بطريقة نشاط السامع وإيقاظ الالامعاء اليه وليس الامر كما ذكره لان الانتقال في الكلام من أسلوب الى أسلوب اذا لم يكن الا بطريقة نشاط السامع وإيقاظ الالامعاء اليه فان ذلك دليل على أن السامع يحل من أسلوب واحد فينتقل الى غيره ليجد نشاطا للاستماع وهذا قدح في الكلام لا وصف له لانه لو كان حسنا لمثل ولو سلمنا الى الزمخشري ما ذهب اليه انما يوجد ذلك في الكلام المطول ونحن نرى الامر بخلاف ذلك لانه قد ورد الانتقال من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجموع الجانبين معا يبلغ عشرة ألفاظ أو أقل من ذلك ومفهوم قول الزمخشري في الانتقال من أسلوب الى أسلوب انما يستعمل قصد اللطافة بين المنتقل عنه والمنتقل اليه لا قصد الاستعمال الاحسن وعلى هذا فاذا وجدنا كلاما قد استعمل فيه جميعه الايجاز ولم ينتقل عنه أو استعمل فيه جميعه الا طنب ولم ينتقل عنه وكان كلا الطرفين واقعاً في موقعه قلنا هذا ليس بحسن اذ لم ينتقل فيه من أسلوب الى أسلوب وهذا قول فيه ما فيه وما أعلم كيف ذهب على مثل الزمخشري مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة (والذي عندي في ذلك) أن الانتقال من الخطاب الى الغيبة أو من الغيبة الى الخطاب لا يكون الا لفائدة اقتضته وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب الى أسلوب غير أنهم لا يتحدث بهد ولا تضبط بضابط امكن يشار الى مواضع منها ليقاس عليها غيرها فانا قدر رأينا الانتقال من الغيبة الى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضد الاول قد استعمل في الانتقال من الخطاب الى الغيبة فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة وانما هو مقصور على العناية بالمعنى المتصور وذلك المعنى يتشعب شعباً كثيرة لا تنحصر وانما يؤتى بها على حسب الموضوع الذي ترد فيه وسأوضح ذلك في ضرب من الامثلة الاتي ذكرها فاما الرجوع من الغيبة الى الخطاب فذكره تعالى في سورة الفاتحة الحمد لله رب

العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد و اياك نستعين اهدنا الصراط
 المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم هذارجوع من الغيبة الى الخطاب ومما
 يختص به هذا الكلام من الفوائد قوله اياك نعبد و اياك نستعين بعد قوله الحمد لله
 رب العالمين فانه انما عدل فيهم من الغيبة الى الخطاب لان الحمد دون العبادة
 الاثر الحمد نظيرك ولا تعبده فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد
 لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال الحمد لله ولم يقل الحمد لك ولما صار الى العبادة
 التي هي أقصى الطاعات قال اياك نعبد و اياك نستعين بالعبادة اصرا حياها وتقربا منه عز
 امه بالانتهاء الى محبود منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال صراط
 الذين أنعمت عليهم فأصرح بالخطاب لما ذكر النعمة ثم قال غير المغضوب عليهم
 عطفا على الاول لان الاول موضع التقرب من الله يذكر نعمه فلما صار الى ذكر
 الغضب جاء باللفظ منصرفا عن ذكر الغاضب فاستند النعمة اليه لفظا وزوى عنه لفظ
 الغضب تحتنا ولطفنا فانظر الى هذا الموضع وتناسب هذه المعاني الشريفة التي
 الاقدام لا تكاد تطوؤها والافهام مع قربها صاخقة عنها وهذه السورة قد انتقل
 في أولها من الغيبة الى الخطاب لتعظيم شأن الخطاب ثم انتقل في آخرها من
 الخطاب الى الغيبة لثلاث الالة بعينها وهي تعظيم شأن الخطاب أيضا لان مخاطبة
 الرب تبارك وتعالى باسم ناد النعمة اليه تعظيم لخطابه وكذلك ترك مخاطبته
 باسم ناد الغضب اليه تعظيم لخطابه فينبغي أن يكون صاحب هذا الفن من
 القصاحة والبلاغة عالما بوضع أنواعه في مواضعها على اشتباهاها (ومن هذا
 الضرب) قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا اإذا وانما قيل لقد
 جئتم وهو خطاب للعاشر بعد قوله وقالوا وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة وهي
 زيادة التسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والتعرض لضبطه وتنبه لهم على
 عظم ما قالوه كانه يخاطب قوما حاضرين بين يديه مشكرا عليهم وموحيضا لهم
 (ومما جاء من الالتفات) مرارا على قصر مرسته وتقارب طرفيه قوله تعالى أول
 سورة بنى اسرائيل سبحان الذي أمري بعده له الامن المسجد الحرام الى المسجد
 الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياته انه هو السميع البصير فقال أول سبحان
 الذي أسرى بلقظ الواحد ثم قال الذي باركنا بلقظ الجمع ثم قال انه هو السميع
 البصير وهو خطاب غائب ولو جاء الكلام على مساق الاول لكان سبحان الذي

أسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي بارك حوله ليريه من آياته انه هو السميع البصير وهذا جميعه يكون معطوفا على أسرى فلما خولف بين المعطوف والمعطوف عليه في الانتقال من صبغة الى صبغة كان ذلك اتساعا وتفننا في أساليب الكلام ولما قصد آخر معنوى هو أعلى وأبلغ (وسأذكر ما سخى لي فيه فأقول) لمبدأ الكلام بسبحان ردفه بقوله الذي أسرى اذ لا يجوز أن يقال الذي أسرى فلما جاء بلفظ الواحد والله تعالى أعظم العظماء وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع استدرك الأول بالثاني فقال باركا ثم قال ليريه من آياته فجاء بذلك على نسق باركا ثم قال انه هو عطا على أسرى وذلك موضع متوسط الصفة لأن السمع والبصر صفتان يشاركن فيهما ما غيره وتلك حال متوسطة تفرج بينهما عن خطاب العظيم في نفسه الى خطاب غائب فانظر الى هذه الالتفاتات المترادفة في هذه الآية الواحدة التي جاءت ليعان اختصت بها يعرفها من يعرفها ويجهلها من يجهلها (ومما ينخرط في هذا السلك) الرجوع من خطاب الغيبة الى خطاب النفس كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بصابع وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم وهذا رجوع من الغيبة الى خطاب النفس فانه قال وزينا بعد قوله ثم استوى وقوله فقضاهن وأوحى والفائدة في ذلك أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست في سماء الدنيا وأنه ليست حفظا ولا رجوما فلما صار الكلام الى ههنا عدل به عن خطاب الغائب الى خطاب النفس لانه مهم من مهمات الاعتقاد وفيه تكذيب للفرقة المكدنية المعتمدة بطلانه وفي خلاف هذا الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الغيبة (ومما ينخرط في هذا السلك أيضا) الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الجماعة كقوله تعالى وما لي لأعبد الذي فطرني واليه ترجعون وانما صرف الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم لانه أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة وهو يريد مناصحتهم ليمتدحهم به ويدارهم لان ذلك أدخل في المحاضرات حيث لا يريد اهتم الامايريد لنفسه وقد وضع قوله وما لي لأعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم ألا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني

واليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال اني آمنت بربكم فاسمعون
(فانظر) أي المتأمل الى هذه النكت الدقيقة التي تتر عليها في آيات القرآن
الكريم وأنت تظن أنك فهمت خواها واستنبطت رموزها وعلى هذا
الاسلوب يجري الحكم في الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد كقوله
تعالى حم والكتاب المبين انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق
كل أمر حكيم أمراً من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع
العليم والفائدة ههنا في الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد تخصيص
النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر والاشارة بأن انزال الكتاب انما هو اليه وان لم
يكن ذلك صريحاً لكن مفهوم الكلام يدل عليه واذا تأملت مطاوى القرآن
الكريم وجدت فيه من هذا وأمثاله أشياء كثيرة وانما اقتصرنا على هذه الامثلة
للتقصير ليقاس عليها ما يجري على أسلوبها وقد ورد في فصيح الشعر شيء من
ذلك كقول أبي تمام

وركب يساقون الركاب زجاجة * من السير لم تقصداها كف قاطب
فقدأكلوا منها الغوارب بالسرى * وصارت لهم أشباحهم كالغوارب
يصرف مسراها جذيل مشارق * اذا آبه هم عذيق مغارب
يري بالكمعاب الرود طلعة نائر * وبالعرمس الوجناء غرة آتب
كان بها ضغناء على كل جانب * من الارض أوشوقا الى كل جانب
اذا العيس لاقت بي أبادان فقد * تقطع ما بيني وبين النواذب
هنالك تاتي الجود من حيث قطعت * تمامه والمجد مرخي الذواذب
الأتري أنه قال في الاول يصرف مسراها مخاطبة للغائب ثم قال بعد ذلك اذا
العيس لاقت بي مخاطبة لنفسه وفي هذا من الفائدة أنه لما صار الى مشافهة
المدح والتصریح باسمه خاطب عند ذلك نفسه بمبشرها بالبعد عن المكروه
والقرب من المحبوب ثم جاء بالبيت الذي يليه معدولاً به عن خطاب نفسه الى
خطاب غيره وهو أيضاً خطاب الحاضر فقال هنالك تلقى الجود والفائدة بذلك أنه
يخبر غيره بما شاهدته كما يصف له جود المدح وما لاقاه منه اشارة بذكره وتنويعها
باسمه وحملها غيره على قصده وفي صفة جود المدح بتلك الصفة الغريبة البليغة
وهي قوله حيث قطعت تمامه ما يقتضي له الرجوع الى خطاب الحاضر والمراد

قوله وصارت لهم في نسخة من الديوان وصارت لها اشباحهم وفي أخرى فصار لهم أشباحها انتهى معجزة

بذلك أن محل المدوح هو مآلف الجود ومنشؤه ووطنه وقد يراد به معنى آخر وهو
أن هذا الجود قد آمن عليه الآفات العارضة لغيره من التثاقل والمطل والاعتذار
وغير ذلك إذ التثائم لا تقطع إلا عن أمانت عليه المخاوف وعلى هذا النهج ورد قول
أبي الطيب المتنبي في قصيدته مدح به ابن العميد في النوروز ومن عادة الفرس في
ذلك اليوم حمل الهدايا إلى ملوكهم فقال في آخر القصيدة

كثير الفكر كيف نفدي كما هـ * سددت إلى ربهم بالمليك عباده
والذي عندنا من المال والخيل لـ * هـ هبانه وقياده
فبعثنا بأربعين مهارة * كل مهر مبداه انشاده
عدد عشته يرى الجسم فيه * أربا لا يراه فيما يزاده
فارتبطها فأن قلبا ناعما * صرط تسبق الجياد جياده

وهذا من أحسان أبي الطيب المعروف وهو رجوع عن خطاب الغائب إلى
الحاضر واحتج أبو الطيب عن تخصيص أبياته بالأربعين دون غيرها من العدد
بجدة غريبة وهي أنه جعلها كعدد السنين التي يرى الإنسان فيها من القوة
والشباب وقضاء الأوطار ما لا يراه في الزيادة عليها فاعتذر بالطرف واعتذر في
أنه لم يزد القصيدة على هذه العدة وهذا حسن غريب (وأما الرجوع من الخطاب
إلى الغيبة) فكقوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك
وجرين بهم برح طيبة وفرحوا بها جاءتهم سراج عاصف وجاءهم الموج من كل
مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين إثنان فنجيتنا من هذه لتسكنون
من التاكرين فانه انما صرف الكلام ههنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة وهي أنه
ذكر لغیرهم حالهم ليحجبهم منها كالخبراءهم ويستدعي منهم الإنكار عليهم ولو قال
حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم برح طيبة وفرحتم بها وساق الخطاب معهم
إلى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة وليس ذلك بخاف
عن نقدة الكلام (ومما ينخرط في هذا السلك) قوله تعالى إن هذه أمتكم أمة واحدة
وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أوصالهم بينهم كل الشرا جعون الأصل في تقطعوا
تقطعتم عطف على الأول إلا أنه حرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة
الانقذات كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلى قوم آخرين ويقبح عندهم ما فعلوه
ويقول ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى فجعلوا أمر دينهم

فيما بينهم قطعاً وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن
 هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو يجازيهم على ما فعلوا (ومما يجري هذا
 المجرى) قوله تعالى يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات
 والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن
 بالله وكلماته واتبعوا ما لکم من تدون فإنه انما قال فآمنوا بالله ورسوله ولم يقل
 فآمنوا بالله وبني عطفاً على قوله اني رسول الله اليكم لكي تجرى عليه الصفات
 التي أجزيت عليه وليعلم أن الذي وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص
 الموصوف بأنه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائناً من كان أنا أو غيره
 اظهاراً للنصوة وبعداً من التعصب لنفسه فقدر أولاً في صدر الآية اني رسول
 الله الى الناس ثم أخرج كلامه من الخطاب الى معرض الغيبة لغرضين
 الاول منهما ابراء تلك الصفات عليه والثاني الخروج من تهمة التعصب لنفسه
 (القسم الثاني في الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الامر وعن الفعل
 الماضي الى فعل الامر) وهذا القسم كالذي قبله في أنه ليس الانتقال فيه من
 صيغة الى صيغة طلباً للتوسع في أساليب الكلام فقط بل الامر وراء ذلك وانما
 يقصد اليه تعظيماً لجمال من أجرى عليه الفعل المستقبل وتفضيلاً لامرء وبالضمة
 من ذلك فيمن أجرى عليه فعل الامر (فما جاء منه) قوله تعالى يا هود ما جئتنا ببينة
 وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتزك
 بعض آلهتنا بسوء قال اني أشهد الله وأشهدوا أني بريء مما تشركون فإنه انما
 قال أشهد الله وأشهدوا ولم يقل وأشهدكم ليكون موازناً له وبعينه لاق الشهادة
 الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت وأما اشهادهم فما هو الا اتهامهم
 ودلالة على قلة المبلاة بأمرهم ولذلك عدل به عن لفظ الاول لاختلاف
 ما بينهما ما وجىء به على لفظ الامر كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه شاهد
 على اني أحببتكم كما به واستهانته بجماله وكذلك يرجع عن الفعل الماضي الى فعل
 الامر الا أنه ليس كالأول بل انما يفعل ذلك توكيداً لما أجرى عليه فعل الامر
 لكان العناية بتحقيقه كقوله تعالى قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند
 كل مسجد وادعوه تخلصين له الدين الآية وكان تقدير الكلام أمر ربي بالقسط
 وباقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك الى فعل الامر للعناية بتوكيده

في نفوسهم فإن الصلاة من أوكدها راض الله على عباده ثم اتبها بالاخلاص الذي
 هو عمل القلب اذ عمل الجوارح لا يصح الا باخلاص النية ولهذا قال النبي صلى
 الله عليه وسلم الاعمال بالنيات (واعلم) أي المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول
 عن صيغة من الالفاظ الى صيغة أخرى لا يكون الا لنوع خصوصية اقتضت ذلك
 وهو لا يتوخاه في كلامه الا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على
 أسرارهما وقنن عن دقاتهما. ولا تجدد ذلك في كل كلام فانه من أشكال
 ضروب علم البيان وأدقها فهمها وأغمضا طريقها (القسم الثالث في الاخبار
 عن الفعل الماضي والمستقبل وعن المستقبل بالماضي) فالاول الاخبار بالفعل
 المستقبل عن الماضي اعلم أن الفعل المستقبل اذا أتى به في حالة الاخبار عن
 وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضي وذلك لان الفعل
 المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع
 يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي وربما أدخل في هذا الموضع ما ليس منه
 جهلا بمكانه فانه ليس كل فعل مستقبلي يعطف على ماضٍ يجار هذا المجرى وسأبين
 ذلك فأقول عطف المستقبل على الماضي ينقسم الى ضربين أحدهما بلاغي وهو
 اخبار عن ماضٍ مستقبلي وهو الذي أنا بصدد ذكره في كتابي هذا الذي هو
 موضوع لفصل في ضروب الفصاحة والبلاغة والاخر غير بلاغي وليس اخبارا
 بمستقبل عن ماضٍ وانما هو مستقبلي دل على معنى مستقبلي غير ماضٍ ويراد به
 أن ذلك الفعل مستقر الوجود لم يمحض * فالضرب الاول كقوله تعالى والله الذي
 أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميث فأتينا به الارض بعد موتها كذلك
 التشور فانه انما قال فتثير مستقبلا وما قبله وما بعده ماضٍ لذلك المعنى الذي أشرنا
 اليه وهو كناية الحال التي يقع فيها اثاره الريح السحاب واستحضار تلك
 الصورة البدعية الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تميز
 وخصوصية كحال تستغرب أو تهتم المخاطب أو غير ذلك وعلى هذا الاسلوب
 ما ورد من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه في غزوة بدر فانه قال اقيت
 عبيدة بن سعيد بن العاص وهو على فرس وعليه لامة كاملة لا يرى منه الاعيناه
 وهو يقول أنا أبو ذات النكؤس وفي يدي عنزة فأطعن بها في عينه فوقع وأطأ
 برجلي على خدته حتى خرجت العنزة منه ففقه فقوله فأطعن بها في عينه وطأ برجلي

معدول به عن لفظ الماضي الى المستقبل لمثل للسامع الصورة التي فعل فيها
ما فعل من الاقدام والجراقة على قتل ذلك الفارس المستلثم الا ترى أنه قال
أولاً قيت عبدة بلفظ الماضي ثم قال بعد ذلك فأطعن بها في عينه ولو عطف
كلامه على أوله اقال فطعنت بها في عينه وعلى هذا ورد قول تأبطشيرا

بأني قد اقيت الغول تهوى • بشهب كالصفيفة صححان

فأضربها بالادعش فخرت • صريرها للبيدين وللجيران

فانه قصد أن يصور اقومه الحال التي تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يصبرهم
أيها ما شاهدة للتعجب من جرائته على ذلك الهول . ولو قال فضربتها عطفاً على
الاول زالت هذه الفائدة المذكورة (فان قيل) ان الفعل الماضي أيضاً يتخيل
منه السامع ما يتخيله من المستقبل (قلت في الجواب) ان التخيل يقع في الفعلين معا
لكنه في أحدهما وهو المستقبل أوكد وأشد تخيلاً لانه يستحضر صورة الفعل
حتى كان السامع يتظر الى فاعله في حال وجود الفعل منه الا ترى أنه لما قال
تأبطشيرا فأضربها يتخيل للسامع أنه مباشر للفعل وأنه قائم بإزاء الغول وقد رفع
سيفه ليضرب بها وهذا لا يوجد في الفعل الماضي لانه لا يتخيل السامع منه الا فعلاً
قد مضى من غير احضار للصورة في حالة سماع الكلام الدال عليه وهذا لا خلاف
فيه . وهكذا يجري الحكم في جميع الآيات المذكورة وفي الاثر عن الزبير رضي الله
عنه وفي الآيات الشعرية وعليه ورد قوله تعالى أيضاً وهو ذلك ومن يعظم حرمات
الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام الا ما يلى عليكم فاجتنبوا الرجس من
الاولئان واجتنبوا قول الزور رحمنا الله وغيره شركين به . ومن يشرك بالله فكأنما
ختر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق . فقال أولاً ختر من
السماء بلفظ الماضي ثم عطف عليه المستقبل الذي هو فتخطفه وتهوى وانما عدل
في ذلك الى المستقبل لاستحضار صورة خطف الطير ايها . وهوى الريح به . والفائدة
في ذلك ما أشرت اليه فيما تقدم وكثيرا ما يراعى أمثال هذا في القرآن • وأما الضرب
الثاني الذي هو مستقبل فكقوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله فانه
انما عطف المستقبل على الماضي لان كفرهم كان ووجدولم يستجبه وابعده كفرا
ثانياً وصدتهم متجدة على الايام لم يمحض كونه وانما هو مستمر يستأنف في كل حين
وكذلك ورد قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة

ان الله اطيف خبير ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي ههنا الى المستقبل فقال
 فتصبح الارض مخضرة ولم يقل فتأصبحت عطفا على أنزل وذلك لافادة بقاء أثر
 المطر زمانا بعد زمان فانزال الماء مضى وجوده واخضرار الارض باق لم يمض
 وهذا كما نقول أنعم على فلان فأروح وأغدو شاكره ولو قلت فرحت وغدوت
 شاكره لم يقع ذلك الموقع لانه يدل على ماض قد كان وانقضى وهذا موضع
 حسن ينبغي أن يتأمل (واما الاخبار بالفعل الماضي عن المستقبل) فهو عكس
 ما تقدم ذكره وفائدته أن الفعل الماضي اذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم
 يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأكد في تحقيق الفعل وإيجاده لان الفعل الماضي
 يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد وانما يفعل ذلك اذا كان الفعل المستقبل
 من الاشياء العظيمة التي يستعظم وجودها والفرق بينه وبين الاخبار بالفعل
 المستقبل عن الماضي أن الغرض بالتبيين هيئة الفعل واستحضار صورته
 ليكون السامع كأنه يشاهدها والغرض به هنا هو الدلالة على إيجاد الفعل الذي لم
 يوجد بعد فن أمثلة الاخبار بالفعل الماضي عن المستقبل قوله تعالى ويوم ينفخ
 في الصور فتنزع من في السموات ومن في الارض فانه انما قال فتنزع باللفظ الماضي
 بعد قوله ينفخ وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع وأنه كائن لا محالة لان الفعل
 الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به وكذلك جاء قوله تعالى ويوم
 نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم تغادر عنهم أحدا وانما قيل
 وحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل
 التسيير والبروز يشاهد وانما قال كانه قال وحشرناهم قبل ذلك لان
 الحشر هو المهمة لان من الناس من ينكره كالفلاسفة وغيرهم ومن أجل ذلك
 ذكر باللفظ الماضي (ومما يجرى ههنا المجرى) الاخبار باسم المفعول عن الفعل
 المستقبل وانما يفعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضي وقد سبق الكلام عليه
 (فن ذلك) قوله تعالى ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع
 له الناس وذلك يوم مشهود فانه انما آثر اسم المفعول الذي هو مجموع على الفعل
 المستقبل الذي هو مجموع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه
 الموصوف بهذه الصفة وان شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى يوم نجمعهم
 ليوم الجمع فانك نعت على صحة ما قلت (النوع الخامس في توكيد الضميرين)

(ان قيل) في هذا الموضع ان الضمائر مذكورة في كتب النحوف أي حاجة الى ذكرها ههنا ولم نعلم أن النحاة لا يذكرون ما ذكرته (قلت) ان هذا يختص بفصاحة وبلاغة وأولئك لا يتعرضون اليه وانما يذكرون عدد الضمائر وأن المنفصل منها كذا والمتصل كذا ولا يتجاوزون ذلك وأما أنا فاني أوردت في هذا النوع أمرا خارجا عن الامر النحوي وأصفي بقولي تو كيد الضميرين أن يؤيد كيد المتصل بالمنفصل كقولك أنت أو يؤيد كيد المنفصل بمنفصل مثله كقولك أنت أنت أو يؤيد كيد المتصل بمتصل مثله كقولك أنت أنت لك لعالم أو أنت لك لجواد وانما يؤيد بمثله هذه الاقوال في معرض المبالغة وهو من أسرار علم البيان (ولقد تقدم في ذلك قولنا يخصصه ويجمع أطرافه فنقول) اذا ~~كان المعنى المقصود معلوما ثانيا~~ في النفوس فأنت بالخيار في تو كيد أحد الضميرين فيه بالآخر واذا كان غير معلوم وهو مما يشك فيه فالأولى حينئذ أن يؤيد كيد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه لتقريره وتثبته (فما جاء من ذلك) قوله تعالى قالوا يا موسى اما أن تلقى وأما أن نكون نحن الملقين فان ارادة السحرة الالقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده لانهم لم يصرحوا بما في أنفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم موسى بمثله الى تو كيد ما هو لهم بالضميرين اللذين هما ان يكون ونحن دل ذلك على أنهم يريدون التقدم عليه والالقاء قبله لأن من شأن مقابلة خطابهم موسى بمثله أن كان قالوا اما أن تلقى وأما أن تلقى لتكون الجملة من متقابلتين بحيث قالوا عن أنفسهم واما أن نكون نحن الملقين استدل بهذا القول على رغبةهم في الالقاء قبله (واما تو كيد المتصل بالمتصل) فكقوله تعالى في سورة الكهف فانطلقا حتى اذا أقبضا على ما فقتله قال أقبلت أنفسنا ركية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك أنت لن تستطيع معي صبرا وهذا بخلاف قصة السفينة فإنه قال فيها ألم أقل لك أنت لن تستطيع معي صبرا والفرق بين الصورتين أنه أكد الضمير في الثانية دون الاولى فقال في الاولى ألم أقل لك وقال في الثانية ألم أقل لك أنت وانما جيء بذلك للزيادة في مكافأة العتاب على رفض الوصية مرة على مرة والوسم بعدم الصبر وهذا كما لو أتى الانسان ما نهى عنه ففعله وعنفه ثم أتى ذلك مرة ثانية أليس أنت تزيد في لومه وتعنيفه وكذلك فعل ههنا فانه قيل في الملامة أولا ألم أقل لك ثم قيل ثانيا ألم أقل لك أنت وهذا موضع يدق عن العمور عليه ببادرة النظر

ما لم يعط التأمل فيه حقه (وأما توكيد المتصل بالمتصل) فحق قوله تعالى
 فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى فتوكيد الضميرين
 ههنا في قوله انك أنت الاعلى أنفي للخوف من قلب موسى وأثبت في نفسه للغلبة
 والقهر ولو قال لا تخف انك الاعلى أو فأت الاعلى لم يكن له من التقرير
 والاثبات لنفي الخوف ما لقوله انك أنت الاعلى (وفي هذه الكلمات الثلاث)
 وهي قوله انك أنت الاعلى ست فوائد (الاولى) ان المشعقة التي من شأنها
 الاثبات لما يأتي بعدها كقولك زيد قائم ثم تقول ان زيدا قائم ففي قولك ان
 زيدا قائم من الاثبات لقيام زيد ما ليس في قولك زيد قائم (الثانية) تكرير
 الضمير في قوله انك أنت ولو اقتصر على أحد الضميرين لما كان به هذه المكانة
 في التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره (الثالثة) لام التعريف في قوله الاعلى
 ولم يقل أعلى ولا عال لأنه لو قال ذلك لكان قد نسكه وكان صالحا لكل واحد من
 جنسه كقولك رجل فانه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال واذا قلت
 الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف وجعلته عالما فيهم وكذلك جاء قوله
 تعالى انك أنت الاعلى أي دون غيرك (الرابعة) لفظ أفعل الذي من شأنه التفضيل
 ولم يقل العالى (الخامسة) اثبات الغلبة له من العلولان الغرض من قوله الاعلى
 أي الاغلب الآن في الاعلى زيادة وهي الغلبة من عال (السادسة) الامتناف
 وهو قوله تعالى لا تخف انك أنت الاعلى ولم يقل لانك أنت الاعلى لانه لم يجعل
 علته اتقاء الخوف عنه ككونه عالما وانما نفي الخوف عنه أقول لا تخف
 ثم اتأنف الكلام فقال انك أنت الاعلى فكان ذلك أبلغ في ايقان موسى عليه
 السلام بالغلبة والاستعلاء وأثبت لذلك في نفسه (وربما وقع لبعض الاغمار
 أن يعترض على ما ذكرناه) في توصيد أحد الضميرين بالاخر فيقول لو كان
 توكيدهما أبلغ من الاقتصار على أحدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه
 حيث هو أولى بما هو أبلغ وأؤكد من القول وقد رأينا في القرآن الكريم
 مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الاخر كقوله
 عزاءه قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وترزق من تشاء
 وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير ولم يقل انك أنت على كل شيء قدير
 فما الموجب لذلك ان كان توكيد أحد الضميرين بالاخر أبلغ من الاقتصار على

أحدهما (الجواب عن ذلك) أنا نقول قد قدمنا القول في أول هذا النوع
أنه إذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً فصاحب الكلام مخير في توكيد أحد
الضميرين بالآلة تحرفان أكد فقد أتى بفضل بيان وإن لم يؤكده فلا أن ذلك المعنى
ثابت لا يفتقر في تقريره إلى زيادة تأكيد كيد هذه الآية المشار إليها وهي قوله
تعالى قل اللهم مالك الملك فإن العلم بأن الله على كل شيء قدير لا يفتقر إلى تأكيد كيد
يقترنه وقد ورد ما يجري مجرى هذه الآية مؤكداً كقوله تعالى وإذا قال
الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال
سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في
نفسى ولا أعلم ما في نفسك أنت علام الغيوب فوكيد في هذه الآية ولم يؤكده
في الآية الأخرى وقد عرفت أنك الطريق في ذلك وأما إذا كان المعنى المقصود غير
معلوم وهو محال عليك فيه فالأولى أن يؤكده بالضميرين في الدلالة عليه كقوله
تعالى قلنا لا تخف أنك أنت الأعلى فإن موسى لم يكن متيقناً أنه غالب للسحرة
فلذلك وكده خطابه بالضميرين ليكون أبلغ في تقرير ذلك في نفسه (وأما توكيد
المنفصل بمنفصل مثله) فكقول أبي تمام

لأنت أنت ولا الديار ديار * خف الهوى وتواتر الاوطار

فقوله لأنت أنت ولا الديار ديار من الملمح النادر في هذا الموضع لأنه هو هو
والديار الديار وانما البواعث التي كانت تبعث على قضاء الاوطار زالت فبقى
ذلك الرجل وليس هو هو على الحقيقة ولا الديار في عينه من الحسن تلك الديار
وعلى هذا وزد قول أبي الطيب المتنبي

قبيل أنت أنت وأنت منهم * وجدك بشرا الملك الهمام

فقوله أنت أنت من توكيد الضميرين المشار إليهما وقائده المبالغة في مدحه
ولو مدحه بما شاء الله لما سده مسد قوله أنت أنت أي أنك المشار إليه بالفضل دون
غيرك وأما قوله وأنت منهم فخارج عن هذا الباب وهو كلام مستأنف لا يتعلق
بتوكيد الضميرين كانه قال أنت الموصوف بكذا وكذا وأنت من هذا القبيل
يريد بذلك مدح قبيله به وهذا البيت لم يعمل به اختياراً والاستحادة وانما مثلت
به ليعلم مكان توكيد المنفصل بالمنفصل والافاليت ليس من المرضى لأن سبكه
سبك عار من الحسن وفيه تقديم وتأخير (وقرأت في كتاب الاغانى) لابي الفرج

ان عمرو بن ربيعة قال لزياد بن الهبولة يا خير الفتيان اردد علي ما أخذته
 من ابي فردها عليه وفيها خلفها فنادى عه الفضل الى الابل فصرعه عمرو فقال له
 زياد لو صرعت يا بني شيان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم أنتم أنتم فقال عمرو له
 لقد أعطيت قليلا وسمعت قليلا وجررت على نفسك وبلاطويلا فقوله لكنتم
 أنتم أنتم أي أنتم الأشداء أو الشجعان أو ذوو النجدة والبأس أو ما جرى هذا
 المجرى الآن في أنتم الثانية تخصب صالهم بهذه الصفة دون غيرهم كأنه قال
 لكنتم أنتم الشجعان دون غيركم ولو مدحهم بأي شيء مدحهم من وصف
 البأس والشدة والشجاعة لما بلغ هذه الكلمة أعني أنتم الثانية وهذا
 موضع من علم البيان تكاثر محاسنه فأعرفه (النوع السادس في عطف المظهر
 على ضميره والافصح به بعده) وهذا انما يعمد اليه لفائدة وهي تعظيم شأن
 الامر الذي أظهر عنده الاسم المضمرا أولا ومثال ذلك قول القائل ولما تلاقينا
 وبنو غيم أقبلوا ونحن نارب كضون ذرايينهم أسودا ثكلت سابق الاسنة الى
 الورود ولا ترتد على أعقابها اذا ارتدت أمثالها من الاسود وتناجد بنو غيم
 علينا بجمل فلذنا بالفرار واستبقنا الى تولية الادبار فانه انما قيل وتناجد
 بنو غيم مصرحاً باسمهم ولم يقل وتناجدوا كما قيل أقبلوا للدلالة على التعجب من
 اقدامهم عند الحلة وثباتهم عند الصدمة لاسيما وقد أورد ذلك بقوله لذنا
 بالفرار واستبقنا الى تولية الادبار كأنه قال وتناجد أولئك القوسان المشاهير
 والحكمة المتناكبر وحملوا علينا حلة واحدة فولينا مدبرين منهزمين (ومما جاء
 من ذلك) قوله تعالى ولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على
 الله يسير قل سبروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة
 الآخرة ألا ترى كيف صرح باسمه تعالى في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة مع
 ايقاعه مبتدأ في قوله كيف يبدئ الله الخلق وقد كان القياس أن يقول كيف
 يبدئ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة والفائدة في ذلك أنه لما كانت الاعادة
 عندهم من الامور العظيمة وكان صدور الكلام واقعا معهم في الابداء وقرره
 أن ذلك من الله اخرج عليهم بأن الاعادة انشاء مثل الابداء واذا كان الله الذي
 لا يعجزه شيء هو الذي لا يعجزه الابداء فوجب أن لا يعجزه الاعادة فللدلالة والتنبيه
 على عظم هذا الامر الذي هو الاعادة أبرز اسمه تعالى وأوقعه مبتدأ ثانياً وعلى

عطف المظهر على ضميره

هذا ورد قوله تعالى ويوم حنين اذا عجبتمكم كنتم منكم فلم تغن عنكم
 شيئا وضائق عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سبحانه
 على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء
 الكافرين ألا ترى أنه قال أولا ويوم حنين اذا عجبتمكم كنتم منكم فذكر مضمرا
 تقدم الكلام فيه ثم عطف المظهر الذي هو له وهو قوله ثم أنزل الله سبحانه
 رسوله وعلى المؤمنين وكان العطف لو أضمر كما أضمر الاول لقال ثم أنزل الله
 سبحانه عليكم وأنزل جنودا لم تروها وقائدة الاظهار ههنا للمعطوف بعد
 انحصاره أولا التنويه بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر المؤمنين أولان
 الامر عظيم وهو الانتصار بعد الفراق فأى الامر من قدر كان لاظهار المعطوف
 مناسبا وهكذا يكون عطف المظهر على ضميره فانه يستند الى قائدة يهيم ذكرها
 فان لم يكن هنالك مثل هذه القائدة والا فلا يحسن الاظهار بعد الاضمار وكذلك
 جاء قوله تعالى واذا تنلى عليهم آياتنا بينات قالوا اما هذا الا رجل يريد أن بصدكم
 عما كنتم بعبادة آبائكم وقالوا اما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق
 لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين فانه انما قال وقال الذين كفروا ولم يقل وقالوا
 كذا الذى قبله للدلالة على صدور ذلك عن انكار عظيم وغضب شديد وتجب
 من كفرهم باليخ لاسيما وقد انضاف اليه قوله وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم
 وما فيه من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى ذلك من المبادهة كانه قال
 وقال أولئك الكفرة المتمردون بجهراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق المبين
 قبل أن يتدبروه ان هذا الا سحر مبين وعلى شعور من ذلك ورد قوله تعالى ص
 والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزه وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن
 فننادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا
 سحر كذاب وكان القياس أن يقال وقالوا هذا سحر كذاب عطفنا على عجبوا
 وانما أتى باسم الكافرين مظهرا بعد اضمماره للاشارة عاريتهم ما اجتروا عليه
 من القول فى أمر النبي صلى الله عليه وسلم أولان هذا القول كان أهم
 عندهم وأرمح فى نفوسهم فصرح باسم قائله دلالة على ما كان فى أنفسهم منه
 (النوع السابع فى التفسير بعد الابهام) اعلم أن هذا النوع لا يعود الى استعماله
 الا لضرب من المبالغة فاذا جىء به فى كلام فانما يفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم

التفسير بعد الابهام

واعظامه لانه هو الذي يطرق السمع أولا فيذهب بالسامع كل مسذهب بقوله
 تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصحين ففسر ذلك الامر
 بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع وفي ايهامه أولا وتفسيره بعد ذلك تفخيم للامر
 وتعظيم لشأنه فانه لو قال وقضينا اليه أن دابر هؤلاء مقطوع لما كان بهذه المكانة
 من الفخامة فان الابهام أولا يوقع السامع في حيرة وتفكير واستعظام لما قرع
 سمعه وتنتوفا الى معرفته والاطلاع على كنهه وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى
 قال قد أوتيت سؤالك يا موسى واقدمنا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى آدم
 ما يوحى أن اقد فيه في التابوت فاقد فيه في اليم ففسر ما يوحى بقوله أن اقد فيه
 وهذا كالاول في ايهامه أولا وتفسيره ثانيا ومثل هذا ورد قوله تعالى في سورة
 أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فانه انما قال ذلك
 ولم يقل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم لما في الاول من التنبيه والاشعار
 بأن الصراط المستقيم هو صراط المؤمنين فدل عليه بأبلغ وجه كما تقول هل
 أدلك على أكرم الناس وأفضلهم ثم تقول فلان فيكون ذلك أبلغ في وصفه
 بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل لانك تثبت
 ذكره مجالا ومفصلا بفعله علمه في المكرم والفضل كما أنك قلت من أراد رجلا
 جامعاً للخصتين جميعاً فعليه بفلان (فان قيل) فما الفرق بين عطف المظهر على
 ضميره وبين التفسير بعد الابهام فان المضمحل كالمهم (فالجواب عن ذلك)
 أني أقول ان كان سؤالك عن فائدتهم فما فائدتهم في الفائدة سواء وذلك أنهم ما
 انما يراد ان تعظم الجمال والاعلام بفخامة شأنها وان كان سؤالك عن
 الفرق بينهما في العبارة فاني أقول المضمحل ياتي بعدم مظهر تقدم ذكره أولا
 ثم يعطف المظهر على ضميره أي على ضمير نفسه كالمثال الذي ضربناه في بني تميم
 وأما التفسير بعد الابهام فان المهم يتقدم أولا وهو أن يذكروا شيء يقع عليه محتملات
 كثيرة ثم يفسر بإيقاعه على واحد منها وليس كذلك عطف المظهر على
 ضميره (ونما جاء من التفسير بعد الابهام) قوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم
 اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا سماع وان الآخرة
 هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزي الامثلة او من عمل صالحا من ذكر أو أنثى
 وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ألا ترى كيف قال

أهدكم سبيل الرشاد فأبهم سبيل الرشاد ولم يبين أي سبيل هو ثم فسر ذلك فافتح
كلامه بذكر الدنيا ونصف برسانها ثم ثنى ذلك تعظيم الآخرة والاطلاع على
حقيقتها ثم ثلث بذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل من
ليثبط عما يناف وينشط لما يناف كأنه قال سبيل الرشاد هو الاعتراض عن
الدنيا والرغبة في الآخرة والامتناع من الأعمال السيئة خوفاً للمقابلة
عليها والمسارة إلى الأعمال الصالحة رجاءاً للمجازاة عليها وكذلك ورد قوله
تعالى وأذيرفع إبراهيم القواعد من البيت واسمعيلى فانه انما قال القواعد
من البيت ولم يقل قواعد البيت لما في إبهام القواعد أولاً وتبيينها بعد ذلك
من تفخيم حال المبين مما ليس في الإضافة (ومما يجرى هذا الجرى) قوله تعالى
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً طالعياً أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع
إلى الله موسى فانه لما أراد تفخيم ما أقبل فرعون من بلوغه أسباب السموات
أبهمها أولاً ثم فسرها ثانياً ولانه لما كان بلوغها أمراً عجباً أراد أن يورده على
نفس متشوقة إليه اعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشتوق إليه بنفس
هامان ثم أوضحه بعد ذلك (وعلى هذا الأسلوب) ورد قوله تعالى قل انما أعظكم
بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو
الانذار لكم بين يدي عذاب شديد فانه قال أولاً أعظكم بواحدة فأبهم
الواحدة ثم فسرها بقوله أن تقوموا لله مثنى وفرادى وأن تفكروا وهذا
في القرآن الكريم كثيراً الاستعمال (وأما الإبهام من غير تفسير) فكثير شائع
في القرآن الكريم أيضاً كقوله تعالى رفعت فقلت التي فعلت وكذلك ورد قوله
تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم أى للطريقة أو الحالة أو الملة التي
هي أقومها وأسهلها وأى ذلك قدرت لم تجده مع الافصاح ذوق البلاغة التي
تجده مع الإبهام وذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب وإيقاعه على محتملات كثيرة
وهذا كقول القائل لو رأيت علياً بين الصفيين فانه لو وصفه مهما وصف من فجدة
وشجاعة وثبات وأقدام وأطال القول في ذلك لم يكن بمثابة ما يترامى إليه الوهم
مع الإبهام وهذا لما عرف برموزه هذه الصنعة وأسرارها (وعلى هذا
الأسلوب) ورد قوله تعالى فغشهم من اليم ما غشهم وأبلغ من ذلك قوله تعالى
والمؤتفكة أهوى فغشاهما ما غشى فانه قال في تلك الآية فغشهم من اليم

ما غشيهم فذكر اليم وهو البحر فصار الذي غشيهم انما هو منه خاصة وقال في هذه
الآية فغشاها ما غشى فأبهم الامر الذي غشاها به وجعله عاما وذلك ابلغ لان
السامع يذهب وهمه فيه كل مذهب وأما ما جاء من ذلك شعرا فنكح قول البحري
بعيد مقبل الصدر لا يقبل التي * يحاولها منه الارب الخادع
فقوله التي يحاولها من الابهام المقدم ذكره في الآية (وعما ينتظم بذلك)
قول الشاعر في آيات الجاسة

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعده
فقوله صبا ما صبا من الابهام الذي لو قدرت ما قدرت في تفسيره لم تجده من
فضيلة البيان ما تجده مع الابهام (وعليه ورد) قول أبي نواس
ولقد نهزت مع الفواة بدلوهم * وأسمت سرح العظ حين أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبا به * فاذا عصارة ~~كل~~ ذال الثام
فقوله وبلغت ما بلغ امرؤ بشبا به من هذا النمط المشار اليه وهو من الملح النادر
(ومما يجري على هذا النهج) قول الآخر في وصف الخمر

مضى بها ماضى من عقل شاربها * وفي الزجاجة باق يطالب الباقي
والكلام على هذا البيت كالكلام على البيت الذي قبله (ومثله ورد) قول
بعض المتأخرين فواد فيه ما فيه وعلى هذا ورد قولى في فصل من تقليد لبعض
الوزراء فقلت وأنت مؤهل لواحدة متخلق لها غرر الجياد وتتادى عليها
بلسان الاحقاد وتفخر بها سمر الاقلام على سمر الصعاد فابسط يدك لاخذ كتابها
واسمع اطيب ذكرها بعد سبعك في طسلبها واعلم أن الخطاب اليها كثير اسكنها
صدت بك عن خطاياها ولقد مضى عليها زمن وهي تفور حتى استقادها الآن
تأنيبك ولم تسبق الاقدار باسمك الا لتكون سليمانها وهي بلبسك وهذا
الوزير كان اسمه سليمان فسقت المعنى اليه فجاء كما تراه من الحسن واللطافة
وأما قولى وأنت مؤهل لواحدة فانه من الابهام من غير تفسير وذلك بخلاف
ما ورد في الآية المقدم ذكرها لان ذلك من التفسير بعد الابهام (وعما ينتظم
في هذا السلك) الاستثناء العدى وهو ضرب من المبالغة لطيف المأخذ وقائده
أنه أول ما يطرق سمع الخطاطب ذكر العقد من العدد فيكثر موقع ذلك عنده وهو
شبيه بما ذكرناه من الابهام أولا ثم التفسير بعده ثانيا وذلك كقول القائل

أعطيته مائة الا عشرة وأعطيته ألفا الامائة فان ذلك أبلغ من أن لو قال أعطيته
 تسعين أو تسعمائة (وعليه ورد) قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث
 فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ولم يقل تسعمائة وخمسين عاما فائدة حسنة وهي
 ذكر ما أتى به نوح من أمته وما كابدته من طول المصايرة ليكون ذلك تسلية
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يلقاه من أمته وتنبئته فان ذكر رأس
 العدد الذي هو منتهى العقود وأعظمها أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة
 السامع مدة صبره وما لاقاه من قومه (النوع الثامن في استعمال العام في النفي
 والخاص في الاثبات) اعلم أنه اذا كان الشبان أحدهما خاصا والاخر
 عاما فان استعمال العام في حالة النفي أبلغ من استعماله في حالة الاثبات وكذلك
 استعمال الخاص في حالة الاثبات أبلغ من استعماله في حالة النفي (ومثال ذلك)
 الانسانية والحيوانية فان اثبات الانسانية يوجب اثبات الحيوانية ولا يوجب
 نفيها نفي الحيوانية وكذلك نفي الحيوانية يوجب نفي الانسانية ولا يوجب
 اثباتها اثبات الانسانية (وعما ينظم بذلك) الالهاء المفردة الواقعة على الجنس
 التي يكون بينها وبين واحداتها التامث فانه متى أريد النفي كان استعمال
 واحدتها أبلغ ومتى أريد الاثبات كان استعمالها أبلغ (وكذلك يصل بهم هذا
 النوع) الصفتان الواردتان على شيء واحد فانه اذا لزم من وجود احدهما
 وجود الاخرى اكتفى بها في الذكر ولم يحتاج الى ذكر الاخرى لانه يجيء ضمنا وتبعاً
 وأن يبدأ بها في الذكر أو لا ثم تجيء الاخرى بعدها وأما الصفات المتعددة فانه
 ينبغي أن يبدأ في الذكر بالادنى مرتبة ثم يعدها بما هو أعلى منها الى أن ينتهي الى
 آخرها هذا في مقام المدح فان كان في مقام الذم عكست القضية فالاول
 وهو الخاص والعام نحو قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت
 ما حوله ذهب الله بنورهم ولم يقل ذهب بضوئهم موازنا لقوله فلما أضاءت لان
 ذكر النور في حالة النفي أبلغ من حيث ان الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة
 فلو قال ذهب الله بضوئهم لكان المعنى يعطى ذهب تلك الزيادة وبقي ما يسمى
 نورا لان الاضاءة هي فرط الانارة قال الله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء
 والقمر نورا فكل ضوء نور وليس كل نور ضوءاً فالغرض من قوله تعالى ذهب الله
 بنورهم انما هو ازالة النور عنهم أصلاً فهو اذا ازاله فقد أزال الضوء

وكذلك أيضا قوله تعالى ذهب الله بنورهم ولم يقل أذهب نورهم لأن كل
 من ذهب بشئ فقد أذهب به وليس كل من أذهب شيئا فقد ذهب به لأن الذهاب
 بالشيء هو استصحابه ومضى به وفي ذلك نوع احتجار بالذهوب به وامسالك
 له عن الرجوع الى حالته والعود الى مكانه وليس كذلك الاذهب للشيء لزوال
 معنى الاحتجار عنه (ومما يحتمل على ذلك) الاوصاف الخاصة اذا وقعت على
 شيئين وكان يلزم من وصف أحدهما وصف الآخر ولا يلزم عكس ذلك ومثاله
 قوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض فانه
 انما خص العرض بالذكور دون الطول للمعنى الذي أشرنا اليه والمراد بذلك انه
 اذا كان هذا عرضها فكيف يكون طولها وهذا في حالة الاثبات ولو أريد
 النفي لكان له أسوأ من غير ما ذكرناه وهو أنه كان يخص به الطول دون العرض
 (وأما الاسماء المفردة الواقعة على الجنس) فحق قوله تعالى في قصة نوح عليه
 السلام قال الملائمة من قومه اننا نراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة
 ولكني رسول من رب العالمين فانه انما قال ليس بي ضلالة ولم يقل ليس بي ضلال
 كما قالوا لان نبي الضلالة أبلغ من نبي الضلال عنه كما لو قيل ألك تمر فقلت
 في الجواب مالي تمر وذلك أنني للتمر ولو قلت مالي تمر لما كان يؤدي من المعنى ما أذا
 القول الاول وفي هذا الموضع دقة تحتاج الى فضل تام فينبغي لصاحب هذه
 الصناعة مراعاته والعناية به (فان قيل) لا فرق بين الضلالة والضلال وكلاهما
 مصدر قولنا ضل يضل ضلالا وضل يضل ضلالة كما يقال لذيئذا ذادة (فالجواب)
 عن ذلك أن الضلالة تكون مصدرا كما قلت وتكون عبارة عن المرة الواحدة
 تقول ضل يضل ضلالة أي مرة واحدة كما تقول ضرب يضر بضرية وقام
 يقوم قومة وأكل يأكل أكلة والمراد بالضلالة في هذه الآية انما هو عبارة
 عن المرة الواحدة من الضلال فقد نفي ما فوقها من المراتب والمرار الكثيرة
 (وأما الصفتان الواردتان على شيء واحد) فكقول الاشترا النحوي

حلفت وقدي واشخرقت على العلي * ولقيت أضيا في بوجه عبوس
 ان لم أشن علي ابن حرب غارة * لم تغفل يوما من نهاب نفوس
 خيلا كما مشال السعالي شرمًا * تعدو ويبيض في السكر به شوس
 حتى الحديده عليهم وفكاهة * لعنان برق أو شعاع شمس

ألا ترى أنه رقى في التشبيه من الأدنى إلى الأعلى فقال لمعان برق أو شعاع شمس
لأن لمعان البرق دون شعاع الشمس (وما ورد من ذلك في القرآن الكريم)
قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فان وجود
المواخذة على الصغيرة يلزم منه وجود المواخذة على الكبيرة وعلى القياس
المشار إليه أولا فينبغي أن يكون لا يغادر كبيرة ولا صغيرة لأنه إذا لم يغادر
صغيرة فمن الأولى أن لا يغادر كبيرة وأما إذا لم يغادر كبيرة فانه يجوز أن يغادر
صغيرة لأنه إذا لم يعف عن الصغيرة فيعفى القياس أنه لا يعفو عن الكبيرة
وإذا لم يعف عن الكبيرة فيجوز أن يعفو عن الصغيرة غير أن القرآن الكريم
أحق أن يتبع وأجدر بأن يقاس عليه لا على غيره والذي ورد فيه من هذه
الآية ناقض لما تقدم ذكره (وكذلك ورد قوله تعالى) فلا تقل لهم ما أف
ولا تنهرهما لأن التأنيف أدنى درجة وقد تقدم قولي في أول هذا النوع انه إذا
جاءت صفتان يلزم من وجود احدهما وجود الاخرى أن يكتب في ذكرهما دون
الاخرى لأن الاخرى تجب ضمنا وتبعنا وأن يبدأ بها في الذكر ثم تجب الاخرى
بعدها وعلى هذا فيقال أولا فلا تنهرهما ولا تقل لهما أف لكن إذا لم يقل لهما
أف امتنع أن ينهرهما وقد كان هذا هو المذهب عندي حتى وجدت كتاب الله
تعالى قد ورد بخلافه وحيثما عدت عما كنت أراه وأقول به (وأما الصفات
المتعددة الواردة على شيء واحد) فكقول أبي عبادة البحتري في وصف فحول
الركاب يترقرق كالسراب وقد خضت من غمار من السراب الجارى
كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار

ألا ترى أنه رقى في تشبيه فحولها من الأدنى إلى الأعلى فشيئها أولا بالقسي ثم
بالاسهم المبرية وتلك أبلغ في الفحول ثم بالاوتار وهي أبلغ في الفحول من الاسهم
وكذلك ينبغي أن يكون الاستعمال في مثل هذا الباب وقد أغفل كثير
من الشعراء ذلك فمن جملتهم أبو الطيب المتنبي في قوله

يا بدر يا بحر يا غمامة يا ايث الشرى يا حمام يا رجل

وينبغي أن يبدأ فيه بالأدنى فالأدنى فانه إذا فعل ذلك كان كما رتفع من محل
إلى محل أعلى منه وإذا خالفه كان كالمختص من محل إلى محل أدنى منه فأتى قوله
يا بدر فانه اسم الممدوح والابتداء به أولى ثم بعده فيجب أن يقول يا رجل يا ايث

يا غمامة يا بحر يا حمام لان اللبث أعظم من الرجس والبصر أعظم من الغمامة
والحمام أعظم من البحر وهذا مقام مدح فيجب أن يرقى فيه من منزلة الى منزلة
حتى ينتهي الى المنزلة العليا آخرا ولو كان مقام ذم لعكس القضية وعلى مثله
ورد قول أبي تمام يفتخر

سماي أوس في الفخار وحاتم * وزيد القنا والاثرمان ورافع

نجوم طوالع جبال قوارع * غيوث هوامع سيول دوافع

فان السيول دون الغيوث والجبال دون النجوم ولوقدم ما أخر لما اختل النظم

بأن قال سيول دوافع غيوث هوامع * جبال قوارع نجوم طوالع

وهذا عندي أشد ملامة من المتن لان المتن لا يمكنه تقديم ألفاظ بيته
وتأخيرها وأبو تمام متمكن من ذلك وما أفهم كيف ذهب عليه هذا الموضع

مع معرفته بالمعاني (الفروع التساع في التقديم والتأخير) وهذا باب طويل

عريض يشغل على أسرار دقيقة منها ما استخرجته أنا ومتهما ما وجدته في أقوال

علماء البيان وسأورد ذلك مبينا (وهو ضربان) الاول يختص بدلالة الالفاظ على

المعاني ولو أخر المقدم أو قدم المؤخر لغير المعنى والثاني يختص بدرجة التقديم

في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أخر لما تغير المعنى (فأما الضرب

الاول فانه ينقسم الى قسمين) أحدهما يكون التقديم فيه هو الابلغ والاخر

يكون التأخير فيه هو الابلغ (فأما القسم الذي يكون التقديم فيه هو الابلغ)

فمكتة تقديم المفعول على الفعل وتقديم الخبر على المبتدأ وتقديم الظرف أو الحال

أو الاستثناء على العامل فن ذلك تقديم المفعول على الفعل كقولك زيدا

ضربت وضربت زيدا فان في قولك زيدا ضربت تخصيصا له بالضرب دون غيره

وذلك بخلاف قولك ضربت زيدا لانك اذا قدمت الفعل كنت بالخيار في ايقاعه

على أي مفعول شئت بأن تقول ضربت خالدا أو بكرا أو غيره ما واذا أخرته

لزم الاختصاص للمفعول وكذلك تقديم خبر المبتدأ عليه كقولك زيدا قائم وقائم

زيد فقولك قائم زيد قد ثبت له القيام دون غيره وقولك زيدا قائم أنت بالخيار

في اثبات القيام له ونفيه عنه بأن تقول ضارب أو جالس أو غير ذلك وهكذا

يجري الحكم في تقديم الظرف كقولك ان الى مصر هذا الامر وقولك ان مصر

هذا الامر الى فان تقديم الظرف دل على أن مصر هذا الامر ليس الا اليك وذلك

بجـ لاف قولك ان مـ ير هذا الامر الى اذ يحتمل ايضاح الكلام بعد الظرف
على غيرك فيقال الى زينه أو عمرو أو غيرهما وكذلك يجري الامر في الحال
والاستثناء وقال علماء البيان ومنهم الزمخشري رحمه الله ان تقديم هذه
الصورة المذكورة انما هو للاختصاص وليس كذلك والذي عسدى فيه
انه يستعمل على وجهين أحدهما الاختصاص والاخر مراعاة نظم الكلام
وذلك ان يكون نظمه لا يحسن الا بالتقديم واذا آخر المقدم ذهب ذلك الحسن
وهذا الوجه أبلغ وأوكد من الاختصاص فأما الاول الذي هو الاختصاص
فمخبر قوله تعالى قل أفغير الله تأمر بنى أعبد أي الجاهلون ولقد أوحى اليك
والى الذين من قبلك ان لا تشرك ليحكم بينك وبينهم ولو كان بيننا وبينهم
فأعبدوا من غير الله فانه لما قبل بل الله فأعبد ولم يقل بل أعبد الله لانه
اذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره ولو قال بل أعبد الجاهل ايقاع
الفعل على أى مفعول شاء وأما الوجه الثانى الذى يختص بنظم الكلام
فمخبر قوله تعالى اياك نعبد وياك نستعين وقد ذكر الزمخشري في تفسيره ان التقديم
فى هذا الموضع قصده الاختصاص وليس كذلك فانه لم يقدم المفعول فيه على
الفعل للاختصاص وانما تقدم لان نظم الكلام لانه لو قال نعبدك ونستعينك
لم يكن له من الحسن ما لقوله اياك نعبد وياك نستعين ألا ترى انه تقدم قوله
تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين بخلاف ذلك قوله اياك
نعبد وياك نستعين وذلك مراعاة حسن النظم السجوى الذى هو على حرف النون
ولو قال نعبدك ونستعينك لذهب تلك الطلاقة وزال ذلك الحسن وهذا غير
خاف على أحد من الناس فضلا عن أرباب علم البيان وعلى نحو منه ورد قوله
تعالى فأوحى فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف ايك أنت الاعلى وتقدير
الكلام فأوحى موسى فى نفسه خيفة وانما تقدم المفعول على الفاعل وقصلى بين
الفعل والفاعل بالمفعول وبمعرف الجزء قصد التخصيص والنظم وعلى هذا فليس كل
تقديم لما مكانه التأخير من باب الاختصاص فبطل اذا ما ذهب اليه الزمخشري
وغيره (ومما ورد من هذا الباب) قوله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه فان
تقديم الجحيم على التصلية وان كان فيه تقديم المفعول على الفعل الا أنه لم يكن
ههنا للاختصاص وانما هو للفضيلة السجوية ولا ضراء فى أن هذا النظم على هذه

الصورة أحسن من أن لو قيل خذوه فغلوه ثم صلوا بها الجحيم (فان قيل) انما قدمت
 الجحيم للاختصاص لانها نار عظيمة ولو أخرت لما وقع الفعل على غيرها كما يقال
 ضربت زيدا وزيدا ضربت وقد تقدم الكلام على ذلك (فالجواب) عن ذلك
 أن الدرك الاسفل أعظم من الجحيم فكان ينبغي أن يخص بالذ كردون الجحيم على
 ما ذهب اليه لانه أعظم وهذا لا يذهب اليه الا من هو بنجوة عن رموز الفصاحة
 والبلاغة ولقطة الجحيم ههنا في هذه الآية أولى بالاستعمال من غيرها لانها جاءت
 ملائمة لتنظيم الكلام ألا ترى أن من أسماء النار السعير واطي وجهه ولو وضع
 بعض هذه الأسماء مكان الجحيم لما كان له من الطلاقة والحسن ما للجحيم
 والمقصود بذكر الجحيم انما هو النار أي صلوا النار وهكذا يقال في ثم في سلسلة
 ذرعهما سبعون ذراعا فأسلكوه فانه لم يقدم السلسلة على السلك للاختصاص
 وانما قدمت لمكان نظم الكلام ولا شك أن هذا النظم أحسن من أن لو قيل
 ثم أسلكوه في سلسلة ذرعهما سبعون ذراعا والكلام على هذا كالكلام على
 الذي قبله وله في القرآن أطاثر كثيرة ألا ترى الى قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ
 منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري بسلسلة قرها ذلك تقديرا العزيز العليم
 والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم فقوله والقمر قدرناه
 منازل ليس تقديم المفعول فيه على الفعل من باب الاختصاص وانما هو
 من باب مراعاة نظم الكلام فانه قال والليل نسلخ منه النهار ثم قال والشمس
 تجري فاقضى حسن النظم أن يقول والقمر قدرناه ليكون الجميع على نسق
 واحد في النظم ولو قال وقدرنا القمر منازل لما كان تلك الصورة في الحسن
 وليس به ورد قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وانما تقدم
 المفعول لمكان حسن النظم السجوي (وأما تقديم خبر المبتدأ عليه) فقد تقدمت
 صورته كقولك زيد قائم وقائم زيد فحما ورد منسوخ في القرآن الكريم قوله تعالى
 وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فانه انما قال ذلك ولم يقل وظنوا أن
 حصونهم مانعتهم أو مانعتهم لان في تقديم الخبر الذي هو مانعتهم على المبتدأ
 الذي هو حصونهم دليلا على قوة اعتقادهم في حصانتها وزيادة وثوقهم بمنعها
 ايهاهم وفي تصويرهم اسمالات واسماء الجلالة اليه دليل على تقريرهم
 في أنفسهم أنهم في عزه وامتناع لا يسأل معها بقصد قاصد ولا تعرض متعرض

وليس شيء من ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله (ومن تقديم خبر المبتدأ) قوله تعالى قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم فانه انما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله أراغب أنت ولم يقل أنت راغب لانه كان أهم عندهم وهو به شديد العناية وفي ذلك ضرب من التعجب والانكار لرغبة إبراهيم عن آلهته وان آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها وهذا بخلاف ما لو قال أنت راغب عن آلهتي (ومن غامض هذا الموضع) قوله تعالى واقرب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا فانه انما قال ذلك ولم يقل فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة لا مبرين أحدهما تخصيص الأبصار بالشخص دون غيرها أما الأول فلو قال فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة لحاز أن يضع موضع شاخصة غيره فيقول حائرة أو مطموسة أو غير ذلك فلما قدم الضمير اختص الشخص بالابصار دون غيرها وأما الثاني فانه لما أراد أن الشخص خاص بهم دون غيرهم دل عليه بتقديم الضمير أولا ثم بصاحبه ثانيا كانه قال فإذا هم شاخصون دون غيرهم ولولا أنه أراد هذين الامرين المشار اليهما لقال فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة لانه أخصر ب حذف الضمير من الكلام (ومن هذا النوع) قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور وماؤه الحل ميتته وتقدير الكلام هو الذي ماؤه طهور وميتته حل لان الالف واللام ههنا بمعنى الذي (وأما تقديم الطرف) فانه اذا كان الكلام مقصودا به الاثبات فان تقديمه أولى من تأخيره وفائدته اسناد الكلام الواقع بعده الى صاحب الطرف دون غيره فإذا أريد بالكلام المنفي فيحسن فيه تقديم الطرف وتأخيره وكلا هذين الامرين لا موضع يختص به فاما تقديمه في المنفي فانه يقصد به تفضيل المنفي عنه على غيره وأما تأخيره فانه يقصد به المنفي أصلا من غير تفضيل فأما الأول وهو تقديم الطرف في الاثبات فكذلك في الصورة المقدمة ان الى مصير هذا الامر ولو أخرت الطرف فقلت ان مصير هذا الامر الى لم يعط من المعنى ما أعطاء الأول وذلك أن الأول دل على أن مصير الامر ليس الا اليك وذلك بخلاف الثاني اذ يحتمل أن توقع الكلام بعد الطرف على غير ما فيقال الى زيد او عمرو أو غيرهما وعلى نحو منه جاء قوله تعالى ان ابنا اياهم هم ثم ان عابنا حسابهم وكذلك جاء قوله تعالى يسبح الله ما في السموات

وما في الارض له الملك وله الحمد فانه انما قدم الظرفين ههنا في قوله له الملك وله
الحمد ايدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد باقعه لا بغيره (وقد استعمل
تقديم الظرف في القرآن كثيرا) كقوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة
أى تنظر الى ربها دون غيره فتقديم الظرف ههنا ليس للاختصاص وانما هو
كالذى أشرت اليه في تقديم المفعول وأنه لم يقدم للاختصاص وانما قدم من
أجل نظم الكلام لان قوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة أحسن
من أن لو قيل وجوه يومئذ ناظرة ناظرة الى ربها والفرق بين النظمين ظاهر
وكذلك قوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فان هذا
روى فيه حسن النظم لا الاختصاص في تقديم الظرف وفي القرآن واضح
كثيرة من هذا القبيل يقيسها غير المعارف بأسرار الفصاحة على مواضع أخرى
وردت للاختصاص وليست كذلك ففهمنا قوله تعالى الى ربك يومئذ المستقر
وقوله تعالى ألا الى الله تصير الامور وله الحكم واليه ترجعون وعليه توكلت
واليه أنيب فان هذه جميعها لم تقدم الظروف فيها للاختصاص وانما قدمت
لمراعاة الحسن في نظم الكلام فاعرف ذلك (وأما الثاني وهو تأخير الظرف
وتقديمه في النفي) فتحقق قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه وقوله تعالى
لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فانه انما أخر الظرف في الاول لان المقصد
في ايلاء حرف النفي الريب نفي الريب عنه واثبات أنه حق وصدق لا باطل
وكذب كما كان المشركون يدعونه ولوأولاهما الظرف لقصد أن كتابا آخر فيه
الريب لا فيه كما قصد في قوله تعالى لا فيها غول فتأخير الظرف يقتضي النفي
أصل من غير تفضيل وتقديمه يقتضي تفضيل المتنفي عنه وهو خير الجنة على غيرها
من نخور الدنيا أى ليس فيها ما في غيرها من الغول وهذا مثل قولنا لا عيب
في الدار وقولنا لا فيها عيب فالاول نفي للعيب عن الدار فقط والثاني تفضيل
اها على غيرها أى ليس فيها ما في غيرها من العيب فاعرف ذلك فانه من دقائق هذا
الباب (وأما تقديم الحال) فنسكة ولان جاء راكبا زيدا وهذا بخلاف قولك جاء زيدا
راكبا انما يحتمل أن يكون ضاحكا أو ماشيا أو غير ذلك (وأما الاستثناء) فخيار
هذا المجرى نحو قولك ما قام الا زيدا أحد أو ما قام أحد الا زيدا والكلام
على ذلك كالكلام على ما سبق (وأما القسم الثاني) فهو أن يقدم ما الاول به

التأخير لان المعنى يختل بذلك ويضطرب وهذا هو المعاطلة المعنوية وقد
قدمنا القول في المقالة الاولى المختصة بالصناعة اللغوية بأن المعاطلة تنقسم
قسمين أحدهما الفعلي والآخر معنوي أما الفعلي فذكرناه في بابيه وأما
المعنوي فهو هذا بابيه وموضعه وهو تقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف
وتقديم الصلة على الموصول وغير ذلك مما يرد بيانته (فمن هذا القسم) قول بعضهم
قد والشك بيني وعناء * بوشك فراقهم ضردي صبح

فانه قدّم قوله بوشك فراقهم وهو مفعول يصح ويصح صفة لصرد على ضردي
وذلك قبيح ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال هذا من موضع كذا رجل ورد اليوم
وانما يجوز وقوع المفعول بحيث يجوز وقوع الفاعل فكما لا يجوز تقديم الصفة
على موصوفها فكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على موصوفها ومن هذا
النحو قول الآخر

فأصبحت بعد خطيبيتها * كأن قفرا رسوما قلما

فانه قدّم خبر صكان عليها وهو قوله خطيبيتها وهذا أو مثاله محال لا يجوز قياس عليه
والاصل في هذا البيت فأصبحت بعد خطيبيتها اقفرا كأن قلما خط رسوما الا أنه
على تلك الحالة الأولى في الشعر مختل مضطرب والمعاطلة في هذا الباب تنبأت
درجاتها في القبح وهذا البيت المشار اليه من أفقها لان معانيه قد تعدا حلت
وركب بعضها ببعض (ومما يجري هذا المجرى) قول الفرزدق

الى ملك ما أتته من محارب * أبوه ولا كانت كاتيب تصاهره

وهو يريد الى ملك أبوه ما أتته من محارب وهذا أقبح من الاول وأكثر اختلالا
(وكذلك جاء قوله أيضا)

ولمست خراسان التي كان خالد * بها أسدا إذا كان سيفا أميرا

وحديث هذا البيت ظريف وذلك أنه فيما ذكره خالد بن عبد الله القسري
وهو أسدا وكان أسدا وأما بعد خالد وكأنه قال ولست خراسان بالبلد التي
كان خالد بها سيفا إذا كان أسدا أميرا وعلى هذا التقدير ففي كان الثانية ضمير
الشأن والحديث والجملة بعدها خبر عنها وقد قدم بعض ما أضافه اليه وهو أسدا
عليها وفي تقديم المضاف اليه أو شيء منه على المضاف من القبح ما لا يخفاه
وأياها فان أسدا أحد جزأي الجملة المفسرة للضمير والضمير لا يكون تفسيره الا من

بعده ولوقت قد تم تفسيره قبله لما احتاج الى تفسير ولما ساء الكوفيون الضمير
المجهول وعلى هذا النحو ورد قول الفرزدق أيضا

ومما مثله في الناس الاممكا * أبوأته حتى أبوه يقاربه

ومعنى هذا البيت ومما مثله في الناس حتى يقاربه الاممكا أبوأته أبوه وعلى هذا
المثال المصوغ في الشعر قد جاء مشوها كما تراه وقد استعمل الفرزدق من
التعاطل كثيرا كأنه كان يقصد ذلك ويتعمده لأن مثله لا يجيئ الاممكا مقصودا
والا فاذ اتزل مؤلف الكلام نفسه تجرى على سميتها وطبعها في الاسترسال
لم يعرض له شيء من هذا التعقيد ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا
الضرب المشار اليه اذ المقصود من الكلام انما هو الايضاح والابانة وافهام المعنى
فاذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به ولا فرق عند ذلك
بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما واعلم أن هذا الضرب
من الكلام هو ضد الفصاحة لأن الفصاحة هي الظهور والبيان وهذا عار عن
هذا الوصف (وأما الضرب الثاني) الذي يختص بدرجة التقدم في الذكر
لا اختصاصه بما يوجب له ذلك فانه مما لا يحصره ولا ينتهي اليه شرح وقد أشرنا
الى نيته منه في هذا الكتاب ليستدل به على أشباهها ونظائرها (فن ذلك
تقديم السبب على المسبب) كقوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فانه انما تقدم
العبادة على الاستعانة لأن تقديم القرية والوسيلة قبل طلب الحاجة انما ينجح
لحصول الطلب وأسرع لوقوع الاجابة ولو قال اياك نستعين واياك نعبد لكان
جائزا الا أنه لا يستدلك المستد ولا يقع ذلك الموضع وهذا لا يخفى على المنصف من
أرباب هذه الصناعة وعلى نحو منه جاء قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء طهورا
لنجي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وناهي كثيرا فقدم حياة الارض
واسقاء الانعام على اسقاء الناس وان كانوا أشرف محلا لأن حياة الارض هي
سبب حياة الانعام والناس فلما كانت بهذه المناسبة جعلت مقدمة في الذكر ولما
كانت الانعام من أسباب العيش والحياة للناس قدمها في الذكر على الناس
لأن حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم فقدم سقي ما هو سبب غنائهم ومعاشهم
على سقيهم (ومن هذا الضرب تقديم الاكثر على الأقل) كقوله تعالى ثم أورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمن ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق

بالخيرات وانما قدم الظالم لنفسه للايدان بكثرة وأن معظم الخلق عليه ثم أتى
 بعده بالمقتصدين لانهم قابل بالاضافة اليه ثم أتى بالسابقين وهم أقل من القليل
 أعنى من المقتصدين فقدم الاكثر وبعده الاوسط ثم ذكر الأقل آخرًا ولو عكست
 القضية لكان المعنى أيضا واقعا في موقعه لانه يكون قد روعي فيه تقديم الافضل
 فالافضل (ولنوضح لك في هذا وأمثاله طريقا تفهيمه فنقول) اعلم أنه اذا كان
 الشبان كل واحد منهما محتصا بصفة فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت في الذكر
 كهذه الآية فان السابق بالخيرات محتص بصفة الفضل والظالم لنفسه محتص
 بصفة الكثرة فقس على هذا ما يأتيك من أشباهه وأمثاله (ومن هذا الجنس)
 قوله تعالى والله خالق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى
 على رجلين ومنهم من يمشى على أربع فانه انما قدم الماشى على بطنه لانه أدل على
 القدرة من الماشى على رجلين اذ هو ماش بغير الآلة المخلوقة للمشى ثم ذكر
 الماشى على رجلين وقدمه على الماشى على أربع لانه أدل على القدرة أيضا حيث
 كثرت آلات الماشى في الأربع وهذا من باب تقديم الاعجب فالاعجب (فان قيل)
 قد ورد في القرآن الكريم في مواضع منه ما يخالف هذا الذي ذكرته كقوله
 تعالى في سورة هود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأتي لاتكلم نفس الا بآذنه
 فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار ثم قال واما الذين سعدوا ففي الجنة
 فقدم أهل النار في الذكر على أهل الجنة وهذا يخالف للاصل الذي أصلته في هذا
 الموضع (فالجواب عن ذلك) أن هذا الذي أشرت اليه في سورة هود وما أشبهه له
 أسرار تحتاج الى فضل تأمل وامعان نظر حتى تفهم أما هذا الموضع فانه لما كان
 الكلام مسوقا في ذكر التخويف والتحذير وجاء على عقب قصص الاقارب وما فعل
 الله بهم من التعذيب والتدمير كان الاليق أن يوصل الكلام بما يناسبه في المعنى
 وهو ذكر أهل النار فمن أجل ذلك قدموا في الذكر على أهل الجنة واذا رأيت
 في القرآن شيئا من هذا القبيل وما يجري مجراهما تأمله وأمعن نظرك فيه حتى يتبين
 لك مكان الصواب منه واعلم أنه اذا كان مطلع الكلام في معنى من المعاني
 ثم يجيء بعده ذكر شيئين أحدهما أفضل من الآخر وكان المعنى المفضول مناسبا
 لمطلع الكلام فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت لانك ان قدمت الافضل فهو
 في موضعه من التقديم وان قدمت المفضول فلان مطلع الكلام يناسبه وذكر

الشيء مع ما يناسبه أيضا وأورد في موضعه (فمن ذلك) قوله تعالى وأنا إذا أذقنا
 الإنسان منارحة فرحهم وان نصهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور
 لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء
 الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليهم قدر فانه انما
 قدم الاناث على الذكور مع تقدمهم عليهم لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى
 وكرر ان الانسان بنسبانه للرحمة السابقة عنده ثم عقب ذلك بذكر ملكه
 ومشيئته وذكر قصة الاولاد فتقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاء
 لا ما يشاءه الانسان في مكان ذكر الاناث اللاتي هن من جنس ما لا يشاءه الانسان
 ولا يختاره أهله والاهم واجب التقديم وليلى الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء
 ذكر البلاء ولما أنكر ذكر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك ذلك بتعريفه اياهم
 لان التعريف تنويه بالذكور كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام
 المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من
 التقديم والتأخير وعرف أن تقديم الاناث لم يكن لتقدمتهن ولكن لمقتضى آخر
 فقال ذكرانا وإناثا وهذه دقائق لطيفة قل من يتنبه لها أو يعثر على رموزها
 (ومن هذا الباب) قوله تعالى وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن
 ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من
 مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فانه انما قدم الارض في الذكر على السماء
 ومن حقها التأخير لانه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الارض وأحوالهم
 ووصل ذلك بقوله وما يعزب لام ينسب الي المعنى المعنى (فان قيل) قد جاء
 تقديم الارض على السماء في الذكر في مواضع كثيرة من القرآن (قلنا) اذا
 جاءت مقدمة في الذكر فلا بد لتقدمها من سبب اقتضاه وان خفي ذلك السبب
 وقد يستنبطه بعض العلماء دون بعض (النوع العاشر في الحروف العاطفة
 والجارحة) وهذا موضع لطيف المأخذ دقيق المعزى وما رأيت أحدا من علماء
 هذه الصنعة تعرض اليه ولا ذكره مما أقول انهم لم يعرفوه فان هذا النوع من
 الكلام أشهر من أن يخفى لانه مذكور في كتب العربية جميعها ولست أعني
 بإيراد ههنا ما يذكره النحويون من أن الحروف العاطفة تتبع المعطوف عليه
 في الاعراب ولا أن الجارحة تجز ما تدخل عليه بل أمر اوراق ذلك وان كان

المرجع فيه الى الاصل النحوي (فأقول) ان أكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها فيجعلون ما ينبغي أن يجز بعلى في حروف الجز وفي هذه الاشياء دفائق أذكرها لك أما حروف العطف فتكون قوله تعالى والذي هو يطعمني ويسقين وإذا امرت فهو يشقى والذي يعتقني ثم يحمين قالوا عطفه بالواو التي هي للجمع وتقدير الاطعام على الاسقاء والاسقاء على الاطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم ثم عطف الثاني بالقاء لان الشفاء يتعقب المرض بلا زمان حال من أحدهما ثم عطف الثالث بثم لان الاحياء يكون بعد الموت بزمان ولهذا جىء في عطفه بثم التي هي للتراخي ولو قال قائل في موضع هذه الآية الذي يطعمني ويسقين ويعرضني ويشقى ويعتقني ويحمين لكان للكلام معنى تام الا أنه لا يكون كعنى الآية اذ كل شئ منها قد عطف بما يناسبه ويقع موقع السداد منه (ومما جاء من هذا الباب) قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره ألا ترى أنه لما قال من نطفة خلقه كيف حال قدره ولم يقل ثم قدره لان التقدير لما كان تابعاً للخلق ولازمها عطفه عليها بالقاء وذلك بخلاف قوله ثم السبيل يسره لان بين خلقته وتقديره في بطن أمه وبين اخراجه منه وتسهيل سبيله مهلة وزمانا فلذلك عطفه بثم وعلى هذا جاء قوله تعالى ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره لان بين اخراجه من بطن أمه وبين موته تراخيا وفسحة وكذلك بين موته ونشوره أيضا ولذلك عطفها بثم ولما لم يكن بين موت الانسان واقباره تراخ ولا مهلة عطفه بالقاء وهذا موضع من علم البيان شريف وقلما يفتن لاستعماله كما ينبغي (ومما جاء من ذلك أيضا) قوله تعالى في قصة مريم وعيسى عليهما السلام فملمته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا وفي هذه الآية دليل على أن حملها به ووضعها اياه كانا متقاربين لانه عطف الحمل والانتباذ الى المكان الذي مضت اليه والمخاض الذي هو الملق بالقاء وهي للفور ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التي هي للتراخي والمهلة ألا ترى أنه قد جاء في الاخرى قتل الانسان ما اكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره قلما كان بين تقديره في البطن واخراجه منه مهلة متراخية عطف ذلك بثم وهذا بخلاف قصة مريم عليا السلام فانها

عطف بالفاء وقد اختلف الناس في مدة حياها فقبيل انه كان كعمل غيرها
من النساء وقيل لا بل كان مدة ثلاثه ايام وقيل اقل وقيل أكثر وهذه الآية
منزيلة للخلاف لانها ادات صريحا على أن الحمل والوضع كانا متقاربين على القود
من غير مهلة وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل أخذنا ما دللت عليه الآية
(وما ورد من هذا الاسلوب) قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا
المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ففي الآية المتيقن
ذكرها قال من نطفة خلقه فقد ذكره فعطف التقدير على الخلق بالفاء لانه تابع له
ولم يذكر تفاصيل حال المخلوق وفي هذه الآية ذكر تفاصيل حاله في تنقله فبدأ
بالخلق الاول وهو خلق آدم من طين ولما عطف عليه الخلق الثاني الذي هو خلق
النسل عطفه بثم لما بينهما من التراخي وحيث صار الى التقدير الذي يتبع بعضه
بعضا من غير تراخ عطفه بالفاء ولما انتهى الى جعله ذكرا أو أنثى وهو آخر الخلق
عطفه بثم (فان قيل) انه قد عطف المضغة على العلقه في هذه الآية بالفاء
وفي أخرى بثم وهي قوله تعالى يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث
فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة (فالجواب عن ذلك)

تفاضل بأصله

(واعلم) أن في حروف العطف موضعا للتبليس الفاء بالواو وهو موضع يحتاج فيه
الى فضل تأمل وذلك أن فعل المطاوعة لا يعطف عليه الا بالفاء دون الواو وقد
يجي من الأفعال ما يلتبس بفعل المطاوعة ويعطى ظاهرا أنه كذلك الا أن معناه
يسكون مخالفا للمعنى فعل المطاوعة فيعطف حينئذ بالواو لا بالفاء كقوله تعالى
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه فقلوه أغفلنا قلبه ههنا بمعنى
صادقناه غافلا وليس منقولاً عن غفل حتى يكون معناه صددناه لانه لو كان
كذلك لكان معطوفا عليه بالفاء وقيل فاتبع هواه وذلك أنه يكون مطاوعا
وفعل المطاوعة لا يعطف الا بالفاء كقولك أعطيتك فاخذ ودعوتك فأجاب
ولا تقول أعطيتك وأخذ ولا دعوتك وأجاب كما لا يقال كسرتك وانكسر وكذلك
لو كان معنى أغفلنا في الآية صددنا ومنعنا السكبان معطوفا عليه بالفاء وكان
يقال ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه فلما لم يكن كذلك وكان

العطف عليه بالواو وفطر يقه أنه لما قال أغفانا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
أن يكون معناه وجدناه غافلا فقد غفل لا محالة فكأنه قال ولا تطع من غفل قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه أي لا تطع من فعل كذا وكذا به - تدأفعاله التي توجب
ترك طاعته فاعرف ذلك (وأما حرف الجر) فإن الصواب يشذ عن وضعها
في مواضعها وقد علم أن في اللوعاء وعلى للاستعلاء كقولهم زيد في الدار وعمرو
على الفرس لكن إذا أريد استعمال ذلك في غير هذين الموضعين مما يشكك
استعماله عدل فيه عن الأولى (فما ورد منه) قوله تعالى قل من يرزقكم
من السموات والأرض قل الله وأنا أعلم هدى أو في ضلال مبين ألا ترى
إلى بداعة هذا المعنى المقصود لمخالفة حرفي الجر ههنا فإنه انما خواف بينهم
في الدخول على الحق والباطل لأن صاحب الحق كأنه مستعمل على فرس
جواديركض به حيث شاء وصاحب الباطل كأنه منعكس في ظلام منخفض فيه
لا يدري أين يتوجه وهذا معنى دقيق قلما يراعى مثله في الكلام وكثيرا
ما سمعت إذا كان الرجل يلوم أخاه أو يعاتب صديقه على أمر من الأمور فيقول
له أنت على ضلالك القديم كذا أعهدك فبأنى بعلى في موضع في وان كان هذا
جائزا الآن استعمال في ههنا أولى لما أشيرنا إليه ألا ترى إلى قوله تعالى
في سورة يوسف قالوا لله انك لفي ضلالك القديم (ومن هذا النوع قوله تعالى)
انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب
والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فإنه انما عدل عن اللام إلى في في الثلاثة
الآخرة لا ليدان بأنهم أرسخ في استحقاق الصدق عليهم من سبق ذكره باللام لأن
في اللوعاء فنية على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات كما يوضع الشيء في الوعاء
وأن يجعلوا مظنة لها وذلك لما في فك الرقاب وفي الغرم من التخاص وقت ~~تكرير~~
في قوله وفي سبيل الله دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين وسبق
الكلام أن يقال وفي الرقاب والغارمين وسبيل الله وابن السبيل فلما جرى
في مرة ثانية وفصل بين الغارمين وبين سبيل الله علم أن سبيل الله أكد
في استحقاق النفقة فيه وهذه لطائف ودقائق لا توجد إلا في هذا الكلام
الشريف فاعرفها وقس عليها (النوع الحادي عشر في الخطاب بالجملة الفعلية
والجملة الاسمية والفرق بينهما) ولم أذكر هذا الموضع لأن يجري الأمر فيه

قوله في البلاء فقه شيء

الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق بينهما

على ما يجري مجراه فقط بل لأن يقاس عليه مواضع أخرى مماثلة وتشابهه
ولو كان شهاً بعيداً وانما يعدل عن أحد الخطابين إلى الآخر لضرب من
التاكيد والمبالغة (فن ذلك قولنا) قام زيد وان زيدا قائم فقولنا قام زيد
معناه الاخبار عن زيد بالقيام وقولنا ان زيدا قائم معناه الاخبار عن زيد
بالقيام أيضاً الآن في الثاني زيادة ليست في الاول وهي تو كيد به بان المشتددة
التي من شأنها الاثبات لما يأتي بعدها واذا زيد في خبرها اللام فميل ان زيدا
لقائم كان ذلك أكثر تو كيداً في الاخبار بقيامه وهذا مثال يشبه عليه
أمثله كثيرة من غير هذا النوع (فما جاء من ذلك) قوله تعالى واذا لقوا
الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم فانهم انما
خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية المحقة بآيات
المشتددة لانهم في مخاطبة اخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على
اعتقاد الكفر والبعث من أن ينزلوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط فكان
ذلك ممة بلامتهم ورائجاً عند اخوانهم وأما الذي خاطبوا به المؤمنين فانما قالوه
تكلفاً واظهاراً للايمان خوفاً ومداجاة وكانوا يعلمون أنهم لو قالوه بأوكد
لفظ وأشد ما راج لهم عند المؤمنين الارواحاً ظاهر الا باطننا ولا نهم ليس لهم
في عقائدهم باعث قوي على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به
اخوانهم من العبارة المؤكدة فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين آمنا وفي خطاب
اخوانهم انا معكم وهذه نسكت تخفى على من ليس له قدم راسخة في علم الفصاحة
والبلاغة (ومما يجري هذا المجرى) ورود لام التوكيد في الكلام ولا يجي ذلك
الا لضرب من المبالغة وفائدته أنه اذا عبر عن أمر يعز وجوده أو فعل يكثر وقوعه
جاء باللام تحتية لذلك (فما جاء منه) قوله تعالى في أول سورة المنافقين اذا
جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون فانظر الى هذه اللامات الثلاثة الواردة في خبران والاولى
وردت في قول المنافقين وانما وردت مؤكدة لانهم أظهروا من أنفسهم
التصديق برسالة النبي صلى الله عليه وسلم وعلقوا له وبالغوا في التملق وفي باطنهم
خلافه وأما ما ورد في الثانية والثالثة فصحيح لا ريب فيه واللام في الثانية
لتصديق رسالته وفي الثالثة لكذب المنافقين فيما كانوا يظهرونه

من التصديق الذين هم على خلافه (وكذلك) ورد قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام قالوا يا أبانا مالك لا تأمننا على يوسف وإننا لنعلم أنهما نزلنا من السماء فانه انما جىء باللام ههنا لزيادة التوكيد في اظهار الحجة ايوسف عليه السلام والاشفاق عليه ليلغوا الغرض من أيهم في السماحة برسالة معهم (ومن هذا الباب) قوله تعالى أفراأيتم ما تكتفون أنتم تزرعون أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاماً ما فطلمت تفككهون ثم قال أفراأيتم الماء الذي تشربون أفأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون ألا ترى كيف أدخلت اللام في آية المطعوم دون آية المشروب وانما جاءت كذلك لان جعل الماء العذب ملهاً سهل امسكانا في العرف والعادة والموجود من الماء الملح أكثر من الماء العذب وكثيراً ما اذا جرت المياه العذبة على الاراضي المنغيرة القربة أحوالها الى الملوحة فلم يخرج في جعل الماء العذب ملهاً الى زيادة تأكيد كيد فذلك لم تدخل عليه لام التأكيد المفيدة لزيادة التحقيق وأما المطعوم فإن جعله حطاماً من الاشياء الخارجة عن المعتاد واذا وقع فلا يكون الا عن سخط من الله شديد فلذلك قرن بلام التأكيد زيادة في تحقيق أمره وتقرير ايجاده (ومما يتصل بذلك) قوله تعالى وإننا لنحن ضي ونميت ونحن الوارثون فاللام في نحن هي اللام المشار اليها (وكذلك) ورد قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات ليسخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ولينكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وايهات انهم من بعد خوفهم أمنا فان هذه اللام في قوله ليسخلفنهم ولينكن وليبدلهم انما جاءت لتحقيق الامر واثباته في نفوس المؤمنين وأنه كائن لا محالة (ومما يجرى هذا المجرى في التوكيد) لام الابتداء المحققة لما يأتي بعدها كقوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا فاللام في ليوسف لام الابتداء وقائدها تحقيق مضمون الجملة الواردة بعدها أي ان زيادة حبه اياهما أمر ثابت لا مرأ فيه (ومن هذا النوع قول بعضهم)

والشيب ان يظهر فان وراءه * عمرا يكون خلاله متنفس

لم ينقص من المشيب قلامة * ولما بقي مني ألب وأكيس

فقوله ولما بقي مني تقديره وما بقي مني وانما أدخل على ما هذه اللام قصد التأكيد

المعنى لانه موضع يحتاج الى التأكيد ألا ترى أن قوة العزم في الشباب ولما أراد هذا الشاعر أن يصف المشيب وليس مما يوصف وانما يذم أتى باللام لتؤكد ما قصده من الصفة وكذلك ورد قول الشاعر من آيات الحساسة
 أنا لنصفح عن مجاهل قومنا * ونقيم سالفة العدو والاصيد
 ومتى نجد يومافساد عشيرة * نصلح وان نرصالحا لانفسد
 وهذا كثير سأنغ في الكلام الا أنه لا يتأتى لمكان العناية بما يعبر به عنه ألا ترى الى قول الشاعر أنا لنصفح عن مجاهل قومنا فانه لما كان النصفح مما يشق على النفس فعلة لانه مقابلة الشر بالخير والاساءة بالاحسان أكد باللام تحقيقا له فان عرى الموضع الذي يؤتى فيه به هذه اللام من هذه الفائدة المشار اليها وما يجرى مجراها فان ورود اللام فيه لغير سبب اقتضاء وأكثر ما تستعمل هذه اللام في جواب القسم لتحقيق الامر المقسم عليه وذلك في الايجاب دون النفي لانها لا تستعمل في النفي ألا ترى أنه لا يقال والله لا لاقت وانما يقال والله لاقت لكن في الايجاب تستعمل ويكون استعمالها حسنا كقولك والله لا قوم فان أضيف اليها النونان الخفيفة والثقيلة كان ذلك أبلغ في التأكيده كقولك والله لا قوم من وعلى ذلك وردت الآية المقدم ذكرها وهي قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات وان لم يكن جواب القسم فالنون الواردة بعد اللام زيادة في التأكيده وهما تأكيدها من أحداهما مردف بالآخر وكذلك فاعلم أن النون الثقيلة متصلة بهذا الباب فاذا استعملت في موضع فانما يقصد به التأكيده (فما جاء منها) قول البحترى في معانية الفتح بن خاتان

هل تحلين الى عطفتك موقف * ثبت ليدك أقول فيه وتسمع
 ما زال لي من حسن رأيك موئل * آوى اليه من الخطوب ومقزع
 فعلام أنكرت الصديق وأقبلت * فحوى جناب الكاشحين تطالع
 وأقام يطمع في تمضم جاني * من لم يكن من قبل فيه يطمع
 الايكن ذنب فعذلك واسع * أو كان لي ذنب فعذلك أوسع

وهذه آيات حسنة مليحة في بابها يعنى بها حرا الصدود ويستقال به صاعر الخدود وانما ذكرتها ليجملتها مكان حسنها والبيت الاول هو المراد ألا ترى أنه قال هل تحلين الى عطفتك موقف فالنون جاءت قصد التأكيده وهو في هذا المقام

متين فأحب أن يؤكده هذه الامنية وكل ما يجي من هذا الباب فانه واقع هذا
الموقع واذا استعمل عيشا لغير فائدة تفضيه فانه لا يكون استعماله الا من جاهل
بالاسرار المعنوية وأما ما عيئل به النجاة في قول القائل والله لا قوم من فانه مثال
نحوي يضرب للجواز والا فاذا قال القائل والله لا قوم من وأصكده كان ذلك
لغو لانه ليس في قيامه من الامر العزيز ولا من الامر العسير ما يحتاج معه الى
التاكيد بل لو قال والله لا قوم من اليك مهتداه لكان ذلك واقعا في موقعه فافهم
هذا وقس عليه (النوع الثاني عشر في قوة اللفظ لقوة المعنى) هذا النوع قد
ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب الخصائص الا أنه لم يورده كما أورده أنا ولا نبه على
ما نبهت عليه من النكت التي تضمنتها وهذا يظهر بالوقوف على كلامي وكلامه
(فأقول) أعلم أن اللفظ اذا كان على وزن من الاوزان ثم نقل الى وزن آخر أكثر
منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أو لا لان اللفظ أدلة على
المعاني وأمثلة للامانة عنها فاذا زيد في اللفظ أوجبت القسمة زيادة المعاني
وهذا الانزع فيه ابيانه وهذا النوع لا يستعمل الا في مقام المبالغة (فن ذلك)
قوله هم خشن واخشوشن فعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير
المعين وزيادة الواو نحو فعل وافعل وكذلك قولهم أعشب المسكان فاذا رأوا
كثرة العشب قالوا اعشوشب (وعما ينظم بهذا السلك) قدر واقدر فعنى اقدر
أقوى من معنى قدر قال الله تعالى فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر فقدره هنا
أبلغ من قادر وانما عدل اليه للدلالة على تفخيم الامر وشدة الاخذ الذي لا يصدر
الا عن قوة الغضب والدلالة على بسطة القدرة فان مقتدرا بلغ في البسطة من
القادر وذلك أن مقتدرا اسم فاعل من اقدر وقادرا اسم فاعل من قدر ولا
شك أن اقعل أبلغ من فعل وعلى هذا ورد قول أبي نواس

فغفوت عن عفومقتدر * حلت له نعيم فأفهاها

أي غفوت عن عفوقادر متمكن القدرة لا يرد شي عن امضاء قدرته وأمثال
هذا كثيرة وكذلك ورد قوله تعالى في سورة نوح عليه السلام فقلت استغفروا
ربكم انه كان غفارا فان غفارا أبلغ في المغفرة من غافر لان فعلا لا يدل على كثرة
سدور الفعل وقاعلا لا يدل على كثرة وعلمه ورد قوله تعالى ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين فالتواب هو الذي تتكرر منه التوبة مرة على مرة وهو

فعال وذلك أبلغ من التائب الذي هو فاعل فالتائب اسم فاعل من تاب يتوب
فهو تائب أى صدرت منه التوبة مرة واحدة فاذا قيل تواب كان صدور التوبة
منه مرارا كثيرة وهذا وما يجرى مجراه انما يعمد اليه لضرب من التوكيد
ولا يوجد ذلك الا فيما فيه معنى الفعلية كاسم الفاعل والمفعول وكالفعل نفسه
نحو قوله تعالى فككبكبوا فيها هم والغاؤون فان معنى ككبكبوا من الكب وهو
القلب الا أنه مكرر المعنى وانما استعمل في الآية دلالة على شدة العقاب لانه
موضع يفتنى ذلك ولم يمانظر بعض الجهال في هذا فقام عليه زيادة التصغير
وقال انها زيادة واسكنها زيادة نقص لانه يزداد في اللفظ حرف كقوله هم في الثلاثي
في رجل رجل وفي الرباعي في قنديل قنديل فالزيادة وردت ههنا فصقت من
معنى هاتين اللفظتين وهذا ليس من الباب الذي نحن بصدد ذكره لانه عار عن معنى
الفعلية والزيادة في اللفاظ لا توجب زيادة في المعاني الا اذا تضمنت معنى الفعلية
لان الاسماء التي لا معنى للفعل فيها اذا زيدت استحبال معناها ألا ترى أنا
لو قلنا الفظة عذب وهي ثلاثية الى الرباعي فقلنا عذيب على وزن جعفر لاستحبال
معناها ولم يكن لها معنى وكذلك لو قلنا الفظة عسجد وهي رباعية الى الخماسي
فقلنا عسجد على وزن جحمرش لاستحبال معناها وهذا بخلاف ما فيه معنى الفعلية
كقادر ومقدر فان قادر اسم فاعل قدر وهو ثلاثي ومقدر اسم فاعل اقتدر
وهو رباعي فلذلك كان معنى القدرة في اقتدر أشد من معنى القدرة في قدر وهذا
لانزاع فيه وهذا الباب بجملة لا يقصده الا المبالغة في ايراد المعاني وقد يستعمل
في مقام المبالغة فينعكس المعنى فيه الى ضده كما جاء لابي كرام التميمي من شعراء
الحماسة وهو قوله

لله تميم أى ربح طـــراد * لاقى الحمام وأى نصل جلاله

ومحش حرب مقدم متعرض * للموت غـــير مكـــذب جلاله

فلفظة جلاله وردت ههنا وانما أوردناها هذا الشاعر وقصده المبالغة في وصف
شجاعة هذا الرجل فانعكس عليه المقصد الذي قصده لان جلاله من جباله وهو
جبال أى وجد منه الجبال دودة مرارا كما يقال قتل فهو قتال أى وجد منه القتل
مرارا واذا كان هذا الرجل غير جلاله كان جائدا أى وجدت منه الجبال دودة مرة
واحدة واذا وجدت منه مرة كان ذلك جينا ولم يكن شجاعة والاولى أن كان

قال غير مكذب جائد (وينبغي) أن يعلم أنه إذا وردت لفظة من الالفاظ ويجوز جعلها على التضعيف الذي هو طريق المبالغة وسماها على غيره أن يتطرفيهما فإن اقتضى حملها على المبالغة فهو الوجه (فإن ذلك) قول البحري في قصيدته التي مطلعها متى النفس في أسماء لو تستطيعها * وهي قصيدة مدح بها الخليفة المتوكل رحمه الله وذكر فيها حديث الصلح بين بني تغلب فما جاء فيها قوله

رفعت بضبعي تغلب ابنة وائل * وقد يئست أن يستقل صرعيها
فكنت أمين الله مولى حياتها * ومولاك فتح يوم ذاك شفيها
تألفتهم من بعد ما شردت بهم * حفاظ أخلاق بطى رجوعها
فأبهر غاويها المحجسة فاهتدى * وأقصر غاليها وداني شوعها

فقوله تألفتهم من بعد ما شردت بهم يجوز أن تخفف لفظة شردت ويجوز أن تثقل والتثقل هو الوجه لأنه في مقام الاصلاح بين قوم تنازعوا واختافوا وتباينت قلوبهم وآراؤهم وكل ما يجرى من الالفاظ على هذا النحو فينبغي أن يجري هذا الجري (وهنا نكتة لا بد من التنبيه عليها) وذلك أن قوة اللفظ لقوة المعنى لا تستقيم الا في نقل صيغة الى صيغة أكثر منها كنقل الثلاثي الى الرباعي والا فإذا كانت صيغة الرباعي مثلا موضوعة لمعنى فإنه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثي الى مثل تلك الصيغة ألا ترى أنه إذا قيل في الثلاثي قتل ثم نقل الى الرباعي قتل بتشديد التاء فإن الفائدة من هذا النقل هي التكثير أي أن القتل وجد منه كثيرا وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردت من غير نقل لم تكن دالة على التكثير كقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما فإن كلم على وزن قتل ولم يرد به التكثير بل أريد به أنه خاطبه سواء كان خطابه أيام طويلا أو قصيرا قليلا أو كثيرا وهذه اللفظة رباعية وليس لها ثلاثي نقلت عنه الى الرباعي لكن قد وردت بعينها ولها ثلاثي ورباعي فكان الرباعي أكثر وأقوى فيما دل عليه من المعنى وذلك أن تكون كلم من الجرح أي جرح ولها ثلاثي وهو كلم مخففا أي جرح فاذا وردت مخففة دلت على الجراحة مرة واحدة وإذا وردت مشددة دلت على التكثير (وكذلك) ورد قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا فإن لفظة رتل على وزن لفظة قتل ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة وإنما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التأتى والتدبر وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثي لها حتى تنقل عنه الى

رباعي وانما هي رباعية موضوعية لهذه الهيئة المخصوصة من القراءة وعلى هذا
 فلا يستقيم معنى الكثرة والقوة في اللفظ والمعنى الا بالنقل من وزن الى وزن أعلى
 منه فاعرف ذلك (ومن ههنا) شذو الصواب عن شذو عنه في عالم وعليم فان
 جمهور علماء العربية يذهبون الى أن عليما أبلغ في معنى العلم من عالم وقد
 تأملت ذلك وأنعمت تطري فيه فحصل عندي شك في الذي ذهبوا اليه والذي
 أوجب ذلك الشك هو أن عالما وعليما على عدة واحدة اذ كل منهما أربعة
 أحرف وليس بينهما زيادة يتقل فيها الأدنى الى الأعلى والذي يوجب به النظر أن
 يكون الامر على عكس ما ذكره وذلك أن يكون عالم أبلغ من عليم وسببه أن
 عالما اسم فاعل من علم وهو متعد وان عليما اسم فاعل من علم الا أنه أشبه وزن
 الفاعل القاصر نحو مشرف فهو شريف وكرم فهو كريم وعظم فهو عظيم فهذا
 الوزن لا يكون الا في الفعل القاصر فلما أشبه به عليم انقطع عن رتبة عالم الذي هو
 متعد ألا ترى أن فعل يفتح الفاء وكسر العين يكون متعديا نحو علم وحده ويكون
 قاصرا غ غير متعد نحو غضب وشبه وأما فعل يفتح الفاء وضم العين فانه لا يكون
 الا قاصرا غ غير متعد ولما كان فعل يفتح الفاء وكسر العين مترددا بين المتعدي
 والقاصر وكان فعل يفتح الفاء وضم العين قاصرا غ غير متعد صار القاصر
 أضعف مما يدور بين المتعدي والقاصر وحيث كان الامر كذلك وأشبهه
 وزن المتعدي وزن القاصر حط ذلك من درجته وجعله في الرتبة دون المتعدي
 الذي ليس بقاصر هذا هو الذي أوجب لي التشكيك فيما ذهب اليه غيري من
 علماء العربية ولربما كان ما ذهبوا اليه لا مرخفي عني ولم أطاع عليه
 (النوع الثالث عشر في عكس الظاهر) وهو نفي الشيء بآثاره وهو من مستطرفات
 علم البيان وذلك أنك تذكر كلاما يدل ظاهرا أنه نفي لصفة موصوف وهو نفي
 للموصوف أصلا (فما جاء منه) قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف
 مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنثي فلما نه أي لا تذاع سقطاته قطاها هذا
 اللفظ أنه كان ثم فلما نه غير أنها لا تذاع وليس المراد ذلك بل المراد أنه لم يكن ثم
 فلما نه تنثي وهذا من أغرب ما توسعت فيه اللغة العربية وقد ورد في الشعر كقول
 بعضهم * ولا ترى الضب بها ينحجر * فان ظاهرا المعنى من هذا البيت أنه كان هناك
 ضب ولكنه غير منحجر وليس كذلك بل المعنى أنه لم يكن هناك ضب أصلا وهذا

النوع من الكلام قليل الاستعمال وسبب ذلك أن الفهم يكاد ياباه ولا يقبله إلا بقرينة خارجة عن دلالة اللفظ على معناه وما كان عارياً عن قرينة فانه لا يفهم منه ما أراد قائله وسأوضح ذلك فأقول أما قولنا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنتهي فلتاناه فانه مفهوم هذا اللفظ انه كان هنالك فلتان الا أنه يتطوى ولا تنشروته ~~تكم~~ ولا تذاع ولا يفهم منه أنه لم يكن هنالك فلتان الا بقرينة خارجة عن اللفظ وهي أنه قد ثبت في النفوس وتقرر عند العقول أن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم منزوع عن فلتان تكون به وهو أكرم من ذلك وأقر فلما قيل انه لا تنتهي فلتاناه فهمنا منه أنه لم يكن هنالك فلتان أصلاً وأما قول القائل * ولا ترى الضب بها ينحجر * فانه لا قرينة تخصه حتى يفهم منه ما فهم من الا قول بل المفهوم أنه كان هنالك ضب ولكنه غير منحجر واقد ~~مكنت~~ زماناً أطوف على أقوال الشعراء قصد اللفظ بما مشتهر من الشعر جارية هذا المجرى فلم أجد الا بيتاً القيس وهو

على لاحب لا يهتدى لمناره * اذا ساقه العود النباطى بجرجا
فقوله لا يهتدى لمناره أى أن له منارا الا أنه لا يهتدى به وليس المراد ذلك بل المراد أنه لا منار له يهتدى به ولى أنا فى هذا بيت من الشعر وهو

أدنين جلاباب الحياء فلن يرى * لذيولهن على الطريق غبار
وظاهر هذا الكلام أن هؤلاء النساء يعيشين هونا لحيائهن فلا يظهرون لذيولهن غبار على الطريق وليس المراد ذلك بل المراد أنهن لا يعيشين على الطريق أصلاً أى أنهن يتخفيات لا يخرجن من بيوتهن فلا يكون اذا لذيولهن على الطريق غبار وهذا حسن رائق وهو أظهر بياناً من قوله * ولا ترى الضب بها ينحجر * فن استعمل هذا النوع من الكلام فليست عمله هكذا والا فليدع على أن الاكثر من استعماله عسر لانه لا يظهر المعنى فيه (النوع الرابع عشر فى الاستدراج) وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى وهو مخاضعات الاقوال التى تقوم مقام مخاضعات الافعال والكلام فيه وان تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة فى استدراج الخصم الى الاذعان والتسليم واذا حقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة ~~تكم~~ كلها عليه لانه لا اتفاسع بإيراد الالفاظ المليحة الرائقة ولا

البيان

المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة بلوغ غرض المخاطب بها
 والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيرا في خلاصه لا قصيرا في خطابه فاذا لم
 يتصرف الكاتب في استدراج الخصم الى القايمه والا فليس بكاتب ولا شبيهه له
 الا صاحب الجدل فكما أن ذلك يتصرف في المغالطات القياسيه فكذلك هذا
 يتصرف في المغالطات الخطايه وقد ذكرت في هذا النوع ما يعلم منه سلوك هذه
 الطريق (فن ذلك) قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه
 اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يكاذبا فعليه
 كذبه وان يك صادقا يصب بكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف
 كذاب ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطفه فانه أخذهم بالاحتجاج
 على طريقة النقص فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود
 عليه ولا يعتاده أو يكون صادقا يصب بكم بعض الذي يعدكم ان تعرضتم له
 وفي هذا الكلام من حسن الادب والانصاف ما أذكره لك فأقول انما قال
 يصب بكم بعض الذي يعدكم وقد علم أنه نبي صادق وأن كل ما يعدهم به لا بد وأن
 يصيبهم لا بعضه لانه احتجاج في مقابلة خصوم موسى عليه السلام أن يسلط معهم
 طريق الانصاف والملاطفة في القول وبآتيهم من جهة المناصحة ليكون أدهى الى
 سكونهم اليه فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم اياه
 فقال وان يك صادقا يصب بكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المتصرف في مقابلة غير
 المشتط وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعده به
 لكنه أراد في بقوله يصب بكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام
 فبرهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا من أن يتعصب له وتقديم
 الكاذب على الصادق من هذا القبيل كانه برطلمهم في صدر الكلام بما يزعونه لئلا
 يتفروا منه وكذلك قوله في آخر الآية ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب أي
 هو على الهدى ولو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوته ولا عضده بالبينات وفي
 هذا الكلام من خداع الخصم واستدراجه ما لا يخفى به وقد تضمن من اللطائف
 الدقيقة ما اذا تأملته حق التأمل أعطيت حقه من الوصف (وما يجري على هذا
 الاسلوب) قوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صلتا بقا نبيا اذ قال لا يه
 يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا أبت اني قد جئتني من

العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان
 كان للرجن عصيا يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرجن فتصكون
 للشيطان ولما هذا كلامهم زاعطاف السامعين وفيه من القوائد ما أذكركم
 وهو أنه لما أراد ابراهيم عليه السلام أن ينصح أباه ويعظه ويتقذه مما كان متورطا
 فيه من الخطا العظيم الذي عصى به أمر العقل رتب الكلام معه في أحسن
 نظام مع استعمال المجاملة واللفظ والادب الجيد والخلق الحسن مستنصحا في
 ذلك بنصيحة ربه وذلك أنه طلب منه أولا العلة في خطيئته طلب منه على تماديهِ
 موقظ من غفلته لأن المعبود لو كان حيا يميز اسمعاب بصيرامة متدرا على الثواب
 والعقاب إلا أنه بعض الخلق يستخف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية
 ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والنبين فكيف بمن جعل المعبود جهادا
 لا يسمع ولا يصير يعني به الصنم ثم ثنى ذلك بدعوته إلى الحق مترفقا به فلم يسم أباه
 بالجهل المطلق ولا نفسه بالعلم الفائق وإنما كنهه قال إن معي لطافة من العلم
 وشيئا منه وذلك علم الدلالة على سلوك الطريق فلا تستنكف وهب أني وإياك
 في مسير وعندى معرفة به داية الطريق دونك فاتبعني أنفجك من أن تضل ثم ثلث
 ذلك بتوبيخه عما كان عليه ونهيته فقال إن الشيطان الذي استعصى على ربك
 وهو عدوك وعدواؤيك آدم هو الذي ورطك في هذه الورطة وألقاك في هذه
 الضلالة وانما ألقي ابراهيم عليه السلام ذكر معاداة الشيطان آدم وذريته في
 نصيحة أبيه لانه لا معانته في الاخلاص لم يذكر من جنائبي الشيطان إلا التي
 تختص بالله وهي عصيانه واستكباره ولم يلتفت إلى ذكر معاداة آدم وذريته ثم
 ربيع ذلك بتخويفه آياه سوء العاقبة فلم يصرح بأن العقاب لاحق به ولكنه قال
 اني أخاف أن يمسك عذاب فنكر العذاب ملاطفة لابه ومترك كل نصيحة من هذه
 النصائح بقوله يا أبت توسلا اليه واستعطافا وهذا بخلاف ما أجابه به أبوه فانه قال
 أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم فأقبل عليه بقفاظة الكفر وغلاظ العناد فناداه
 باسمه ولم يقابل قوله يا أبت بقوله يا بني وقدم الخبر على المبة في قوله أراغب أنت
 لانه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وفي
 القرآن الكريم مواضع كثيرة من هذا الجنس لاسيما في مخاطبات الانبياء صلوات
 الله عليهم للكفار والرد عليهم وفي هذين المثالين المذكورين ههنا كفاية ومقتنع

أول معاوية للحسين بن علي رضي الله عنه في أمر يزيد

الاجاز

(وبلغني حديث) تفاوض فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما ومعاوية بن أبي سفيان في أمر ولده يزيد وذلك أن معاوية قال للحسين أما أمك فاطمة فانها خير من أمه و بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من امرأة من كلب وأما حيي يزيد فاني لو أعطيت به مثلك ملء الغوطة لما رضيت وأما أبوك وأبوه فانهم ماتوا كما إلى الله فحكم لا ييه على أبيك وهذا كلام من معاوية كلما أمر ربه بتفكرى عجب من سداده فضلا عن بلاغته وفصاحته فان معاوية علم ما على رضي الله عنه من السبق إلى الاسلام والاثرفيه وماعنده من فضيلة العلم فلم يعرض في المناقرة إلى شيء من ذلك ولم يقل أيضا ان الله أعطاني الدنيا ونزعها منكم لان هذا افضل فيه اذ الدنيا ينالها البر والفاجر وانما صانع عن ذلك كله بقوله ان أباك وأباه تهاكما إلى الله فحكم لا ييه على أبيك وهذا قول ايها يحيى يوههم شبهة من الحق واذا شاء من شاء أن يتأخر خصمه ويستدرجه إلى الصمت عن الجواب فليقل هكذا (النوع الخامس عشر في الاجاز) وهو حذف زيادات الالفاظ وهذا نوع من الكلام شريف لا يتعلق به الا فرسان البلاغة من سبق إلى غايتها وما صلى وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلى وذلك لعلو مكانه وتعذر امكانه والنظر فيه انما هو إلى المعاني لا إلى الالفاظ واستأعنى بذلك أن تهمل الالفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة بل أعنى أن مدارا النظر في هذا النوع انما يختص بالمعاني قرب لفظ قليل يدل على معنى كثير ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل ومثال هذا كالجوهر الواحد بالنسبة إلى الدراهم الكثيرة فن ينظر إلى طول الالفاظ يؤثر الدراهم أكثرتها ومن ينظر إلى شرف المعاني يؤثر الجوهر الواحد لنفساتها ولهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم الفاتحة أم الكتاب واذا نظرنا إلى مجموعها وجدناه يسيرا وليست من الكثرة إلى غاية تكون بها أم البقرة وآل عمران وغيرهما من السور الطوال فعلمنا حينئذ أن ذلك لا يرجع إلى معانيها (والكلام في هذا الموضع) يخرج بنا إلى غير ما نحن بصددده لانه يحتاج فيه إلى ذكر المراد بالقرآن الكريم وما يشتمل عليه سورة وآياته إلى حصر أقسام معانيه لكانت سير في ذلك إشارة خفيفة (فنعول) المراد بالقرآن هو دعوة العباد إلى الله تعالى ولذلك انحصرت سورة وآياته في ستة أقسام ثلاثة منها هي الاصول وثلاثة هي الذروع (أما الاصول) فالأول منها يعرف المدعو اليه وهو الله تعالى ويشتمل هذا الاصل

على ذكر ذاته وصفاته وأفعاله والاصل الثاني تعريف الصراط المستقيم الذي
يجب ملازمته في السلوك الى الله تعالى ويشتمل هذا الاصل على التبتل بعبادة الله
بأفعال القلب وأفعال الجوارح والاصل الثالث تعريف الحال بعد الوصول
الى الله تعالى أعني بعد الموت ويشتمل هذا الاصل على تفصيل أحوال الدار
الآخرة من الجنة والنار والصراط والميزان والحساب وأشياء ذلك فهذه الاصول
الثلاثة (وأما الفروع) فالاول منها تعريف أحوال المجتبهين للدعوة والطائف
صنع الله بهم من النصرة والادالة وتعريف أحوال المخالفين للدعوة والمجادين
لها وكيفية صنع الله في التدمير عليهم والتنكيبهم والفرع الثاني ذكر مجادلة
الخصوم ومحاجتهم ووجههم بالمجادلة والمحاجة على طريق الحق وهو لا هم
اليهود والنصارى ومن يجري مجراهم من أرباب الشرائع والفلاسفة والملاحدة
من غير أرباب الشرائع والفرع الثالث تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية
أخذ الزاد والاهبة للاستعداد وذلك قياس الشريعة وتبيين الحكمة في
أوامرها التي تتعلق بأفعال أهل التكليف فهذه الاقسام الستة المشار اليها
هي التي يدور معاني القرآن عليها ولا يتعداها وههنا تقسيم آخر يطول الخطب
فيه ولا حاجة الى ذكره واذا نظرنا الى سورة الفاتحة وتأملنا ما فيها من المعاني
وجدناها مشتملة على أربعة أقسام من الستة المذكورة ولذلك سماها النبي
صلى الله عليه وسلم أم الكتاب كما أنه قال ان سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن
واذا نظرنا في الاقسام الستة وجدنا سورة الاخلاص بمنزلة ثلث القرآن وكذلك
قال صلى الله عليه وسلم آية الكرسي سيدة آي القرآن ويروى أنه سأل أبي
ابن كعب رضي الله عنه فقال أي آية معك في كتاب الله أعظم فقال الله لا اله الا هو
الحق القيوم فضرب في صدره وقال ليهنك العلم أبا المنذر وكل هذا يرجع الى المعاني
لا الى اللفاظ فاعرف ذلك وبينه لموزنه وأسره (واعلم) أن جماعة من مدعي
علم البيان ذهبوا الى أن الكلام ينقسم قسمين فنه ما يحسن فيه الايجاز كالاشعار
والمكاتبات ومنه ما يحسن فيه التطويل كالخطب والتقليدات وكتب الفتوح
التي تقرأ في ملا من عوام الناس فان الكلام اذا طال في مثل ذلك أثر عندهم
وأفهمهم ولو اقتصر فيه على الايجاز والاشارة لم يقع لاكثرهم حتى يقال
في ذكر الحرب التي الجمعان وتطاعن الفريقان واعتد القتال وسعى النصال

وما جرى هذا المجري والمذهب عندي في ذلك ما أذكره وهو أن فهم العامة ليس شرطاً معتبراً في اختيار الكلام لأنه لو كان شرطاً لوجب على قياسه أن يستعمل في الكلام الالفاظ العامة المبتدلة عندهم ليكون ذلك أقرب إلى فهمهم لأن العلة في اختيار تطويل الكلام إذا كانت فهم العامة أياه فكذلك تجعل تلك العلة بعينها في اختيار المبتذل من الكلام فإنه لا خلاف في أن العامة إلى فهمهم أقرب من فهم ما قبل ابتداهم أياه وهذا شيء مدفوع وأما الذي يجب توخييه واعتماده فهو أن يسلك المذهب القويم في تركيب الالفاظ على المعاني بحيث لا تزيد هذه على هذه مع الإيضاح والابانة وليس على مستعمل ذلك أن يفهم العامة كلامه فإن نور الشمس إذا لم يره إلا على أن لا يكون ذلك نقصاً في استنارته وإنما النقص في بصره لا على حيث لم يستطع النظر إليه

على نحت القوافي من معادنها * وما على بيان لا تفهم البقر

(وحيث انتهى بنا القول إلى هذا الموضع) فلترجع إلى ما هو غرضنا ومنا من الكلام على الإيجاز وحده وأقسامه ونوضح ذلك أيضاً حاجلياً والله الموفق للصواب فنقول حدة الإيجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه والتطويل هو ضد ذلك وهو أن يدل على المعنى باللفظ بكيفية بعضها في الدلالة عليه كقول العجير السلولي من آيات الحجاسة

طلوع الثنايا بالمطايا وسابق * إلى غاية من يتدبرها بقدم

فصدر هذا البيت فيه تطويل لا حاجة إليه وعجزه من محاسن الكلام المتواصفة وموضع التطويل من صدره أنه قال طلوع الثنايا بالمطايا فإن لفظة المطايا فضيلة لا حاجة إليها وبيان ذلك أنه لا يخلو الأمر فيهما من وجهين أما أن يريد أنه سابق الهمة إلى معالي الأمور كما قال الججاج على المنبر عند وصوله العراق أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * أي أنا الرجل المشهور السابق إلى معالي الأمور فإن أراد العجير بقوله طلوع الثنايا ما أشرت إليه فذكر المطايا فسد ذلك المعنى لأن معالي الأمور لا يرقى إليها بالمطايا وإن أراد الوجه الآخر وهو أنه كثير الأسفار فاختصاه الثنايا بالذكر دون الأرض من المفاوز وغيرها لا فائدة فيه وعلى كلا الوجهين فإن ذكر المطايا فضيلة لا حاجة إليه وهو تطويل بارد غث فقس على هذا المثال ما يجري مجراه من التطويلات التي إذا سقطت من الكلام بقي على حاله لم

يتغير شيء وكذلك يجرى الامر في ألفاظ يوصل بها الكلام فتارة تجيء لفائدة وذلك قليل وتارة تجيء لغیر فائدة وذلك كثير وأكثر ما ترد في الاشعار ليروزن بها الايات الشعرية وذلك نحو قولهم اعمرى واعمر لك ونحو أصبح وأمسى وظل وأضحى ويات وأشباه ذلك ونحو يا صاحبي ويا خليلي وما يجرى هذا المجرى (فما جاء منه) قول أبي تمام أقتر والعمرى لحكم السيف * وكانت أحق بفصل القضاء

فإن قوله لعمرى زيادة لا حاجة للمعنى اليها وهي حشوف في هذا البيت لفائدة فيه الاصلاح الوزن لا غير ألا ترى أنهم من باب القسم وانما يرد القسم في موضع يؤكده المعنى المراد أمالانه مما يشك فيه أو مما يعز وجوده أو ما جرى هذا المجرى وهذا البيت الشعري لا يفتقر معناه الى تأكيد قسمي إذ لا شك في أن السيف

حاشية وأن كل أحد يقر لحكمها ويذعن لطاعتها وكذلك قوله أيضا

إذا نال ألم عشرات دهر * بليت به الغداة فن ألوم

فقوله الغداة زيادة لا حاجة للمعنى اليها لانه يتم بدونها لأن عشرات الدهر لم تنله الغداة ولا العشي وانما نالتهم ونيلها اياه لا بد وأن يقع في زمن من الازمنة كأننا ما كان ولا حاجة الى تعيينه بالذكر (وعلى هذا) ورد قول الجعفي

ما أحسن الأيام الأنياس * يا صاحبي إذا مضت لم ترجع

فقوله يا صاحبي زيادة لا حاجة بالمعنى اليها الا انها وردت لتصحيح الوزن لا غير وهذه الالفاظ التي ترد في الايات الشعرية لتصحيح الوزن لا عيب فيها الا نالو عيناها على الشعراء تعجزنا علمهم وضيقنا والوزن يضطر في بعض الاحوال الى مثل ذلك ~~ممكن~~ اذا وردت في الكلام المنشور فانه ان وردت حشوا ولم ترد لفائدة كانت عيبا وقد ترد في الايات الشعرية ويكون ورودها لفائدة وذلك هو الاحسن كقول الجعفي

قوم أهانوا الوفر حتى أصبحوا * أولى الانام بكل عرض وافر

فقوله أصبحوا بمعنى صاروا أي أنهم صاروا أولى الناس بالاعراض الوافرة وهذه اللفظة لم ترد في هذا البيت حشوا كما وردت في بيتي أبي تمام المتقدم ذكرهما (وسأزيد هذا الموضع بيانا) بمثال أضربه للتطويل حتى يستدل به على أمثاله وأشباهه والمثال الذي أضربه هو حكاية أوردت بمحض رمي وذلك أنه جلس الى بعض الايام جماعة من الاخوان وأخذوا في مقاضاة الاحاديث وانساق ذلك الى ذكر

حكاية وقد يحضر المؤلف حكاياتها هذا التطويل

غرائب الوقائع التي تقع في العالم فذكر كل من الجماعة شيئا ففقال شخص منهم اني
كنت بالجزيرة العمرية في زمن الملك فلان وكنت اذا ذهبت صديقا صغيرا فاجتمعت أنا
ونفر من الصبيان في الحارة الفلانية وصعدنا الى سطح طاحون ابني فلان وأخذنا
تلعب على السطح فوقع صبي معنا الى أرض الطاحون فوطئه بغل من بغل
الطاحون فخفنا أن يكون أذاه فأسرعنا النزول اليه فوجدناه قد ووطئه البغل
نخفته ختانه صحيحة حسنة لا يستطيع المصانع الحاذق أن يفعل خيرا منها ففقال له
شخص من الحاضرين والله ان هذا عي فاحش وتطويل كثير لا حاجة اليه فانك
بصد دأن تذكر أنك كنت صديقا تلعب مع الصبيان على سطح طاحون فوقع صبي
منكم الى أرض الطاحون فوطئه بغل من بغل الطاحون فخفته ولم يؤذه ولا فرق
بين أن تكون هذه الواقعة في بلد نعرفه أو في بلد لا نعرفه ولو كانت بأقصى المشرق
أو بأقصى المغرب لم يكن ذلك قد حاق في غربتهما وإنما أن تذكر أنها كانت بالجزيرة
العمرية في الحارة الفلانية في طاحون بنى فلان وكان زمن الملك فلان فان مثل
هذا كله تطويل لا حاجة اليه والمعنى المقصود يفهم بدونه (فاعلم) أي الناظر
في كتابي هذا أن التطويل هو زيادات اللفاظ في الدلالة على المعاني ومهما أمكنك
حذف شيء من اللفظ في الدلالة على معنى من المعاني فان ذلك اللفظ هو التطويل
بعينه (وأما الإيجاز) فقد عرفت أنك أنه دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه
(وهو ينقسم قسمين أحدهما) الإيجاز بالحذف وهو ما يحذف منه المفرد والجملة
لدلالة أقوى الكلام على المحذوف ولا يكون الإيجازا دمعناه على لفظه (والقسم
الآخر) ما لا يحذف منه شيء وهو ضربان أحدهما ما ساوى لفظه معناه ويسمى
التقدير والآخر ما زاد معناه على لفظه ويسمى القصر (واعلم أن القسم الأول)
الذي هو الإيجاز بالحذف يتنبه له من غير كبير كلفة في استخراج ما كان المحذوف
منه (وأما القسم الثاني) فان التنبيه له عسر لأنه يحتاج الى فضل تأمل وطول فكرة
لخفاء ما يستدل عليه ولا يستنبط ذلك الا من رتب قدمه في ممارسة علم البيان
وصار له خلية ومملكة ولم أجدا أحدا علم هذين القسمين بعلامة ولا قيد هما
بقيد وقد أثرت الى ذلك فيما يأتي من هذا الباب عند تفصيل أمثلتهما فليؤخذ
من هنالك (فان قيل) ان هذا التقسيم الذي قسمته في المحذوف وغير المحذوف ليس
بصحيح لان المعاني ليست أجساما كالألفاظ حتى يصح التقدير بينهما ما ثم لو سلمت

جواز التقدير في المساواة لم أسلم جواز الزيادة فليس لقائل أن يقول هذا المعنى
 زائد على هذا اللفظ لانه ان قال ذلك قيل فن أين فهمت تلك الزيادة الخارجة
 عن اللفظ وقد علم أن الالفاظ انما وضعت للدلالة على افهام المعاني فان قال انها
 فهمت من شيء خارج عن اللفظ قيل له فتملك الزيادة بازاء ذلك الشيء الخارج عن
 اللفظ والباقي مساو للفظ وان قال انها فهمت من اللفظ قيل فكيف تفهم منه
 وهي زائدة عليه فان قال انها فهمت من تركيبه لان التركيب أمر زائد على اللفظ
 قيل الالفاظ تدل بانفرادها على معنى وبتركيبها على معنى آخر واللفظ المركب
 يدل على معنى مركب واللفظ المفرد يدل على معنى مفرد وتلك الزيادة ان أريد بها
 زيادة معنى المركب على المركب فلا يخلو اما أن تكون تلك الزيادة مفهومة
 من دلالة اللفظ المركب عليها أو من دلالة شيء خارج فان كانت مفهومة من دلالة
 عليها لم تكن زائدة عليه اذ لو كانت زائدة عليه لما دل عليها وان كانت مفهومة
 من دلالة الشيء الخارج عنه فهي بازاء ذلك الشيء الخارج والباقي مساو للباقي
 (فالجواب عن ذلك) أن نقول هذا الذي ذكره كلام شبيهه بالسفسطة وهو باطل
 من وجهين أحدهما أن المعاني اذا كانت لا تزيد على الالفاظ فيلزم من ذلك
 أن الالفاظ لا تزيد أيضا على المعاني لانهم مائة لا زمان على قياسك ونحن نرى
 معنى قد دل عليه بألفاظ فاذا أسقط من تلك الالفاظ شيء لا ينقص ذلك المعنى بل
 يبقى على حاله والوجه الآخر أن الإيجاز بالحذف أقوى دليلا على زيادة المعاني
 على الالفاظ لاننا نرى اللفظ يدل على معنى لم يتضمنه وفهم ذلك المعنى ضرورة
 لا بد منه فعلمنا حينئذ أن ذلك المعنى الزائد على اللفظ مفهوم من دلالة عليه
 (فان قيل) ان المعنى الزائد على اللفظ المحذوف لا بد له من تقدير لفظ آخر يدل
 عليه وتلك الزيادة بازاء ذلك اللفظ المقدّر (قلت في الجواب عن ذلك) هذا لا ينقص
 ما ذهب اليه من زيادة المعنى على اللفظ لان المعنى الزائد ظاهر واللفظ الدال
 عليه مضمّر واذا كان مضمرا فلا ينطق به واذا لم ينطق به فكأنه لم يكن وحينئذ
 يبقى المعنى موجودا واللفظ الدال عليه غير موجود وكذلك كل ما يعلم من
 المعاني بفهوم الخطاب ألا ترى أنك اذا قلت لمن دخل عليك أهلا وسهلا علم
 أن الأهل والساهل منصوبان بعامل محذوف تقديره وجدت أهلا ولقيت
 سهلا إلا أن اللفظي وجدت ولقيت محذوفتان والمعنى الذي دلالة عليه باق

فصار المعنى حينئذ مفهوماً مع حذفه ما فهو وإذا زائد لا محالة وكذلك جميع المحذوفات على اختلافها ونسب مقاصدها وهذا النزاع فيه لبسائه ووضوحه (وقد سنخلى في زيادة المعنى على اللفظ في غير المحذوفات دليل أناذاكره) وهو أنا نخج من الكلام ما يدل على معنيين وثلاثة واللفظ واحد والمعاني التي تحته متعددة فأما الذي يدل على معنيين فالكليات جميعها كالذي ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم أنهم كانوا إذا خرجوا من عنده لا يفرقون إلا عن ذواق وهذا يدل على معنيين أحدهما اطعام الطعام أى أنهم لا يخرجون من عنده حتى يطعموا الآخر أنهم لا يفرقون إلا عن استفاضة علم وأدب يقوم لأنفسهم مقام الطعام لجسامهم وأما الذي يدل على ثلاثة معان فلكقول أبي الطيب المتبني

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

فهذا يدل على ثلاثة معان الأول أنه يحسد من أنعم عليه الثاني ضده الأول الثالث أنه يحسد كل رب نعمة كائن من كان أى يحسد من بات في نعمائه نفسه يتقلب وهذا أو أمثاله من أدل الدليل على زيادة المعنى على اللفظ وهو شئ استخرجته ولم يكن لاحد فيه قول سابق (وحيث فرغنا من الكلام) على هذا الموضع فلتتبعه بذكر أقسام الإيجاز المشار إليها أولاً وما يتصرف إليه (فنقول) أما الإيجاز بالحذف فانه عجيب الامر شبهه بالسحر وذلك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة وتجبدك أنطق ما تكون اذا لم تنطق وأتم ما تكون مبيناً اذا لم تبين وهذه جملة تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر والاصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضرورها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف فان لم يكن هنالك دليل على المحذوف فانه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام الى شئ غث لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن وقد يظهر المحذوف بالاعراب كقولنا أهلاً وسهلاً فان نصب الأهل والسهل يدل على ناصب محذوف وليس لهذا من الحسن ما للذي لا يظهر بالاعراب وإنما يظهر بالنظر الى تمام المعنى كقولنا فلان يحل ويعقد فان ذلك لا يظهر المحذوف فيه بالاعراب وإنما يظهر بالنظر الى تمام المعنى أى أنه

يحصل الامور ويقدرها والذي يظهر بالاعراب يقع في المفردات من المحذوفات
 كثيرا والذي لا يظهر بالاعراب يقع في الجمل من المحذوفات كثيرا (وسأذكر في
 كتابي هذا ما وصل الى علمه وهو ينقسم قسمين) أحدهما حذف الجمل والاخر
 حذف المفردات وقد ورد كلام في بعض المواضع ويكون مشقة لاعلى القسمين
 معا (فأما القسم الاول) وهو الذي تحذف منه الجمل فانه ينقسم الى قسمين أيضا
 (أحدهما) حذف الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلاما وهذا أحسن
 المحذوفات جميعها وأدلها على الاختصار ولا تكاد تجد الا في كتاب الله تعالى
 (والقسم الآخر) حذف الجمل غير المفيدة وقد وردا ههنا مختلطين (وجاهتهما أربعة
 أضرب الضرب الاول) حذف السؤال المقدر ويسمى الاستئناف (ويأتى على
 وجهين الوجه الاول) إعادة الاسماء والصفات وهذا يجي تارة بإعادة اسم من
 تقدم الحديث عنه كقولك أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة يجي
 بإعادة صفته كقولك أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك وهو
 أحسن من الاول وأبلغ لانطوائه على بيان الموجب للاحسان وتخصيصه (فما
 ورد من ذلك) قوله تعالى ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين
 يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل
 اليك وما أنزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك
 هم المفلحون والاستئناف واقع في هذا الكلام على أولئك لانه لما قال ألم ذلك
 الكتاب الى قوله وبالاخرة هم يوقنون اتجه اسائل أن يقول ما بال المستقلين بهذه
 الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن
 يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا (الوجه الثاني) الاستئناف بغير
 إعادة الاسماء والصفات وذلك كقوله تعالى ومالى لأعبد الذي فطرني واليه
 ترجعون أتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا
 ينقذون اني اذا نفي ضلال مبين اني آمننت بربكم فاسمعون قبيل ادخل الجنة قال
 يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فخرج هذا القول مخرج
 الاستئناف لان ذلك من مظان المسئلة عن حاله عند لقائه به وكان قائلا قال كيف
 حال هذا الرجل عند لقائه به بعد ذلك التصلب في دينه والتسخطى لوجهه بروحه
 فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصواب الغرض الى المقول لا الى المقول له

مع كونه معلوما وكذلك قوله تعالى ياليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال
سائل عما وجد ومن هذا الحق قوله عز وجل يا قومي اعلموا على مكانتكم اني عامل
سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارثقبوا اني معكم رقيب
والفرق بين اثبات الفاء في سوف كقوله تعالى قل يا قومي اعلموا على مكانتكم اني
عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحمل عليه عذاب عقيم وبين حذف
الفاء ههنا في هذه الآية أن اثباتها وصل ظاهر يحرف موضوع للوصول وحذفها
وصل خفي تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كنهم قالوا فاعذا
يكون اذا علمنا نحن على مكانتنا وعلمت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة
بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف
وهو قسم من أقسام علم البيان تمكثر محاسنه فأعرفه ان شاء الله تعالى (الضرب
الثاني) الاستئناف بالسبب عن المسبب وبالمسبب عن السبب (فأما الاستئناف
بالسبب عن المسبب) فكقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضيت الى موسى
الامر وما كنت من الشاهدين ولكأنا أنشأنا قرونا قنطاول عليهم العمر كأنه
قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى له وعليه واكأننا أوحينا اليك فذكر
سبب الوحي الذى هو اطالة الفترة ودل به على المسبب الذى هو الوحي على عادة
اختصاصات القرآن لا تقدير الكلام واكأننا أنشأنا بعد عهد الوحي الى موسى الى
عهد قرونا كثيرة قنطاول على آخرهم وهو القرن الذى أنت فيه هم العمر أى أمد
انقطاع الوحي فان درست العلوم فوجب ارسال اليهم فأرسلناك وعرفناك العلم
بقصص الانبياء وقصة موسى فالحذف اذا جملة مفيدة وهي جملة مطولة دل
السبب فيها على المسبب وكذلك ورد قوله تعالى عقيب هذه الآية أيضا وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذروا ما آتاهم من نذير من قبلك
لأنهم هم تدون فان في هذا الكلام محذوف قالوا ما آتاهم لانه قال وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك وهذا لا بد له من محذوف حتى يستقيم
نظم الكلام وتقديره ولكن عرفناك ذلك وأوحينا اليك رحمة من ربك لتنذر
قوما ما آتاهم من نذير من قبلك فذكر الرحمة التى هي سبب ارساله الى الناس
ودل بها على المسبب الذى هو الارسال وأما حذف الجملة غير المفيدة من
هذا الضرب فنحو قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام قالت اننى يكون لى

غلام ولم يمسسني بشر ولم ألعبها قال كذلك قال ربك هو عن هين وأجعله آية
للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً فقوله وأجعله آية للناس تعليل معلله
مخدوف أي وانما فعلنا ذلك لجعله آية للناس فذكر السبب الذي صدر الفعل من
أجله وهو جعله آية للناس ودل به على المسبب الذي هو الفعل (ومما ورد من ذلك)
في الاخبار النبوية قصة الزبير بن العوام رضى الله عنه والرجل الانصاري الذي
خاصه في شراج الحرة التي يسقى منها الفضل فلما حضر ابن يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال للزبير اسقني ثم أرسل الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال
يا رسول الله أن كان ابن عمك فتلو: وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اسقني
يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر وفي هذا الكلام مخدوف تقديره أن
كان ابن عمك حكمت له أو قضيت له أو ما يرى هذا الجري فذكر السبب الذي هو
كونه ابن عمته ودل به على المسبب الذي هو الحكم أو القضاء لدلالة الكلام عليه
(وأما الاكتفاء بالمسبب عن السبب) فمكة قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم أي اذا أردت قراءة القرآن فاكتفي بالمسبب الذي هو
القراءة عن السبب الذي هو الارادة والدليل على ذلك أن الاستعاذة قبل القراءة
والتي دلت عليه أنها بعد القراءة كقول القائل اذا ضربت زيداً فاجلس فان
الجلوس انما يكون بعد الضرب لا قبله وهذا أولى من تأويل من ذهب الى أنه أراد
فاذا اعتوذت فاقرأ فان ذلك قلباً لا ضرورة تدعو اليه وأيضا فليس كل مستعبد
واحبة عليه القراءة (وعلى هذا ورد) قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
وجوهكم والوضوء انما يكون قبل الصلاة لا عند القيام اليها لأن القيام اليها هو
مباشرة لا فعل الهام الركوع والسجود والقراءة وغير ذلك وهذا انما يكون بعد
الوضوء وتأويل الآية اذا أردت القيام الى الصلاة فاغسل فاكتمى بالمسبب عن
السبب (وكذلك ورد) قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة
فليتوضأ أي اذا أراد القيام الى الصلاة وانما يعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل
لأن الفعل مسبب عن الارادة وهو مع القصد اليه موجود فيكون منه بسبب
وملابسة طاهرة (ومن ذلك قوله تعالى) فقلنا اضرب بعصا الحجر فانفجرت منه
اثنتا عشرة عيناً أي فضرب فانفجرت منه فاكتمى بالمسبب الذي هو الانفجار عن
السبب الذي هو الضرب (الضرب الثالث) وهو الاضمار على شريطة التفسير

ذكر مخاصمة الزبير مع الانصاري في سقي الفضل

وهو أن يحذف من صدر الكلام ما يؤتى به في آخره فيكون الاخر دليلا على
الاول (وهو ينقسم الى ثلاثة أوجه الاول) أن يأتي على طريق الاستفهام
فتم ذكر الجملة الأولى دون الثانية كقوله تعالى أن فن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين
تقدير الآية أن فن شرح الله صدره للاسلام كن أقسى قلبه ويدل على المحذوف
قوله فويل للقاسية قلوبهم (الوجه الثاني) يرد على حد النبي والاثبات كقوله
تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من
الذين أنفقوا من بعده وقاتلوا تقديره لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح
وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل ويدل على المحذوف قوله أولئك أعظم درجة
من الذين أنفقوا من بعده وقاتلوا (الوجه الثالث) أن يرد على غير هذين الوجهين
فلا يكون استفهاما ولا نصبا وإثباتا وذلك كقول أبي تمام

يتجنب الآثام ثم يخافها * فكأنما حسنته آثام

وهذا البيت مختلف نسخ ديوانه في إثباته فمن ما يجي فيه

يتجنب الأيام خيفة غيبها * فكأنما حسنته آثام

وليس بشئ لأن المعنى لا يصح به وكنت مثلت عن معناه وقيل كيف ينطبق عجز
البيت على صدره وإذا تجنب الآثام وخافها فكيف تهكون حسنته آثاما
فأفكرت فيه وأنعمت نظري فسخر لي في القرآن الكريم آية مثله وهي قوله تعالى
والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة وفي صدر البيت ضمير مفرق في عجزه وتقديره
أنه يتجنب الآثام فيكون قد أتى بحسنة ثم يضاف تلك الحسنة فكأنما حسنته
آثام وهو على طباق الآية سواء (ومن الاضمار على شريطة التفسير) قول أبي
نواس

سنة العشاق واحدة * فإذا أحببت فاستكن

فحذف لفظ الاستكانة من الاول وذكره في الثاني أي سنة العشاق واحدة وهي
الاستكانة فإذا أحببت فاستكن ومن الناس من يقول فإذا أحببت فاستكن وهذا
لا معنى له لأنه إذا لم يبين سنة العشاق ما هي فبأي شئ يستكن المستكن منها لكانه
ذكر السنة في صدر البيت من غير بيان ثم يبين في عجزه (الضرب الرابع) ما ليس
بسبب ولا مسبب ولا ضمير على شريطة التفسير ولا استئناف (فأما ما حذف فيه
من الجمل المفيدة) فكقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام قال ترزعون

سبع سنين دأبأ فاحصدم فذروه في سنبلة الاقليلاماتأ كلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شدادياً كان ما قدمتم لهن الاقليلاماتحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به قد حذف من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها فرجع الرسول اليهم فأخبرهم بحالة يوسف فمحبوا لها وأوصد قوه عليها وقال الملك ائتوني به والمحذوف اذا كان كذلك دل عليه الكلام دلالة ظاهرة لانه اذا ثبتت حاشية الكلام وحذف وسطه ظهر المحذوف دلالة الحاشيتين عليه (وكذلك ورد) قوله تعالى في هذه السورة أيضاً فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أيها الناصح اننا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين قد حذف أيضاً من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها ثم انهم تجهزوا وساروا الى مصر فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه (وقد ورد هذا الضرب في القرآن الكريم كثيراً) كقوله تعالى في سورة القصص وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هن أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فردناه الى أمه كي تقر عينها في هذا المحذوف وهو جواب الاستفهام لانهم الما قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم احتاج الى جواب لينتظم بما بعده من رده الى أمه والجواب فقالتوا نعم فدلتهم على امرأة فبى بها وهي أمه ولم يعلموا بإمكانها فأرضعته وهذه الجملة التأسيسية أعنى قوله تعالى فردناه الى أمه تدل على المحذوف لان رده الى أمه لم يكن الا بعد رد الجواب على أخته ودلائلها اياهم على امرأة ترضعه ويكنى هذا الموضع وحده لمن يتصرف في مواقع المحذوفات وكيفيةها (ومما يجرى على هذا المنهج) قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام وقصة الهدهد في إرساله بالكتاب الى بلقيس قال سننظراً صدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم قول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم وفي هذا المحذوف تقديره فأخذ الكتاب وذهب به فلما ألقاه الى المرأة وقرأته قالت يا أيها الملأ (ومن حذف الجمل المفيدة) ما يعسر تقدير المحذوف منه بخلاف ما تقدم ألا ترى أن الآيات المذكورة كلها اذا تأملها المتأمل وجد معانيها متصلة من غير تقدير للمحذوفات التي حذفت منها ثم اذا قدرت تلك المحذوفات سهل

تقديرها بديهة النظر والذي أذكره الآن ليس كذلك بل إذا تأملنا التأمل وجده
غير متصل المعنى وإذا أراد أن يقدر المحذوف عسر عليه (فما جاء منه) قوله
تعالى وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا جعل لنا قلبا قبل
يوم الحساب أصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب فهذا
الكلام إذا تأملنا التأمل لم يجده متصل المعنى ولم يتبين له معنى ذكر داود عليه
السلام راد فاقوله تعالى أصبر على ما يقولون وإذا أراد أن ينفذ رهننا محذوفاً
يوصل به المعنى عسر عليه (وتقديره يحتمل وجهين أحدهما) أنه قال أصبر على
ما يقولون وخوفهم أمر معصية الله وعظمها في عيونهم بذكر قصة داود
الذي كان نبيا من الأنبياء وقد آتاه الله ما آتاه من النبوة والملك العظم ثم لما
زل زلة قوبل بكذا وكذا الظن بكم أنتم مع كثركم (الوجه الآخر) أنه قال أصبر
على ما يقولون واحفظ نفسك أن تزل في نبي مما كافته من مصابرتهم واحتمال
أذا هم واذكر أشك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة فلقى من توبخ الله
ما في هذا الكلام كما تراهُ يحتاج إلى تقدير حتى يتصل بعضه ببعض وهو من أغضض
ما يأتي من المحذوفات وبه يتنبه على مواضع أخرى غامضة (وأما ما ورد) من هذا
الضرب في حذف الجمل التي ليست بمفيدة فنصو قوله تعالى يا زكريا إنا نبشرك بغلام
أسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً
وقد بلغت من الكبر عتياً قال كذلك قال ربك هو على شئين وقد خلقتك من قبل
ولم تكن شياً قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً فخرج
على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب
بقوة وآتيناه الحكم صبياً هذا الكلام قد حذف منه جملة دل عليها صدره وهو
البشرى بالغلام وتقديرها ولما جاء الغلام ونشأ وترعرع قلنا لا يا يحيى خذ الكتاب
بقوة فالجمل المحذوفة ليست من الجمل المفيدة (وعلى هذا النهج ورد) قوله تعالى
قال لهم هرون من قبل يا قوم اغمضوا أعينكم واتقوا ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا
أمرى قالوا لن نبرح عامه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك إذ
رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى أفعميت أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلهيتى ولا برأسى
انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى وقد حذف من هذا
الكلام جملة إلا أنهم غير مفيدة وتقديرها فلما رجع موسى ورأهم على ذلك الحال

من عبادة الجبل قال لآخيه هرون ما منعك أن تأتيهم ضلوا لا تتبعهني (وكذلك)
 ورد قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام من سورة النمل قال أيكم يأتي بي بعرشها
 قبل أن يأتيوني سليمان قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك
 وإني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك
 طرفك فلما رأته تعجزا عنه قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن
 شكر فأنميت شكره ومن كفر فأنزلنا به عذابي لعنه ومن كفر فأنزلنا به عذابي لعنه
 تنظر أتهتدي أم تكرون من الذين لا يهتدون وفي هذا محذوف تقديره فلما جاء به
 قال تكروا لها عرشها لا تنكروا له لم يكن إلا بعد أن جرى به اليه وقد أغنى
 عن المحذوف صدر الكلام وآخره وكان ذلك دليلا عليه (ومما ورد على ذلك
 شعرا) قول أبي الطيب المتنبي

لا أبغض العيس لكني وقيت بها * قلبي من الهيم أوجسني من السقم
 وهذا البيت فيه محذوف تقديره لا أبغض العيس لأنه أتاني أياها في الأسفار ولكني
 وقيت بها كذا وكذا فالثاني دليل على حذف الأول وهذا وضع يحتاج في
 استخراج واستخراج أمثاله إلى فكرة وتدقيق نظر (ومما يدل بهذا الضرب)
 حذف ما يجيء بعد أفعل كقولنا الله أكبر فان هذا يحتاج إلى تمام أي أكبر
 من كل كبير أو أكبر من كل شيء أي هو أكبر أو ما جرى هذا المجرى ومثله يرد
 قواهم زيد أحسن وجهها وأكرم خلقا تقديره أحسن وجهها من غيره وأكرم
 خلقا من غيره أو ما يستلزم هذا المستلزم من الكلام وعليه ورد قول البحتري

الله أعطاك الهبة في الوري * وحبالها بفضل الذي لا ينكر
 ولأنت أملا في العيون لديهم * وأجل قدر في الصدور أكبر
 أي أنت أملا في العيون من غيرك (وأما القسم الثاني) المشتمل على حذف
 المفردات فإنه يتصرف على أربعة عشر ضربا (الأول) حذف الفاعل والاكتماء
 في الدلالة عليه بذكر الفعل كقول العرب أرسلت وهم يريدون جاء المطر ولا
 يذكرون السماء ومنه قول حاتم

أماوى ما يغني اثراء عن الفقى * إذا حشر جت يوما وضاق بها الصدر
 يريد النفس ولم يجزها سادس (وعلى هذا ورد) قوله تعالى كلا إذا بلغت
 التراقي وقيل من راق والضم يرق بلغت للنفس ولم يجزها ناذر وقد نص عثمان

ابن جني رحمه الله تعالى على عدم الجواز في حذف الفاعل وهذه الآية وهذا البيت الشعري وهذه الكلمة الواردة عن العرب على خلاف ما ذهب اليه الا أن حذف الفاعل لا يجوز على الإطلاق بل يجوز فيما هو ذا سيلا وذلك أنه لا يكون الا فيما دل الكلام عليه ألا ترى أن التي تبلغ التراقي انما هي النفس وذلك عند الموت فعلم حينئذ أن النفس هي المرادة وان كان الكلام خالفا عن ذكرها وكذلك قول حاتم حشرجت فان الحشرجة انما تكون عند الموت (وأما قول العرب) أرسلت وهم يريدون أرسلت السماء فان هذاية ولونه نظر الى الحال وقد شاع فيما بينهم أن هذه كلمة تقال عند مجي المطر ولم ترد في شيء من أشعارهم ولا في كلامهم المنثور وانما يقوله بعضهم لبعض اذا جاء المطر فافرق بينها وبين حشرجت وبين بلغت التراقي ظاهر وذلك أن حشرجت وبلغت التراقي يفهم منها أن النفس التي حشرجت رأنها هي التي بلغت التراقي وأما أرسلت فلا شاهد للحال والالم يجوز أن تكون ذاللة على مجي المطر ولو قيل في معرض الاستسقاء انا نخرجنا أسأل الله فلم نزل حتى أرسلت افهم من ذلك أن التي أرسلت هي السماء ولا بد في الكلام من دليل على المحذوف والا كان لغوا لا يثبت اليه (الضرب الثاني) حذف الفعل وجوابه (اعلم أن حذف الفعل ينقسم قسمين أحدهما) يظهر بدلالة المفعول عليه كقوله في المثل أهلك والليل فنصب أهلك والليل يدل على محذوف ناصب تقديره الحق أهلك ويأذرا الليل وهذا مثل بضرب في التحذير (وعليه ورد) قوله تعالى فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ومما ورد منه في الاخبار النبوية أن جابر أتزوج فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تزوجت قال نيبا فقال له فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك يريد فهلا تزوجت جارية فحذف الفعل لدلالة الكلام عليه (ومما ورد منه شعرا) قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته الكافية التي يتدح بها عضد الدولة أبا شجاع بن بويه ومطامعها * فدى لك من يقصر عن مداك * وسأذكر الموضع الذي حذف منه الفعل وجوابه لانه علق الابيات بعضها ببعض وهي من محاسن ما يؤتى به في معنى الوداع ولم يأت لغيره مثلها وهي

اذا التوديع أعرض قال قلبي * عليك الصمت لا صاحبت فاكا
ولولا أن أكثر ما تنفي • معاودة لقلت ولا منساكا
قد استشقيت من داء بدء • وأقتل ما أعلك ما شفاكا

فأكرمته منكم ضجوا بنا وأخفى * هم وما قد أطأت لها العراكا
 إذا عاصيتها كانت شدا * وان طماوعتها كانت ركاكا
 وكمدون الثوية من حزين * يقول له قد روي ذابذاكا
 ومن عذب الرضاب إذا أنحننا * يقبل رحيل ترك والوراكا
 يحترم أن عس الطيب بمدى * وقد علق العيسير به وصاكا
 يحدث مقلتيه النوم عني * فليت النوم حدث عن نداكا
 وما أَرْضَى لمقلته بحلم * إذا انتهت توهمه ابتشاكا
 ولا الابأن يصغى وأحكي * فليته لا يتيه هراكا

فقوله ولا منا كافيه محذوف تقديره ولا صاحبت منا كما وكذلك قوله ولا الابأن
 يصغى وأحكي فان فيه محذوف تقديره ولا أَرْضَى الابأن يصغى وأحكي (وأما
 القسم الآخر) فانه لا يظهر فيه قسم الفعل لانه لا يكون هناك منصوب يدل عليه
 وانما يظهر بالنظر الى ملامة الكلام (فما جاء منه قوله تعالى) وعرضوا على ربك
 هذا فقد جئتونا كما خلقناكم أول مرة فقوله لقد جئتمونا يحتاج الى ضمير فاعل
 أي فقيل لهم لقد جئتمونا وفق لنا لهم وقد استعمل هذا في القرآن الكريم في غير
 موضع كقوله تعالى ويوم يعرض الذين ككفروا على النار أذهبتم طغيانكم في
 حياتكم الدنيا فقوله أذهبتم طغيانكم في حياتكم الدنيا يحتاج الى تقدير الفعل
 المضمر وكذلك ورد قوله تعالى ووضينا الانسان يوالديه حسنا وان جاهدا لئلا
 على أن تشر لبي ما ليس لك به علم فلا تطعهما فقوله وان جاهدا لئلا يتله من
 اضمار القول أي وقلنا له ان جاهدا لئلا على أن تشر لبي ما ليس لك به علم فلا
 تطعهما (ومن هذا الضرب) ايقاع الفعل على شيئين وهو لا حده ما كقوله
 تعالى فأجمعوا أمركم وشركاءكم وهو لا امركم وحده وانما المراد أجمعوا أمركم
 وادعوا شركاءكم لأن معنى أجمعوا من أجمع الامراض انواه وعزم عليه وقد قرأ
 أبي رضى الله عنه فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم وهذا دليل على ما أثبت
 اليه وكذلك هو مثبت في مصحف عبد الله من مسعود رضى الله عنه (ومن
 حذف الفعل باب يسمى باب اقامة المصدر مقام الفعل) وانما يفعل ذلك لضرب
 من المبالغة والتوكيد كقوله تعالى فاذا القيمة الذين كفروا فاضرب الرقاب قوله
 فاضرب الرقاب أصله فاضربوا الرقاب ضربا يحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه

وفي ذلك اختصار مع اعطاء معنى التوكيد المصدري (وأما حذف جواب
 الفعل) فإنه لا يكون في الامر المحتوم كقوله تعالى فذرههم يخوضوا ويلعبوا
 فجزم يخوضوا ويلعبوا لانهم ما جواب أمر فذرههم وحذف الجواب في هذا
 لا يدخل في باب الایجاز لاننا اذا قلنا ذرههم أي اتركهم لا يحتاج ذلك الى جواب
 وكذلك ما يجري مجراه وانما يكون الجواب بالفاء في ماض كقوله اقلنا اذهب
 فذهب وحديثه. فليظهر الجواب المحذوف كقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب
 وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا
 فدمرناهم تدميرا ألا ترى كيف حذف جواب الامر في هذه الآية فان تقديره
 فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فذهبا اليهم فكذبوه. ما قدرناهم
 تدميرا فذكر حاشيتي القصة أولها وآخرها لانها المقصود من القصة بطولها
 أعني الزام الخبيثة بعبثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (ومن هذا الضرب
 أيضا) قوله تعالى قالوا يا أبا ناسا مالك لاتأمننا على يوسف واناله لنا صحون أرسله معنا
 عند انزع ونالع وباناله لنا قفون قال اني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله
 الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما
 ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب فجواب الامر من هذا الكلام
 محذوف تقديره فأرسله معهم ويدلنا على ذلك ما جاء بعده من قوله فلما ذهبوا به
 كما حذف أيضا في قوله عز وجل وقال الذي نجيها منهم ما وادكر بعد أمة انا أنبئكم
 بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتمتني سبع بترات سمان الآية بجواب
 الامر من هذا الموضع محذوف وتقديره فأرسلوه الى يوسف فأتاه فقال له يوسف
 أيها الصديق وكذلك قوله تعالى وقال الملك اتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع
 الى ربك فاستأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكم يدهن عليهم قال
 فما خطبكن أذراودتن يوسف عن نفسه الآية ففي هذا الكلام حذف واختصار
 استغنى عنه بدلالة الحال عليه وتقديره فارجع الرسول الى الملك برسالة يوسف
 فدعا الملك بالنسوة وقال لهن ما خطبكن (وهذا ورد قوله تعالى) اتوني
 به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين وقد حذف جواب
 الامر ههنا وتقديره فأتوه به فلما كلمه وفي سورة يوسف عليه السلام محذوفات
 كثيرة من أولها الى آخرها فانظر أيها المتأمل الى هذه المحذوفات المذكورة ههنا

التي كأنها لم تحذف من هذا الكلام لظهور معناها وبيانه ودلالة الحال عليه
وعلى نحو من ذلك ينبغي أن تكون محذوفات الكلام (الضرب الثالث)
حذف المفعول به وذلك مما نحن بصدده أخص فإن اللطائف فيه أكثر وأجوب
كقوله **فانا فلان محلى** ويعقد ويعرم وينقض ويضر وينفع والاصل في ذلك
على اثبات المعنى المقصود في نفسك للشيء على الإطلاق وعلى هذا جاء قوله تعالى
وانه هو **أضرك وأبكى** وأنه هو **أما وأحيى** ومن بديع ذلك قوله عز وجل
ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسهقون ووجد من دونهم
امراأتين تزدودان قال ما خطبكما قالتا لانسى حتى يصدر الرعاء وأبو ناسخ كبير
فسقى لهم ما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزات الى من خير فقير فان في هاتين
الآيتين قد حذف المفعول به في أربعة أماكن اذا المعنى وجده أمة من الناس
يسهقون مواشيهم وامراأتين تزدودان مواشيهم وقالتا لانسى مواشيها فسقى
لهم مواشيها لان الغرض أن يعلم أنه كان من الناس سقى ومن الامراأتين ذود
وأنهم ما قالتا لا يكون مناسق حتى يصدر الرعاء وأنه كان من موسى عليه السلام
بعد ذلك سقى فأما كون المسقى غنما أو ابلا أو غير ذلك فخارج عن الغرض وقد
ورد في الشعر من هذا النوع قول البعيث بن حريث من أبيات الحماسة

دعاني يزيد بعد ما ساء ظنه * وعبس وقد كانا على جنة منكب

وقد علما أن العشيرة كلها * سوى محضرى من حاضر بن وغيب

فالْمفعول الثاني من علما محذوف لان قوله أن العشيرة في موضع مفعول علما
الاول وتقدير الكلام قد علما أن العشيرة سوى محضرى من حاضر بن وغيب
لا غناء عندهم أو سواء حضورهم وغيبتهم أو ما جرى هذا المجرى (ومن هذا
الضرب أيضا) حذف المفعول الوارد بعد المشبهة والارادة كقوله تعالى
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ففعلول شاء ههنا محذوف وتقديره
ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهم او على نحو من ذلك جاء قوله
تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى (ومما جاء على مثال ذلك شعرا قول البحتري)
لو شئت لم تفسد سماعة حاتم * كرماء لم تهدم ما أثر خاله

الاصل في ذلك لو شئت أن لا تفسد سماعة حاتم لم تفسدها فحذف ذلك من الاول
استغناء بدلالته عليه في الثاني وقد تقدم أن من الواجب في حكم البلاغة

أن لا تنطق بالحق ذوف ولا تظهروه الى اللفظ ولو أظهرت اصرت الى كلام غث
وحجى المشيئة بعدلو وبعد حروف الجزاء هكذا موقوفة غير معداة الى شيء كثير
شائع بين البلغاء ولقد تكاثرت هذا الحذف في شاء وأراد حتى انهم لا يكادون
يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله تعالى لو أراد الله أن يخذلنا
لاصطفى مما يخلق ما يشاء (وعلى هذا الاسلوب) جاء قول الشاعر

ولو شئت أن أبكي دما بكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فلو كان على حذو قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى لوجب أن يقول
ولو شئت أبكيت دما ولكنه ترك تلك الطريقة وعدل الى هذه لانه أليق في هذا
الموضع وسبب ذلك أنه كان بدعا مجيما أن يشاء الانسان أن يبكي دما فلما كان
مفعول المشيئة مما يستعظم ويستغرب كان الاحسن أن يذكر ولا يضمر (الضرب
الرابع) وهو حذف المضاف والمضاف اليه واقامة كل واحد منهما مقام
الاخر وذلك باب عريض طويل شائع في كلام العرب وان كان أبو الحسن
الاخفش رحمه الله لا يرى القياس عليه (فأما حذف المضاف) فكقوله تعالى
حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فحذف المضاف
الى يأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية في قوله تعالى
واسئل القرية أى أهل القرية (ومن ذلك أيضا) قوله عز وجل ولكن البر
من اتقى أى خصلة من اتقى وان شئت كان تقديره ولكن ذا البر من اتقى والاول
أولى لان حذف المضاف ضرب من الاتساع والخبر أولى بذلك من المبتدأ
لان الاتساع يحذف الاجاز أولى منه بحذف الصدور وقد حذف المضاف
مكررا في قوله تعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول أى من أثر حافر فرس الرسول
وهذا الضرب أكثر اتساعا من غيره (ومما جاء منه شعرا) قول بعضهم
من شعراء الحماسة

اذا لقيت قومي فاسأليهم * كفى قوما بصاحبهم نجيبا

هل عفو عن أصول الحق فيهم * اذا عسرت واقطع الصدورا

أراد أنه يقطع ما في الصدور من الضغائن والاوغام أى ينزل ذلك باحسانه
من عفو وغيره فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه (وأما حذف المضاف
اليه) فانه قليل الاستعمال فمما جاء منه قوله تعالى لا امر من قبل ومن بعد

أى من قبل ذلك ومن بعده وربما أدخل في هذا الموضع ما ليس منه كقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة قيل أراد ظهر الأرض فحذف المضاف إليه وليس كذلك فإن الهاء والالف قائمة مقام الأرض ألا ترى أن قوله يظهرها يريد به الأرض لأنه ضمير راجع إليها وكذلك ورد قول جرير

إذا أخذت قيس عليك وخندف * بأنظارها لم تدر من أين تسيرج
وهذا اللمح إيجازاً وإنما هو تعريض بالضمير عن الضمير (الضرب الخامس) وهو حذف الموصوف والصفة وإقامة كل منهما مقام الآخر ولا يكون أطراده في كل موضع وأكثره يجرى في الشعر وإنما كانت كثرة في الشعر دون الكلام المتيقن لا امتناع القياس في أطراده (فما جاء منه في الشعر) قول الجعفي من أبيات في صفة أيوان كسرى فقال في ذكر التصاوير التي في الأيوان وذلك أن الفرس كانت تحارب الروم فصوروا صورة مدينة انطاكية في الأيوان وحرب الروم والفرس عليها فجاء ذكره في ذلك قوله

وإذا ما رأيت صورة انطا * كبة ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وأنوش * وإن يرى المصوف تحت الدرس
في أخضرار من اللباس على أصفر يختمال في صبغة ورس
فقوله على أصفر رأى على فرس أصفر وهذا مفهوم من قرينة الحال لأنه لما قال على أصفر علم بذلك أنه أراد فرساً أصفر والصفة تأتي في الكلام على ضربين أحدهما كيد والتخصيص والجمال المدح والذم وكلاهما من مقامات الاسهاب والتطويل لامن مقامات الإيجاز والاختصار وإذا كان الأمر كذلك لم يلحق الحذف به هذا مع ما يضاف إليه من الالتباس وضد البيان ألا ترى أنك إذا قلت مررت بطويل لم يبين من هذا اللفظ الممرور به إنسان هو أم رخ أم ثوب أم غير ذلك وإذا كان الأمر على هذا لحذف الموصوف إنما هو شيء عام الدليل عليه أو شهدت به الحال وإذا استهم كان حذفه غير لائق ومما يؤكده عندك ضعف حذفه أنك تجد من الصفات ما لا يمكن حذف موصوفه وذلك أن تكون الصفة جملة نحو مررت برجل قام أبوه واقبت غلاماً وجهه حسن ألا ترى لو قلت مررت بقم قام أبوه واقبت وجهه حسن لم يجز (وقد ورد) حذف الموصوف

واقامة الصفة مقامه في غير موضع من القرآن الكريم كقوله تعالى وآتيناهم
 الناقية مبصرة فانه لم يرد أن الناقية كانت مبصرة ولم تكن عمياء وانما يريد آية
 مبصرة فحذف الموصوف واقام الصفة مقامه ولقد تأملت حذف الموصوف
 في مواضع كثيرة فوجدت أكثر وقوعه في النداء وفي المصدر أما النداء فكقوله
 يا أيها الظريف بتقديره يا أيها الرجل الظريف وعليه ورد قوله تعالى يا أيها الساهر
 بتقديره يا أيها الرجل الساهر وكذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا بتقديره
 يا أيها القوم الذين آمنوا وأما المصدر فكقوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه
 يتوب الى الله متابا بتقديره ومن تاب وعمل صالحا وقد أقيمت الصفة الشبهة
 بالجملة مقام الموصوف المبني في قوله تعالى وانما الصالحون ومنادون ذلك
 أي قوم دون ذلك (وأما حذف الصفة واقامة الموصوف مقامها) فانه أقل
 وجودا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ولا يكاد يقع في الكلام
 الا نادرا المكان استقامه (فن ذلك ما حكاه سيبويه رحمه الله) من قولهم سير عليه
 ليل وهم يريدون ايل طويل وانما حذف الصفة في هذا الموضع لم يدل من الحال
 عليه وذلك أنه يحسن في كلام القائل لذلك من التطريح والتطويح والتخيم
 والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل وأنت تحسن هذا من نفسك اذا تأملتته وهو
 أن يكون في مدح انسان والثناء عليه فبقول كان والله رجلا أي رجلا فاضلا
 أو شجاعا أو كريما أو ماجرى هذا المجرى من الصفات وكذلك تقول سألتهم
 فوجدناه انسانا أي انسانا سمعا أو جوادا أو ما أشبهه فعلى هذا ونحوه تحذف
 الصفة فاما ان عريت عن الدلالة عليها من اللفظ أو الحال فان حذفها لا يجوز
 وقد تأملت حذفها فوجدته لا يسوغ الا في صفة تقدمها ما يدل عليها أو تأخر عنها
 أو فهم ذلك من شيء خارج عنها أما الصفة التي تقدمها ما يدل عليها فقوله تعالى
 أما السفينة فكأن لمساكين يعجلون في البحر فأردت أن أعيها وكان وراءهم
 ملك يأخذ كل سفينة غصبا فحذف الصفة أي كان يأخذ كل سفينة غصبة
 غصبا ويدل على المحذوف قوله فأردت أن أعيها فان عيها اياها لم يخرجها
 عن كونها سفينة وانما لما خوذ هو الصحيح دون المعيب فحذف الصفة ههنا لانه
 تقدمها ما يدل عليها وأما التي تأخر عنها ما يدل عليها فقول بعض شعراء الحنابلة
 كل امرئ سستيم منه * العرس أو منها يقيم

فانه أراد كل امرئ متزوج اذ دل عليه ما بعده من قوله ستقيم منه أو منها يقيم اذ
لا تقيم هي الامن زوج ولا يقيم هو الامن زوجة فجاء بعد الموصوف ما دل عليه
ولو لا ذلك لما صح معنى البيت اذ ليس كل امرئ يقيم من عرس ولا تقيم منه عرس
الا اذا كان متزوجا وأما ما يفهم حذف الصفة فيه من شئ خارج عن الكلام
فقول النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة بدار المسجد الا في المسجد فانه قد علم
بحواز صلاة بدار المسجد في غير المسجد من غير هذا الحديث فعلم حينئذ ان المراد به
الفضيلة والكمال وهذا شئ لم يعلم من نفس اللفظ وانما علم من شئ خارج عنه
(الضرب السادس) وهو حذف الشرط وجوابه (فأما حذف الشرط) فبحو
قوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فايأى فاعبدون فإلغاء
في قوله تعالى فاعبدون جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضي واسعة
فان لم تخلصوا الى العباداة في أرض فإلغاهما في غيرها ثم حذف الشرط وعوض
من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاختصاص
(ومن هذا الضرب) قوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه
ففدية أي شق ففدية فدية وكذلك قولهم الناس مجزيون بأعمالهم ان خير الخيرا
وان شرا شرأ أي ان فعل المرء خيرا جزى خيرا وان فعل شرأ جزى شرأ وعلى
شئ من ذلك جاء قوله تعالى ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر
تقدير ذلك فأفطر فعدة من أيام أخر ولهذا ذهب داود الظاهري الى الأخذ
بظاهر الآية ولم يتطرق الى حذف الشرط فأوجب القضاء على المريض والمسافر
سواء أفطر أو لم يفطر (ومن حذف الشرط) قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم
الجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم
والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم
لا تعلمون اعلم ان هذه الفاء التي في قول الشاعر فقد جئنا خراسانا وحقيقتها
أنها في جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام كأنه قال ان صح ما قلتم ان
خراسان أقصى ما يراد بشأ فقد جئنا خراسان وأن لنا أن نخلص وكذلك هذه
الآية يقول ان كنتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث أي قد بين بطلان
قولكم (وأما حذف جواب الشرط) فكقوله تعالى قل أرايتم ان كان من عند
الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله

لا يهدي القوم الظالمين فان جواب الشرط ههنا محذوف تقديره ان كان القرآن
 من عند الله وكفرتم به ألسن ظالمين ويدل على المحذوف قوله تعالى ان الله
 لا يهدي القوم الظالمين (الضرب السابع) وهو حذف القسم وجوابه فأما
 حذف القسم فحق قولك لا فعلت أى والله لا أفعل أن أو غير ذلك من الاقسام
 المحذوف فيها أو أمّا حذف جوابه فكقوله تعالى والفجر وبال عشر والشفع والوتر
 والليل اذ يسر هل في ذلك قسم لذي حجر ألم تركيف فعل ربك بعد ادم ذات
 العمامة التي لم يخلق مثلها في البلاد فجواب القسم ههنا محذوف تقديره
 ليعذبن أو ضحوه ويدل على ذلك ما بعده من قوله ألم تركيف فعل ربك بعد ادم
 قوله سوط عذاب (ومما ينتظم في هذا السلك) قوله تعالى ق والقرآن المجيد
 يحبوا أن جاءهم مذكور منهم فقال الله كافرين هذا شئ عجيب فان معناه
 ق والقرآن المجيد لتبينن والشاهد على ذلك ما بعده من ذكر البعث في قوله
 أنذامتنا وكاترا با ذلك رجوع بعيد (وقد ورد هذا الضرب في القرآن كثيرا)
 كقوله تعالى في سورة النازعات والنازعات غرقا والناشطات نشطا والساجدات
 ساجدا فالساجدات ساجدا فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة
 فجواب القسم ههنا محذوف تقديره لتبينن أو لتعشرين ويدل على ذلك ما أتى
 من بعده من ذكر القيامة في قوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وكذلك
 الى آخر السورة (الضرب الثامن) وهو حذف لوجوابها وذلك من أنطق
 ضروب الایجاز وأحسنها (فأما حذف لو) فكقوله تعالى ما اتخذ الله من ولد
 وما كان معه من الاله اذ ذهب كل الاله بما خلق واعلى بعضهم على بعض تقدير ذلك
 اذ لو كان معه آلهة لذهب كل الاله بما خلق (وكذلك) ورد قوله تعالى وما كنت
 تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذ الارتاب المبطون تقديره اذ لو
 فعلت ذلك لارتاب المبطون وهذا من أحسن المحذوفات (ومما جاء من ذلك)
 شعرا قول بعضهم في صدر الحساسة

لو كنت من مازن لم تستج ابلى * ينوال لقيطة من ذهل بن شيبان

اذا القام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذلوله لانا

فلو في البيت الثاني محذوف لانها في البيت الاول قد استوفت جوابها بقوله
 لم تستج ابلى ثم حذفها في الثاني وتقدير حذفها اذ لو كنت منهم لقام بنصرى

معشر خشن أو اذ لو كانوا قومي اقسام بنصري معشر خشن (واما حذف
 جواب لو) فانه كثير شائع وذلك كقولك لوزر ثنا لو الممت بنا معناه
 لا حسنا اليك أولا كرمناك أو ما جرى هذا المجري (ومما ورد منه في القرآن
 الكريم) قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب فأن
 جواب لو ههنا محذوف تقديره لرأيت أمرا عظيما وخالاهاتلة أو غير ذلك مما
 جرى مجراه (ومما جاء على نحو من هذا) قوله عز وجل ويقولون متى هذا الوعد
 ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
 ظهورهم ولا هم ينصرون تقديره لو يعلمون الوقت الذي يستجلونه وهو وقت
 صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقتهم ولا يقدر على دفعها عن
 أنفسهم ولا يجدون ناصر ينصرهم لما كانوا ابتلك الصفة من الكفر والاستهزاء
 والاستهجال ولكن جهلهم به هو الذي هو عليه علمهم (ومما يجري على هذا النهج)
 قوله تعالى لو أن لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد فجواب لو في هذا الموضع
 محذوف كما حذف في قوله تعالى ولو أن قرأ ناسيرت به الجبال أي لو أن لي بكم قوة
 لدفعتكم أو منعتكم أو ما أشبهه وكذلك قوله ولو أن قرأ ناسيرت به الجبال
 اسكان هذا القرآن وهذا الضرب من المحذوفات أظهر الضرر والمذكورة
 وأوضحها العلم المخاطب به لان قوله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام لو أن لي
 بكم قوة أو آوى الى ركن شديد يتسارع الفهم الى ان الكلام يحتاج الى
 جواب (ومما جاء منه شعرا) قول أبي تمام في قصيدته البائية التي يمدح بها
 المعتصم عند فتحه مدينة عمورية

لو يعلم الكائن من أعصر كنت له العواقب بين السمر والقضب
 فان هذا محذوف الجواب تقديره لو يعلم الكافر ذلك لأخذ أهبة الخذاير أو غير
 ذلك (واعلم) أن حذف هذا الجواب لا يسوغ في أي موضع كان من الكلام
 وانما يحذف ما دل عليه مكان المحذوف ألا ترى أنه قد ورد في القرآن الكريم
 غير محذوف كقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا
 انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وهذا ليس كالذي تقدم من الآيات
 لان تلك علم مكان المحذوف منها وهذه الآية لو حذف الجواب فيها لم يعلم
 مكانه لانه يحتمل وجوها منها أن يقال لما آمنوا أو لطلبوا ما وراء ذلك

وقد تقدم القول في أول باب الإيجاز أنه لا بد من دلالة الكلام على المحذوف
 (الضرب التاسع) وهو حذف جواب لولا (فإن ذلك قوله تعالى) والذين يرمون
 أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم فشهدوا أحدهم أربع شهادات بالله أنه
 لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين ويدبر أعينها
 العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله
 عليها إن كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم
 لجواب لولا ههنا محذوف تقديره لما أنزل عليكم هذا الحكم بطريق التلاعن
 وستر عليكم هذه الفاحشة بسببه (وكذلك ورد قوله تعالى) إن الذين يجهلون
 أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله
 يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم تقديره
 ولولا فضل الله عليكم ورحمته لجهل لكم العذاب أو فعل بكم كذا وكذا (الضرب
 العاشر) وهو حذف جواب لما وجواب أما (فأما حذف جواب لما) فكقوله
 تعالى فلما أسلموا وله للجهنم ونادى نساءه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك
 نجزي المحسنين فإن جواب لما ههنا محذوف وتقديره فلما أسلموا وله للجهنم
 ونادى نساءه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا
 يحيط به الوصف من استبشارهما واعتباطهما وشكرهما على ما أنعم به عليهما
 من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما أشبه ذلك مما اكتسب به هذه المحنة
 من عظام الوصف الدنيا والآخرة وقوله انما صدقت الرؤيا كذلك نجزي المحسنين تعليل
 لتحويل ما خولاهما من الفرح والسرور بعد تلك الشدة العظيمة (وأما حذف
 جواب أما) فهو قوله تعالى فأما الذين أسودت وجوههم أ كفرتم بعد إيمانكم
 (الضرب الحادي عشر) وهو حذف جواب إذا فما جاء منه قوله تعالى
 وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وماتت أيهم من
 آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ألا ترى كيف حذف الجواب عن إذا
 في هذا الكلام وهو مدلول عليه بقوله إلا كانوا عنها معرضين كأنه قال وإذا
 قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا ثم قال ودأبهم الأعراض عن
 كل آية وموعظة (الضرب الثاني عشر) حذف المبتدأ والخبر أما حذف
 المبتدأ فلا يكون إلا مفردا والآخر من هو حذف الخبر لأن منه ما يأتي جملة

كقوله تعالى واللاي يئسن من المحيض من نسائكُم ان ارتبتم فعذبتهم ثلاثة
أشهر واللاي لم يحضن وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن وههنا قد
حذف خبر المبتدأ وهو جملة من مبتدأ وخبر وتقديرها واللاي لم يحضن فعذبتهم
ثلاثة أشهر (ومما ورد منه شعرا) قول أبي عبادة الهذلي

كل عذر من كل ذنب ولكن * أعوز العذر من يياض العذار
وهذا قد حذف منه خبر المبتدأ الا أنه مفرد غير جملة وتقديره كل عذر من كل
ذنب مقبول أو مسعور أو ما جرى هذا الجرى (الضرب الثالث عشر) وهو
حذف لامن الكلام وهي مرادة وذلك كقوله تعالى قالوا تالله تفتو تذكر
يوسف يريد به لا تفتو أي لا تزال فتدفع لامن الكلام وهي مرادة (وعلى هذا)
جاء قول امرئ القيس

فقلت عين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي لذيك وأوصالي
أي لا أبرح قاعدا حذف لافي هذا الموضع وهي مرادة (ومما جاء منه) قول
أبي حنبل الثقفي لما سمع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن شرب الخمر وهو
أذال في قتال الفرس بالقادسية

رأيت الخمر صالحة وفيها * مناقب تم لك الرجل الحليما
فلا والله أشربها حينئذ * ولا أسقي بها أبدا ندما
يريد لا أشربها حذف لامن الكلام وهي مفهومة منه (الضرب الرابع عشر)
وهو حذف الواو من الكلام وإثباتها وأحسن حذفها في المعطوف
والمعطوف عليه وإذا لم يذكر الطرف المعطوف به كان ذلك بلاغة وإيجازا
كقول أنس بن مالك رضي الله عنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشامون ثم يصلون ولا يتوضئون أو قال ثم يصلون ولا يتوضئون فقوله لا يتوضئون
يحذف الواو أبلغ في تحقيق عدم الوضوء من قوله ولا يتوضئون بإثباتها كأنه
جعل ذلك حالة لهم لازمة أي أنهم إذا دخلوا في الجملة وليست جملة خارجة عن
الأولى لأن واو العطف توذن بانفراد المعطوف عن المعطوف عليه وإذا
حذفت في مثل هذا الموضع صار المعطوف والمعطوف عليه جملة واحدة وقد
جاء مثل ذلك في القرآن الكريم وذلك أنه يذكر جمل من القول كل واحدة
منها مستقلة بنفسها ثم تسرد سر دابغ غير عاطف كقوله تعالى يا أيها الذين

آمنوا لا تقضوا بطلانة من دونكم لا يألونكم خبالا وودوا ما عنتم قد بدت البغضاء
 من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر تقدير هذا الكلام لا يألونكم خبالا
 وودوا ما عنتم وقد بدت البغضاء من أفواههم فلما حذف الواو جاء الكلام
 أوجزوا حسن طلاوة وأبلغ تأليفا ونظما وأمثاله في القرآن الكريم **كثير**
 (واعلم) أنه قد حذف الواو وأثبتت في مواضع فأما اثباتها فنحو قوله تعالى
 وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم وأما حذفها فهو قوله تعالى
 وما أهلكنا من قرية إلا الهام منذرون وعلى هذا فلا يجوز حذف الواو وإثباتها
 في كل موضع وإنما يجوز ذلك فيما هذا سبيله من هاتين الآيتين (والنبي لك
 في ذلك ريبا تتبعه فنقول اعلم) أن كل اسم فمكرة جاء خبره بعد لا يجوز
 إثبات الواو في خبره وحذفها كقولك ما رأيت رجلا لا وعليه ثياب وان شئت
 قلت لا عليه ثياب بغير واو فإن كان الذي يقع على المكرة ناقصا فلا يكون
 إلا بحذف الواو فنحو قولك ما أظن درهما إلا هو كافيك ولا يجوز إلا وهو كافيك
 بالواو لأن الظن يحتاج إلى شيئين فلا يعترض فيه بالواو لأنه يصير كالمكتفى من
 الأفعال باسم واحد وكذلك جواب ظننت وكان وإن وأشباهها فخطأ أن تقول
 إن رجلا وهو قائم ونحو ذلك ويجوز هذا في ليس خاصة تقول ليس أحد إلا وهو
 قائم لأن الكلام يتوهم تمامه بليس وبحرف فمكرة ألا ترى أنك تقول ليس أحد
 وما من أحد فجاز فيها إثبات الواو ولم يجوز في أظن لأنك لا تقول ما أظن أحد
 فأما أصبح وأمسى ورأى فإن الواو فيه تأسمى لأنهن توأم في حال وكان وأظن
 ونحوهما يبين على النقص إذا كانت تامة وكذلك لافي التنزيه وغيرها نحو
 لا رجل وما من رجل فيجوز إثبات الواو فيها وحذفها (واعلم) أن العرب
 قد حذفوا من أصل اللفاظ شيئا لا يجوز القياس عليه كقول بعضهم
 كان ابريقهم ظبي على شرف * مقدم بسبب المكان معلوم
 فقوله بسبب المكان يريد بسببائب المكان وكذلك قول الآخر
 بدر بن جندل حائر بطنو بها * فكأنما تذكر سنايكها الحبا
 فهذا وأمثاله مما يعجز ولا يحسن وإن كانت العرب قد استعملته فإنه لا يجوز لنا
 أن نستعمله (وأما القسم الثاني من الإيجاز) فهو ما لا يحذف منه شيء (وذلك
 ضربان أحدهما) ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقدير (والآخر) ما زاد معناه

هل لفظه ويسمى الایجاز بالتصريح (فأما الایجاز بالتقدير) فإنه الذي يمكن التعبير
 عن معناه بمثل ألفاظه وفي عتبتها (وأما الایجاز بالقصر فإنه ينقسم قسمين
 أحدهما) ما دل لفظه على محتملات متعددة وهذا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه
 وفي عتبتها (والآخر) ما يدل لفظه على محتملات متعددة ولا يمكن التعبير عنه
 بمثل ألفاظه وفي عتبتها لا بل يستحيل ذلك (وانورد الآن الضرب الأول الذي
 هو الایجاز بالتقدير) فما جاء منه قوله تعالى قتل الانسان ما كفره من أي شيء
 خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره
 كالما يقض ما أمره فتدوله قتل الانسان دعاء عليه وقوله ما كفره تعجب من
 إفراطه في كفران نعمة الله عليه ولا نرى أسلوباً أغلظ من هذا الدعاء والتعجب ولا
 أششن مساوياً أدل على منخط مع تقارب طرفيه ولا أجمع للأئمة على قصر مثنى
 ثم انه أخذ في صفة حاله من ابتداء حدوثه الى منتهى زمانه فقال من أي شيء خلقه
 ثم بين الشيء الذي خلق منه بقوله من نطفة خلقه فقدره أي هيأه لما يصلح له
 ثم السبيل يسره أي سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذي يختار
 سلوكه من طريق الخير والشر والأول أولى لانه تال لخلقته وتقديره ثم بعد ذلك
 يكون تيسير سبيله لما يختاره من طريق الخير والشر ثم أماته فأقبره أي جعله ذا قبر
 يوارى فيه ثم إذا شاء أنشره أي أحياء كالاردع للانسان عما هو عليه لما
 يقض ما أمره أي لم يقض مع تطاول زمانه ما أمره الله به يعني أن انساناً لم يخل
 من تقصير قط ألا ترى الى هذا الكلام الذي لو أردت أن تحذف منه كلمة واحدة
 لما قدرت على ذلك لانك كنت تذهب بجزء من معناه والایجاز هو أن لا يمكنك أن
 تسقط شيئاً من ألفاظه (والآيات الواردة من هذا الضرب كثيرة) كقوله تعالى
 فن جاءه موعدة من ربه فاتقها فله ما سلف فقوله فله ما سلف من جوامع الكلام
 ومعناه أن خطاياها الماضية قد غفرت له وتاب الله عليه فيها الآن قوله فله ما سلف
 أبلغ أي أن السالف من ذنوبه لا يكون عليه انما هو له وكذلك ورد قوله تعالى
 من كفر فعليه كفره فعليه كفره كلمة جامعة تغني عن ذكر ضرب من العذاب
 لأن من أحاط به كفره فقد أحاطت به كل خطيئة وعلى نحو من هذا جاء قوله
 تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
 والمنكر **﴿روا البني يعظكم الله﴾** ثم تذكرون فهذه الآية من جوامع الآيات

الواردة في القرآن الكريم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على
الوليد بن المغيرة فقال له يا ابن أخي أعد فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم قراءتها
عليه فقال له إن له لحلاوة وإن له لعلامة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق
وما هو بقول البشر (ومن هذا النحو) قوله تعالى وإنا قد خلقنا الإنسان ونعلم
ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين
وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت
بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل
نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصر لك اليوم حديد وهذه الآيات من قوارع القرآن المجيبة التي دلت على
تخويف وارهاب ترقله القلوب وتتشعر منه الجلود وهي مشتملة مع قصرها على
حال الانسان منذ خلقه الى حين حشره وحشر غيره من الناس وتصوير ذلك
الامر القاطع في أسهل لفظ وأقرب به وما مررت عليها إلا جددت لي موعظة
وأحدثت عندي إيقاظا (ومن هذا الضرب) ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم
في دعائه لأبي سلمة عند موته فقال اللهم ارفع درجته في المهتدين وأخلفه
في عقبه في الغابرين لئلا يارب العالمين وهذا دعاء جامع بين الإيجاز وبين
مناسبة الحال التي وقع فيها فأوله مفتتح بالمهم الذي يفتقر اليه المدعوه في ثلاث
اظلال وهو رفع درجته في الآخرة وثانيه مردف بالمهم الذي يؤثره المدعوه من
صلاح حال عقبه من بعده في الدنيا وثالثه مختتم بالجمع بين الداعي والمدعوه
وهذا من الإيجاز البليغ الذي هو طابق ما قصده وكلام النبي صلى الله عليه وسلم
كأنه هكذا كما قال أوتيت جوامع الكلام وكذلك ورد قوله صلى الله عليه وسلم
يوم يدر فانه قال هذا يوم له ما بعده وهو شبهه بقوله تعالى فله ما سلف (ولما جرح
عمر بن الخطاب رضي الله عنه) الجراحة التي مات بها الجرح اليه الناس فجاءه
شاب من الانصار وقال أبا بشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله
وقدم في الاسلام ما علمت ووليت فعدلت ثم شهادة وهذا كلام شديد قد حوى
المعنى المقصود وأتى به في أوجز لفظ وأحسنه ومع ما فيه من الإيجاز فانه
مستغرب وسبب استغرابه أنه جعل المساءة بشرى وأخرجها مخرج المسرة
وتلطف في ذلك فأبلغ ولو أراد الكاتب البليغ والخطيب المصقع أن يأتي بذلك

على هذا الوجه لأعوزه (ومن هذا الخط) ما كتبه طاهر بن الحسين إلى
 المأمون عند لقائه عيسى بن ماهان وهزمه أيام وقته فكتب إليه كتابي إلى
 أمير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين يديه وخاتمة في يدي وعسى ذكره
 مصروف تحت أمري والسلام وهذا من الكتب المختصرة التي حوت الغرض
 المطول وما يكتب في هذا المقام مثله (ولما أرسل المهلب بن أبي صفرة) أبا الحسن
 المدايني إلى الحجاج بن يوسف يخبره أخبار الأزارقة كلمة كلاما موجزا كالذي نحن
 بصدد ذكره هنا وذلك أن الحجاج سأله فقال كيف تركت المهلب فقال أدرك
 ما أتل وأمن مما خاف فقال كيف هو بخدمته قال والدروغ قال كيف بخدمته
 قال أولاد بريرة قال كيف رضاهم عنه قال وسبعهم بفضله وأغناهم بعمده قال
 كيف تصنعون إذا لقيتم العدو قال نلقاهم بجندنا ويلتونا بجندهم قال كذلك
 الجند التي الجند قال فأخبرني عن بني المهلب قال هم أحلاس القتال بالليل
 سماعة السريح بالنهاري قال أيهم أفضل قال هم كحكمة مضروبة لا يعرف طرفاها
 فقال الحجاج بل لسانه هذا والله هو الكلام الفصل الذي ليس بصنوع (وقد ورد
 في الأخبار النبوية من هذا الضرب شيء كثير) وسأورد منه أمثلة تيسيرة
 فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور
 متشابهات وهذا الحديث من أجمع الأحاديث للمعاني الكثيرة وذلك أنه يشتمل
 على جل الأحكام الشرعية فإن الحلال والحرام إنما يكون الحكم فيهما ما بينا
 لا خلاف فيه بين العلماء وإنما أن يكون خافيا يتجاوز التاويلات فكل منهم
 يذهب فيه مذهبا (وكذلك) جاء قوله صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات
 وأعمال الكل امرئ ما نوى فإن هذا الحديث أيضا من جوامع الأحاديث للأحكام
 الشرعية (ومن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم المضعف أمير الركب وقد ورد
 آخر هذا الحديث بألفاظ آخر فقال صلى الله عليه وسلم سيروا بسير أضعفكم
 إلا أن الأول أحسن لأنه أبلغ معنى فإن الأمير واجب الحكم فهو يتبع وإذا كان
 المضعف أمير الركب كانوا مؤتمرين له في سيرهم ونزولهم وهذا المعنى لا يوجد
 في قوله سيروا بسير أضعفكم (وأحسن من هذا كله) ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم
 في حديث مطول يتضمن سؤال جبريل عليه السلام فقال من جملته
 ما الأحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فقوله تعبد الله

كانت تراء من جوامع الحكم لانه ينوب مناب كلام كثير كانه قال تعبد الله
مخلصا في نيتك واقفا عنه دأب الطاعة من الخضوع والخشوع آخذا أهبة الخذر
وأشبهاء ذلك لان العبد اذا خدم مولاه ناظرا اليه اسست قصي في آداب الخدمة
بكل ما يجسد اليه السبيل وما ينتهي اليه الطوق (وعما أطر بني من ذلك) حديث
الحديبية وهو انه جاء بدليل بن ورقاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
اني تركت كعب بن اوى بن عامر بن اوى معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلون
وصادونك عن البيت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان قريشا قد نهكهم الحرب
فان شاؤا ماددناهم مدة ويدعوا بيني وبين الناس فان أظهر عليهم وأحبوا أن
يدخلوا فماددناهم مدة ويدعوا بيني وبين الناس فان أظهر عليهم وأحبوا أن
لاقاتلهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفى هذه ولينفذن الله أمره وهذا
الحديث من جوامع الحكم وهو من الفصاحة والبلاغة على غاية لا ينتهى اليها
وصف الواصف (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فقول النابغة

وانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

وتخص به الليل دون النهار مما يستل عنه وكذلك قوله

ولست بمستبق أخالاته * على شعث أى الرجال المهذب

(وعلى هذا الاسلوب) ورد قول الاعشى في اعتذاره الى أوس بن لام عن هجائه

اياهم * واني على ما كان منى لنادم * واني الى أوس بن لام التائب

واني الى أوس ليقبل عذري * ويصفح عني ما حبيت لراغب

فهب لي حياقي فالجياة لقائم * بشكر لذيها خير ما أنت واهب

سامح وبعذخ فيك اذا أنا صادق * كتاب هجاء سار اذا أنا كاذب

وهذا من المعاني الشريفة في الاقفاط الخفيفة وهو من طنائات الاعشى

المشهوره (وعلى نحو منه) جاء قول الفرزدق

صحبناهم الشعث الجياد كأنها * قطاهيجه يوم ربح أجاده

الى كل سحر قد خطبنا بياتهم * بأرعن جزار كثير صواهل

اذا ما التقينا أنكجتنا رماحنا * من القوم ابكارا كراما عاتله

وانا لمناعون تحت لوائنا * جانا اذا ما غاب السيف حامله

وهذا من محاسن ما يجي في هذا الباب (وعما يجرى هذا الجرى) قول جرير

تمنى رجال من تميم متبني * وما زاد عن احسابهم ذائده منى
فلو شاء قومي كان حلمي فيهم * وكان على جهال أعدائهم منى
(وكذلك) ورد قوله متغزلا وهو من محاسن أقواله

سرت الهوموم فبتن غير نيام * وأخوالهم يوم يروم كل مرام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الاقوام
ولقد أراك وأنت جادعة الهوى * أثنى بعهدك خير دار مقام
طرقك صائدة القلوب فليس ذا * حين الزيارة قاربني بسلام
تجري السؤال على أغتر كأنه * برد تحت در من متون غمام
لو كان عهدك كالذي حدثنا * لو صلت ذلك فكان خير زمام
ولقد أراني والجديد الى بلى * في موكب طرف الحديث كرام
لولا مراقبة العيون أريتنا * حديق المها وسوا الف الآرام
واذا صرفن عيونهن بنظرة * نفدت نوافذها بغير سهام
هل تنفعنك ان قتلن مرقشا * أو ما فعلن بعروة بن حزام
وحلاوة هذا الكلام أحسن من إيجازه ولقد اعوز غيره أن يأتي بمثله حتى أقتر
بأعوازه (ومن باب الإيجاز الذي يسمى التقدير) قول علي بن جبلة
وما لامرئى حاولته عنك مهرب * ولو حاولته في السماء المطالع
بلى هارب ما يتدى مكانه * ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع
فهذا هو الكلام الذي ألفنا ظله وفاق معانيه فإنه قد اشتمل على مدح رجل
بشمول ملكه وعموم سلطانه وأنه لا مهرب عنه لمن يحاوله وإن صعد السماء ثم ذكر
جميع المهارب في المشارق والمغارب وأشار إلى أنه يباغ الظلام والضياء وذلك
مما لم تزد عبارته على المعنى المندرج تحتها ولا قصرت عنه ومن هذا الضرب
قول أبي نواس وهو من نادر ما يأتي في هذا الموضع

ودارنداي عطسوها وأدبلوها * بها أثر منهم جديده ودارس
مساحب من بحر الرقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جنى ويا بس
حبست بها صبي فحدثت عهدهم * واني على أمثال تلك الحباس
تداو علينا الزاح في عسجدية * بعينها بأنواع التصاوير فارس
قد راد بها كسرى وفي جنباتها * مها تدرجها بالقسي القوارس

فلما راح ما زرت عليه جيو بها * ولما ما دارت عليه القلائس
(وعما انتهى الى من اخبار ابن المزرع) قال سمعت الجاحظ يقول لا أعرف شعرا
يفضل هذه الابيات التي لا تبي نواس واقد أنشدتها أباشعيب القلال فقال والله
يا أباعثمان ان هذا هو الشعر ولون قرطون فقاتله ويحك ما تفارق عمل الجرار
والخزف ولعمري ان الجاحظ عرف فوصف وخبر فتكر والذي ذكره هو الحق
(وعلى هذا الاسلوب) جاء قول أبي تمام

ان القـوافي والمـساعي لم تزل * مثل النظام اذا اصاب قريدا
هي جوهر نثر فان الفـتـسـبـه * بالشعر صار قلائدا وعقودا
في كل معترك وكل مقامة * يأخذن منه ذمّة وعهودا
فاذا القصائد لم تكن خفـراءها * لم ترض منها مشهدا مشهودا
من أجل ذلك كانت العرب الاولى * يدعون هذا سودا محدودا
وتسند عندهم العـلا الاعلا * جعلت لها صرا القريض قيودا
(وأما الضرب الثاني) وهو الايجاز بالقصر فان القرآن الكريم ملآن منه
وقد تقدم القول أنه قسمان أحدهما ما يدل على محققات متعددة فمن ذلك قوله
تعالى واقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا
لا تخاف دركاً ولا تخشى فأتبعهم فرعون يحنود فغشيهم من اليمّ ما غشيهم
وأضلّ فرعون قومه وما هدى فقوله فغشيهم من اليمّ ما غشيهم من جوامع
الكلم التي يستدل على قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم من الامور الهائلة
والخطوب الفاسدة ما لا يعلم كنهها الا الله ولا يحيط به غيره (ومن هذا الضرب)
قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین فجمع في الآية جميع
مكارم الاخلاق لان في الامر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن الغيبة
وعن الكذب وغض الطرف عن المحرمات وغير ذلك وفي الاعراض عن
الجاهلین الصبر والحلم وغيرهما (وقال بعض الاعراب) في دعائه اللهم هب لي حقل
وأرض عني خلقت فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا هو البلاغة (ومن ذلك)
قوله عز وجل أو ائلكم الامن فانه دخل تحت الامن جميع المحبوبات وذلك
أنه نقيضه أن يخافوا شيئا من الفقر والموت وزوال النعمة ونزول النعمة وغير
ذلك من أصناف المكاره وأشياء هذا في القرآن الكريم كثيرة فهو يكثر في بعض

الصور ويقل في بعض قال النبي صلى الله عليه وسلم لم من شاء يرتع في الرياض
 الا نأتق فعله بآل حم (ومن ذلك) قول النبي صلى الله عليه وسلم الخراج
 بالضمان وذلك ان رجلا اشترى عبدا فأقام عنده مدة ثم وجد به عيبا فخاصم
 البائع الى النبي صلى الله عليه وسلم فرده عليه فقال يا رسول الله انه استغفل غلاهي
 فقال الخراج بالضمان ومعنى قوله الخراج بالضمان أن الرجل اذا اشترى عبدا
 فاستغله ثم وجد به عيبا داسه عليه البائع فله أن يردّه ويسترجع الثمن جميعه ولو
 مات العبد أو أبق أو سرقه سارق كان في مال المشتري وضمانه عليه واذا كان
 ضمانه عليه فخر اجماله أي له ما يحصل من أجرة عمله (وأما ما ورد شعرا) فقول
 السجوال بن عادي الغساني من جلة آياته اللامية المشهورة وذلك قوله منها
 وان هو لم يحمل على النفس ضيها * فليس الى حسن الثناء سبيل
 فان هذا البيت قد اشتمل على مكارم الاخلاق جميعها من سماحة وشجاعة
 وعفة وتواضع وحلم وصبر وغير ذلك فان هذه الاخلاق كلها من ضيم النفس لانها
 تجدد بحملها ضيما أي مشقة وعناء وقد تقدم القول أن الايجاز بالقصر يكون
 فيما تضمن لفظه محتملات كثيرة وهذا البيت من ذلك القبيل ولا أعلم أن شاعرا
 قديما ولا حديثا أتى بمثله وقد أخذ أبو تمام فأحسن في أخذه وهو
 وظلت نفسك طالبا انصافها * فحجبت من مظلومة لم تظلم
 فصار في بيته هذا بالمقابل بين الضميين في الظلم والانصاف ثم قال فحجبت
 من مظلومة لم تظلم وهذا أحسن من الاول ومعنى قوله ظلت نفسك طالبا
 انصافها أي أنك أكرهتها على مشاق الامور واذا فعلت ذلك فقد ظلمتها ثم أنك
 مع ظلمك اياها قد أنصفتها لانك جلبت اليها أشياء حسنة تكسبها ذكرا جليلا
 ومجسدا مؤثلا فأنت منصفها في صورة ظالم وكذلك قوله فحجبت من مظلومة
 لم تظلم أي أنك ظلمتها وما ظلمتها لان ظلمك اياها أدى الى ما هو جميل حسن وهذا
 القدر في الامثلة كاف في هذا الباب (القسم الآخر من الضرب الثاني
 في الايجاز بالقصر) وهو الذي لا يمكن التعبير عن ألفاظه باقفا أخرى
 مشابها وفي عديتها وهو أعلى طبقات الايجاز مكانا وأعوزها مكانا واذا وجد
 في كلام بعض البلغاء فاعلم بوجوده شاذنا درا (فمن ذلك) ما ورد في القرآن
 الكريم كقوله تعالى ولكم في القصص حياة فان قوله تعالى القصص حياة

لا يمكن التعبير عنه إلا باللفظ كقوله لا يمكن التعبير عنه إلا باللفظ كثيرة لأن معناه أنه إذا قتل القاتل امتنع غيره
عن القتل فأوجب ذلك حياة للناس ولا يلتفت إلى ما ورد عن العرب من قواهم القتل أننى للقتل فإن من لا يعلم يظن أن هذا على وزن الآية وليس كذلك بل
بينهما فرق من ثلاثة أوجه (الاول) أن القصاص حياة لفظتان والقتل أننى
للقتل ثلاثة ألفاظ (الوجه الثاني) أن في قواهم القتل أننى للقتل تكرير ليس
في الآية (الثالث) أنه ليس كل قتل نافيا للقتل إلا إذا كان على حكم القصاص
وقد صاغ أبو تمام هذا المعنى الوارد عن العرب في بعض بيت من شعره فقال
وأخافكم كي تغمدوا أسيا فكم * إن الدم المغبر يحرسه الدم

فقوله إن الدم المغبر يحرسه الدم أحسن مما ورد عن العرب من قواهم القتل أننى
للقتل (ويروى) عن معن بن زائدة أنه سأله أبو جعفر المنصور فقال له أيما أحب
إليك دولتنا أو دولتي أمية فقال ذلك إليك فقوله ذلك إليك من الإيجاز
بالقصر الذي لا يمكن التعبير عنه إلا باللفظ كثيرة لأن معنى قوله ذلك إليك
وهو لفظتان أنه إن زاد أحسانك على أحسان بني أمية فأنتم أحب إلى وهذه
عشرة ألفاظ (فإن قيل) كيف لا يمكن التعبير عن الألفاظ بألفاظ أخرى مثلها
وفي عديتها وفي المترادف من الألفاظ ما هو دليل على خلاف ذلك فإنه إذا قيل
راح ثم قيل مدامة أو سلافة كان ذلك سواء وقامت هذه اللفظة مقام هذه اللفظة
(قلت) في الجواب ليس كل الألفاظ المترادفة يقوم بعضها مقام بعض
ألا ترى أن لفظ القصاص لا يمكن التعبير عنه بما يؤول مقامها ولما عبر عنها
بالقتل في قول العرب القتل أننى للقتل ظهر الفرق بين ذلك وبين الآية في قوله
تعالى ولكم في القصاص حياة فالذي أردته أنا إنما هو الكلام الذي لا يمكن
التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها وفي عديتها فإن كان كذلك والافليس
داخلا في هذا القسم المشار إليه (النوع السادس عشر في الاطناب) هذا
النوع من الكلام أنعمت نظري فيه وفي التكرير وفي التطويل فليكن في حيزه
الشبه بيننا طويلا وكنت في ذلك كعمر بن الخطاب رضي الله عنه في الكلاله
حيث قال قد أعياني أمر الكلاله وكنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنها كثيرا حتى ضرب في صدري وقال ألا يكفيك أنه الصنف وبعد أن أنعمت
تظري في هذا النوع الذي هو الاطناب وجسدت ضربا من ضرب التأن كيد

الاطناب

قوله أنه الصنف كذا في الأصل ويجوز

التي يؤتى بها في الكلام قصد اللمب الغة ألا ترى أنه ضرب مفرد من بينها برأسه
لا يشترك فيه غيره لأن من التأ كيد ما يتعلق بالتقديم والتأخير كقديم المفعول
بالاعتراض كالاعتراض بين القسم وجوابه وبين المعطوف والمعطوف عليه
وأشبه ذلك وسما في الكلام عليه في بابيه وهذا الضرب الذي هو الاطناب ليس
كذلك (ورأيت علماء البيان قد اختلفوا فيه) فمنهم من ألقاه بالتطويل الذي هو
ضد الإيجاز وهو عنده قسم غير فاضل من حيث لا يدري كآبي هلال
العسكري والغامدي حتى أنه قال أن كتب الفتوح وما جرى مجراها مما يقرأ على
عوام الناس ينبغي أن تكون مطولة مطنبا فيها وهذا القول فاسد لأنه أن
عني بذلك أنها تكون ذات معان متعددة قد استقصى فيها شرح تلك الحادثة
من فتح أو غيره فذلك مسلم وإن عني بذلك أنها تكون مكررة المعاني مطولة اللفاظ
قصدا لفهام العامة فهذا غير مسلم وهو مما لا يذهب إليه من عنده أدنى
معرفة بعلم الفصاحة والبلاغة ويكفي في بطلانه كتاب الله تعالى فإنه لم يجعل
لخواص الناس فقط وإنما جعل لعوامهم وخواصهم وأكثره لأجل
جميعه مفهوماً اللفاظ للعوام الكلمات معدودة وهي التي تسمى غريب القرآن
وقد تقدم الكلام على ذلك في المقالة الأولى المختصة باللفاظ وعلى هذا فينبغي
أن تكون الكتب جميعها مما يقرأ على عوام الناس وخواصهم ذات ألفاظ سهلة
مفهومة وكذلك الأشعار والخطب ومن ذهب إلى غير ذلك فإنه بنجوة عن هذا
الفن وعلى هذا فإن الاطناب لا يختص به عوام الناس وإنما هو للخواص كما
هو للعوام وسأبين حقيقة في كتابي هذا وأحقق القول فيه بحيث تزول الشبهة
التي خبط أرباب علم البيان من أجلها وقالوا أقوالا لا تعرب عن فائدة (والذي
عندي فيه) أنه إذا رجعنا إلى الأسماء واشتقاقها وجدنا هذا الاسم مناسبا
لمسماه وهو في أصل اللغة مأخوذ من أطنب في الشيء إذا بالغ فيه ويقال أطنبت
الريح إذا اشتدت في هبوبها وأطنب في السير إذا اشتد فيه وعلى هذا فإن
حملناه على مقتضى مسماه كان معناه المبالغة في إيراد المعاني وهذا لا يختص
بنوع واحد من أنواع علم البيان وإنما يوجد فيها جميعا إذا ما من نوع منها
الأو يمكن المبالغة فيه وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن يفرد هذا النوع من بينها
ولا يتحقق أفرادها إلا بذلك كرحمة الدال على حقيقة (والذي يحتمل أن يقال)

هو زيادة اللفظ على المعنى افائدة فهذا الذي يميزه عن التطويل اذا التطويل
هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة وأما التكرير فانه دلالة اللفظ على المعنى
مرتدا كقولك ان تستدعيه أسرع أسرع فان المعنى مرتد واللفظ واحد
وسيرد بيان ذلك مفصلا في باب بعد باب الاطناب لاني ذكرت الايجاز ثم الاطناب
ثم التكرير وهي أبواب يتبع بعضها بعضا واذا كان التكرير هو ايراد المعنى
مرتدا فانه ما يأتي لفائدة ومنه ما يأتي لغير فائدة فأما الذي يأتي لغير فائدة فانه
جزء من الاطناب وهو أخص منه فيقال حينئذ ان كل تكرير يأتي لفائدة فهو
اطناب وليس كل اطناب تكرير يأتي لفائدة وأما الذي يأتي من التكرير لغير
فائدة فانه جزء من التطويل وهو أخص منه فيقال حينئذ ان كل تكرير يأتي لغير
فائدة تطويل وليس كل تطويل تكرير يأتي لغير فائدة وكنت قد سمت القول
في باب الايجاز بان الايجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير زيادة عليه واذا
تقرررت هذه الحدود الثلاثة المشار اليها فان مثال الايجاز والاطناب والتطويل
مثال مقصود يسلك اليه في ثلاثة طرق فالأيجاز هو أقرب الطرق الثلاثة اليه
والاطناب والتطويل هما الطريقتان المتساويتان في البعد اليه الا أن طريق
الاطناب تشتمل على منزلة من المنازه لا يوجد في طريق التطويل وسيأتي بيان ذلك
بضرب الامثلة التي تسهل من معرفته (والاطناب يوجد) تارة في الجملة الواحدة
من الكلام ويوجد تارة في الجمل المتعددة والذي يوجد في الجمل المتعددة أبلغ
لاتساع المجال في ايراده (وعلى هذا فانه بجملته ينقسم قسمين القسم الاول)
الذي يوجد في الجملة الواحدة من الكلام (وهو يرد حقيقة ومجازا أما الحقيقة)
فمثل قولهم رأيت به بعيني وقبضته بيدي ووطئته بقدمي وذقته بفمي وكل هذا
يظن ان الظان أنه زيادة لأحاجة اليها ويقول ان الرؤية لا تكون الا بالعين والقبض
لا يكون الا باليد والوطء لا يكون الا بالقدم والذوق لا يكون الا بالفم وليس الامر
كذلك بل هذا يقال في كل شيء يعظم مثاله ويعز الوصول اليه فيؤكد
الامر فيه على هذا الوجه دلالة على نيته والحصول عليه كقول أبي عبيدة البجري
تأمل من خلال السجف وانظر * بعينك ما شربت ومن سقاني
تجد شمس الضحى تدنو بشمس * الى من الرحيق الخسرواني
ولما كان الحضور في هذا المجال مما به وجوده وكان الساق في به على هذه

الصفة من الحسن قال انظر بعينك (وعلى هذا ورد) قوله تعالى ذلكم قولكم
 بأفواهكم فان هذا القول لما كان فيه اقتراف عظم الله تعالى على قائله ألا ترى
 الى قوله تعالى في قصة الافك اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس
 لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فصرح في هذه الآية بما أشرت
 اليه من تعظيم الامر المقول وفي مساق الآية المشار اليها جاء قوله تعالى
 ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن
 أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول
 الحق وهو يهدي السبيل ألا ترى أن مساق الكلام أن الانسان يقول لزوجته
 أنت على كظهر أمي ويقول له لو كذبني فضرَب الله لذلك مثالا فقال كيف
 تكون الزوجة أما وكيف يكون المملوك ابنا والجمع بين الزوجية والامومة
 وبين العبودية والبنوة في حالة واحدة كالجمع بين القلبين في الجوف وهذا تعظيم
 لما قالوه وانكار له ولما كان الكلام في حال الانكار والتعظيم أتى بذكر الجوف
 والافقه يعلم أن القلب لا يكون الا في الجوف والتمثيل يصح بقوله ما جعل الله
 لرجل من قلبين وهو تام لكن في ذكر الجوف فائدة وهي ما أشرت اليها وفيها أيضا
 زيادة تصوير للمعنى المقصود لانه اذا سمعه المخاطب به صور لنفسه جوفاً يشتمل على
 قلبين فكان ذلك أسرع الى انكاره (وعليه ورد) قوله تعالى فخر عليهم السقف
 من فوقهم فكم أن القلب لا يكون الا في الجوف فكذلك السقف لا يكون الا من
 فوق وهذا مقام ترهيب وتخويف كما أن ذلك مقام انكار وتعظيم ألا ترى الى
 هذه الآية بكما لها وهي قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من
 القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
 ولذا كرر لفظة فوقهم فائدة لا توجد مع اسقاطها من هذا الكلام وأنت تحس
 هذا من نفسك فانك اذا تلوت هذه الآية تخيل اليك أن سعة فخر على أولئك
 من فوقهم وحصل في نفسك من الرعب ما لا يحصل مع اسقاط تلك اللفظة
 وفي القرآن الكريم من هذا النوع كثير كقوله تعالى فاذا نفخ في الصور
 نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكا كد واحدة وقوله أفرايتم اللات
 والعزى ومناة الثالثة الاخرى وكل هذه الآيات انما أطنب فيها بالتأكيـد
 لمعان اقتضتها فان النفخ في الصور الذي تقوم به الاموات من القبور مهول

عظيم دل على القدرة الباهرة وكذلك حمل الارض والجبال فلما كانا به هذه
الصفة قيل فيهما نفخة واحدة ودكة واحدة أى ان هذه الامور الماهول العظيم
سهل يسير على الله تعالى يفعل ويمضى الامر فيه بنفخة واحدة ودكة
واحدة ولا يحتاج فيه الى طول مدة ولا كافة مشقة فجىء بذكر الواحد لتأكيده
الاعلام بأن ذلك هين سهل على عظمه وهذه المواضع وأمثالها ترد في القرآن
الكريم ويتوهم بعض الناس أنها ترد لغير فائدة اقتضتها وليس الامر كذلك
فإن هذه الاسرار البلاغية لا يتنبه لها الا العارفون بها وهم كذا يرد
ما يرد منها في كلام العرب (وههنا نسكتة لا بد من الإشارة اليها) وذلك أنى نظرت
في قوله تعالى نفخة واحدة ودكة واحدة وفي قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى
فوجدت ذلك غير مقيس على ما تقدم وسأبينه ببيان شاف فأقول ان قوله تعالى
ومناة الثالثة الاخرى انما جىء به لتوازن الفقراتى نظمت السورة كلها عليها
وهى والنجم اذا هوى ولو قيل أفرايتم اللات والعزى ومناة ولم يقل الثالثة
الاخرى لكان الكلام عارياً عن الطلاوة والحسن وكذلك لو قيل ومناة الاخرى
من غير أن يقال الثالثة لانه نقص في الفقرة الثانية عن الاولى وذلك قبيح
وقد تقدم الكلام عليه في باب السجع لكن التأكيدي في هذه الآية جاء ضمناً
لتوازن الفقرتين وأما نفخة واحدة ودكة واحدة فانما جىء بلفظ الواحد
فيهما وما وقد علم أن النفخة هى واحدة والدكة هى واحدة لكان نظم الكلام
لان السورة التى هى الحاقة جارية على هذا المنهاج في توازن السجعى ولو قيل
نفخة من غير واحدة ودكة من غير واحدة ثم قيل بعدهما فبومئذ وقعت الواقعة
لكان الكلام منشوراً محتاجاً الى تمام لكن التأكيدي جاء فيهما ضمناً وتبعاً
واذا تبين ذلك واتضح فاعلم أن الفرق بين هذه الآيات وبين قوله تعالى ما جعل
الله لرجل من قلبين في جوفه ظاهر وذلك ان نفخة هى واحدة ومناة هى
الثالثة (وأما ما جاء منه على سبيل الجواز) فقوله تعالى فانها الانعمى الابصار ولكن
نعمى القلوب التى فى الصدور ففائدة ذكر الصدور ههنا أنه قد تعورف وعلم أن
العمى على الحقيقة ~~ممكن~~ كانه البصر وهو أن تصاب الحدة بما يطمس نورها
واستعماله في القلب تشبيه ومثل فلما أريد اثبات ما هو خلاف المتعارف من
نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا الامر الى زيادة

تصوير وتعريف ايتقرر ان مكان العمى انما هو القلوب لا الابصار وهذا
موضع من علم البيان كثيرة محاسنه وافرة لطائفه والمجاز فيه أحسن من الحقيقة
لمكان زيادة التصوير في اثبات وصف الحقيقي للمجازي ونفيه عن الحقيقي
(وأما القسم الثاني المختص بالجميل) فانه يشتمل على ضربين أربعة (الأول)
منها أن يذكر الشيء فيؤتى فيه بعمان متداخلة الآن كل معنى يختص بخصيصية
ليست للآخر وذلك كقول أبي تمام

قطعت الى الراءيين هباته * الثالث. أمور السحاب المسبل

من منة مشهورة وصنعة * بكر واحسان أغتر محجل

فقوله منة مشهورة وصنعة بكر واحسان أغتر محجل تداخلت معانيه اذا المنة
والصنعة والاحسان متقارب بعضه من بعض وليس ذلك تكريرا لانه لو اقتصر
على قوله منة وصنعة واحسان لجاز أن يكون تكريرا ولكنه وصف كل واحدة
من هذه الثلاث بصفة أخر جتماعن حكم التكرير فقال منة مشهورة فوصفها
بالاشتهار لعظم شأنها وصنعة بكر فوصفها بالبركة أي أنها لم يؤت بمثلها من قبل
واحسان أغتر محجل فوصفه بالغرزة والتجليل أي هو ذو محاسن متعددة فلما
وصف هذه المعاني المتداخلة التي تدل على شيء واحد بأوصاف متباينة صار
ذلك اطمنا بأن يمكن تكريرا ولم أجد في ضرب الاطناب أحسن من هذا الموضع
ولا أظن وقد استعمله أبو تمام في شعره كثيرا بخلاف غيره من الشعراء كقوله
زكي سجايا تضيف ضيوفه * ويرجى مرجيه ويسئل سائله

فإن غرضه من هذا القول انما هو ذكر الممدوح بالكرم وكثرة العطاء الا أنه
وصفه بصفات متعددة فجعل ضيوفه تضيف ورجيه يرجي وسائله يسئل وليس
هذا تكريرا لانه لا يلزم من كون ضيوفه تضيف أن يرجي رجيه يرجي وسائله يسئل
ولا أن يسئل سائله مسؤلا لان ضيفه يستحب ضيفا طمعا في كرم مضيفه
وسائله يسئل أي يعطى السائل عطاء كثيرا يصير به معطيا ورجيه يرجي أي
أنه اذا تعلق به رجاء راج فقد أيقن بالفلاح والتجاح فهو حقيق بأن يرجي مسكان
رجائه اياه وهذا ابلغ الأوصاف الثلاثة (الضرب الثاني) يسمى النفي
والاثبات وهو أن يذكر الشيء على سبيل النفي ثم يذكر على سبيل الاثبات
أو بالعكس ولا بد أن يكون في أحدهما زيادة ليست في الآخر والا كان

تكريرا والغرض به تأكيده ذلك المعنى المقصود (فما جاء منه) قوله تعالى
 لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
 والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت
 قلوبهم فهم في ريهم يترددون (واعلم) أن هذا الضرب من الاطئاب فائدة
 كبيرة وهو من أركد وجوهه ألا ترى أنه قال لا يستأذنك الذين يؤمنون
 بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ثم قال انما يستأذنك الذين
 لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والمعنى في ذلك سواء إلا أنه زاد في الثانية قوله
 وارتابت قلوبهم فهم في ريهم يترددون ولولا هذه الزيادة لكان حكم هاتين
 الآيتين حكم التكرير وهذا الموضع ينبغي أن يتأمل وينم النظر فيه
 (وعليه ورد) قوله تعالى الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم
 سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون
 بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن
 أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم
 غافلون فقوله يعلمون بعد قوله لا يعلمون من الباب الذي نحن بصدد ذكره
 ألا ترى أنه نفى العلم عن الناس بما خفي عنهم من تحقيق وعده ثم أثبت لهم العلم
 بظاهر الحياة الدنيا فكأنهم علموا وما علموا إذا العلم بظاهر الامور ليس بعلم وانما
 العلم هو ما كان بالباطن من الامور (الضرب الثالث) هو أن يذكر المعنى الواحد
 تاما لا يحتاج الى زيادة ثم يضرب له مثال من التشبيه كتول أبي عبادة البحرى
 ذات حسن لو استزادت من الحسن اليه لما أصابت مزيدا
 فهي كالشمس بهجة والقضيب اللدن قدأ والريم طرفا وجيدا
 ألا ترى أن الاول كاف في بلوغ الغاية في الحسن لانه لما قال لو استزادت لما
 أصابت مزيدا دخل تحته كل شئ من الاشياء الحسنة الآن للتشبيه مزينة
 أخرى تنبذ السامع تصويرا وتخيلة لا يحصل له من الاول وهذا الضرب من
 أحسن ما يجيء في باب الاطئاب (وكذلك) ورد قوله

تردد في خلقي سدد * سما حاصري وبأسامهيبا

فكاسيف ان جشته صارخا * وكالبحران جثته متشيبا

فالبيت الثاني يدل على معنى الاول لان البحر والسيف للباس المهيب الآن

في الثاني زيادة التشبيه التي تفيد تخيلا وتصويرا (الضرب الرابع) أن يستوفي
معاني الغرض المقصود من كتاب أو خطبة أو قصيدة وهذا أصعب الضروب
الاربعة طريقا وأضيقها بابا لانه يتفرع الى أساليب كثيرة من المعاني وأرباب
النظم والنثرية فتأوتون فيه وليس الخاطر الذي يقذف بالدرر في مثله الا معدوم
الوجود ومثاله ومثال الايجاز مثال مجمل ومفصل (وقد تقدم) القول بأن
الايجاز والاطناب والتطوير بمنزلة مقصد يسلك اليه ثلاثة طرق وقد أوردت
ههنا أمثلة لهذه الأساليب الثلاثة وجعلتها على هيئة المقصد الذي تسلك اليه
الطرق الثلاثة (فن ذلك) ما ذكرته في وصف بستان ذات فوا كهمة عدة فاذا
أريد وصفه على حكم الايجاز قيل فيه من كل فاكهة زوجان وهذا كلام الله
تعالى وقد جمع جميع أنواع الفاكهة بأحسن لفظ وأخصره واذا أريد وصف
ذلك البستان على حكم الاطناب قيل فيه ما أذكره وهو فصل من كتاب أنشأته
وهو جنة علت أرضها أن تسلك ماء وغنيت ينسبعها أن تستجدي سماء وهي
ذات عمار مختلفة الغرابة وترية منجبة وما كل تربة توصف بالنجابة ففيها
المشمس الذي يسبق غيره بقدمه ويقذف أيدي الجانبين بنجومه فهو يسمى
بطيب الفرج والنجار ولو نظم في جسد الحسناء لاشبهه بقلادة من نضار وله زمن
الرياح الذي هو أعدل الأزمان وقد شبه بسن الصبا في الاسنان وفيها
التفاح الذي رق جلده وعظم قده وتورد دمه وطابت أنفاسه فلا بان الوادي
ولارنده واذا نظر اليه وجد منه حظ الشم والنظر ونسبته من سرور الغزلان
أولى من نسبته الى منابت الشجر وفيها العنب الذي هو أكرم الثمار طينة
وأكثرها ألوان زينة وأقول غرس اغترسه نوح عليه السلام عند خروجه من
السفينة فقطفه يميل بكف قاطفه ويغري بالوصف لسان واصفه وفيها
الرمان الذي هو طعام وشراب وبه شبهت نهود الكعاب ومن فضله أنه
لا نوى له فيرى نواه ولا يخرج اللواؤ والمرجان من فاكهة سواء وفيها التين
الذي أقسم الله به تنويه بذكره واستتر آدم عليه السلام بورقه اذ كشفت
العصية من ستره وخص بطول الاعناق غباري به من ميل فهو نشوة من
سكره وقد وصف بأنه راق طعم ما ونم جسمه وقيل هذا كنيف لي شهدا
لا كنيف لي علما وفيها من ثمرات الخبيل ما يزهى بلونه وشكله ويشغل

بالذمة منظره عن لذة أكله وهو الذي فضل ذوات الاقنان بعرجونه ولا غائل
 بينه وبين الخلق هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه وفيها غيب ذلك
 من أشكال الفلكية وأصنافها وكلها معدود من أوساطها لامن أطرافها
 ولقد دخلتها فاستهوتني حسدا ولم ألم صاحبها على قوله لن تبعد هذه أبدا (فهذا
 الوصف) على هذه الصورة يسمى اطنابا لانه لم يعر عن فائدة وذلك الاقل هو
 الايجاز لانه اشتمل باختصاره على جميع أصناف الفلكية (وأما التطويل)
 فهو أن تعد الاصناف المذكورة تعدا من غير وصف لطيف ولا نعت رائق
 فيقال شمس وتفاع وعنب ورمان ونخل وكمذا وكذا وانظر أعيان المتأمل
 الى ما أشرك الله من هذه الاقسام الثلاثة في الايجاز والاطناب والتطويل
 وقس عليها ما يأتي منها (وسأزيد ذلك بيانا بمثال آخر فأقول) قد ورد في باب
 الايجاز كتاب كتبه طاهر بن الحسين الى المؤمن رحمه الله تعالى يخبره به زينة
 عيسى بن ماهان وقتله اياه وهو كافي الى أمير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين
 يدي وخاتمه في يدي وعسكره مصرف تحت أمرى والسلام وهذا كتاب
 جامع للمعنى شديد الاختصار واذا كتب ما هو في معناه على وجه الاطناب قيل
 فيه ما أذكره وهو ما أنشأته مثالا في هذا الموضع ليعلم به الفرق بين الايجاز
 والاطناب وهو أصدر كتابه هذا وقد نصر بالقصة القليلة على القصة الكثيرة
 وانقلب باليد الملائى والعين القريرة وكان اتصافه بحد أمير المؤمنين لا بحد نصه
 والحد أغنى من الجيش وان كثر أمداد خيله ورجله وجى برأس عيسى
 ابن ماهان وهو على جسد غير جسده وليس له قدم فيقال انه يسبح بقدمه
 ولا يدفقه سال انه يبطش بيده ولقد طال وطوله موذن بقصر شانه وحسدت
 الضباع الطير على مكانه امنه وهو غير محسود على مكانه وأحضر خاتمه وهو الخاتم
 الذي كان الامر يجرى على نقش أسطره وكان يرجو أن يصدر كتاب الفتح
 بختمه فيقال ورود المنية دون صدره وكذلك البغى مرتعه وويل
 ومصرعه جليل وسيفه وان مضى فانه عند الضرب كليل وقد نطق الذأل بأن
 الخاتم والرأس مشيران بالحصول على خاتم الملك ورأسه وهذا الفتح أساس
 لما يستقبل به أساؤه ولا يستقر البناء الا على أساسه والعساكر التي كانت على
 أمير المؤمنين حاربوا صارت له سلا وأعطته البيعة علما بفضل له وليس من تابع

تقليداً لمن هو تابع عالم وهم الآن مصر فون تحت الاوامر محتضنون بكشف
 السرائر مظهر فون باللواء الذي خصه الله باب مفتاح المقال واستيطاء الممار
 وكما سرت خطوات القلم في أثناء هذا القرطاس فكذلك سرت طلائع الرعب
 قبل الطلائع في قلوب الناس وايس في البلاد ما بغلق بعشيرة الله بابا ولا يحسر
 نقابا وعلى الله اتمام النعم التي افكتها واجابة أمير المؤمنين الى مقترحاته التي
 اقترحها والسلام وهذا الكتاب يشتمل على ما شتمل عليه كتاب طاهر بن الحسين
 من المعنى الا أنه فصل ذلك الاجال (ولو كتبت على وجه التطويل) الذي لا فائدة
 فيه لقليل أصدر كتابه في يوم كذا من شهر كذا والتي عسكر أمير المؤمنين وعسكر
 عدوه الباغي وتطاعن الفريقان وتزاحف الجمعان وحسب القتال واشتد النزال
 وترادفت الكتائب وتلاحقت المقاتب وقتل عيسى بن ماهان واحترق رأسه
 وقطع ونزع الخاتم من يده وخلع وترك جسده طعنا للطيور والسباع
 والذئاب والضباع وانجالت الوقعة عن غلب أمير المؤمنين ونصره وخذلان
 عدوه وقهره والسلام فهذا الكتاب يشتمل على تطويل لا فائدة فيه لانه كثر
 فيه معاني يتم الغرض بدونها وذكر ما لا حاجة اليه في الاعلام بالواقعة فانظر الى
 هذه الكتب الثلاثة وتأملها كما تأملت الذي تقدمها (وبعد ذلك اني أورد لك
 كتابا وتقليدا يوضح لك فائدة الاطناب أما الكتاب) فانه كتاب كتبه عن
 الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الى ديوان الخلافة ببغداد
 يتضمن فتح البيت المقدس واستنقاذ من أيدي الكفار وذلك في معارضة
 كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البيهقي عنه وكان الفتح في السابع والعشرين
 من شهر رجب من سنة ثلاث وثمانين وخمسائة خلد الله سلطان الديوان العزيز
 النبوي وجعل أيام دولته أترابا ومناقب مجدها هضابا وزادها على مرور
 الأيام شبايا وأوسعها توشية وأذهابا اذا أوسع غيرها تالشيا وذهابا ومنحها
 في الدنيا والآخرة عطاء وفاقا لا عطاء حسبا ومثل جدودها في عيون الاعداء
 شيا بأعجابا وأراهم منها وراهم في اليقظة أرهايا وأرعابا وفي المنام إبلاصعابا
 تقود خيال أعرابا لوجعت العصور في معبد واحد كان هذا العصر عليهم
 فائرا وفاز بسبق أوائلها وان جاء آخرها وايس ذلك الا لظفوتته بالدولة
 الناصرية التي كسبه حبرا وقلده دررا ودونت له من المحامد سيرا وجعلت

في كل ناحية من وجهه شمساً وقرا وقيض الله لها من الخادم وليا يوصل يومه
 في طاعتها بأمره ولا يرى الا من نفسه في خدمتها قريب على نفسه وطاماً
 سعي بين يديها بمساع تنص بأخبارها مخاف القوم ويضال له فيها ماضرك
 ما صنعت بعد اليوم وقد سلفت منها آيات تمايل في أشباهها وأضرابها
 واستوفها الآن واحدة تدعى بأتم كلها وهي فتح البيت المقدس الذي
 تفتحت له أبواب السماء وكثرت بأحاديث مجده كواكب الظلماء واسترد حق
 الاسلام وطام الماسحت الهمم في طلبه بالزاد والماء ومن أحسن ما أتى به أنه
 آنس قبلته الثانية بقبلته الاولى وأطال منه كل ما قصرته يد الكفر وكانت هي
 الطولى وبه صح له هذا البيت معنى اسمه وانتقل الى الطهارة ونزاهتها عن
 الرجس ووصفه ولم يحزه الخدام حتى طوى ما حوله من البلاد المنجدة والغائرة
 وكان مركز الدائرتها فغادره وهو طرف من أطراف الدائرة ولما شارفه نظر
 منه الى ظله من الظلال ورأى بلداً قد استقر على متن الجبل مثل الجبل
 ويطيف به واد تسهرى عصيته بنوب الدهر وقد انعطف على جوانبه انعطاف
 الحبوة على الظهور والمسالك اليه مع ذلك ذات تعارج ومعارج وهي ضيقة
 مستورة يطلق عليها اسم الطرق ولا يطلق عليها اسم المناهج فلما رآه قال هذا
 أمنية لمن يرى وعلم حينئذ أن كل الصيد في جوف الفرا الآن لسان حاله
 خاطبه وهو أفصح الخطاب وقال امدديدك فليس دونها من حجاب وكان قد برز
 من السلاح في لباس رائع من المنعة وأخرج من السواد الاعظم ما خدع
 العيون والحرب خدعة وما يمنع رقاب البلاد بكثرة السواد ولا يحمي بعوالي
 الاسوار بل بعوالي الصعاد وفي يوم كذا وكذا خيم المسلمون في عقدة داره
 ونزلوا منه نزول الجار الى جانب جاره ثم ارتادوا موقفاً للقتال وان لم يكن هناك
 موقف بقرب مناله ولا يتسع مجاله واتفق الرأي على لسان المتجنيق في خطبة
 عقيلية أبلغ خطايا وأدنى من المطلوب طلأاً وأنه اذا ضرب بعصاه الحجر
 انجبت عيون أهله دماء كما انجبت عيون الجرماء هذا والعزائم تنظر الى هذا
 الرأي تظر المستجمل وتهمد عنه صدود المستجمل وتقول ما يارتى بالسهل
 تلك الصعاب ومن ابتنى السيف صرحاً لم يبنائه بلوغ الأسباب والحديد
 لا يفلح الا بالحديد والركن الشديد لا يصدم الا بركن شديد فعند هاهم

الخادم أن يلقي البلاد ومواثيل الامواربا وأن يجعل للزحف جانبيا وللمنجنيق
 جانبيا ونوى أن يبدى صفحة وجهه أمام الناس وتأتي برسول الله صلى الله
 عليه وسلم في الاتهامية اذا اشتد الباس ولا شك أن قلوب الخيوش بمنزلة قلوبها
 وأن النفاذ لا تسنة الرياح لا الكعوبها ولا يستقي من الوغي الامن كان طرفه
 أمام طرفه ومن وقف خلف جنوده فقد جعل عزاءها من خلفه ولما وقع
 الزحف صورع البلد صراعا بعد أن قورع قراعا ثم هز هزة طوته بيمينها
 ونشرته بشمالها وأذاقته العذاب الادنى دون العذاب الاكبر من نكالاتها
 وبدون ذلك يكون عركا أدعيه وعطف شكيمه ولم يكن قتاله بالسهام التي غايتها
 أن تصف^٣ أجنتهم اللطار وتثال بكومها من فوق الاسوار بل بالسيف التي
 اذا جالدت بلدا أخذت بكظمه وتوغلت في هجمه وأغنت بسرعة خطواتها
 اليه عن المنجنيق وإبطاء هدمه والسيف ليس عرق من النفس التي تطل طائشة
 عند لقاءها جائشة عند استيفائها فالقلب توصف بأنها تجيش اذا كانت
 أعداها والنفس لا تجيش الا اذا كانت ثمادا وما يستوي وجوه الاقران
 في اقدانها واجامها فغنها المظلم اذا زايها الروح باشرافها ومنها المشرق اذا
 شابه الروح باطلامها وكانت وجوه المؤمنين في هذا المقام أحظى بلباس
 الاشراق وأتم ابدرا والبدور لا يكون تمامها في المحاق فقامتهم الامن عرض
 نفسه ليوم العرض ومشى الى الجنة عرضها السموات والارض حتى اتسع
 المكتر وضاق بأعداء الله المقر وحرقت أوعار الخنادق وصار الرجاء لمنطقة
 السور كالمناطق ولم يستشهد منهم الا عدد يسير لا تدخله لام التعريف وكانت
 أجنته الملائكة مطيعة بهم فأكرم بالمطاف به وباللطيف وقد أسعد الله أولئك
 بالشهادة التي هي الفوز الاكبر وقبرها بأدناه مضاجعهم من الارض المقدسة
 التي هي أرض المحشر فما يسرهم أن يعودوا الى الدنيا الا للاستزادة من
 ثواب الجهاد وأيسر ذلك أن أرواحهم في حواصل طير خضر تعلق من ثمار
 الجنة الى يوم المعاد ولما رأى الكفار أن صليهم قد صار خوارا وأن زعيمهم
 قد انقلب خوارا أذعنت أيديهم باستسلامها وصانعت بالمال عن الرقاب
 واسترقاها وبالبلد عن النفوس وجامها فأبى السيف أن يترك رقايا تغذي
 باكلها ويحل من عشقها على مداومة وصلها وأذكر الخادم أن سالف هؤلاء

انتزع هذا البلد قسرا وقتل من كان به من المسلمين غدرا وذلك تأردخره الله
لك حتى تحظى في الآخرة بثوابه وتجمل في الدنيا بزينة أثوابه والمسلم
أخو المسلم يأخذ بيده وإن تطاولت أمداد السنين على قدمه فيما بعد عهد
هذا النأ من ثأره ويأطيب خبره عند سامعه وحسن أثره عند ناظره ولما
تحقق العزم على ذلك أشار ذو الرأى بقبول الفدية المبذولة والايحمل العدو
على ما ليست نفسه عليه بمجمولة فإن النقص اذا أخرج صار ذا أنياب وأظفار
واسـتـضـرى حتى يلتحق بالسباع الضوار وهو لاء اذا رآه وعين القتل تجردوا
للقـتـال وركبوا الاهوال للنجاة من الاهوال ومن يدع الى خطية رشـد فليقبلها
ومن أنشط له عقل الامور فلا يعقلها وعلى كل حال فإن الفدية للمسلمين
أرغب وأموال يـتـقـوى بها على العدو خير من دماء تذهب هذا وبالبلد من
أسارى المسلمين من حياة أحدهم بحياة كل نفس ومن حرمة عند الله خيرهما
طلعت عليه الشمس ولا يوازي فتحه عنوة أن يتعدى اليه سم اضراره ولا شك
أنهم يعاجلون بالقتل قبل أن تدخل أظفاره فرأى الخادم عند ذلك أن الرأى
دشـتـرك وأن له معتركا كما أن السيف له معترك وتقرر تسليم البلد ودفع
أهله قد خضبت أحداقها وأقرحت آماقها ولم تطب أنفسهم بفراق قائمه حتى
كادت الهام تفارق أعناقها فعلى حب ذلك التراب تقوم قيامتهم وتشـيـل
نعامتهم واطالموا بهلوا عنده أيام الحصار واستنصروه فلم يحظوا منه
بـعـونـة الا نصار وكيف يرجي النصر من معبودات تشيعته بقتله أم كيف يدفع
عن غيره من كان هو مبتلى بمثله وهذه عقول سخيفة نفذت بها كيد شيطانها
وأخفى عنها حجة الحق على وضوح بيانها واقد كان يوم التسليم عريض الفخار
زائد العمر على عمر أبويه من الليل والنهار واشتق من اسمه معنى السلامة
للمسلمين والهلاك للكفار وزاده نفرا الى نفرة أنه وافق اليوم المسفر عن ليلته
المعـراج النبوى الذى كان فى تلك الارض موعده ومن مهترته ما معدده
وذلك هو الاسراء الذى ركب اليه ظهر البراق واستفتح له أبواب السبع
الطـبـاق ولورق فيه الانبياء على اختلاف درجاتهم فظفر خير ملقى بخير لاق
وبركة ذلك اليوم سرت الى هذا فأطالت من شهرته وضمت نصرته الدين الخفيف
الذى لله عناية بنصره وجعلته تاريخا يؤرخ بفتح كـأـرخ للنبى صلى الله عليه

وسلم يدار شجرته وإذا أنصف واصفقه قال انه لليوم البدرى في اقتراب النسيب
وانه العجيبه التي لم تجفل عنها الايام في صفرو انما أجفلت عنها في رجب فما
أكثر الفانزفيه والمغبون والمسروور والمحزون فمن جذرا كب ومن جذرا جل
ومن عز قادم وذلل راحل ولطام الماجد الخادم في السهي له وأبصار العدا
تزاقه وألسنتهم تساقه وما منهم الا من أكره الشناعة أن ذلك السهي
للاستكثار من البلاد والله يعلم أنه لم يكن الا للاستكثار من موارد الجهاد
لاجرم أن صدق النية كان له عقي الدار وذلك الاقوال الكاذبة كان لها عقي
البوار ويوم هذا الفتح يفتقر قبله الى أيام تجلوي ياضه عن سوادها ويلقح
لها بطون المساعي حتى يكون هو نتيجة ميلادها ولما ظفر به الخادم لم يكن
لأهل النجابه فيه قول يرتد كذابه ولا يقبل صوابه والشهب الطالعة على
ذوات السروج أصدق نبأ من الشهب الطالعة من ذوات البروج على
أنهم ما وان اتفقار بما فانهم ما يختلفان علما فعلم هذه يسأل عنه ثغرا لا عناق
وعلم هذه يسأل عنه بطون الاوراق ولما دخل البلاد وجد به أعمالا لولا أن
ضربت عليهم الذلة لدافعوا المنايا بكثرة وغالبوا السيوف مصابرة وهم
طوائف مختلفوا الاسنة والالوان وان قيل انهم أناسي فان صورهم صور الجان
ومنهم طائفة استشهدت بجس نفوسها وخضت الشعر عن أوساط رؤسها
وتوحشت بالرهبانية حتى ارتاعت العيون من أشكالها ولبوسها ولما رأوا
طلعة الاسلام داخله عليهم أعلنوا بالجوار واصطروخوا جميعا كما يصطرخون
غدا في النار وزادهم غيظا الى غيظهم أنهم رأوا الصلاة قائمة وقد صار
الناقوس أذانا وكلمة الله فرأينا وأقيمت الجمعة وهي أول جمعة حظي
الاقصى بشهدها وحضرتها الامة الاسلامية بأجرها وأسودها فمن بالنبذمة
سرور الباردة ومن مجبل نظره في نعمة الله الواردة ومن شاكر للزمن الذي
أبقاه الى يومه هذا الذي كل الايام له حاسدة من كان مولده تقدم قبله أو بعده
فكانه لم يولد وكانت هذه الجمعة في رابع شعبان وهو الشهر الذي جعله الله
طلعة لشهر الصيام وليله نصفه هي الليلة المعروفة بأحياء قيامها الى حين وفاة
شخص الظلام والتي يفرقها لآكثر من شعر غنم كب من ذوى الذنوب
والآثم وبجى باللواء الاسود فرك من المنبر في أعلاه ونطق لسان حاله فقال

من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه فانا مولاه ولم يكن لسان الخطيب
 بأفصح بيانا من لسانه غير أن هذا يرهى يلاغ موعظته وهذا يرهى بعز سلطانه
 ولما ذكرت سمات الخ لافاة المعظمة أتبعها الناس بالدعاء الذى ملا المسجد
 بحججه وسبق الحرام الكاتبون بزمله الى السماء وشجبه وكان اليوم
 فصلا والموقف حفلا وذلك الدعاء فرضا لا تقلا ولا ينتهى الوصف الى
 ما شوهه بالبلد من الآثار العجيبة التى تستلبث العجولان وتستحب الاذهان
 وتستنطق الالسنه بالتسبيح لله الذى فطر الانسان ومن جملة ذلك ما تبوهى
 فى حسنه من البيع والصوامع ذوات الابدنة الروائع التى روضت بالزخارف
 ترويض الازهار ورفعت معاقدها حتى كادت النجوم توحى اليها بالاسرار
 ومامننا الا ما يقال انه ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ولقد ألان
 الله لهم الحجارة حتى تخيروا فى توسيعها بضروب الاختيار وجعلوها أعاجيب
 للاسماع والابصار وقبل فيها هذه روضات جنان لا أفنية ديار هذا الى غيره
 مما وجد من معبودات القوم الموصفة بانها آلهة الصاب الا ان من ذوات
 النصب وأكثرك ذلك وجد فى المسجد موضوعا وعلى قبة مرفوعا فأنزات على
 قرونها واستن بسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طعن عيونها واستوطن
 المؤمن مكان الكفور وبدات الظلمات بالنور وقالت الصخرة الان جمع بيني
 وبين الحجر الاسود ناطب الاسلام والجمع بين الاختين فى هذا الامر من
 الحلال لامن الحرام وقال الاقصى سبحانه الذى أسرى الى بجند كمال أسرى
 بعبد وأعادلى عهد الفتح الاول بهذا الفتح الذى أتى من بعده وعود الذاهب
 ارجاء لاوام أحدا به وخلصوا الانسان لا يكون الا فى ما به وهذا هو الخطب
 الذى جدد الاسلام عهد ابن خطابه رضى الله عنه الا أن مستنقذا الطريدة
 أولى بها من صاحبها وأن غصبتها يد غالبه فقد جاء الله باليد التى غصبتها من
 غاصبها هذا ولم يستنقذها الخادم الا بانضاء سلاح أنفته الواقعة الأولى التى
 استأصلت حملة البلاد واستباح أغيالها يقتل الآساد فكانت لهذا الفتح
 عنوانا ولتقرير أصوله بنيانا ولم ينج بها من طواغيت الكفر الا طاغية تراى
 فان السيف أسارته وبفؤاده قلى من أوجالها وفى عينه دهر من أهوالها
 وقد قرن الله هذا الفتح ببشرى موته وكفى المسلمين مؤنة الاهتمام لقوته وفتر

من الوقعة ولم ينج بذلك الفرار واعتصم بذات جداره فقط له الخوف من وراء
الجدار ولا فرق بين قيسل خوف السفار وبين قيسل الشفار واتخذ دفر من
المكروه الى مثله لكنه انتقل من مينة عزه الى مينة ذله وكذلك آثار الخادم
في أعداء الله فهم هلكي بسيفه في مواقف الطراد فان قرؤوا فخوفه على جنوب
الوساد وبعده هذه فهل يمترون في أن دماءهم قد استجابت لمراده وأن سواء
لديه من أمكن منها في دنوة ومن امتنع منها في بعاده وكل ذلك مستعد من
الاستنصار بعناية الديوان العزيز التي من شأنها أن تجعل الرؤيا حقا وأحاديث
الآمال صدقا وتقترب بعيدات الأمور حتى تجعل الشرق غريبا والغرب شرقا
فهذا الفتح منسوب اليها وان كان الخادم هو الساعي في تسهيله والجهاد
بنفسه وماله في سيده فعلى عطف دوائها ترقم أعلامه وفي أيامها تورخ أيامه
ولو أبيع للقلم الخلاء في مقام المقال كما أبيع لصاحبه في مقام القتال لاختمات
منيته في هذا الكتاب وإقال وأسهب فليس الاكثر منه ناس الامهات لكنه
منعه من ذلك أن يكون عن نغره به فأياله وأرسل خطابه الى الديوان العزيز
فلم يقبضه بالادب حين أرسله وقدرتاد من يبالغ عنه مشاريع هذه الوقائع التي
اختصرها ويمثل صورها لمن غاب عنها كما تمثلت لمن حضرها ويكون مكانه
من النباهة كريما كمكانها وهي عرائس المساعي فاحسن الناس بيانا وهل
لا يداع حسنها والسائر بها فلان وهو راوى أخبار نصرها التي صعبها
في تحرير الرجال وعوالى استادها مأخوذة من طرق العوال والايام والليالي
رواية فالتن برواية الايام والليالي وستتلوه هذه الاخبار الصادقة بمشيئة الله
أخبار مثناه صادقة ومادامت السيوف ناطقة في يد الخادم فالألسنة عنهما
ناطقة ولا راء العالمة مزيد العلوان شاء الله تعالى (وأما التقليد) فانه
تقليد أنشأته نصب الحسبة وهو (أما بعد) فقد جعل الله جزاء التمكنين
في أرضه أن يقام بحدود فرضه ونحن نسأله التوفيق لهذا الامر الذي ثقل
حمله وعدم أهله فقد بقي بنا في زمن أصبح الناس فيه سدى وعاد الاسلام فيه
غريبا كابدوا وهو الزمن الذي كثرت فيه أشراط اليوم الاخير وغربلت
فيه الامة حتى لم يبق الا مثالة كخالة التمر والشعير ومن أهم ما نقرر بناءه
ونقدم عناءه ونصلح به الزمن وأبناءه أن نحضي أحكام الشريعة المطهرة على

ما قرئته في تعريف ما عرفته وتنكير ما نكرته ومدار ذلك على النظر في أمر
الحسبة التي تنزل منه بمنزلة السلك من العقد والكف من الزند وقد أخلصنا
النسبة في ارتياد من يقوم فيها ويكفيها ويصطفى لها ولا يصطفها وهو أنت أيها
الشيخ الأجل فلان أحسن الله لك الأثر وصدق فيك النظر فتواها غير
مؤكد اليها بل معنا عليها واعلم أن الناس قد آمنوا سننا وأحيوا بدعا
وتفرقوا فيما أحدثوه من المحدثات شيئا وأظلم منهم من أقترهم على أمرهم ولم
يأخذهم بقوارع زجرهم فان السكوت عن البدعة رضا بمكانها وترك
النهي عنها كالأمر باتيانها ولم يأت بشا الله تعالى إلا بعد الذين فاشوا على
أصوله صادا بحكم الله فيه وحكم رسوله ونحن نأمر لأن تتصفح أحوال
الناس في أمر دينهم الذي هو عصمة مالههم وأمر معاشهم الذي يتميز به
حرامهم من حلالهم فأبدأ أولا بالنظر في العقائد واهد في السبل الفرقة
الناجية الذي هو سبيل واحد وتلك الفرقة هي السلف الصالح الذين لزمو
مواطن الحق فأقاموا وقالوا ربنا الله ثم استقاموا ومن عداهم شعب دانوا
أديانا وعبدوا من الأهلواء أو ثمانا واتبعوا ما لم ينزل به الله سلطانا ولونشاء
لا زينا كهـم فلم عرفتهم بسميائهم ولم عرفتهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم
فن انتهى من هؤلاء إلى فلسفة فاقبله ولا تسمع له قولا ولا تقبل منه صرفا
ولا عدلا ولا ~~يكن~~ قتل على رؤس الأشهاد ما بين حاضر وباد فما تذكرت
الشرائع بمثل مقالته ولا تدنس علومها بمثل أثر جهالته والمنتمى اليها يعرف
بنكره ويستدل عليه بظلمة كفره وتلك ظلمة تدرك بالقلوب لا بالأبصار
وتظهر زيادتها ونقصها بحسب ما عند رائيها من الأنوار وما تجده من كتبها
التي هي عموم نافعة لأعلوم نافعة وأغاي ملففة لأقوال مؤلفة
فأستأصل شأفتها بالتمزيق وأفعل بهم ما يفعله الله بأهلها من التحريق ولا
يقنعك ذلك حتى تجتهد في تتبع آثارها ~~والكشف~~ عن مكان أسرارها
فن وجدت في بيته قليد وخذجها را واين كل بهاشه ارا وليقل هذا اجزاء
من استكبر استكبارا ولم يرج لله وقارا وأما من تحدث في القدر وقال فيه
بمخالفة نص الخبر فليس في شيء من رتبة الاسلام وان تنسك بعبادة الصلاة
والصيام قال النبي صلى الله عليه وسلم القدرية تجوس هذه الامة والمراد

بذلك أنهم ما تلوا بين الله والعباد واضياء والظلمة فعلاج هذه الطائفة أن تجزى
 بأن تجزى فليقابل جمعها بالتكسير واسمها بالتصغير وانتقل الى ثقل الحدود
 عن خفة التعزير ومن كان منها ذامسكانة ناهية فليحيط أو شهادة عادلة
 فليسقط وكذلك يجزى الحكم فيمن قال بالتشبيه والتجسيم أو قال بحدوث
 القرآن القديم ومن ملحدى القرآن فرقة فرقت بين المعنى والنطق وفرقة
 قالت فيه بالشكل والنقط وكل هؤلاء قوم خبثت سرائرهم وعميت بصائرهم
 وعظمت عند الله جرائمهم فخذهم بالتوبة التي تطهر أهلها وتجب ما قبلها
 وليست التوبة عبارة عن ذكرى اللسان والقلب لامة في قبضة النسيان بل
 هي عبارة عن التندم على ما فات واستئناف الاخلاص فيما هو آت وقد
 جعل الله الثواب من أحبابه ووصفه في مواضع كثيرة من كتابه ومن فضله أن
 الملائكة يستغفرون لذنبه ويشفعون له الى ربه فان أبت هذه الطوائف
 الاصرارا ولم يردهم دعاؤك الاقرارا فاعلم أن الله قد طبع على قلوبهم
 طبعا وألحقهم بالذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكره وكانوا لا يستطيعون سماعا
 فخذهم عند ذلك بجذال الجلد فان لم ينسج فبجذوات الحد فان هذه أمراض
 عني لا ترجى لها الافاقة ولا تبرئ منها الا الدماء المراقبة وأما الفرقة المدعوة
 بالرافضة التي هي لما رفعه الله خافضة فانهم أناس ليس لهم من الدين الا اسمه
 ولا من الاسلام الا رسمه واذا انقب عن مذهبهم وجد على العصية موضوعا
 ولغير ما شرعه الله ورسوله مشروعا ذبوا عن على رضى الله عنه فأسلموه
 وأخروه اذ قد موه وهؤلاء وضعوا أحاديث فنقلوها وأقولوها على ما أولوها
 فتبجح الاخر منهم الاول على غمة وقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وههنا
 غير ما ذكرناه من عقائد محلولة ومذاهب غير منقولة ولا مقبولة وباللهدى
 يتبين طريق الضلال وبالجملة يظهر أثر الاعتلال ولا عقيدة الاعتقيدة
 السنة والكتاب ولادين الادين العجائز الماء والمحراب واذا فرغنا من الوصية
 بالاصول التي هي للدين ملالك قلنتبجها بالفروع التي هي له مسالك وأول ذلك
 الصلاة وهي في مباني الاسلام الخمس أو كدخسه وآخر ما وصى به رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عند مفارقة نفسه ومن فضلها أنها العمل الذي ينهى عن
 الفحشاء والمنكر ولا عذر في تركها الا أحد من الناس فيقال انه يعذر فاجمع

الناس اليها واجلهم عليها ومرهم بالاجتماع لها في المساجد ونادفهم بفضيلة
صلاة الجماعة على صلاة الواحد وراقبهم عند أوقات الاذان في الاسواق
التي هي معركة الشيطان فمن شغل بتميم كسبه ولهاعن بالاقبال على
اهله ولعبه فخذ بالآلة العسرية التي تضع من قدره وتذيقه وبالأمرة
ولا يمنعك عن ذي هيبة هيته ولا عن ذي شبة شبيته فانما أهلك الذين قبلكم
أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا
عليه الحد ومن مهمات الصلاة يوم الجمعة الذي هو في الايام بمنزلة الاعياد
في الاعوام وفيه الساعة المخصوصة بالدعاء المحجب التي ما صادفها عبد
الافطرب بالطلاب فر الناس بابتدائه في البواكر والفوز فيه بقربان البدنات
الاخيرة فانه اليوم الذي لم تطلع الشمس على مثله وبه فضل هذا الدين على أهل
الكتاب من قبله فهو واسطة عقد الايام السبعة ولا شتمه على مجموع
فضلها سمي يوم الجمعة وفي الاعوام مواسم لصلوات مخصوصة كالترابيع
في شهر رمضان والرعائب في أول جمعة من رجب وليلة النصف من شعبان
فلتم لا المساجد في هذه المواسم التي تسمى شرفها شهادات الاقلام في
كتب الطاعات ومحو الآثام ومن حضرها وليس هم إلا أن يترجمها بطرقها
ويواعد اليه أخذانه رفقا أو فسوقا فهو لا هم الخلف الذين أضاعوا الصلاة
واتبعوا الشهوات فابعث عليهم قوم يلبونهم سلبا ويوجهونهم ضمرا
ويعاونونهم مهابة وقلوبهم رعبا فيسوت الله مظهره من هذه الادناس ولم
تعمر لسياطين الانس وانما عرت للناس فلا يحضرها الا راع وساجد أو
ذا كرواحد وههنا عظيمة عضيه وفاحشة يفتقها من ليست نفسه بفقيرة
وهي الربا فانه قد كثر كاه وتظاهره فاعله وقال فساق الفقهاء بتأويله
وتوصلا الى شبهة تحليله ولا يتسارع الى ذلك الا من أعى الله قلبه وحقق
كسبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحون
فجعلوا شحهم يباعوه وأكلوا الثمنها ونحن نأمرك أن تشمر في هذا الامر تشمرا
برهبة الباس ولا تدع رباحا حتى تضعه وأول رباح تضعه ربا العباس فتأديب الكبير
قاص بتأديب الصغير والاسوة بالرفيع خلاف الاسوة بالنظير وجل معاملة
الربا تجرى في سوق الصرف الذي يختلف به النقود وتفترض فيه العقود

ويضاض في نار نيره الى النار ذات الوقود وبه قوم أوسعوا عيون الموازين غمزا
والسنتها هم زاولوا وأصبح الدرهم والدينار عندهم بمنزلة الصنمين اللات
والعزى ولا يرى منهم الامن الحرص مفاض على ثيابه وقد جمع بين المعرفة
بالحرام والهجوم على ارتكابه فعدل ميل هؤلاء تعديلا وتخولهم على مرور
الايام تخويلا واعلم أنك قد وابت من الكيل والميزان أمرين هلكت فيهما الامم
السابقة فباشروهم ما يذك مباشرة الاختيار والاختيار ولا نقل أهلهم معاثرة
فإن الاقالة لا تنهى عن العنار وكل هؤلاء من سواد الناس ممن لم يزل غرسه
ولا فقهت نفسه وليس همه الا فرجه أو ضرره فخذهم بالآلة التعزير التي هي
نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى ومن آثارها أنها تخرج أرض الرأس
رجا وتفرج سماء فرجا ويسلك بصاحبه هديا ونهجا وقد كثرت الاسواق
الخلابة والنجس وتلقى الركبان ويسع الحاضر للبادي وتنفيق الساعة باليمين
الكذابة وكل هذه من المحظورات التي وردت الاخبار النبوية ببيانها والتمهي
عن قور دمكاتها فمن عارف شيئا منها جاحلا بتحريره فقومه بالتعليم واهده الى
الصراط المستقيم ومن عرف ما اقترف فأذقه حر التأديب فبسل أن يذاق
فدا حر التعذيب وأعلمه أن الارزاق بيد الله تعالى لا ينفقهها بحجز القاعد
ولا يزيد لها حرص الكادح وقد يتقلب الجاهل فيها بصفقة الخاسر والواعد
بصفقة الراجح ومن سئمة الله تعالى أن يغنى الحلال وإن كان يسيرا ويعيق
الحرام وإن كان كثيرا ومن الناس من آتاه الله مالا فبت في الاسواق جنود
ذهبه وورقه واحتكموا له الميزان من ذوات رطله ووسعه الكيل من ذوات
وسقه فاصبح فقرا ببلده في ضيق من عدم الرزق ومدد الرزق فليمنع هؤلاء
أن يصعدوا رزق الله محتمرا ومعاش عباد محتمرا وليؤمروا بأن يتراجوا
ولا يتراجوا وأن يأخذ الغنى منهم بقدر الكفاف ويترك للفقير ما يغنيه
على الاسعاف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا حكرة في سوقنا لا يعمد
رجال بأيديهم فضول من اذهب الى رزق من أرزاق الله تعالى ينزل بساحتنا
فيحتكمرونه علينا وليكن أعياجا بجلب على عمود كبد فذلك ضيف عمر
فليبع كيف شاء الله وليس لك كيف شاء الله وأما التسعير فانه وأن أثره
القاطنون وحكم به القاسطون وقيل إن في ذلك للفقير تسعير العسير فليس

لاحد أن يكون يد الله في حفظ ما رفع وبذل ما منع فقف أنت حيث أوقفك
 حكم الحق ودع ما يعين لك من مصلحة الخلق ولا تكن ممن تبع الرأي والنظر
 وترك الآيات والخبر بحكمة الله مطوية فيما يأمر به على أسنة رسله وليست
 مما يستنبطه ذو العلم بعلمه ولا يستدل عليه ذو العقل بعقله ولو كان من
 عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومما نأمر بك به أن تحموا الصغرة
 كما تحموا الكبيرة فإن لم الذنوب كالقطر بصير جمعة من ملامة دفئا وكان أوله
 قطرا متفرقا وقد استقر في الناس عوائدهم ونوايا استمرارها ولم ينظروا إلى ثقل
 أوزارها فمن ذلك لبس الذهب والحريير الذي لم يلبسه إلا من عدم عند الله
 خلافا وإن قيل إنه شعار للغنى فلم يزد صاحب من الحسنات إلا مالا ولا لبس
 عباءة مع التقوى أحسن في العيون شعارا وأعظم في الصدور وقارا ويلتحق
 بهذه المعصية صوغ الذهب والفضة آنية يمنع منها حق الصدقات وهو حق
 يقاتل مانعه ويعصى في استعمالها أمر الله وهو حرم من حدوده يعاقب
 عاصيه ويثاب طائعه وكذلك يجري الحكم في الصور المرقومة في البيوت
 والنياب وعلى السور المعلقة على الأبواب وأخراجها في ضروب أشكال
 الحيوان للملاعبة الصبيان وذلك مما خلق الله في التقدير وله هذا يوم
 صانه بنفخ الروح فيما صورهم من التصوير ومما يغفلونكم به طائلة الذنوب
 فلا جترار والمباهاة لما فيها من عجب هيبة التبر والاستكبار وإن يخرج صاحبها
 الأرض باجهاه ولا يبالغ طول الجبال باطالة ثيابه قال النبي صلى الله عليه
 وسلم إن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من جرتوبه خيلاء ومما هو أشد تنكيرا أمر
 الحمامات فإن الناس قد أصرروا بها على الأجهار وترك الاستتار والتهاون
 بأمر الأمور التي أصاحبها اللعنة ولله سوء الدار والنساء في هذا المقام
 أشد تنكرا للرجال وقد ابتدأن أنفسهن حتى أفرطن في فاحشة الابتذال
 وهن محدثات من المنكرات قدما كنهن الأرفاء والأتراف وأهمل تنكراها
 حتى سرت في الأوساط والأطراف وقد أحدثن الآن من الملابس ما لم يخطر
 للشيطان في حساب وتلك من لباس الشهرة الذي لا يستتر منه أسبال مرط
 ولا أدناء جلباب ومن جانتها أنهن يعصبن عصائب كامثال الاسفة ويخرجن
 من جهارة أشكالها في الصور المعجلة وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

بها فبما ورد عنه من الاخبار وجعل صاحبها معدودا من زمرة أصحاب النار
 ومما حيد فيه عن السنن قراءة القرآن بضروب اللسان وتلك قراءة تخرج
 حروفها من غير مخرج وتبدو معوجة وهو قرآن عربي غير ذي عوج وقد
 أمر الله بتبليغه وإبراده على هيئة تنزيله فن قرأه بالترجيع والترديد وزلزل
 حروفه بالتعطيل والتعديد فقد ألحقه بدرجات الاغاني وذهب بها فيه من
 طلاوة الانساظ والمعاني قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن بلحون
 العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكفاين وسيجي
 بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة
 قلوبهم وقلوب الذين يحبهم شأنهم ويلحق بذلك اقتناء القينات المغنيات اللاتي
 يلعبن بالعقول لعبهن بالاسماع ويعتدين الشيطان بغنائهن عن رب الجنود
 والاشياخ وقتبا النفس الامارة في ذلك أن تقول هؤلاء اما يحمل نغمة سماعهن
 كما يحمل ما تحت قناعتهن وقد علم أن لكل شئ ثمنا * وقد يتقلب الحلال فيصير
 حراما ومن حرام حول الحلي يوشك أن يقع فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم
 لا تتبعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعملوهن ولا خير في تجارتهم
 وثمن حرام وفي مثل هذا أنزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث
 وكذلك يجري الحكم في المواشط اللاتي يجعلن الحسن موفورا والقبح
 مستورا ويخضعن نظرا الناظر حتى يجعلنه مسكورا فهن يبدن صدقا
 من كذب وجنات من لعب وفعلنه ههنا من الغش الذي نهى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عنه وقال انه ليس منه وقد لعن الواصلة والمستوصلة
 والواشمة والمستوشمة والواشمة والمستوشمة ومن غش المنكرات أيضا
 خضاب الشيب الذي يخالف فيه الظاهر الباطن ويتخلق صاحبه بخلق
 الكاذب الخائن وهب أنه أخفى لون شعره وهل يخفى اخلاقه باسه وإذا
 استسقى ملائم المرأة فلا يغتبه سواد عارضه ولا سواد راسه وقد جعل الله الشيب
 من نعمه المبشرة بطول الأعمار وسماة نورا للونه وهداية ولا تستوى الظلمات
 والانوار قال النبي صلى الله عليه وسلم الشيب أن يشغل بتغير صبغة
 الكتاب ويدأب في محو سواد العقاب بيباض الثواب ففي بقبه عمره مندوحة
 لا ذخار ما يمد ذكره وتبدل ما تقدم سطره ومما خواف في السنة عقد

مجالس التعازي لحضور الناس واظهار شعار الاسود والازرق من اللباس
 والتشبيه بالجاهلية في النوح والتدب ومجاورة دمع العين وخشوع القلب الى
 الاعلان باستحاط الرب وقد تواطأ النساء على ضرب الخيام على القبور وجعل
 الاعياد مواسم لاجتماع الزائر والمزور فصارت المآتم بينهم ولائم والمناقب
 عندهم مآدب وربما نشأ من ذلك ما يغيض طرفا ويجمع أنفا ويوجب حدا
 وقدفا وهكذا حمل أمر الاسلام في تشبيه اهل الذمة بأهله وما كانوا
 يشابهوه في زى غزته ويخالفوه في سلوكه ولا بد من الغيار بأن يشهد
 النصراني عقدة زناره ويصفر اليهودي أعلى ازاره والهنوع من الظاهر
 بطغيان النعمة وعاقب الهمة ويؤمر وبالوقوف عندما يحكم عليهم من الاحكام
 وأخذوا فيه بالاختفاء والاصككتام فعمورهم تستر وشعائر دينهم لا تظهر
 وموتاهم تقبر بالحوول قبل أن تقبر فلا يوقد خلف ميتهم مصباح ولا يتبع بدب
 ولا صياح ومما عرف الناس منكركه اثاره التحريش بين الحيوانات وهي ذوات
 الكبد رطبة وأخلاق صعبة ومما منها الا ما يحل أكله ولا يحل قتله كالكلب
 والحجلة والديك والسماني وما أشبه بهما وقد أكل الناس من اقتنائها والمواظبة
 على اضرار شحنائها ولربما نشأ من ذلك فتنة تؤل الى ضرب وشق ثياب
 واحداث شجاج واثارة عجاج ونحزب الى أحزاب كثيرة وأفواج ويتصل بهذه
 المنكرات المذكورة أشياء أخرى نجري مجراها في التقديم وتنزل منزلتها
 في التحريم فاحكم فيها بحكمك وادحض في شبهاتها بدليل علمك ونب عناني
 التذكير والتحذير والتعريف والتنكير حتى يتقوم الاود ويتضح الرشيد
 ويكث في الارض ما ينقع ويذهب الزبد وليكن علمك الله الذي يسمع ويرى وله
 ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى واعلم أن الامر بالمعروف
 عبادية يتعدى نفع صاحبها الى غيره وتستضيف خبر المأمور بها الى غيره وهي
 الجهاد الاكبر الذي تقاتل فيه عوامى النفوس وتضرب به رؤس الشهوات التي
 هي أمتع من معاقب الرؤس فقتله يحيا بقتله وجرحه يوسى بجراحة نصله ويقتل
 هذا الجهاد يستنزل امداد النعم مضعفة كما يستنزل امداد النصر مردقة فاقدم
 عليه ذاعزم باتر وطرف ساهر وقدم ثابت صابر حتى تطل المعاقب الشيطان
 فأتها وتكون فيمن دعا الى الله وعمل صالحا واعلم أنك في صبيحة كل يوم

يبتدون الملك والديطان وكل منهما يقول يا أيها الإنسان فان أجبت بداء الملك
كتبك في زمرة من مهد بلخيه وخاف مقام ربه وعرج بك الى الله طيبا نشره
مضاعفا أجره وان أجبت بداء الشيطان كتبك في زمرة من أغواه وقرنك بمن
أغفل الله قلبه واتبع هواه ثم نزل به الى الارض خبيثا نجينا وأقبل به على
أخوانه من الشياطين محدثا وهذا آخر ما عهدناه اليك من العهد الذي طوقت
اليوم بكتابك وستناقش غدا على حسابك وكما جعلناه لك في الدنيا ذكرا فاجعله
لك في الآخرة ذخرا ان شاء الله تعالى والسلام (وهذا الذي ذكرته في هذين) من
الكتاب والتقليد يتضمن اطمينا بامسست وفي الاقسام ولولا خوف الاطالة التي
لا حاجة اليها الا وردت قصائد من الشعر أيضا حتى لا يخلوا الموضع من ضرب
أمثلة من المنظوم والمنثور الكافي الذي ذكرته كفاية لمن يجعله على أشباهه
ونظائره (فان قيل) ان الاطناب في الكلام قد وضعوه اسماعلي غير مسمى فان
الكلام لا يخلو من حالين اما أن لا يزيد لفظه على معناه وهو الایجاز أو يزيد
لفظه على معناه وهو التطويل وليس ههنا قسم ثالث فالاطناب اذا (قلت)
في الجواب اعلم أن الایجاز هو ضد التطويل كما أن السواد ضد البياض غير أن
بين الاثنين مراتب ومنازل ليست أضدادا فالاطناب لا يجاز هو ولا تطويل
كما أن الحمره أو الخضره ليست بياضا ولا سودا وقد قدمنا القول ان الاطناب
يأتي في الكلام مؤكدا كالذي يأتي بزيادة التصوير للمعنى المقصود اما حقيقة
واما مجازا والتطويل ليس كذلك فانه التعبير عن المعنى بلفظ زائد عليه يفهم ذلك
المعنى بدونه فاذا حذفت تلك الزيادة بقي المعنى المعبّر عنه على حاله لم يتغير منه شيء
وهذا بخلاف الاطناب فانه اذا حذفت منه تلك الزيادة المؤكدة للمعنى تغير ذلك
المعنى وزال ذلك التأكيده عنه وذهبت فائدة التصوير والتخييل التي تفيد السامع
ما لم يكن الا بها ألا ترى الى قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور وهذا لا يسمى ايجازا لانه أتى فيه بزيادة لفظ وهو ذكر الصدور
وقد علم أن القلوب لا تكون الا في الصدور ولا يسمى تطويلا لان التطويل
لا فائدة فيه أصلا وهذا فيه فائدة وهي ما أشرنا اليه وكذلك باقي أقسام
الاطناب التي تبينها عليها وهذا النزاع فيه (النوع السابع عشر في التكرير) قد
تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف وما ذلك مما يختلط به هذا

النوع الذي هو تكرار المعاني والالفاظ (واعلم) أن هذا النوع من مقاتل علم
البيان وهو دقيق المأخذ وحده هو دلالة اللفظ على المعنى مراداً وربما اشتبه
على أكثر الناس بالاطناب مرة وبالطويل أخرى وقد تقدم الكلام على
الفرق بين هذه الأنواع الثلاثة في باب الاطناب فلا حاجة الى اعادته ههنا وأما
التكرير فقد عرفت مسكه (وهو ينقسم قسمين أحدهما) يوجد في اللفظ والمعنى
(والآخر) يوجد في المعنى دون اللفظ فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك
من تستدعيه أسرع وأسرع ومنه قول أبي الطيب المتنبي

ولم أر مثلاً جبراني وشلي * لمثلي عند مناهم مقام

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقوله قوالك أعطني ولا تعصني فإن الأمر
بالطاعة نهى عن المعصية (وكل من هذين القسمين ينقسم الى مفيد وغير مفيد) ولا
أعني بالمفيد ههنا ما يعنيه النحاة فإنه عندهم عبارة عن اللفظ المركب اتمام الاسم
مع الاسم بشرط أن يكون للاول بالنسبة علاقة بمعنى يسع كلفا بجهله واما من
الاسم مع الفعل التام المتصرف على هذا الشرط أيضاً واما من حرف النداء
مع الاسم فهذا هو المفيد عند النحاة وأنا لم أقصد ذلك ههنا بل مقصودي من
المفيد أن يأتي بمعنى وغير المفيد أن يأتي لغیر معنى (واعلم) أن المفيد من التكرير يأتي
في الكلام تأكيده لله وتشبيده من أمره وانما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشئ
الذي أقررت فيه كلامك أما المبالغة في مدحه أو في ذمّه أو غير ذلك ولا يأتي الا في
أحد طرفي الشئ المقصود بالذكروالوسط عار منه لأن أحد الطرفين هو المقصود
بالمبالغة اتماماً أو ذم أو غيرهما والوسط ليس من شرط المبالغة وغير المفيد
لا يأتي في الكلام الاعيان وخطا من غير حاجة اليه (فأما الاول) وهو الذي يوجد
في اللفظ والمعنى (فانه ينقسم الى ضربين) مفيد وغير مفيد (فالاول المفيد وهو
فرعان الاول) اذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود به
غرضان مختلفان كقوله تعالى واذيعدكم الله احدى الطائفتين أنكم وتودون
أن غير ذات الشوكه تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر
الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون هذا تكرر في اللفظ والمعنى
وهو قوله يحق الحق ويحق الحق وانما جى به ههنا لاختلاف المراد وذلك أن
الاول تميز بين الارادتين والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكه

على غيرها وأنه ما نصرهم ونخذل أولئك إلا لهذا الغرض (ومن هذا الباب)
 قوله تعالى قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمريت لأن أكون أول
 المسلمين قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له ديني
 فأعبدوا ما شئتم من دونه فكرر قوله تعالى قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له
 الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له ديني والمراد به غرضان مختلفان وذلك أن
 الأول اخبار بأنه أمر من جهة الله بالعبادة له والاختصاص في دينه والثاني
 اخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولذا لفته على ذلك
 قدم المعبود على فعل العبادة في الثاني وأخره في الأول لان الكلام أولا واقع في
 الفعل نفسه وايضا وثنائه يافين بفعل الفعل من أجله ولذلك رتب عليه
 فأعبدوا ما شئتم من دونه وعليه ورد قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله
 ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين
 يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وظاهر الاول والثاني أنهم ما
 سواء في المعنى وليس كذلك لان الثاني فيه تخصيص غير موجود في الاول
 ألا ترى أنا اذا قلنا زيد الفضل وقلنا الفضل زيد كان في الثاني تخصيص
 له بالفضل وهذا التخصيص لا يوجد في القول الاول الذي هو زيد الفضل
 ويجوز أن تبدل صفة الفضل فيه بغيرها أو بضعها فيقال زيد الإجل أو زيد
 الانقص واذا قلنا الفضل زيد وجب تخصيصه بالفضل ولم يمكن تغييره عنه
 وكذلك يجري المحكم في هذه الآية فان الله تعالى قال انما المؤمنون الذين آمنوا
 بالله ورسوله ثم قال لم يذهبوا حتى يستأذنوه فوصفهم بالامتناع عن الذهاب
 الا بآذنه وهذه صفة يجوز أن تبدل بغيرها من الصفات كما قال تعالى في موضع آخر
 انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيفاء بصفة غير تلك الصفة
 ولما قال ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وجب تخصيصهم
 بذلك الوصف دون غيره وهذا موضع حسن في تكرير المعاني (ومما يعقبن
 هذا الباب) قوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون
 ما أعبدون ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبدوا لكم دينكم ولي دين وقد
 ظن قوم أن هذه الآية تكرير لا فائدة فيه وليس الامر كذلك فان معنى قوله
 لا أعبد يعني في المستقبل من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلمون فيه ما أطلبه منكم

من عبادة الهى ولا أنا عابد ما عبدتم أى وما كنت عابدا قط فيما سلف ما عبدتم فيه
 يعنى أنه لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فى وقت ما فكيف يرجى ذلك منى
 فى الاسلام ولا أنستم عابدون فى الماضى فى وقت ما ما أنا على عبادته الآن
 (ومما يجرى هذا المجرى) قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
 الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فكثرة الرحمن الرحيم مرتين والفائدة فى ذلك أن
 الاول يتعلق بأمر النبىء والثانى يتعلق بأمر الآخرة فماتة ملق بأمر النبىء يرجع
 الى خلق العالمين فى كونه خلق كلاسهم على أكمل صفة وأعطاه جميع ما يحتاج
 اليه حتى البقرة والذباب وقدير جمع الى غير الخلق كادرار الارزاق وغيرها وأما
 ما يتعلق بأمر الآخرة فهو إشارة الى الرحمة الثانية فى يوم القيامة الذى هو يوم
 الدين وبالجمله فاعلم أنه ليس فى القرآن مكرراً لفائدة فى تكريره فان رأيت
 شأناً منه ~~تكرر~~ من حيث الظاهر فأنتم نظروا فيه فانظروا الى سوابقه ولو احقه
 لتكشف لك الفائدة منه (ومما ورد فى القرآن الكريم مكرراً) قوله تعالى كذب
 قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى انكم رسول أمين فاتقوا
 الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين فاتقوا الله
 وأطيعون ~~ايؤكده~~ عندهم ويقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منهم به
 بفعل الله الاول كونه أميناً فيما بينهم وجعل الله الثانى حسماً طمعه عنهم وخلقهم
 من الاغراض فيما يدعوه اليه (ومن هذا النحو) قوله تعالى كذبت قبلهم قوم
 نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة وأولئك الأحزاب
 ان كل الاكذب الرسل فحق عقاب وانما كثر تكذيبهم ههنا لانه لم يأت به
 على أسلوب واحد بل تنوع فيه بضروب من الصنعة فذكره أولاً فى الجملة
 الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه بان كل واحد من
 الأحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم وفى
 تكرير التكذيب وايضا حبه بعد ايهامه والتنوع فى تكريره بالجمله الخبرية أولاً
 وبالاستثنائية ثانياً وما فى الاستثناء من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص
 المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه وهذا باب من تكرير
 اللفظ والمعنى حسن غامض وبه يعرف مواقع التكرير والفرق بينه وبين
 غيره فافهمه ان شاء الله تعالى (الفرع الثانى من الضرب الاول) اذا كان

التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمراد به غرض واحد كقوله
 تعالى فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر والتكرير دلالة التعجب من تقديره
 واصابته الغرض وهذا كما يقال قتله الله ما أشجعه أو ما أشعره وعليه ورد قول
 الشاعر * ألا يا أسلي ثم أسلي ثم أسلي * وهذا ما بالغ في الدعاء لها بالسلامة
 وكل هذا يجاء به لتقرير المعنى المراد وإثباته (وعليه ورد الحديث النبوي)
 وذات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن بني هشام بن المغيرة أسنة أذنوني
 أن ينكحوا ابنتهم عليا فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يطلق علي ابنتي
 وينكح ابنتهم فقوله لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن من التكرير الذي هو أشد
 موقعاً من الإيجاز لا نصاب العناية إلى تأكيد القول في منع علي رضي الله عنه
 من التزويج بإبنة أبي جهل بن هشام وهذا مثل قوله تعالى أولى لك فأولى ثم أولى
 لك فأولى وسأجل ذلك نقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له لأن قولنا لا إله
 إلا الله مثل قولنا وحده لا شريك له وهما في المعنى سواء وانما كثرنا القول
 فيه لتقرير المعنى وإثباته وذلك لأن من النسيان من يخالف فيه كأنه نصارى
 والتنوية والتكرير في مثل هذا المقام أبلغ من الإيجاز وأحسن وأشد وقعاً
 (ومما جاء في مثل هذا) قوله تعالى والله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيه مبسطه
 في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به
 من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله
 لمبشرين فقوله من قبله بعد قوله من قبل فيه دلالة على أن عهدهم بالمطر قد بعد
 وتطاول فاستحكم بأسهم وتماذى إبلاهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم
 بذلك (وعلى ذلك ورد) قوله تعالى فاتقوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
 ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق فقوله لا يؤمنون بالله ولا
 باليوم الآخر يقوم مقام قوله ولا يدينون دين الحق لأن من لا يؤمن بالله ولا
 باليوم الآخر لا يدين دين الحق وانما كثر ههنا الخطاب على المؤمنين في التمسك
 والتسجيل عليهم بالنذر ورجعهم بالعظام لئلا يكون ذلك أدعى لوجوب قتالهم
 وحرهم وقد قلنا إن التكرير أغاياتها إلهامهم من الأمر الذي يصرف العناية
 إليه يثبت ويتقرر (وكذلك ورد) قوله تعالى وإن تعجب ف عجيب قواهم أنذا كذا ربنا
 أنذا لمنى خلق جديد أولئك الذين كفروا ببرهم وأولئك الأغلال في أعناقهم

وثلاث أصحاب النار هم فيها خالدون فتكرير لفظة أولئك من هذا الباب الذي
 أشرنا إليه كان شدة التنكير واغلاظ العذاب بسبب إنكارهم البعث (وعلى
 هذا ورد) قوله تعالى أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم
 الخاسرون فانه انما تكررت لفظة هم للايدان بتحقيق الخسار والاصل فيها وهم في الآخرة
 الخاسرون لكن لما أريد تأكيده ذلك جئ بتكرير هذه اللفظة المشار إليها
 وكذلك قوله تعالى فكان عاقبةتهما أنهم في النار خالدون فيها وأما في القرآن
 كثير (وكذلك ورد) قوله تعالى في سورة القصص فأصبح في المدينة خائفا يترقب
 فإذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبسبين فلما أن
 أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا
 بالامس فقوله تعالى فلما أن أراد أن يبطش بتكرير أن مرتين دليل على أن موسى
 عليه السلام لم تكن مسارعته الى قتل الثاني كما كانت مسارعته الى قتل الاول بل
 كان عنده ابطاء في بسط يده اليه فمبدا القرآن عن ذلك في قوله تعالى فلما أن أراد أن
 يبطش (وجرت بيني وبين رجل من النحويين مفاوضة) في هذه الآية فقال ان
 أن الاولى زائدة ولو حذفته قبل فلما أراد أن يبطش لكان المعنى سواء ألا ترى الى
 قوله تعالى فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه وقد اتفق النحاة على أن الواردة
 بعد ما وقبل الفعل زائدة فقلت له النحاة لافتيأ لهم في واقع الفصاحة والبلاغة
 ولا عندهم معرفة بأسرارهم امن حيث انهم شحاة ولا شك أنهم وجدوا أن ترد بعد
 لما وقبل الفعل في القرآن الكريم وفي كلام فصحاء العرب فظنوا أن المعنى
 بوجودها كما معنى اذا أسقطت فقالوا هذه زائدة وليس الامر كذلك بل اذا وردت
 لما وورد الفعل بعدها يأسقاط أن دل ذلك على الفور واذا لم تسقط لم يدلنا ذلك
 على أن الفعل كان على الفور وانما كان فيه تراخ وابطاء (وبيان ذلك من وجهين
 أحدهما) أني أقول فائدة وضع الانقضاء أن تكون أدلة على المعاني فاذا أوردت
 لفظة من الانقضاء في كلام مشهود له بالفصاحة والبلاغة فالاولى أن تحمل تلك
 اللفظة على معنى فان لم يوجد لها معنى بعد التنقيب والتنقيب والبحث الطويل قبل
 هذه زائدة دخولها في الكلام كخروجها منه ولما نظرت أنا في هذه الآية
 وجدت لفظة أن الواردة بعد لما وقبل الفعل دالة على معنى واذا كانت دالة على
 معنى فكيف يسوغ أن يقال انها زائدة (فان قيل) انها اذا كانت دالة على معنى

فيجوز أن تكون دالة على غير ما أشرت أنت إليه (قلت في الجواب) إذا ثبت أنها
دالة على معنى فالذي أشرت إليه معنى مناسب واقع في موقعه وإذا كان مناسباً
واقعاً في موقعه فقد حصل المراد منه ودل الدليل حينئذ أنها ليست بزائدة
(الوجه الآخر) أن هذه اللفظة لو كانت زائدة ~~لي~~ كان ذلك قد حفي كلام
الله تعالى وذلك أنه يكون قد نطق بزيادة في كلامه لا حاجة إليه والمعنى يتم
بدونها وحينئذ لا يكون كلامه معجزاً إذ من شرط الإعجاز عدم التطويل
الذي لا حاجة إليه وإن التطويل عيب في الكلام فكيف يكون ما هو عيب في
الكلام من باب الإعجاز هذا محال (وأما قوله تعالى) فلما أن جاء البشير ألقاه
على وجهه فإنه إذا نظرت في قصة يوسف عليه السلام مع اخوته منذ ألقوه في الحب
والى أن جاء البشير إلى أبيه عليه السلام وجد أنه كان ثم ابطأ به بعد وقد اختلف
المفسرون في طول تلك المدة ولولم يكن ثم مدة بعيدة وأمد متطاول لما سمع
بأن بعد لما وقبل الفعل بل كانت تكون الآية فلما جاء البشير ألقاه على وجهه
وهذه دقائيق ورموز لا تؤخذ من النصاة لأنها ليست من شأنهم (واعلم) أن من
هذا النوع قسم ما يكون المعنى فيه مضافاً إلى نفسه مع اختلاف اللفظ وذلك يأتي في
الالفاظ المترادفة وقد ورد في القرآن الكريم واستعمل في فصيح الكلام فنه قوله
تعالى والذين سعوا في آياتنا معجزين أولئك هم عذاب من رجز أليم والرجز هو
العذاب وعليه ورد قوله أبي تمام

نموض بشقل العب مضطلع به * وإن عظمت فيه الخطوب وجات
والثقل هو العب والعب هو الثقل (وكذلك) ورد قول البحري
ويوم تثنت للسوداع وسامت * بعينين موصول بلخظه ما السحر
توهمتها ألوى بأجفانها الكرى * كرى النوم أو مات بأعطافها الخمر
فإن الكرى هو النوم وربما أشكل هذا الموضع على كثير من متعاطي هذه
الصناعة وظنوه مما لا فائدة فيه وليس كذلك بل الفائدة فيه هي التأكيدها للمعنى
المقصود والمبالغة فيه أما الآية فالمراد بقوله تعالى عذاب من رجز أليم عذاب
مضاعف من عذاب وأما بيت البحري فإنه أراد أن يشبه طرفه الفتور بالنام فمكرر
بوجهه لا يقال وأما بيت البحري فإنه أراد أن يشبه طرفه الفتور بالنام فمكرر
المعنى فيه على طريق المضاف والمضاف إليه تأكيدها وزيادة في بيانه وهذا

الموضع لم ينبه عليه أحد سوى ولربما أدخل في التكرير من هذا النوع ما ليس منه وهو موضع لم ينبه عليه أيضاً أحد سوى (فنه قوله تعالى) ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم فلما تكررت أن ربك مرتين علم أن ذلك أدل على المغفرة وكذلك قوله تعالى ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما قاتلوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ومثل هذا قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمغفارة من العذاب وهذه الآيات يظن أنهم من باب التكرير وليست كذلك وقد أنعمت نظري فيها فرأيتها خارجة عن حكم التكرير وذلك أنه إذا طال الفصل من الكلام وكان أقوله يفترق إلى تمام لا يفهم إلا به فالأولى في باب الفصاحة أن يعادلفظ الأول مرة ثانية ليكون مقارناً لتمام الفصل كي لا يجرى الكلام منشوراً الاسم في أن وأخواتها فإذا وردت أن وصكان بين اسمها وخبرها فصحة طويلة من الكلام فعادة أن أحسن في حكم البلاغة والفصاحة كالأذى تقدم من هذه الآيات وعليه ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة

أصبحنا رقيداً واشتدنا قفاً وغربة * ونأى حبيب أن ذال العظيم

وإن امرأ دامت موافيق عهده * على مثل هذا أنه الكريم

فانه لما طال الكلام بين اسم أن وخبرها أعيدت أن مرة ثانية لأن تقدير الكلام وإن امرأ دامت موافيق عهده على مثل هذا الكريم لكن بين الاسم والخبر مدى طويل فاذا لم تعد أن مرة ثانية لم يأت على الكلام بهجة ولا رونق وهذا لا يتنبه لاستعماله إلا الفصحاء أما طبعاً وأما علماً (وكذلك يجري الأمر) إذا كان خبر أن عاماً لا في معمول بطول ذكره فإن إعادة الخبر ثانية هو الأحسن وعلى هذا جاء قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام إذ قال يوسف لأبيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فلما قال اني رأيت ثم طال الفصل كان الأحسن أن يعيد لفظ الرؤية فيقول رأيتهم لي ساجدين وكذلك جاءت الآية المذكرة ههنا قبل هذه وهي قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا فانه لما طال الفصل أعاد قوله فلا تحسبنهم بمغفارة من العذاب فاعلم ذلك وضع يدك عليه وكذلك الآية التي قبلها وهي قوله تعالى ثم إن

ربك للذين علموا السوء بجهالة وكذلك الآية الاخرى وهي ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا (ومن باب التكرير في اللفظ والمعنى) الدال على معنى واحد قوله عز وجل وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما اهداكم الى ما كنتم تنكروا وان الاخرة هي دار القرار فانه انما كثر رداء قومه ههنا لزيادة التنبيه لهم والابقاظ عن سنة الغفلة ولانهم قوم وعشيرة وهم فيما يلقونهم من الضلال وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتعزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهمةوه فان سرورهم سروره ونعيمهم نعمه وأن ينزلوا على نصيحتهم لهم وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الايجاز وأشد موقة من الاختصار فاعرفه ان شاء الله تعالى (وعلى نحو منه) جاء قوله تعالى في سورة القمر فذوقوا عذاب ونذروا فقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فانه قد تكرر ذلك في السورة كثيرا وفائدته أن يجتدوا عند استماع كل نيا من أنباء الاقارب اذ كانوا ياقظوا وان يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الخ على ذلك والبعث اليه وأن تفرح لهم العصامات اثلا بغيرهم السهو وتستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن فبأي آلاء ربكما تكذبان وذلك عند كل نعمة عدها على عباده وأمثال هذا في القرآن الكريم كثير (ومما ورد) من هذا النوع شعرا قول بعض شعراء الحجازة

الى معدن العزم المؤئل والندى * هنالك الفضل والخلق الجزل
فقوله هنالك هنالك من التكرير الذي هو أبلغ من الايجاز لانه في معرض مدح فهو يقرر في نفس السامع ما عند المدح من هذه الاوصاف المذكورة مشبرا اليها كأنه قال أدلكم على معدن كذا وكذا ومقره ومقاده (وكذلك) ورد قول المساور بن هند

جزى الله عنى غالبا من عشيرة * اذا حدثان الدهر فابت نوابه
فكم دافعوا من كربة قد تلاجت * على وموج قد علمتني غواربه
فصدر البيت الثاني وعجزه يدلان على معنى واحد لان تلاحم الكرب عليه كتمالي الموج من فوقه وانما سوغ ذلك لانه مقام مدح واطراء ألا ترى أنه يصف احسان هؤلاء القوم عند حدثان دهره في التكرير وفي قبالة لو كان القائل

قوله واعلم المتنبى من الزكاة ما لا يخفى والمعنى واضح اهـ

هاجبا فان الهجاء في هذا كلام دح والتكرير انما يحسن في كلا الطرفين لافي
الوسط (واعلم) أنه اذا وردت ان المكسورة المخففة بعد ما كانت بعننا هاسوا
ألا ترى الى قوله تعالى ان هم الا كالا نعم فان وما يعنى واحد واذا اوردت
من بعد ما كانت من باب التكرير كقولنا ما ان يكون كذا وكذا أى ما ما يكون
كذا وكذا واذا وردت في الكلام فانما ترد في مثل ما أشرنا اليه من التكرير
فان استعملت في غير ما يكون منها الفائدة فينبجها تكرريرها كان استعمالها لغوا
لا فائدة فيه وقد زعم قوم من مدعى هذه الصناعة أن أبا الطيب المتنبى أتى في هذا
البيت بتكرير لا حاجة به اليه وهو قوله

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن
برأيس في هذا البيت من تكرير فانه كقولك الموصوف بكذا وكذا ابن الموصوف
كذا وكذا أى انه عريق النسب في هذا الوصف (وقد ورد) في الحديث النبوى
مثل ذلك كقول النبي صلى الله عليه وسلم في وصف يوسف الصديق عليه السلام
الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن
ابراهيم (واقطع فافوضنى في هذا البيت المشار اليه) بعض علماء الادب وأخذ
يطعن فيه من جهة تكراره فوقفته على مواضع الصواب منه وعرفته أنه كالنبر
النبوى من جهة المعنى سواء بسواء لكن لفظه ليس بمرضى على هذا الوجه الذى
قد استعمل فيه فان الالفاظ اذا كانت حسنا في حال انفرادها فان استعمالها
في حال التركيب يزيد حاسا على حسنها أو يذهب ذلك الحسن عنها وقد تقدم
الكلام على ذلك في المقالة الاولى من الصناعة اللفظية ولوتهميا لابي الطيب
المتنبى أن يبدل لفظه العارض بلفظة الصحاب أو ما يجرى مجراها لكان أحسن
وكذلك لفظه الهتن فانها ليست بمرضية في هذا الموضع على هذا الوجه ولفظة
العارض وان كانت قد وردت في القرآن وهى لفظه حسنة فالفرق بين ورودها
في القرآن الكريم وورودها في هذا البيت الشعري ظاهر وقد تقدم الكلام
على مثلها من آية وبيت لابي الطيب أيضا وهو في المقالة اللفظية عند الكلام على
الالفاظ المقردة فليؤخذ من هنالك وكثيرا ما يقع الجهال في مثل هذه المواضع
وهم الذين قيل فيهم وكذا كل أخى سداقة * مامشى في لباس الازاق
فترى أحدهم قد جمع نفسه وظن على جهله أنه عالم فيسرع في وصف كلامه بالايجاز

وكلام بالتطويل أو بالتكرير وإذا طول بأن يبدى سبب الماذكره لا يوجد
عنده من القول شيء إلا تحكما محضاً صادراً عن جهل محض (الضرب الثاني
من التكرير في اللفظ والمعنى) وهو غير المفيد فمن ذلك قول مروان الأصغر
سقى الله نجد والاسلام على نجد * ويأخذ بنجد على النأى والبعد
نظرت الى نجد وبغداد دونها * لعل أرى نجداً وهي هات من نجد
وهذا من المعنى الضعيف فإنه كثر ذكر نجد في البيت الأول ثلاثاً وفي البيت الثاني
ثلاثاً ومراده في الأول الثناء على نجد وفي الثاني أنه تافت اليها ناظر من بغداد
وذلك مرعى بعيد وهذا المعنى لا يحتاج الى مثل هذا التكرير أمّا البيت الأول
فيجمل على الجائز من التكرير لانه مقام تشويق وتحرق وموجدة بفراق نجد
ولما كان كذلك أجزئ فيه التكرير على أنه قد كان يمكنه أن يصوغ هذا المعنى
الوارد في البيتين معاً من غير أن يأتي بهذا التكرير المتتابع ست مرات (وعلى
هذا الاسلوب) ورد قول أبي نواس

أقنابها يوم ما ويوماً ثالثاً * ويوماً له يوم الترحل خامس
ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ويأخذ به يأتي على هذا البيت
الضعيف الدال على المعنى الفاحش في ضمن تلك الايات العجيبة الحسن التي
تقدم ذكرها في باب الایجاز وهي * ودارند امی عطلوها وأدبلوا * (ومن هذا
الباب أيضاً) ما أوردناه في صدر هذا النوع وهو قول أبي الطيب المتنبي
ولم أر مثل جيرانى ومثلى * لمثلى عند مثلهم مقام

فهذا هو التكرير الفاحش الذي يؤثر في الكلام نقصاً ألا ترى أنه يقول لم أر
مثل جيرانى في سوء الجوار ولا مثلى في مصابرتهم ومقامى عندهم إلا أنه قد كثر
هذا المعنى في البيت مرتين وعلى نحو من ذلك جاء قوله أيضاً
وقلقت بالهم الذي قلقت الحشى * قلاقل عيس كاهن قلاقل
(وأما القسم الثاني من التكرير) وهو الذي يوجد في المعنى دون اللفظ (فذلك
ضربان) مفيد وغير مفيد (الضرب الأول المفيد وهو فرعان الأول) إذا كان
التكرير في المعنى يدل على معنيين مختلفين وهو موضع من التكرير يرشك لانه
يسبق الى الوهم أنه تكرر بريدل على معنى واحد (فما جاء منه) حديث حاطب بن
أبي بلتعنة في غزوة الفتح وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر على بن أبي طالب

والزبير والمقداد رضي الله عنهم فقال اذهبوا الى روضة خاخ فان بها طعينة معها
كتاب فأتوني به قال علي رضي الله عنه فخرجنا تنعمادي بنا خيلنا حتى أتينا
الروضة واذا فيها الطعينة فأخذنا الكتاب من عقاصها وأتينا به رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأداه من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم
ببعض شان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما هذا يا حاطب فقال يا رسول
الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ماصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من
معدن من المهاجرين لهم قرابة يحرمون بها أموالهم وأهليهم بمكة فأحببت اذفاتني
ذلك من النسب أن اتخذ عندهم يدا يحرمون بها اقرايتي وما فعلت ذلك كفرا ولا
ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قد صدقكم فقلوه ما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا
بالكفر بعد الاسلام من التكرير الحسن وبعض الجهال يظنه تكرير الاقائدة فيه
فان الكفر والارتداد عن الدين سواء وكذلك الرضا بالكفر بعد الاسلام
وليس كذلك والذي يدل عليه اللفظ هو اني لم أفعل ذلك وأنا كافر أي باق على
الكفر ولا مرتد أي اني كفرت بعد اسلامي ولا رضا بالكفر بعد الاسلام أي
ولا ايشار الجانب الكفار على جانب المسلمين وهذا حسن في مكانه واقع في
موقعه وقد يحمل التكرير فيه على غير هذا الفرع الذي نحن بصدد ذكره
ههنا وهو الذي يكون التكرير فيه يدل على معنى واحد وسيأتي بيانه في الفرع
الثاني الذي يلي هذا الفرع الاول والذي يجوز ان هذا المقام هو مقام اعتذار
وتنصل عماري به من تلك القارعة العظيمة التي هي نفاق وكفر فكثرة المعنى
في اعتذاره قصده الالتئام والتقرير لما يتنى عنه ماري به (وما ينظم به هذا
المثلث) انه اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص والاخر
عام كقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر فان الامر بالمعروف داخل تحت الدعاء الى الخير لان الامر
بالمعروف خاص والخير عام فكل امر بالمعروف خير ولايس كل خيرا امر بالمعروف
وذال ان الخير أنواع كثيرة من جملتها الامر بالمعروف فثالثة التكرير ههنا أنه
ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضيلة كقوله تعالى حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى وكقوله تعالى فيهما فاكها ونخل ورمان وكقوله تعالى انا

عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحسمانها فان الجبال
داخلة في جملة الارض لكن لفظ الارض عام والجبال خاص وفائدة ههنا تعظيم
شأن الامانة المشار اليها وتفضيل أمرها (وقد ورد) هذا في القرآن الكريم كثيرا
ومما ورد منه شعرا قول من آيات الحماسة

وان الذي بيني وبين بني أبي * وبين بني عمي لمختلف جدا
اذا أكارا الحى وفرت لحومهم * وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم * وان هم هو واغني هويت لهم رشدا
فهذا من الخاص والعام فان كل لحم يؤكل للانسان فهو تضییع لغيبه وليس
كل تضییع لغيبه أكلا للحمه ألا ترى أن أكل اللحم هو كناية عن الاغتيال وأما
تضييع الغيب فانه الاغتيال وهذه التخلي عن النصرة والاعانة ومنه اهمال السعي
في كل ما يعود بالنفع كأننا ما كان وعلى هذا فان هذين البيتين من الخاص والعام
المشار اليه في الآية المتقدم ذكرها وهو موضع يرد في الكلام البليغ ويظن أنه
لا فائدة فيه (الفرع الثاني) اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنى واحد
لا غير وقد سبق مثال ذلك في أول هذا الباب كقولك أطيعني ولا تعصني فان الامر
بالطاعة منهي عن المعصية والفائدة في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب
والكلام في هذا الموضع كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ والمعنى
اذا كان الغرض به شيئا واحدا ولا نجد شيئا من ذلك يأتي في الكلام الا لتأكيده
الغرض المقصود به كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأطيعوا أولادكم
عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم فانه انما
كرر العفو والصفح والمغفرة والجميع بمعنى واحد للزيادة في تحسين عفو الوالد
عن ولده والزوج عن زوجته وهذا أمثاله ينظر في الغرض المقصود به وهو
موضع يكون التكرير فيه أوجز من لمحة الایجاز وأولى بالاستعمال (وقد
ورد) في القرآن الكريم كثيرا كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام قال انما
أشكوى وحرني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون فان البت والحرز بمعنى واحد
وانما كثره ههنا لشدته الخطب النازل به وتذكيره ههنا لشدته في قلبه وهذا
المعنى كالذي قبله وكذلك ورد قوله تعالى تلك عشرة كاملة بعد ثلاثة وسبعة
تتوب مذاب قوله ثلاثة وسبعة مرتين لان عشرة هي ثلاثة وسبعة ثم قال كاملة

وذلك نو كيد ثالث والمراد به ايجاب صوم الايام السبعة عند الرجوع في الطريق
 على الفور لاعتماد الوصول الى البلد كما ذهب اليه بعض الفقهاء وبيانه أني أقول
 اذا صدر الامر من الامر على المأمور بلفظ التكرير مجردا من قرينة تخرجه
 عن وصفه ولم يكن موقتا بوقت معين كان ذلك حثا له على المبادرة الى امتثال
 الامر على الفور فانك اذا قلت لمن تأمره بالقيام قم قم قم فانما تريد به هذا اللفظ
 المكرر أن يبادر الى القيام في تلك الحال الحاضرة (فان قلت) الغرض بتكرير
 الامر أن يتقرر في نفس المأمور أنه مراد منه وليس الغرض الحث على المبادرة
 الى امتثال الامر (قلت في الجواب) ان المرة الواحدة كافية في معرفة المأمور
 أن الذي أمر به مراد منه والزيادة على المرة الواحدة لا تغني عما أن تكون دالة
 على مادات عليه المرة الواحدة أو دالة على زيادة معنى لم تكن في المرة الواحدة
 فان كانت دالة على مادات عليه المرة الواحدة كان ذلك تطويلا في الكلام لا حاجة
 اليه وقد ورد مثله في القرآن الكريم كهذه الآية المشار اليها وغيرها من
 الآيات والتطويل في الكلام عيب فاحش عند البلغاء والقصاصاء والقرآن مجز
 ببلاغته وفصاحته فكيف يكون فيه تطويل لا حاجة اليه فينبغي أن تكون تلك
 الزيادة دالة على معنى زائد على مادات عليه المرة الواحدة واذا ثبت هذا قلنا
 الزيادة هي الحث على المبادرة الى امتثال الامر فان سلمت لي ذلك والاقبين معنى
 تلك الزيادة ببيان غير ما ذكرته أنا ولا أرا لك أن تستطيع ذلك (فان قلت) ان الواو
 في قوله تعالى وسبعة اذارجعتم لولا أن تؤكدي قوله تلك عشرة اظن أنها وردت
 بمعنى أو أي فثلاثة أيام في الحج أو سبعة اذارجعتم فلما قيل تلك عشرة زال هذا
 الظن وتحققت الواو أنها عاطفة وايست بمعنى أو (قلت في الجواب) هذا باطل
 من أربعة أوجه الوجه الاول أن الواو والعاطفة لا تجعل بمعنى أو أين وردت من
 الكلام وانما تجعل بمعنى أو حال ضرورة ترجيح جانبها على جانب جعلها عاطفة
 لان الأصل فيها أن تكون عاطفة فإذا عدل بها عن أصلها احتاج الى ترجيح
 ولا ترجيح ههنا الوجه الثاني بلاغي وذلك أن القرآن الكريم منتهى البلاغة
 والفصاحة ما كان اعجازا فلو كان معنى الواو في هذه الآية بمعنى أو لقليل فثلاثة
 أيام في الحج وسبعة اذارجعتم ولم يحتاج الى هذا التطويل في قوله فثلاثة أيام في
 الحج وسبعة اذارجعتم تلك عشرة كاملة الوجه الثالث أن هذا الصوم حكم من

حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا القوم هم انا نبرآء منكم وبما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدايننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده فان البغضاء والعداوة بمعنى واحد وانما حسن ايرادهما معاً في معرض واحد لتأكيد البراءة بين ابراهيم صلوات الله عليه والذين آمنوا به وبين الكفار من قومهم حيث لم يؤمنوا بالله وحده ولله بالغصة في اظهار القطيعة والمصارمة وورد مثل ذلك في مثل هذا الموضع كالايجاز في موضعه وان ترى شيئاً يرد في القرآن الكريم من هذا القبيل الا وهو لا مراقتضاء وان خفي عنك موضع السرفيه فاسأل عنه أهله العارفين به (ومما ورد منه شعراً) قول بعضهم في آيات الحماسة

نزلت على آل المهلب شاتياً * بعيداً عن الاوطان في زمن المحل
فما زال بي اكرامهم وافتقارهم * واحسانهم حتى حسبتهم أهلي
فان الاكرام والافتقار اذا خلان تحت الاحسان وانما كثر ذلك للتنويه بذكر الصنيع والايجاب لحقه وعلى هذا ورد قول الاعشى في قصيدته المشهورة التي يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال منها

فا كنت لا أرقى لها من كلاله * ولا من وجى حتى تلاقى محمداً
فان الوجى والكلاله معناه ما ساء وانما حسن تكريره ههنا للاشعار ببعده المسافة (الضرب الثاني من القسم الثاني) في تكرير المعنى دون اللفظ وهو غير المفيد من ذلك قول أبي تمام

قسم الزمان ربوعها بين الصبا * وقبولهاود بورها أنلا ثما
فان الصبا هي القبول وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فيما يرجع الى تكرير اللفظ والمعنى ولا مثل التكرير في قوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف فيما يرجع الى تكرير المعنى دون اللفظ وقول أبي تمام الصبا والقبول لا يشتمل الا على معنى واحد لا غير وهذا الضرب من التكرير قد خطا فيه علماء البيان خطا كثيراً والاكثر منهم أجازوه فقالوا اذا كانت الالفاظ متغايرة والمعنى المعبر عنه واحداً فليس استعمال ذلك بمعيب وهذا القول فيه نظر والذي عندي فيه أن الناثر يعاب على استعماله مطلقاً اذا أتى لغیر فائدة وأما الناظم فانه يعاب عليه في موضع دون موضع أما الموضع الذي يعاب استعماله فيه فهو صدور الآيات الشعرية

وما والاها وأما الموضع الذي لا يعاب استعماله فيه فهو الاستعجاز من الآيات
لمكان القافية وإنما جاز ذلك ولم يكن عيبا لأنه قافية والشاعر مضطر إليها والمضطر
يحل له ما حرم عليه ~~كقول~~ امرئ القيس في قصيدته اللامية التي مطلعها
ألا انعم صبا حاليها الطلل البالي * فقال

وهل ينعم من الأسعد مخلد * قليل الهموم لا بيت بأوجال
وإذا كان قليل الهموم فإنه لا بيت بأوجال وهذا تكرير للهمزة في الآية ليس
بمعيب لأنه قافية وكذلك ورد قول الخطيب

قالت أمامة لا تجزع فقلت لها * إن العزاء وإن الصبر قد غلبا
هلا التمت لنا إن كنت صادقة * ما لا نعيش به في الناس أو فشا
فالبيت الأول معيب لأنه كثر العزاء والصبر أذعنهما واحد ولم يرد قافية لأن
القافية هي الباء وأما البيت الثاني فليس معيب لأن التكرير جاء في النسب وهو
قافية (وعما يجري هذا المجرى) قول المنخل البيت كرى

واقدد خات على الفتى * قاله در في اليوم المطير
الكاعب المسناء تر * قل في الدمقس وفي الحرير
فإن الدمقس والحرير سواء وقد ورد قافية فلا بأس به من أجل ذلك (فإن قيل)
إن الحرير هو الأبريسم المنسوج بدليل قوله تعالى وجزاهم بمصابروا الجنة وحريرا
فإنه لم يرد خيوط أبريسم وإنما أراد أنثوابا من الأبريسم وأما الدمقس فإنه خيوط
الأبريسم محمولة بدليل قول امرئ القيس * وشكم كهداب الدمقس المقتل
فإنه لم يرد أبريسم وإنما أراد خيوط الأبريسم (فالجواب عن ذلك) أنه
لو حمل بيت المنخل على ذلك أفسد معناه لأن المرأة لا ترفل في خيوط من الأبريسم
واعتزفت في الأثواب منه وأما قول امرئ القيس كهداب الدمقس فإنه لو كان
الدمقس هو الخيوط المحمولة من الأبريسم لما احتاج أن يقول كهداب فإن
الهداب جمع هذب ثم قال المقتل فدل بذلك على أن الدمقس يطلق على الأبريسم
سواء كان منسوجا أو غير منسوج وكذلك الحرير أيضا وعند الاستعمال يفهم
المراد منه بالقرينة ألا ترى أنه لما قال المنخل ترفل في الدمقس وفي الحرير فهم
من ذلك أنه أراد أنثوابا من الدمقس ومن الحرير لأن الرقول لا يكون في خيوط من
الأبريسم وإنما يكون في أثوابه (وعما يجري على هذا النهج) قول الآخر

من شعراء الحماسة

اني وان كان ابن عمي غائباً * لمقادف من خلفه وورائه
فان خلفا ووراء جمع في واحد وانما جازت تكرارهما لانهم ما قافية (وعلى هذا)
ورد قول أبي تمام

دمن كان الين أصبح طالبا * دمنالدي آثارنا وحقودا
فان الدمنة هي الحقد (وكذلك) قول أبي الطيب المتنبى

بحر تمود أن يذم لأهله * من دهره وطوارق الحدثنان
فكر كته واذا أذم من الوري * راعاك واستثنى بن جدان

فان الدهر وطوارق الحدثنان سواء وانما جازا استعمال ذلك لانه قافية (وأما
ما ورد في أثناء الابيات الشعرية) فمكقول عنبرة

حييت من طال تقادم عهده * أقوى وأقفر به دأتم الهيم

فقوله أقوى وأقفر من المعيب لانهم ما القطان وردا بمعنى واحد لا غير ضرورة اذ
الضرورة لا تكون الا في القافية كما أريتك (وأما ما ورد من صدر دورا لبيات)
فمكقول البحتري في قصيدته العينية

ألمت وهل المامها بك نافع * وزارت خيالا والعيون هو اجمع

فان قوله ألمت وقوله وزارت خيالا سواء ولا فرق اذا بين صدر البيت وبجزمه
(فان قيل) انه أراد بالامام زيارة البقعة ثم قال وزارت خيالا (فالجواب عن ذلك)
انه لم يرد الا زيارة المنام في الحالتين لانه قال ألمت وهل المامها بك نافع ولو كان
الامام في البقعة لما قال وهل المامها بك نافع فانه لا نفع أنفع من زيارة الم محبوب في
البقعة وهذا غير خاف لا يحتاج الى السؤال عنه (فان قيل) لم أجزت ذلك للتناظم
وحظرت على الناثر (قلت في الجواب) أما الناثر فانه اذا سمع كلامه قال غالب
أن يأتي به مزدوجا على فقرتين من الفقر ويمكنه ابدال تلك الفقرتين بغيرهما فيسلم
منه وأما الشاعر فانه يصوغ قصيد اذا أبيات متعددة على قافية من القوافي
فاذا تذكر له شيء من الكلام في آخر بيت من الابيات عسر ابداله من أجل
القافية وهذا غير خاف والسؤال عنه غير وارد وهذا الذي ذكرته اذا ورد في غير
القافية - في الخلاء ويقال ان البحتري كان يهمل كثيرا في شعره وهو عمري
كذلك الا أن حسن سبكه ورونق ديباجته يغفر له ذلك (ويروى عنه) أنه

كان اذا مثل بين يدي الفتح بن خاقان وزير المتوكل مادحاً له اختيال بين يديه
 مهجياً بنفسه فتقدم خطوات ثم تأخر وقال أي شيء تسعون فتقدم عليه ذلك بعض
 حسدته وجعل الفتح بن خاقان عليه فقال له الفتح لورمانا بالجاردة الكان ذلك
 مغفورا له فيما يقوله (النوع الثامن عشر في الاعتراض) وبعضهم يسميه الحشو
 وحده كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو أسقط لبقى الأول على حاله مثال
 ذلك أن تقول زيد قائم فهذا كلام مفيد وهو مبتدأ وخبر فإذا أدخلنا فيه لفظاً
 مفرداً قلنا زيد والله قائم ولو أضفنا القسم منه لبقى الأول على حاله وإذا أدخلنا
 في هذا الكلام لفظاً مركباً قلنا زيد على ما به من المرض قائم فأدخلنا بين المبتدأ
 والخبر لفظاً مركباً وهو قوله تعالى ما به من المرض فهذا هو الاعتراض وهذا حده
 (واعلم) أن الجائز منه وفي الجائز انما يؤخذ من كتب العربية فإنه يكون مستقصى
 فيها كالاقتراض بين القسم وجوابه وبين الصفة والموصوف وبين المعطوف
 والمعطوف عليه وأشبه ذلك مما يحسن استعماله وكالاقتراض بين المضاف
 والمضاف إليه وبين أن واسمها وبين حرف الجر ومجروره وأمثال ذلك مما يقع
 استعماله وليس هذا مكانه لأن كتابنا هذا موضوع لمن استكمل معرفة ذلك
 وغيره مما أشرنا إليه في صدر الكتاب وليس المراد ههنا من الاعتراض إلا ما يفرق
 به بين الجيد والردى لا ما يعجز به الجائز وغير الجائز لأن كتابي هذا
 موضوع لذلك وما يتضمنه الكلام على اختلاف أنواعه من وصفي النصيحة
 والبلاغة فالذي أذكره في باب الاعتراض انما هو ما أشق على شيء من هذين
 الوصفين المشار إليهما (واعلم أن الاعتراض ينقسم قسمين أحدهما) لا يأتي في
 الكلام إلا لفائدة وهو جار مجرى التوكيد (والآخر) أن يأتي في الكلام لغير فائدة
 فاما أن يكون دخوله فيه كخروجه منه واما أن يؤثر في تأليفه نقصاً وفي معناه
 فساداً (فالقسم الأول) وهو الذي يأتي في الكلام لفائدة كقوله تعالى فلا أقسم
 بمواقع النجوم وأنه أقسم لو تعلمون عظيم أنه لقرآن كريم في كتاب مكنون ففي هذا
 الكلام اعتراضان أحدهما قوله وأنه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اعتراض بين
 القسم الذي هو فلا أقسم بمواقع النجوم وبين جوابه الذي هو أنه لقرآن كريم وفي
 نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذي هو قسم وبين صفة
 التي هي عظيم وهو قوله لو تعلمون فذلك اعتراضان كما ترى وفائدة هذا الاعتراض

بين القسم وجوابه انما هي تعظيم لشأن القسم به في نفس السامع ألا ترى الى قوله
 لو تعاونوا اعتراضا بين الموصوف والصفة وذلك الامر بحيث لو علم وفي حقه من
 التعظيم وهذا مثل قولنا ان هذا الامر اعظيم بحيث لو تعلم يا فلان عظمه لقد رتبته حق
 قدره فان ذلك يكبر في نفس المخاطب ويظل مستطلعا الى معرفة عظمه (وكذلك)
 ورد قوله تعالى ويجعلون الله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وتقديره ويجعلون الله
 البنات ولهم ما يشتهون فاعترض بين المفعولين بسبحانه وهو مصدر يدل على
 التنزيه فركانه قال ويجعلون الله البنات وهو منزه عن ذلك ولهم ما يشتهون وقائدة
 هذا الاعتراض ههنا ظاهرة (وكذلك) ورد قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام
 قالوا انفق قد صواع الملك ولنا جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا
 لنفسد في الارض وما كنا سارقين فقوله لقد علمتم اعتراض بين القسم وجوابه
 وقائده تقرير اثبات البراءة من الفساد والنزاهة من تهمة السرقة أي انكم
 قد علمتم هذا مننا ونحن مع علمكم به نقسم بالله على صدقه وقد ورد الاعتراض
 في القرآن كثيرا وذلك في كل موضع يتعلق بنوع من خصوصية البلاغة في المعنى
 المقصود (ومن هذا القسم) قوله تعالى واذا بد لنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل
 قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون فهذا الاعتراض بين اذا وجوابها لان
 تقدير الكلام واذا بد لنا آية مكان آية قالوا انما أنت مفتر فاعترض بينهما بقوله
 تعالى والله أعلم بما ينزل وهو مبني على خبر وقائده اعلام القائلين انه مفتر ان ذلك
 من الله وليس منه وأنه أعلم بذلك منهم (ومن هذا الباب) قوله تعالى ووصينا
 الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك
 ألا ترى الى هذا الاعتراض الذي قد طبق مفصل البلاغة وقائده انه لما وصي
 بالوالدين ذكر ما تكابده الام من المشاق في حمل الولد وفصاله ايجابا للوصية بها
 وتذكيرا بحقوقها وانما خصها بالذكور دون الابدان لانها تتكلف من أمر الولد
 ما لا يتكلفه ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قال له من أبر فقال أمك ثم
 أمك ثم أمك ثم أبوك (ومما جاء على هذا الاسلوب) قوله عز وجل واذا قلتم نفوسا
 فإذا رأتهم فيها وأنه مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله
 الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون فقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اعتراض بين
 المعطوف والمعطوف عليه وقائده أن يقرر في نفوس المخاطبين وقلوب السامعين

أن تدارأني اسمرا تيل في قتل تلك النفس لم يكن نافعا لهم في اخفائه وكتائه لان
الله تعالى مظهر لذلك ولو جازا الكلام غير معترض فيه لكان واذا قلتم نفسا
فاذا رأتهم فيها فلهذا اضربوه ببعضها ولا يخفى على البليغ الفرق بين ذلك وبين
كونه معترضاً فيه (ومما ورد من ذلك شعرا) قول امرئ القيس

ولو أن ما أسمى لأدنى معيشة * كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسمى لجهد مؤثّل * وقد يدرك الجهد المؤثّل أمثالي

تقديره كفاني قليل من المال فاعترض بين الفعل والفعل بقوله ولم أطلب
وقائده تحقير المعيشة وأنها تحصل بغير طلب ولا عناء وانما الذي يحتاج الى
الطلب هو الجهد المؤثّل (وكذلك) قول جرير

واقدا رأني والجديد الى بلى * في موكب طرف الحديث كرام

تقديره واقدا رأني في موكب طرف الحديث فاعترض بين المقولين وانما جاء بهذا
الاعتراض تعزيا عما مضى من تلك اللذة وذلك النعيم الذي فاز به من عشرة أولئك
الاحباب ولقد أعهدني في كذا وكذا من اللذة وذلك قدم مضى وسلف وبلى جديده
وكذلك كل جديد فانه الى بلى والاعتراض اذا كان هكذا كسا الكلام لطفاً ان
كان غزلاً وكسا أي به وجلا لان كان مديحاً وما يجري مجراه من أساليب
الكلام وان كان هجاء كسا أي كيدا واثباتا كقول كثير

لو أن الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله وأنت منهم من محمود الاعتراض ونادره وقائده ههنا التصريح بما هو المراد
وتقديره هذا الكلام قبل الاعتراض لو أن الباخلين رأوك فاعترض بين اسم ان
وهو الباخلين وبين خبرها وهو رأوك بالمبتدأ والخبر الذي هو وأنت منهم
(ومن محاسن ما جاء في هذا الباب) قول المضرّب السعدي

فلوسأت سراة الحى سلى * على أن قد تلون بي زمانى

تلبرها ذروا حساب قومي * وأعدائى فكل قد يلاقى

وهذا اعتراض بين لو وجوابه وهو من فائق الاعتراض ونادره وتقديره فلوسأت
سراة الحى سلى تلبرها ذروا حساب قومي وأعدائى وقائده قوله على أن قد تلون
بي زمانى أي أنهم يخبرون عنى على تلون الزمان بي يريد تنقل حاله من خير وشر
وليس من عجمه الزمان وأبان عن جوهره كغيره من لم يحجمه ولا أبان عنه (ومن ذلك)

قول أبي تمام

وان الغنى لي ان لحظت مطالي * من الشعر الا في مديحك أطوع
وهذا البيت فيه اعتراض الاول بين اسم ان وخبرها تقديره وان الغنى أطوع لي
من الشعر فاعتراض بين الاسم والخبر بقوله ان لحظت مطالي وأما الاعتراض
الثاني فقوله الا في مديحك فجاء بالجملة الاسمية ثنائية مقدمة وموضعها التأخير
فاعترض بها بين الجملة التي هي خبر ان وتقدير البيت بجملة وان الغنى أطوع لي من
الشعر ان لحظت مطالي الا في مديحك وفائدة قوله الا في مديحك من الاعتراض
الذي اكتسب به الكلام رقة فائدة حسنة والمراد به وصف جود الممدوح
بالاسراع ووصف خاطر شعره بالاسراع اذا كان في مدحه خاصة دون غيره
فهذا الاعتراض يتضمن مدح الممدوح والمدح معا وهو من محاسن ما يجي
في هذا الموضع وكذلك ورد قوله

رددت رونق وجهي في صحيفته * رد الصقال بهاء الصارم الخدم
وما أبالي وخبر القول أصدقه * حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي
فقوله وخبر القول أصدقه اعتراض بين المفعول والفعل لان موضع حقنت
نصب اذ هو مفعول أبالي وفائدته اثبات ما مائل به بين ماء الوجه والدم أي ان هذا
القول صدق ليس بكذب (وأما القسم الثاني) وهو الذي يأتي في الكلام لغير
فائدة (فهو ضربان الضرب الاول) يكون دخوله في الكلام كخبر وجه منه
لا يكتسب به حسنا ولا قبحا فمن ذلك قول النابغة

يقول رجال يجهلون خليقتي * لعل زيادا لأبالك عاقل
فقوله لأبالك من الاعتراض الذي لا فائدة فيه وليس مؤثرا في هذا البيت حسنا
ولا قبحا ومثله جاء قول زهير

سمت أكاليف الحياة ومن يمش * ثمانين حول لا أبالك يسأم
وقد وردت هذه اللفظة وهي لأبالك في موضع آخر فكان للاعتراض بها فائدة
حسنة كقول أبي تمام * عتابك عني لأبالك واقصدي * فانه لما كره عتابها
اعتراض بين الامر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق الذم (الضرب الثاني)
وهو الذي يؤثر في الكلام نقصا وفي المعنى فسادا وقد تقدم ذكر أمثاله وانظاره
في باب التقديم والتأخير وانما يجي بذكره ههنا مكررا لاقام التقسيم الاعتراض في

أفاد وفيما لا يفيد وقد ذكرت من ذلك مثالا واحدا أو مثالين فما ورد منه قول بعضهم فقد والشك بيني لعناء * بوشك فراقهم صرد يصح فان في هذا البيت من ردى الاعتراض ما أذكره لك وهو الفصل بين قد والفعل الذى هو بين وذلك قبيح لقوة اتصال قد بما تدخل عليه من الأفعال الأتراكهات مع الفعل كالجزء منه ولذلك أدخلت عليها اللام المراد بها توكيد الفعل كقوله تعالى واقعدأوحى اليك وإلى الذين من قبلك وقوله تعالى واقعد - لموالمنا اشتراه وقول الشاعر ولقد أجمع رجلى تبها * حذر الموت وانى لقرو الان فصل بين قد والفعل بالقسم فان ذلك لا بأس به فهو قولك قد والله كان ذلك وقد فصل في هذا البيت أيضا بين المبتدأ الذى هو الشك وبين الخبر الذى هو عناء بقوله بيني وفصل بين الفعل الذى هو بين وبين فاعله الذى هو صرد بخبر المبتدأ الذى هو عناء فجاء معنى البيت كما تراه كأنه صورة مشوقة قد نقلت أعضائها بعضها إلى مكان بعض (ومن هذا الضرب) قول الآخر

نظرت وشخصى مطلع الشمس ظله * إلى الغرب حتى ظله الشمس قد عقل أراد نظرت مطلع الشمس وشخصى ظله إلى الغرب حتى عقل الشمس أى حاذها وعلى هذا التقدير فقد فصل بمطلع الشمس بين المبتدأ الذى هو شخص وبين خبره الجملة وهو قوله ظله إلى الغرب وأغاظ من ذلك أنه فصل بين الفعل وفاعله بالاجتناب وهذا وأمثاله مما يفيد المعانى ويورثها الختملا (واعلم) أن الناثر فى استعمال ذلك أكثر ملامة من الناظم وذلك أن الناظم مضطر إلى إقامة ميزان الشعر وربما كان مجال الكلام عليه ضيقا فيلزمه طاب الوزن فى مثل هذه الورطات وأما الناثر فلا يضطر إلى إقامة الميزان الشعرى بل يسكن مجال الكلام عليه واسعاً وهذا إذا اعترض فى كلامه اعتراضاً يفسده توجهه عليه الإنكار وحق عليه الذم (النوع التاسع عشر فى الكناية والتعريض) وهذا النوع مقصور على المسيل مع المعنى وترك اللفظ جانباً وقد تكلم علماء البيان فيه فوجدتهم قد خلطوا الكناية بالتعريض ولم يفرقوا بينهما ولا حدوا كلامهم ما يحد بفصله عن صاحبه بل أوردوا له ما أمثلة من النظم والنثر وأدخلوا أحدهما فى الآخر فذكروا الكناية أمثلة من التعريض وللتعريض أمثلة من الكناية فمن فعل ذلك الغامض وابن سنان الخفافى والعسكري فأما ابن سنان فإنه ذكر فى كتابه قول

كلام
بعضهم
وقال

أمرئ القيس

فصرنا إلى الحسناء وفكادها * ورضت فذلت صعبة أي اذلال
وهذا مثال ضربه للكناية عن المباذعة وهو مائل للتعريض ووجدت في كتاب
التذكرة لابن جردون البغدادي * وكان مشارا إليه عندهم بفضيلة ومعرفة لاسيما
فن الكناية فوجدت في كتابه ذلك بإقامة صور على ذكر الكناية والتعريض وما قيل
فيهما انظما ونثرا وهو محشوق بالخلط بين هذين القسمين من غير فصل بينهما وقد أورد
أيضا في بعضه أمثلة غثة باردة وسأذكر ما عندي في الفرق بينهما وأميز أحدهما
عن الآخر يعرف كل منهما على انفراده فأقول أمّا الكناية فقد حدثت بحد فقل
هي اللفظ الدال على الشيء على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين الكناية والمكنى
عنه كالأسم والجماع فان الجماع اسم موضوع حقيقي واللمس كناية عنه وبينهما
الوصف الجامع اذ الجماع ليس بزيادة فكان دالاعليه بالوضع المجازي وهذا الحد
فاسد لانه يجوز أن يكون حدا تشبيهيه فان التشبيه هو اللفظ الدال على غير الوضع
الحقيقي بجامع بين المشبه والمشبّه به وصفة من الاوصاف ألا ترى أنا اذا قلنا
زيد أسد كان ذلك لفظا دالاعلى غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين زيد والأسد
وذلك الوصف هو الشجاعة ومن ههنا وقع الغلط لمن أشرت إليه في الذي ذكره
في حد الكناية وأما علماء أصول الفقه فانه قالوا في حد الكناية انها اللفظ المحتمل
يريدون بذلك أنها اللفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه وهذا فاسد
أيضا فانه ليس كل لفظ يدل على المعنى وعلى خلافه بكناية دليل ذلك قول النبي
صلى الله عليه وسلم اذالم تسبح فافعل ما شئت فان هذا اللفظ يدل على المعنى
وعلى خلافه ويان ذلك أنه يقول في أحد معانيه انك اذالم يكن لك وازع يزعل
عن الحياء فافعل ما شئت وأما معناه الاخر فانه يقول اذالم تفعل فعلا لا يستحي
منه فافعل ما شئت وهذا ليس من الكناية في شيء فبطل اذا هذا الحد ومثال
القبض في قوله ان الكناية هي اللفظ المحتمل مثال من أراد أن يحدث الانسان فأتى
بحد الحيوان فعبر بالاعم عن الشخص فانه يقال كل انسان حيوان وليس كل
حيوان انسانا وكذلك يقال ههنا فان كل كناية لفظ محتمل وليس كل لفظ محتمل
كناية (والذي عندي في ذلك) أن الكناية اذا وردت تجاذبها جانب حقيقة ومجاز
وجاز سمها على الجانبين معا ألا ترى أن الأسم في قوله تعالى أولا حسن النساء

يجوز حمله على الحقيقة والمجاز وكل منهما يصح به المعنى ولا يختل - وهذا ذهب
 الشافعي - رحمه الله إلى أن اللمس هو مصالحة الجسد الجسد فوجب الوضوء على
 الرجل إذا لمس المرأة وذلك من الحقيقة في اللمس وذهب غيره إلى أن المراد
 باللمس هو الجماع وذلك مجاز فيه وهو الكناية وكل موضع ترد فيه الكناية فإنه
 يتجاذبه جانباً حقيقة ومجازاً ويجوز حمله على كليهما معاً وأما التشبيه فليس
 كذلك ولا غيره من أقسام المجاز لأنه لا يجوز حمله إلا على جانب المجاز خاصة ولو حمل
 على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ألا ترى أننا إذا قلنا زيد أسد لا يصح إلا على
 جانب المجاز خاصة وذلك أننا شبهنا زيدا بالأسد في شجاعته ولو حملناه على جانب
 الحقيقة لاستحال المعنى لأن زيد ليس ذلك الحيوان ذا الأربع والذنب والوبر
 والانياب والمخالب وإذا كان الأمر كذلك فقد الكناية الجماع لها هو أنها كل
 لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة
 والمجاز والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره
 يقال كذبت بكذا عن كذا فهي تدل على ما تكلمت به وعلى ما أردته من غيره
 وعلى هذا فلا تخالوفاً أن تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة ومجازاً وفي لفظ
 تجاذبه جانباً مجازاً وفي لفظ تجاذبه جانباً حقيقة وحقيقة وليس لنا قسم
 رابع ولا يصح أن تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة وحقيقة لأن ذلك هو اللفظ
 المشترك وإذا أطلق من غير قرينة تخصصه كان مبهمًا غير مفهوماً وإذا أضيف إليه
 القرينة صار محتصاً بشيء بعينه والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره وذلك مخالف
 للفظ المشترك إذا أضيف إليه القرينة لأنه يختص بشيء واحد بعينه لا يتعداه إلى
 غيره وكذلك لا يصح أن تكون الكناية في لفظ تجاذبه جانباً مجازاً لأن المجاز
 لا بد له من حقيقة نقل عنها لأنه فرع عليها وذلك اللفظ الدال على المجازين إنما
 أن يكون للحقيقة شركة في الدلالة عليه ألا يكون لها شركة فإن كان لها شركة
 في الدلالة فيكون اللفظ الواحد قد دل على ثلاثة أشياء أحدها الحقيقة وهذا
 مخالف لأصل الوضع لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره وهو ما
 تكون قد تكلمت بشيء وأنت تريد شيئاً غيره وإن لم يكن للحقيقة شركة في الدلالة
 كان ذلك مخالفاً للوضع أيضاً لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره
 فيكون الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به وعلى غيره وإذا أخرجت الحقيقة

عن أن يكون لها شركة في الدلالة لم يكن الذي تكلمت به دالا على ما تكلمت به
وهذا محال فتحقق حينئذ أن الكتابة أن تتكلم بالحقيقة وأنت تريد المجاز وهذا
الكلام في حقيقة الدليل على تحقيق أمر الكتابة لم يكن لا حذفيه قول سابق
(واعلم) أن الكتابة مشتقة من السرية قال كنيث الشيء إذا سترته وأجرى هذا
الحكم في اللفاظ التي يسترفها المجاز بالحقيقة فتكون دالة على الساتر وعلى
المستور معا ألا ترى إلى قوله تعالى أو لا مستم النساء فإنه ان حمل على الجماع
كان كناية لأنه ستر الجماع بلفظ اللبس الذي حقيقة مصاحفة الجسد الجسد وان
حمل على الملامسة التي هي مصاحفة الجسد الجسد كان حقيقة ولم يكن كناية وكلاهما
ينتم به المعنى وقد تأولت الكتابة بغير هذا وهي أنها مأخوذة من الكنية التي
يقال فيها أبو فلان فانا إذا نادينا رجلا اسمه عبد الله وله ولد اسمه محمد فقلنا يا أبا محمد
كان ذلك مثل قولنا يا عبد الله فان شئنا نادينا به هذا وان شئنا نادينا به هذا وكلاهما
واقع عليه وكذلك يجري الحكم في الكتابة فانا إذا شئنا حملناها على جانب المجاز
وإذا شئنا حملناها على الحقيقة إلا أنه لا بد من الوصف الجامع بينهما مالم لا يلحق
بالكتابة ما ليس منها ألا ترى إلى قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نجمة
ولى نجمة واحدة فكفى بذلك عن النساء والوصف الجامع بينهما هو التأنيث ولولا
ذلك لقبل في مثل هذا الموضع ان أخى له تسع وتسعون كبش أو كلب أو كلب أو كلب
وقبل هذه كناية عن النساء ومن أجل ذلك لم يلتفت إلى تأويل من تأول قوله
تعالى وثيايل فظهر أنه أراد بالثياب القلب على حكم الكتابة لأنه ليس بين الثياب
والقلب وصف جامع ولو كان بينهما وصف جامع لكان التأويل صحيحا (فان قيل)
فما الدليل على اشتقاق الكتابة من كنيث الشيء إذا سترته ومن الكنية (قلت)
في الجواب أما اشتقاقها من كنيث الشيء إذا سترته فان المستور فيها هو المجاز لان
الحقيقة تفهم أولا ويتسارع الفهم إليها قبل المجاز لان دلالة اللفظ عليها دلالة
وضعية وأما المجاز فانه يفهم منه بعد فهم الحقيقة وانما يفهم بالنظر والفكرة
ولهذا يحتاج إلى دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ فالحقيقة أظهر والمجاز أخفى
وهو مستور بالحقيقة ألا ترى إلى قوله تعالى أو لا مستم النساء فان الفهم
يتسارع فيه إلى الحقيقة التي هي مصاحفة الجسد الجسد وأما المجاز الذي هو
الجماع فانه يفهم بالنظر والفكر ويحتاج الذهاب إليه إلى دليل لأنه عدول عن

ظاهر اللفظ وأما اشتقاقها من الكنية فلان محمد في هذه الصورة المذكورة هو
 حقيقة هذا الرجل أي الاسم الموضوع بأزائه أولا وأما أبو عبد الله فإنه طار
 عليه بهذا محمد لانه لم يكن له الا بعد أن صار له ولد اسمه عبد الله وكذلك الكنية
 فإن الحقيقة لها هو الاسم الموضوع بأزائها أولا في أصل الوضع وأما المجاز فإنه
 طار عليها بعد ذلك لانه فرع والفرع انما يكون بعد الاصل وانما يعتمد الى ذلك
 الفرع للمناسبة الجامعة بينه وبين الاصل على ما تقدم الكلام فيه وهذا القدر
 كاف في الدلالة على اشتقاق الكنية من ذينك المعنيين المشار اليهما (فان قيل)
 انك قد ذكرت أقسام المجاز في باب الاستعارة التي قدمت ذكرها في كتابك
 هذا وحصرتها في أقسام ثلاثة وهي التوسع في الكلام والاستعارة والتشبيه
 ونرا لقد ذكرت الكنية في المجاز أيضا فهل هي قسم رابع لتلك الاقسام الثلاثة
 أم هي من جملتها فان كانت قسمًا رابعًا فذلك نقض للعصر الذي حصرته وان كانت
 من جملتها فقد أعدت ذكرها ههنا مرة ثانية وهذا المذكر او لا حاجة اليه
 (فالجواب عن ذلك) أني أقول أما الحصر الذي حصرته في باب الاستعارة فهو
 ذلك ولا زيادة عليه وأما الكنية فانها جزء من الاستعارة ولا تأتي الا على حكم
 الاستعارة خاصة لان الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له
 وكذلك الكنية فانها لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المسمى عنه ونسبتها الى
 الاستعارة نسبة خاص الى عام فيقال كل كتابة استعارة وليس كل استعارة
 كتابة ويفرق بينهما من وجه آخر وهو أن الاستعارة لفظها صريح والصريح
 هو ما دل عليه ظاهر لفظه والكنية ضد الصريح لانها عدول عن ظاهر اللفظ
 وهذه ثلاثة فروق أحدها الخصوص والعموم والاخر الصريح والآخر
 الجمل على جانب الحقيقة والمجاز وقد تقدم القول في باب الاستعارة أنها جزء
 من المجاز وعلى ذلك فتكون نسبة الكنية الى المجاز نسبة جزء الجزء وخاص
 الخاص وكان ينبغي أن نذكر الكنية عند ذكر الاستعارة في النوع الاول من هذه
 الأنواع المذكورة في المقالة الثانية وانما أفردتها بالذكر ههنا من أجل التعريض
 لان من العادة أن يذكر جميعا في مكان واحد وقد يأتي في الكلام ما يجوز
 أن يكون كناية ويجوز أن يكون استعارة وذلك يختلف باختلاف النظر اليه
 بعزده والنظر الى ما بعده كقول نصر بن سيار في أبياته المشهورة التي يحرض

بها حتى أتت عند خروج أبي مسلم

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالزئبد ين توري * وأن الحرب أولها كلام
أقول من التعجب ليت شعري * أأيقاظ أقبية أم نيام
فإن هبوا فذلك بقائه ملك * وإن رقدوا فاني لا ألام

فالبيت الاول لو ورد بمفرده كان كناية لانه يجوز جملة على جانب الحقيقة وجملة على جانب المجاز أما الحقيقة فانه أخبر أنه رأى وميض جمر في خلل الرماد وأنه سيمضطرم وأما المجاز فانه أراد أن هنالك ابتداء شر كما من ومثله بوميض جمر من خلل الرماد وإذا نظرنا إلى الأبيات جملتها اختص البيت الاول منها بالاستعارة دون الكناية وكثيرا ما يرد مثل ذلك ويشكل لتجاذبه بين الكناية والاستعارة على أنه لا يشكل إلا على غير العارف (وأما التعريض) فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي فأنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعرفة به غير طلب والله اني لاحتاج وليس في يدي شيء وأنا عريان والبرد قد آذاني فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب وليس هذا اللفظ موضوعا في مقابلة الطلب لاحقيقة ولا مجازا انما يدل عليه من طريق المفهوم بخلاف دلالة اللبس على الجماع وعليه ورد التعريض في خطبة النكاح كقولك للمرأة انك خلقة وانى اعزب فان هذا وأمثاله لا يدل على طلب النكاح حقيقة ولا مجازا والتعريض أخفى من الكناية لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي وإنما سمي التعريض تعريضا لأن المعنى فيه يفهم من عرضه أى من جانبه وعرض كل شيء جانبه (واعلم) أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معا فتأني على هذا تارة وعلى هذا أخرى وأما التعريض فانه يختص باللفظ المركب ولا يأتي في اللفظ المفرد البتة والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز وإنما يفهم من جهة التلويح والاشارة وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ولكنه يحتاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب وعلى هذا فان بيت امرئ القيس الذي ذكره ابن سنان مثالا للكناية هو مثال للتعريض فان غرض امرئ القيس من ذلك أن يذكر الجماع غير أنه لم يذكر بل ذكر كلاما آخر يفهم

الجماع من عرضه لأن المصير الى الحسناء ورقة الكلام لا يفهم منها ما أراد
امرؤ القيس من المعنى لاحقيقة ولا مجازا وهذا الاخفاء به فاعرفه وحيث
فرقنا بين الكناية والتعريض وميزنا أحدهما عن الآخر فلن فصلهما ونذكر
أقسامهما ونبدأ أولا بالكناية (فنقول اعلم أن الكناية تنقسم قسمين أحدهما)
ما يحسن استعماله (والآخر) ما لا يحسن استعماله وهو عيب في الكلام فاحش
وقد ذهب قوم الى أن الكناية تنقسم أقساما ثلاثة تمثيلا واردا فاجاورة
(فأما التمثيل) فهو أن تراد الإشارة الى معنى فيوضع اللفظ لمعنى آخر ويكون
ذلك مثلا لالمعنى الذي أرادت الإشارة اليه كقولهم فلان نقي الثوب أى
منزه من العيوب (وأما الاردا ف) فهو أن تراد الإشارة الى معنى فيوضع اللفظ
لمعنى آخر ويكون ذلك اردا فالله معنى الذي أرادت الإشارة اليه ولازماله
كقولهم فلان طويل النجاد أى طويل القامة فطول النجاد رادف لطول
القامة ولازمه بخلاف نقاء الثوب في الكناية عن التزاهة من العيوب لأن
نقاء الثوب لا يلزم منه التزاهة من العيوب كما يلزم من طول النجاد طول القامة
(وأما المجاورة) فهي أن تريد ذكر الشئ فتتركه الى ما جاوره كقول عنزة
بزجاجة صفراء ذات أسرة * قرنت بأزهر في الشمال مفقدهم
يريد بالزجاجة الخرفذ كزجاجة وكفى بها عن الخمر لأنها مجاورة لها وهذا
التقسيم غير صحيح لأن من شرط التقسيم أن يكون كل قسم منه مختصا بصفة
خاصة تفصله عن عموم الاصل كقولنا الحيوان ينقسم أقساما منها الانسان
وحقيقته كذا وكذا ومنها الاسد وحقيقته كذا وكذا ومنها القرس وحقيقته
كذا وكذا ومنها غير ذلك وههنا لم يكن التقسيم كذلك فان التمثيل على ما ذكر
عبارة عن مجموع الكناية لأن الكناية انما هي أن تراد الإشارة الى معنى فيوضع لفظ
لمعنى آخر ويكون ذلك اللفظ مثالا للمعنى الذي أرادت الإشارة اليه ألا ترى الى
قوله تعالى ان هذا نهي لا تسع وتسعون نجمة ولى نجمة واحدة فانه أراد الإشارة
الى النساء فوضع اللفظ لمعنى آخر وهو النعاج ثم مثل به النساء وهكذا يجري المحكم
في جميع ما يأتى من الكليات لكن منها ما يتضح التمثيل فيه وتكون المشبهة
بين الكناية والممكنة عنه شديدة المناسبة ومنه ما يكون دون ذلك في المشبهة
وقد تأملت ذلك وحققت النظر فيه فوجدت الكناية اذا وردت على طريق اللفظ

المركب كانت شديدة المناسبة واضحة الشبهة وإذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بتلك الدرجة في قوة المناسبة والمشابهة ألا ترى إلى قوله -م فلان نقي الثوب وقوله -م اللبس كناية عن الجماع فإن نقاء الثوب أشد مناسبة وأوضح شبيها لانا إذا قلنا نقاء الثوب من الدنس كنزاهة العرض من العيوب انضحت المشابهة ووجدت المناسبة بين الكناية والمكناية عنه شديدة الملازمة وإذا قلنا اللبس كالجاع لم يكن بتلك الدرجة في قوة المشابهة وهذا الذي ذكر في أن من الكناية تمثيلا وهو كذا وكذا غير سائغ ولا وارد بل الكناية كلها هي ذلك والذي قدمته من القول فيها هو الحاصل مرلها ولم يأت به أحد غيري كذلك (وأما الرداف) فإنه ضرب من اللفظ المركب إلا أنه اختص بصفة تخصه وهي أن تكون الكناية دليلا على المكناية عنه ولازمة له بخلاف غيرها من الكنايات ألا ترى أن طول النجاد دليل على طول القامة ولازم له وكذلك يقال فلان عظيم الرماد أي كثيرا طعام الطعام وعليه ورد قول الاعرابية في حديث أم زرع في وصف زوجها له ابل قليلات المسارح كثيرات المباركة إذا سمع صوت المزهر أيقن أنها هي والآن وعرض الاعرابية من هذا القول أن تصف زوجها بالجلود والكرم إلا أنها لم تذكر ذلك بلفظه الصريح وانما ذكرته من طريق الكناية على وجه الرداف الذي هو لازم له (وكذلك) ورد في الاخبار النبوية أيضا وذلك أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأته عن غسلها من الحيض فأمرها أن تغتسل ثم قال خذي فرصة من مسك فتطهري بها قالت كيف أتطهر بهما فقال تطهري بها قالت كيف أتطهر بها قال سبحان الله تطهري بها فاجتذبت بها عافشة رضي الله عنها إليها وقالت تتبعي بها أثر الدم فقولها أثر الدم كناية عن الفرج على طريق الرداف لأن أثر الدم في الحيض لا يكون إلا في الفرج فهو وادفله (ومما ورد) من ذلك شعرا قول عمر بن أبي ربيعة

بعيدة مهوى القرط أمال ذو فل * أبوها وأما عبد شمس وهاشم

فإن بعد مهوى القرط دليل على طول العنق ومن لطف هذا الموضع وحسنه ما يأتي بلفظة مثل كتول الرجل إذا نفي عن نفسه القبيح مثلي لا يفعل هذا أي أنا لا أفعله فنفي ذلك عن مثله ويريد نفسه عن نفسه لأنه إذا نقاه عن عيائه وبشابهه فقد نقاه عن نفسه لا محالة اذ هو بنفي ذلك عنه أجدر وكذلك يقال

مثلك اذا سئل أعطى أى أنت اذا سئلت أعطيت وسبب ورود هذه اللفظة
في هذا الموضع أنه يجعل من جماعة هذه أوصافهم تشبيها للامروئى كيدا ولو كان
فيه وحده لالتقى منه موضعه ولم يرس فيه قدمه وهذا مثل قول القائل
اذا كان في مدح انسان أنت من القوم الكرام أى لك في هذا الفعل سابقة
وأنت حقيق به واست دخلا فيه وقد ورد هذا في القرآن الكريم كقوله تعالى
ليس كمثل شيء وهو السميع البصير والفرق بين قوله ليس كمثل شيء وبين قوله ليس
كأله شيء هو ما أشرت اليه وان كان الله سبحانه وتعالى لا مثل له حتى يكون
لمثله مثل وانما ذكر ذلك على طريق المجاز قصد للمبالغة وقد بأتى هذا الموضع
بغير الفظة مثل وهي مقصودة كقولك للعربي العرب لا تحقر الذم أى أنت
لا تحقر الذم وهذا أبلغ من قولك أنت لا تحقر الذم لما أشرت اليه وعلى
نحو من هذا جاء قول أبي الطيب المتنبي

أنت من القوم الذي من رماحهم * ندهم ومن قتلاهم مهجة البخل
(واذا فرغت) من ذكر الاصول التي قدمت ذكرها فاني أتبعها بضرب الامثلة
نثرا ونظما حتى يزداد ما ذكرته وضوحا (فمن ذلك) ما ورد في القرآن الكريم
نحو قوله تعالى يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فإنه كفى عن الغيبة
بأكل الانسان لحم انسان آخر مثله ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعل له ميتا ثم جعل
ما هو في الغيبة من الكراهة موصولا بالمحبة فهذه أربع دلالات واقعة على
ما قصدت له مطابقة للمعنى الذي وردت من أجله فأما جعل الغيبة كأكل
الانسان لحم انسان آخر مثله فشدida المناسبة جدا لان الغيبة انما هي ذكر مثالب
الناس وتزريق أعراضهم وتزريق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يغتابه
لان أكل اللحم تزريق على الحقيقة وأما جعله كالحم الاخ فلما في الغيبة
من الكراهة لان العقل والشرع يحقن عان على استكراهها أمران بتركها
والبعد عنها ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الاخ في كراهته ومن المعلوم
أن لحم الانسان مستكره عند انسان آخر الا أنه لا يكون مثل كراهته لحم أخيه
فهذا القول مبالغته في استكراه الغيبة وأما جعله في اللحم ميتا فمن أجل
أن المغتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها وأما جعله ما هو في الغيبة من الكراهة
موصولا بالمحبة فلما جلت عليه النفوس من الميل الى الغيبة والشهوة لها ماع

العلم بقبحها فانظر أيها المتأمل الى هذه الكناية تجدها من أشد الكنايات شبيها
 لآنك اذا نظرت الى كل واحدة من تلك الدلالات الاربع التي أشرنا اليها وجدتها
 مناسبة لما قصدهت له (وكذلك) ورد قوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم
 وأموالهم وأرضهم تطووها والارض التي لم يطووها كناية عن منافع النساء وذلك
 من حسن الكناية ونادره (وكذلك) ورد قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسال
 أودية بقدرها فاحمل السيل زبدا راييا فكفى بالماء عن العلم وبالأودية عن
 القلوب وبالزبد عن الضلال (وهذه الآية) قد ذكرها أبو حامد الغزالي رحمه الله
 في كتابه الموسوم بأحياء علوم الدين وفي كتابه الموسوم بالخواهر والاربعة وأشار
 به الى أن في القرآن الكريم اشارات وإيماءات لا تنكشف الا بعد الموت وهذا
 يدل على أن الغزالي رحمه الله لم يعلم أن هذه الآية من باب الكنايات الذي لفظها
 يجوز حمله على جانبي الحقيقة والجواز (وقد رأيت جماعة) من أئمة الفقه
 لا يحققون أمر الكناية واذا سئلوا عنها عبروا عنها بالجواز وليس الامر كذلك
 وبينهم ما وصف جامع كهذه الآية وما جرى مجراها فانه يجوز حمل الماء على المطر
 النازل من السماء وعلى العلم وكذلك يجوز حمل الأودية على مهبط الارض
 وعلى القلوب وهكذا يجوز حمل الزبد على الغشاء الراقي الذي تقذفه السيول
 وعلى الضلال وليس في أقسام المجاز شيء يجوز حمل على الطرفين مع مساوى الكناية
 (وبلغني عن الفراء النحوي) أنه ذكر في نفسه يرمي آية وزعم أنها كناية وهي قوله
 تعالى وقد مكروا مكروا بهم وعند الله مكروهم وان كان مكروهم لتزول منه الجبال
 فقال ان الجبال كناية عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من
 الآيات وهذه الآية من باب الاستعارة لا من باب الكناية لان الكناية
 لا تكون الا فيما جازم له على جانبي المجاز والحقيقة والجبال ههنا لا يصح بها
 المعنى الا اذا جلت على جانب المجاز خاصة لان مكروا ولعلك لم يكن اتزول منه جبال
 الارض فان ذلك محال (واما ما ورد منها في الاخبار النبوية) فقول النبي
 صلى الله عليه وسلم انه كانت امرأة فيمن كان من قبلنا وكان اهسا بن عم يحبها
 فراودها على نفسها فامتنعت عليه حتى اذا أصابها شدة فجاءت اليه تسأله
 فراودها فكنيته من نفسها فلما قعد منها معه الرجل من المرأة قالت له لا يحل لك
 أن تفض الخاتم الابحقة فقام عنها وتر كها وهذه كناية واقعة في موقعها

(ومن ذلك) أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم رويدك سوقك بالقوارير يريد بذلك النساء فكيف عنهن بالقوارير وذلك لأنه كان في بعض أسفاره وعلام أسود اسمه أنجشة يحدو فقال له يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير وهذه كناية لطيفة (وكذلك) ورد حديث الحديبية وذلك أنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزكية جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من أهل شامة فقال تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزول أعداد مياها الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلون وصادوا عن البيت وهذه كناية عن النساء والصبيان والعوذ جمع عائذ وهي الناقة التي وضعت وقوى ولدها وهذا يجوز جملة على طريق الحقيقة كما جازحه له على طريق المجاز أي معهم الأموال من الأبل وهي كانت جل أموال العرب أي أنهم قد أحضروا أموالهم ليقا تلواذ ونحوها وما جاز حمل العوذ المطافيل على النساء والصبيان وعلى الأموال كان من باب الكناية (ومن ذلك) ما ورد في إقامة الحجة على الزاني وهو أن يشهد عليه برؤية الميسل في المكحلة وذلك كناية عن رؤية الفرج في الفرج (ومن لطيف الكناية) أن امرأة جاءت إلى عائشة رضي الله عنها فقالت لها أقيد بجلي فقالت عائشة رضي الله عنها لا أرادت المرأة أنها تصنع لزوجها شيئا يمنعها عن غيرها أي تربطه أن يأتي غيرها فظاهر هذا اللفظ هو تشييد الجلي وباطنه ما أرادت المرأة وفهمته عائشة منها (وكذلك) يروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهلك قال حوت رحلى البارحة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أقبل وأدبر واتق الدبر والحبيضة (ويروي) أن عمرو بن العاص زوج ولده عبد الله رضي الله عنه فحكمت المرأة عنده ثلاث ليل لم يدين منها وإنما كان ملتفتا إلى صلاته فدخل عليه ما عمرو بعد ثلاث فقال كيف ترين بعلا فقالت نعم البعل إلا أنه لم يفتش لنا كنفنا ولا قرب لنا مضجعا فقولها لم يفتش لنا كنفنا ولا قرب لنا مضجعا من الكناية الغريبة الظاهرة (ومن أطف ما بلغني في هذا) قول عبد الله بن سلام فإنه رأى على رجل ثوبا معصفا فقال لو أن ثوبك في تنور أهلك أو تحت قدرهم كان خيرا فذهب الرجل فأحرقه نظرا إلى حقيقة قول عبد الله وظاهر مفهومه وإنما أراد المجاز منه وهو أنك لو صرفت عنه إلى دقيق تحبزه أو حطب تطبخ به كان خيرا

والمعنى متجاذب بين هذين الوجهين قال الرجل فهم منه الظاهر الحقيقي فغضى
فأحرق نوبه وصراد عبد الله غيره (ومن هذا القسم ما ورد في أمثال العرب)
كقوله هم أبله وعقيلة الملح وذلك كناية عن المرأة الحسناء في منبت السوء فإن
عقيلة الملح هي الواوثة تكون في الجرف هي حسنة وموضعها ملح وكذلك قولهم
لبس له جلد النمر كناية عن العداوة وقد يقاس على هذا أن يقال لبس له جلد الاسد
ولبس له جلد الذئب ولبس له جلد الارقم لان هذا كله مثل قولهم لبس له جلد
النمر اذا العداوة شحمة في الجميع وكذلك قولهم قلب له ظهرا لجن كناية عن تغيير
المودة (ومما ورد في ذلك شعرا) قول أبي نواس

لا أدرد الطير عن شجر * قد بلوت المزم من ثمره

وهذا له كناية وهو أنه كان لابي نواس صديقة تغشاه فقبل له انما تختلف الى آخر
من أهل الريب فلم يصدق ذلك حتى تبعها يوم ما من الايام فراها تدخل منزل ذلك
الرجل ثم ان ذلك الرجل جاءه وكان صديقه فحلمه فصرخ وجهه عنه ثم نظم
قصيدته المشهورة التي مطلعها * أيها المنتاب عن عفره * وهذا البيت من
جمله أبياتهما (وكذلك) ورد قوله أيضا

وناظرة الى * من النقاب * تلا حظني بطرف مستراب
كشفت قناعها فاذا بجوز * بموهبة المفارق بالخطاب
فما زلت تحمسنى طويلا * وناخذ في أحاديث التصابي
تحاول أن يقوم أبو زياد * ودون قيامه شيب الغراب
أتت بجراهما تكال فيه * فقامت وهي فارغة الجراب

ف قوله أتت بجراهما تكال فيه من باب الكناية اذا الجراب يجوز له على الحقيقة
والجواز وكذلك الكيل أيضا (ومما جاء من هذا الباب) قول أبي تمام في قصيدته
التي يستعطف بها مالك بن طوق على قومه ومطلعها * أرض مصر دة وأرض منجم
مالي رأيت ترايكم ببس الثرى * مالي أرى أطوادكم تتقدم

ف ببس الثرى كناية عن تنكر ذات البين تقول ببس الثرى بيني وبين فلان اذا تنكر
الوفا الذي بينك وبينه وكذلك تهديم الاطواد فانه كناية عن خفة الخلوم وطيش
العقول ومن الكناية الحسنة قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته التي يعاتب فيها
سيف الدولة بن حمدان التي مطلعها * واحرق قلباه من قلبه شيم

قوله مالي رأيت ترايكم ببس الثرى * مالي أرى أطوادكم تتقدم

وشتر ما قنصته راحتي قنص * شهب البراة سواه فيه والرخم
يشير بذلك الى أن سيف الدولة يستوى في المنال منه هو وغيره فهو البازي وغيره
الرجة وان حمل المعنى على جانب الحقيقة كان جائزا وعلى هذا ورد قول الأقيس
الاسدي وكان عينا لا يأتى النساء وكان كثيرا ما يصف ذلك من نفسه فجلس اليه
يوما رجلا من قيس فانشده الأقيس

واقدر أروح بعشرف ذي ميمة * عسر المكرة ماؤه يهتصد

مرح يطير من المزاح لعايه * ويكاد جلد إهابه يهتدد

ثم قال له أتبصر الشعر قال نعم قال فاوصفت قال فرسا قال أفكنت تركبه لورأيت
قال اى والله وأثنى عطفه فكشف له عن ايره وقال هذا وصفت فقم فاركبه فوثب
الرجل عن مكانه وقال قبحت الله من جليس سائر اليوم (وكذلك أيضا يحكى) أنه
وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام بن عبد الملك وكان جميل الوجه فاختلف الى
عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد بن يزيد فراوده عن نفسه فوثب من
عنده ودخل على هشام مغضبا وهو يقول

انه والله لولا أنت لم * ينج منى سالم عبد الصمد

فقال هشام ولم ذلك قال

انه قد رام منى حطة * لم يرمها قبله منى أحد

قال ماهي قال

راح بجهلابي وجهلابي * يدخل الأفهى على حبس الاسد

قال فضحك هشام وقال لو فعلت به شيئا لم أنكره عليك (ومن أطف ما سمعته
في هذا الباب) قول أبي نواس في الهجاء

اذا ما كنت جارأبي حسين * فتم ويد التي طرف السلاح

فإن له نساء سارقات * اذا ما بين أطراف الرماح

سرقن وقد نزلت عليه ابرى * فلم أنظر به حتى الصباح

فجاء وقد تحددت جانبا * بين الى من ألم الجراح

فتعبيره عن الغضو المشار اليه بأطراف الرماح تعبيري في غاية اللطافة والحسن
(وقد أدخل في باب الكناية) ما ليس منه كقول نصيب

فعا جوا فأنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أنتت عليك الحقايب

وهذا يروى عن الجاحظ وما أعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن الفصاحة
والبلاغة فإن الكناية هي ما جازم له على جانب الحقيقة كما يجوز له على جانب
المجاز وهما لا يصح ذلك ولا يستقيم لأن الثناء للحقائب لا يكون إلا مجازاً وهذا
من باب التشبيه المضرر الأداة الخارج عن الكناية والمراد به أن في الحقائب من
عطائك ما يعرب عن الثناء لو سكت أصحابها عنه (وأما القسم المختص بما يقبح
ذكره من الكناية) فإنه لا يحسن استعماله لأنه عيب في الكلام فاحش وذلك لعدم
الفائدة المرادة من الكناية فيه (فما جاء منه) قول الشريف الرضي يرفي
امرأة * إن لم تكن نصلاً فعمد نصال * وفي هذا من سوء الكناية ما لا يخفى به فإن
الوهم يسبق في هذا الموضع إلى ما يقبح ذكره وهذا المعنى أخذ من قول
الفرزدق فسخنه وشوه صورته فإن الفرزدق يرفي امرأته فقال

وجفن سلاح قدر زنت فلم أضح * عليه ولم أبعث إليه البوايا

وفي جوفه في دارم ذو حفيظة * لو أن المعاني أمهلتها لباليا

وهذا حسن بديع في معناه وما كفى عن امرأة ماتت بجمع أحسن من هذه
الكناية ولا أنفم شأناً فجاء الشريف الرضي فأخذ معناه وأفعل به ما ترى وأيسر
كل من تصرف في المعاني أحسن في تصرفها وأبقى هذه الرموز في تأليفها وقد
عكس هذه القصة مع أبي الطيب المتنبي فاحسن فيما أساء فيه أبو الطيب طريق
الكناية فاختطأ حيث قال

إني على شغفي بما في خجرها * لأعف عما في سراويلاتها

وهذه كناية عن الزهادة والعفة الآن الفجور أحسن منها وقد أخذ الشريف
الرضي هذا المعنى فأبرزه في أجل صورة حيث قال

أحن إلى ما تضمن الخمر والحلى * وأصدف عما في ضمان المآزر

وأمثال هذا كثير وفيما ذكرناه من هذين المثالين مقنع (وأما التعريفين)

فقد سبق الإعلام به وعرفنا الفرق بينه وبين الكناية (فما جاء منه) قوله تعالى

قالوا أنت فعلت هذا يا إلهنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم

إن كانوا ينطقون وغرض إبراهيم صلوات الله عليه من هذا الكلام إقامة

الحجة عليهم لأنه قال فاسألوهم إن كانوا ينطقون وذلك على سبيل الاستهزاء

وهذا من رموز الكلام والقول فيه أن قصد إبراهيم عليه السلام لم يرد به نسبة

افعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته على أسلوب
 تعريض يبلغ فيه غرضه من الزام الحجّة عليهم والاستهزاء بهم وقد يقال في هذا
 غير ما أشرت اليه وهو أن **كبير الاصنام** غضب أن تعبد معه هذه الاصنام
 الصغار فكسرها وغرض ابراهيم عليه السلام من ذلك أنه لا يجوز أن يعبد مع
 الله تعالى من هو دونه فان من دونه مخلوق من مخلوقاته فجعل اجالة القول الى
 كبير الاصنام مثالا لما أراده (ومن هذا القسم) أيضا قوله تعالى قال الملائكة
 الذين كفروا من قوم ما نزال الا بشرا مثنا وما نزال الا الذين هم أرادنا
 بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فقوله ما نزال الا
 بشرا مثنا تعريض بأنهم أحق بالنبوة منه وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من
 البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملائكة ومواز لهم في المنزلة فما جعلك
 أحق منهم بها ألا ترى الى قوله لهم وما نرى لكم علينا من فضل وكان مروان
 ابن الحكم والياعلى المدينة من قبل معاوية فعزله فلما قدم عليه قال له عزلتك
 لثلاث لولم تكن الا واحدة منهم لوجب عزلك احدا هي أنى أقرتك هلى عبد
 الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتهى منه والثانية كراهتك أمر
 زياد والثالثة أن ابني رملة استعدتك على زوجها عمر بن عثمان فلم تعدها
 فقال له مروان أما عبد الله بن عامر فاني لا انتصر منه في سلطاني ولكن اذا
 تساوت الاقدام علم أين موضعه وأما كراهتي أمر زياد فان سائر بني أمية كرهوه
 وأما استعداء رملة على عمر بن عثمان والله لئن أتى على سنة وأكثر وعندي
 بنت عثمان فناء كشف لها ثوبها يريد بذلك أن رملة بنت معاوية إنما استعدت
 لطلب الجماع فقال له معاوية يا ابن الوزغ لست هنالك فقال له مروان
 هو ذاك وهذا من التعريضات اللطيفة (ومثله في اللطافة) ما يروى عن عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه وذلك أنه كان يخطب يوم الجمعة فدخل عثمان بن عفان
 رضي الله عنه فقال عمر أيفساعة هذه فقال عثمان يا أمير المؤمنين انقلبت من
 أمر السوق فسمعت النداء فإزدت على أن توضأت فقال عمر والوضوء أيضا
 وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل فقوله آية فساعة
 هذه تعريض بالانكسار عليه لتأخيره عن الحجى الى الصلاة وترك السبق اليها وهو
 من التعريض المأرب عن الادب (ووقفت في كتاب العقد) على حكاية تعريضية

حسنة الموضع وهي أن امرأة وقعت على قيس بن عباد فقالت أشكوا إليك قلبي
 الغار في بيتي فقال ما أحسن ما ورت عن حاجتها املوا لها بيتا خيرا وسعدنا ولحنا
 (ومن خفي التعريض وغامضه) ما ورد في الحديث النبوي وهو أن النبي صلى
 الله عليه وسلم خرج وهو محتضن أحمد ابني ابنته وهو يقول والله أنكم لتحبون
 وتبخلون وتبجهلون وأنكم إن ربحان الله وإن آخرو طاة وطئهم الله بوج اعلم
 أن رجلا واد بالظائف والمراد به غزاة حنين وحنين واد قبل وج لان غزاة حنين آخر
 غزاة أوقع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المشركين وأما غزوات الظائف
 وثبوت اللذان كانتا بعد حنين فلم يكن فيهما واطاة أي قتال وإنما كانتا مجرد
 خروج إلى الغزو ومن غير ملاقات عدو ولا قتال ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله
 صلى الله عليه وسلم وإن آخرو طاة وطئهم الله بوج على ما قبله من الحديث هو
 الأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته لان غزوة حنين كانت في شوال سنة
 ثمان ووفاته صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع الاوّل من سنة إحدى عشرة
 وبينهم مائتان ونصف فكأنه قال وأنكم لمن ربحان الله أي من رزقه وأنا
 مفارقكم عن قريب إلا أنه صانع عن قوله وأنا مفارقكم عن قريب بقوله وإن
 آخر وطاة وطئهم الله بوج وكان ذلك تعريضا لما أراد وقصده من قرب وفاته
 صلى الله عليه وسلم (ومما ورد من هذا الباب شعرا) قول الشخير الحارثي

بنى عنّا لا تذكروا الشعر بعدما * دقتهم بصحراء الغمير القوافيا

وليس قصده ههنا الشعر بل قصده ما جرى لهم في هذا الموضع من الظهور عليهم
 والغلبة الا أنه لم يذكر ذلك بل ذكر الشعر ووجهه له تعريضا لما قصده أي لا تفخروا
 بعد تلك الواقعة التي جرت لكم وإنما بذلك المكان (ومن أحسن التعريضات)
 ما كتبه عمرو بن مسعدة الكاتب إلى المأمون في أمر بعض أصحابه وهو أما بعد
 فقد استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ليتناول في الحاقه بنظرائه من الخاصة
 فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في سرايب المستشفعين وفي ابتدائه بذلك تعدي
 طاعته فوقع المأمون في ظهر كتابه قد عرفت نصري بحك له وتعريضك لنفسك وقد
 أجبناك إليهما (واعلم) أن هذين القسمين من الكفاية والتعريض قد وردا في غير
 اللغة العربية ووجدتهم ما كثيرا في اللغة السريانية فإن الاشجول الذي في أيدي
 النصارى قد أتى منهم ما بالكثير (ومما وجدته من الكفاية في لغة الفرس) أنه كان

رجل من أساورة كسرى وخواصه فقبل أن الملك يحتلف إلى امرأتك فهجرها
لذلك وترك فراشها فأخبرت كسرى فدعاه وقال له قد بلغني أن لك عينا عذبة
وأنت لا تشرب منها فباب ذلك قال أيها الملك بلغني أن الأسد يردّها نخفته
فاستحسن كسرى منه هذا الكلام وأسنى عطاءه (النوع العشرون في المغالطات
المعنوية) وهذا النوع من أحلى ما استعمل من الكلام والطفه لما فيه من
التورية وحقيقته أن يذكر معنى من المعاني له مثل في شيء آخر ونقيض والنقيض
أحسن موقعا وأطف مأخذا فلا قول الذي يكون له مثل يقع في الالفاظ
المشتركة (فن ذلك) قول أبي الطيب المتنبي

يشلمه موبكل أقبته * لفارسه على الخيل الحيار
وكل أصمّ يعسل جانباه * على الكعبين منه دم عمار
يفادر كل ملتفت إليه * ولبته لثعابه وجار

فالثعلب هو هذا الحيوان المعروف والوجار اسم بيته والثعلب أيضا هو طرف
سنان الرمح فلما اتفق الاسمان بين الثعلبين حسن ذكر الوجار في طرف السنان
وهذا نقل المعنى من مثل إلى مثله (وعليه ورد) قول المتنبي أيضا

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكان على العلات يصطحبان
كان رهاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسى وأنت يمانى

فإن شيبا الحارثي الذي خرج على كافور الأخشيدي وقصد دمشق
وحاصرها وقتل على حصارها كان من قيس ولم تزل بين قيس واليمن عداوات
وحروب وأخبار ذلك مشهورة والسيف يقال له يمانى في نسبته إلى اليمن ومهاد
المتنبي من هذا البيت أن شيبا لما قتل وفارق السيف كفه فكان الناس قالوا
لسيفه أنت يمان وصاحبك قيسى وهذا جانب السيف وفارقه وهو ذو مغالطة
حسنة وهي كالأولى لأنها أدق وأعمض (وكذلك ورد قول بعضهم) من آيات
يهجوها شاعر أفعاء من جملتها قوله

وخلطتم بعض القران ببعضه * فجعلتم الشعراء في الانعام

ومعنى ذلك أن الشعراء اسم سورة من القرآن الكريم والانعام اسم سورة أيضا
والشعراء جميع شاعر والانعام ما كان من الابل والبقر (وكذلك) ورد قول
بعض العراقيين يهجو رجلا كان على مذهب أحمد بن حنبل رضى الله عنه ثم انتقل

الى مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه ثم انتقل الى مذهب الشافعي رضى الله عنه
 من مبلغ عني الوجيه رسالة * وان كان لا تجدى لديه الرسائل
 تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وفارقت اذ أعوزتك الماك كل
 وما اخترت رأى الشافعي تدبنا * ولكنا توى الذى منه حاصل
 وعما قلل أنت لاشك صائر * الى مالك فافطن لما أنا قائل
 ومالك هو مالك بن أنس صاحب المذهب رضى الله عنه ومالك هو خازن النار
 وهذه مغالطة لطيفة (ومن أحسن ما سمعته) في هذا الباب قول أبي
 العلاء بن سليمان في الأبل

صلب العصا بالضرب قد دماها * توذأ الله قد أفناها

إذا أرادت رشدا أغواها * محبة من رقه أياها

فالضرب لفظ مشترك يطلق على الضرب بالعصا وعلى الضرب في الأرض وهو
 المسير فيها وكذلك دماها فإنه لفظ مشترك يطلق على شيتين أحدهما يقال دماها
 إذا أسال دمه ودماها إذا جعله كالدمية وهي الصورة وهكذا لفظ الفناء فإنه يطلق
 على غيب الثعلب وعلى اذهاب الشيء إذا لم يبق منه بقية يقال أفناء إذا أذهب
 وأفناه إذا أطعمه الفناء وهو غيب الثعلب والرند والغوى نبتان يقال اغواها إذا
 أضله وأغواها إذا أطعمه الغوى ويقال طلب رشدا إذا طلب ذلك النبت وطلب
 رشدا إذا طلب الهداية وبعض الناس يظن هذه الأبيات من باب اللغز وليس
 كذلك لأنها تشتمل على ألفاظ مشتركة وذلك معنى ظاهري يستخرج من دلالة
 اللفظ عليه واللغز هو الذي يستخرج من لم يبق الحزروا الحسدس لامن دلالة
 اللفظ عليه وسأوضح ذلك أيضا جليا في النوع الحادى والعشرين وهو
 الذى يتناول هذا النوع فليؤخذ من هناك (ويروى) في الأخبار الواردة
 في غزاة بدر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سائرا بأصحابه يقصد بدر
 فلقيهم رجل من العرب فقال ممن لقوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 من ماء فأنشد ذلك الرجل يفكرو ويقول من ماء من ماء أينظر رأى بطون
 العرب يقال لها ماء فسار النبي صلى الله عليه وسلم لوجهته وكان قصده
 أن يكتم أمره وهذا من المغالطة المثلثة لأنه يجوز أن يكون بعض بطون العرب
 يسمى ماء ويجوز أن يكون المراد أن خلقهم من ماء وقد جاءنى شيء من ذلك

في الكلام المنشور (نفسه) ما كتبه في فصل من كتاب عند دخولي الى بلاد
الروم اصف فيه البرد والثلج فقلت ومن صفات هذا البرد أنه يعقد الدر
في خلفه والدمع في طرفه وربما تعدي الى قلب المطر فأجفه أن يجري بوصفه
فالشمس مأسورة والنار مبرورة والارض شهباء غير أنها حواية لم ترض
ومسيلات الجبال أنها غير أنها جامدة لم تحض ومكان المغالطة من هذا الكلام
في قول والارض شهباء غير أنها حواية لم ترض فإن الشهباء من الخيل يقال فيها
حواية أي لها حول ويقال انها امرؤضة أي ذلت للركوب وهذه الارض
مضى للثلج عليها حول فهي شهباء حواية وقولي لم ترض أي لم تذل لك بعد (ومن
ذلك ما ذكرته في وصف كريفقات) واقعد نزلت منه بهلي الصنيع أحسننى
الاخلاق واقية فيكأني لم أرع من أحب بلوعة الفراق ولا كرامة للأهل
والوطن حتى أقول اني قد اسندت به أهلا ووطنا وعهدى بالايام وهي من
الاحسان فاطمة فاستولدتهم ابجوار حسنا وهذه تورية لطيفة فان فاطمة
يقت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن رضي الله عنه ما ولدها وفاطمة هي
اسم فاطمة من الطعام يقال فطمت فهي فاطمة كما يقال فطم فهو فاطم والحسن
هو الشيء الحسن (ومن هذا الاسلوب) ما كتبه في فصل من كتاب الى بعض
الاخوان فقلت وعهد بقول وهو يتحلى من البيان بأسمائه وتبرز أنوار
المعاني من ظلماته وقد أصبح يدي منه وهي جملة الخطب وأصبح خاطري
أباجهل بعد أن كان أبالهب وهذا أحسن من الاول وأخاب عبارة فانظر
أيها المتأمل الى ما فيه من التورية للطيفة ألا ترى أن الخطاطير محمد في وصف
بأنه وقاد وملتب ويذم في وصف بأنه يلبد ويجاهل وأبواه وأبوجهل هما
الرجلان المعروفان وكذلك جملة الخطب هي المرأة المعروفة وإذا تم القلم
فيل انه خطب وان صاحبه خطب لما نقلت أنا هذا الى المعنى الذي قصدته
جئت به على ~~كم~~ المغالطة ووريت فيه تورية والمسلوك الى مثل هذه المعاني
وتصحيح المقصد فيها عسر جدا لا يحرم أن الاجادة فيها قليلة (ومما يجري هذا
المجرى) ما ذكرته في وصف شخص بعالى الامور وهو من أبرتماعيه أنه
حاز قسمل المكرمات وفتاحها فاذا سئل منقبة كان مناعها واذا سئل
موهبة كان مناعها وأحسن أثر من ذلك أنه أخذ بأعنة الصعاب وألان

جاسها فاذا شمد حومة حرب كان منصورها واذا التي مهجة خطب كان
 سفاحها والمغالطة في هذا الكلام في ذكر المنصور والسفاح فانهم مالم يقب
 خليفتين من بني العباس والسفاح أول خلفائهم والمنصور أخوه الذي ولي
 الخلافة من بعده وهما أيضا من النصر في حومة الحرب والسفاح الذي هو
 الازاقة والمهجة دم القلب فكأن قلتم هو منصور في حومة الحرب ومريق لدم
 الخطوب وقد اجتمع في هذا الكلام المنصور والمنصور والسفاح والسفاح
 وهذا من المغالطة المثلية لامن النقيضية ولاخفاء بما فيها من الحسن (ومن
 ذلك) ما كتبه في كتاب الى بعض الاخوان فقلت وقد علمت أن ذلك الانس
 بقربه بعقب ايحاشا وأن تلك النملة من انائه تجعل الالكاد عطاشا فان من
 شجرة الدهر أن يبدل الصفو كدرا ويوسع أيام عقوقه طولا وأيام بره قصرا
 وما أقول إلا أنه شعر بذلك المسرة المسروقة بأقام عليها هذا القطع ورأى
 العيش فيها خفضا فأزاله بعامل الرفع والمغالطة في هذا الكلام هي في ذكر
 الخفض والرفع فان الخفض هو سعة العيش والخفض هو أحد العوامل النحوية
 والرفع هو من فوائده رفعت الشيء اذا أزيته والرفع هو أحد العوامل النحوية
 أيضا وهذا من المغالطات الخفية (ومن ذلك) ما كتبه في فصل أصف فيه الحى
 وكنت اذ ذاك يجهن من ميساط وهو بلد من بلاد الارمن فقلت وعماء كره
 في حال المرض بهذه الارض ان الحى خيمت بها فاستقرت ولم تقنع بأهلها حتى
 سرت الى تربتها فترى وقد أخذتها النافض فاقسمت ولم يشك كل أمرها
 الا لانها حى أرمنية مستجيبة للسان وقد تشبهت بالامراض وأهل بلادها
 في الايمان واذا كانت الحى كافرة لم تنزل للمسلم حربا وشكاها الانسهي شكا
 وانما تسمى طعنا وضربا وهذا صارت الادوية في علاجها ليست بأدوية
 واصبحت أيام فخرها في الناس غير مبتدأة بأيام تروية وليس موسمها في فصل
 معلوم بل كل فصول العام من مواسمها ولو كانت ناصيبين أو ميا فارقين
 بكتاب لترجمته بعبدها وخادمها والمغالطة ههنا في تولى واصبحت أيام فخرها
 في الناس غير مبتدأة بأيام تروية والمراد بذلك أنها تقبل بفترة من غير تروية
 من غير تلبث ويوم الفخر هو يوم عيد الاضحى وقبله يوم يسمى يوم التروية فالمغالطة
 حصلت بين فخر الحى للناس وفخر الضعفاء الا أن يوم الفخر مبتدأ بيوم تروية

ولا خفاء بما في هذه المغالطة من الحسن واللطافة (وأما القسم الآخر) وهو النقيض فإنه أقل استعمالاً من القسم الذي قبله لأنه لا يتهماً استعماله كثيراً من جملة ما ورد شعر البعض وهو قوله

وما أشياء تشريعاً بحال * فان نفقت فأكد ما تكون

يقال نفقت السلعة إذا راجت وكنان لها سوق ونفقت الدابة إذا ماتت وموضع المناقضة ههنا في قوله أنها إذا نفقت كسدت فجاء بالنفي ونقيضه وجعل هذا سبباً لهذا وذلك من المغالطة الحسنة (ومن ذلك ما كتبت في جملة كتاب) إلى ديوان الخلافة يتضمن فتوح بلدين بلاد الكفار فقلت في آخر الكتاب وقد ارتاد الخادم من يبلغ عنه مساريح هذه الوقائع التي اختصرها ويمثل صورها لمن غاب عنها كما كتبت لمن حضرها ويكون مكانه من النباهة كريماً كما كتبت لها وهي عرائس المساعي فأحسن الناس بيانا ما وهل لا بداع حسنها والسائر بها فلان وهو راوى أخبار نصرها التي صحتها في تجريح الرجال وعو إلى اسنادها مأخوذة من طسوق العوال واللبالي والأيام لها رواية في الطسوق براوية الأيام واللبالي في هذا الفصل مغالطة نقيضية ومغالطة مثلية أما المغالطة المثلية فهي في قولي وعو إلى اسنادها مأخوذة من طسوق العوال وقد تقدم الكلام على هذا ما يجزى مجراه في القسم الأول وأما المغالطة النقيضية فهي قولي وهو راوى أخبار نصرها التي صحتها في تجريح الرجال وموضع المغالطة منه أنه يقال في رواية الأخبار فلان عدل صحيح الرواية وفلان مجروح أي سقيم الرواية غير موثوق به فأتيت بهذا المعنى على وجه النقيض فقلت صحة أخبار هذه الفتوح في تجريح الرجال أي تجريحهم في الحرب وفي هذا من الحسن ما لا يخفى به وقد أوردت من هذه الأمثلة ما فيه كفاية ومقتنع (فان قيل) إن الضرب الأول من هذا النوع هو التجنيس الذي لفظه واحد ومعناه مختلف كالمثال الذي مثله وفي قول أبي العلي المتنبى ثعلب ووجار فان الثعلب هو الحيوان المعروف وهو أيضاً طرف السنن وكذلك باقي الأمثلة (قلت في الجواب) ان الفرق بين هذين النوعين ظاهر وذلك أن التجنيس يتركب من اللفظ الواحد مرتين فهو يستوى في الصورة ويختلف في المعنى كقول أبي تمام

بكل فتى ضرب يعرض للقتال * محيا محلي عليه الطعن والضرب

في
الاجاز

فالضرب الرجل الخفيف والضرب هو الضرب بالسيف في القتال فاللفظ لا بد
من ذكر مرتين والمعنى فيه مختلف والمغالطة ليست كذلك بل يذكر فيها اللفظ
مرة واحدة ويدل به على مثله وليس يذكر (النوع الحادى والعشرون
في الاجازى) وهى الاغايط من الكلام وتسمى الاغاز جمع لغز وهو الطريق
الذى يلتوى ويشكل على سالكه وقيل جمع لغز بفتح اللام وهو ميل
بالشىء عن وجهه وقد يسمى هذا النوع أيضا المعنى وهو يشتبه بالكناية تارة
وبالتعريض أخرى ويشتهر أيضا بالمغالطات المعنوية ووقع في ذلك عامة أرباب
هذا الفن (فمن ذلك) أن أبا الفرج الاصفهاني ذكر بيتى الاقيس الاسدي
في جملة الاغاز وهما

ولقد أروح بعشرف ذى ميمة * عسر المكرة ماؤميتة قصد

مرح بطير من المزاح اعابيه * ويكاد جلد إهابه يتقصد

وهذان البيتان من باب ~~الممكنة~~ لانهما يحملان على الفرس وعلى العضو
المخصوص وإذا حمل اللفظ على الحقيقة والجواز فكيف يعد من جملة الاغاز
وكذلك فعل الحريرى في مقاماته فانه ذكر في الاجازى التى جعلها على حكم
الفتاوى كناية ومغالطة معنوية وظن أنهم من الاجازى المنغزة كقوله أيضا
لصائم أن يأكل نهارا والنهار من الاسماء المشتركة بين النهار الذى هو ضد الليل
وبين فرخ الجبارى فانه يسمى نهارا وإذا كان من الاسماء المشتركة صار من باب
المغالطات المعنوية لا من باب الاجازى والالغاز شئ منفصل عن ذلك كله ولو كان
من جملة لما قيل لغز واجبة وانما قيل كناية وتعريض أو مغالطة ولكن وجد
من الكلام ما يطلق عليه الكناية ومنه ما يطلق عليه التعريض ومنه ما يطلق عليه
المغالطة ومنه شئ آخر خارج عن ذلك فجعل لغزا واجبة (وكنت قدمت القول)
بأن الكناية هى اللفظ الدال على جانب الحقيقة وعلى جانب الجواز فهو يحمل
عليهما معا وأن التعريض هو ما يفهم من عرض اللفظ لا من دلالة عليه حقيقة
ولا مجازا وأن المغالطة هى التى تطلق ويراد بها شئان أحدهما دلالة اللفظ على
معنيين بالاشتراك الوضعى والاخر دلالة اللفظ على المعنى ونقيضه (وأما اللغز
والاجازية) فانه شئ واحد وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحز لا بدلالة
اللفظ عليه حقيقة ولا مجازا ولا يفهم من عرضه لأن قول القائل فى الضرس

وصاحب لا أمل الدهر صحبته * يشقى النفعي ويسعى سعي مجتهد
 ما ان رأيت له شخصا قد وقعت * عيني عليه اقترقنا فرقة الابد
 لا يدل على أنه الضرس لامن طريق الحقيقة ولا من طريق الجهاز ولا من طريق
 المفهوم وانما هو شيء يحسد ويحزروا الخواطر تختلف في الاسراع والابطاء
 وعند مشورها عليه (فان قيل) ان الغزير يعرف من طريق المفهوم وهذا ان
 البيتان يعلم معناهما بالمفهوم (قلت في الجواب) ان الذي يعلم بالمفهوم وانما هو
 التعريض كقول القائل اني افقيروا في محتاج فان هذا القول لا يدل على المسئلة
 والطلب لاحقيقة ولا مجازا وانما فهم منه ان صاحبه متعرض للطلب وهذا ان
 البيتان ليسا كذلك فانهما لا يشتملان على ما يفهم منه شيء الا بالحدس والخزر
 لا غير وكذلك كل لغز من الاغماز (واذا ثبت هذا فاعلم) ان هذا الباب الذي هو
 الغز والالجية والمسمى يتنوع انواعا فمنه المصحف ومنه المعكوس ومنه ما ينقل
 الى لغة من اللغات غير العربية كقول القائل اسمى اذا صحفته بالفارسية آخر
 وهذا اسمه اسم تركي وهو دكر بالبدال المهملة والنون وآخر بالفارسية دكر
 بالبدال المهملة والياء المجهمة ينتهين من تحت واذا صحفت هذه الكلمة صارت
 دكر بالنون فانتقلت الياء نونا بالتصغير وهذا غير مفهوم الا لبعض الناس
 دون بعض وانما وضع واستعمل لانه مما يشهد القرينة ويحد الخاطر لانه يشتمل
 على معان دقيقة يحتاج في استخراجها الى توفد الذهن والبول في معارج
 خفية من الفكر وقد استعمله العرب في أشعارهم قديما ثم جاء المحدثون فأكثروا
 منه وربما أتى منه بما يكون حسنا وعليه مسحة من البلاغة وذلك عندي بين
 فلا أعدته من الاحاجي ولا أعدته من فصيح الكلام فما جاء منه قول بعضهم
 قد سقيت آبالهم بالنار * والنار قد نشق من الاوار
 ومعنى ذلك ان هؤلاء القوم الذين هم أصحاب الابل ذوو وجهة وتقدم ولهم
 وهم معلوم فلما وردت ابلهم الماء عرفت بذلك الوسم فأفرج ابلها الناس حتى
 شربت وقد اتفق له أنه أتى في هذا البيت بالشئ وضده وجعل أحدهما سبيا
 للآخر فصار غريبا محببا وذلك أنه قال سقيت بالنار وقال ان النار تشق من
 الاوار وهو العطش وهذا من محاسن ما يأتي في هذا الباب (ومما يجري على هذا
 التهج) قول أبي نواس في شجر الكرم

لنا هجمة لا يدرى الذئب مظهرها * ولا راعها غرض الفجالة والمظفر
إذا امتحنت ألوانها مال صفرها * إلى الحق الآن أو بارها خضر
(ومن هذا القبيل) قول بعضهم

صبع رواحل ما ينخن من ألوانا * شيم نساقي بسبعة زهر
متواصلات لا الذئب يعلمها * باق تعاقبها على الدهر

هذان البيتان يتضمنان وصف أيام الزمان ولياليه وهي الأسبوع فإن الزمان
عبارة عنه وذلك من الالغاز الواقعة في موقعها (وعلى هذا الأسلوب) ورد
قول أبي الطيب المتنبي في السفن من جملة قصيدته التي مدح بها سيف الدولة عند
ذكر عبوره الفرات وهي * الرأي قبل شجاعة الشجعان * فقال

وشاء عادية بغبر قوائم * عقم البطون - حوالث الألوان

تأني بما سبب الخبول كأنها * تحت الحسان مرايض الغزلان

وهذا حسن في بابه ومن ذلك قول بعضهم في جهر المحن

ومترع من صنعة الليل برده * يفوق طورا بالنضار ويطلس

إذا سأله عن قويمين أشكلا * أجاب بما أصاب الوري وهو آخرس

وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه وكان سمعه بعض المتأخرين من أهل زماننا
فأجاب عنه بيدين على وزنه وقافيته وهما

سؤالك جلود من الصخر رأ سود * خفيف لطيف ناعم الجسم أطلس

أقيم بسوق الصرف حكما كأنه * من الزنج قاض بالخلق مطلس

(وقد رأيت هذا الشاعر) وهو حائك يجزير قبا بن عمر وليس عنده من أسباب

الادب شيء سوى أنه قد أصلح لسانه بطرف يسير من علم النحو لا غير وهو مع ذلك

يقول الشعر طبعاً وكان يجيب في الكثير منه (ومن الالغاز) ما يرد على حكم

المسائل الفقهية كالذي أورده الحريري في مقاماته وكنت سئلت عن مسئلة منه

وهي ولي خالة وأنا خالها * ولي عمه وأنا عمها

فأما التي أنعم لها * فإن أبي أمه أمها

أبوها أخي وأخوها أبي * ولي خالة هكذا حكمها

فأين الفقيه الذي عنده * فنون الدراية أو علمها

يبين لنا نسباً خالصا * ويكشف للنفس ما همها

فلما سمعوا ولا مشركين * شريعة أحمد نأقها
(وهذه المسئلة كتبت الى) فتأملتها تأمل غير مطبوع في الفكر ولم ألبث
أن انكشف لي ما تحتها من اللغز وهو أن الخالة التي الرجل خالها تصور على هذه
الصورة وذلك أن رجلا تزوج امرأتين اسم احدها معاتشة واسم الاخرى
فاطمة فأولدا معاتشة بنتا وأولدا فاطمة ابنا ثم تزوج بنته من أبي امرأته فاطمة
فجاءت بنت فتلك البنت هي خالة ابنه وهو خالها لانه أخواتها وأما العمة التي
هو عمها فصورتها أن رجلا له ولد ولولده أخ من أمه فزوجة أخاه من أمه أم أبيه
فجاءت بنت فتلك البنت هي عمته لانها أخت أبيه وهو عمها لانه أخواتها وأما قوله
ولي خالة هـ كذا حكمها فهو وأن تكون أمها أخته وأختها أمه كما قال أبوها
أخي وأخوها أبي وصورتها أن رجلا له ولد ولولده أخت من أمه فزوجة لها من أبي
أمه فجاءت بنت فاختها أمه وأمتها أخته (وأحسن من ذلك كله وأطف
وأحلى) قول بعضهم في الخلال

ومضروب بلا جرم • ملج اللون معشوق
له قد الهلال على • ملج القيد معشوق
وأكثر ما يرى أبدا * على الامشاط في السوق

وبلغني أن بعض الناس سمع هذه الابيات فقال قد دخلت السوق فغارأيت
على الامشاط شيئا وظن أنها الامشاط التي يرجل بها الشعر وأن السوق سوق
البيع والشراء (واعلم) أنه قديما في من هذا النوع ما هو مضروب وألوان
فنه الحسن الذي أوردت شيئا منه كما تراهم ومنه المتوسط الذي هو دونه
في الدرجة فلا يوصف بحسن ولا قبح كقول بعضهم

راحت ركائبهم وفي أكوارها • ألفان من عثم الاثيل الواعد
ما ان رأيت ولا باركب هكذا • حلت حدائق كاتلام الراكد

وهذا يصف قوما وفدوا على ملك من الملوك فأعطاهم فخلا وكتب لهم بها كتابا
والاثيل الموضع الذي كتب لهم اليه والعنم العظام الرأس من النخيل والواعد
الاقناء من النخيل فلما حملوا الكتب في أكوارهم فكأنهم حملوا النخل وهذا
من متوسط الانغاز وقد جاء من ذلك ما هو بشع بارد فلا يستخرج الابعاسات
الجبر والمقابلة أو بخطوط الرمل من القبض الداخل أو القبض الخارج والبياض

والحجرة وغيرها واثن كان معناه دقيقا يدل على فرط الذكاء فاني لأعده من اللغة العربية فضلا عن أن يوصف بصفات الكلام المحمودة ولا فرق بينه وبين لغة الفرس والروم وغيرها مما من اللغات في عدم الفهم (وأما ما ورد من الالغاز نثرا) فقد أُلغز الحريري في مقاماته ألغازا ضعتها ذكر الابرة والمارود وذكر الديثار وهي أشم - ركا يقال من قفائبك فلا حاجة إلى إيرادها في كتابي هذا وقد ورد من الالغاز نثري في كلام العرب المنشور غير أنه قليل بالنسبة إلى ما ورد في أشعارها وقد تأملت القرآن الكريم فلم أجده فيه شيئا منها ولا ينبغي أن يتضمن منها شيئا لانه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الالغاز (وأما ما ورد للعرب) فيروى عن امرئ القيس وزوجته عذرة من الالغاز وذلك أنه سأها قبل أن يتزوجها فقال ما اثنان وأربعة وثمانية فقالت أما الاثنان فتدنيا المرأة وأما الاربعة فاخلق الناقة وأما الثمانية فأطباء الكلبة ثم انه تزوجها وأرسل اليها هدية على يد عبده وهي حلقة من عصب الهمداني ونحى من عسل ونحى من سم فقتل العبد ببعض المياه ولبس الحلقة فعاق طرفة بالسمرة فانشق وفتح النخيين وأطعم أهل الماء ثم قدم على المرأة وأهلها فخلوف فسأل عن أيها وأتتها وأخبرها ودفع اليها الهدية فقالت له أعلم - ولأن أن أبي ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا وان أمي ذهبت تشق النفس نفسين وأن أخى يرقب الشمس وأخبره أن سماكم انشقت وأن وعاء يكمن نضبا فعاد العبد إلى امرئ القيس وأخبره بما قالت له فقال أما أبوها فانه ذهب يحالف قوما على قومه وأما أمها فانه ذهبت تقبل امرأة وأما أخوها فانه في سرح يرعاه إلى أن تغرب الشمس وأما قواها ان سماكم انشقت فان الحلقة انشقت وأما قواها ان وعاء يكمن نضبا فان النخيين تقصا ثم قال للعبد أصدقتني فقال له اني نزلت بما من مياه العرب ونعلت كذا وكذا فهذا وأمثاله قد ورد عنهم إلا أنه يسير (وكذلك يروى عن شبنم بن أفضى) وكان ألزم نفسه أن لا يتزوج الا امرأة تلامحه فصاح به رجل في بعض أسفاره فلما أخذ منهم ما السهر قال له شبنم أتجدلني أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحملك الراكب راكبا فأمسك عنه وسارا حتى أتيا على زرع فقال شبنم أتري هذا للزرع قد أكل فقال له يا جاهل أما تراه في سنبله فأمسك عنه ثم سارا فاستمعتا لهما جنازة فقال شبنم أتري صا - بها حيا فقال له الرجل ما رأيت أجعل منك أترام

سألوا إلى القبر حيا ثم انهم هاضموا إلى قرية الرجل فصاربه إلى بيته وكانت له بنت
 فأخذ يطردها بحجده يشرفيه فقالت فانطق الابا صواب ولا استفهم الاعا
 يستفهم عن مثله أما قوله أتجملني أم أحلك فانه أراد أن يتحدثني أم أحذثك حتى
 تقطع الطريق بالحديث وأما قوله أترى هذا الزرع قد أكل فانه أراد هل استسلف
 ربه ثمنه أم لا وأما استفهامه عن صاحب الجنائز فانه أراد هل خلف له عبا يحميها
 بذكركم أم لا فلما سمع كلام ابنته خرج إلى شئ وحده بنا ويلها لخطبها فزوجه
 اياها (وأدق من هذا كله والطف) ما يحكي عن رجل من المناقذة أصحاب شيرز
 وهو أولهم الذي استنقذ من أيدي الروم بالذكور والخدمعة ولذلك قصة طريفة
 وليس هذا موضع ذكرها وكان قبل ملكه اياها في خدمة محمود بن صالح صاحب
 حلب وكان اذ ذاك يلقب بسديد الملك فنبأ به مكانه وحادث له حادثه أو جبت له
 أن هرب ومضى إلى مدينة ترابلس في زمن بنى عمار أصحاب البلد فأرسل إلى اليه
 ابن صالح واستعطفه ليعود اليه فخافه ولم يعد فاضمر ابن صالح رجلا من أهل
 حلب صديقا لابن منقذ وبينه وبينه لجة مودة أكيدة وأجلسه بين يديه وأمره
 أن يكتب اليه كتابا عن نفسه يوثقه من جهة ابن صالح ليعود فساو سعه إلا أن
 يكتب وهو يعلم أن باطن الامر في ذلك خلاف ظاهره وأنه متى عاد ابن منقذ إلى
 حلب هلك فأفكر وهو يكتب في اشارة عياله لا تفهم لم يضعها فيه يحذر بها
 ابن منقذ فآذاه فذكره أن كتب في آخر الكتاب عند انخائه إن شاء الله تعالى
 وشددان وكسرها ثم سلم الكتاب إلى ابن صالح فوقف عليه وأرسله إلى ابن منقذ
 فلما صار في يده وعلم ما فيه قال هذا كتاب صدقي وما يغشني ولولا أن يعلم صفاء قلب
 ابن صالح لي لما كتب الي ولا غرتني ثم عزم على العود وكان عنده ولد
 فأخذ الكتاب وكررت نظره فيه ثم قال له يا أبة كانك فان صدقتك قد حذرك وقال
 لا تعد فقال وكيف قال انه قد كتب أن شاء الله تعالى في آخر الكتاب وشددان
 وكسرها واضبطها واضبطها لا يصدر منه عن سمع ومعنى ذلك أنه يقول ان
 الملائكة يأمرون بك ليقبلك وان شككت في ذلك فأرسل إلى صاحب وهو ذا من
 أعجب ما بلغني من حدة الذهن وقطانة الخاطر ولولا أنه صاحب الحادثة المخوفة
 لما تقطن إلى مثل ذلك أبدا لانه ضرب من علم الغيب وانما الخوف دله على استنباط
 ما استنبطه (ووجد بعض الادباء الغزفي حمام) فنه ما أجاد فيه كقولها وقد أظلمت

سماء ذات نجوم لا استراق لها ولا رجوم وهي مركبة في فلك صحت استدارته
وسكنت ادارته * أعجب بها من أنجم * عند الصباح ظاهرة
لكنها إذا بدا * فجم الظلام غائرة
فهي على القيام جنة نعيم مبنية على لطي بحيم لا خلود فيها ولا مقام
ولا تراور بين أهلها ولا سلام أنهارها متدفقة ومياهها متفرقة والاكواب
بها موضوعة والنمارق عنها منزوعة

يطيع بها المولى أو امر عبده * ويصبح طوعا في يديه مقبلة
ويرفع عنه التاج عند دخوله * ويسلب من قبل الجلوس غلاته
التجمل بها معدوم والخادم فيها مخدوم ينكر بها التستر من البرد وبكره
حرها إذا جاوز الحد هذا اللغز من فصيح الالغاز ولا يقال إن صاحبه في العمى
صانع العكاز وإذا نظر غيره بلعة من الوشي فهذا كله طراز (وعما سمعته) من
الالغاز الحسن التي تجري في الهاورات ما يحكي عن عمر بن هبيرة وشريك النخري
وذا الذي عمر بن هبيرة كان سائرا على برذون له وإلى جانبه شريك النخري على بغلة
فتقدمه شريك في المسير فصاح به عمر أغضض من جلماها فقال أصلح الله الأمير
إنها مكبوتة فتبسم عمر ثم قال له ويحك لم أرد هذا فقال له شريك ولا أنا أردته
وكان عمر أراد قول جرير

فغض الطرف أنك من غير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فأجابه شريك بقول الآخر

لا تأمنن فزار يا نرات به * على قلو صك واكتبها باسبار

وهذا من الالغاز اللطيفة وتفطن كل من هذين الرجلين لمثله ألطف وأحسن
(ومما يجري هذا الجري) أن رجلا من قميم قال لشريك النخري ما في الجوارح
أحب إلي من البازي فقال له شريك إذا كان يصيد القطا وكان التميمي أراد
قول جرير أنا البازي المطل على غير * أتبع من السماء لها النصبابا

وأراد شريك قول الطرماخ

قيم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت طرق المكارم ضلت

واعلم أن خواطر الناس تتفاضل كتفاضل الأشخاص ومن ههنا قيل سبحانه خالق
أبي موسى وعمر بن العاص (النوع الثاني والعشرون في المبادئ والافتتاحات)

هذا النوع هو أحد الأركان الخمسة البلاغية المشار اليها في الفصل التاسع من مقدمة الكتاب وحقيقة هذا النوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام ان كان فتحا ففتحها وان كان هناء فهناء أو كان عزاء فعزاء وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني وفائدته أن يعرف من مبدء الكلام ما المراد به ولم هذا النوع والقاعدة التي يبنى عليها أساسه أنه يجب على الشاعر إذا نظم قصيدة أن ينظر فان كانت مدحيا صرفا لا يختص بحادثة من الحوادث فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل أو لا يفتتحها بغزل بل يرتجل المدح ارتجالا من أولها كقول القائل

ان حارت الالباب كيف تقول * في ذا المقام فعذرهما مقبول
سأخ بفضلك مادحيك فإلهم * أبدا الى ما تستحق سبيل
ان كان لا يرضيك إلا محسن * فالحسنون اذ الدليك قليل

فان هذا الشاعر ارتجل المدح من أول القصيدة فأتى به كما ترى حسنا لا نقا وأما اذا كان القصيدة في حادثة من الحوادث كفتح مقفل أو هزيمة جيش أو غير ذلك فانه لا ينبغي أن يبتدأ فيها بغزل وان فعل ذلك دل على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الغاية أو على جهل بوضع الكلام في موضعه (فان قيل) انك قلت يجب على الشاعر كذا وكذا فلم ذلك (قلت في الجواب) ان الغزل رقة محضة والالفاظ التي تنظم في الحوادث المشار اليها من فخل الكلام ومتمين القول وهي ضد الغزل وأيضا فان الاسماع تكون متطابقة الى ما يقال في تلك الحوادث والابتداء بالخوض في ذكرها لا الابتداء بالغزل اذ المهم واجب التقديم ومن أدب هذا النوع أن لا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة بالمدح ما يتطير منه وهذا يرجع الى أدب النفس لا الى أدب الدرس فينبغي أن يحتزم منه في موضعه كوصف الديار بالدور والمنازل بالعفاء وغير ذلك من نشئت الآلاف وذم الزمان لاسيما اذا كان في التاني فانه يكون أشد قبحا وانما يستعمل ذلك في الخطوب النازلة والنواب الحادثة ومتى كان الكلام في المدح مفتحا بشئ من ذلك تطير منه سامعه وانما خصت الابتداء بالاختيار لانها أول ما يطرئ السمع من الكلام فاذا كان الابتداء لا نقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه وكفيل من هذا الباب الآية اذا أت الواردة في القرآن كالتحميدات المفتحة

بها أوائل السور وكذلك الابتداءات بالنداء كقوله تعالى في مفتتح سورة النساء
 يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وكقوله تعالى في أول
 سورة الحج يا أيها الناس اتقوا ربكم أن زلزلة الساعة شيء عظيم فان هذا الابتداء
 مما يوقظ السامعين للاصغاء اليه وكذلك الابتداءات بالحروف كقوله تعالى
 ألم وطس وحى وغير ذلك فان هذا أيضا مما يبعث على الاستماع اليه لانه يقرع
 السمع شيء غريب ايمس له بمثله عادة فيكون ذلك سبباً للتطلع نحووه والاصغاء اليه
 (ومن قبجج الابتداءات) قول ذي الرمة * ما بال عينك منها الماء ينسكب * لان
 مقابلة الممدوح بهذا الخطاب لا خفاء بقبحه وكرهته (ولما أنشد الاخطل)
 عبد الملك بن مروان قصيدته التي أولها * خف القطبين فراحوا حنك أو بكروا
 قال له عند ذلك لابل منك وتطير من قوله فغيرها ذو الرمة وقال
 خف القطبين فراحوا اليوم أو بكروا * ومن شاء أن يذكر الديار والاطلال في شعره
 فليبدأ بآداب القطامي على جفاء طبعه وبعده عن فطانة الأدب فانه قال
 أنا محبوك فاسلم أيها الطلل * فبدأ قبل ذكر الطلل بذكر التحية والدعاء له
 بالسلامة وقد قيل ان امرأ القيس كان يجيد الابتداء كقوله
ألا انعم صباحاً أيها الطال البالي * وكقوله * ففانبك من ذكرى حبيب ومنزل
 (ومما يكره من الابتداءات) قول أبي تمام * تجزع أسى قد أفقر الجرع الفرد
 وانما ألقى أبا تمام في مثل هذا المكره تتبعه لتجنيس بين تجزع والجرع وهذا
 دأب الرجل فانه كثيرا ما يقع في مثل ذلك وكذلك استقبح قول الجعري
 فؤاد ملاء الحزن حتى تصدعا * فان ابتداء المديح بمثل هذا طيرة ينبوعها
 السمع وهو أجدر بأن يكون ابتداء مرثية لا مديح وما أعلم كيف يخفى هذا على
 مثل الجعري وهو من مقلقي الشعراء (وحكى) أنه لما فرغ المعتصم من بناء
 قصره بالميسدان جلس فيه وجمع أهله وأصحابه وأمرهم أن يخرجوا في زينتهم
 فإراى الناس أحسن من ذلك اليوم فاستأذن اسحق بن ابراهيم الموصلي في
 الانشاد فأذن له فأنشد شعرا حسنا آجاد فيه الا أنه استفتح بذكر الديار وعفاها
 فقال يا دار غيرك البلي ومحاك * يا ليت شعري ما الذى أبلاك
 فطير المعتصم بذلك وتغاضى الناس على اسحق بن ابراهيم كيف ذهب عليه مثل
 ذلك مع معرفته وعلمه وطول خدمته للملوك ثم أقاموا يومهم وانصرفوا لعماد

منهم اثنان الى ذلك المجلس وخرج المعتصم الى سر من رأى وغرب القصر فاذا
 اراد الشاعر أن يذ كر دارا في مدحيه فليذ كر كما ذكر أشجع السلمي حيث قال
 قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جلالها الايام

وما أبدر هذا البيت بفتح شعرا سحق بن ابراهيم الذي أنشده للمعتصم فانه
 لو ذكر هذا أو ما جرى مجراه لكان حسنا لا نقسا (وسئل) بعضهم عن أحذق
 الشعراء فقال من أجاد الابتداء والمطلع ألا ترى الى قصيدة أبي نواس التي أولها
 يا دار ما فعلت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تستام

فانه من أشرف شعره وأعلاه منزلة وهي مع ذلك مستكرهة لابتداء لانها
 في مدح النمايفة الامين وافتتاح المدح بذكر الديار ودورها بما يتطير منه لاسيما
 في مشافهة الخلفاء والملوك وانهذا يختار في ذكر الاماكن والمنازل ما رقيق لفظه
 وحسن النطق به كالعذيب والغوير ورامة وبارق والعقيق وأشياء ذلك
 ويختار أيضا أسماء النساء في الغزل نحو سعاد وأمير وفوز وما جرى هذا المجرى
 وقد عيب على الاخطل في تغزله بقذوره وهو اسم امرأة فانه مستقبح في الذكرو قد
 عيب على غيره التغزل باسم تماضر فانه وان لم يكن مستقبها في معناه فانه ثقيل
 على اللسان كما قال البحري

ان للبين منة لا تؤدى * ويداني تماضر بيضاء

فتغزله بهذا الاسم مما يشوقه رقة الغزل ويثقل من خفته وأمثال هذه الاشياء يجب
 مراعاتها والتحرز منها (وقد استثنى من ذلك) ما كان اسم موضع تضمن وقعة
 من الوقائع فان ذكره لا يكره وان كان في اسمه كراهة كما ذكر أبو تمام في شعره
 مواضع مكرهة الاسماء للضرورة ذكر الوقائع التي كانت بها كذكر الحشال
 وعقوقس وأمثالهما وكذلك ذكر أبو الطيب المتنبي هنزيط وشيمصاط وما جرى
 مجراهما وهذا لعيب في ذكره لكان الضرورة التي تدعو اليه وهكذا يسامح
 الشاعر والكاتب أيضا في ذكر ما لا بد من ذكره وان قبح ومنه ما أمكنه من
 التورية في هذا المقام فليسلكها وما لا يمكنه فانه معذور فيه (واعلم) أنه ليس
 من شرط الابتداء أن لا يكون مما يتطير منه فقط فان من الابتداء أن
 ما يستقبح وان لم يتطير منه كقول أبي تمام * قد انتاب أريت في الغلواء
 وكقوله * أتى جمعا في لست طرع مؤنبي * وكقول أبي الطيب المتنبي

أقل فقال بله أكثره مجد * وكقوله * كفى أراني وبك لومك ألوما * والعجب
أن هذين الشاعرين المتفاقيين يتبدآن بمثل ذلك ولهما من الابتداء آت الحسننة
ما ذكره (أما أبو تمام) فإنه افتتح قصيدته التي مدح بها المعتصم عند فتحه
مدينة عمورية فقال

السيف أصدق أنباء من الكتب * في حدته الحد بين الجند والذهب
بيض الصفائح لا سود الصوائف في * متونهن جلاء الشك والريب
وهذه الأبيات لها قصة وذلك أنه لما حضر المعتصم مدينة عمورية زعم أهل
النجاة أنه لا تفتح في ذلك الوقت وأفاضوا في هذا حتى شاع وصار أحد وثة
بين الناس فلما فتحت بنى أبو تمام مطلع قصيدته على هذا المعنى وحمل السيف
أصدق من الكتب التي خبرت بامتداع البلاد واعتصامها ولذلك قال فيها
والعلم في شهب الأرماح لامية * بين الخيسين لافي السبعة الشهب
أين الرواية أم أين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة * ليست بنبع اذا عذت ولا غرب
وهذا من أحسن ما يأتي في هذا الباب وكذلك قوله في أول قصيدته مدح بها
أيضا ويذكر فيها خروج بابك الخرمي عليه وظفريه وهي من أتمها شعره فقال
الحق أبلج والسيوف عوار * فحذار من أسد العرين حذار
وكذلك قوله متغزلا

عسى وطن يدنو بهم ولعلما * وان ثعب الأيام فيهم قريبا
وهذا من الأغزال الحلوة الرائقة وهو من محاسن أبي تمام المعروفة وكذلك قوله
في أول مرثية

أصم بك الداعي وان كان أصمعا * وأصبح مغنى الجود بعدك بالنعما
(وأما أبو الطيب) فإنه أكثر من الابتداء آت الحسننة في شعره كقوله في قصيدة
مدح بها كافورا وكان قد جرت بينه وبين ابن سيده نزعة فبدأ قصيدته بذكر
الغرض المقصود فقال

حسم الصلح ما شتهه الأعداى * وأذاعته أسن الحساد
وهذا من بديع الابتداء ونادره وكذلك ورد قوله في سيف الدولة وكان
ابن الشمشقيق حليف ليعقوبه كفا جافا لآل الله بالم يطق ذلك وولى هاربا فافتتح أبو

الطيب قصيدته بفحوى الامر فقال

عقبى اليمين على عقبى الوغانم * ماذا يزيدك في اقدامك القسم
وفي اليمين على ما أنت واعدته * ما دل أنك في الميعاد منهم
(وكذلك) قوله وقد فارق سيف الدولة وسارا الى مصر فجمع بين ذكر فراقه اياه
ولقائه كافورا في أول بيت من القصيدة فقال

فراق ومن فارقت غير مدغم * وأتم ومن يممت خير ميم
(ومن البديع النادر في هذا الباب) قوله متغزلا في مطلع قصيدته القافية وهي
أزاهالكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في الماتى

وله مواضع أخر كثيرة لا حاجة الى ذكرها (ومن محاسن الابتداءات) التي دلت
على المعنى من أول بيت في القصيدة ما قرأته في كتاب الروضة لأبي العباس
المبرد فنه ذكر غزوة غزاها الرشيد هرون رحمه الله في بلاد الروم وأن نفقة ورملة
الروم خضع له وبذل الجزية فلما عاد عنه واستقر بمدينة الرقة وسقط الثلج نقض
نفقوره الهد فلم يجسر أحد على اعلام الرشيد لما كان هيئته في صدور الناس
وبذل يحيى بن خالد للشعراء الاموال على أن يقولوا أشعارا في اعلامه فكلهم
أشفق من لقائه بمثل ذلك الاشاعرا من أهل جنة يكنى أبا محمد وكان شاعرا مقلعا
فأنظم قصيدا وأنشدها الرشيد أولها

نقض الذي أعطيت به تقفور * فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين قانه * فتح أتاك به الاله كبير
نقفور أنك حين تغدران نأى * عنك الامام بل جاهل مغرور
أظننت حين غدرت أنك مفلت * هبلت لك أمتك ما ظننت غرور

فلما أنهى الايات قال الرشيد أو قد فعل ثم غزاها في بقية الثلج وفتح مدينة
هرقل (وقرأت في كتاب الاغانى لأبي الفرج الاصبهاني) ما رواه من شعر سديف
في تحرير فضة السفاح رحمه الله على بن أمية فقال قدم سديف من مكة
الى الحيرة والسفاح بها ووافق قدومه جلوس السفاح للناس وكان بنو أمية
يجلسون عنده على الكراسي تتكرمة لهم فلما دخل عليه سديف حبر لثامه
وأنشده أبياتا من الشعر فالتفت رجل من أولاد سليمان بن عبد الملك وقال
لا تنرا الى جانبه قتلنا والله العبد فلما أنهى الايات أمر بهم السفاح فأخرجوا

من بين يديه وقتلوا عن آخرهم وكتب الى عماله بالبلاد يأمرهم بقتل من وجدوه
منهم ومن الايات

أصبح الدين ثابتاً في الاساس * بالله البطل من بني العباس
أنت مهدي هاشم وهداه * كم أناس رجولاً بعد اياس
لا تقبلن عبد شمس عشاراً * واقطعن كل رقلة وغراس
أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والانعاس
خوفهم أظهر التودد فيهم * وبهم منكم كعزالمواسي
أقصهم أيها الخليفة واحسب * عنك بالسيف شأفة الارجاس
واذكرن مصرع الحسين وزيد * وقتيل لا بجانب الهرماس
واقدم ساني وساء سواني * قزهم من منابر وكراسي
وهذه الايات من فاخر الشعر ونادره افتتاحتها وابتدأتها وتحريرها وتأليفها ولو
وصفتها من الاوصاف بما شاء الله وشاء الاسهاب والاطناب لما بلغت مقدر
ما لها من الحسن (ومن لطيف الابدآت) ما ذكره مهيبار وهو
أما وهواها عذرة وتنصلاً * لقد قل الواشي اليها فأنحلاً
سعي جهده لكن تجاوزته * وكثر فارتابت ولو شاء قتلاً
فانه أبرز الاعتذار في هيئة الغزل وأخرجيه في معرض التسيب وكان وثني به
الى المدوح فافتتح قصيدته بهذا المعنى فأحسن (ومما جاء على نحو من ذلك) قول
بعض المتأخرين من العراقيين

وراءك أقوال الوشاة الفواجر * ودونك أحوال الغرام الخمار
ولولا ولوع منك بالصدمات عوا * ولولا الهوى لم أنتدب لاه عمار
فسلك في هذا القول مسلك مهيبار الا أنه زاد عليه زيادة حسنة وهي المعاتبة على
الاصغاء الى أقوال الوشاة والاستماع منهم وذلك من أغرب ما قيل في هذا المعنى
(ومن المذاقة في هذا الباب) أن تجعل التعميدات في أوائل الكتب السلطانية
مناسبة لمعاني تلك الكتب وانما خصصت الكتب السلطانية دون غيرها لان
التمام لا تصدق في غيرها فانها تكون قد تضمنت أموراً لا تفتقر بالتصعيد كفتح
مقفل أو هزيمة جيش أو ما جرى هذا الجرى (ووجدت أبا اسحق الصابي) على
تقدمه في فن الكتابة قد أدخل بهذا الركن الذي هو من أركان الكتابة فإذا أتى

بتحميده في كتاب من هذه الكتب لا تكون مناسبة لمعنى ذلك الكتاب وانما
 تكون في واد والكتاب في واد الا ما قل من كنيه (فما خالف فيه مطلع معناه) انه
 كتب كتابا يتضمن فتح بغداد وهزيمة الاثرال عنها وكان ذلك فتحا عظيما قابلا
 بالتحميد فقال الحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين الوحيد القريد العلي
 الجويد الذي لا يوصف الاسباب الصفات ولا يبعث الابرغ النعوت الارلى
 بلا ابتداء الابدى بلا انتهاء القديم لا منذ امد محدود الدائم لا الى أجل
 معدود الفاعل لا من مادة استمدها ولا بالآلة استعملها الذي لا تدركه الاعين
 يلماظها ولا تحده الاسن بالفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا يهرمه
 الدهور بمرورها ولا تضارعه الاجسام بافظارها ولا تجانسها الصور بأعراضها
 ولا تجاربه أقدام النظر والأشكال ولا تراجه مناكب القرناء والامثال بل
 هو الصمد الذي لا كقول له والقد الذي لا توأم معه والحق الذي لا تخزمه المنون
 والقيوم الذي لا تشغله الشؤون والقدير الذي لا تؤده المعضلات والخبير
 الذي لا تعيبه المشكلات وهذه التحميدة لا تناسب الكتاب الذي افتتح بها
 وليكنها تصلح أن توضع في صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ككتاب
 الشامل للجويني أو كتاب الاقتصاد أو ما جرى مجراها وما أن توضع
 في صدر كتاب فتح فلا وهو وان أساء في هذا الموضع فقد أحسن في مواضع آخر
 وذلك أنه كتب كتابا عن الخليفة الطائع رحمه الله تعالى الى الاطراف عند عود
 الى كرسى ملكه وزوال ما نزل به وبأبيه المطيع رحمه الله من فادحة الاثرال فقال
 الحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته وواصل الحبلى بعد دبتاته وجابر الوهن اذا ثلم
 وكاشف الخطب اذا أظلم والقاضي للمسلمين بما يرضى نشرهم ويشد أزهرهم
 ويصلح ذات بينهم ويحفظ الالفة عليهم وان شابت ذلك في الاحيان شوائب من
 الحدثان فان تجاوزهم الحد الذي يوقظ غافلهم وينبه ذاهلهم ثم انهم عائدون
 الى فضل ما أولاهم الله وعودهم ووثق لهم ووعدهم من ايمان سرهم واعذاب
 شرهم واعزاز جانيهم واذلال مجانيهم واطهار دينهم على الدين كله ولو كره
 المشركون وهذه تحميدة مناسبة لموضوع الكتاب وان كانت المعاني فيها مكررة
 كالذي أنكرته عليه وعلى غيره من الكتاب وقدمت القول فيه في باب الصحيح
 فليؤخذ من هنالك (ومن المبادئ التي قد أخلقت وصارت مزدرة) أن يقال

في أوائل التقليدات ان أحق الخدم بأن ترضى خدمة كذا وكذا وان أحق من
 قلد الأعمال من اجتمع فيه كذا وكذا فان هذا ليس من المبادئ المستحسنة ومن
 استعمله أو لا فقد ضعف في كبرته عن اقتراح ما يحسن استعماله من المبادئ
 والذي تبعه في ذلك اقام قلد ليس عنده قوة على أن يختار لنفسه وأما جاهل
 لا يفرق بين الحسن والقيح والجيد والردى وأهل زماننا هذا من الكتاب
 قد قصر واما مبادئ تقاليدهم على هذه الفاتحة دون غيرها وان أتوا بتحميدة من
 التحاميد كانت مبادئه معنى التقليد الذي وضعت في صدره وكذلك قد كان
 الكتاب يستعملون في التقليدات مبادئ واحد لا يتجاوزونه الى غيره وهو هذا
 ما عهد فلان الى فلان والتحميد خير مما افتتح به التقليدات وكتب الفتوح وما
 جرى مجراها وما وقد أنكرت ذلك على مستعمله في مفتتح تقليد أنشأته بولاية وال
 فقلت كانت التقليدات تفتتح بكلام ليس بذى شان ولا يوضع في ميزان ولا يجتفى
 من أفنان وغاية ما يقال هذا ما عهد فلان الى فلان وتلك فاتحة لم تكن جديدة
 فخلق بطاول الايام ولا حسنة النظم فيضاهي بئلهما من ذوات النظام وهذا
 التقليد مفتتح بحمد الله الذي تكفل لحامده بالزيادة وبدأ النعمة ثم قرنها من فضله
 بالاعادة وهو الذي بلغ بنا من ما آرب الدنيا منتهى الارادة وسلم اليها مقايده فذل
 لنا بها كل مقادة ووسد الامر منا الى أهله فاستوطأت الرعايا منه على وسادة
 ونرجوا أن يجمع لنا بين سعادة الأولى والأخرى حتى تتصل هذه السعادة بتلك
 السعادة ثم نصلى على نبيه محمد الذي ميزه الله على الانبياء بشرف السيادة وجعل
 انشقاق القمر له من آيات النبوة وانشقاق الايوان من آيات الولادة وعلى آله
 وأصحابه الذين شادوا الدين من بعده فأحسنوا في الاشادة وبسطت عليهم
 الدنيا كما بسطت على الذين من قبلهم فلم يحولوا عن خلق الزهادة أمابعد كذا
 وكذا ثم أنشيت التقليد الى آخره (ومن الحداقة في هذا الباب) أن يجعل الدعاء في
 أول الكتاب من السلطانيات والاخوانيات وغيرهما مضمنا من المعنى ما بنى عليه
 ذلك الكتاب وهذا شئ انفردت بابتداعه وتراه كثيرا فيما أنشأته من المكتبات
 فاني توخيت فيها وقصده (فن ذلك) ما كتبه في الهناء بفتح وهو هذا الكتاب
 مشافه بخدمة الهناء للعباس السامى الفلانى جدد الله له في كل يوم قضا وبذل
 عرش كل ذى سلطان لديه صرحا وجعل كل موقف من مواقف جوده وبأسه

يوم فمار يوم أضحي وكتب له على لسان الاسلام ولسان الايام ثناء خالدا
 ومديحا وأسكنه بعد العمر الطويل دارا لا ينظم فيها ولا يضحى ثم أخذت بعد
 ذلك في انشاء الكتاب المتضمن ما يقتضيه معنى ذلك الفتح (ومن ذلك) ما ذكرته
 في الهناء بولود وهو جسد الله مسرات المجلس السامي الفلاني ووصل صبور
 مناته بغبوقه وأتمه به بسيلة المبشر بطروقه وأبقاه حتى يستضي بنوره
 ويرى عن فوقه وسرته أبكار المعاني حتى يتخلق أعطافها بخلوقة وجعله كزراع
 أخرج شطأه فأزره فاسد تغلظ فاسد نوى على سوقه ثم أخذت في اتمام الكتاب
 بالهناء بالمولود على حسب ما اقتضاه ذلك المعنى فتأمل ما أورده ههنا من هذين
 المثلين وانسج على منوالهم ما قيمته صدق من المعاني التي تبنى عليها كتبك فان
 ذلك من دقائق هذه الصناعة (وأما فوائح الكتب التي أنشأتها) فمنها
 ما اخترعته اختراعا ولم أسبق اليه وهي عدة كثيرة وقد أوردت ههنا بعضها (ومن
 ذلك) مفتاح كتاب الى ديوان الخلافة وهو نشأت سحابة من سماء الديوان العزيز
 النبوي جعل الله الخلود لدولته وأوطانا والحدود لها أركانها ونصب أيامها في
 أيام الدهر أحيانا وصورها في وجهه عينا وفي عينه انسانا ومد ظلالها على الناس
 عدلا واحسانا وجمع الامم على دين طاعتها وان تفرقوا أديانا وأثناها من معجزات
 سلطانه ما لم ينزل به لغبرها ساطانا فأرتاح الخادم لانقائها وبسط يده لاستسقامها
 وقال رحمة مرسله لا تخشى رعودها ولا تخلف وعودها ومن شأنها ترويض
 الصنائع التي يبق آثارها لانجائل التي تذوي أزهارها وقديع برعن الكتاب ونائله
 بالصحاب ووابله فان صدر عن يد كيد الديوان العزيز فقد وقع التشبيه به موقع
 الصواب وصدق حينئذ قول القائل ان البحر عنصر السحاب لكن فرق بين
 ما يجود بمائه وما يجود بنعمائه وبين ما يسم الارض الماحلة وبين ما يسمى
 الاقدار الخالدة وما زلت كتب الديوان العزيز تضرب لها الامثال وتصرف
 نحوها الآمال ويرى الخسد فيها حسنا وان عتد في غيرها من سيئ الاعمال
 وهذا فصل من أول الكتاب (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتاح كتاب كتيبه الى
 بعض الاخوان وأرسلته اليه من الموصل الى أرض الشمال من بلاد الروم وهو
 طالع كوكب من أفق المجلس السامي لا خلت سيادته من عدو وحاسد ولا شين
 شؤم يخرجها عن حكم الواحد ولا عمت صحبة الجسد والمتيقظة في

الزمن الراقى ولا أوحشت الدنيا من ذكره الخالد الذى هو عمر خالد ولا زال
مرفوعا الى المحل الذى يعلم به أن الدهر للناس ناقد والكواكب تختلف مطالعها
فى الشمال والجنوب فتنها ما يطلع دائما فى أحدهما وهو فى الآخر دائم الغروب
وكتاب المجلس كوكب لم يربهم هذه الارض مطلعها وان علم من السماء أين موضعه
ولما ظهر الآن للخدام سجع له حامدا وخزله ساجدا وقال قد عبادت الكواكب
من قبل فلابد أن أكون لهذا الكوكب هابدا وهما أنا قد أصبحت بالعكوف
على عبادته مغرى وقال الناس هذا ابن كبشة الكتاب لا ابن أبى كبشة الشعري
وهذا مطلع غريب والسبابة التالية لمطلعها أغرب ومن أغرب ما فيها أقول وهما أنا
قد أصبحت بالعكوف على عبادته مغرى وقال الناس هذا ابن كبشة الكتاب
لا ابن أبى كبشة الشعري والمراد بذلك أن ابن كبشة كان رجلا فى الجاهلية
يعبد الشعري فخالف بذلك دين قومه ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم
قالت قريش هذا قد خالف ديننا وهو ابن أبى كبشة أى أنه قد خالفنا كما خالف
أبو كبشة قومه فى عبادة الشعري فأخذت أنا هذا المعنى وأودعته كتابى هذا فجاء
كما تراهم مبتدعا غربيا (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتاح كتاب كتيبه
الى بعض الاخوان بالشام وهو طلعت من الغرب شمس قليل قد آذنت أشراط
الساعة بالاقتراب ولم يعلم أن تلك الانوار انما هى أنوار الكتاب لم تألف
الابصار من قبله أن تطلع الشمس من المغرب وليس ذلك الا كتاب المجلس لاسيما
الله عز وجل هذا الوصف الكريم واتاه من الفضل ما يقال معه وفوق كل ذى علم
عليه وأحيى النفوس من كل ما بروح كلمه كاشفى غليلها من أقلامه بسقيا
الكليم ولما ورد عن الخادم صار له نهارا وأصبح الناس فى الحديث به
أطوارا والمنصف منهم يقول قد جرت الشمس الى مستقرها والشمس لا تقبض
فرازا وهذا الكتاب فى الحسن والغراية كالذى قبله (ومن جملة الكتب المشار
اليها) مفتاح كتاب كتيبه الى بعض الاخوان وهو تأقيب زور من جانب المجلس
السامى أدنى الله داره وجعل كلماته النامة جاره وأشهد أفعال التقوى له
وأفعال المكارم نهاره ووجهه من أعوام العمر طواله ومن أعوام العيش
قصاره ولا أقدر السابقين الى المعالى أن يجروا معه ولا أن يشقوا غبار
وليس ذلك الزور الا سطورا فى قرطاس ولا فرق بين الكتاب وبين مرسله فى

ملاطفة الانياس والله لا يصغر ممشي هذا الزائر وتفرعيني برؤيته حتى لا أزال
 به قویر الناظر ومع هذا فاني عاتب لتأخره وههنا ظنة العتاب ومن تأخر عنه
 كتاب صديقه فلا بد أن يخطر له خاطر الارتباب والظنين بالموثقة لا يرى
 الاظنيننا وقد قيل انها ودیعة وقليلا ما تجدد على الودائع أمينا وهذا فصل من
 أول الكتاب (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتاح كتاب كتبه الله بعض
 الاخوان وهو صنعت روضة من جانب المجلس السامي جعل الله المعالي له رداء
 ونهايات المساعي له ابتداء وفداء بمن يصر عن درجته حتى تكون الاكارم له
 فداء وهدى المحامد لافعاله وأهدى البقاء لايامه حتى يجمع له الامران هدى
 واهداء واتاء من السيادة ما يجعل أعداءه أصدقاء ومن السعادة ما يجعل
 أصدقاءه أعداء فاستنشق الخادم رباها وتلقى بالتحية محياها واستفتح
 بازهارها التي أنبت ماسقيا الاقلام لاسقى الغمام وقال هذا ربيع الارواح لا ربيع
 الاجسام ولورام الاحاطة بوصفها كانت الاقوال المطولة فيها مختصرة
 وانكناها ~~كتفي~~ بأن رفعها على رأسه حتى يتمثل أن الجنة في شجرة ومن
 أوصافها أنها ساجات رائدة ومن شأن الروض أن يرتاد وحلت محاسنها التي
 هي في غيرهما من حظ البصر وفيها من حظ السمع والبصر والفؤاد ولما سرح
 فيها نظره وجد شوقه حامية تغرد في أكافها وتردد الشجي لبعده أليفها اذا
 رددته الحائم اقرب الالفها وهذا قول له عند اخوان الصفاء علامة واذا تمثل كتاب
 الحبيب روضة فهل يتمل شوق محبه الاحمامة وأي فرق بين هذه وبين أخواتها
 من ذوات الاطواق لولا أنها تملى شجوها على صفحات القلوب وتلك تمليه
 على عذبات الاوراق وهذا فصل من الكتاب وهو غريب عجيب وفيه معنيان
 مبتدعان وأجملهما وأغربهما قولي حتى يتمثل أن الجنة في شجرة وهذا مستخرج
 من الحديث النبوي (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتاح كتاب كتبه الله الى
 بعض الاخوان وهو تضوعت نفحة من تلقاء المجلس السامي رعى الله عهد
 وسقاه وصان وده ووقاه ويسرلى القاء العصا بعلقاه فعطرت الطريق التي سار بها
 والريح التي جاورتها وأنت فأفرشتها خدي وضمت عليها ودي وجعلتها
 ردة الجيبي ولطيفة لردني وههنا بالعقدى وعلمت أنها ليست بنفحة طيب ولكنها
 كتاب حبيب فان مناشق الارواح غير مناشق الاجسام ولا يستوى عرف

الطيب وعرف الاقلام ثم مددت يدي الى الكتاب بعد أن صاغت يدي موصلة كما
صاغت عبقة منده وقلت أهلا بمن أدنى من الحبيب منارا وأهدى لعيني قرة
ولقبي قرارا وهذا في الغرابة كالخواتم التي تقدمت ولم أستهتص ما اخترعته
من هذا الباب في مطالع الكتب (وأما ما أتيت فيه بالحسن) من المعاني ولكنه
غير مخترع (فمن ذلك) مطلع كتاب كتيبه عن الملك نور الدين ارسلان بن مسعود
صاحب الموصل الى الملك الافضل علي بن يوسف يتضمن تعزية وتهنئة أما
التعزية فهو وفاة أخيه الملك العزيز عثمان صاحب مصر وأما التهنئة فهو وفاة
الملك من بعده وهو لا يعلم القلم أينطق بلسان التعزية أم بلسان التهنئة لكنه
جمعهما جعلا فيهما على حكم التهنئة وفي مثل هذا الخطب يظل القلم حائرا
وقد وقف موقف السخط والرضا فسخط أولا ثم رضى آخرأ وهذا البيت
الناصرى يتداول درجات العلى فما عصى الا و اليه ترجع وشموه وأقماره
تتناقل مطالع السعود فما يغيب منها غائب الا و آخر يطلع والناس ان
يجمعوا ما جدد رده من بعده ما جدد وان قيل ان الماضي كان واحدا قيل
بل الاتي هو الواحد وهذا فصل من أقول الكتاب ثم كتبت في هذا المعنى
كتابين آخرين وفي الذي أوردته من هذا الفصل مقنع (ومن هذا الاسلوب)
ما كتبه الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وكانت الكتب قد انقطعت بيني
وبينه زمانا وهو لقاء كتب الاحباب كلقاء الاحباب وقد تأني بعدئذ
منها في شتبه لها دمع السرور بدمع الاكتئاب ومن أحسنها كتاب المجلس
السامي الفلاني جعل الله الليالي له نصيبا والمعاني له عقبا ورفع مجده فوق
كل ما جدد حتى تكون حسناته هم لذي حسناته ذنبا ولا زال اسمع في الافواه
عذبا وذكره في الالسنه رطبيا ووده لكل انسان انسانا وكل قلب قلبا ثم
انتهيت الى آخر الكتاب على هذا النسق وانما ذكرت ههنا مبدءا لانه الغرض
المقصود في هذا الموضع (ومن ذلك) ما كتبه الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه
وهو البشرى تعطى للكتاب كما تعطى لمرسله وكل منهما يوفي حق قدره وينزل في
منزله وكذلك فعل الخادم بكتاب المجلس السامي الفلاني لا زال محله أنيسا وذكره
للفرقدين بجليسا وسعيه على الكارم جليسا ومجده جديد الملبس اذا كان
المجد انيسا وههنا ذكرت في هذا الكتاب كما ذكرت من الذي قبله فاني لم أذكر الا

مبدأ الذي هو الغرض (ومما ينتظم في هذا السلك) ما كتبه في صدر كتاب يتضمن
تعزية وهو لولم يلبس قلبي ثوب الحداد لهجر مداده ونضى عنه سواده وبعد عن
قرينه وعاد الى طبيئته وحرم على نفسه أن يعتطي يدا أو يجري الى مدى لكنه
أخذ قندب وبكى فسكب وسطر هذا الكتاب من دموعه وضعفه ما جالته أحزاء
ضلوعه وانما استعار ذلك من صاحبه الذي أعدهاء وأبدى اليه من حزنه
ما أبداه وهو نائب عنه في تعزية سيدنا أحسن الله صبره ويسر أمره وأرضى عنه
دهره ثم انهميت الكتاب الى آخره (ومن محاسن هذا الباب) أن يفتح الكتاب
بآية من القرآن الكريم أو بخبر من الاخبار النبوية أو بيت من الشعر ثم يفتي
الكتاب عليه (فمن ذلك) ما كتبه في ابتداء كتاب يتضمن البشرى بفتح وهو

ومن طلب الفتح الجليل فانما * مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
وقد أخذنا بقول هذا الشاعر الحكيم وجعلنا السيف وسيلة الى استنتاج
الملك العقيم وراية المجد لا تنصب الاعلى النصب والراحة الكبرى لا تنال
الا على جسر من التعب وكابنا هذا وقد استولى لنا على مملكة فلانة وهي المملكة
التي تسمى الآمال دونها صرعى واذ قيس اليها غيبرها من الممالك كانت أصلا
وكان غيرها فرحا وهذا فصل من أول الكتاب (ومن ذلك) ما كتبه في مفتتح
تقليد بالحسبة وهو ولئن كن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون هذا أمر يشغل على معنى الخصوص
دون العموم ولا يختص به الا ذوو الاوامر المطاعة وذووا العلوم وقد جمع
الله لنا هذين الوصفين كليهما وجعلنا من المستخلفين عليهما فلنبدا أولا
بحمد الذي هو سبب للمزيد ثم لنأخذ في القيام بأمر الذي هو على كل
نفس منه رقيب عتيد ولا ريب أن اصلاح العباد يسرى الى الارض حتى
تزكو بطونها وتنسم عيونها ويشارك في بركات السماء ساكنها ومسكونها
والامر بذلك سهل ان لم تتوزعه الاكف ثقل على الرقاب واذا انتشرت أطراف
البلاد فانها تفتقر الى مساعدة من مستتيب ومستتاب وقد اخترنا المدينة فلانة
رجلا لم نأل في اختباره جهدا وقد مناه فيه خيرة الله التي اذا صدقت نيتها صادقت
رشدا وهو أنت أيها الشيخ فلان قابسط يدك بقوة الى أخذ هذا الكتاب وكن
كسنة من حسنتنا التي يرجع بها ميزان الثواب وحقق نظرا فبك فانه من نور

الله الذي ليس دونه حجاب فتأمل كيف فعلت في هذه الآية التي بنيت التعليل عليها وهو من محاسن المبادئ والافتتاحات (وكذلك فعلت في موضع آخر) وهو مفتتح كتاب كتبه الى شخص كافته السفارة الى محمدومه في حاجة عرضت وهو ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا وهذا القول تتبع آثاره وتحمل عليه أنظاره وأولى الناس بسيدنا من شاركه في الحجة أدبه وان لم يشاركه في الحجة نسبه فان المناقب أقارب والمآثر أواصر وليس يعرف لي فضلي ولا أدبي * الامر و كان ذا فضل و ذا أدب

ونتيجة هذه المقدمة بعث خلقه الكريم على عوارف افضاله واسمها صنيعه جاهد التي هي أكرم من صنيعه ماله ولا تجارة أربح من هذه التجارة والساعي فيها شريك في الكسب يرى من الخسارة (وأما الاخبار النبوية) فذلك بها هذا المسلك بان يذكر الخبر في صدر الكتاب ثم يبين عليه ولذا ذكر منها ولو مشالا واحدا وهو توقيع كتبه لولد رجل من أصحاب السلاطان توفي والده ونقل ما كان باسمه اليه فقلت قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أرى بالمؤمنين من أنفسهم فمن مات وترك ما لا فلورثته ومن ترك دينيا أو كلا أو ضياعا فإلى وعلى وهذا خلق من الاخلاق النبوية لا مزيد على حسنه وأساليب المكارم بأسرها موضوعة في ضمنه ونحن نرجو أن نغشى على اثره فتمتزل منزلة رديفه أو ان تشبه به فيبلغ مبلغ مدته أو نصيفه وقد أرانا الله ذلك في قوم صحبونا فاسعقناهم ببغاي الانعام وأخذناهم صحبة الليالي والايام وتكفلنا أيتامهم من بعدهم حتى ودوا أن يكونوا هم اليتام وهم ذا فلان بن فلان رحمه الله من كان له في خدمة الدولة قدم صق وأولية سبق وحفظ كتاب المحافظة عليه اقليل له في تلاوته اقرأ وارق ثم أنهيت التوقيع الى آخره فتأمل مفتتح هذا التوقيع فانه تضمن نص الخبر من غير تغيير وقد ضمنته بعض خبر آخر من الاخبار النبوية وهو قوله اقرأ وارق قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأها (وقد مثلت لك) ههنا أمثالا لا يتبدى بها فاحذوها وامض على نهجها والله الموفق للصواب (النوع الثالث والعشرون في التخلص والاقتضاب) وهذا النوع أيضا كالذي قبله في أنه أحد الاركان الخمسة التي تقدمت الإشارة اليها في الفصل التاسع

من مقدمة الكتاب وينبغي لك أيها المتوشح اهـ هذه النصيلة أن تصرف اليه جل
 همته فإنه مهمته عظيم من مهمات البلاغة (أما التلخيص) وهو أن يأخذ من واف
 الكلام في معنى من المعاني فينسخه وفيه إذا أخذ في معنى آخر غيره وجعل الأول
 سببا إليه فيكون بعضه آخذ بآثار قاب بعض من غيره أن يقطع كلامه ويستأنف
 كلاما آخر بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ أفرغا وذلك مما يدل على حذق
 الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطابق الكلام يضيق عليه ويكون متبعا للون
 والقافية فلا يواتيه اللفاظ على حسب ارادته وأما النثر فإنه مطلق العنان
 يعرض حيث شاء فلذلك يشق التلخيص على الشاعر أكثر مما يشق على النثر (وأما
 الاقتضاب) فإنه ضد التلخيص وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه
 ويستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ولا يكون للنثري علاقة
 بالأول وهو مذهب العرب ومن يليهم من الخنصرين وأما المحمدون فإنهم
 تصرفوا في التلخيص فأبدعوا وأظهروا منه كل غريبة (فن ذلك) قول أبي تمام
 بقول في قومه من صبي وقد أخذت * من السرى وخطا المهرية القود
 أم طالع الشمس تبغي أن تؤتم بنا * فقات كلاما ولكن مطلع الجود
 وهذا البيتان من يديع ما يأتي في هذا الباب وناديه وكذلك قوله أيضا في
 وصف أيام الربيع ثم خرج من ذكر الربيع وما وصفه به من الأوصاف فقال
 خلق أطل من الربيع مكانه * خلق الإمام وهدية المتيسر
 في الأرض من عدل الإمام وجوده * ومن النبات الغض سرج ترهر
 تنسى الرياض وما يروض جوده * أبدا على ستر الزمان ويذكر
 وهذا من أطف التلخيص وأحسنها وكذلك قوله في قصيدته الفاتية التي
 أولها * أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا * فقال فيها

غيد أجادولي الحسن سقتها * فصاغها يديه روضة أنفا
 يضى العذول على تأنيبه كفا * بعد من كان مشغوقا بها كفا
 ودع فؤادك توديع الفراق فدا * أراه من سقر التوديع منصرفا
 تجاهد الشوق طورا ثم تجذبه * بهناه للقوافي في أبي دافعا
 عذبا أحسن من الذي قبله وأدخل في باب الصنعة وكذلك جاء قوله
 زعت هوالك عفا الغداة كما عفت * منها طاول باللو اورسوم

لا والذي

قوله تبغي في الديوان تنوي وقوله تنسى الرياض الخ في الديوان تنسى الرياض وما يروض فعله * أبدا على طوبى الليلي يذكر

قوله أجزل في الديوان صبر وقوله ما حلت في الديوان ما زلت وقوله كيف إذا لم يحمل الخيل في الديوان على سائلكم يحمل الكف ساعد

لا والذي هو عالم أن النسوى * أجزل وأن أبا الحسين كريم
ما حلت عن سنن الوداد ولا غدت * نفسي على الفاسد والتحوم
وهذا خروج من غزل إلى مديح أغزل منه (ومن البديع في هذا الباب) قول
أبي نواس من جملة قصيدته المشهورة التي أولها * أجارة بيدنا أبو بكر غيور
فقال عند الخروج إلى ذكر الممدوح

تقول التي من بيننا خف مركبي * عزيز علينا أن نزال تسير
أما دون مصر للغنى متطلب * بلى أن أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوار * جرت بخري في جريهن عير
ذريتي أكثر حاسدك برحلة * إلى بلد فيها الخصب أمير
وما جاء من التخلصات الحسنة قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته الدالية التي
أولها * عواذل ذات النحال في حواسد *

وأورد نفسي والمهند في يدي * موارد لا يصدرن من لا يجال
ولكن إذا لم يحمل القلب كفه * فكيف إذا لم يحمل الكف ساعد
خليلى أنى لأرى غير شاعر * فكلم منهم الدعوى ومعنى القصائد
ولا تعجب أن السيف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد
وهذا هو الكلام الاستدعاء بعضه برغاب بعض ألا ترى إلى الخروج إلى مدح
الممدوح في هذه الأبيات كأنه أفرغ في قالب واحد ثم أن أبا الطيب جمع بين مدح
نفسه ومدح سيف الدولة في بيت واحد وهو من بدائع المشهورة (وكذلك)
قوله أيضا وهو من أحسن ما أتى به من التخلصات وهو في قصيدته الثمانية التي
أولها * سرب محاسنه حرمت ذواتها * فقال في اثنتي

ومطالب فيها الهلاك أتينها * ثبت الجنان صك أنى لم آتتها
ومقانب بمناسق غادرتها * أفوات وحش كن من أقواتها
أقبلتها غرر الجياد صك أنما * أيدي بنى عمران في جهاتهما
الثابتين فروسة كحلودها * في ظهرها والطعن في لباتها
فكأنها تقيت قيا ما فتحهم * وكانهم ولدوا على صهواتها
تلك النفوس الغالبات على العلا * والمجد يغلبها على شهواتها
سقيت منابها التي سقت الوري * يسدى أبي أيوب خير نباتها

فانظر الى هـ الذين التخلّص من البديعين فالأول خرج به الى مدح قوم الممدوح
والثاني خرج به الى نفس الممدوح وكلاهما قد أغرب فيه ~~سلك~~ الاغراب
وعلى هذا جاء قوله

اذا صلت لم أترك مصالا فانك * وان قلت لم أترك مقالا لعالم
والانخافني القوافي وعاقبي * عن ابن عبيد الله ضعف العزائم
والشعراء متفادون في هذا الباب وقد يصر عنه الشاعر المفاقي المشهور
بالاجادة في ايراد اللفاظ واختيار المعاني كالبحراني فان مكانه من الشعر لا يجهل
وشعره هو السهل الممتنع الذي تراه كالشمس قريبا وضوؤها بعيدا مكانها وكالقناة
لبنامها خشنا سنانها وهو على الحقيقة قينة الشعراء في الاطراب وعنفائهم
في الاغراب ومع هذا فانه لم يوفق في التخلّص من الغزل الى المديح بل اقتضبه
اقتضابا واقد حفظ شعره فلم أجده من ذلك شيئا مرضيا الا اليسير كقوله في
قافية الباء من قصيدة

وكذاني اذا الحوادث أظلمت * شهابا بغزة ابن شهاب
وكقوله في قافية الدال من قصيدة -

قصدت أنجران العراق ركابها * فظللان أرجحها محلة ما جدد
آليت لائقين جدد اصاعدا * في مطلب حتى تناخ بصاعد
وكقوله في قصيدته التي أولها * حلفت لها بالله يوم التفرق * فانه تشوق فيها
الى العراق من الشام ووصف العراق ومشار له ورياضه فأحسن في ذلك
~~سلكه~~ ثم خرج الى مدح الفتح بن خاقان بسياقة آخذة يعضها برقاب بعض
فقال

رباع من الفتح بن خاقان لم تزل * غنى له ديم اوفكا كالموثق
ثم أخذ في مدحه بعد ذلك بضروب من المعاني وكذلك ورد قوله في قصيدته التي
أولها * ميسلوا الى الدار من ليلى نعيمها * فانه وصف البركة فأبدع في أوصافها ثم
خرج منها الى مدح الخليفة المتوكل فقال

كانها حين حلت في تدفقها * يده الخليفة المسال وادبها
فأحسن ما وجدته له وهو مما لطف فيه كل اللطيف قوله في قصيدته التي يمدح
بها ابن بسطام ومطلعها * نصيب عيذك من حج وتسهم * فقال عند تخصّصه الى

المديح هل الشباب ملتم في مراجعة * أيامه في أعقاب أيام
 لو أنه بابل ع — ريجاذيه * اذا نطلمته عند ابن بسطام
 وهذا من الملائح في هذا الباب وله واضح أخرى يسيرة بالنسبة الى كثرة شعره
 وقال أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغساني ان كتاب الله خال من التلخيص وهذا
 انقول فاسد لان حقيقة التلخيص انما هي الخروج من كلام الى كلام آخر غير بالطريقة
 فلا ثم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج اليه وفي القرآن الكريم
 مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعد والتذكير بالآثار والمشاراة بالجنة الى
 أمر ونهي ووعد ووعد ومن محكم الى متشابه ومن صفة لشيء مرسل ومملك
 منزل الى ذم شيطان مرید وجبار عنيد بلطائف دقيقة ومعان أخذ بعضها برباب
 بعض (فما جاء من التلخيص في القرآن الكريم) قوله تعالى واتل عليهم نبأ إبراهيم
 اذ قال لآتيه وقومه ما تعبدون قالوا تعبدوا أصنامنا ما فنظّل لهاها كافرين قال هل
 يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك
 يفعلون قال أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الا قدّمون فانهم عدوا لي الا
 رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعني ويسقين واذا مرضت
 فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين
 ربّ هب لي صحتك ما وآلحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين
 واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لآتي انه كان من الصالحين ولا تخزني يوم
 يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة
 للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل
 ينصرونكم أو يفتصرون فكذبوا فيها هم والغاوين وجنود إبليس أجمعون
 قالوا وهم فيها يحتصمون تالله ان كنا في ضلال مبين اذن توكلهم رب العالمين
 وما أضلنا الا الجرمون فمالنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنتكلم
 من المؤمنين هذا كلام يسكر العقول ويسحر الالباب وفيه كفاية لطالب البلاغة
 فانه متى أنعم فيه نظره وتدبر أثناءه ومطاوى حكمته علم أن في ذلك غنى عن تصفح
 الكتب المؤلفة في هذا الفن الا ترى ما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه
 مع المشركين حين سأهم أولادهم يعبدون سؤال مقترن لسؤال مستفهم ثم أنفي على
 آلهتهم فأبطل أمرها بأنهم لا تنفع ولا تبصرون ولا تسمع وعلى تقليد آباءهم

الاقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم أراد
 الخروج من ذلك الى ذكر الاله الذي لا تجب العبادة الاله ولا ينبغي الرجوع
 والانابة الاله فصور المسئلة في نفسه دونهم بقوله فانهم عدوا لي على معنى اني
 فكرت في أمري فأيت عبادتي لها عبادة للعدو وهو الشيطان فاجتذبتها وآثرت
 عبادة من الظير كما في يده وأراهم بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه لينظر وافية قولوا
 ما نصحتنا ابراهيم الابما نصحب به نفسه فيكون ذلك ادعى لهم الى القبول لقوله
 وأبعت على الاستماع منه ولو قال فانهم عدوا لكم لم يكن بذلك المثابة فتخلص عند
 تصويره المسئلة في نفسه الى ذكر الله تعالى فأجرى عليه تلك الصفات العظام من
 تفخيم شأنه وتعدد نعمه من لدن خلقه وأنشأه الى حين وفاته مع ما يرجح في الآخرة
 من رحمته ليعلم من ذلك أن من هذه صفاته حقيقة بالعبادة واجب على الخلق
 الخضوع له والاستكانة له لظمته ثم خرج من ذلك الى ما يلائمه ويناسبه فدعا الله
 بدعوات الخاضعين وابتهل اليه ابتهاال الاقارب لان الطالب من مولاه اذا قدم
 قبل سؤاله وتضرعه الاعتراف بالنقصه كان ذلك أسرع الاجابة وأنجح لمحصل
 الطائفة ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث ويوم القيامة ومجازاة الله تعالى من
 آمن به واتقاه بالجنة ومن ضل عن عبادته بالنار فجاء بين الترغيب في طاعته
 والترهيب من معصيته ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون سوا الالهة عند
 معينة الجزاء وهو سؤال موجب لهم مستزى بهم وذكر ما يدعون اليه عند ذلك
 من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتنفى العودة ليمؤمنوا فانظر رأيها
 المتأمل الى هذا الكلام الشريف الاتخذ به بعض برهاب بعض مع استوائه على
 ضروب من المعاني فيخلص من كل واحد منها الى الآخر بلطيفة ملائمة حتى كأنه
 انفرغ في قالب واحد فخرج من ذكر الاصنام وتنفيذ آييه وقومه عن عبادتهم اياها
 مع ما هي فيه من التعري عن صفات الالهية حيث لا تضر ولا تنفع ولا تبصر
 ولا تسمع الى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الالهية فعظم شأنه وعدد نعمه
 ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح الاله ثم خرج من هذا الى دعائه اياه وخضوعه له
 ثم خرج منه الى ذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه فذكر هذه التخصصات اللطيفة
 المودعة في أثناء هذا الكلام وفي القرآن مواضع كثيرة من التخصصات كالذي ورد
 في سورة الاعراف فانه ذكر فيها قصص الانبياء والاهم الخالصة من آدم الى نوح

عليه ما السلام وكذلك الى قصة موسى عليه السلام حتى انتهى الى آخرها الذي هو اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتركهم لك يا فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتمهدي من تشاء أنت ربي فاعف رانا وارحنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدايا اليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجيئونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يا صرهم بالمعرف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون هذا تخلص من التخصصات الحسان فان الله تعالى ذكر الانبياء والقرآن الماضية الى عهد موسى عليه السلام فلما أراد ذكر نبينا صلوات الله عليه وسلامه ذكره بتخلص انتظم به بعض الكلام ببعض الا ترى أنه قال موسى عليه السلام واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة فأجيب بقوله تعالى قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين من حالهم كذا وكذا ومن صفتهم كيت وكيت وهم الذين يتبعون الرسول النبي الامي ثم وصفه صلوات الله عليه بصغاته الى آخر الكلام وبالله العجب كيف يزعم الغافلون أن القرآن خال من التخصيص لم يكفه سورة يوسف عليه السلام فانها قصة برأسها وهي مضمنة شرح حاله مع اخوته من أول أمره الى آخره وفيها عدة تخلصات في الخروج من معنى الى معنى وكذلك الى آخرها ولو أخذت في ذكر ما في القرآن الكريم من هذا النوع لا طلت ومن أنعم نظره فيه وجد من ذلك أشياء كثيرة (وقد جاءني من التخلصات في الكلام المنشور أشياء كثيرة) وسأذكر ههنا بذة يسيرة منها (فمن ذلك) ما أوردته في كتاب الى بعض الاخوان أصف فيه الربيع ثم خرجت من ذلك الى ذكر الاشواق فقلت وكأني هذه الاوصاف في شأنها بديعة فكذلك شوقي في شأنه بديع غير أنه لحظه فصل مصيف وهذا فصل ربيع فأنا ألي أحاديثه العجيبة على الزوى وقد عرفت حديث من قتله الشوق فلا أسمة تفض حديث من قتله الهوى (ومن هذا الاسلوب) ما كتبه في كتاب الى بعض الاخوان أيضا وأرسلته

اليه من بلاد الروم وهو كتاب يشتمل على وصف البرد وما لا قيمته منه ثم خرجت من ذلك الى ذكر الشوق فقلت ومما أشكوه من بردها أن الفرو لا يلبس الا في شهر ناجر وهو قائم مقام الظل الذي يبرد به من لفتح الهواء ولفرط شدته لم أجد ما يخففه فضلا عما يذهب به فان النار المعتدلة تطالب من الدفء أيضا مما أطلبه اليكن وجدت نارا شواقي أشد حرا فاصطليت بحمها التي لا تذكي بزناد ولا قول الى رماد ولا يدفع البرد الوارد على الجسد بأشد من حر الفؤاد غير أني كنت في ذلك كمن سدخله بخلة واستشفى من علة بعلة وأقتل ما أعلت ما شفاك فما ظنك بمن يصطلي نارا لا شواقي وقد قنع من أخيه بالاوراق فضن عليه بالاوراق (ومما ينفذ في هذا العقد) ما ذكرته في مفتاح كتاب يتضمن عناية ببعض المتعلمين فاستطردت فيه المعنى الى ذكر المكتوب اليه وهو هدايا المكارم أنفوس من هدايا الاموال وأبقى على تعاقب الايام والليال وقد سجل هذا الكتاب منها هدية تورث مداوة لكسب مجدا وهي خير ثوابا وخير مردا ولا يبرهن الاسجنية طبعات على السكرم وخلق من عنصر الديم كسجنية مولانا أعلام الله علما وفخر به الارض على السماء وتحسده شمس النهار ونجوم الظلماء ولا زالت أياديته مخجلة صوب الغمام معدية على نوب الايام مغنية بشرف فضلها على شرف الاخوال والاهام وتلك الهدية هي فجر بد الشفاعة في أمر فلان ومن ايمان المرء سعيه في حاجة أخيه وان لم يمسه بشئ من أسباب أراحه فان المؤمنين اخوة وان تباينت مناسبتهم وتفاوتت مراتبهم ومن صفتهم أن يسعى بذمتهم أدناهم وخيرهم من عناهم من الامر ما عناهم ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب (ومن ذلك) ما كتبه من كتاب الى صديق استحدثت موته وهو من أهل العراق وكنت اجتمعت به بالموصل ثم سارعني فكتبته اليه أسسمه به رطبيا فقلت هذه المكتوبة ناطقة بلسان الشوق الذي ترف كلفه زيف الاوراق وتسجع تسجع ذوات الاطواق وتمتف وهي مقيمة بالموصل فتسمع من هو مقيم بالعراق وأبرح الشوق ما كان عن فراق غير بعيد ورد استجدت حلته واللذة معتزلة بكل شئ جسدي وأرجو أن لا يبلى قدم الايام لهذه الجنة الباسا وأن يعاذه من نظرة الجن والانس حتى لا يخشى جنة ولا باسا وقد قيل ان لامودات طعما كما أن لها رهما وان ذا اللب يصادق نفسه قبل أن يصادق جسما وان لا يجد اوداة

سيدنا حلاوة يستلذذوا منها ولا يمل استطعامها وقد أذكرني الآن بحلاوة
الربط الذي هو من أرضها وغير عجيب لمناسبة الاشياء أن يذكر بعضها بهما
الآن هذه الحلاوة تنال بالافواه وتلك تنال بالاسرار وفرق بين ما يغترس
بالارض وما يغترس بالقلب في شرف الثمار فلا يتظر سيدنا على في هذا القليل
ولربما كان ذلك تعريضا يوجب مناب النطقيل وهذا من التخصصات البديعة
فانظر أيم المتوة على كيف سقت الكلام الى استهداء الربط وجعلت به ضمه
أخذ ابرقاب بعض حتى كأنه أفرغ في قالب واحد وكذلك فليكن التخصص
من معنى الى معنى وهذا القدر من الامثلة كاف للمتعلم (ومما استظرف من هذا
لنوع في الشعر) قول ابن الزمكرم الموصلي وهو

وليل كوجه البرق عيدي مظلم * ويرد أغانيه وطول قدرويه
سريت ونومي فيه نوم مشرد * كعقل سليمان بن فهدي ديدنيه
على أولق فيه التفات كأنه * أبو جابر في خبطه وجنونه
الى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وهذه الايات لها حكاية وذلك أن هذا الممدوح وهو شرف الدولة قرواش ملك
العرب وكان صاحب الموصل فاتفق أنه كان جالسا مع ندائه في ليلة من ليالي
الشتاء وفي جانبهم هؤلاء الذين هجأهم الناصر وكان البرق عيدي مغنيا وسليمان
ابن فهدي وزيره وأبو جابر حاجبا فالتمس شرف الدولة من هذا الشاعر أن يهجو
لمذكورين ويعدجه فأنشد هذه الايات ارتجالا وهي غريبة في بابها لم
يسمع عن لها ولم يرش قال لها بصناعة التلخيص وحدها حتى رقي في معانيه المقتصودة
الى أعلى منزلة فابتدأ البيت الاقول بهجوا البرق عيدي فجاءه في ضمن مراده
ذكر أوصاف ليل الشتاء جميعها وهي الظلمة والبرد والطول ثم اتى بهذه
الافصاف الثلاثة جاءت ملائمة لما شبهت به مطابقة له وكذلك البيت الثاني
والثالث ثم خرج الى المديح بألف وجه وأدق صنعة وهذا يسمى الاستطراد وما
سمعت في هذا الباب بأحسن من هذه الايات (ومما يجري على هذا الاسلوب)
ما ورد لابن الحاج البغدادي وهي آيات لطيفة جدا

ألا ياماء دجلة لست تدري * بأني حاسد لك طول عمري
ولو أني استطعت سكرت سكرًا * عابك فلم تكن ياماء تجبري

فقال الماء ما هذا عجيب * بما استوجبت به يا ليت شعري
فقات له لانك كل يوم * تتر على أبي الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذلك شيء * يضيق عن احتمال فيه صبري
وما علمت معنى في هذا المقصد أطف ولا أرق ولا أعذب ولا أحلى من هذا اللانبط
ويكفي ابن الحجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الآيات ولا تظن أن هذا شيء
انفرد به المحدثون لما عندهم من الرقة واللطافة وفات من تقدمهم لما عندهم من
قشعر العيش وغلظ الطبع بل قد تقدم أولئك إلى هذا الأسلوب وإن أقلوا منه
وأكثر منه المحدثون وأى حسن من محاسن البلاغة والفصاحة لم يسبقوا
إليه وكيف لا وهم أهلهم ومنهم علم وعندهم أخذ (من ذلك) ما جاء للفرزدق وهو
وركب كان الريح تطالب عندها * لها قوة من جندهم بالعبائب
سروا يخطبون الليل وهي تلفهم * إلى شعب الأكوار من كل جانب
إذا آنسوا نارا يقرولون ليتمها * وقد خضرت أيديهم نار غاب
فانظر إلى هذا الاستطراد ما أخفه وأنغمه (واعلم) أنه قد يقصد الشاعر التخلص
فبأقرب قبيحا كما فعل أبو الطيب المتنبي في قصيدته التي أولها
ملأت القطر أعطشها ربوعا * فقال عند الخروج من الغزل إلى المديح
غدا بك كل خلوم مستهاما * وأصبح كل مستور خالعا
أحبك أوبة قولوا جرغل * نبيرا وابن إبراهيم ريعا
وهذا التخلص كما تراه بارد ليس عليه من مسحة الجلال شيء وهما يكونان الاقتضاب
أحسن من التخلص فين في أساليب هذه الطريقة أن ينظر إلى ما بصوغه فإن واتاه
التخلص حسنا كما ينبغي والأفلمدعه ولا يستكرهه حتى يكون مثل هذا كما فعل
أبو الطيب ولهذا الظاهر وأشباه وقد استعمل ذلك في موضع آخر في قصيدته التي
أولها * أحبا وأيسر ما قاسيت ما قتلا * فقال
على الأمير يري ذلي فيشفع لي * إلى التي تركتني في الهوى مثلا
والاضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره وما ألقاه في هذه الهوة إلا أبو
نواس فإنه قال
سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد * هو الذي لعل الفضل يجمع بيننا
على أن أبانواس أخذ ذلك من قيس بن ذريح لكنه أفسده ولم يأت به كما أتى به

قيس ولذلك حكاية وهو أنه لما هام بلبني في كل واحد وجن به ارق له الناس ورجوه
فسعى له ابن أبي عتيق الى أن طلقها من زوجها وأعادها الى قيس فزوجها الياء فقال
عند ذلك

جزى الرحمن أفضل ما يجازي * على الاحسان خيرا من صديق
وقد جرت اخواني جميعا * فما ألفت كائن أبي عتيق
سعى في جمع شمل بعد صدع * ورأى حوت فيه من طريقي
وأطنى لوعة كانت بقاي * أغصتني حرارته باريقي

وبين هذا الكلام وبين كلام أبي نواس بون بعيد وقد حكى عن ابن أبي عتيق أنه
قال يا حبيبي أمسك عن هذا المديح فما يسمع أحد الا ظنني قوادا (وأما
الاقتراب) فهو الذي أشرنا اليه في صدر هذا النوع وهو قطع الكلام واستئناف
كلام آخر غيره بلا علاقة تكون بينه وبينه (فن ذلك) ما يقرب من التخلص وهو
فصل الخطاب والذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان أنه أما بعد لأن المتكلم
يفتح كلامه في كل أمر ذي شأن يذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى
الفرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد (ومن
الفصل الذي هو أحسن من الوصل لفظة هذا) وهي علاقة وكيدة بين الخروج
من كلام الى كلام آخر غيره كقوله تعالى واذا كرهنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى
الأيدي والابصار انما أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا من المصطفين
الاخيار واذا كرهنا عييل واليسع وهذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر وان
للمتقين لحسن ما تب جنات عدن مفتحة لهم الابواب ألا ترى الى ما ذكر قبل
هذا ذكر من ذكر من الانبياء عليهم السلام وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر غيره
وهو ذكر الجنة وأهلها فقال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين لحسن ما تب ثم لما تم
ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وان لا طاعين لشر ما تب
وذلك من فصل الخطاب الذي هو ألفت موقع من التخلص وقد وردت لفظة هذا
في الشعر الآن ورودها فيه قليل بالنسبة الى الكلام المنشور (فن ذلك) قول
الشاعر المعروف بالخباز البلدي في قصيدة أقوالها العيش غصن والزمان غزير
اني ليعجبني الزمانى سحرة * ويروق لي بالجا شربة زير
وأكاد من فرح السرور اذا بدا * ضوء الصباح من الستور أطير

واذا رأيت الجحش في فضية * للغيم في جنباتها كسير
منقوشة صدر البزاة كأنه * فيروزج قد زانه بالور
نارت بي اللذات ويحك فانتنز * فرص المني بأيمها المغرور
مل لي إلى جور السقاء فاني * أهوى سقاء الكاس حين تجور
هذا وكلي بالحنينة سكرة * أناس بقايا شربها مخجور
يا كرتها وغصونها مغرورة * والماء بين عز وزها مذكور
في ستة أنا والنديم وقبينة * والكاس والمزمار والطنبور

هذه الأبيات حسنة وخروجها من شدة هذا الرجل الخبير عجيب ولو جاءت
في شعر أبي نواس لكانت ديوانه * والاقتضاب الوارد في الشعر كثير لا يحصى
والتلخيص بالنسبة إليه قطرة من بحر ولا يكاد يوجد التلخيص في شعر الشاعر المجيد
الأقرب بالنسبة إلى المقتضب من شعره (فن الاقتضاب) قول أبي نواس
في قصيدته النونية التي أولها * يا كثير النوح في الدمن * وهذه القصيدة هي عين
شعره والملاحية للعيون وهي تتنزل منه منزلة الآلاف لا منزلة النون إلا أنه لم
يكمل حسنها بالتخلص من الغزل إلى المديح بل اقتضبه اقتضابا فينبأ هو يصف
الخريرة قول فاسقني كأسماعلي هذا * كرهت مسموعة أذني
من كبت اللون صافية * خير ما سلسلت في بدني
ما استقرت في فؤادتي * فدرى ما لوعة الحزن
حتى قال تضحك الدنيا إلى ملك * قام بالآثار والسنة
سن للناس الندي فتدوا * فكانت الخيل لم يكن

فأكثر مدائح أبي نواس مقتضبة هكذا والتخلص غير مكرر في كل الأحوال وهو
من مستعربات علم البيان (ومن هذا الباب) الذي نحن بصدد ذكره قول
البحري في قصيدته المشهورة بالجوقة التي مدح بها الفتح بن خاقان وذكر أقاء
الأسد وقتل إياه وأولها * أجدك ما ينفك يسرى زينبا * وهي من أمتهات شعره
ومع ذلك لم يوفق فيها للتخلص من الغزل إلى المديح فانه بيناهو في تغزله وهو يقول
عهـ ذلك أن منيت منيت وعـدا * جهاما وان أبرقت أبرقت خلبا
وكنيت أرى أن الصدود الذي مضى * دلال فلان كان الاتجنيا
فوا أسفا حتام أسمل مانعا * وآمن خوافا وأعتب مذنبا

حتى قال في اثر ذلك

أقول لركب معنفين تدرّ عوا * على عجل قطعا من الليل غمها
ردوانا للفتح بن خاقان انه * أعظم ندى فيكم وأيسر مطلبها
نخرج الى المديح بغير وصل ولا سبب وكذلك قوله في قصيدته المشهورة بالجودة
التي مدح بها الفتح بن خاقان أيضا وذكر نجاته عند انخساف الجسرية وقد أغرب
فيها كل الاغراب وأحسن كل الاحسان وأقوالها * متى لاح برق أو بدا طلل قفر
فبيناهو في غزلها حتى قال

لعمرك ما الدنيا بقصة الجدي * اذ ابقى الفتح بن خاقان والقطر

نخرج الى المديح مقتضيا له لامتعلقا به وأمثال هذا في شعره كثير (النوع الرابع
والعشرون في القياس بين المعاني) وينقسم الى ثلاثة أقسام (القسم الاول
في المطابقة) وهذا النوع يسمى البديع أيضا وهو في المعاني ضد التجنيس
في اللفظ لان التجنيس هو أن يحد اللفظ مع اختلاف المعنى وهذا هو أن يكون
المعنيان ضدتين وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام
هي الجمع بين الشيء وضده ~~ك~~ كالسواد والبياض والليل والنهار وخالفهم
في ذلك قدامة بن جعفر الكاتب فقال المطابقة ايراد لفظين متساويين في البناء
والصيغة مختلفين في المعنى وهذا الذي ذكره هو التجنيس بعينه غير أن الاسماء
لا مشاحة فيها الا اذا كانت مشتقة وانه نظر نحن في ذلك وهو أن نكشف
عن أصل المطابقة في وضع اللغة وقد وجدنا الطباق في اللغة من طابق البعير
في سيره اذا وضع رجله موضع يده وهذا يؤيد ما ذكره قدامة لان البديع يراد بالرجل
لاضدتها والموضع الذي يقعون فيه واحد وكذلك المعنيان يكونان مختلفين
واللفظ الذي يجمعهم واحد فقدمت على هذا النوع من الكلام مطابقا حيث
كان الاسم مشتقا مما سمي به وذلك مناسب وواقع في موقعه الا أنه جعل للتجنيس
اسما آخر وهو المطابقة ولا بأس به الا ان كان مثله بالضدين كالسواد والبياض
فانه يكون قد خالف الأصل الذي أصله بالمثال الذي مثله وأما غيره من أبواب
هذه الصناعة فانهم سموها هذا الضرب من الكلام مطابقة غير اشتقاق
ولا مناسبة بينه وبين مسماه هذا الظاهر لنا من هذا القول الا أن يكونوا قد علموا
لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن ولترجع الى ذكر هذا القسم من التأليف وإيضاح

حقيقته فنقول الا في من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة لانه لا يتخلو
الحال فيه من وجهين اما أن يقابل الشيء بضده أو يقابل بما ليس بضده وليس اما
وجه ثالث (فأما الأول) وهو مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض وما جرى
مجرهما فإنه ينقسم قسمين أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى والاخر مقابلة في
المعنى دون اللفظ (أما المتابعة في اللفظ والمعنى) فكقوله تعالى فليضحكوا قليلا
وايبكوا كثيرا فقابل بين الضحك والبكاء والقليل والكثير وكذلك قوله تعالى
لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وهذا من أحسن ما يجي في هذا
الباب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير المال عين ساهرة لعين نائمة (ومن
الحسن المطبوع الذي ليس بمكاف) قول علي رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه
إن الحق ثقيل مرى والباطل خفيف ربي وأنت رجل إن صدقت سخطت وإن
كذبت رضيت فقابل الحق بالباطل والثقل بالمرى بالخفيف الوبي والصدق
بالكذب والسخط بالرضا وهذه خمس مقابلات في هذه الكلمات القصار
وكذلك ورد قوله رضي الله عنه لما قال الخوارج لا يحكم الا الله تعالى هذه كلمة حق
أريد بها باطل (وقال الخجاج بن يوسف لم سعيد بن جبير رضي الله عنه) وقد أحضره
بين يديه ليقوله فقال له ما اسمك قال سعيد بن جبير قال بل أنت شقي بن كسير وقد
كان الخجاج من الفضلاء المعدودين وفي كلامه هذا مطابقة حسنة فإنه نقل
الاسمين الى ضدهما فقال في سعيد شقي وفي جبير كسير وهذا النوع من الكلام
لم يقتصر به اللغة العربية دون غيرها من اللغات (ومما وجدته في لغة الفرس) انه
لما مات قباد أحد ملوكهم قال وزيره تركابسكونه وأول كتاب الفصول لا يقرأ
في الطب قوله العمر قصير والصناعة طويلة وهذا الكتاب على لغة اليونان
(ومن كلامي في هذا الباب) ما كتبت في صدر مكتوب الى بعض الاخوان وهو
صدر هذا الكتاب عن قاب مقيم وجسد سائر وصبر مليم وجرع عاذر وخاطر
أدهشتم لوعة الفراق فليس بخاطر (وكذلك) كتبت الى بعض الاخوان أيضا
فقلت صدر هذا الكتاب عن قلب مأنوس بلقائه وطرف مستوحش لقراقه
فهذا امر قبح بكاتبه اظلامه وهذا يمنع بهجة اشراقه غير أن لقاء القلوب لقاء
عنيت بمثله خواطر الافكار وتتأجج به من وراء الاستار وذلك أخو الطيف
الملم في المنام الذي يوقه لقاء الارواح على لقاء الاجسام (ومن هذا النوع)

ما ذكرته في كتاب أصف المسير من دمشق الى الموصل على طريق المناظر
فقلت من جملة ثم نزلت أرض الخابور فغربت الارواح وشرقت الجسوم
وحصل الاعدام من المسار والانزال من الهوم وطالبتني النفس بالعود والقدرة
مفلسة واويت الى ظل الآمال والآمال مشمسة (ومن ذلك) ما ذكرته في جملة
كتاب الى بعض الاخوان وعرضت فيه بذكر جماعة من أهل الادب فقلت وهم
مسؤولون أن لا يغسوفني في نادى فضلهم المذمى هو منبج الآمال وملتقط اللآل
فوجوه ألفاظه مشرقة بأيدي الاقلام المتسودة وقلوب معانيه مستنبطة
بنار الخواطر المتوقدة والواغل اليه يسكرون خمرته التي تنبسه العقول من
اغنائها ولا يشربها أحد غيراً كفاؤها وهذه الفصول المذكورة لا خفاء بها
تضمنته من محاسن المقابلة (ومما ورد) من هذا النوع شعر اقول جري
وأعور من نهبان أمانهارة * فاعى وأقاليله بمصير
وهكذا ورد قول الفرزدق

فبح الإله بنى كليب انهم * لا يغدرون ولا يفون بجبار
يستيقظون الى نهبى حمارهم * وتنام أعيينهم عن الاوتار
فقابل بين الغدر والوفاء وبين التيقظ والنوم وفي البيت الاقل معنى يسأل عنه
وكذلك ورد قول بعضهم

فلا الجود يفي المال والجدم قبل * ولا البخل يبقى المال والجدم مبر
وقد أكثر أبو تمام من هذا في شعره فأحسن في موضع وأساء في موضع فن أحسنه
قوله ما ن ترى الاحساب بيضا وضحا * الابحيت ترى المنايا سودا
وكذلك قال من هذه القصيدة أيضا

سوف على أولى الزمان وانما * خالق الماسب ما يكون جديدا
وعلى هذا النهج ورد قوله

اذا كانت النعمى سلوبا من امرئ * غدت من خليجى كفه وهو نبيح
وان غدت بيض اللبالي وسودها * بوحدة ألفيتها وهى مجمع
ويوم يظلل العز يحفظ وسطه * بسمرا العوالي والنفوس تضيق
مصيف من الهيجا ومن حاجم الوغى * ولكن من وابل الدم مريع
(ومن هذا الاسلوب) قوله أيضا

تقرب الشقة القصوى اذا أخذت * سلاحها وهو الارقال والرمي
اذا انظمت من أرض فصلت بها * وكانت هي العزلا أنهم اذا لم
لـرضيتك ما أرغمت آنفهما * والهادياتك وهي الشر والفضل
وعلى هذا النحو ورد قوله

وناضرة الصـباحين استبكرت * طلاع المرط والدرع الندي
تشكى الابن من نصف سريع * اذا قامت ومن نصف بطي
وقد جاء لابي نواس ذلك فقال

أقلنى قد ندمت على الذنوب * وبالأقرار عدت من الجحود
أنا استهديت عفوك من قريب * كما استعفيت سخطك من بعيد
فقال بين الاضداد من الجحود والاقرار والعفو والسخط والقرب والبعد وعلى
نحو من ذلك ورد قول علي بن جبلة في أبي دافع الجمل وهو
أيم المهير ونكاح الـايم * يومك يوم أبوس وأنعم * وجع مجـدوندى مقسم
وكذلك قوله أيضا

هو الامل المـبـوط والاجمل الذي * يـترعى أيامه الدهر أو يـحـلو
ولا تحسن الأيام تفعل فعله * وان كان في تصرفها النقض والفعل
فحش واحدا أما الشراء فلم * مباح وأما الجار فهو حى بسـل
ومما جاء من هذا القسم قول البحترى
أحسن الله في ثوابك عن نـفـسـمـضاع أحسنت فيه الياء
كان مستضعفا نـعـزـو محرو * ما فأجـدى ومظالمنا ضاء
ومن أحسن ما ورد له في هذا الباب قوله

أشكوا إليك أنا ملاما تنطوى * بخلا وأملاقات تصفها اليد
أرضيتهم قولا ولا يرضونى * فعلا وتلك قضية لا تقصد
فأذم منهم من مائذم وربما * ساء محنتهم فحمدت ما لا يحمد
وعلى هذا التهج ورد قوله

ونوقى منك الاساءة جاهدا * والعـدل أن أوقع الاحسانا
وكما يترك ابن مـسـى راضيا * فكذلك فاخش خشوتى غضبانا
(وأما أبو الطيب المتنبى) فإنه استعمل هذا النوع قليلا في شعره فن ذلك قوله

ثقال اذا الاقوا خفاف اذا ادعوا * كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا
وكذلك قوله الى رب مال كذا شئت شمله * تجتمع في تشبيهه لالاشمل
(ومما) استعذبه من قوله في هذا الباب

كان شهاد الليل يعشق مقلتي * فبينما في كل هجر لنا وصل
(ومما) جاء من هذا الباب

لما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبرتنا عنا بدمع ناطق

فترقن بين معابر ومحاجر * وجعن بين بنفسج وشقائق

وهذا تحتها معنى يسئل عنه غير المقابلة وذهب بعض أهل العلم الى أن
المراد بالنفسج والشقائق هو عارض الرجل وخذ المرأة لان من العادة ان يشبه
العارض بالنفسج وهذا قول غير سائغ لان العارض انما يشبه بالنفسج عند اول
ظهوره فاذا طر وظهرت خضرته في ابتداء سن الشباب شبهه بالنفسج لانه يكون
بين الاخضر والاسود وليس في الشعر ما يدل على أن المودع كان شابا قد طر
عارضه والذي يقتضيه المعنى أن المرأة طامت للوداع فزقت خاثرها واطامت
خداها فجمعت بين أثر اللطم وهو شبهه بالنفسج وبين لون الخلد وهو شبهه الشقائق
ونزقت بين خاثرها وبين وجهها بالتمزيق ولها وموجدة على الوداع هذا هو معنى
البيت لا ما ذهب اليه هذا الرجل (وأما المقابلة في المعنى دون اللفظ في الاضداد
فما جاء منه قول المقتنع الكندي) من شعراء الحماسة

لهم جل مالي ان تتابع لي غني * وان قل مالي لم أكفه مورقدا

فقوله تتابع لي غني معنى قوله كثير مالي فهو اذا مقابلة من جهة المعنى لا من جهة
اللفظ لان حقيقة الاضداد اللفظية انما هي في المفردات من الالفاظ نحو قام
وقعد وحل وعقد وقل وكثر فان القيام ضد القعود والحل ضد القيد والقابل
ضد الكثير فاذا ترك المفرد من الالفاظ وتوصل الى مقابله باللفظ مر كب كان ذلك
مقابله من جهة المعنى لا من جهة اللفظ كقول هذا الشاعر تتابع لي غني في معنى
كثير مالي وهذه مقابلة معنوية لا لفظية فاعرف ذلك (وأما مقابلة الشيء بما ليس
بخصته فهي ضربان) أحدهما أن لا يكون مثالا والاخر أن يكون مثالا
(فما ضرب ادق) يفرع الى فرعين (الاول) ما كان بين المقابل والمقابل نوع
متناسبة وتغارب كقول فریط بن أبي نيف

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا
فقابل الظلم بالمغفرة وليس ضدّها وانما هو ضدّ العدل الا أنه لما كانت المغفرة
قريبة من العدل حسنت المقابلة بينهما وبين الظلم وعلى هذا جاء قوله تعالى أشدّاء
على الكفار رحماء بينهم فان الرحمة ليست ضدّ المشقة وانما ضدّ الشدة اللين
الا أنه لما كانت الرحمة من مميزات اللين حسنت المقابلة بينهما وبين الشدة وكذلك
ورد قوله تعالى ان تصيبك حسنة فسرّها وان تصيبك مصيبة يقولوا قد أخذنا
أمرنا من قبل فان المصيبة سيئة لأن كل مصيبة سيئة وليس كل سيئة مصيبة
فالمقابل ههنا من جهة العام والخاص (الفرع الثاني) ما كان بين المقابل
والمقابل به بعد وذلّ العمل لا يحسن استعماله كقول أمّ المحنف وهو سعد بن قرظ
وقد تزوج امرأة كانت نهته عنها فقالت من آيات تذكّرها فيها

ترى بها الايام على صرفها * سترى بها في جاحم مقعر
فكلم من كريم قدمناه الله * بمذمومة الاخلاق واسعة الحر

فقولها بمذمومة الاخلاق واسعة الحر من المقابلة البعيدة بل الاولى
أن كانت قالت بضيق الاخلاق واسعة الحر حتى تصح المقابلة وهذا ما يدل على
أن العربي غير مهتم الى استعمال ذلك بصيغة غامضة وانما يجي له منه ما يجي بطبيعته
لا بتكلفه وإذا أخطأ فانه لا يعلم الخطأ ولا يشعر به والدليل على ذلك أنه لو أبدلت
لفظة مذمومة بالصفة لصح الوزن وحصلت المقابلة وانما يعذر من يعذر
في تولد المقابلة في مثل هذا المقام اذا كان الوزن لا يواتيه (وأما المحدثون
من الشعراء) فانهم اعتنوا بذلك خلاف ما كانت العرب عليه لاجرم أنهم أشدّ
ملازمة من العرب (فمن ذلك) قول أبي الطيب المتنبي

لمن يطالب الدنيا اذا لم يردّها * سرور محب أو مساة مجرم

فان المقابلة الصحيحة بين المحب والمبغض لا بين المحب والمجرم وليست متوسطة
أيضا حتى يقرب الحال فيها وانما هي بعيدة فانه ليس كل من أبغرم اليك كان
مبغضا لك (ومما يتصل به هذا الضرب) ضرب من الكلام يسمى المواخاة بين
المعاني والمواخاة بين المباني وكان ينبغي أن نعقد له بابا مفردا لكلامه رأينا
يتطرق الى التقابل من وجه وصلة له (أما المواخاة بين المعاني) فهو أن يذكّر
المعنى مع أخيه لامع الاجنبى مثاله أن تذكّر وصفا من الاوصاف وتقرنه بها

يقرب منه ويلتزم به فان ذكرته مع ما يبعده منه كان ذلك قد حاق بالصناعة
وان كان جائزا (فمن ذلك) قول الكميت

أم هل طعائن بالعلياء رافعة * وان تكامل فيها الدل والشب

فان الدل يذكّر مع الغنج وما أشبهه والشب يذكّر مع الالعس وما أشبهه وهذا
موضع يغلط فيه أرباب النظم والنثر كثيرا وهو مظنة الغلط لانه يحتاج الى ثاقب
فكرة وحدق بحيث توضع المعاني مع أخواتها لا مع الاجنبي منها (وقرات
في كتاب الاغانى لابي الفرج) انه اجتمع نصيب والكميت وذو الرمة فأنشد
الكميت أم هل طعائن البيت فعقد نصيب واحدة فقال له الكميت ماذا تعصى
قال خطأ أنا فأنشدت في القول أين الدل من الشب ألا قلت كما قال ذو الرمة

لمياء في شفقيها حقة لعس * وفي اللثات وفي أنيابها شب

ورأيت أبا نواس يقع في ذلك كثيرا كقوله في وصف الديك

له اعتدال وانتصاب قد * وجلده يشبه وشى البرد

كأنها الهذاب في الفرند * محدودب الظهر كريم الحد

فانه ذكر الظهر وقرنه بذكر الحد وهذا لا يناسب هذا لأن الظهر من جملة الخلق
والحد من المنسب وكان ينبغي أن يذكّر مع الظهر ما يقرب منه ويواخيه أيضا
وكذلك أخطأ أبو نواس في قوله

وقد حلفت عينا * مبرورة لا تكذب * برب زمزم والحو * من والصفاء والمحصب
فان ذكر الحوض مع زمزم والصفاء والمحصب غير مناسب وانما يذكّر الحوض
مع الصراط والميزان وما جرى مجراهما وأما زمزم والصفاء والمحصب فيذكر
معها الركن والخطيم وما جرى مجراهما (وعلى هذا الاسلوب) ورد قوله أيضا

أحسن من منزل بذي قار * منزل نخارة ونجار

وشم ريحانة ورجسة * أحسن من أيتق بأكوار

فالبيت الثاني لامة سارفة بين صدره وعجزه وأين شم الريحان من الايتق بالاكوار
وكان ينبغي له أن يقول شم الريحان أحسن من شم الشيخ والقيصوم وركوب
الفتيات الرود أحسن من ركوب الايتق بالاكوار وكل هذا لا يفتن لوضعه
في مواضعه في كل الاوقات وقد كان يغلب على السهوف في بعض الاحوال حتى
أسلك هذه الطريق في وضع المعاني مع غير أنسابها وأقاربها ثم انى كنت

أنا قل ما صنعتته بعد حين فأصلح ما يهوت عنه (وأما المواخاة بين المباني) فإنه يتعلق بمبنى الالفاظ (فمن ذلك) قول أبي تمام في وصف الرماح

مئة فمات سلبن العرب سميرتها * والروم زرقتها والعاشق القضا

وهذا البيت من أبيات أبي تمام الافراد غير أن فيه نظرا وهو قوله العرب والروم ثم قال العاشق ولو صح أن يقول العاشق لكان أحسن إذ كانت الاوصاف تجري على واحد ~~وكذلك~~ قوله سميرتها وزرقتها ثم قال القضا وكان ينبغي أن يقول قضاها أو دقتها (وعلى هذا) ورد قول مسلم بن الوليد

نفضت بك الاحلاس نفص اقامة * واسترجعت نزاعها الامصار

فأذهب كما ذهب غواصي مزنة * يذبحني عليها السهل والاعوار

والاحسن أن يقال السهل والوعر أو السهل والاعوار ليكون البناء اللفظي واحدا أي أن يكون اللفظان واردين على صبغة الجمع أو الافراد ولا يكون أحدهما مجوعا والآخر مفردا وكذلك ورد قول أبي نواس في الخمر صفراء مجدها مرانها * جات عن النظراء والمثل

بجمع وأفرد في معنى واحد وهو أنه قال النظراء مجوعا ثم قال المثل مفردا وكان الاحسن أن يقول النظير والمثل أو النظراء والامثال وعلى ذلك ورد قوله أيضا والانسكار يتوجه فيه أكثر من الاول وهو

الايابن الذين فتوا فاقوا * أما والله ما ما نوالته بقي

ومالك فاعلم فيهما مقام * اذا استكملت آجالا ورزقا

وموضع الانسكار ههنا أنه قال آجالا ورزقا وكان ينبغي أن يقول أرزاقا وأن يقول أجلا ورزقا وقد زاده انسكارا أنه جمع الاجل فقال آجالا والانسكان ليس له الا أجل واحد ولو قال أجلا وأرزقا لما عيب لان الأجل واحد والارزاق كثيرة لا اختلاف ضروريها وأجناسها وإذا أنصفنا في هذا الموضع وجدنا الناثر مطالبه دون الناظم لما كان امكانه من التصريف (وقد كنت) أرى هذا الضرب من الكلام واجبا في الاستعمال وأنه لا يحسن المحيد عنه حتى مربي في القرآن الكريم ما يخالفه كقوله تعالى في سورة النحل أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيا ظلاله عن اليمين والشمائل ولو كان الاحسن لزوم البناء اللفظي على سبعة واحد بجمع اليمين كما جمع الشمال أو أفرد الشمال كما أفرد

الحسين وكذلك ورد قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون فجمع القلوب والأبصار وأفرد السمع وكذلك ورد قوله تعالى حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم فذكر السمع بلفظ الافراد وذكر الأبصار والجلود بلفظ الجمع وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة هكذا ولو كان هذا مائة مرة في الاستعمال لورد في كلام الله تعالى الذي هو أفصح من كل كلام والاختلاف في مقام الفصاحة والبلاغة إنما يكون منه والمعول عليه وما ينبغي أن يقاس على هذا قوله تعالى وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وربما قيل إن هذه الآية اشتملت على تنفية وجمع وافراد وطلق أنها من هذا الباب وليس كذلك لأنهم اشتملت على خطاب موسى وهرون عليهما السلام أو لا في اتخاذ المساجد لقومهما ثم ثنى الخطاب لهما ولقومهما جميعا ثم أفرد موسى عليه السلام بيشارة المؤمنين لأنه صاحب الرسالة (الضرب الثاني في مقابلة النسخة وهو يفرع إلى فرعين أحدهما) مقابلة المفرد بالمفرد (والآخر) مقابلة الجملة بالجملة (الفرع الأول) كقوله تعالى نسوا الله أنفسهم وكقوله تعالى ومكر ومكرهم ومكرنا مكرهم وقدر وعى هذا الموضع في القرآن الكريم كثيرا فإذا ورد في صدر آية من الآيات ما يحتاج إلى جواب كان جوابه مماثلا كقوله تعالى من كفر فعليه كفره وكقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وهذا هو الحسن والافلو قيل من كفر فعليه ذنبه كان ذلك جائزا لئلا يحسن هو ما ورد في كتاب الله تعالى وعليه مدار الاستعمال وهذا الحكم يجري في النظم والنثر من الإجماع والآيات الشعرية فأما إن كان ذلك غير جواب فإنه لا يلتزم فيه هذه المراعاة اللفظية ألا ترى أنه قد قبلت الكلمة بكامة هي في معناها وان لم تكن مساوية لها في اللفظ وهذا يقع في الالتقاط المترادفة ولذا يستعمل ذلك في الموضع الذي ترد فيه الكلمة غير جواب (فما جاء منه) قوله تعالى ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ولو كان لا تورد الكلمة إلا مثلا لقبل وهو أعلم بما تعملون وكذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تتخف خصمان بنى بعضنا على بعض فقال لا تتخف بعد قوله ففزع منهم قالوا

في معنى هذا أقول أحدهما بالآخر ولم يقابل اللفظ بنفسه وكذلك جاء قوله تعالى واثن سائرهم لم يقولوا إنما كنا نخوض ونلعب قل آياته ورسوله كنتم تستهزئون فذكر الاستهزاء الذي هو في معنى الخوض واللعب وقابل به الخوض واللعب ولو ذكره على حد المماثلة والمساواة لقال أفى الله وآياته ورسوله كنتم تخوضون وتلهبون (فان قيل) انك قد احتججت بالقرآن الكريم فيما ذكرته ونرى قد ورد في القرآن الكريم ما ينقضه كقوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها لم يقل جزاء سيئة سيئة مثلها (الجواب عن ذلك) أني أقول أردت أن تنقض على ما ذكرته فلم تنقضه وإن كنت شديته والذي ذكرته هو دليل على ذلك ألا ترى أنه لا فرق بين قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها وبين قوله جزاء سيئة سيئة مثلها إذا المعنى واحد لا يختلف ولو جاء عوضا عن السيئة لفظة أخرى في معناها كالذي والسوء أو ما جرى مجراها لما صح لك ما ذهبت إليه وقد ذهب بعض المتصدين في علم البيان أنه إذا ذكرت اللفظة في أول كلام يحتاج إلى تمام وان لم يكن جوابا كالذي تقدم فنبغي أن تعاد بعينها في آخره ومتى عدل عن ذلك كان معيبا ثم مثل ذلك بقول أبي تمام وقول أبي الطيب المتنبي فقال إن آياتهم أخطأ في قوله

بسط الرجاء لنا برغم فوائب * كثرت بهن صارع الآمال
فحيث ذكر الرجاء في صدر البيت فكان ينبغي أن يعيد ذكره أيضا في مجزئه أو كان
ذكر الآمال في صدر البيت ومجزئه وكذلك أخطأ أبو الطيب المتنبي في قوله
إني لأعلم واللييب خبير * إن الحياة وإن حرمست غرور
فانه قال إني لأعلم واللييب خبير وكان ينبغي أن يقول إني لأعلم واللييب لميم
ليكون ذلك تقابلا صحيحا وهذا الذي ذكره هذا الرجل ليس بشيء بل المعتمد عليه
في هذا السبب أنه إذا كانت اللفظة في معنى آخرها جازا استعمالها في المقابلة
بينهما والدليل على ذلك ما قدمناه من آيات القرآن الكريم وكفى به دايلا
وهذه الرموز التي هي أسرار الكلام لا تفتن لاستعمالها إلا أحد رجلين إما فقيه
في علم البيان قد مارسه وإما مشقوق اللسان في الفصاحة قد خلق طارفا بطائفةها
مستغنيا عن مطالعة صحائفها وهذا لا يكون إلا عروفا الفطرية يقول ما يقول طبعها
على أنه لا يستدعي جميع أقوالهم لم تكن معرفته الفطرية معزوجة بمعرفة العرفية

(الفرع الثاني في مقابلة الجملة بالجملة) اعلم أنه اذا كانت الجملة من الكلام
مستقبلة قوبلت بمسئلة مقبلة وان كانت ماضية قوبلت بماضية وور بما قوبلت
الماضية بالمستقبلة والمستقبلة بالماضية اذا كانت احداهما في معنى الاخرى
(فمن ذلك) قوله تعالى قبل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت
فبما يوحى الى ربى فان هذا تقابل من جهة المعنى ولو كان التقابل من جهة اللفظ
لقال وان اهتديت فانما اهتدي اها وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى
هو أن النفس كل ما عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبال عليه ما وضار لها فهو
بسيئها ومنها لانها الاقمار بالسوء وكل ما هو لها بما يتفعلها فهو ذاية ربه او توفيقه
اياها وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستند
ذلك الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحتته مع عائله وسداده وطريقته كان غيره
أولى به (ومن هذا الضرب) قوله تعالى ألم يروا أنا جعلنا الليل ليستكنوا فيه والنهار
مبصر فانه لم يراع التقابل في قوله ليستكنوا فيه ومبصر لان القياس يقتضى
أن يكون والنهار تبصر وفيه وانما هو مراعى من جهة المعنى لامن
جهة اللفظ وهذا النظم المطبوع غير المتكاف لان معنى قوله مبصر التبصر وا
فيه طرق القلب في الحاجات (واعلم) أن في تقابل المعاني بابا عجيب الامر
يحتاج الى فضل تأمل وزيادة نظر وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور
وبالابحاز من الايات الشعرية (فمما جاء من ذلك) قوله تعالى في ذم المنافقين
واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون
واكن لا يشعرون وقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن
كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ألا ترى كيف فصل
الآية الاخرى بـ يعلمون والآية التي قبلها يشعرون وانما فعل ذلك لان أمر
الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر
واسم تدل على بكسب الناظر العلم والمعرفة بذلك وأما الاتفاق وما فيه من
البعي المؤدى الى الفتنة والفساد في الارض فأمر دينوى مبنى على العادات
معلوم عند الناس خصوصاً عند العرب وما كان فيهم من الصحاب والتغاور فهو
مكالمحسوس عندهم فلذلك قال فيه يشعرون وأيضاً فانه لما ذكر السفه
في الآية الاخيرة وهو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقاً فقال لا يعلمون وآيات

القرآن جميعها فصلا هكذا كقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح
 الأرض مخضرّة فإن الله لطيف خبير وكقوله له ما في السموات وما في الأرض
 وإن الله لَهُ الغنى الحميد وكقوله ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري
 في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه إن الله بالناس لرؤف
 رحيم فإنه إنما فصلت الآية الأولى بالطيف خبير لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه
 بانزال الغيث وغيره وأما الآية الثانية فأنما فصلت بغنى جسد لأنه قال له
 ما في السموات وما في الأرض له لا حاجة بل هو غنى عنها جواد بها لأنه ليس
 كل غنى نافعا بغناه إلا إذا كان جوادا منعمًا وإذا جاد وأنعم حده المنعم عليه
 واستحق عليه الجسد فذكر الحميد ليدل على أنه الغنى النافع بغناه خلقه وأما
 الآية الثالثة فأنما فصلت برؤف رحيم لأنه لما عتد للناس ما أنعم به عليهم من
 تسخير ما في الأرض لهم وإجراء الفلك في البحر بهم وتسخيرهم في ذلك الهول
 العظيم وخلق السماء فوقهم وأمسكها أيها عن الوقوع حسن أن يفصل ذلك
 بقوله رؤف رحيم أي أن هذا الفعل فعل رؤف بكم رحيم لهم (واعلم)
 أي المتأمل لكتابنا هذا أنه قلما توجد هذه الملازمة والمناسبة في كلام ناظم
 أو ناثر ومن الآيات ما يشكل فاصله فيحتاج إلى فكرة وتأمل كقوله تعالى
 والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادت أن أنفسهم فتشادة أحدهم
 أربع شهادات بالله أنه ان الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من
 الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لم يكذب بين
 والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم
 ورحمته وأن الله تقاب حكمكم فإنه قد وردت الفاصلة في غير هذا الموضع
 بتقواب رحيم ويطلق الطاق أن هذا كذلك وية قول أن التوبة مع الرحمة
 لا مع الحكمة وليس كما يظن بل الفاصلة بتقواب حكيم أولى من تقواب رحيم لأن
 الله عز وجل حكمكم بالتسلاع على الصورة التي أمر بها أو أراد بذلك ستر هذه
 الفاحشة على عباده وذلك حكمة منه ففصلت الآية الواردة في آخر الآيات
 بتقواب حكيم فجمع فيها بين التوبة المرجوة من صاحب المعصية وبين
 الحكمة في سترها على تلك الصورة وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر منه
 نفعًا ولا أعظم فائدة (ومما جاء من هذا الباب) قول أبي الطيب المتنبي

وقفت وما في الموت شك لواقف * كأنك في جفن الردى وهونائم
 تمزبك الابطال كلهم هزيمة * ووجهك وضاح وثغر بكاسم
 وقد أخذ على ذلك وقيل لوجعل آخر البيت الاقول آخر البيت الثاني وآخر
 البيت الثاني آخر البيت الاقول لكان أولى ولذلك حكاية وهي أنه لما استشهد
 سيف الدولة يوم ما قصيدته التي أوتوها على قدر أهل العزم تأتي العزائم * فلما بلغ
 إلى هذين البيتين قال قد اتقدهم ما عليك كما اتقده على امرئ القيس قوله
 كأنني لم أركب جواداً للذة * ولم اتبطن كاعبادات الخيال
 ولم أسب الزرق الروي ولم أقل * نطيلي كثرى كثره بعد اجفال
 فبيته لم يلتم شطراهما كما لم يلتم شطرا بقی امرئ القيس وكان ينبغي لك أن تقول
 وقفت وما في الموت شك لواقف * ووجهك وضاح وثغر بكاسم
 تمزبك الابطال كلهم هزيمة * كأنك في جفن الردى وهونائم
 فقال المتنبي ان صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا أعلم بالهجر منه
 فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولا ناعلم أن الثوب لا يعلم البزاز كما يعلمه
 الحائك لأن البزاز يعرف جملة الخياطة والحائك يعرف تفاصيله وانما قرن امرؤ القيس
 النساء بالذرة الر كوب للصمد وقرن السماء بسبائك الخمر للاضربا ف بالشجاعة
 في منازلة الأعداء وكذلك لما ذكر الموت في صدر البيت الاقول أتبعته
 بذكر الردى في آخره ليكون أحسن تلاؤما ولما كان وجهه المنم - زم الجريح
 عبوسا وعينه باكية قلت ووجهك وضاح وثغر بكاسم لاجمع بين الاضداد
 (القسم الثاني في صحة التقسيم وفساده) ولست أريد بذلك هنا ما تقتضيه القسمة
 العقلية كما يذهب إليه المتكلمون فان ذلك يقتضي أشياء مستحيلة كقولهم
 الجواهر لا تخلو اما أن تكون مجمعة أو مفترقة أو لا مجمعة ولا مفترقة أو مجمعة
 ومفترقة معا أو بعضها مجمعة وبعضها مفترقة ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة
 من حيث العقل لاستيفاء الاقسام جميعها وان كان من جملة ما يستحيل وجوده
 وانما تريد بالتقسيم هنا ما يقتضيه المعنى مما يستلزم وجوده من غير أن يتلصق
 منها قسم واحد واذا ذكرت قام كل قسم منها بنفسه ولم يشارك غيره فتارة يكون
 التقسيم بالذاتة اما وتارة بالصفة بين كقولنا بين كذا وكذا وتارة منهم كقولنا
 منهم كذا ومنهم كذا وتارة بأن يذكر العدد المراد أو لا بالذكر ثم يقسم كقولنا

فان شعب القوم شعبا أربعة فشعبة ذهبت يمينا وشعبة ذهبت شمالا وشعبة وقفت
بمكانها وشعبة رجعت الى ورائها (فما جاء من هذا القسم) قوله تعالى ثم أورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات وهذه قسمة صحيحة فانه لا يخلو أقسام العباد من هذه الثلاثة فاما عاص
ظالم لنفسه واما مطيع مبادر الى الخيرات واما مقتصد بينهما (ومن ذلك)
أيضا قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة وأصحاب الميمنة
المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون وهذه الآية منطبعة المعنى
على الآية التي قبلها فأصحاب المشأمة هم الظالمون لأنفسهم وأصحاب الميمنة
هم المقتصدون والسابقون هم السابقون بالخيرات (وعلى نحو من ذلك) جاء قوله
تعالى هو الذي يرى لكم البرق خوفا وطمعا فان الناس عند رؤية البرق بين خائف
وطامع وليس لنا قسم ثالث (فان قيل) ان استيفاء الاقسام ليس شرطا وترك
بعض الاقسام لا يقدح في الكلام وقد ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى
لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون فذكر أصحاب
الجنة دون أصحاب النار (فالجواب عن ذلك) اني أقول هذا لا ينقض على
ما ذكرته فان استيفاء الاقسام يلزم فيما استبهم الاجمال فيه ألا ترى الى قوله
تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا منهم فانه حيث قال فثم لم يلزم
استيفاء الاقسام الثلاثة ولو اقتصر على قسمين منها لم يجز وأما هذه الآية
التي هي لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة فانه انما خص أصحاب الجنة
بالذكر للعلم بأن أصحاب النار لا فوز لهم ولو خص أصحاب النار بالذكر لعلم أيضا
ما لأصحاب الجنة وكذلك كل ما يجري هذا الجرى فانه انما يظرفيه الى المستبهم
وغير المستبهم فاعرفه وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة يهيجون بقول
بعض الاعراب ويرعون أن ذلك من أصح التقسيمات وهو قولهم النعم ثلاثة نعمة
في حال كونها ونعمة تربي مستقبلة ونعمة تأتي غير متسبة فأبقى الله عليك
ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه وهذا القول
فاسد فان في أقسام النعم التي قسمها نفعها لا بد منه زيادة لا حاجة اليها
فأما النقص فاعف عن النعمة الماضية وأما الزيادة فقوله بعد المستقبلة
ونعمة تأتي غير متسبة لان النعمة التي تأتي غير متسبة داخل في قسم النعمة

المستقبله وذلك ان النعمه المستقبلة تنقسم قسمين أحدهما يرجي حصوله
والآخر لا يحتسب فقوله ونعمه تأتي غير محتسبه يومهم أن هذا القسم غير
المستقبل وهو داخل فيه وعلى هذا فكان ينبغي له أن يقول النعم ثلاث
نعمه ماضية ونعمه في حال كونها ونعمه تأتي مستقبلة فأحسن الله آثار
النعمه الماضية وأبقى عليك النعمه التي أنت فيها ووفر حظك من النعمه التي
تستقبلها ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طبق به مفصل الصواب وقد استوفى
أبو تمام هذا المعنى في قوله

بعت لنا فوق الاماني منكم * بابت من روح الحياة وأوصل

فصنيعه في يومها وصنيعه * قد أحوات وصنيعه لم تحول

كالمن من ماضى الباب ومقبل * منتظر روحهم مثل ل

(ووقف أعرابي) على مجلس الحسن البصري رضى الله عنه فقال رحم الله عبدا

أعطى من سعة أو آتى من كفاف أو آثر من قلة فقال الحسن البصري ما ترك

لأحد عذرا (وقد عاب) أبو هلال العسكري على جميل قوله

لو كان في قلبي كقدر قلامه * حبا واصلتك أو أبتك رسالتى

فقال أبو هلال ان احيى الرسائل داخل في جملة الوصل وليس الاصر كما وقع له

فان جميل انما أراد بقوله واصلتك أى أتيتك زائرا وواصلتك أى كنت راسلتك

مراسلة والوصل لا يخرج عن هذين الوصفين اما زيارة واما مراسلة (ومن

أعجب ما وجدته في هذا الباب) ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغامى

وهو قول العباس بن الاحنف

وصالكم هجروا حباكم قلا * وعطفكم صدقكم لمكم حرب

ثم قال الغامى هذا والله أصح من تقسيمات اقليدس وبالله العجب أين التقسيم

من هذا البيت هذا والله في واد والتقسيم في واد ألا ترى أنه لم يذكر شيئا يخصره

القسمه وانما ذم أحبابه في سوء صنيعهم به فذكر بعض أحواله معهم ولو قال أيضا

وليسكنكم عنف وقر بكم نوى * واعطواكم منع وصدقكم كذب

لكان هذا جائزا وكذلك لو زاد بيتا آخر لجاز ولو أنه تقسيم لما احتمل زيادة

والاولى أن يضاف هذا البيت الذى ذكره الغامى الى باب المقابلة فإنه أولى به

لأنه قابل الوصل بالهجر والعطف بالصدق والسلم بالحرب (ومن فساد التقسيم)

قول البحرى في قسده التي مطلعها * ذات وادى الاران فاحبس قليلا * فقال
قف مشوقا ودمعدا وحزينا * أو معينا أو عاذرا أو عذولا
فان المشوق يكون حزينا والمسعدي يكون معينا وكذلك يكون المسعد عاذرا
وكثيرا ما يقع البحرى في مثل ذلك وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي وهو
فانخر فان الناس في ثلثة * مستعظم أو حاسد أو جاهل
فان المستعظم يكون حاسدا والحاسد يكون مستعظما (ومن شرط التقسيم)
أن لا تدخل أقسامه بعضها في بعض (ومن هذا الأسلوب) ما ورد في أبيات
الحجاسة وهو

وكنتم أمرا أمانا ثقتن خاليا * نخنت وأما قلت قول لا بلا علم
فأنت من الأمر الذي قد أثبتته * بمنزلة بين الحبيسة والاشم
فان الحبيسة من الاشم وهذا تقسيم فاسد (ومما جاء من ذلك نثرا) قول بعضهم
في ذكر من هم زمن في جريح متضرع بدمائه وهارب لا يلتفت الى ورائه فان
الجريح قد يكون هاربا والهارب قد يكون جريحا ولو قال فمن بين قتيل ومأسور
وناج لصح له التقسيم أو لو قال فمن بين قتيل ومأسور لصح له التقسيم أيضا لعدم
الناجى بينهما وقد أحسن البحرى في هذا المعنى حيث قال
غارتم أيدي المنيعة صبحا * بالقنابيل ركنع ومجود
فهم فرقتان بين قتيل * قنعت نفسه بجند الحديد
أو أسير غدا له السجن لهذا * فهو حتى في حالة الملهود
فرقة للسبي وف ينفذ فيها السبي * قصد او فرقة للقيود
(ومن فساد التقسيم) قول أبي تمام

وموقف بين حكم الذل منقطع * صالبه أو مجيال الموت متصل
فانه جعل صالبي هذا الموقف أما ليل لا عنه أو هالك كافيته وهو ناقص ثبات وهو
أن لا يكون ذليلا ولا هالك الكابل يكون مقدماته ناجيا وفي هذا نظر على من ادعى
فساد تقسيمه فان أبا تمام قصد الغلو في وصف هذا الموقف فقال ان اليأس فيه
لأحد رجلين أما دليل عن مورده وأما ما لاك فيه أي أنه لا ينجم منه أحد يرد
وهذا تقسيم صحيح لا فساد فيه (القسم الثالث في ترتيب التفسير وما يصح
من ذلك وما يفسد) اعلم أن صحة الترتيب في ذلك أن يذكر في الكلام معان مختلفة

فاذا عبد اليها بالذکر لتفسر قدم المقدمة وأخر المؤخر وهو الاحسن الا أنه قد ورد
 في القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح ولم يراع فيه تقديم المقدمة ولا تأخير
 المؤخر كقوله تعالى أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض
 ان نشأ نخف فيهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية
 لكل عبد منيب ولو قدم نفسه بر المقدمة في هذه الآية وأخر تفسير المؤخر ليقيل
 ان يشأ يسقط عليهم كسفا من السماء أو ينسف فيهم الارض وكذلك ورد قوله
 تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم
 بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم هم
 فقد تم المؤخر وأخر المقدمة والقسمان قد وردا جميعا في القرآن الكريم
 (فما روى فيه تقديم المقدمة وتأخير المؤخر) قوله تعالى وما يؤخره الا أجل
 معدود يوم يأتي لا تكلم نفس الا بأذنه فنهيم شقي وسعيد فأما الذين شقوا
 ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء
 ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
 السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ (ومن ذلك) قوله تعالى
 وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحورنا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة (وكذلك)
 قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل تسكنوا فيه والنهار تضربوا فيه فصولا
 فصله فلما قدم الليل في الذكر على النهار قدم سبب الليل وهو السكون على
 سبب النهار وهو التعيش (ومن ذلك) ما كتبه في كتاب تميز به وهو فصل منه
 فقلت ولفظ أوحشت منه المعالي كما أوحشت المنازل وآمت المكارم
 كما آمت الجلائل ومجت لوعة خطبه فماتت شكي ثكلتي الا الى ناكل وما أقول
 فحين عدت الارض منه حياها والمحامد محياها فلو نطق الجسد بلسان أو
 تصور المعنى لعيان لا عريت تلك عن ظما صعبها وبرزت هذه حاضرة حول
 فقيدها (ومن ذلك) ما كتبه في فصل من كتاب الى بعض الاخوان فقلت
 وما زالت أبادي سيد نامتنوعة في زيادة جودها وكتابها فهذه متطولة بترقية
 وردها وهذه آخذة بسنة اغياها وأحسن ما في الأولى أنها تأتي متخلية
 بفواضل الاكثار وفي الثانية أنها تأتي متخلية بفضائل الاختصار فاختصار
 هذه في فوائد أقلها ~~مكتوبة~~ كتوبيل تلك في فوائد انعامها وقد أصبحت

خوارى مستغرة بانشاء القول المبشكر في شكر الفضل المطول وجواب
البيان المختصر وما جعل الله لها من سلطان البلاغة ما يستقل بآداء حقوق
تنقل على الرقاب ومقابلة بلاغات تنقل على الألباب (ومما جاء من ذلك) شعرا
قول ابراهيم بن العباس

لما ابل كرم يضيق بهما الفضا * وفيه ترعنا أرضها وسماؤها
فن دونها أن تستباح دماؤها * ومن دوننا تستباح دماؤها
حتى وقري فالموت دون مرامها * وأيسر خطب يوم حق فناؤها
وهذه الايات من نادر ما يجي في هذا الباب معنى وترتيب تفسير ومما جاء منه
أيضا قول أبي تمام

وما هو الا الوحي أوحى مرهف * قيل خطباء أخطي كل مائل
فهو ذادوا الداء من كل عالم * وهذا دواء الداء من كل جاهل
وكذلك قوله أيضا

وكان لهم غيثا وعلما فقدم * فبدأ له أويا حث فيدائله
وهذا من يديع ما يأتي في هذا الباب ومما ورد منه قول علي بن جبلة
ففي وقف الايام بالسخط والرضا * على بذل صرف أو على عدمه
ومن الحسن في هذا الباب قول أبي نواس

يرجو ويخشي حالتيك الوري * كأنك الجنة والنار
وكذلك ورد قول بعض المتأخرين وهو القاضي الارجاني
يوم المقيم فيك حول كامل * يتعاقب الفصلان فيه اذا أتى
ما بين - ترجوى وما مدامع * ان حن صاف وان بكى وجد اشما
ومما أخذ على الفرزدق في هذا الباب قوله

اقد جئت قوما لوليات اليهم * طر يدم أو حاملا ثقل مغرم
لا لقيت منهم معطيا أو مطاعنا * وراء الشزرا بالوشح المقوم

لانه أصاب في التفسير وأخطأ في الترتيب وذلك أنه أتى بتفسير ما هو أول
في البيت الأول ثانيا في البيت الثاني والأولى أن كان أتى بتفسير ذلك مرتبا
ففسر ما هو أول في البيت الأول بجهان وثمان في البيت الثاني وأصله أن الناظم
لا يشكر عليه مثل هذا ما يشكر على النثر لان الناظم يضطره الوزن والقافية

الى ترك الاولى (وأما فساد التفسير) فإنه أفتح من فساد ترتيبه وذلك أن يؤتى
بكلام ثم يفسر تفسيراً لا يناسبه وهو عيب لا تسامح فيه بحال وذلك كقول بعضهم
فيما أيها الخيران في ظلمة الدجى * ومن خاف أن يلقاه بغي من العدا
تعال اليه تلق من نور وجهه * ضياء * ومن كفيه بحرا من الندى
وكان يجب لهذا الشاعر أن يقول بإزاء بغي العدا ما يناسبه من المصمرة والاعانة
أو ما جرى مجراها اليكون ذلك تفسيراً له كما جعل بإزاء الظلمة الضياء وفسر هابه
فأما أن جعل بإزاء ما يخوف منه بحرا من الندى فإن ذلك غير لائق (النوع
الخامس والعشرون في الاقتصاد والتفريط والافراط) اعلم أن هذه المعاني
الثلاثة من الاقتصاد والتفريط والافراط توجد في كل شيء من علم وحكمة شائعة
وخلق ولا بد لنا من ذكر حقيقة تسمى أصل اللغة حتى يتبين نقلها الى هذا النوع
من الكلام فأما الاقتصاد في الشيء فهو من القصد الذي هو الوقوف على
الوسط الذي لا يميل الى أحد الطرفين قال الله تعالى فهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فألم النفس والسبق بالخيرات طرفان والاقتصاد
وسط بينهما ما وقال تعالى والذين إذا أنفقتوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواما فالاسراف والاقتار طرفان والقرام وسط بينهما وقال الشاعر
عليك بالقصد فيما أنت فاعله * إن التهاق يأتي دونه الخلق
وأما التفريط فهو التقصير والنقصان ولهذا قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب
من شيء أي ما أهملنا ولا ضيعنا * وأما الافراط فهو الاسراف وتجاوز الحد
يقال أفرط في الشيء إذا أسرف وتجاوز الحد والتفريط والافراط هذان الطرفان
البعيدان والاقتصاد هو الوسط المعتدل وقد نقلت هذه المعاني الثلاثة الى هذا
النوع من علم البيان وأما الاقتصاد فهو أن يكون المعنى المضمرة في العبارة
على حسب ما يقتضيه المعبر عنه في منزلته وأما التفريط والافراط فهما ضدان
أحدهما أن يكون المعنى المضمرة في العبارة دون ما تقتضيه منزلة المعبر عنه
والآخر أن يكون المعنى فوق منزلته والتفريط في إيراد المعاني الخاطئية قبيح
لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه والافراط يجوز استعماله فنه الحسن
ومنه دون ذلك (فما جاء من التفريط) قول الاعشى
وما ميز به من خليج القرا * ثجون غواربه تلتطم

بأجود منه بما عونه * اذا ما سماؤهم لم تنم
فانه مدح ملكا بالجلود بما عونه والماعون كل ما يسـتـعـار من قدوم أو قصعة
أو قدر أو ما أشبه ذلك وليس للملوك في بذله مدح ولا لأوساط الناس أيضا
وفي مدح السوق به قولان ومدح الملوك به عيب وذم فاحش وهذا من أقبح
التفريط ومما يجري هذا الجري قول الفرزدق

ألا ليتنا كتابيرين لانرد * على حاضر الانشـلـ ونقد ذف
كلانا به عز مجاف قرانه * على الناس مطلي المشاعر أخشف
هذا رجل ذهب عقله بين نظم هذين البيتين فان مراده منهما التخلخل بمحبوبه
وقد قصر غنائه على أن يكون هو ومحبوبه كـبـيرين أجريين لا يقربهما أحد
ولا يقربان أحدا الا طردهما وهذا من الاماني الضعيفة وله في غيرها هذه
الامنية مندوحات كثيرة وما أشبه هذا بقول القائل

يارب ان قدرته لمقبل * غـيـرى فللا قداح أو لاد كؤس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * في الدهر قلقتك من عيون الترجس
فانظر كم بين هاتين الامنيتين (ومما أخذ على أبي نواس) في قصيدته الميمية
الموصوفة التي مدح بها الامين محمد بن الرشيد وهو قوله

أصبحت يا ابن زبيدة ابنة جعفر * أملا لعقد حباله استحكام
فان ذكر أم الخلافة في مثل هذا الموضع قبيح وكذلك قوله في موضع آخر
وليس بكذتيه أم موسى * اذا نبت ولا كان ليزران

وهذا الغوم من الحديث لا فائدة فيه فان شرف الانساب انما هو الى الرجال
لا الى النساء وباليث شعري أما سمع أبو نواس قول قيس له بنت النضر في النجى
صلى الله عليه وسلم

أحمد دولانت فجل كريمة * من قومها والفعل فحل معرق
ما كان ضررك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغنط المحنق

فانه اذا كرر الـام بغير اسم الـام وأبرزت هذا الكلام في هذا اللباس الاتيق
وكذلك فليكن المادح اذا مدح وأبو نواس مع اطفافة طبعه وذكائه وما كان
يوصف به من الفطنة قد ذهب عليه مثل هذا الموضع مع ظهوره وليس القائل
أن يعترض على ما ذكرته بقوله تعالى سيكايه عن موسى وأخيه هرون عليهم السلام

السلام قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي فان الفرق بين الموضعين ظاهر لان المنكر على أبي نواس انما هو التلفظ باسم الام وهي زبيدة وكذلك اسم الجدة وهي الخيزران وليس كذلك ما ورد في الآية (فان قيل) قد ورد في القرآن الكريم ما يردح لا أبي نواس مقالته وهو قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم انت قلت للناس اتخذوني وأمتي الهين من دون الله فناداه باسم أمه قلت الجواب عن ذلك من وجهين أحدهما أن عيسى عليه السلام لم يكن له أب فنودي باسم أمه ضرورة اذ لو كان له أب لنودي باسم أبيه الوجه الآخر أن هذا النداء انما هو من الاعلى الى الادنى اذ الله سبحانه وتعالى هو الرب وعيسى عليه السلام عبده وهذا لا يكون تفريطاً لانه لم يعبر عنه بما هو دون منزلته على أن أبانواس لم يوقعه في هذه العثرة الا بما معه عن جرير في مدح عمر بن عبد العزيز كقوله

وبقي الجديا عربن ايلي * وتكفي المحمل السمة الجادا

وكذلك قال فيه كثير عزة أيضاً وليس المعيب من هذا بخاف فان العرب قد كان يعبر بعضها ببعضاً بنسبته الى أمه دون أبيه ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقال له ابن حنمة وانما كان يقول ذلك من بغض منه وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم لا زبير بن صفية بشر قاتل ابن صفية بالنار فان صفية كانت حمة النبي صلى الله عليه وسلم وانما نسبته اليها رفعا لقدره في قرب نسبه منه وأنه ابن عمته وليس هذا كالأول في الغض من عمر رضي الله عنه في نسبه الى أمه (وقد عاب بعض من يتهم نفسه بالمعرفة) قول أبي نواس في قصيدته السينية التي أولها * نيه نديك قد نعس * فقال من جعلها

ورث الخلافة خامسا * وبخبر سادسهم سدس

قال وفي ذكر السادس نظروا يا عجباً له مع معرفته بالشعر كيف ذهب عليه هذا الموضع أما قرأ سورة الكهف يريد قوله تعالى ويقولون خمسة سادسهم كلهم وهم هذا ليس بشيء لانه قد ورد في القرآن الكريم ما ينقضه وهو قوله تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من شيء ثلاثه الا هو وابعههم ولا خمسة الا هو سادسهم (ومما عجبته على البحري) قوله في مدح الفتح بن خاتان في قصيدته المشهورة عند لقائه الاسد التي مطلعها

أجل ذلك ما ينفعك يسرى زينا * فقال
شهدت لقد أنصفتني حين تبتري * له مصلتنا عضيها من البيض مقضيا
فلم أرضر غامض أصدق منك * عرا كما إذا الهياية الفكس كذبا
قوله إذا الهياية الفكس تفربط في المدح بل كان الأولى أن يقول إذا البطل كذب
والأفأى منح في أقدام المقدم في الموضع الذي يفر منه الجبان والا كما قال أبو
تمام فني كلما ارتادا التبعج من الردى * مفرا غداة المارق ارتاد مصرعا
وعلى أسلوب البصري ورد قول بعضهم من شعراء الجحاسة
واني أقول لعمري مرحبا * وللطالب المعروف أنك واجده
واني لمن أبسط الكف بالندى * إذا شجبت كف البخل وساعده
وهذا معيب من جهة أنه لا فضل في بسط يده عند قبض يد البخل وانما الفضيلة
في بسطها عند قبض الكرام أيديهم ومن هذا الباب قول أبي تمام
ينظر وهو أكثر الناس اغضا * على نائل له مسروق
فانه أراد أن يمدح قذم ومما هو أقبح من ذلك قوله أيضا
ينفي الحرب منه حين تغلى * مراجله بأشبه طائر رجيم
وقد استعمل هذا في شعره حتى أخش كقوله
أنت دلو وذو السماح أبو مو * سي قلب وأنت دلو القلب
ومراد من ذلك أنه جعله سيديا ليعطاه المشار إليه كما أن الدلو سيب في امتياح الماء
من القليب ولم يبلغ هذا المعنى من الاغراب إلى حديد ندين أبو تمام حوله هذه
الدخلة ويلقبه في هذا المثال الضعيف على أنه لم ينع به هذا السقطه القبيحة
في شعره بل أوردها في مواضع أخرى منه في ذلك قوله
ما زال يهذي بالكارم والعلا * حتى ظننا أنه محوم
فانه أراد أن يبالغ في ذكر الممدوح باللهج بالكارم والعلا فقال ما زال يهذي
وما أعلم ما كانت حاله عند نظم هذا البيت وعلى نحو منه جاء قول بعض المتأخرين
ويلقه عند الكارم هزة * كما اتفقت الجهور من أم ما دم
وهذا وأمثاله لا يجوز استعماله وان كان المعنى المقصود به حسنا وكم مر
يتأول معنى كرم فاساء في التعبير عنه حتى صار مذموما كهذا وأمثاله
ومن أحسن ما قيل في مثل هذا الموضع قول ابن الرومي

ذهب الذين تم زهم مذاهم * هزال الحكمة عوالي المتران
 كانوا اذا مدحوا راءوا ما فيهم * فالار يحية منهم بكان
 ومن شاء أن يمدح فليمدح هكذا والا فلا يسكت (ووجدت) أبا بكر محمد بن يحيى
 المعروف بالصولي قد عاب علي حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله
 لنا الجففات الغريبان في الضحى * وأسماقنا يقطرن من فجة دما
 وقال انه جمع الجففات والاسماق جمع قلة وهو في مقام نخر وهو ذا مما يحط
 من المعنى ويضع منه وقد ذهب الى هذا غيره أيضا وليس بشئ لان الغرض انما
 هو الجمع فواءا كان جمع قلة أم جمع كثرة ويدل على ذلك قوله تعالى ان ابراهيم
 كان أمة فانت الله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى
 صراط مستقيم أفترى نعم الله أكانت قليلة على ابراهيم صلوات الله عليه وكذلك
 ورد قوله عز وجل في سورة النمل وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سوء
 في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة
 قالوا هذا سحر مبين ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان
 عاقبة المفسدين فقال واستيقنتها أنفسهم فجمع النفس جمع قلة وما كان
 قوم فرعون بالقليل حتى تجمع نفوسهم جمع قلة بل كانوا أمة بين ألوفها وهذا
 أيضا مما يطل قول الصولي وغيره في مثل هذا الموضع وكذلك ورد قوله عز
 وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها والنفوس المتوفاة
 والنائمة لا ينتهي الى كثرتها كثرة لانها نفوس كل من في العالم (واعلم) أن
 للمدح الفاظا تخصه وللذم الفاظا تخصه وقد تعمدت في قوم في ذلك حتى قالوا من
 الأدب أن لا مخاطب المملوك ومن يقاربه به يكاف الخطاب وهذا غلط بارد
 فان الله الذي هو ملك المملوك قد خاطب بالكاف في أول كتابه العزيز فقبيل اياك
 نعبد واياك نستعين وقد ورد أمثال هذا في مواضع من القرآن غير محصورة
 الا أني قد راجعت نظري في ذلك فرأيت الناس بزمانهم أشبه منهم بأيامهم
 والعوائد لا حكمة لهم ولا شك أن العادة أوجب للناس مثل هذا التعق
 في ترك الخطاب بالكاف لكني تأملت أدب الشعراء والكتاب في هذا الموضع
 فوجدت الخطاب لا يعاب في الشعر ويعاب في الكتابة اذا كان الخطاب دون
 الخطاب درجة وأما ان كان فوقه فلا عيب في خطابه اياه بالكاف لانه ليس

من التفهيم في شيء فن خطاب الكاف قول الشافعية
وانك كالليل الذي هو مدركي * وان قلت أن المنتأى عنك واسع
(وكذلك قوله أيضا)

سألت فلم أترك النفس كريمة * وليس وراء الله للموت مذهب
وعليه جاء قول بعض المتأخرين أيضا فقال أبو نواس
اليك أبا المنصور عذبت ناقتي * زيارة خلّ وامتحان كريم
لأنّ لم ما يأتي وان كنت عالما * بأنك مهـ ما تأت غير ملوم
وكذلك ورد قول السلاحي

اليك طوى عرض البسيطة جاعل * قصار المطايا أن يوحها القصر
وبشرت آمالي بلاك هو الوري * ودار هي الدنيا يوم هو الدهر
وعليه ورد قول البحتري

واقداً أتيتك طالبا فبسطت من * أملى فأطلب جودك فكف مطلبني
وجعل خطاب الشعراء له مدوحين اغما هو بالكاف وذلك مخطور على الكتاب
فانه ليس من الادب عندهم أن يخاطب الادنى الاعلى بالكاف وانما يخاطبه
مخاطبة الغائب لا مخاطبة الحاضر على أن هذا الباب بجملته يوكل المظرفيه
الى فطانة الخطيب والشاعر وليس مما يوقف فيه على المسموع خاصة (ومن أطف
ما وجدته) أنك اذا خاطبت المدح أن تترك الخطاب بالامر بأن تقول افعل
كذا وكذا وتخرجه مخرج الاستفهام وهذا الاسلوب حسن جدا وعليه
مسحة من جمال بل عليه الجمال كله (فما جاء منه) قول البحتري في قصيدة
أولها * يودى لويحوى العذول ويعشق * فقال منها

فهل أنت يا ابن الراشدين مخفى * يياقوتة تبهى على وتشرق
وهذا من الادب الحسن في خطاب الخليفة فانه لم يخاطبه بأن قال ختمني يياقوتة
على سبيل الامر بل خاطبه على سبيل الاستفهام وقد أعجبني هذا المذهب وحسن
عندي وقد حذا حذو البحتري شاعر من شعراء عصرنا فقال في مدح الخليفة
الناصر لدين الله أبي العباس أحمد من قصيدته على قافية الدال فقال من آيات
يصفها قصيده

أمة وله يا ابن الخلفاء من نبي * لديك بوصفي عادة الشعر رودة

فقوله أمقبولة من الادب الحسن الذي نسج فيه على منوال البحري وهذا باب مفرد وهو باب الاستفهام في الخطاب وإذا كان الشاعر فطنا عالما بما يضعه من الالفاظ والمعاني تصرف في هذا الباب بضروب التصرفات واستخرج من ذات نفسه شيئا لم يسبقه اليه أحد (واعلم) أن من المعاني ما يعبر عنه بالفاظ متعددة ويكون المعنى المندرج تحتها واحداً فمن تلك الالفاظ ما يليق استعماله بالمدح ومنها ما يليق استعماله بالذم ولو كان هذا الامر يرجع الى المعنى فقط لكانت جميع الالفاظ الدالة عليه سواء في الاستعمال وانما يرجع في ذلك الى العرف دون الاصل ولنضرب له مثالا فنقول هل يجوز أن يخاطب الملك فيقال له وحق دماغك قياسا على وحق راسك وهذا يرجع الى أدب النفس دون أدب المدرس فاذا أراد مؤلف الكلام أن يمدح ذكر الرأس والهامة والكاهل وما جرى هذا المجرى فاذا أراد أن يهجو ذكر الدماغ والقفا والقذال وما جرى هذا المجرى وان كانت معاني الجميع متقاربة ومن أجل ذلك حسنت الكتابة في الموضوع الذي يقع فيه التصريح (ومن أحسن ما بلغني) من أدب النفس في الخطاب أن عثمان بن عفان رضى الله عنه سأل قباث بن أشيم فقال له أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أقدم منه في الميلاد فأنظر الى أدب هذا العربي الذي من شأنه وشأن أمثاله جفاء الاخلاق والبعد عن فطانة الآداب (وأما الافراط) فقد ذمه قوم من أهل هذه الصناعة وحده آخرون والمذهب عندي استعماله فان أحسن الشعر أ كذبه بل أصدقه أ كذبه لكنه تفاوت درجاته فنه المستحسن الذي عليه مدار الاستعمال ولا يطلق على الله سبحانه وتعالى لانه مهم ما ذكر به من المعاملات في صفاته فانه دون ما يستحقه ومما ورد من ذلك في الشعر قول عنترة وأنا المنية في المواطن كلها * والطعن مني سابق الآجال

وقد يروى بالباء وكلا المعنيين حسن الآن الياء ككثر غلقا ومما جاء على نحو من ذلك قول بشار

إذا ما غضبنا غضبة مضرية * هت كحجاب الشمس أوقطرت دما

ومنه ما يستحسن كقول النابغة الذبياني

إذا ارتعشت خاف الجبان رعائها * ومن يتعلق حيث علق يفرق

وهذا يصف طول قامته الكنه من الاوصاف المذكورة التي خرجت به المغالاة
عن حيز الاستحسان وكذلك ورد قول أبي نواس
وأخفت أهل الشرك حتى أنه * لتخافك النطف التي لم تهلق
وهذا أشد افراطا من قول النابغة و يروى أن العتابي لقي أبا نواس فقال له أما
استحييت الله حيث تقول وأشد به البيت فقال له وأنت ما راقت الله حيث قلت
ما زلت في غمرات الموت مطرعا * يضيق عني وسيع الرأي من حيلي
فلم تزل دائبا تسعي باطنك لي * حتى اختلست حياتي من يدي أجلى
فقال له العتابي قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قولك ولكنك قد أعددت
لكل ناصح جوابا وقد أراد أبو نواس هذا المعنى في قالب آخر فقال
كذبت منادمة الدماس بوفه * فلقمنا تحت أزارها الالجفان
حتى الذي في الرحم لم يلك صورة * لفؤاده من خوفه خفقان
وما يجي في هذا الباب ما يجري هذا الجرى وقد استعمل أبو الطيب المتنبي هذا
القسم في شعره كثيرا فاحسن في مواضع منه فن ذلك قوله
بهاجا تعثر العقبان فيه * كان الجوقوعت أو خپار
ثم أعاد هذا المعنى في موضع آخر فقال
حققت سنا بكها عليها عيرا * لو تبغى عنقا عليه لأمكا
وهذا أكثر مغالاة من الاول ومن ذلك قوله أيضا
كانما تملقاهم لتسلكهم * فالطعن يفتح في الاجواف ما يسع
وعلى هذا ورد قول قيس بن الخطيم
لمكت بها كفي فأخزت فتقها * يرى قائم من دونها ما وراءها
لكن أبو الطيب أصح من غلوا في هذا المعنى وقيس بن الخطيم أحسن لانه قريب
من الممكن فان الطهنة تنفذ حتى يتبين فيها الضوء وأما أن يجعل الملعون مسلكا
يسلك كما قال أبو الطيب فان ذلك مستحيل ولا يقال فيه بعيد (وأما الاقتصاد)
فهو وسط بين المنزلتين والامثلة به كثيرة لا تحصى اذ كل ما خرج عن الطرفين من
الافراط والتفريط فهو اقتصاد ومن أحسنه أن يجعل الافراط مثلا ثم يستثنى
فيه بلوا وبكاد وما جرى مجراهما فن ذلك قوله تعالى يكاد البرق يخطف أبصارهم
وكذلك قوله عز وجل وأنه لما قام عبد الله يدعوه فادوا يكونون عليه لبدا وقد

ورد هذا في القرآن الكريم كثيرا وما ورد منه شعرا قول الفرزدق
بكاديه ككه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
وكذلك ورد قول الجعفي

لو أن مشتا قاتسكف فوق ما * في وسعه لسمى اليك المنبر

الاشتقاق

وهذا هو المذهب المتوسط (النوع السادس والعشرون في الاشتقاق) اعلم
أن جماعة علماء البيان ينصرون الاشتقاق عن التجنيس وليس الامر كذلك
بل التجنيس امر عام لهذين النوعين من الكلام وذلك أن التجنيس في أصل
الوضع من قولهم جالس الشيء اذا ما له وشابهه ولما كانت الحال كذلك
ووجدنا من الالفاظ ما يتماثل ويتشابه في صيغته وبنيانه علمنا أن ذلك يطلق عليه
اسم التجنيس وكذلك لما وجدنا من المعاني ما يتماثل ويتشابه علمنا أن ذلك يطلق
عليه اسم التجنيس أيضا فالجنيس اذن ينقسم قسمين أحدهما التجنيس في اللفظ
والآخر تجنيس في المعنى فأما الذي يتعلق باللفظ فإنه لم ينقل عن باب ولا غير اسمه
وقد تقدم ذكره في باب الصناعة اللفظية وأما الذي يتعلق بالمعنى فإنه نقل عن باب
في التجنيس وسمى الاشتقاق أي أحد المعنيين مشتق من الآخر (وهو على ضربين)
صغير وكبير فالصغير أن تأخذ أصلا من الاصول فتجمع بين معانيه وان اختلفت
صيغته ومبانيه كتركيب س ل م فأنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه
نحو سلم وسالم وسلمان وسلمي والسليم اللديغ أطلق عليه ذلك تفاؤلا بالسلامة
والأصل في ذلك أن يضع واضع اللغة اسما أو لا يسمى أول ثم يجرد مسمى آخر
ومسميات شبيهة بالمسمى الأول فيضع لها اسما كالاسم الأول كقولهم ضربا
للأعشى والضرب ضد النفع والضرباء الشدة من الامر والضرب بالضم الهزال
وسوء الحال والضرر الضيق والضربة إحدى الزوجتين فان هذه المسميات كلها
تدل على الأذى والشر وأسماء شبيهة لم تخرج عن الضاد والراء إلا أنا
الآن لا نعلم ما هو الأول منها حتى نحكم على الثاني أنه مشتق منه لكن نعلم
في السليم اللديغ أنه مشتق من السلامة لانه ضد هائل من أجل التفاؤل
بالسلامة وعلى هذا جاء غيره من الاصول كقولنا هشعك هاشم وحاربك محارب
وسالمك سالم وأصاب الارض صيب فهذه الالفاظ كلها لفظها واحد ومعناها
واحد أما هاشم فإنه لم يسمى بهذا الاسم إلا لأنه هشعك الثريد في عام محل فسمى

بذلك وأما محارب فانه اسم فاعل من حارب فهو محارب وأما سلم فمن السلامة وهو اسم فاعل من سلم وأما الصيب فهو المطر الذي يشتمل صوبه أى وقعته على الارض ولا يقاس على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله فان أسلم وغفار وعصية أسماء قبائل ولم تسم أسلم من المسالمة ولا غفار من المغفرة ولا عصية من تصغير عصا وهذا هو التجنيس وليس بالاشتقاق والنظر في مثل ذلك يحتاج الى فكرة وتدبر كي لا يختلط التجنيس بالاشتقاق ويماء من ذلك شعرا قول الجعفى * أمحلتى سلمى بكاطمة اسلماء وكذلك قول الآخر

وما زال معقولا عقلا من الندى * وما زال محبوبا عن الخير حابس
وربما ظن أن هذا البيت وما يجرى مجراه تجنيس حيث قيل فيه معقول وعقال
ومحبوس وحابس وليس الامر كذلك وهذا الموضع يقع فيه الاشتباه كثيرا
على من لم يتقن معرفته وقد تقدم القول أن حقيقة التجنيس هي اتفاق اللفظ
واختلاف المعنى وعقال ومعقول وحابس ومحبوس اللفظ فيهما واحد والمعنى
أيضا واحد فهذا مشتق من هذا أى قد شق منه وكذلك ورد قول عنتره
لقد علم القبائل أن قومي * لهم حدا ذا لبس الحديد

فإن حدا وحديد اللفظ هما واحد ومعناها واحد (وأما الاشتقاق الكبير) فهو
أن تأخذ أصلا من الأصول فتعده عليه وعلى تراكيبه معنى واحدا يجمع تلك
التراكيب وما تصرف منها وإن تباعدت شيئا من ذلك عنها ردت بلطف الصنعة
والتأويل إليها ولنضرب لذلك مثلا لفظ قول إن لفظه قمر من الثلاثي لها
ست تراكيب وهي قمر قمر رقم رقم مرق مرق مرق فمرق فمرق فمرق فمرق
الست يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة فالقمر مشقة شهوة اللحم وقر
الرجل إذا غلب من يقامره والرقم الداهية وهى الشدة التى تلحق الانسان من
دهره وعيش مرق أى ضيق وذلك نوع من الشدة أيضا والمقر شبه الصبر يقال
أقر الشيء إذا أمرت وفي ذلك شدة على الدائق وكراهة ومرق السهم إذا اندم من
الرمية وذلك لشدة مضائه وقوته (واعلم) أنه إذا سقط من تراكيب الكلمة شئ
فإنز ذلك في الاشتقاق لأن الاشتقاق ليس من شرطه كمال تركيب الكلمة بل
من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتأخيرها

أدت الى معنى واحد يجمعها فمثال ما سقط من تركيب الثلاثي لفظة وسق
فإنها تحس ترا كيب وهي وسق وسق وسق وسق وسق وسق وسق وسق وسق
من جملة الترا كيب قسم واحد وهو سقو وجميع الخمسة المذكورة تدل
على القوة والشدة أيضا فالوسق من قواهم استوسق الامر أي اجتمع وقوى
والوسق ابتداء الحرب وفي ذلك شدة على من يصيبه وبلاء والسوق متابعة
السير وفي هذا عناء وشدة على السائق والمسوق والقسوة شدة القلب وغلظه
والقوس معروفة وفيها نوع من الشدة والقوة لنزعها السهم واخراجها الى ذلك
المرحى المتباعدا (واعلم) أنا لا ندعي أن هذا يطردي جميع اللغة بل قد جاء شيء منها
كذلك وهذا ما يدل على شرفها وحكميتها لان الكلمة الواحدة تتقلب على
ضروب من التقلاب وهي مع ذلك دالة على معنى واحد وهذا من أجاب
الاسرار التي توجد في لغة العرب وأغربها فأعرفه الآن الاستعمال في النظم
والنثر انما يقع في الاشتقاق الصغير دون الكبير وسبب ذلك أن الاشتقاق الصغير
تكثر اللفاظ الواردة عليه والاشتقاق الكبير لا يكاد يوجد في اللغة الا قليلا
وأيضافا أن الحسن اللفظي الذي هو القصاحة انما يقع في الاشتقاق الصغير ولا يقع
في الاشتقاق الكبير ألا ترى الى هذين الاصلين الواردين ههنا وههنا قرم
ووسق اذا نظرنا الى ترا كيبهما وأردنا أن نسبكهما في الاستعمال لم يأت منهما
مثل ما يأتي في الاشتقاق الصغير حسنا وروفا لان ذلك لفظه لفظ تجنيس ومعناه
معنى اشتقاق والاشتقاق الكبير ليس كذلك (النوع السابع والعشرون
في التضمن) وهذا النوع فيه نظرين حسن يكتسب به الكلام طلاوة وبين
معيب عند قوم وهو عندهم معدود من عيوب الشعر واحد من هذين
القسمين مقام (فأما الحسن) الذي يكتسب به الكلام طلاوة فهو أن يتضمن
الآيات والاخبار النبوية وذلك يرد على وجهين أحدهما تضمن كلي والآخر
تضمن جزئي فأما التضمن الكلي فهو أن تذكر الآية والخبر يجمعانها
وأما التضمن الجزئي فهو أن تدرج بعض الآية والخبر في ضمن كلام فيكون
جزأ منه كالذي أوردته في حل الآيات والاخبار في الفصل العاشر من مقدمة
الكتاب وقد قيل انه لا يجوز درج آيات القرآن الكريم في غصون الكلام
من غير تبين كي لا يشتبه وهذا القول لا أقول به فإن القرآن الكريم أبين من

أن يحتاج الى بيان وكيف يخفى وهو المعجزة الذي لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتيوا بمثلها لا يأتون بمثلها فان كانت المفاوضة في التفرقة بينه وبين غيره من الكلام اذا أدرج فيه مع جاهل لا يعرف الفرق فذلك لا كلام معه وان كان الكلام مع عالم بذلك فذلك لا يخفى عنه القرآن الكريم من غيره ومذهبي في هذا هو ما تقدم ذكره في الفصل العاشر من مقدمة الكتاب وهو أحسن الوجهين عندى وذلك أنه لا تؤخذ الآية بكمالها بل يؤخذ جزء منها ويجعل أقوال الكلام أو آخرها اذا لم يقصد به التضمن فأما اذا قصد التضمن فتؤخذ الآية بكمالها وتدرج درجا وهو هذا ~~بما~~ ذكره من لم يذوق مذاقته من طعم البلاغة ولا رأى ما رأته (وأما المعيب عند قوم) فهو تضمن الاستناد وذلك يقع في بيتين من الشعر أو فصلين من الكلام المنشور على أن يكون الاول منهما مسندا الى الثاني فلا يقوم الاول بنفسه ولا يتم معناه الا بالثاني وهذا هو المعدود من عيوب الشعر وهو عندى غير معيب لانه ان كان سبب عيبه أن يتعلق البيت الاول على الثاني فليس ذلك بسبب يوجب عيبه الا لفرق بين البيتين من الشعر في تعلق أحدهما بالآخر وبين الفقرتين من الكلام المنشور في تعلق احدهما بالآخرى لان الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دل على معنى والكلام المسجوع هو كل لفظ مقفى دل على معنى فالفرق بينهما يقع في الوزن لا غير والفقرة المسجوعة التي يرتبط بعضها ببعض قد وردت في القرآن الكريم في مواضع منه فن ذلك قوله عز وجل في سورة الصافات فأقبل بعضهم على بعض يتسائلون قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أنك لمن المصدقين أنذا امتننا وكنا ترابا وعظاما أتنا لمدينون فهذه الفقرات الثلاث الأخيرة مرتبطة بعضها ببعض فلا تفهم كل واحدة منها الا بالتي تليها وهذا كالايات الشعرية في ارتباط بعضها ببعض ولو كان عيبا لما ورد في كتاب الله عز وجل وكذلك ورد قوله تعالى في سورة الصافات أيضا فاتكلموا ما تعبدون ما أنتم عليه بقائين الا من هو صال الجحيم فالآيتان الاوليان لا تفهم احدهما الا بالآخرى وهكذا ورد قوله عز وجل في سورة الشعراء أفرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يجمعون فهذه ثلاث آيات لا تفهم الاولى ولا الثانية الا بالثالثة ألا ترى أن الاولى والثانية في معرض استفهام يفتقر الى جواب والجواب هو

في الثالثة ومما ورد من ذلك شعرا قول بعضهم

ومن البلى التي لا تسب لها في الناس كنه

أن من يعرف شيئا * يدعى أكثر منه

ألا ترى أن البيت الأول لم يقيم بنفسه ولا تم معناه إلا بالبيت الثاني وقد استعملته

العرب كثيرا وورد في شعر قول شعرائهم فمن ذلك قول امرئ القيس

خفت له الماطى بصلابه * وأردف أبحازا وناه بكلا كل

الأيام الأيل الطويل إلا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمنل

وكذلك ورد قول الفرزدق

وما أحد من الاقوام عدوا * عروف الاكرم من الى التراب

بجعة ظنين ان فضلتونا * عايهم في القديم ولا غصاب

وكذلك ورد قول بعض شعراء الجاهلية

لم مري لرط المسرء خير تقيية * عليه وان عالوا به كل مركب

من الجباب الاقصى وان كان ذا غنى * جزيل ولم يخبر له مثل مجرب

(الضرب الثاني من التضمن) وهو أن يضمن الشاعر شعره والناتر نثره كلاما آخر

اغيره قصد اللامعة على تأكيده المعنى المقصود ولولم يذكر ذلك التضمن لكان

المعنى تاما ورمما ضمن الشاعر البيت من شعره بنصف بيت أو أقل منه كما قال بجحلة

قم فاسقنيها يا غلام وغنني * ذهب الذين يعاش في أكافهم

ألا ترى أنه لو لم يقل في هذا البيت ذهب الذين يعاش في أكافهم لكان المعنى تاما

لا يحتاج الى شيء آخر فان قوله قم فاسقنيها يا غلام وغنني فيه كفاية اذا حاجته

الى تعيين الغناء لان في ذلك زيادة على المعنى المفهوم لا على الغرض المقصود وقد

ورد هذا في عدة مواضع من شعرا أبي نواس في الخمريات كقوله في مخاطبة بعض

خلطائه على مجلس الشراب

فقلت هل لك في الصهباء تأخذها * من كف ذات حرف العيش مقبل

حبرية كشعاع الشمس صافية * تطير بالكأس من لآلئها شعل

فقال هات وغنينا على طرب * ودع هريرة ان الركب مرتحل

وكذلك قوله أيضا

وطبي خلوب الانظار لو كلامه * مقبله سهل وجانبه وعسر

فقلت له منها خفي رلوجهه * وأمكن منه ما يحيط به الازر
 فقلت اليه والكرى كل عيته * فقبلته والصب ليس له صبر
 الى أن تجلي نوره عن جفونه * وقال كسبت الذنب قلت لي العذر
 فأعرض من رتاك أن يوجهه * تفقأ رمان وقد برد الصدر
 فإزات أرقبه والتم خذته * الى أن تغني راضيا وبه سكر
 أفاشار يادارمي على البلى * ولا زال منه لا يجرع ذلك القطر
 وقد استعمل هذا الضرب كثير الخطيب عبد الرحمن بن نباتة رحمه الله في ذلك قوله
 في بعض خطبه وهو في أيها الغفلة المظرقون أما أنتم به هذا الحديث صدقون
 فإلکم منه لا تشفقون فو رب السماء والارض انه لحق مثل ما أنکم تنطقون
 وكذلك قوله في ذكر يوم القيامة وهو في يومئذ تغدوا والحق على الله به ما
 فيحاسبهم على ما أحاط به علما ويتفقد في كل عامل به حكمة وعنت الوجوه للحى
 القيوم وقد حاب من حل ظلمنا ألا ترى الى براعة هذا التضمين الذي كأنه قد رصع
 في هذا الموضع رصعا وعلى نحو من ذلك جاء قوله في ذكر يوم القيامة وهو هنالك
 يقع الحساب على ما أحصاه الله كتابا وتكون الاعمال المشوبة بالنفاق سرايا
 يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوايا
 وما ينظم به هذا السلك قوله في خطبة أخرى وهو أسكتهم الله الذي أنطقهم
 وأبادهم الذي خلقهم وسيجدهم كما أخلقهم ويجمعهم كما فرقهم يوم يعيد الله
 العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا يوم تكونون شهداء
 على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير
 محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا (ومن هذا الباب) قوله
 أيضا هنالك يرفع الجباب ويوضع الكتاب ويجمع من وجب له الثواب ومن حق
 عليه العقاب فيضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
 وأمثال هذه التضمينات في خطبه كثيرة وهي من محاسن ما ينبغي في هذا النوع
 (النوع الثامن والعشرون في الارصاد) وحققته أن يبيى الشاعر البيت من
 شعره على قافية قد أرصدها له أى أعدّها في نفسه فإذا أنشد صدر البيت عرف
 ما أتى به في قافيته وذلك من محمود الصنعة فإن خير الكلام ما دلّ بعضه على بعض
 وفي الاختصار بذلك يقول ابن نباتة السعدي

خذها اذا انشدت في القوم من طرب * صدورها عرفت منها قوافيها
ينسب لها الراكب العجلان حاجته * وبصبح الحاسد الغضبان يطويها
فن هذا الباب قول النابغة

فداء لا مرئى سارت اليه * بهذرة ربهاعسى وخالى
ولو كفى اليمين نفقة لك خوفا * لا فردت اليمين عن الشمال
الا ترى أنه يعلم اذا عرفت القافية في البيت الاول أن في البيت الثاني ذكر الشمال
وكذلك جاء قول البحترى

ألمت دمي من غير جرم وحزمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي
فليس الذي حملته بمحمل * وليس الذي حرمت به جرام

فليس يذهب على السامع وقد عرف البيت الاول وصدر البيت الثاني أن بهز
هو ما قاله البحترى (وقد جاء الارصاد في الكلام المنثور كما جاء في الشعر) فن ذلك
قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضى بينهم فيما فيه يختلفون فاذا وقف السامع على قوله تعالى لقضى بينهم فيما
فيه عرف أن بعده يختلفون لما تقدم من الدلالة عليه (ومن ذلك أيضا) قوله عز
وجل فتنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا
به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كما مثل
العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت فاذا وقف السامع
على قوله عز وجل وان أوهن البيوت يعلم أن بعده بيت العنكبوت (ورأيت
أبا هلال العسكري) قد سمي هذا النوع التوشيع وليس كذلك بل تسميته بالارصاد
أولى وذلك حيث ناسب الاسم مسماء ولا قبه وأما التوشيع فانه نوع آخر من علم
البيان وسبب أتى ذكره بعد هذا النوع ان شاء الله تعالى (واعلم) أنه قد اختلف جماعة
من أرباب هذه الصنعة في تسمية أنواع علم البيان حتى ان أحدهم يضع النوع
واحد منه اسمين اعتقادا منه أن ذلك النوع نوعان مختلفان وليس الامر كذلك
بل هما نوع واحد فمن غلط في ذلك الغامض فانه ذكر بابا من أبواب علم البيان وسماه
التبليغ وقال هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير أن يكون للقافية
فيما ذكره صانع ثم يأتي بها الحاجة الشعر إليها حتى يتم وزنه فيبلغ بذلك الغاية القصوى

في الجودة كقول امرئ القيس

كان عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب
فانه أتى بالتشبيه تاما قبل القافية ثم لما جاء به بالغ الامد الاقصى في المبالغة ثم ان
الغانمي ذكر بعد هذا الباب بابا آخر وسماه الاشباع فقال هو أن يأتي الشاعر البيت
معاق القافية على آخر اجزائه ولا يكاد يفعل ذلك الا حذاق الشعراء وذلك أن
الشاعر اذا كان بارعا جاب بقدرته وذكاؤه وفطنته الى البيت وقد تمت معانيه
واستغنى عن الزيادة فيه قافية متممة لا عارضة ووزنه في فعلها اعتدلا لمذكور كقول
ذي الرمة

قف العيس في أطلال مية فاسأل * رسوما كاخلاق التراء المسلسل
هذا كلام الغانمي بعينه والبيان المذكور ان سواء لا فرق بينهما بحال والدليل على
ذلك أن بيت امرئ القيس يتم معناه قبل أن يؤتى بقافية وكذلك بيت ذي الرمة
الآتري أن امرأ القيس لما قال ~~كان~~ عيون الوحش حول خبائنا
وأرحلنا الجزع أتى بالتشبيه قبل القافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهي
قوله لم تثقب وهكذا ذوالرمة فانه لما قال قف العيس في أطلال مية فاسأل
رسوما كاخلاق الرداء أتى بالتشبيه أيضا قبل أن يأتي بالقافية ولما احتاج اليها جاء
بزيادة حسنة وهي قوله المسلسل واعلم أن أباهلال المعسكري قد سمي هذين
القسمين بعينهما الا يغال وقال هو أن يستوفي الشاعر معنى الكلام قبل البلوغ الى
مقطعه ثم يأتي بالمقطع فيزيد فيه معنى آخر وأصل الا يغال من أوغل في الامر اذا
أبعد الذهاب فيه ثم مثل أبوهلال ذلك بقول ذي الرمة قف العيس في أطلال مية
فاسأل البيت وهذا أقرب أمر من الغانمي لانه ذكره في باب واحد وسماه باسم
واحد ولم يذكره في باب آخر كما فعل الغانمي وليس الاخذ على الغانمي في ذلك
مناقشة على الاسماء وانما المناقشة على أن ينتصب لا يراد علم البيان وتفصيل
أبوابه ويكون أحد الابواب التي ذكرها داخل في الآخر فيذهب عليه ويحذف عنه
وهو أشهر من فاق الصباح (وههنا ما هو أغرب من ذلك) وذلك أنه قد سلك قوم
في منشور الكلام ومنظومه طرقا خارجة عن موضوع علم البيان وهي بنحوه عنه
لانها في وادع علم البيان في وادع من فعل ذلك الحريري صاحب المقامات فانه
ذكر تلك الرسالة التي هي كلمة معجزة وكلمة مهملة والرسالة التي حرف من حروف

ألفاظها معجم والآخر غير معجم وتنظم غيره شعر آخر كل بيت منه أول البيت الذي
بابه وكل هذا وان تضمن مشقة من الصناعة فانه خارج عن باب الفصاحة
والبلاغة لان الفصاحة هي ظهور الالفاظ مع حسنها على ما أشرت اليه في
مقدمة كتابي هذا وكذلك البلاغة فانها الانتهاء في محاسن الالفاظ والمعاني من
قولنا بلغت المكان اذا انتهيت اليه وهذا الكلام المصوغ بما أتى به الحريري
في رسالته وأورد ذلك الشاعر في شعره لا يتضمن فصاحة ولا بلاغة وانما يأتي
ومعانيه غثة باردة وسبب ذلك أنها تستكره استكرها أو توضع في غير مواضعها
وكذلك ألفاظه فانها تنجي ~~مكره~~ أيضا غير ملائمة لخواصها وعلم البيان
انما هو الفصاحة والبلاغة في الالفاظ والمعاني فاذا خرج عنه شيء من هذه
الامواضع المشار اليها لا يكون معدودا منه ولا داخلا في بابيه ولو كان ذلك مما
يوصف بحسن في ألفاظه ومعانيه لورد في كتاب الله عز وجل الذي هو معدن
الفصاحة والبلاغة أو ورد في كلام العرب الفصحاء ولم نره في شيء من أشعارهم ولا
خطبهم ولقد رأيت رجلا أديبا من أهل المغرب وقد تغلغل في شيء عجيب وذات
أنه شجر شجرة ونظمها شعرا وكل بيت من ذلك الشعر يقرأ على ضرب من
الاساليب اتباعا لشعب تلك الشجرة وأغصانها فتارة تقرأ كذا وتارة تقرأ كذا
وتارة يكون جزء منه ههنا وتارة ههنا وتارة يقرأ مقلوبا وكل ذلك الشعر وان كان
له معنى يفهم الا أنه ضرب من الهذيان والاولى به وبأمثاله أن يلحق بالشعبذة
والمعالجة والمصارعة لا بدرجة الفصاحة والبلاغة (ورأيت أبا محمد) بن عبد الله
ابن سنان الخفاجي قد ذكر بابا من الابواب في كتابه فقال ينبغي أن لا يستعمل
في الكلام المنظوم والمنثور ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم
ولا الالفاظ التي تختص بها بعض المهن والعلوم لان الانسان اذا خاض في علم
وتسكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك
الصناعة ثم مثل ذلك بقول أبي تمام

مودة ذهب أثمارها شبه * وهمة جوهر معروفها عرض

وبقوله أيضا خرقاء يلعب بالعقول حبا بها * كتعاب الالفعال بالاسماء

وهذا الذي أنكره ابن سنان هو عين المعروف في هذه الصناعة

ان الذي تسكرهون منه * هو الذي يشتهيه قلبي

وسأبين فساد ما ذهب اليه فأقول أما قوله انه يجب على الانسان اذا خاض في علم
أو تسكلم في صناعة أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة فهذا
مسلم اليه ولكنه شذ عنه أن صناعة المنظوم والمنثور مستمدة من كل علم وكل
صناعة لانها موضوعة على الخوض في كل معنى وهذا الاضابط له يضبطه
ولا حاصر يحصره فاذا أخذ مؤلف الشعر أو الكلام المنثور في صوغ معنى من
المعاني وأدام ذلك الى استعمال معنى فقهي أو نحوي أو حسابي أو غير ذلك فليس
له أن يتركه ويحبد عنه لانه من مقتضى بيان ذلك المعنى الذي قصده ألا ترى
الى قول أبي تمام في الاعتذار

فان يك جرم عن أولئك هفوة * على خطا مني فعزري على عمدى
فان هذا من أحسن ما يجي في باب الاعتذار عن الذنب وكان ينبغي له على ما ذكره
ابن سنان أن يترك ذلك ولا يستعمله حيث فيه لفظتا الخطا والعمد اللتان هما
من أخص ألفاظ الفقهاء وكذلك قول أبي الطيب المتنبي

واقبت كل الفاضلين كأنما * ردا لاله نفوسهم والاعصرا
نسق والناتق الحساب مقدما * وأتى فذلك اذا أتيت مؤخرًا
وهذا من المعاني البدعية وما كان ينبغي لأبي الطيب أن يأتي في مثل هذا الموضع
بالقطة فذلك التي هي من ألفاظ الحساب بل كان يترك هذا المعنى الشريف الذي
لا يتم إلا بتلك اللفظة موافقة لابن سنان فيمارآه وذهب اليه وهذا محض الخطا
وعين الغلط وأما ما أنكره على أبي تمام في قوله

مودعة ذهب أثمارها شبه * وهمة جوهر معروفها عرض
فان هذا البيت ليس منكر الماس مستعمل فيه من لفظي الجوهر والعرض اللتين
هما من خصائص ألفاظ المتكلمين بل لانه في نفسه ركيك لتضمنه لفظة الشبه
فانها لفظة عامة ركيكة وهي التي أضفت بالبيت بجملة ورب قابل أفيد كثيرا
وأما لفظ الجوهر والعرض فلا عيب فيهما ولا ركاكة عليهما وأما البيت الآخر
وهو خرقاء يلعب بالعقول حبايبها * كتأهب الأفعال بالاسماء

فليس عنك وهل يشك في أن التشبيه الذي تضمنه واقع في موقعه ألا ترى أن
الفعل ينقل الاسم من حال الى حال وكذلك يفعل النحر بالعقول في تنقل حالاتها
فما الذي أنكره ابن سنان من ذلك وقد جاء لبعض المتأخرين من هذا الاسلوب

مالا يدافع في حسنه وهو قوله

عوامل رزقي أعربت لغة الردي * فحسم له خضر ورأس له نصب

فانه لما حصل له المشابهة في الالسمية بين عوامل الرياح والعوامل النحوية حسن موقع ما ذكره من الخفض والنصب وعلى ما ذكره ابن سنان فان ذلك غير جائز وهو من مستحسنات المعاني هذا من أعجب الاشياء وعلى هذا الاسلوب ورد قول بعضهم

وفتي من مازن * فاق أهل البصرة

أتمه معرفة * وأبوه نكره

وهل يشك في حسن هذا المعنى واطافته وكذلك ورد من هذا النوع في شعر بعض العراقيين يهجو طيبا فقال

قال سمار الطيب يوما * لو أنصغوني أسكنت أركب

لأنني جاءني بسبيط * وراكبي جهل له مركب

وهذا من المعنى الذي أغرب في الملاحظة وجع بين خفة السخرية ووقار الفصاحة وقد تقدم القول في مدركنا هذا أنه يجب على صاحب هذه الصناعة أن يتعاق بكل علم وكل صناعة ويخوض في كل فن من الفنون لانه مكلف بأن يخوض في كل معنى من المعاني فاضمم بذلك على ما ذكرته ونصت عليه وأترك ما سواه فليس القائل بعلمه واجتهاده كالقائل بظنه وتقليده وهذا النوع اذا استعمل على لوجه المرضى كان حسنا واذا استعمل بخلاف ذلك كان قبيحا كما جاء في كلام أبي العلاء بن سليمان المعري وهو قوله في رسالة كتبها الى بعض اخوانه حرس الله سعادته ما أدغمت التاء في الظاء وتلك سعادة بغير انتهاء وهذا من الغث البارد لكن قد جاءه في الشعر ما هو حسن فائق كقوله

فدونكم خنض الحياة فائنا * نصبتا المطايا في القلاة على القطع

والخفض والنصب من الأعراب النحوي والخفض رفاعة العيش والقطع من منصوبات النحوي والقناع قطع الشيء يقال قطعت له اذا بترته (النوع التاسع والعشرون في التوشيح) وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحر بن خنثا فحين فاذا وقف من البيت على القافية الاولى كان شعرا مستقيما من بحر على عروض واذا أضاف الى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الاخرى كان أيضا شعرا مستقيما من بحر آخر على عروض وصار ما يضاف الى القافية الاولى للبيت

كالوشاح وكذلك يجري الامر في الفسقة فترتين من الكلام المنشور فان كل فقرة
منها تصاغ من سبعين وهذا لا يكاد يستعمل الا قليلا وليس من الحسن في شيء
راسته عمله في الشعر أحسن منه في الكلام المنشور فمن ذلك قول بعضهم
اسلم ودمت على الحوادث مارسا * ركا ثبير أو هضاب حرا
ونل المراد ~~كنا~~ ~~منه~~ على * رغم الدهور وفز يطول بقاء
وهذا من الجيد الذي يأتي في هذا النوع الا أن أثر التكلف عليه ياد ظاهرا وإذا
نظر الى هذين البيتين وجدا وهما يذكرا ن على قافية أخرى وبجر آخر وهذا
يقال اسلم ودمت على الحوا * دث مارسا ركا ثبير
ونل المراد ~~كنا~~ ~~منه~~ على رغم الدهور
وقد استعمل ذلك المبررى في مقاماته نحو قوله

يا خاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار
دارمتي ما أضحكك في يومها * أبسكت غدا بعد الهام من دار
واذا أظلمت سحابة لم ينتفع * منه صدى بلهامة الغرار

(واعلم) أن هذا النوع لا يستعمل الا متكاملا عند تعاطي القكن من صناعة النظم
وحسنه منوط بعافية من الصناعة لا بما فيه من البراعة ألا ترى أنه لو نظم عليه
قصيد من أقوله الى آخره يتضمن غزلا ومديح على ما جرت به عادة القصائد ليس
أنه كان يجي باردا غملا لا يسلم منه على شحك النظر عشرو والعشر كثير وما كان على
هذه الصورة من الكلام فأنما يستعمل أحيانا على الطبع لا على التكلف وهو
وأما أنه لا يحسن الا اذا كان يسيرا كالرقم في الثوب أو الشية في الجلود (النوع
الثلاثون في السرقات الشعرية) ولربما عترض معترض في هذا الموضع فقال
قد تقدم ثمر الشعر في أول الكتاب وهو أخذ الآثار من النظم ولا فرق بينهما وبين
أخذ النظم من النظم فلم يكن الى ذكر السرقات الشعرية اذن حاجة ولو أنهم هذا
المعترض نظره لظهر له الفرق وعلم أن ثمر الشعر لم يعرض فيه الى وجوه المأخذ
وكيفية التوصل الى مداخل السرقات وهذا النوع يتضمن ذكر ذلك مقصلا
(واعلم) أن الفائدة من هذا النوع أنك تعلم أين تضع يدك في أخذ المعاني اذ
لا يستغنى الا عن الاستعارة من الاول لكن لا ينبغي لك أن تهمل في سبك اللفظ
على المعنى المسروق فتنادى على نفسك بالسرقه فكثيرا ما رأيت من يهمل في ذلك فغثر

من
النوع
الثلاثون

وتعاطى فيه البدية فقهر والاصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء
بحيث يكون ذلك أخفى من سقاء الغراب وأظرف من عنقاء مغرب في الاغراب
وقد ذهب طائفة من العلماء الى أنه ليس لقائل أن يقول ان لاحد من المتأخرين
معنى مبتدعاً فان قول الشعر قديم منذ انطق باللغة العربية وأنه لم يبق معنى من
المعاني الا وقد طرقت مراراً وهذا القول وان دخل في حيز الامكان الا أنه
لا يلتفت اليه لان الشعر من الامور المتناهية والذي نقلته الاخبار وتواردت
عليه أن العرب كانت تنظم المقاطيع من الابيات فيما يعنى لها من الحاجات
ولم يزل الحال على هذه الصورة الى عهد امرئ القيس وهو قبل الاسلام بمائة سنة
زائداً فمناقصاً قصداً القصائد وهو أقول من قصده ولولم يكن له معنى اختص به سوى
أنه أقول من قصده القصائد لكان في ذلك كفاية وأى فضيلة أكبر من هذه
الفضيلة ثم تتابع المقصودون واختير من القصائد تلك السبع التي علقت على
البيت وانفتح للشعراء هذا الباب في التقصيد وكثرت المعاني المقولة بسببه ولم
يزل الامر ينمى ويزيد ويؤتى بالمعاني الغريبة واستمر ذلك الى عهد الدولة العباسية
وما بعدها الى الدولة الحمدانية فعظم الشعر وكثرت أساليبه وتشعبت طرقه وكان
ختامه على الثلاثة المتأخرين وهم أبو تمام حبيب بن أوس وأبو عباد الواسطي
ابن هبيل الجعفي وأبو الطيب المتنبى فاذا قيل ان المعاني المبتدعة سبق اليها
ولم يبق معنى مبتدع عورض ذلك بما ذكرته والصحيح أن باب الابتداع للمعاني
مفتوح الى يوم القيامة ومن الذي يحجر على الخواطر وهي فاذفة بما لانهاية له
الا أن من المعاني ما يتساوى الشعراء فيه ولا يطلق عليه اسم الابتداع لا قول
قبل آخر لان الخواطر تأتي به من غير حاجة الى اتباع الآخر الا قول كقولهم
في الغزل عفت الديار وما عفت آثارهن من القلوب

وكقولهم ان الطيف يجود بما يضل به صاحبه وان الواشي لو علم جزا الطيف
لسامه وكقولهم في المديح ان عظامه كالبحر وكالصحاب وأنه لا يمنع عطاء اليوم
عطاء غد وأنه يجود ابتداء من غير مثله وأشياء ذلك وكقولهم في المراثي
ان هذا الرزأ أول حادث وأنه استوى فيه الاباعد والاقارب وان الذاهب
لم يكن واحداً وانما كان قبيلة وان بعد هذا الذاهب لا يعد لامنية ذنب وأشياء
ذلك وكذلك يجري الامر في غير ما أنشئت اليه من معان ظاهرة تتوارد الى الخواطر

عليها من غير كافة وتستوى في ايرادها ومثل ذلك لا يطلق على الاخر فيه اسم
السرقه من الاول وانما يطلق اسم السرقه في معنى مخصوص كقول أبي تمام
لاتسكروا ضربا لمن دونه * مثلا شرودا في الندي والباس
فان الله قد ضرب الاقل للنوره * مثلا من المشكاة والنبراس
فان هذا معنى مخصوص ابتدعه أبو تمام وكان لا بداعه سبب والحكاية فيه
مشهورة وهي أنه لما أنشد أجد بن المعتصم قصيدته السينية التي مطلعها
ما في وقوفك ساعة من باس * انتهى الى قوله

أقدام عمرو في سماعة حاتم * في سلم أحنف في ذكاء اياس
فقال الحكيم الكندي وأي تخبرني تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب
فأطرق أبو تمام ثم أنشد هذين البيتين معتذرا عن تشبيه اياه بعمرو وحاتم واياس
وهذا معنى يشهد به الحال أنه ابتدعه فن أتى من بعده بهذا المعنى أو يجز منه فانه
يكون سارقاله وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي في عضد الدولة وولديه
وأنت الشمس تهر كل عين * فكيف وقد بدت معها اثنتان
فما شاء عيشة القمر ينحني * بضوئهم ما ولا يتصل سدان
ولامد كاسوى ملك الاعادى * ولا ورثا سوى من يقتلان
وسكان ابناعدو كازاء * له ياءى حروف أنيسيان
وهذا معنى لأبي الطيب وهو الذي ابتدعه أي أن زيادة أولاده قد وكز زيادة
التصغير فانهم ازيادة نقص وما ينبغي أن يقال ان ابن الرومي ابتدع هذا المعنى
الذي هو

يشكى الحب ويلقى الدهر شاكية * كالقوس تصمى الرمايا وهي مرنان
فان علماء البيان يزعمون أن هذا المعنى مبتدع لابن الرومي وليس كذلك ولكنه
ما أخذ من المثل المضروب وهو قولهم يلدغ ويصم ويضرب ذلك ما يبتدئ
بالأذى ثم يشكو وانما ابن الرومي قد ابتدع معاني أخر غير ما ذكرته وليس الغرض
أن يؤتى على جميع ما جاء به هو ولا غير من المعاني المبتدعة بل الغرض أن يبين
المعنى المبتدع من غيره والذي عندى في السرقات أنه متى أوردت الأخر شيئا
من ألفاظ الاول في معنى من المعاني ولو لفظة واحدة فان ذلك من أدل الدليل
على سرقته (واعلم) أن علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فأكثرها

وكنيت ألفت فيه كتابا وقسمته ثلاثة أقسام نسخا وطلعا ومسحفا أما النسخ فهو أخذ
 اللفظ والمعنى برمتيه من غير زيادة عليه مأخوذ ذلك من نسخ الكتاب وأما السسخ
 فهو أخذ بعض المعنى مأخوذ ذلك من سسخ الجلد الذي هو بعض الجسم المستلخ
 وأما المسخ فهو حالة المعنى إلى ما دونه مأخوذ ذلك من مسخ الأديمين قرودة
 (وهنا قسمان آخران) أخلت بكركهما في الكتاب الذي ألفتيه (فأحدهما)
 أخذ المعنى مع الزيادة عليه (والآخر) عكس المعنى إلى ضده وهذان القسمان ليسا
 بنسخ ولا سسخ ولا مسخ وكل قسم من هذه الأقسام يتنوع ويتفرع ويتفرع به
 القسمة إلى مسائل دقيقة وقد استأنفت ما فاتني من ذلك في هذا الكتاب والله
 الموفق للصواب ومن المعلوم أن السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها إلا بحفظ
 الأشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد فمن رام الأخذ بنواصيها والأشتمال
 على قواصيها بأن يتصفح الأشعار تصفحا ويقتنع بتأملها تأملا فلا يظفر منها
 إلا بالحواشي والأطراف وكنيت سافرت إلى الشام في سنة سبع وثمانين
 وخمسمائة ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدباؤها يلهجون ببيت
 من شعر ابن الخطيب في قصيدته أقوالها * خذ من صبا نجد أمانا لقلبه * ويزعمون
 أنه من المعاني الغريبة وهو

أغار إذا آنت في الحى آنة * حذارا عليه أن تكون لحبه

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من شعر أبي الطيب المتنبي في قوله

لو قلت للدنف المشوق قد يتيه * مما به لا تختره بفدائه

وقول أبي الطيب أدق معنى وإن كان قول ابن الخطيب أرق لفظا ثم إنى وقفتم -
 على مواضع كثيرة من شعر ابن الخطيب قد أخذها من شعر المتنبي وسافرت إلى
 الديار المصرية في سنة ست وتسعين فوجدت أهلها يلهجون ببيت من الشعر
 يعزونه إلى شاعر من أهل اليمن يقال له عمارة وكان حديث عهد بزما مشاهير
 في آخر الدولة العلوية بمصر وذلك البيت من جملة قصيدة له يمدح بها بعض خلفائها
 عند قدومه عليه من اليمن وهو

فهل درى البيت أنى بعد فرقته * ما سرت من حرم إلا إلى حرم

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من شعر أبي تمام في قوله ما دحا لبعض الخلفاء في حجة
 حجها وذلك بيت من جملة أبيات حسنة

يا من رأى حرماً يسرى إلى حرم * طوبى لمن لم يأتى وملازم
 ثم قلت فى نفسى يا لله العجب ليس أبو تمام وأبو الطيب من الشعراء الذين درست
 أشعارهم ولا هما ممن لم يعرف ولا أشتهر أمره بل هما كما يقال أشهر من الشمس
 والقمر وشعرهما دائر فى أيدي الناس بخلاف غيرهما فكيف خفى على أهل مصر
 ودمشق بينما ابن الخياط وعمارة المأخوذان من شعرهما وعلمت حينئذ أن سبب
 ذلك عدم الحفظ لأشعارهما والافتناع بالنظر فى دواوينهما وإنما نصبت نفسى
 للفرغ من فى علم البيان ورمت أن أكون معدوداً من علمائه علمت أن هذه الدرجة
 لا تنال إلا بقل ما فى الكتب إلى الصدور والاكتفاء بالمحفوظ عن المسطور
 ليس بعلم ما حوى القمطر * ما العلم إلا ما حواه الصدر
 ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع وأنفدت شطراً من العمر فى الحفظ
 منه والمسموع فألفيته ببحر الإيقاف على ساحله وكيف ينتهى إلى احصاء قول
 لم يخص أسماء قائله فعند ذلك اقتصرمت منه على ما تكثرت فوائده وتنشعب
 مقاصده ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم فى اتباع من قصر نظره على الشعر
 القديم إذ المراد من الشعراء ما هو أيداع المعنى الشريف فى اللفظ البزل
 واللطيف فنى وجد ذلك فى كل مكان خيمت فهو بابل وقد اكتفيت فى هذا شعر
 أبي تمام حبيب بن أوس وأبي عبادة الوليد وأبي الطيب المتنبي وهؤلاء الثلاثة
 هم لآل الشعر وعزاه ومناته الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته
 وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء وجعت بين الأمثال
 السائرة وحكمة الحكماء أما أبو تمام فإنه ربّ معان وصيقل ألباب وأذهان
 وقد شهد به بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر فهو غير مدافع عن مقام الأعراب
 الذى برز فيه على الأضراب ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ولم أقل
 ما أقول فيه إلا عن تنقيب وتنقيب فن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه
 وراض فذكره برائضه أطاعته أعنته الكلام وكان قوله فى البلاغة
 ما هات حذام نخدمنى فى ذلك قول حكيم وتعلم ففوق كل ذى علم عليم وأما
 أبو عبادة البحرى فإنه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنى
 ولقد سار طرقي الرقة والجزالة على الإطلاق فينبأ يكون فى شـ خلف فيجد اذ
 نشبت بريف العراق وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه

فقال أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري واحد - مري انه أنصف في حكمه
وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه فان أبا عبادة أتى في شعره بالمعنى المقدود ومن
الصخرة انصماء في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء فأدرك بذلك بعد المرام مع
قربه الى الافهام وما أقول الا أنه أتى في معانيه بأخلاق الغالية ورقى في دياره
نظمه الى الدرجة العالية وإنما أبو الطيب المتنبي فانه أراد أن يسلط مسلط أبي
تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قيادته ما أعطاه لكنه حناني في شعره
بالحكم والامثال واختص بالابداع في وصف مواقف القتال وأنا أقول قولاً
لست فيه متأنساً ولا منه متلماً وذلك أنه اذا خاض في وصف معركة كان لسانه
أعشى من نصالها وأتجبع من أبطالها وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها
حتى تظن الفريقين قد تقابلوا والسلاحين قد تواصلوا فطريقه في ذلك تضل
بسالكم وتقوم بعذر تاركه ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة
ابن جردان فيصف لسانه ما أتى اليه عيانه ومع هذا فاني رأيت الناس عادلين
فيه عن سنن التوسط فاما فطرط في وصفه واما فطرط وهو وان انفرد بطريق
صار أبا عذره فان سعادة الرجل كانت أكبر من شعره وعلى الحقيقة فانه خاتم
الشعراء ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الاطراء واقد صدق في قوله
من أبيات يدرج بها سيف الدولة

لا تطلبن كرمي بعد رقيته * ان الكرام باسماهم يداختموا
ولا تبال بشعر بعد شاعره * قد أفسد القول حتى أحسد الصمم
ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى وعين المعرفة التي ماضل
صاحبها وما غوى وجدته أقساماً خمسة خمس في الغاية التي انفرد بها دون غيره
وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه غيره وخمس من متوسط الشعر وخمس
دون ذلك وخمس في الغاية المتهقرة التي لا يعابها وعدمها خير من وجودها
ولولم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها فانها هي التي ألبسته لباس الملام
وجعلت عرضه شارقة لاسهام الافوام واسائل ههنا أن يسأل ويقول لم عدت
الى شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم فأقول اني لم أهمل اليهم اتفاقاً وانما عدت
اليهم نظراً واجتهاداً وذلك أني وقفت على أشعار الشعراء قديماً وحديثاً حتى
لم أترك ديواناً للشاعر مفلق يثبت شعره على الحك الا وعرضته على نظري فلم أجد

أجمع من ديوان أبي تمام وأبي الطيب للمعاني الدقيقة ولا أكثر استخراجا
منهم ما للطف الاغراض والمقاصد ولم أجدا أحسن تهذيبا للالفاظ من
أبي عباد ولا أنقش ديباجة ولا أبهج سبكا فاخترت حينئذ ذروا وينهم
لا شتما لها على محاسن الطرفين من المعاني والالفاظ ولما حفظتها ألفت
ماسواها مع ما بقى على خاطري من غيرها (وقد أوردت) في هذا الموضع من
السرقات الشعرية ما لم يورده غيري ونهت على غوامض منها وكنت قدمت
القول أني قسمتها الى خمسة أقسام منها الثلاثة الاول وهي النسخ والسخ والمسخ
ومنها القسمان الآخران وهما أنا أبين ما تنقسم اليه هذه الاقسام من تشعبها
وتفرعها فأقول (أما النسخ) فانه لا يكون الا في أخذ المعنى واللفظ جميعا أو
في أخذ المعنى وأكثر اللفظ لانه مأخوذ من نسخ الكتاب وعلى ذلك فانه ضربان
(الاول) يسمى وقوع الحافر على الحافر كقول امرئ القيس

وقوفاها صعبى على مطيهم * يقولون لاتهمك أسى وتحمل
وكقول طرفة وقوفاها صعبى على مطيهم * يقولون لاتهمك أسى وتحمل
وقد أكثر الفرزدق وجريز من هذا في شعرهما (غنة) ما وردا فيه مورد اخرى
القيس وطرفة في تخالفهما في لفظة واحدة كقول الفرزدق
أعدل أحسابا لما حاتمها * بأحسابنا الى الله راجع
وكقول جريز

أعدل أحسابا كراما حاتمها * بأحسابكم انى الى الله راجع
(ومنه) ما تساوى فيه لفظا بلفظ كقول الفرزدق
وغرقد وسعت مشمرات * طوالع لا تطبق لها جوابا
بكل تنبئة وبكل تغر * غرائبهن تنسب اتسابا
بلغن الشمس حين تكون شرقا * وسقط رأسها من حيث غابا
وكذلك قال جريز من غير أن يزيد وقد حكى أن امرأة من عقيل يقال لها ليلى
كانت تخطب اليها الشباب فدخل الفرزدق اليها وجعل يحاذيها وأقبل فتى
من قومها كانت تألفه فدخل اليها فأقبلت عليه وتركته الفرزدق فغاطة ذلك
فقال لفتى أتمار عني فقال ذال اليك فقام اليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق
فتمبرعه وجلس على صدره فضرط فوثب الفتى عنه وقال يا أبا فراس هذا مقام

العائد بك والله ما أردت ما جرى فقال ويحك والله ما بي أنك صرعتني وانك
كانت بآبى الاتان يعني جريرا وقد بلغه خبري فقال يهيجوني

جلمت الى ابلى لتخطي بقريها * تخافك دبر لا يزال يخون
فلو كنت ذا حزم شددت وكاه * كما شدد جريان الدلاص قيون

قال فوالله ما مضى الا أيام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه هذين البيتين وهذا من
أضرب ما يكون في مثل هذا الموضع وأعجبه ويقال ان الفرزدق وجريرا كانا
ينطقان في بعض الاحوال عن ضمير واحد وهو ذاعندي مستبعدة فان ظاهر
الامر يدل على خلافه والباطن لا يعلمه الا الله تعالى والا فاذارأينا شاعرا متقدما
الزمان قد قال قولاً ثم معناه من شاعر أتى من بعده علمنا بشهادة الحال أنه
أخذه منه وهب أن الخواطر تتفق في استخراج المعاني الظاهرة المتداولة فكيف
تتفق الالسنمة أيضا في صوغها الالفاظ (ومما كنت أستعجبه) من شعر أبي
نواس قوله من قصيدته التي أولها * دع عنك لومي فان اللوم اغراء

دارت على قسمة ذل الزمان لهم * فما يصيبهم الا بما شاؤا
وهذا من عالي الشعر ثم وقعت في كتاب الاغانى لابي الفرج على هذا البيت
في أصوات معبد وهو

له في على قسمة ذل الزمان لهم * فما أصابهم الا بما شاؤا
وما أعلم كيف هذا (الضرب الثاني من النسخ) وهو الذي يؤخذ فيه المعنى وأكثر
اللفظ كقول بعض المتقدمين يمدح معبدا صاحب الغناء
أجاد طويس والسريجي بعده * وما قصبات السبق الا لمعبد
ثم قال أبو تمام

محاسن أصناف المغنين جمة * وما قصبات السبق الا لمعبد
وهذه قصيدة أولها * غدت تستجير الدمع خوف نوى غد * فقال
وقائع أصل النصر فيها وفرعه * اذا عدد الاحسان أو لم يعدد
فهم ما تكن من وقعة بعد لا تكن * سوى حسن مما فعلت مردد
محاسن أصناف المغنين جمة * البيت (وأما السليخ) فانه ينقسم الى اثني عشر ضربا
وهذا تقسيم أوجبته القسمة واذا تأملته علمت أنه لم يبق شيء خارج عنه (فالاول)
أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يصحكون هو اياه وهذا

من أدق السرقات مذهبا وأحد - منها صورة ولا يأتي الا قليلا (فن ذلك) قول
بعض شعراء الجاسة

أخذ زادني حيا النفسى أتى * بغض الى كل امرئ غير طائل
أخذ المتنبي - هذا المعنى واستخرج منه معنى آخر غيره الا أنه شبه به فقال
واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهي الشهادة لي بأنى فاضل

والعرفة بأن هذا المعنى أصله من ذلك المعنى عسر عامض وهو غير متبين الا لمن
أعرق في ممارسة الاشعار وغاص في استخراج المعاني، ويؤيد أنه أن الاول يقول
ان بغض الذى هو غير طائل اياى مما زاد نفسى حيا الى أى جملها فى عيسى
وحسنه عندى كون الذى هو غير طائل مبغضى والمتنبي يقول ان ذم
الناقص اياى شاهد بفضلى فذم الناقص اياه كبغض الذى هو غير طائل ذلك
الرجل وشهادة ذم الناقص اياه بفضله كحسين بغض الذى هو غير طائل نفس
ذلك الرجل عنده (ومن هذا الضرب) ما هو أظهر مما ذكرته وأبين كقول أبي تمام
وعنه القيا فى بعد ما كان حقة * رعاها وماء الروض ينل ساكبه

أخذ البحترى هذا المعنى واستخرج منه ما يشابهه كقوله فى قصيدة يفخر فيها بقومه
شيخان قد ثقل السلاح عليهما * وعداهما رأى الجميع المبصر
وبكا القنا من بعد ما جلا القنا * فى عسكر متحامل فى عسكر

فأبو تمام ذكر أن الجمل رعى الارض ثم سار فيها فرعته أى أهزأته فكأنها فعلت
به مثل ما فعل بها والبحترى نقل هذا الى وصف الرجل بعلى السن والهرم فقال
انه كان يحمل الرمح فى القتال ثم صار يركب عليه أى يتوكأ منه على عصا كما يفعل
الشيخ الكبير وكذلك ورد قول الرجلين أيضا فقال أبو تمام

لا أظلم النأى قد كانت خلافتها * من قبل وشك القوى عندي نوى قدفا
أخذ البحترى فقال

أعانتك ما كان الشهاب مقتربي * اليك فالخى الشيب اذ هو مبعدي
وهذا أوضح من الذى تقدمه وأكثر بياناً (الضرب الثانى من السيلج)
أن يؤخذ المعنى مجردا من اللفظ وذلك مما يصعب جدا ولا يكاد يأتي الا قليلا
(فنه) قول عروة بن الورد من شعراء الجاسة

ومن يك مثلى ذاعبال ومقتر * من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذرا أو ينال رغبة * ومبلغ نفس عذرها مثل منجى
أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة * تقوم مقام النصر اذ فاته النصر
فعمرو بن الورد جعل اجتهاده في طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح وأبو تمام
جعل الموت في الحرب الذي هو غاية اجتهاد الجهمي في لقاء العدو قائما مقام
الاتصار وكلا المعنيين واحد غير أن اللفظ مختلف وهذا الضرب في سرقات
المعاني من أشكلها وأدقها وأغربها وأبعدها مذهبها ولا يتقطن له ويستخرجه
من الاشعار إلا بعض الخواطر دون بعض وقد يبي منه ما هو ظاهر لا يبلغ في الدقة
مبلغ هذه الابيات المشار إليها كقول ابن المقفع في باب الرثاء من كتاب الحماصة
فقد جرت فعا فقد نال كاتنا * أمانا على كل الرزايا من الجزع
وجاء بعده من أخذ هذا المعنى فقال

وقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود
وهذا من البديع النادر وههنا ما هو أشد ظهورا من هذين البيتين في هذا
الضرب من السرقات الشعرية وذلك يأتي في الالفاظ المترادفة التي يقوم بعضها
مقام بعض وذلك لا اعتدادا بهما كان وضوحه الكن قد يبي منه ما هو صفة
من صفات الترادف لا الاسم نفسه فيكون حسنا كقول جرير
ولا يمنعك من أربطاهم * سواء ذو العمامة والخمار

أخذ أبو الطيب المتنبي هذا المعنى فقال
ومن في كفه منهم قناة * كن في كفه منهم خضاب
(الضرب الثالث من السلق) وهو أخذ المعنى ويسير من اللفظ وذلك من أقيس
السرقات وأظهرها شناعة على السارق فن ذلك قول الجعفي في غلام
فوق ضعف الصغيران وكل الامم * راليه ودون كيد الكبار

سبقة أبو نواس فقال
لم يخف من كبر عماير ادية * من الامور ولا أزرى من الصغر
وكذلك قوله أيضا
كل عياله انقضاء وكفى * كل يوم من جوده في عياله

أخذه من علي بن جبلة

للعيد يوم من الايام منتظر * والناس في كل يوم منك في عيد
وكذلك قوله جاد حتى أفى السؤال فلما * باد منا السؤال جاداً بهداه
أخذه من علي بن جبلة

أعطيت حتى لم تدع لك سائلا * وبدأت اذ قطع العقاة سؤالها
وقد افترض الجحري في هذه الما أخذ غاية الافتضاح هذا على بسطة بابه في الشعر
وغناء عن مثلها (وقد سلك هذه الطريق في قول الشعراء) ولم يستفكفوا من
سألو كهنا فمن فعل ذلك أبو تمام فإنه قال

قد قلصت شفتاه من حفيظته * تخيل من شدة التعبيد من مبتسها
سبقة عبد السلام بن رعبان المعروف بديك الجن فقال

واذا شئت أن ترى الموت في صو * زكيت في لبدي ريبال
قاله غير أنما لبدي تام * أبيض صارم وأسمـر عال
تاق ليشاقـد قلصت شفتاه * فبهرى ضاحكاً لعبد الصيال
وكذلك قال أبو تمام

فلم أمدحك تفخيماً بشعري * ولكني مدحت بك المادحيا
أخذه من حسان بن ثابت في مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال
ما ان مدحت محمد اذ عقالتي * لكن مدحت مقالتي بحمد
ولاشك أن أبا بكر رضى الله عنه سمع قول حسان حيث استخاف عمر رضى الله
عنه فقال له عمر استخاف غيري فقال أبو بكر رضى الله عنه ما جبنالك بها وانما
حبوناها بك وهكذا فعل ابن الرومي فيما جاء له قوله

جر حمة العيون فاقصص منهل * يجوي في القلوب دأبى التدوب
سبقة أبو تمام فقال

ادميت باللعظات وحيثه * فاقصص ناظره من القلب
وكذلك قول ابن الرومي

وكانت مجدك في اقتضائك حاجتي * وكفى به متقاضيا ووكيلا
سبقة أبو تمام فقال

واذا التجرد كان عوفي على المر * تقاضيته بترك التقاضى
وكذلك قال ابن الرومي

ومالي عزاء عن شبابي علمته * سوى أني من بعده لا أخلد
سبعة منصور النخري فقال

قد كنت أقضي على قوت الشباب أسا * لولا تغزي أن العيش منقطع
وكذلك فعل أبو الطيب المتنبي فيما جاء منه قوله
فدي نفسه بثمان النصار * وأعطى صدور القنا الذابل
أخذه من قول الفرزدق

كان الفداء له صدور رماحنا * والخيل أذرهج الغبار مثار
وكذلك قوله أيضا

أين أزمعت أي هذا الهمام * نحن نبت الربا وأنت الغمام
أخذه من بشار حيث قال

كان الناس حين تغيب عنهم * نيات الأرض أخطأه القطار
وكذلك قوله فلا زلت ديارك مشرقا * ولادانيت يا شمس الغروب
لاصبح آمنًا فيك الزبا * كما أنا آمن فيك العيوب
أخذه من ابن الرومي حيث قال

أسلم قد سلمت من العيوب * الا فاسلم كذلك من الخطوب
والذي عندي في الضرب المشار إليه أنه لا بد من مخالفة المتأخر المتهتم بما بان
بأخذ المعنى فيزيده معنى آخر أو يوجز في إفظه أو يكسوه عبارة أحسن من عبارته
(ومن هذا الضرب) ما يستعمل على وجه يزداد قبحه وتكثر الإشاعة به وهو أن
يأخذ أحد الشعراء معنى من قصيدة لصاحبه على وزن وقافية فيودعه قصيدة
له على ذلك الوزن وتلك النافية ومثاله في ذلك كمن سرق جوهرة من طوق
أو نطاق ثم صاغها في مثل ما سرقة أمته والاولى به أن كان نظم تلك الجوهرة
في عقد أو صاغها في سوار أو خنخال ليكون أكرم لامرئها وعن فعل
ذلك من الشعراء فافتضح أبو الطيب المتنبي حيث قال في قصيدته التي أولها
غيري يا كثر هذا الناس يصدع

لم يلم الكثر في الأعقاب مهجته * ان كان أسلمها الإصحاب والشيع
وهذه القصيدة مصوغة على قصيدة لابي تمام في وزنها وقافيتها أولها
أي القلوب عليكم ليس يصدع * وهذا المعنى الذي أورده أبو الطيب

أخوذ من بيت منها وهو

ما غاب عنكم من الأقدام أكرمه * في الروع اذ غابت الانصار والشيع
وليس في السرقات الشعرية أقبح من هذه السرقة فإنه لم يكف الشاعر فيها بأن
يسرق المعنى حتى ينادى على نفسه أنه قد سرقه (الضرب الرابع من السلخ)
وهو أن يؤخذ المعنى فيعكس وذلك حسن يكاد يخرج به حسنة عن حد السرقة
فمن ذلك قول أبي نواس

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم * أشهى المطى إلى ما لم يركب
كم بين حبة أولو مئة موية * ليست وحببة أولو لم تنقب
فقال مسلم بن الوليد في عكس ذلك

إن المطية لا يلدركوبها * حتى تدلل بالزمام وتركها
والحب ليس بنافع أربابه * حتى يفصل في النظام ويشعيا
ومن هذا الباب قول ابن جعفر

ولما بدلى أنها لا تريدني * وأن هواها ليس عني بمحبلى
تمنيت أن تهوى سواي لعلها * تذوق صبايات الهوى فترقلى
وقال غيره ولقد سرتني صدودك عني * في طلائيك وامتناعك مني
حذرا أن أكون مفتاح غيري * وإذا ما خلوت كنت التقي
أما ابن جعفر فإنه تداءب وألقى عن منكبه رداء الغيرة وأما الاسترخاء بالاضد
من ذلك وتعالى به غاية الغلو وكذلك ورد قول أبي الشيبان
أجد الملامة في هوالك لذينة * شغفا بذكرك فلباني الاوم
أخذ أبو الطيب المتنبي هذا المعنى وعكسه فقال

أأحبه وأحب فيه ملامة * إن الملامة فيه من أعدائه
وهذا من السرقات الخفية جدا ولأن يسعى ابتداءها أولى من أن يسعى سرقة
وقد توخيت في شيء من شعري نجاء حسنا فمن ذلك قولي
لولا الكرام وما سنوه من كرم * لم يدركا نل شعرك كيف يمدح
أخذته من قول أبي تمام

ولولا خلل سنها الشعر ما درى * بناء العلي من أين توثق المكارم
(الضرب الخامس من السلخ) وهو أن يؤخذ بعض المعنى فمن ذلك قول أمية

ابن أبي الصلت يدح عبد الله بن جدعان

عطاؤك زين لامرئى ان حبونه * يسذل وما كل العطاء زين
وايس بشين لامرئى بذل وجهه * اليك كما بعض السؤال بشين
أخذه أبو تمام فقال

تدعى عطائيه وفرا وهى ان شهرت * كانت فخار المن يعفوه مؤثفا
مازلت منتظرا أعجبوبة زمنا * حتى رأيت سؤالا يجتنى شرفا
فأمية بن أبي الصلت أتى بمعنيين اثنين أحدهما أن عطاءك لزين والآخر أن عطاء
غيرك لشين وأما أبو تمام فإنه أتى بالمعنى الاول لا غير (ومن هذا الضرب) قول
على بن جبلة وآئل مالم يحوه متقدّم * وان نال منه آخر فهو تابع
فقال أبو الطيب المتنبي

ترفع عن عون المكارم قدره * فما يفعل الفعلات الا عذاريا
فعلى بن جبلة اشقل ما قاله على معنيين أحدهما أنه فعل مالم يفعله أحد من
تقدمه وان نال منه الاخر شيئا فاعلمنا هو متقدمه وتابع له وأما أبو الطيب المتنبي
فإنه لم يأت الا بالمعنى الواحد وهو أنه يفعل مالا يفعله غيره غير أنه أبرزه في صورة
حسنة ومن ذلك قول أبي تمام

كأن برب المجدي علم أنه * لم يبتدأ عرف اذا لم يقم

فقال الجعفرى

ومثل ان أبدى الفعال أعاده * وان صنع المعروف زاد وقما
فأبو تمام قال ان الممدوح برب صنيعه أى يستدعيه ويعلم أنه اذا لم يستدعه
فما ابتدأه والجعفرى قال انه يستديم صنيعه لا غير وذلك بعض ما ذكره أبو تمام
وكذلك قال الجعفرى

ادفع بامثال أبى غائب * عادية العدم أواسة عفف

أخذه من تقدمه حيث قال

انج الفضل أو تفل عن الدنيا * ما فها تان غاية الوهم
فالجعفرى أخذ بعض هذا المعنى ولم يستوفه وكذلك ورد قول ابن الرومى
نزام على هام المعالى اذا ارتقى * اليها أناس غيركم بالسلام
أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

فوق السماء وفوق ما طلبوا * فإذا أرادوا غاية نزولها
وهذا بعض المعنى الذي تضمنه قول ابن الرومي لأنه قال انكم نزلتم على هام المعالي
وان غيركم يرقى اليها رقبيا * وأما المتنبي فإنه قال انكم اذا أردتم غاية نزلتم
وأما قوله فوق السماء فإنه يغنى عنه قول ابن الرومي نزلتم على هام المعالي
اذ المعالي فوق كل شيء لانها مختصة بالعلو مطلقا (الضرب السادس من
السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيزداد عليه معنى آخر فتعجب منه قول الاخضر
ابن شهاب

اذا قصرت أسيا فانا كان وصلها * خطانا الى أعدائنا فنضارب
أخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه وهو قوله
ان قصر الرمح لم يمش الخطاء عددا * أو فزرد السيف لم يهزم به غريد
وكذلك ورد قول جرير في وصف آيات من شعره
غرائب آلاف اذا حاز وردها * أخذن طريقا لاقصائد معانا
أخذه أبو تمام فزاد عليه اذ قال في وصف قصيدته وقرن ذلك بالمدوح
غرائب لاقت في فنائك أنسها * من المجد فهوى الآن غير غرائب
وكذلك ورد قول ولده مسleme بن عبد الملك
أذل الحياة وكره الممات * وكلا أراء طعاما ويبسلا
فان لم يكن غيرا حادها * فسير الى الموت سيرا بجيلا
أخذه أبو تمام فقال

مثل الموت بين عينية والذل وكلا رآه خطبا عظيما
ثم سارت به الحبيسة قدما * فأمات العدا ومات كريما
فزاد عليه بقوله * فأمات العدا ومات كريما * ويروى أنه نظر عبد الله بن علي
رضي الله عنه عند قتال مروانية الى فتى عليه أبهة الشرف وهو يبلى في القتال
بلاء حسنا فناداه يا فتى لك الامان ولو كنت مروان بن محمد فقال الا أكنه
فلمست بدونه قال فلك الامان ولو كنت من كنت فأطرق ثم تمثل بهذين البيتين
المدكورين وكذلك ورد قول أبي تمام
يصدعن الدنيا اذا عن سودد * ولو برزت في زى عذراء فاهد
أخذه من قول المعذل بن غيلان

ولست بنظر الى جانب العلا * اذا كانت العليا في جانب الفقر
الا أنه زاده زيادة حسنة بقوله * ولو برزت في زى عذرا فأتاخذ * ومما يجرى هذا
الجرى قول البحتري خل عنا فانما أنت فينا * واودعروا وكالحديث المعاد
أخذه من قول أبي نواس

قل لمن يدعى سليمان سقاها * لست منها ولا قلامه ظفر
انما أنت ماصق مثل واو * ألحقت في الهجاء ظلماء بعمر
الا أن البحتري زاد على أبي نواس في قوله أو كالحديث المعاد وهو كذا ورد
قول البحتري أيضا

ركبوا الفرات الى الفرات وأملوا * جذلان يبدع في السماح ويغرب
أخذه من مسلم بن الوليد في قوله

ركبت اليه البحر في موخراته * فأوفت بنا من بعد بحر الى بحر
الا أن البحتري زاد عليه بقوله جذلان يبدع في السماح ويغرب وكذلك ورد
قول أبي نواس وليس لله يستنكر * أن يجمع العالم في واحد
وهذا البيت قد لهج به الناس لهجا كثيرا ومنهم من ظنه مبتدأ لابي نواس ويحكي
عن أبي تمام أنه دخل على ابن أبي دؤاد فقال له أحسبك عاتبا يا أبا تمام فقال انما
يعتب علي واحد وأنت الناس جميعا قال من أين هذه يا أبا تمام قال من قول
الحاذق أبي نواس وأنشده البيت وهذه الحكاية عندي موضوعة لان أبا تمام
كان عارفا بالشعر حتى أنه قال لم انظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا
للنساء خاصة دون الرجال وما كان يخفى عنه أن هذا المعنى ليس لابي نواس
وانما هو مأخوذ من قول جرير

اذا غضبت عليك بنو عيم * حسبت الناس كلهم غضايا

الا أن أبا نواس زاده زيادة حسنة وذلك أن جريرا جعل الناس كلهم بنو عيم وأبا
نواس جعل العالم كله في واحد وذلك أبلغ * ومما يلاحظ في هذا البيت قول
الفرزدق علام تلفتين وأنت تحق * وخير الناس كلهم أممي
متى تأتى الرصافة تستريحى * من الأنساع والدير الدواحي
أخذه أبو نواس فصار أملك به وأحسن فيه غاية الاحسان فقال
واذا المطى بنا بلغن محمدا * قطه ورهق على الرجال حرام

فأفرزدق قال تستريحني من الانساع والديبالدواحي وليست استراحتم إيمانة
من معاودة انعام مرة أخرى وأما أبو نواس فإنه حرم ظهوره من على الرجال
أي أنهم اتعنى من السفر اعفاء مسقطر ولا شك أن أبا نواس لم يقنعه لهذه الزيادة
الامن فعل العرب في السائبة والبحيرة وعلى هذا الاسلوب ورد قول المتنبي
وملومة زرد ثوبها * ولكنه بالقنا محفل

أخذ من أبي نواس في قوله

امام خديس أرجوان كانه * قبض محول من قنا وحياد
فزاد أبو الطيب زيادة صار بها أحق من أبي نواس به هذا المعنى وكذلك قال
أبو الطيب المتنبي

وان جاد قبلك قوم مضوا * فانك في الكرم الاقل

فأخذته أنا وزدت عليه فقلت

أنت في الجود أول وقضى الله بأن لا يرى لك الدهر ثمانى
وهذا النوع من السرقات قليل الوقوع بالنسبة الى غيره (الضرب السابع من
السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة الأولى وهذا هو
المهود الذي يخرج به حسنه من باب السرقة فمن ذلك قول أبي تمام
جدلان من ظفر حران ان رجعت * مخضوبة منكموا أظفارهم بدم
أخذ البهتري فقال

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها
ومن هذا الاسلوب قوالها أيضا فقال أبو تمام

إن الكرام كثير في البلاد وان * قلوا كما غيرهم قلوا وان كثروا
وقال البهتري قل الكرام فصار يكثر مدحهم * ولقد يقل الشئ حتى يكثر
وعلى هذا النحو ورد قول أبي نواس

يدل على ما في الضمير من الفتى * تقاب عينيه الى شخص من حموى
أخذ أبو الطيب المتنبي فقال

وإذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل

وعما يتنظم في هذا السلك قول أبي الطيب المتنبي

إذا ما زددت من بعد التناهي * فقد وقع انتفاضي في ازدياد

أخذ ابن نباتة السعدي فقال

إذا كان نقصان الفتي من مقامه * فكل صحيح في الأناام عليل
وكذلك ورد قول أبي العلاء بن سليمان في مرثية

وما كلفة البدر المنيرة قديمة * ولكن في وجهه أثر الألام

أخذ الشاعر المعروف بالقيصري فقال

وأهوى التي أهوى لها البدر ساجدا * ألت تری فی وجهه أثر الترب
وكذلك قول ابن الرومي

إذا شئت عين امرئ شيب نفسه * فعين سوام بالشناءة أجدر

أخذ من تأخر زمانه عنه فقال

إذا كان شبي بغية ضالتي * فكيف يكون اليها حبيبيا

وعما يضطر في هذا السلك قول بعضهم

محصرة الأوساط زانت عقودها * بأحسن مما زينت عقودها

أخذ أبو تمام فقال

كان عليها كل عقد ملاحمة * وحسنوا أن أضحت وأمست بلا عقد

ثم أخذ العتري فقال

إذا أطقأ الياقوت اشراق وجهها * فإن عناء ما بوخت عقودها

وأمثال هذا كثيرة وفيما أوردناه مقنع (الضرب الثامن من السلق) وهو أن
يؤخذ المعنى ويسبك سبكاً موزناً وذلك من أحسن السرقات لما فيه من الدلالة

على بسطة الناظم في القول وسعة بآءه في البلاغة فمن ذلك قول بشار

من راقب الناس لم يظفر بمماجته * وقاز بالطيبات الفاتك اللهم

أخذ سليم الخاسر وكان تلميذه فقال

من راقب الناس مات غما * وقاز بالآفة الجسور

فبين البيتين أفتتان في التأليف ومن هذا الأسلوب قول أبي تمام

برزت في طلب المعالي واحدا * فيها تسير مغورا وحيدا

عجب بأنك سالم في وحشة * في غاية ما زلت فيها فردا

أخذ ابن الرومي فقال

غزبه الخلاق الزهر في النا * س وما أوحشته بالغريب

وكذلك ورد قول أبي نواس
 وكنت بالدهر عينا غير غافلة * من جودك نأسو كل ما جرحا
 أخذته ابن الرومي فقال
 الدهر يفسد ما استطاع وأحمد * يتبع الفساد بالاصلاح
 وعلى هذا ورد قول ابن الرومي
 كائن أسدني بك ابن حنية * اذا النزع أدناه من الصدر أبعدا
 أخذته بعض شعراء الشام وهو ابن قسيم الجدي فقال
 فهو كالسهم كلما زدت منه * كدت نوا بالنزع زادك أبعدا
 واقعت جماعة من الادباء بالشام ووجدتهم يزعمون أن ابن قسيم هو الذي ابتدع
 هذا المعنى وليس كذلك وإنما هو لابن الرومي وما يجري هذا الجري قول أبي
 العتاهية واني لمعذور على فرط حبها * لان لها وجه ايدل على عذري
 أخذته أبو تمام فقال
 له وجهه اذا أبصر * نه نالنا عن عذري
 فأوجز في هذا المعنى غاية الایجاز وما يجري على هذا النهج قول أبي تمام
 كانت مساء لركبان تضرني * عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر
 سقى التقينا فلا والله ما سمعت * أذني بأحسن مما قد رأى بصري
 أخذته أبو الطيب المتنبي فأوجز حيث قال
 وأستكبرا لاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغرا نظيرنا خبر
 وكذلك قوله ما في موضع آخر فقال أبو تمام
 كم صار ما عضا أناف على قفا * منهم لا أعباء الوغى جال
 سبق المشيب إليه حتى ابتز * وطن انتهى من مفرق وقدال
 أخذته أبو الطيب فزاد وأحسن حيث قال
 يسابق القتل فيهم كل حادثة * فلما يصيبهم موت ولا هرم
 ومن هذا الضرب قول بعض الشعراء
 أمن خوف فقر تهجته * وأخرت اتفاق ما تجتمع
 فصرت الفقير وأنت الغني * وما كنت تعدو الذي تصنع
 أخذته أبو الطيب المتنبي فقال

قوله كم صار ما عضا أناف على قفا منهم لا أعباء الوغى جال

ومن يتفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقير
(الضرب التاسع من السليخ) وهو أن يكون المعنى عاما فيجعل خاصا أو خاصا
فيجعل عاما وهو من السرقات التي يسامح صاحبها فمن ذلك قول الاخطل
لاتنسه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
أخذه أبو تمام فقال

أألوم من بخلت يدها واغتدى * للبخل ربا ساء ذا الصنيعا
وهذا من العام الذي جعل خاصا ألا ترى أن الأول نهى عن الاتيان بما ينهى
عنه مطلقا وجاء بالخلق منكر الجعله شائعا في بابيه وأما أبو تمام فإنه خصص
ذلك بالبخل وهو خلق واحد من جملة الاخلاق وأما جعل الخاص عاما فكقول
أبي تمام ولو حاربت شول عذرت لقاحها * ولكن منعت الدر والضرع حافل
أخذه أبو الطيب المتنبي فجعله عاما اذ يقول

وما يؤلم الحرمان من كف حارم * كما يؤلم الحرمان من كف رازق
(الضرب العاشر من السليخ) وهو زيادة البيان مع المساواة في المعنى وذلك
بأن يؤخذ المعنى فيضرب له مثال يوضحه فمما جاء منه قول أبي تمام
هو الصنيع ان يحجل فنذع وان يرث * فلارث في بعض المواطن أنفع
أخذه أبو الطيب فأوضحه بمثال ضربه له وذلك قوله

ومن الخربطه سبيك عني * أسرع السهب في السير الجهم
وهذا من المبتدع لامن المسروق وما أحسن ما أتى به هذا المعنى في المثال
المناسب وكذلك قوالهما في موضع آخر فقول أبو تمام
قد قاصت شفتاه من حضيظته * تخيل من شدة التعيس مبتسما
أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

وجاهل مده في جهله ضحكي * حتى أتته يد فتراسه وفم
اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظن أن الليث مبيتسم
ومما ينخرط في هذا السلك قول أبي تمام
وكذا لم تفرط كآبة عاطل * حتى يجاورها الزمان بهمال
أخذه أبو عباد البهري فقال

وقد زادها افراط حسن جوارها * لا خلاق اصغار من الجور خيب

قوله وما يؤلم مع قوله كما يؤلم في الديوان يجمع بينهما اه

وحسن درارى الكواكب أن تثرى * طوالع في داج من الليل غيب
فانه أتى بالغنى مضر وبالهدى المثال الذى أوضعه وزاده حسنا (الضرب
الحادى عشر من السبع) وهو إيجاد الطريق واختلاف المقصد ومثاله أن يسلك
الشاعران طريقا واحدة فتخرج بهما الى موردين أو روضتين وهما لا يتبين فضل
أحدهما على الآخر فمما جاء من ذلك قول أبي تمام في مرثية بولدين صغيرين

مجد تآوب طارقا حتى اذا * قلنا أقام الدهر أصبح راحلا
نجمان شاء الله أن لا يطلعا * الا ارتداد الطرف حتى يافلا
ان الفجيرة بالرياض نواضرا * لا أجل منهم بالرياض ذوا بلا
لهفى على تلك الشواهد فيها * لو أخرت حتى تسكون شعا فلا
ان الهلال اذا رأيت غوه * أيقنت أن سيكون بدرا كاملا
قل للامير وان اقيمت موقرا * منه برب الحادثات حلا حلا
ان ترزى طرفى نهار واحد * رزأين هاجبا لوعة وبلا بلا
فالثقل ليس مضاعفا لطيفة * الا اذا ما كان وهما بلا
لا غرو ان فننان من عيادانه * لقينا حاما للبرية آكلا
ان الاشياء اذا أصاب مشذب * منها تمهل ذرا وأث أسافلا
سمعت خلالك أن يواسيك امرؤ * أو أن تذكر ناسيا أو غافلا
الامواء ظاهرا لك سحجة * اسبح لبك سامعا أو قافلا
هل تكلف الايدي به زمههه * الا اذا كان الحسام القاصلا
(وقال) أبو الطيب في مرثية بطفل صغير

فان تك فى قبر فانك فى الحشا * وان تك طفلا فلا لاسى ليس بالطفل
ومثلك لا يبكى على قدر سسته * ولكن على قدر الفراسة والاصل
أنت من القوم الذى من رماحهم * ندامهم ومن قتلاهم مهجة الهزل
بولودهم صحت اللسان كغيره * ولكن فى أعطافه منطق الفصل
تسليمهم علينا وهم عن مصابهم * ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل
عز أول سيف الدولة المقتدى به * فانك نصل والشهدا للصل
تخون المنايا عهده فى سلبه * وتنصره بين الفوارس والرجل
ينسى وليد عاد من بعده * الى بطين أم لا تطرق بالحل

وله مجد تآوب طارقا حتى اذا قلنا أقام الدهر أصبح راحلا
نجمان شاء الله أن لا يطلعا الا ارتداد الطرف حتى يافلا
ان الفجيرة بالرياض نواضرا لا أجل منهم بالرياض ذوا بلا
لهفى على تلك الشواهد فيها لو أخرت حتى تسكون شعا فلا
ان الهلال اذا رأيت غوه أيقنت أن سيكون بدرا كاملا
قل للامير وان اقيمت موقرا منه برب الحادثات حلا حلا
ان ترزى طرفى نهار واحد رزأين هاجبا لوعة وبلا بلا
فالثقل ليس مضاعفا لطيفة الا اذا ما كان وهما بلا
لا غرو ان فننان من عيادانه لقينا حاما للبرية آكلا
ان الاشياء اذا أصاب مشذب منها تمهل ذرا وأث أسافلا
سمعت خلالك أن يواسيك امرؤ أو أن تذكر ناسيا أو غافلا
الامواء ظاهرا لك سحجة اسبح لبك سامعا أو قافلا
هل تكلف الايدي به زمههه الا اذا كان الحسام القاصلا
(وقال) أبو الطيب في مرثية بطفل صغير
فان تك فى قبر فانك فى الحشا وان تك طفلا فلا لاسى ليس بالطفل
ومثلك لا يبكى على قدر سسته ولكن على قدر الفراسة والاصل
أنت من القوم الذى من رماحهم ندامهم ومن قتلاهم مهجة الهزل
بولودهم صحت اللسان كغيره ولكن فى أعطافه منطق الفصل
تسليمهم علينا وهم عن مصابهم ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل
عز أول سيف الدولة المقتدى به فانك نصل والشهدا للصل
تخون المنايا عهده فى سلبه وتنصره بين الفوارس والرجل
ينسى وليد عاد من بعده الى بطين أم لا تطرق بالحل

بداوله وعد الصحابة بالروى * وصدة وفينا غيرة البلد المحل
وقدمت الخيل العتاق عيونها * الى وقت تبديل الركاب من الفعل
وربيع له جيش العدو وما مشى * وجاشت له الحرب الضروس وما تغلى
فتأمل أي الناظر الى ما صنع هذان الشاعران في هذا المقصد الواحد وكيف
هام كل واحد منهما في واد منه مع اتفاقهما في بعض معانيه وسأبين لك ما اتفقا
فيه وما اختلفا وأذكر الفاضل من المفضول فأقول أما الذي اتفقا فيه
فإن أبا تمام قال لهني على تلك الشواهد فيما * لو أخرت حتى تكون شماتة
وأما أبو الطيب فإنه قال

بمولودهم صمت اللسان كغيره * ولكن في أعطافه منطق الفصل
فأني بالمعنى الذي أتى به أبو تمام وزاد عليه بالصناعة اللفظية وهي المطابقة في قوله
صمت اللسان ومنطق الفصل وقال أبو تمام
فجمان شاء الله أن لا يطاعها * الا ارتداد الطرف حتى يأفلا
وقال أبو الطيب

بداوله وعد الصحابة بالروى * وصدة وفينا غلة البلد المحل
فوافقه في المعنى وزاد عليه بقوله * وصدة وفينا غلة البلد المحل * لانه بين
قدر حاجتهم الى وجوده واتقاهم بجهلته (وأما ما اختلفا فيه) فإن أبا
الطيب أشعر فيه من أبي تمام أيضا وذلك أن معناه أمتن من معناه ومبناه
أحكم من مبناه وربما أكبر هذا القول جماعة من المقلدين الذين يعقون
مع شبهة الزمان وقدمه لامع فضيلة القول وتقدمه وأبو تمام وإن كان أشعر
عندي من أبي الطيب فإن أبا الطيب أشعر منه في هذا الموضع وبيان ذلك أنه قد
تقدم القول على ما اتفقا فيه من المعنى وأما الذي اختلفا فيه فإن أبا الطيب قال
عز أول سيف الدولة المقتدى به * فأنك نصل والشدايد لنصل

وهذا البيت بفرده خير من يبقى أبي تمام اللذين هما
ان ترزني طرفي نهار واحد * رزأين هاجالوعة وبلا بلا
قائلة قل ليس مضاعفا لمطية * الا اذا ما كان وهما بازلا
فإن قول أبي الطيب والشدايد لنصل أكرم لفظا ومعنى من قول أبي تمام
ان الثقل انما يضاعف للبازل من المطايا وقوله أيضا

تخون المنايا عهد في سلبه * وتنصره بين الفوارس والرجل
وهذا أشرف من يتي أبي تمام اللذين هما
لاغروا أن فننان من عيدياته * لقياحا مالا لسيبة آكل
ان الاشاء اذا اصاب مشذب * منه اتهم مل ذراوات أسافلا
وصك ذلك قال أبو الطيب

أنت من القوم الذي من وماهم * ندامهم ومن قتلاهم مهجة البخل
تسليمهم عليا وهم عن مصابهم * ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل
وهذان البيتان خير من يتي أبي تمام اللذين هما
شمتت خلا لك أن يواسيك امرؤ * أو أن تذكر فاسيا أو غافلا
الامواعظ قارها لك سمعة * اسبحاح ليلك سامعا أو قاتلا

(واعلم) أن التفضيل بين المعنيين المتفقين أيسر خطبا من التفضيل بين المعنيين
المختلفين وقد ذهب قوم الى منع المقاضلة بين المعنيين المختلفين واحتجوا على ذلك
بأن قالوا المقاضلة بين الكلامين لا تكون الا باشتراكهما في المعنى فان اعتبار
التأليف في نظم الالفاظ لا يكون الا باعتبار المعاني المنسوبة تحتها فإلم يكن
بين الكلامين اشتراك في المعنى حتى يعلم مواقع النظم في قوة ذلك المعنى أو ضعفه
واتساق ذلك اللفظ أو اضطرابه والافضل كلام له تأليف يخصه بحسب المعنى
المندرج تحته وهذا مثل قولنا العسل أحلى من الخل فإنه ليس في الخل حلاوة
حتى تقاس حلاوة العسل عليها وهذا القول فاسد فإنه لو كان ما ذهب اليه هؤلاء
من منع المقاضلة حقا لوجب أن تسقط التفرقة بين جيد الكلام ورديته وحسنه
وقبحه وهذا محال وانما في عليهم ذلك لأنهم لم ينظروا الى الاصل الذي تقع
المقاضلة فيه سواء تثبت المعاني أو اختلفت ومن ههنا وقع لهم الغلط وسأبين
ذلك فاقول من المعلوم أن الكلام لا يختص بعزية من الحسن حتى تنصف الفاظه
ومعاليه بوصفين هما الفصاحة والبلاغة فثبت بهذا أن النظر انما هو في هذين
الوصفين اللذين هما الاصل في المقاضلة بين الالفاظ والمعاني على اتفاقهما
واختلافهما ففي وجهنا في أحد الكلامين دون الآخر أو كانا أخص به
من الآخر حكم له بالفضل (وقرأت في كتاب الاغانى) لا في الفرج في تفضيل
الشعر أشياء تنضم خبطا كثيرا وهو مروي عن علماء العربية لكن عذرهم

في ذلك فان معرفة الفصاحة والبلاغة شيء خلف معرفة النحو والاعراب (ثم ما
وقفت عليه) أنه سئل أبو عمرو بن العلاء عن الاخطل فقال لو أدركت يوما واحدا
من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا وهذا تفضيل بالأعصار لا بالأشعار وفيه ما فيه
ولو أن أبا عمرو وعندي بالمكان العلي لم يستطعت لسانى في هذا الموضع (وسئل جرير)
عن نفسه وعن الفرزدق والاختل فقال أما الفرزدق ففي يده نعمة من الشعر
وهو قابض عليها وأما الاختل فأشدنا اجترأ وأرمانا لأقراءنا وأما أنا فدينونة
الشعر وهذا القول في التفضيل قول اقشاهي لا يحصل منه على تحقيق لكنه أقرب
حالا ما روى عن أبي عمرو بن العلاء (وسئل الاختل) عن أشعر الناس فقال الذي
إذا مدح رفع وإذا هجأ وضع فقل فن ذلك قال الأعشى قيل ثم من قال طرفه
وهذا قول فيه بعض التحقيق اذ ليس كل من رفع بمدحه ووضع بهجائه كان أشعر
الناس لأن المعاني الشعرية كثيرة والمدح والهجاء منها (وسئل الشريف الرضى)
عن أبي تمام وعن الجعفي وعن أبي الطيب فقال أما أبو تمام فخطيب منبر وأما
الجعفي فواصف جوذر وأما المتنبي فقاتل عسكر وهذا كلام حسن واقع في
موقعه فانه وصف كلامهم بما فيه من غير تفصيل (ويروى عن بشار) أنه وصف
نفسه بجودة الشعر والتقدم على غيره فقبل له ولم ذلك فقال لاني نظمت اثني عشر
ألف قصيدة وما تخلوا واحدة منهن من بيت واحد جيد فيكون لي حينئذ اثنا عشر
ألف بيت وقد تأملت هذا القول فوجدته على بشار لا لاني بأقلا الذي يضرب
به المثل في الهي لو نظم قصيد الما خلا من بيت واحد جيد ومن الذي ينظم قصيدا
واحدا من الشعر ولا يسلم له منه بيت واحد لكن كان الاولى بشار أن قال لي
اثنا عشر ألف قصيدة ليس واحدة منهن الا وجيدها أكثر من رديتها وليس
في واحدة منهن ما يسقط فانه لو قال ذلك وكان محقا لاستحق التقدم على الشعراء
ومع هذا فقد وصل الى ما في أيدي الناس من شعره مقصدا ومقطعا فوجدته
بتلك الغاية التي ادعاهالكن وجدت جيدا قليلا بالنسبة الى رديته وتندرله الايات
اليسيرة (وبلغني) عن الأصمعي وأبي عبيد وغيرهما أنهم قالوا هو أشعر الشعراء
المحدثين قاطبة وهم عندي معذورون لانهم ما وقفوا على معاني أبي تمام ولا على
معاني أبي الطيب ولا وقفوا على ديباجة أبي عبيدة الجعفي وهذا الموضع
لا يستحق فيه علماء العربية وانما يستحق فيه كاتب بلاغ أو شاعر معلق فان أهل

كل علم أعلم به وكما لا يسأل الفقيه عن مسألة حساسية فكذلك لا يسأل الحاسب
 عن مسألة فقهية وكما لا يسأل أيضا النحوي عن مسألة طيبيه فكذلك لا يسأل
 الطبيب عن مسألة نحوية ولا يعلم كل علم الا صاحبه الذي قلب ظهره لبطنه
 و بطنه لظهوره على أن علم البيان من القصاحة والبلاغة محبوب الى الناس قاطبة
 وما من أحد الا يحب أن يتكلم فيه حتى اني رأيت أبحلاف العمامة ممن لم يخط
 بيده ورأيت أغتنام الاجناس ممن لا ينطق بالكلمة صحيحة كاهم يخوض في فن
 الكتابة والشعر ويأتون فيه بكل مخمكة وهم يظنون أنهم عالمون به ولا لوم عليهم
 فانه بلغني عن ابن الاعرابي وكان من مشاهير العلماء أنه عرض عليه أرجوزة أبي
 تمام اللامية التي مطلعها * وعادل عداته في عدله * وقبل له هذه لغزلان من شعراء
 العرب فاستحسنها غاية الاستحسان وقال هذا هو الديباج الحسن واني ثم استكتبها
 فلما أنهاها قيل له هذه لا بي تمام فقال من أجل ذلك أرى عليها أثر الكلفة ثم ألقى
 الورقة من يده وقال يا غلام خرق خرق فاذا كان ابن الاعرابي مع علمه وفضله
 لا يدري أي طرف فيه أطول في هذا الفن ولا يعلم أين يضع يده فيه ويبلغ به الجهل الى
 أن يقف مع التقليد الشنيع الذي هذا غاية فما الذي يقول غيره وما الذي يتكلم
 فيه سواء (والمذهب عندي في تفضيل الشعراء) أن الفرزدق وجرير والاختل
 أشعر العرب أقولا وآخرا ومن وقف على الأشعار ووقف على دواوين هؤلاء
 الثلاثة علم ما أشرت اليه ولا ينبغي أن يوقف مع شعراء امرئ القيس وزهير
 والنايعة والاعشى فان كلامهم أو لمك أجاد في معنى اختص به حتى قيل في
 وصفهم امرؤ القيس اذا ركب والنايعة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا
 شرب وأما الفرزدق وجرير والاختل فانهم أجادوا في كل ما أتوا به من المعاني
 المختلفة وأشعر منهم عندي الثلاثة المتأخرون وهم أبو تمام وأبو عبادة البحتري
 وأبو الطيب المتنبي فان هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان في طبقة الشعراء أما أبو
 تمام وأبو الطيب فربا المعاني وأما أبو عبادة فرب الألفاظ في ديباجتها وسبكها
 (وبلغني) أن أبا عبادة البحتري سأل ولده أبا الغوث عن الفرزدق وجرير أيهما
 أشعر فقال جرير أشعر قال وبم ذلك قال لان حوكه شبيه بحوكك فكذلك أمتك
 أو في الحنككم عصبية قال يا أبت فمن أشعر قال الفرزدق قال وبم ذلك قال لان
 أهاجي جرير كلها تدور على أربعة أشياء هي القين والزنا وضرب الرومي بالسيف

والنفي من المسجد ولا يهجو الفرزدق بسوى ذلك وأما الفرزدق فانه يهجو جويرا
بأنه جاء مختلف في كل قصيد يرميه بسهام غير السهام التي يرميه بها في القصيد
الآخر وأنا أستكذب راوى هذه الحكاية ولا أصدقها فان البحرى عندي ألب
من ذلك وهو عارف بأسرار الكلام خبير بأوساطه وأطرافه وجيسته ورديته
وكيف يدعى على جوير أنه لم يهجو الفرزدق إلا بتلك المعاني الأربعة التي ذكره
وهو القاتل

لما وضعت على الفرزدق منسبى * وعلى البعيت جدعت أنف الأخطل
لجمع بين هجاء هؤلاء الثلاثة في بيت واحد (ولقد تأملت كتاب النقائض)
فوجدت برير أرب تغزل ومدح وهجاء واقتضار وقد كسا كل معنى من هذه
المعاني ألفاظا لا ثقة به وبكفيه من ذلك قوله

وما عوى من غير شئ رمية * بقافية انقادها يطر الدما
واقوال لكل غريبة * ورد اذا السارى بليل ترغا
تجروح بأقواء الرواة كأنها * شباهند وانى اذا هز صمصا
غرائب آلاف اذا طان وردها * أخذن طريقا للقصاصد معا
ولو لم يكن لجرير سوى هذه الابيات لتقتدم بها الشعراء وسأذكر من هجائه
الفرزدق ما ليس فيسه شئ من تلك المعاني الأربعة التي أشار إليستى اليها
فمن ذلك قوله

وقد زعموا أن الفرزدق حبة * وما قتل الحيات من أحد قبلى
ألم تر أنى لا أتيسل رمية * فن أرم لا تخطى مقالة تيلي
رأيتك لا تحمى عقلا ولم ترد * قتلا لافا لا قيت شر من القتل
وقوله أبغ هديتى الفرزدق انما * عبء تزد على حسيير منقل
انى انصبت من السماء عليكم * حتى اخطفك يا فرزدق من عل
وقوله

زعم الفرزدق أن سيقتل منى بها * فابشر بطول سلامة يا مريع
ورأيت نيلك يا فرزدق قصرت * ورأيت قوسك ليس فيها منزع
ان الفرزدق قد تبين أوامره * حيث التقت شمشاؤه والاخذ
وقوله أحارث خذ من شئت منا ومنهم * ودعنا نقس بجعدنا بعد فضائله

أبست سلاحى والفرزدق لعبة * عليه وشاحا كرتج وجلاجله
 فليست بذي عز ولا ذى أرومة * وما تخط من ضميم فأنك قابله
 وقوله لا يتحققن عليك أن مجاشعا * لو ينفخون من الخوورة طاروا
 قد يؤسرون فلا يفك أسيرهم * ويقتلون فتسلم الآثار
 وقوله بنى مالك أن الفرزدق لم يزل * يلقى المغازى من لدن أن ينقعا
 مددت له الغايات حتى تركته * قعود القوافى ذاعلوب موقعا
 وقوله الا انما كان الفرزدق ثعلبا * ضفاوهى فى أشداق ليث ضبارم
 وقوله مهلا فرزدق أن قومك فيهم * خور القلوب وخفة الاحلام
 اطاعنون على العمى بجميعهم * والنازلون بشرى دار مقام
 وقوله اذا سمرت يومانساء مجاشع * بدت سواة مما تتجنى البراقع
 مباشيم من عبء الهوى كائنما * تصوت فى أعفاجهن الضفادع
 رأت ملأ مثل الفرزدق قصرت * عن العلولا بأبى عن العلوبارح
 تعدل احسابا كراماتهما * بأحسابكم انى الى الله راجع
 اذا قيل أى الناس شمر قبيلة * وأعظم عاراقيل تلك مجاشع
 وقوله علق الاخيطل فى حبلى بعدما * عثر الفرزدق لالعالماتر
 لى الفرزدق مالم يت وقبله * طاح التعيس بغير عرض وافر
 واذا رجوا أن ينقضوا الى مرة * مرست قواى عليهم ومراثرى
 ولجئهم مواضع كثيرة فى هجاء الفرزدق غير هذه ولولا خوف الاطالة
 لاسميت قصيتها بجميعها ولوسلمت الى البحرى ما زعم من أن جرير ليس له فى هجاء
 الفرزدق الا تلك المعانى الاربعة لا عترضت عليه بأنه قد أقتر بجرير بالفضيلة
 وذلك أن الشاعر الملقب أو الكاتب البليغ هو الذى اذا أشد معنى واحدا
 تصرف فيه بوجوه التصرفات وأخرجه فى صروف الاساليب وكذلك فعل جرير
 فانه أبرز من هجاء الفرزدق باقين كل غريبة وتصرف فيه تصرفا مختلف الانحاء
 فن ذلك قوله

ألهى أباللعن المكارم والعلا * الى الكنائف وارتفاع المرحل
 وقوله وجد الكنيف ذخيرة فى قبره * والكاتبين بهمن والتمشار
 يكي صباه اذا تصدع مرجل * أو أن تفاق برمة أعشار

قال الفرزدق رقي أكارنا * قالت وكيف ترقع الأكار
 وقوله إذا أبأونا وأبوك جدوا * بأن المقرقات من الغراب
 فأورثك العلاء وأورتوني * رباط الخيل أفنية القباب
 وسيف أبي الفرزدق فأعلموه * قدوم غير ثابته النصاب
 (فانظر) أيها الواقف على كتابي هذا إلى هذه الأساليب التي تصرف فيها جرير
 وأدارها على هجاء الفرزدق بالقبين فقال أولان أباه شغل عن المكارم بصناعة
 القيون ثم قال ثانياً انه يبكي عليه ويندبه بعد الموت المرحل والبرمة الاشارة التي
 يصلحها ثم قال ثالثاً ان أباه أورثك آلة القيون وأورثني أبي رباط الخيل وقد
 أورد جرير هذا المعنى على غير هذه الأساليب التي ذكرتها ولا حاجة إلى التطويل
 بذلك ههنا وهذا الفرز قد كفاية وحيث انتهى بنا القول إلى ههنا فنرجع إلى
 النوع الذي نحن بصدد ذكره وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد فاجاء منه
 قول النابغة

إذا ما غزا بالجيش خلق فوقه * عصائب طير تهدي بعصائب
 جوايح قد أيقن أن قبيلة * إذا ما التقى الجمعان أول غالب
 وهذا المعنى قد توارده عليه الشعراء قديماً وحديثاً وأوردوه بضمروهم من
 العبارات فقال أبو نواس

تقني الطير عزوته * ثقة باللحم من جزره

وقال أبو عمير بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعه في كل مرتحل

وقال أبو تمام

وقد ظلت أعناق أعلامه ضعي * بعقبان طير في الدماء نواهل
 أقامت مع الرايات حتى كأنها * من الجيش إلا أنهم لم تقايل
 (وقد ذكر) في هذا المعنى غير هؤلاء إلا أنهم جاؤا بشيء واحد لا تفاضل بينهم فيه
 الأمن جهة حسن السبك أو من جهة الإيجاز في اللفظ ولم أر أحداً غريب في هذا
 المعنى فذلك هذه الطريق مع اختلاف مقصدها إليها إلا مسلم بن الوليد فقال
 أشربت أرواح العدا وقلوبها * خوفاً أنفسها اليك تطير
 لو حاكمتك فطالبتك بدحليها * شهدت عليك ثعالب ونسور

(فهذا) من الملقب البديع الذي فضل به مسلم غيره في هذا المعنى * وكذلك فعل
أبو الطيب المتنبي فإنه لما انتهى الأمر إليه سلك هذه الطريق التي سلكها من
تقدمه إلا أنه خرج فيها إلى غير المقصد الذي قصده فاعرب وأبدع وحاز
الاحسان بجملة وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره (فما جاء منه) قوله
تفتدي أتم الطير عرا سلاحه * فنسور الملائكة أحيانها والقشاع
وما ضربها خلق بغير محالب * وقد خلقت أسيافه والقوائم
ثم أورد هذا المعنى في موضع آخر من شعره فقال

سحاب من العقبان ترجف تحتها * سحاب إذا استسقت سقبتها صوارمه
وهذا معنى قد سوى طرفي الاغراب والاعجاب وقال في موضع آخر
وذي جلب لاذ والجناح أمامه * يباح ولا الوحش المنار بسام
تقر عليه الشمس وهي ضعيفة * تطالعهم من بين ريش القشاع
إذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة * تدور فوق البيض مثل الدراهم
(وهذا) من إيجاز أبي الطيب المشهور ولولم يكن له من الاحسان في شعره
الاهذه الايات لاستحق بها فضيلة التقدم (ومما ينظم بهذا النوع) ما نوارده عليه
أبو عبادة البحتري وأبو الطيب المتنبي في وصف الاسد وقصده تاهما مشهورتان
فأول احدهما * أجدك ما ينقل يسرى لا ينبا * وأول الاخرى
في الخدان عزم الخليفة رحلا * أما البحتري فإنه ألم بطرف عما ذكر بشر بن عوانة
في آياته الرائبة التي أولها

أفاطم لو شهدت بطن خبت * وقد لاقى الهزبرأ خالك بشرا
وهذه الايات من النمط العالي الذي لم يأت أحد بمثلها وكل الشعراء لم تسم
قراءتهم إلى استخراج معنى ليس بمدكور فيها ولولا خوف الاطالة لا وردتها
بجملتها لكن الغرض انما هو المفاضلة بين البحتري وأبي الطيب فيما أورداه من
المعاني في هذا المقصد المشار اليه فما جاء للبحتري من قصيدته

وما تنعم الحساد الا اصالة * لديك وعز ما أرى يحيا به ذبا
وقد جربوا بالامس منك عزيمة * فصلت بها السيف الحسام المجربا
غداة لقيت الليث والليث مخدر * يدنا باللقاء ومخبا
إذا شاء غادي عانة أو عدا على * عتائل سرب أو تفتنص رربا

شهدت لقد أنصفته حين ينبري * له مصلته أعضبا من البيض مقضبا
فلم أَرْضْ غامين أصدق منكما * عراكا إذا الهيا به النجس كذبا
هزبرامشي يبغي هزبرا وأغلبا * من القوم يغشى بأسل الوجه أغلبا
أذلّ بشعب ثم هالته صولة * رآك لها أمضى جنانا وأشعبا
فاججم لما لم يجد فيك مطمعا * وأقدم لما لم يجد عنك مهربا
فلم يغنه أن ~~ك~~رت فحول مقبلا * ولم ينجه أن حاد عنك منكمبا
حملت عليه السيف لا عزمك انقنى * ولا يدك ارتدت ولا حسدته نيا
ومما جاء لابي الطيب المتنبي في قصيدته

أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن ادخرت الصارم المصقولا
وردا إذا ورد البحيرة شاربيا * ورد الفسرات زفيره والنبلا
متخضب بدم الفوارس لا يس * في غياله من ابدت به غيلا
ما قوبلت عيناه الاظننا * تحت الدجى نار الفريق حولا
في وحيدة الرهبان الا أنه * لا يعرف التحريم والتجديلا
يطأ البرى مترفقا من تيهه * فكأنه آس يجس علبلا
ويرد عفرته الى يافوخه * حتى يصير لرأسه اكبللا
قصرت مخافته الخطا فكأنما * ركب الكمي جواده مشكولا
ألقى فريسته وزمجردونها * وقربت قريبا خاله تطفلا
قتشابه القربان في اقدامه * وقضانا في ذلك المأكلولا
أسديرى عضويه فيك كليهما * متنازل وساعدا مفتولا
ما زال يجمع نفسه في زورة * حتى حسبت العرض منه الطولا
وكأنما غرت به عين فاذنى * لا يبصر الخطب الجليل بجلبلا
أنف الكريم من الدنية تارك * في عينه العدد الكثير قلبلا
والعار مضاض وليس يخاف * من حقه من خاف مما قبللا
خذلته قوته وقد ~~ك~~الخته * فاستنصر التسليم والتجديلا
نعم ابن عمته به وبجماله * فضى بهزول أمس منك مهولا
وأمر مما فر منه فراره * وكقته أنه لا يموت قتيلا
تلف الذي اتخذ الجراءة خلة * وعظ الذي اتخذ الفرار خيلا

قوله أمعفر الليث الختر في خلال الايات المذكورة أينا ناخر كريمة اه

(وسأحكم) بين هاتين القصيدتين والذي يشهد به الحق وتقف به العصبية
أذكره وهوان معاني أبي الطيب أكثر عددا وأقدم قصدا ألا ترى أن البحتري
قد قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح في تشبيهه بالاحدمرة وتفضيله
عليه أخرى ولم يأت بشئ سوى ذلك وأما أبو الطيب فإنه أتى بذلك في بيت واحد
وهو قوله أمعفر الليث الهزبريسوطه * لمن أذخرت الضارم المصقولا
ثم أنه تنبأ في ذلك كرا لاسد فوصف صورته وهيبته ووصف أحواله في انفراد
في جنسه وفي هيئة مشبه واختياله ووصف خلقه من شجاعته وشبهه الممدوح
به في الشجاعة وفضله عليه بالسخطا ثم أنه عطف بعد ذلك على ذكر الانفة والحمة
التي بعثت الاسد على قتل نفسه ببقاء الممدوح وأخرج ذلك في أحسن مخرج
وأبرزه في أشرف معني وإذا تأمل العارف بهذه الصناعة أبيات الرجلين عرف
بيديهما النظر ما أشرت إليه والبحتري وإن كان أفضل من المتنبي في صوغ الالفاظ
وطلاوة السبك فالمتنبي أفضل منه في الغوص على المعاني ومما يدل على ذلك
أنه لم يعرض لما ذكره في أبياته الرائية لعله أن بشراف ذلك رقاب تلك المعاني
واستحوذها ولم يترك غيرها شيئا بقوله فيها ولفطانية أبي الطيب لم يقع فيها وقع فيه
البحتري من الانسحاب على ذيل بشر لانه قصر عنه تقصيرا كثيرا ولما كان الامر
كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك الطريق وسلك غيرها فجاء فيها أوورد مبرزاً
(واعلم) أن من أبين البيان في المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد انسان
منهما على مقصد من المقاصد يشغل على عدة معان كتوارد البحتري والمتنبي ههنا
على وصف الاسد وهذا أبين في المفاضلة من التوارد على معنى واحد يصوغه
هذان في بيت من الشعر وفي بيتين ويصوغه الآخر في مثل ذلك فإن بعد المدي
يظهر ما في السوايق من الجواهر وعند بيتين ربح الراجح وخسر الخاسر فإذا
سئلت أن تعلم فضل ما بين هذين الرجلين فانظر الى قصيدتيهما في مرأى النساء
التي مفتتح احدهما يا أخت خير أخ يا بنت خير أب * كناية بهما عن أكرم العرب
وهي لأبي الطيب ومفتتح الاخرى

غروب دمع من الاجفان ينهمل * وحرقة بغليل الحزن تشتعل
وهي للبحتري فان أبا الطيب انفر دبا شدا ع ما أتى به في معاني قصيدته والبحتري أتى
بما أكثره غث بارد والمتوسط منه لا فرق فيه بين رثاء امرأة أو رجل (ومن

(الواجب) أنه اذا سلك الناظم أو الناثر مسلماً في غرض من الاغراض أن لا يخرج عنه كالأذى سلكه هذان الرجلان في الرثاء بامرأة فان من حذاقة الصنعة أن يذكر ما يليق بالمرأة دون الرجل وهـ هذا الموضع لم يأت فيه أحد بما يثبت على الحلث إلا أبو الطيب وحده وأما غيره من مقلقي الشعراء قديماً وحديثاً فانهم قصرُوا عنه وله في هـ هذا المعنى قصيدة أخرى مفتحتها

نعم المشرقية والعوالي • وتقتلنا المنون بلا قتال

وصكفي بهـ ما شاهد اعلى ما ذكرته من انفراد بالابداع فيما أثبت به والفن يا عندي بينه وبين البحترى أن أبا الطيب أنفذ في المضيق وأعرف باستخراج المعنى الدقيق وأما البحترى فانه أعرف بصوغ الالفاظ وحول ديباجتها وقد قدمت أن الحكم بين الشاعرين في اتساقهـ ما في المعنى أبين من الحكم بينهـ ما في اختلافه فيه لانهم مع الاتفاق في المعنى يقين قولهما ويظهران ظهوراً يعلم بيديهمـ في النظر ويتسارع اليه فهم من ليس يناقب الفهم وأما اختلافهـ ما في المعنى فانه يحتاج في الحكم بينهـ ما فيه الى كلام طويل يعزفهـ ما ولا يتفطن له إلا بعض الناس دون بعض بل لا يتفطن له إلا القليل من الناس ولى في هذا مقالة مفردة ضمنها الحكم بين المعنيين المختلفين وتكلمت عليه كلاماً طويلاً عريضاً وأقمت الدليل على ما نصصت عليه وما منعتني من ايرادها في كتابي هـ هذا إلا أنني استنحت لي بعد تصنيفه وشياعه في أيدي الناس وتناقل النسخ به وعلى هذا الاسلوب لو ارد البحترى والشريف الرضي على ذكر الذئب في قصيدة للبحترى دالية أو لها • سلام عليكم لا وفاء ولا عهد • ومطوعة للشريف الرضي أولها

وعارى الشوى والمنكبين من الطوى • أتيج له بالليل عارى الاشاجع
وقد أجاد البحترى في وصف حاله مع الذئب والشريف أجاد في وصف الذئب نفسه (وأما المسخ) فهو قلب الصورة الحسنة الى صورة قبيحة والقسمة تقتضى أن يقرن اليه ضده وهو قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة (فالاول) كقول أبي تمام فتى لا يرى أن الفريسة مقتل • ولكن يرى أن العيوب مقاتل
وقول أبي الطيب المتنبي

يرى أن ما بان منك لضارب • بأقتل مما بان منك لعائب

فهو وان لم يشقوا المعنى فقد شقوا الصورة ومثاله في ذلك كن أودع الوشي شـ لا
 رأعطى الورد جعلـ وهـ ذامن أرذل السرقات وعلى نحو منه جاء قول عبد
 السلام بن رعيان

نحن نعزيزك ومنك الهدى * مستخرج والصبر مستقبل
 نقول بالهـ قل وأنت الذى * نأوى اليه وبه نـ قل
 اذا عفا عنك وأودى بنا الدهر فذاك المحسن المحمل

أخذ أبو الطيب فقلب اعلام أسفله فقال

ان يكن صبردى الرزية فضـ لا * تكن الافضل الاعزالا جـ لا
 أنت يا فوق أن تعزى عن الاحـ باب فوق الذى يعزى عنك عـ لا
 وبألفاظك اهتدى فاذا عزالـ قال الذى له قات قبـ لا

والبيت الاخير من هذه الايات هو الآخر قد راوه والمخصوص بالمسخ (وأما قلب
 الصورة القبيحة الى صورة حسنة فهذا يسمى سرقة بل يسمى اصلاحا وتم ذيبا
 (فن ذلك) قول أبي الطيب المتنبي

لو كان مانعطيهم من قبل أن * تعطيهم لم يعرفوا التاميدا

وقول ابن نباتة السعدي

لم يبق جودلى شـياً أؤمله * تركتني أصعب الدنيا بلا أمل

وعلى هـ ذا النحر ورد قول أبي نواس في أرجوزة يصف فيها اللعب بالـ كرة
 والصوبان فقال من جعلتها

جن على جن وان كانوا بشر * كأنما خيطوا عليهم بالابر

ثم جاء المتنبي فقال

فكانهم اتجبت قياما متهم * وكانهم ولدوا على صهواتها

وبين القواين كما بين السماء والارض فانه يقال ليس للارض الى السماء نسبة
 محسوسة وكذلك يقال ههنا أيضا فان بقدر ما في قول أبي نواس من التزول
 والضعف فكذلك في قول أبي الطيب من العـ لو والقوة وربما ظن بعض الجهال
 أن قول السماخ

اذا بلغتني وسجات رجلي * عرابة فاسر لى بدم الوتين

وقول أبي نواس

واذا الملقى بيا بلفظ محمد * فظهر ورهق على الرجال حرام
من هذا القبيل الذي هو قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة وليس كذلك
فان قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة هو أن يؤخذ المعنى الواحد فيكسب
عبارة من احدها قبيحة والاخرى حسنة فالحسن والقبح انما يرجع الى التعبير
لا الى المعنى نفسه وقول أبي نواس هو عكس قول الشعاع وقد تقدم مثل ذلك فيها
مضى من ضرور السرقات ألا ترى الى قول أبي الطيب المتنبي وقول الشريف
الرضي فقال أبو الطيب

اني على شغفي بما في خرها * لا عفا عما في سراويلاتها

وقول الشريف الرضي

أحن الى ما تضم الخمر والحلي * وأصدف عما في ضمان المآزر

فالمعنى واحد والعبارة مختلفة في الحسن والقبح وهذه السرقات وهي ستة عشر
نوعا لا يكاد يخرج عنها شيء وإذا أنصف النساظر في الذي أتيت به ههنا علم ان قد
ذكرت ما لم يذكره غيره وأنا أسأل الله التوفيق لان أكون لفضله شكورا وأن
لا أكون مختالا نفورا (واذا فرغت من تهنيف هذا الكتاب) وحررت القول
في تفصيل أقسام الفصاحة والبلاغة والكشف عن دقائقها وحقائقها ما
فينبغي أن أختمه بذكر فضليهما فأقول (اعلم) أن هذا الفن هو أشرف الفنون
وأعلاها درجة ولولا ذلك لما نظريه رسول الله صلى الله عليه وسلم في علة موافق
فقال تارة أنا أفصح من نطق بالاضاد وقال تارة أعطيت نجما لم يعطهن أحد قبلي
كان كل نبي يبعث في قومه ويبعث الى كل أحر وأسود وأحلت لي الغنائم وبعثت
لي الارض طيبة وطهورا ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر وأوتيت جوامع
الكلام وما سمع بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتخر بشيء من العلوم سوى علم
الفصاحة والبلاغة فلم يقل انه أفقه الناس ولا أعلم الناس بالحساب ولا بالطب
ولا بغير ذلك كما قال أنا أفصح من نطق بالاضاد وأيضا فلو لم تكن هذه الفضيلة من
أعلى الفضائل درجة لما اتصل الابهجاز بهادون غيرها فان كتاب الله تعالى نزل
عليها ولم ينزل بغيرها من مسائل الفقه ولا من مسائل الحساب ولا من مسائل
الطب ولا غير ذلك من العلوم ولما كانت هذه الفضيلة بهم هذه المكانة صارت
في الدرجة العالية والمنشورة بها أشرف من المنظوم لاسباب من جملتها أن الابهجاز

لم يتصل بالمنظوم وإنما اتصل بالمشور الآخر أن أسباب النظم أكثر ولهذا نجد
 المجيدين منهم أكثر من المجيدين من الكتاب بل لانسبة لهؤلاء إلى هؤلاء ولو شئت
 أن تخصي أرباب الكتابة من أول الدولة الإسلامية إلى الآن لما وجدت منهم
 من يستحق اسم الكتاب عشرة وإذا أحصيت الشعراء في تلك المدة وجدتهم
 عددا كثيرا حتى لقد كان يجتمع منهم في العصر الواحد جماعة كثيرة كل منهم شاعر
 مطلق وهذا لا نجد في الكتاب بل ربما ندرنا الفرد الواحد في الزمن الطويل وليس
 ذلك إلا لوعورة المسالك من التوريع منه ناله والكتاب هو أحد دعائم الدولة
 فان كل دولة لا تقوم إلا على دعائم من السيف والعلم وربما لا يفتقر الملك في
 ملكه إلى السيف الأمرة أو رتبه وإنما العلم فانه يفتقر إليه على الأيام وكثيرا
 ما يستغنى به عن السيف وإذا شئت عن الملوك الذين غيرت أيامهم لا يوجد منهم من
 حسن اسمه من بعده إلا من خطبى بكتاب خطب عنه ونظم أمر دولته وجعل
 ذكرها خالدا يثناؤه الناس رغبة في فصل خطابه واستمعنا لآباء الدولة كلامه فيكون
 خاود ذكرها في خفارة مادونه فله ورقته أساطيره وليس الكتاب بكتاب حتى
 يضطر عدو الدولة أن يروي أخبار مناقبها في فله ويصيح واسانه حامد لمساعيها
 وبقائه ما به من غله ولقد أحسن أبو تمام في هذا المعنى حيث قال

سأجهد حتى أبلغ الشعر شأوه * وإن كان طوعا لي ولست يجاهد

فإن أنا لم يحمد ذلك عني ما غرا * عدوك فاعلم أنني غير حامد

وهذا الذي ذكرته حق وصدق لا ينكره إلا جاهل به وأنا أسأل الله الزيادة من فضله
 وإن لم أكن أهلا له فانه هو من أهله (ووقفت على كلام لابي اسحق الصابي)
 في الفرق بين الكتابة والشعر وهو جواب لسائل سأله فقال ان طريق الاحسان
 في مشور الكلام يخالف طريق الاحسان في منظومه لان الترسل هو
 ما وضع معناه وأعطاه سماعة في أول وهله ما تضمنته ألفاظه وأخبر الشعر ما انحض
 فلم يعطك غرضه إلا بعد مما طله منه ثم قال بعد ذلك ولسائل أن يسأل فيقول من
 أية جهة صار الاحسان في معنى الشعر الغموض وفي معاني الترسل الوضوح
 فالجواب أن الشعر بني على حدود مقررة وأوزان مقطرة وفصائل بيانه فكان كل
 بيت منها قائما بذاته وغير محتاج إلى غيره إلا ما جاء على وجه التضمنين وهو صيب
 فلما كان النفس لا يمتد في البيت الواحد أكثر من مقدار عرضه وضربه وكلاهما

قابل احتيج الى أن يكون الفصل في المعنى فاعتمد أن ياطف ويدق والترسل مبنى
 على مخالفة هذه الطريق اذ كان كلاما واحدا لا يتجزى ولا يفصل الا فصولا طولا
 وهو موضوع وضع ما به هذا ويمر به على أسمع شتى من خاصة ورعية وذوى
 أفهام ذكية وأفهام غبية فإذا كان متساويا في ما وقرب فجميع ما يستحب
 في الاول يكره في الثاني حتى ان المتفهمين صيب في الشكر وهو فضيلة في الترسل
 ثم قال بعد ذلك والفرق بين المترسلين والشعراء أن الشعراء انما أغراضهم التي
 يرتعون اليها ووصف الديار والآثار والحنين الى الاهواء والاطوار والتشبيب
 بالنساء والطلب والاجتهاد والمديح والهجاء وأما المترسلون فانما يرتسلون في
 أمر سداد تغرر واملاح فساد أو تحريض على جهاد أو احتجاج على فتنه أو
 مجادلة مسئلة أو دعاء الى الفقة أو نهى عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية
 أو ما شاكل ذلك هذا ما انتهى اليه كلام أبي اسحق في الفرق بين الترسل والشعر
 ولقد جهت من مثل ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان وبلاغة البيان كيف
 يصدر عنه مثل هذا القول النساكب عن الصواب الذي هو في باب ونصى التفارقي
 باب اللهم غفرا وسأذكر ما عندي في ذلك لا ارادة للطعن عليه بل تحقيقا لمحل
 النزاع فأقول أما قوله ان الترسل هو ما وضع معناه والشعر ما غمض معناه فان
 هذه دعوى لا مستند لها بل الاحسن في الامر من معانيها هو الوضوح والبيان
 على أن اطلاق القول على هذا الوجه من غير تقييد لا يدل على الغرض الصحيح بل
 صواب القول في هذا أن يقال كل كلام من متشور ومنظوم فينبغي أن تكون
 مفردات ألفاظه مفهومة لانها ان لم تكن مفهومة فلا تكون فصيحة لكن اذا
 صارت مركبة نقلها التركيب عن تلك الحال في فهم معانيها في المركب منها
 ما يفهمه الخاصة والعامة ومنه ما لا يفهمه الا الخاصة وتفاوت درجات فهمه
 ويكتفى من ذلك كتاب الله تعالى فانه أفصح الكلام وقد خطب به الناس كانه من
 خاص وعام ومع هذا فانه ما يتسارع الفهم الى معانيه ومنه ما يغمض فيه فهمه
 والالفاظ المفردة ينبغي أن تكون مفهومة سواء كان الكلام نظاما أو نثرا واذا
 تركبت فلا يلزم فيها ذلك وقد تقدم في كتابي هذا أدلة كثيرة على هذا فتوخذ من
 مواضعها وأما الجواب الذي أجاب به في الدلالة على غموض الشعر ووضوح
 الكلام المنثور فليس ذلك بجواب وجب أن الشعر كان كل بيت منه قائما بذاته فلم

كان مع ذلك غامضا وذهب أن الكلام المنشور كان واحدا لا يتجزى فلم كان مع ذلك
واضحاً ثم لو سلمت اليه هذا فماذا يقول في الكلام المسجوع الذي كل فترة منه
بمنزلة بيت من شعر وأما قوله في الفرق بين الشاعر والكاتب أن الشاعر من شأنه
وصف الديار والآثار والحنين إلى الأهواء والأوطار والتشبيب بالنساء والطلب
والاجتماع والمديح والهجاء وأن الكاتب من شأنه الأفاضة في سداد ثغراً أو
اصلاح فساد أو تحرير على جهاد أو احتجاج على فئة أو مجادلة لمثله أو دعاء
إلى الفة أو نهى عن فرقة أو تهمة بعطية أو تعزية برزية فإن هذا يخصكم محض
لا يستند إلى شبهة فضلا عن بينة وأنى فرق بين الشاعر والكاتب في هذا المقام
فكما يصف الشاعر الديار والآثار ويحن إلى الأهواء والأوطار فكذلك يكتب
الكاتب في الاشتقاق إلى الأوطان ومنازل الاحباب والاخوان ويحن إلى
الأهواء والأوطار وله هذا كانت الكتب الأخرى من منزلة الغزل والنسيب من
الشعر وكما يكتب الكاتب في اصلاح فساد أو سداد ثغراً أو دعاء إلى الفة أو نهى
عن فرقة أو تهمة أو تعزية فكذلك الشاعر فإن شذ عن الصابي قصائد الشعراء
في أمثال هذه الممانى فكيف خفي عنه قصيدة أبي تمام في استعطاف مالك بن
طروق على قومه التي مطلعها * لو أن دهرار ترجع جوابي * أم كيف أخل بالانظر
في ديوان أبي الطيب المتنبي وهو في زمن واحد فأتأمل قصيدته في الاصلاح بين
كافور الاخشيدي وبين مولا الذي مطلعها * حسم الصلح ما اشتتمه الاعادي
وكذلك لا شك أنه لم يقف على قصيدة أبي عبادة المصمري في غزو البحر التي مطلعها
ألم تر تغليس الربيع المبكر * ولو أخذت في تعدد قصائد الشعراء في الأغراض
التي أشار إليها وخص بها الكاتب لا طلت وذكرت الكثير الذي يحتاج إلى أوراق
كثيرة وكل هذه الغروق التي نص عليها وعددها فليست بشيء ولا فرق بين الكتابة
والشعر فيها (والذي عندي في الفرق بينهما هو من ثلاثة أوجه الأول) من جهة
نظم أحدهما ونثر الآخر وهذا فرق ظاهر (الثاني) أن من الأغراض ما يهاب
استعماله نثراً ولا يهاب نظمها وذلك شيء استخرجته ونبهت عليه في القسم الأول
المختص باللفظة المفردة في المقالة الأولى من هذا الكتاب ولا أعيددها منه شيئاً
فأقول قد ورد في شعراً أبي تمام قوله

هي العرم من الوجناء وابن حمة * وباش على ما يحدث الدهر خافض

وكذلك ورد في شعر أبي الطيب المتنبي كقوله

ومهمه سببه صـلى قدحى * تخرج عنه العراسم الذلل

فلنخطه المهمة والعراسم لا يعاب استعماله ما في الشعر ولو استعمل في كتاب
أو خطبة كان استعماله مأمييا وكذلك ما يشا كل ما ويناسبهم ما من الالفاظ
وكل ذلك قد ضياعته بضوابط وحدته بحدود وفصله من غيره من الالفاظ فليؤخذ
من المقالة الأولى ولولا خوف التكرار لاعدته ههنا (الثالث) أن الشاعر إذا
أراد أن يشرح أمورا متعددة ذوات معان مختلفة في شعره واحتاج إلى الإطالة
بأن ينظم مائتي بيت أو ثلثمائة أو أكثر من ذلك فإنه لا يجيد في الجميع ولا
في الكثير منه بل يجيد في جزء قليل والكثير من ذلك ردى غير مرضى والمكاتب
لا يؤتى من ذلك بل يطيل في الكتاب الواحد إطالة واسعة تباع عشر طبقات من
القراطيس أو أكثر وتكون مشقة على ثلثمائة سطر أو أربعة مائة أو خمسة مائة
وهو يجيد في ذلك كله وهذا النزاع فيه لا تشارأيناه وسيمناه وقلناه (وعلى هذا)
فأنت وجدت العجم يفضلون العرب في هذه النكتة المشار إليها فان شاعرهم
يذكر كتابا مصنفًا من أوله إلى آخره شعرا وهو شرح قصص وأحوال ويكون مع
ذلك في غاية الفصاحة والبلاغة في لغة القوم كما فعل الفردوسي في نظم الكتاب
المعروف بشاه نامه وهو ستون ألف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس
وهو قرآن القوم وقد أجمع فصحاءهم على أنه ليس في لغتهم أفصح منه وهذا
لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها وتشعب قدرها وأغراضها وعلى أن لغة
العجم بالنسبة إليها كقطرة من بحر اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وآله
وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

*(قال منهي تصحيح دار الطباعة * جعل الله بالكمال طباعه)*

لله المثل الأعلى ولتعبه من التحية الاغلى وآله الذين انتهى اليهم الكمال
وصحابتهم الذين بلغوا غاية الجلال وبعد قد تم طباع هذا الكتاب الباهر الذي
هو في حسنه المثل السائر محلى بحلية البيان والمعاني مشيدا بجواهر التركيب
والمباني إذا امتحنت بحاسنه آتته * غرائب جمّة من كل باب

بالطبعة العامرة التي يولاق مصر القاهرة ذات الشهرة العالية والمناقب
الزاهية البالغة كمال الشرف بنسبتها للدائرة السنوية لازالت محاسنها جارية

في ظل صاحب السعادة الأكرم الخديو الأعظم حامي حى الامصار مقيض
العدل في الاقطار حى رفات المكارم نائير لواء العلوم فوق المعالم عزيز مصر
ووحيد العصر سعادة أفندينا المحروس بعناية ربه العلى اسمعيل بن ابراهيم
ابن محمد على حفظ الله سبحانه دواته كما حفظ رعيته وأدام مجده وخادمه
وحرس أشباله الكرام وجعلهم غرة في جبين الايام ملحوظة دار الطباعة
المذكورة بنظر ناظرها المشعر عن ساعد الجلال والاجتهاد في تدبير نضارتها من
لا تزال عليه اخلاقه باللطيف ثنى حضرة حسين بك حنى والملتزم لهذا
الطبع الطريف والوضع اللطيف من بطيعة أحيا الدارس من كتب الأوائل
وكساها حلة اتقان مالهنا مماثل ففازت بهجة التكثير حتى وصلت اليها يد
الغنى والفقر المتكلى بالعلوم والمعارف حضرة محمد باشا عارف أفاض الله
عليه بحال الثمانى ومنحه غيوث الامانى ثم ان التصحيح بعد التنقيح كان
بمعرفة الفقير الى الله سبحانه محمد الصباغ أسبغت عليه النعم أتم اسباغ بخاء
بحمد الله على أتم نظام يفوق بحسنه بدور التمام واذا بلغ بدره الكمال أنشأ
مؤرخه خاله لسان الحال

راق الشراب ورقته نعمة الاسل * وطاب أنسى وعن لحي لم أسل
وبت أجنى طلالا بدر عيسى به * غصن على كتب بهت عن كسل
في روضة رقبت فيها النصوص وقد * غنى الهزار وطابت نشوة المثل
غناء قد ورثت فيها الطبباء على * نهر اللجين فصاغت معدن العسل
ورصفت من عقيق خاتما وحيت * بالترجس الورد عن جان من الجول
ان شمتاهمت من عقد على رقة * من سحرها أو يجيد صبح من خضل
كأنما شاهدت عينناك أسطرذى * كنز ذخائره من صبايب الجمل
سفر به رائد السحر الحلال على * لب المشوق ألقى بالنفث والحصل
حوى من القول ما ساغت مناهله * وجل تمنى وعن عيب الملال غلى
وحاز من رقة الطبع البهى سنا * منه ترى أنجيم الزهراء فى خيل
واذ تنهى جميل الطبع أرخ لى * بدر الكمال زها فى دارة المثل